

رِجَالُهَا الْأَكْبَرُ

وَرِجَالُهَا الْحِكْمَاءُ الْأَكْبَرُ

تَأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب

المؤلف: ١٩٠٩-١٩٠٩

مطبعة دار الكتب العلمية
بيروت

١-٢

مكتبة دار الكتب العلمية

دار الكتب العلمية

**Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.**

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ



يَكْفَانُ لِلْإِسْلَامِ وَزَهْرَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد بن عمر الخفاجي

المتوفى ١٠٦٩ هـ



وضع هواشيئه وفهارسه

أحمد عناية

٢-١

منشورات محمد رجاوي بيروت
دار الكتب العلمية

132 398

الكتاب: ریحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا

RAYHANATUL- ALIPA
WA ZHRATUL- HAYATID-DUNYA

المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي

المحقق: أحمد عناية

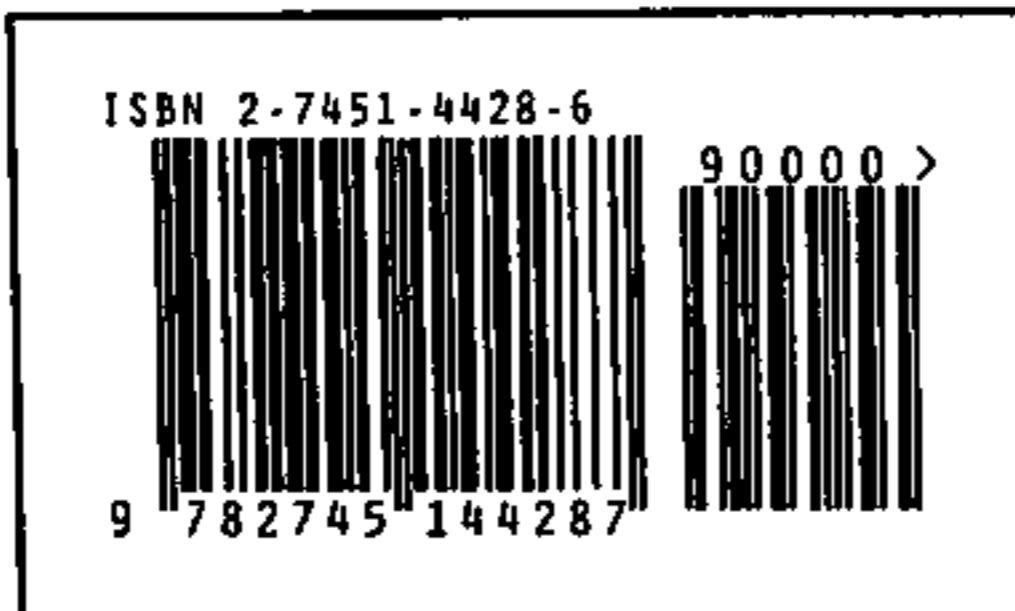
الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

عدد الصفحات: 560

سنة الطباعة: 2005 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى



منشورات محمد رياض بيروت



بيروت
بيروت
دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved

Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة

لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزئاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على أسطوانات صوتية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,
reproduced, distributed in any form or by any means,
or stored in a data base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction
même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite
sans autorisation préalable signé par l'éditeur est illicite
et exposerait le contrevenant à des poursuites
judiciaires.

الطبعة الأولى

٢٠٠٥ م ١٤٢٦ هـ

منشورات محمد رياض بيروت

بيروت - لبنان
دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor

هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (٩٦١ ١)

فروع عرمون، القبلة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiah Bldg.

ص ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ١١٠٧ ٢٢٩٠

هاتف: ٩٦١ ٥ ٨٠ ٤٨١٠ / ١١ / ١١
فاكس: ٩٦١ ٥ ٨٠ ٤٨١٣

<http://www.al-ilmiyah.com>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترجمة المصنف

الشَّهَابُ الْخَفَاجِيُّ^(١)

(٩٧٧-١٠٦٩ هـ = ١٥٦٩-١٦٥٩ م)

هو أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري: قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة.

نسبته إلى قبيلة خفاجة. ولد ونشأ بمصر، ورحل إلى بلاد الروم، واتصل بالسلطان مراد العثماني فولاه قضاء سلانيك، ثم قضاء مصر. ثم عزل عنها فرحل إلى الشام وحلب وعاد إلى بلاد الروم، فنفي إلى مصر وولي قضاءً يعيش منه فاستقر إلى أن توفي.

من أشهر كتبه: «ريحانة الألبا» وهو الكتاب الذي بين أيدينا، ترجم به معاصريه على نسق اليتيمة، و«شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل»، و«شرح درة الغواص في أوهام الخواص للحريري»، و«طراز المجالس»، و«نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض» أربع مجلدات، و«خبايا الزوايا بما في الرجال من البقايا» مجلد في التراجم، و«ريحانة الندمان»، و«عناية القاضي وكفاية الراضي» حاشية على تفسير البيضاوي، ثماني مجلدات، و«ديوان الأدب في ذكر شعراء العرب»، و«السوانح» في خزنة أسعد أفندي بالأستانة، رقم ٢٧٣٨ أدب (كما في المختار من المخطوطات العربية بالأستانة ٤٧)، و«قلائد النحور من جواهر البحور» في العروض، ومعه رسالتان له أيضاً، هما «جنة الولدان»، و«الكنس الجوارى».

(١) انظر الأعلام للزركلي (١/٢٣٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

حَمداً لمن سَرَّحَ عيونَ البصائرِ في رياضِ النِّعمِ، رياضِ زَهتِ فيها رياحينِ العقولِ،
وتفتَّحتْ بنسيمِ اللطفِ أنوارِ الحِكمِ، فاجتنت منها أيدي المُنَى فواكه الأرواحِ، واقتطفت
شقيقَ الشَّقِيقِ من بينِ أقاجِي الصُّباحِ، والنَّدَى طرَّزَ بردِ النسيمِ بيلالِهِ، لَمَّا رأى مجامِرَ الزُّهرِ
تحت أذيالِهِ: [السريع]

من قبل أن ترشيف شمس الضحى ريق الغواصي من ثغور الأفاخ^(١)
وأشكره شكراً يطوق جيد البلاغة نظيم عقوده، وينسج ببنان البيان على منوال البراعة
ريق بروده، على نعم لا تقنى من معادن الوجود جواهرها، ولا تذوي من خمائل الفصاحة
أزهارها.

ونهدي صلات الصلاة لناظم عقد الدين بعد نثره، المؤيد بآيات لا يزال يتلوها لسان
الدهر ولو طار نسر السماء من وكره، وكلت دونها السنة أسنة الطاعنين، وحميت حديقته
بشوكة الإعجاز فلم تلمسها يد أفكار المعارضين، فصار السابقون في حومة البلاغة،
الماهرون في صناعة الصياغة، ما بين ساكت ألفا، وناطق خلفاً^(٢)، ومشمم ذيله، ومدرع
ليله، تسربل سابغة دجى، قتيورها^(٣) نجوم ليل دجا، حتى اشتفت نفس الإسلام من دائهم،
وزال كلب الكفر بما أريق من دمائهم، فبيوتهم خاوية، ونفوسهم على أثر تلك البيوت
قافية.

وعلى آله الذين تفتحت لهم كمائم المعازل عن زهرة النصر، وتحلى بعقود غهوده
جيد كل عصر. [الكامل]

فجنوا لهم ثمر الوقائع يانعا بالغر من ورق الحديد الأخضر
لازالت سحب الرحمة المطنبة بالقطر مخيمة على مراقدهم، ولا برحت تحايا المزن
مهيمنة^(٤) بلسان الرعد على معاهدهم، ما سقى غدير المجرة روضة السماء، وزها نرجس
النجم تحت بنفسج الظلماء.

(١) البيت بلا نسبة في نفحة الريحانة ١٥٣/٢ .

(٢) هذا القول فيه إشارة إلى المثل: «سكت ألفاً ونطق خلفاً»، والمثل في مجمع الأمثال ١/٣٣٠، وفصل
المقال ٥١، والمستقصى ١١٩/٢، وجمهرة الأمثال ١/٥٠٩. والخلف هو الرديء من القول.

(٣) القتيير: الشيب.

(٤) الهيمنة: الكلام الخفي الذي لا يفهم.

هذا وإنني كنت قبل أن تُشيب منِّي الخطوبُ الذوائبَ، وتصبحَ كبدي وأحشائي بلظى
الثَّوائبِ ذوائبَ، والزمانَ ربيعَ، ورؤُصَ الشبابِ مَريعَ، أَعَدَّ الأدبَ عنوانَ صحائفِ
السَّمائلِ، وبيئتِ القصيدِ في ديوانِ المآثرِ والفضائلِ، أنفقَ نَقْدَ عمري في اقتنائِهِ واقتناصِ
شواردهِ، وأملاً صَدَفَ المسامعِ مما يستخرجُ غَوَاصُ الأفكارِ من فرائدهِ، وأشيمَ^(١) بارقةَ
السَّحرِ من نَفثاتِهِ، وأشُمَّ عَيبِ السرورِ من أزدانِ^(٢) نسماتِهِ، وأرتشِفَ من طَبِعي ما يَنبَمُ على
سرِّ الرُّجاجةِ، وأشْتَفْتُ منه ما أسأرتُهُ^(٣) الجُدودُ من دُؤابةِ خفاجةِ، صُبابةً مجدٍ لم يكدرها
في جامِ المشاربِ وزدُ الخطوبِ، وازدِحامُ الثَّوائبِ. [المتقارب]

فإنِّي من العربِ الأكرمينِ وفي أوَّلِ الدهرِ ضاعَ الكرمُ^(٤)
وما زلتُ على هذا الحالِ، منذ فارقني الحالِ، لا دأبَ لي إلا تلقي وفؤدهِ، لاستهداءِ
تُحَفِ الأخبارِ التي هي اللففُ من دمعِ الطَّلِّ في وَجَناتِ الأزهارِ. [الطويل]

ومن يسألِ الرُّكبانَ مَنْ كان نائياً فلا بُدَّ أن يلقَى بشيراً وناعياً
من أحاديثِ يُشْتَفَى بها الغليلِ، ويصيحُ مزاجِ التَّسِيمِ العليلِ، تنفثِجَ منها في رياضِ
المُسَامرةِ، من أجفانِ الكمائِمِ عيونُ أنوارِها الزَّاهرةِ، ويحسُّو فَمَ السَّمعِ منها ماءَ حياةٍ يُطِيلُ
عمرَ المسرَّةِ، وتكتجِلُ منها المآثرُ بما هو لعيونِها قُرَّةٌ، من كلِّ مَنْ هو لتشييدِ المجدِ أكرمُ
بانيهِ، حتى تكفلَ الثَّنَاءُ له بعمرِ ثانيهِ، يشيبُ في وجهِ السماءِ حاجِبُ القمرِ هلالاً، ويشتعِلُ
رأسُ الشمسِ شيباً ولم يَرَ له مثلاً. [الطويل]

إذا ما روى الإنسانُ أخبارَ مَنْ مضى فتحسبُهُ قد عاش من أوَّلِ الدهرِ
وتحسبُهُ قد عاش آخرَ دهرِهِ إلى الحشرِ إنْ أبقي الجميلُ من الذِّكرِ
فقد عاش كلُّ الدهرِ مَنْ عاش عالماً كريماً حليماً فاغتنمِ أطولَ العُمُرِ
وسواءً تَلَفْتُ المريضَ للطبيبِ، وفرحةُ الأديبِ بِلِقَا الأديبِ، لاسيَّما أهلِ العَصْرِ،
الهائِصِري أغصانُ المُنَى ألطفَ هَضْرٍ، القائلينِ في رياضِها، الواردينِ نَميرَ حياضِها، فقد
سَرَتْ كلماتهمُ مَسْرَى الأرواحِ في الأجسادِ، وأثنِيَّ عليها ثناءً نسيمِ الرياضِ على العُهَادِ،
وقد انتصر لكلِّ عصرٍ مَنْ أخياً مِيتَهُ، وَعَمَّرَ من دارسِ عهودِهِ بِنَتِهِ، كصاحبِ «اليتيمة»
و«قلائدِ العُقَيانِ»، و«الدمية» و«الذخيرة» و«عقودِ الجُمانِ»، و«حَمِيَّةِ المرءِ لعصرِهِ»، وقيامُهُ
على منابرِ نضيرِهِ، من آياتِ الفُتُوَّةِ، التي هي على لسانِ الحَمِيَّةِ متلُوَّةٌ، فليس منَّا مَنْ لم يَغْتَدِ
بِدَرِّ المجدِ في مهادِهِ، ولم يفتخِرْ في المحافلِ بأستاذِهِ وإسنادِهِ، إلا أن الأدبَ في هذه
الأعصارِ، قد هبَّتْ على أطلالِهِ رِيحُ ذاتِ إعصارِ، حتى أخلقتْ عُرَى المحامدِ، واسترخَى
في جريهِ عِنانُ القصائدِ، وتقلصتْ أذيالُ الظلالِ، وخطبِ البلاءِ على منابرِ الأطلالِ، وعفا

(١) شمت البرق: نظرت إلى سحابته. (٢) الأردان: جمع ردن، وهو طرف الكم.

(٣) السور: بقية الشيء، وأسار منه شيئاً: أبقى.

(٤) البيت بلا نسبة في نفحة الرياحة ١٨١/٢، وروايته:

(وإنني من العربِ الأقدمينِ وقد مات من قبل الخلقِ الكرمِ)

رَسْمُ الكرام، فعليه مني السلام. [المتقارب]

وممَّا أعان عليَّ الزمانُ عَفافُ يدي وَعُلُوُّ الهِمَمِ
والرؤساء شعراء لا ينظّمون ولا ينثرون، وما فيهم من صفات الشعراء إلا أنهم يقولون
ما لا يفعلون، وإذا كذبَ مادحٌ أحدهم اهتزَّ وطرب، وجازى من سرابٍ وعده بكذبٍ على
كذب، وبالوعد الفطير لا يخمر الخمير. [المتقارب]

وبأخسنت لا يُباع الشعير^(١)

وبرغد الوعد، لا يُسقى غرس الحمد. [البيسط]

فلا تلوموه في وعدٍ يُردُّه في وقتٍ مذحي له علّمته الكذباً
ومع هذا، فكم هبَّت لهم أنفاسٌ معطرةٌ بالنجاح، مُزريّة في وقتها بأنفاس الصبا في
الصباح، يهزُّ لها السَّماعُ هيفَ معاطِفِهِ، وينشرُ تحت أقدامها الزمانُ بساطَ عواطفِهِ، تتمسك
كفُّ الشمال بأذيالها، وتتفياً العشاق في هجير الأشواق ضافيّ ظلالها، وتردُّ صافيّ زلالها،
من كلِّ حديثٍ تليدٍ وطارفٍ، له وشيٌّ على كاهل المجدِّ ولا كوشي المطارف، تزه، به
الطروس على صفحات الخدود المُحسّنت بالسوائف، في كل ورقةٍ منها خمائل، تسوغ
مياه فصاحتها في لهوات الجداول. [الطويل]

تكاد يدي تندي إذا ما لمستها وينبت في أطرافها الورق الخضر^(٢)

من كل من الحق المتأخر بالمتقدم في تطبيق مفاصل معانيه، وإخراج مخبآت عطره
من جونة مبانيه، وإن تأخر عصره فلا بأس، في تأخر النتيجة عن القياس، والخذة تتقدم
بين يدي السادة، والسُنن أمر بتقديمها على الفروض في العبادة، وتقدم الآحاد، يرقى مرتبة
الأعداد. [الكامل]

أو ما ترى أن النبي محمداً فاق البرية وهو آخر مرسل^(٣)

فيا أدلاء الهدى إني أنست من جانب الطور ناراً بها تهتدون، أو آتيكم بشهاب قيس
لعلكم تضطلون^(٤)، فإن لم يترك الأول شيئاً للآخر، فخير من الكثير الغائب القليل
الحاضر، ويا من هم في محيا الأيام حسنة، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾

(١) التمثيل والمحاضرة ١٠٧ .

(٢) البيت لأبي صخر الهذلي في ديوانه ٩٥، والظرف والظرفاء ٣٢٩، والعمدة ٦٦٨، والوساطة ٢٦١ .

(٣) البيت بلا نسبة في ديوان الصباية ١٥، والظرف والظرفاء ١٧١، وروايته:

(أتشك في أن النبي محمداً ساد البرية وهو آخر مرسل)

وانظر: التمثيل والمحاضرة ٢١ .

(٤) هذا القول فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُتُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَمَلَأَتْهَا مِنِّي بِقَيْسٍ
أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [طه: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ
الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُتُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَمَلَأَتْهَا مِنِّي بِقَيْسٍ أَوْ حَذْرًا مِنْ النَّارِ لَعَلَّكُمْ
تَضَلُّونَ﴾ [الفصص: ٢٩].

[الأحزاب: ٢١]، فلا يُزِرُّ بالتُّور تأخُّرُه عن غِرَاسِ أَغْصَانِهِ، ولا يُكَلِّ مَضَاءَ السَّنَانِ كَوْنُهُ فِي أَطْرَافِ مُرَّانِهِ^(١)، على أنه قد تتساوى الأصائل والبُكر، وتتشابه طُرُرُ العَشِيَّاتِ والسَّحَر، وليس إلا للحسد رَغِبَتِ الطَّبَائِعِ، عن محاسنٍ للعصرِ هي مِلءُ الأفواهِ والمسامِعِ. [الطويل]

وما شُكْرُهُم لِلْمَنِيَّتِ إِلَّا لِأَنَّهُ بما حلَّ في أيديهم غير طامع
وللهِ دَرُّ ابنِ رَشِيْقٍ^(٢)، في قوله^(٣): [الخفيف]

أولِعَ النَّاسُ بِامْتِدَاحِ القَدِيمِ وبِذَمِّ الجَدِيدِ غيرِ الذَّمِيمِ
ليسَ إِلَّا لِأَنَّهُم حَسَدُوا الحَيَّ فرَقُوا على العِظَامِ الرَّمِيمِ
والحُرُّ وَإِنْ حَلَّ تِيهَا وَبَادِيَةً، فَسَتَغْدُو محاسنُه على رِغْمِ الخِمْولِ بَادِيَةً، ولنا في ذِمَّةِ
الدهرِ ديونٌ بأوقاتها مرهونة، فإذا جاءَ إِبَّانُهَا فَكَّ الزمانُ رُهوَنه.

على أَنِّي أَسْتَغْفِرُ اللّهَ مِنْ دَهرٍ كَلَّتْ فِيهِ مُرَهَفَاتُ الطَّبَاعِ، وَنَفَضَتْ الأَمَالَ فِيهِ يَدَها مِنْ
غُبَارِ الأَطْمَاعِ، وَافِينَاهُ على الهَرَمِ، وَقَدْ قَلَعَ ضِرْسَ النَّدَمِ، بَعْدَ ما أَكَلَ باكورةَ الكرماءِ،
وشابَّتْ بالصباحِ لِياليه الدَّهْماءِ، وَدَبَّ خَرِفاً على عصا الجوزاءِ.

وكنْتُ لَمَّا ذُبِلَ بالنَّوى عَيْشِي النَّضِيرِ، وَلَيْتَ سِياحَةَ الأَفَاقِ فَصِرْتُ خَلِيفَةَ الخَضِيرِ،
تَهَادَثَنِي التَّنَائِفُ^(٤)، وَقَذَفْتَنِي الأَمَانِيَّ فِي لَهَوَاتِ المِخَافِ، كَأَنِّي قَدَاةُ بأَجْفَانِ الدَّهْرِ، أَوْ
سَفَاةُ^(٥) بُوْجِه نَهرٍ، أَوْ كُرَّةُ لَاعِبٍ، أَوْ سَهمِ مِحارِبٍ، طَوَّراً أَشَقُّقَ قَلْبِ الشَّرْقِ كَأَنِّي أَفْتَشُ
على الفِجْرِ، وَتارَةً أَمْرُقُ كَيْسِ الغَرَبِ حَتَّى كَأَنِّي أُرِيدُ أَنْ أُخْرِجَ مِنْهُ دِينَارَ البَدْرِ، أَفَلِي لُمَّةً
لَيْلِ دَجَا، شَابَ فَوْقَها فِرْقُ ابنِ جَلَا، يُخَيَّلُ لِي أَنْ البِلادُ مَسامِعُ أَنَا فِيها مَرُّ المِلامِ، أَوْ فَكَّرَ
بَلِيدٌ أَنَا حَوْلَهُ مَعْنَى دَقِّ أَنْ تَتصَوَّرُهُ الأَوْهَامِ، غَرِيبٌ فِي عِيونِ الظُّنونِ، كَأَنِّي بَيْتِ حَسَّانِ بنِ
ثابِتٍ^(٦) فِي دِيوانِ سَخْنونِ^(٧)، أَوْ مُصَحَّفٍ فِي بَيْتِ زَنْدِيقِ، أَوْ عابِدِ فِي صَوْمَعَةِ بِطَرِيقِ، أَوْ
بِكْرُ مَعْنَى سارِ فِي مِثْلِ، أَوْ غَضُّ عَمْرِ جَرَى خَلْفَهُ رَائِدٌ أَجَلِ، أَوْ خَبِرَ لَمْ يَصِحَّ لَهُ سَنَدٌ، فَلَمْ

(١) المران: الرماح الصلبة اللدنة.

(٢) ابن رشيق: الحسن بن رشيق القيرواني، أبو علي (٣٩٠ - ٤٦٣هـ): أديب، نقاد، باحث. ولد في
المسيلة بالمغرب، ورحل إلى القيروان سنة ٤٠٦ ومدح ملكها، واشتهر فيها. من كتبه: العمدة،
وقراضة الذهب، وأنموذج الزمان، وغيرها. (الأعلام ١٩١/٢).

(٣) البيتان لابن شرف القيرواني، وهوم المؤلف ونسبهما إلى ابن رشيق، ولعل سبب الوهم أن كلا منهما
يعرف بالقيرواني. والبيتان في ديوان ابن شرف القيرواني ٩٧، ورسائل الانتقاد ٣٩، وألف بآء البلوي
٦٠-٥٩/١.

(٤) التنايف: جمع تنوفة، وهي الأرض الواسعة البعيدة الأطراف.

(٥) السفاة: شوك البهمى والسنبل، وكل شيء له شوك. والسفاة أيضاً: الغبار أو التراب.

(٦) حسان بن ثابت الأنصاري (..... - ٥٤هـ): صحابي، شاعر الرسول ﷺ وأحد المخضرمين الذين
أدركوا الجاهلية والإسلام. كان شديد الهجاء، فحل الشعر. (الأعلام ١٧٥/٢ - ١٧٦).

(٧) سخنون: عبد السلام بن سعيد بن لبيب التنوخي (١٦٠ - ٢٤٠هـ): قاض، فقيه، انتهت إليه رئاسة العلم
في المغرب. كان زاهداً لا يهاب سلطاناً في حق يقوله. (الأعلام ٥/٤)، وهدية العارفين: ٥٦٩/١.

يقبله من الثقات أحد: [الطويل]

كَأَنَّ لَهُ دَيْنًا عَلَى كُلِّ مَشْرِقٍ مِنْ الْأَرْضِ أَوْ ثَارًا لَدَى كُلِّ مَغْرِبٍ
أَرْدُ مَوَارِدِ الْحُوبِ^(١)، مُكَدَّرَةٌ بَغُضِّصِ الْخَطُوبِ، فَلَمْ أَرِبْ^(٢) بَبْدُو وَلَا حَضَارَةَ،
كَأَنِّي مِنَ الشُّهْبِ السَّيَّارَةِ، وَقَدْ قِيلَ تَنْزِلُ الْأَلْقَابُ مِنَ السَّمَاءِ، فَلِكُلِّ مِنْ اسْمِهِ نَصِيبٌ أَنْحَطَّ
أَوْ سَمًا: [الخفيف]

وَطَنِي حَيْثُ حَطَّتِ الْعَيْسُ رَحْلِي وَذِرَاعِي الْوِسَادُ وَهِيَ مِهَادِي
فَكُلُّ جَوْلِي بَيْنَ إِبْرَاقٍ وَإِزْعَادٍ، وَأَمَانِي فِي مَهَامِهِ الْحَيْرَةِ بَيْنَ إِتْهَامٍ وَإِنْجَادٍ، وَالزَّمَانُ
يُضْمِرُ سَلْبَ مَا أَوْلَاهُ بُخْلًا إِنْ جَادَ، وَالسَّنَةُ أُنْبَاءُهُ عَنِ الْإِجَابَةِ صُمَّتْ، وَأَدَانُهُمْ عَنِ صَرِيخِ
الْإِسْتِغَاثَةِ صُمَّتْ، فَقَدْ خَلَا مِنَ الْمَكَارِمِ مَغْنَاهَا، وَأَصْبَحَ لَا يَجَاوِبُ الْيَوْمَ إِلَّا صَدَاهَا.

لَكِنِّي مَعَ أَهْوَالِهِ، وَدُرُوسِ رُسُومِ السَّرُورِ فِي أَطْلَالِهِ، وَإِنْ تَوَسَّدْتُ ذِرَاعَ الْهَمِّ فِي
دِيَابِجِهَا، وَقَطَعْتُ ظُلْمَةَ الشَّدَائِدِ فِي سَنَا بَذْرِ أَمَانِيهَا، أَتَعَلَّلُ بِأَنَّ السَّيْفَ لَا يَقْطَعُ فِي قِرَابِهِ،
وَاللَيْثَ لَا يَصِلُ لَغَرَضِ الْفَرَائِسِ فِي غَابِهِ، وَلَوْلَا مُفَارَقَةُ الْقَوْسِ مَا أَصَابَ سَهْمٌ، وَلَوْلَا بُغْدُ
الدَّرِّ عَنِ الصَّدْفِ لَمْ يَظْفَرُ مِنَ الْغَيْدِ بِأَوْفَى سَهْمٍ، فَلِذَلِكَ أَضَاحِكُ مِبَاسِمَ الْأَمَانِيِّ، وَأَغَازِلُ
عَيُونَ الْأَمَالِ وَالْتِهَانِيِّ، وَأَنْزَهُ طَرْفِي فِي رِيَاضِ الدَّفَاتِرِ، وَلَمْ أَقِلْ مَعَ السَّرُورِ إِلَّا فِي ظِلِّ
طَائِرٍ، فزَمَانُ مَسْرَاتِي أَقْصَرُ مِنْ عَمْرِ الْكِرَامِ، وَفَوَادِي لَمْ يَهْتَدِ إِلَى طَرْقِ سَلْوَةِ الْمُدَامِ، فِي
أَوْثِقَاتِ أَثْقَلِ مِنَ السُّؤَالِ، وَأَطْوَلِ مِنَ عَمْرِ الْأَمَالِ، أَشَامُ مِنْ وَجْهِ خَنَاسٍ، وَأَثْقَلُ مِنْ غَرِيمِ
مُلْحٍ عَلَى إِفْلَاسٍ.

وَلَمْ يَكْفِ الدَّهْرَ مَا وَرَثِيهِ مِنَ الْجِرْمَانِ، حَتَّى ابْتَلَانِي بَعْدَ الْإِثْبَاتِ بِالنَّفْيِ كَأَنِّي نَكْتُ أُمَّ
الزَّمَانِ، وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا، وَلَا أَرْتَضِي بِمَعْرَةِ أَبِي الْعَلَاءِ^(٣)، فِي قَوْلِهِ^(٤): [الطويل]
إِذَا مَا ذَكَرْنَا آدَمًا وَفِعَالَهُ وَتَزْوِيجَهُ لِابْنِيهِ بِنْتِيهِ فِي الْخَنَا
عَلِمْنَا بِأَنَّ الْخَلْقَ مِنْ نَسْلِ فَاجِرٍ وَأَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ مِنْ غُنْصُرِ الزُّنَا
فَإِنَّهُ كَفَرُ مِنْ وَسْوَسةِ الشَّيَاطِينِ، وَغَلَوُ مِنْهُ فِي خَلْعِهِ رِبْقَةَ الدِّينِ، بَلْ أَقُولُ مَا قَالَ ابْنُ
عُنَيْنٍ^(٥): [م. الكامل]

(١) الحوب: الهلاك.

(٢) أرب: أرب بالمكان: أقام.

(٣) أبو العلاء المعري: أحمد بن عبد الله بن سليمان التبوخي (٣٦٣-٤٤٩ هـ): شاعر فيلسوف. ولد ومات في معرة النعمان. أصيب بالجدري صغيراً، فعمي في السنة الرابعة من عمره. (الأعلام ١/ ١٥٧).

(٤) البيتان للمعري في خريدة القصر، قسم الشام ٢٥٢/٣، ومعاهد التنصيص ٥١/١، ونكت الهميان ٤١٠، والنور السافر ٤١٠.

(٥) ابن عنين: محمد بن نصر الله بن مكارم الأنصاري الدمشقي (٥٤٩ - ٦٣٠ هـ): أعظم شعراء عصره. مولده ووفاته في دمشق. كان هجاء، قتل من سلم من شره في دمشق، حتى السلطان صلاح الدين الأيوبي. (الأعلام ٧/ ١٢٥). هدية العارفين: ١١٣/٢.

انْفُوا السُّؤْدَانَ مِنْ بِلَادِكُمْ إِنْ كَانَ يُنْفَى كُلُّ مَنْ صَدَقًا^(١)

وللحسن بن أبي عقامة في الردّ عليه، أي على أبي العلاء: [الطويل]

لَعَمْرِي أَمَا فِيكَ فَالْقَوْلُ صَادِقٌ وَتَكْذِبُ فِي الْبَاقِينَ مَنْ شَطَّ أَوْ دَنَا^(٢)

كذلك إقرار الفتى لازم له وفي غيره لغو كذا جاء شرعنا

فلا سمير لي أجالسه، ولا نديم لي أؤانسه، سوى أوراق كنت خلعت عن منكب الإقبال بزدها الخليع، وجعلتها كبيت العروض ادخارها للتقطيع، فوجدت فيها نبذاً من المحاسن أسرها الدهر في خاطره، شاهدة لقول مَعْدِنِ الْحَكَمِ: «أُمِّي كَالْمَطَرِ لَا يُدْرِي الْخَيْرُ فِي أَوْلِهِ أَمْ فِي آخِرِهِ»^(٣)، مَمَّنْ جَرَّ عَلَيْهِ الزَّمَنُ أَذْيَالَ الْفَنَاءِ، وَأَسْكَنَهُ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى، فَحَلَّ مُخَيَّمِ الْبَلَى، كَأَنَّهُ سِرٌّ فِي صَدْرِهِ، وَمِنْ بَاقٍ عَلَى هَامَةِ اللَّيَالِي تَعْبَقُ أَنْفَاسُ الرُّوَاةِ بِذِكْرِهِ، مَمَّنْ رَكِبَتْ لِرُؤْيَاهِ مَطَايَا أُمِّ عَمْرِي، أَوْ نَابَتْ عَنِّي فِي مَشَاهِدَتِهِ أَهْلُ عَضْرِي، فَاجْتَلَوْتُ مُحَيَّاهُ، أَوْ رَأَيْتُ مَنْ رَأَاهُ، حَتَّى طَرِبْتُ عَلَى الْإِسْتِمَاعِ، وَعَلِمْتُ أَنَّ الذِّكْرَى طَيْفُ الْاجْتِمَاعِ، وَإِذَا كَانَ الْحَبُّ مَنُوعٌ، فَالصَّبُّ قَنُوعٌ، يَتَعَلَّلُ بِبَارِقِ ثَنِيَّةٍ، وَتَكْفِيهِ لِمَحَّةٍ إِشَارَةٌ أَوْ تَحِيَّةٌ. [الطويل]

فإن تمنعوا ليلي وحسن حديثها فلن تمنعوا مني البكا والقوافيا^(٤)

فهلأ تمنعتم إذ منعتم حديثها خيالاً يوافيني على الثأي هادياً

فجمعت منها ما هو لظرف الدهر حور، ولجيد الأدب عقد ينسم منظومه هزواً بعقد الدرر، ولكأس الأدب ختام، ولعقد حبابه نظام، تُذَكِّرُ الْعَهْودَ وَالْمَوَدَّةَ، وَتَطَّلِعُ فِي وَجْهِ الْوَفَاءِ وَزِدَّةَ، وَتَنْدُبُ مَنْ أَلْقَى لِلْبَلَاءِ قِيَادَهُ، وَتُلْبِسُ عَلَيْهِ وَجْهَ الطُّرْسِ جِدَادَهُ، وَتَسِيلُ فِي عَاتِقِ الْمَحَاسِنِ غَوَالِيَاً، وَتَرْقُ فَلَا تَدْرِي أَلْفِظُ رَقٌّ أَمْ دَمْعٌ تَرْقَرُقُ جَارِيَاً، وَتَسْجُدُ الْأَقْلَامُ فِي مِحْرَابِ طَرَسِهَا الَّذِي هُوَ لِلْمَحَاسِنِ جَامِعٌ، وَيُوَدُّ كُلُّ عَضْوٍ إِذَا تَلَيْثَ أَحَادِيثِهَا لَوْ أَنَّهُ مَسَامِعٌ، وَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ عِقْدًا مَنْتَشِرًا دُرُّهُ، وَأَقْفًا تَبَدَّدَ بِيَدِ الْبَصِيحِ زُهْرُهُ، وَنُورًا نَشْرَثَهُ كَفُّ الشَّمَالِ، فَانْتَضَمَ عَلَى تَرَائِبِ الْمَاءِ السَّلْسَالِ، فَلَوْبَمَا نُثِرَ الْعِقْدُ الْمَفْصَّلُ، لِيَعُودَ أَحْسَنَ فِي النُّظَامِ وَأَجْمَلَ.

فهذه ذخائر من «خبايا الزوايا، فيما في الرجال من البقايا» تنفس الدهر بها عن نفحة عبرية، وهبت بها أنفاسه النديّة نديّة، تنفس الروض في الأسحار بأفواه العبير عن أفواه

(١) ديوان ابن عنين ص ٩٤ .

(٢) البيتان للحسن بن أبي عقامة اليميني في فريدة القصر ٢٥٣/٣، ومعاهد التنصيص ٥١/١، ونكت الهميان ١٠٧، والنور السافر ٤١٠ .

(٣) أخرجه الترمذي في صحيحه ١٤٢/٢، برواية: «مثل أمي مثل المطر، لا يدري أوله خير أم آخره» .

(٤) البيت الأول يشبه بيتاً لمجنون ليلي في ديوانه ٢٩٤، وهو:

فإن تمنعوا ليلي وتحموا بلادها عليّ فلن تحموا عليّ القوافيا

التَّوْر والأزهار^(١). [الكامل]

يَسْرِي عَلَى رِيحَانِهَا نَفْسُ الصَّبَا سَحَرًا فَيُوهِمُ أَنَّهُ ذَكَرَاهَا
فلذا سَمَّيْتُهَا:

ريحانة الألياء، وزهرة الحياة الدنيا

فإني شَمَمْتُ بها روائِحَ الشَّبَابِ، ونظرتُ في مِرَاتِهَا وَجُوهَ الأَحْبَابِ، وتذَكَّرْتُ غَابِرَ
الأيامِ، إذ العيشُ غُضُّ والزمانُ غُلامٌ، مِن أعلامِ شَمِّ الأنوفِ إن دعى بهم بَوًّا^(٢) الصغارِ
تَشْمَخُ، في غُرَرِ أَيامِ نُقَامِ بها مواسمُ الدهرِ وتُورِّخُ.

وجعلتُ مِنكَ الخِتَامَ، ذَكَرَ سَادَةَ مِنَ العُلَمَاءِ الأَعْلَامِ، فَإِنَّ بَصْبَا أَنفَاسِهِم يَنْقَشِعُ غَمَامُ
العُمَّةِ، وبِذِكْرِهِم في نَادِينَا تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ.

فإن عَذَبْتَ مَوَارِدُهَا، فَلتُقَرَّنِ بالدعاءِ فرائدُهَا، فإن عُثِرَ مِنْهَا عَلَى كَبُوءَةٍ، فَلْيَبْدُلْ لَهَا
الليِّبُ عَفْوَهُ: [الطويل]

على أنني راضٍ بأن أحملَ الهوى وأخْلِصَ مِنْهُ لا عَلَيَّ ولا لِيَا
وهأنذا أمتِعَ الأسماعَ، بِرَبِيعِ أخوِي الظُّلالِ أَلْمَى التَّلَاعِ، فإذا رأيتَ كَلاماً لأهلِ العَصْرِ
لم تترنَّحِ أعطافُهُ لِهَذَا التَّسِيمِ، فَتَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ فما بَعْدَهُ مِنْ شَمِيمِ^(٣)، فليسَ مِنْ
لَيْلِي ولا سَمَرِهِ، ولا مِمَّا يُهْدِي لَنَا مِنَ الأَدبِ باكَورَةَ ثَمَرِهِ، فكمَ مِنْ أشعارِ، لِلبُخْلِ فِيهَا
أَعْدَارُ: [الكامل]

تَاللهِ ما بِخِلِ الكِرامِ وإِنَّمَا لِجُرُودِ الأَشعارِ قَدِ جَمَدِ النَّدى
فما كلُّ مُرتَفِعِ نَجْدٍ، ولا كلُّ وادٍ يُنْبِتُ الشَّيخَ والرُّنْدَ^(٤)، وما كلُّ سَوْداءِ ثَمَرَةٍ، ولا كلُّ
صَهْبَاءِ خَمْرَةٍ، ولا كلُّ بِيضَاءِ شَحْمَةٍ^(٥)، ولا كلُّ حَمراءِ لَحْمَةٍ، ولا كلُّ نَبْتٍ يعلو بِنَمائِهِ،
ولا كلُّ بَرَقٍ يَجُودُ بِمائِهِ.

اللهم بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الأَنامِ، كما يَسُرُّكَ الأَبْتداءُ يَسُرُّ الأَخْتتامَ، صارِفاً عِنا سُوءِ القِضا،
ناظراً إِلينا بِعَيْنِ الرِّضا.

(١) هذا القول نقله المحيي في نفحة الريحانة ٣٩٧/٤ في معرض حديثه عن الخفاجي.

(٢) البو: ولد الناقة، أو جلد الخوار يحشى تبناً أو ثماماً أو حشيشاً لتعطف عليه الناقة إذا مات ولدها، ثم يقرب إلى أم الفصيل لترامه فتدرّ عليه.

(٣) هذا القول مأخوذ من بيت للعبة القشيري في ديوانه ٧٨:

(تمتّع من شميم عرار نجد فما بعد العشيّة من عرار)

(٤) الرند: الأس، أو العود الذي يتبخر به، وقيل: شجر من أشجار البادية وهو طيب الرائحة يستاك به.

(٥) من الأمثال قولهم: «ما كل بيضاء شحمة، ولا كل سوداء تمرّة» والمثل في مجمع الأمثال ٢/٢٨١، والمستقصى ٢/٣٢٨، والفاخر ١٩٥، وجمهرة الأمثال ٢/٢٢٦، ٢٨٧.

القسم الأول

في محاسن أهل الشام ونواحيها، ومن برز من سرّة ربّاهَا وبطن واديها، وتغذى بنسيمها، وتربى في حجر رياض نعيمها وقال في ظلال أغصانها المتعانقة هوى ووداً، وتعطر بأنفاس شمائلها التي صارت للندّ نداءً، وطعم من مائها العذب، وزوي بدوب لؤلؤها الرطب، وهو ماء الحياة في سائر الصفات إلا أنه في نور التّقدّيس وهو في الظلمات.

١- أحمد العناياتي

صديق الصّدق، وخذن الصّلاح، شقيق النّدى، وتزب السّماح، روض سجيته غضّ ناضر، لو رآه المتنبّي لقال ما هذا إلا ساحر، خلب الأسماع بنفائاته، ونسج على منوال الرّقة حللّ عناياته.

ذو حسب تليد، وباع في المجد طويل مديد، لم يُسَطّر مثل محاسنه في كتاب الزمان، ولم تُملأ بأنفس من جواهره حقائق الآذان، فيما لها جواهر إذا شاهدها مُفتقر إلى البيان: أغناه ياقوتها وجوهرها، وخرائد جمعت له بين الحُسن والإحسان منظرها طيب ومخبرها، تُغرّد على قُصْب براعته حمائمها، وتفوح أنوار بلاغته إذا قُضت الطُروس عنها كمائمها، طلعت شمس الأدب من أفق أشعاره، وتفجرت ينابيعها من خلال آثاره.

وهو الآن في جبهة الشام غرّة، وفي حدائقها النّضرة زهرة، وفي سماء كمالها الزّاهية زهرة، وقد حلّى بحلّل الزهد كماله، ورأى برأيه الصّائب أسمّاه أسمى له، لم يحتفل بأمر غد، قانعا بظلّ الخمول نكداً أم رعد، قائلاً في خمائله الرّحاب، عفّ السّريرة طاهر الأثواب، لم يشرق بسؤال، ولم يَغصّ بندامة الآمال، ولم يَألف سكنا، ويتوطن مسكنا. كما قيل: [الرجز]

وَمِنْ عَجِيبِ أَنْ أَكُونَ شَاعِراً وليس لي في النَّاسِ بَيْتٌ يُعْرَفُ
كما وصف زيّه في قصيدته الزّائفة بقوله^(١): [المتقارب]

١- أحمد بن أحمد المكنى بأبي العنايات (٩٣٢ - ١٠١٤هـ): نابلسي الأصل، ولد بمكة، وسكن دمشق، وتوفي فيها. شاعر غزل، وأحد بلغاء عصره، جمع شعره بين جودة السبك وحسن المعنى. (تراجم الأعيان ١/١٩٢، وخلاصة الأثر ١/١٦٦).

(١) الأبيات عدا البيت الأخير في خلاصة الأثر ١/١٦٧.

إذا لم أعزّ فممن ذا يعزّ
ليست من اليأس في الناس ثوباً
ولست أرى الذلّ إلا إذا كا
ومثلي حرّ عباءة غناه
وسيان من حبّ أو من قلّي
ومن غرره قوله: [البسيط]

قلبي على قدك الممشوق بالهيف
وهل سؤيداه أم خال بخدك أم
وهذه غرة في طرة طلعت
تخفي النجوم بنور البدر وهو بنو
يا بدر قلبي وطرفي فيك منتصف
القلب واصلت فيه وصل ممتزج
ظني تألفت منه غير ملتفت
شفاء حرّ غليلي بزود ريقته
ونلاه من ورد خد غير مقتطف
عدلت عاشق عدلي في محبته
يظن أن سواه منه لي خلف
عذري عشقي عذري فيه متضح
فنيث سقماً بخضر منه مختصر
يطير قلبي إلى الحاظه شغفاً
يا أيها الرشا الضاري على مهج ال
بما بحسنيك من تيه ومن صلف
الله في كبد للوجد في كمد
ومغرم ما له من مسعف لعبث
أشقى محاق الضنى لما هجرت به
يا باخلاً بليقاء باذلاً لدمي
حزت الجمال ألا تولي الجميل فقد

وقفري وقنعي كئز وحز
عليه من العقل والفضل طرز
ن في الحب والذل في الحب عز
إذا استعبد الناس خز وبز
ومن راح يمدح أو راح يهز

طير على الغصن أم همز على الألف
خويدم أسود في الروضة الأنف
أم بدر تم بدا في ظلمة السدف
ر الشمس وهي بنور منك غير خفي
بالوصل منك وهذا غير منتصف
والطرف صديت عنه صد منحرف
غصن تعطف منه غير منعطف
والبرء من دنفي في لحظه الدنف
منه ومن خمير ريق غير مرتشف
فاعجب لذي شغف يلحي على الشغف
أساء في الظن هل للروح من خلف
كوجهه وهو مثل الشمس في الشرف
فيه وطرفي ونومي جد مختلف
فاعجب له كيف يزمي السهم بالهدف
آساد بالسيف من جفنيه لم يخف
وما بعشقي من ذل ومن كلف
إليك أشرف فيها الشوق في الشرف
به اللواعج لغب الريح بالسعف
على التلاف ولو واصلته لشفي
فالوعد يخلف منه والوعد يفي
يصادف الحس بالإحسان في الصدف

تمة

اعترض على هذا المطلع بأنه لا وجه لتشبيه القلب بالهمز.

وأجيب بأن له وجهاً؛ لأنه وقع تشبيهه بالطائر لخفقانه، وهم قد شبهوا الطير على الغصن بالهمز، والغصن بالألف، ولما شاع هذا شبه به القلب، وقد الحبيب، فهذا في باب التشبيه كالمجاز على المجاز، والكناية على الكناية، كما قيل في وصف قصيدة هَمْزِيَّة: [الخفيف]

والقوافي إليك حنّ حنيني فتأمل فهَمْزُها وزفَاء

وقوله: «والْبُرءُ مِنْ دَنْفِي» إلخ، معنى مشهور، كقول ابن مَطْرُوح^(١): [الرمل]

أشتكي سُقْمِي إلى أَجْفَانِي ومَتَى يُشْفَى سِقَامٌ بِسِقْمِ^(٢)

وقوله: [الكامل]

ورنا إليّ بَطْرَفِه فكَأَنَّمَا أَهْدَى السَّقَامَ لِمُدْنَفٍ مِنْ مُدْنَفٍ

وقول ظافر الحداد^(٣): [الطويل]

مريضٌ لحاظِ الطَّرْفِ لولا جُفُونُهُ لما كنتُ أَذْرِي السُّقْمَ كيف يكونُ

وأصله قول المتنبي^(٤): [البيسط]

أعارني سُقْمَ عَيْنِيهِ وَحَمَلَنِي مِنْ الهَوَى ثِقْلَ ما تَحْوِي مَآزِرُهُ^(٥)

وقوله: «فاعجب له كيف يرمي السهم بالهدف» نوع من البديع يُسَمَّى العكس،

بديع في بابه، وهو كقول الذهبي: [المتقارب]

يطيرُ فَوَادِي لِأَلْحَاظِهِ غَرَاماً وَشَوْقاً وَفِيهَا التَّلَفُ

فيا مَنْ رَأَى قَبْلَهَا أَسْهُمًا يطيرُ اشتياقاً إليها الِهْدَفُ

ونحوه قول ابن نَبَاتَةَ المِصْرِي^(٦): [الكامل]

صَيَّرتْ نوميَ مِثْلَ عِظْفِكِ نَافِراً وَتَرَكْتَ عِزْمِي مِثْلَ جَفْنِكِ فَاتِراً^(٧)

(١) ابن مطروح: يحيى بن عيسى بن إبراهيم (٥٩٢ - ٦٤٩ هـ): شاعر أديب مصري. خدم الملك الصالح أيوب، وتنقل معه في البلاد. وأعرض عنه خلفاء الصالح، فأقام مخمولا، إلى أن توفي. (الأعلام ٨/١٦٢).

(٢) ديوان ابن مطروح ١٧٥.

(٣) ظافر الحداد: ظافر بن القاسم بن منصور الجذامي، أبو نصر الحداد (... - ٥٢٩ هـ): شاعر، من أهل الإسكندرية. كان حدادا. له ديوان شعر.

(٤) المتنبي: أحمد بن الحسين بن الحسن الكندي (٣٠٣ - ٣٥٤ هـ): الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي. (الأعلام ١/١١٥)، هدية العارفين: ١/٦٤.

(٥) ديوان المتنبي: ١٧٥.

(٦) ابن نباتة المصري: محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري (٦٨٦ - ٧٦٨ هـ): شاعر عصره، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب. أصله من ميفارقين، ومولده ووفاته في القاهرة. (الأعلام ٧/٣٨).

(٧) ديوان ابن نباتة ١٨٩.

وسكنت قلباً طار فيك مسرةً رأيت وكراً قط أصبح طائراً
ومما أنشدته له قوله أيضاً من قصيدة: [الكامل]

يا أيها الملاً الملاحُ افثوني من كل أشمر سن قتل محبه
قمر له في القلب أشرف منزلٍ روض نضير لم يرده ناظرٍ
العيون: جمع عين بمعنى الباصرة، وبمعنى الجاسوس.

ويصون وزد الخد بالمرسين ويحياته وهي اليمين وإنها
حيث اتجهت علي مثل أمين ما خنته إنني وشخص جماله
أكذا يجازي ود كل قرين قرن الوداد له فؤادي بالأسى
قبلي وخذ مني حديث شجوني فاترك حديث شجون من قتل الهوى
ما جن إلا معجباً بجنوني قسماً لو ان العامري معمر
فيه الثنايا بين ميم سين والعقل مني ضاع في ثغر له
في كل ليل ملامه يهذي يا ذا الملاحه والذي بجبينه
وعليه من صدغيك كالزرفين^(۱) لا يطرقن اللوم باب مسامي
الواهي كما لي في الصبابة ديني يا لائمي لك في الملامه دينك
إلا وزد من الجوى بكمين لا يخطر السلوان عنه بخاطري
الغالي ولم أك قانعاً بالدون كم خضت بحر الموت دون وصاله
علماً بأن الماء ما يشفيني وشفت حر الوجد من بز اللمي
ويني أساً وبناره يوريني متعجباً من خده بالماء يز
منه فأقرأ منه ما يرقيني وبخط عارضيه أساور أرقماً
والله من ظن الحبيب يقيني

وهي عراض قصيدة الرئيس أبي منصور علي بن الفضل، الكاتب المعروف بصر^(۲)
دُر^(۲): [الكامل]

أكذا يجازي ود كل قرين أم هذه شيم الأطباء العيين^(۳)

- (۱) الزرفين: حلقة الباب، وزرفن صدغيه: جعلهما كالزرفين.
(۲) صر در: علي بن الحسن بن علي البغدادي (... - ۴۶۵ هـ): شاعر مجيد، من الكتاب. كان يقال لأبيه صر بفر لبخله. قال الذهبي: لم يكن في المتأخرين أرق طبعاً منه، مع جزالة وبلاغة. تقنطر به فرسه، فهلك بقرب خراسان. (الأعلام ۲۷۲/۴).
(۳) ديوان صر در ۵۳ - ۵۶، وذكر المحيي البيتين (۱۸، ۲۰) في نفحة الريحانة ۴/ ۴۰۷.

إن التَّاسِي رَوْحُ كلِّ حزين
بمصارع العُذْرِيِّ والمجنون^(١)
بل ثمَّ شهوةٌ أنْفُسِ وعيونِ
هُزُّوا أعند البانِ مِثْلُ عُصُونِي
جَدَدِ الحمى الأتقاءِ من يَبْرينِ^(٢)
حَضْبَاؤُهُ مِنْ لُؤْلُؤِ مَكْثُونِ
مَنْضُودَةٌ أَوْ حَانَةُ الزَّرْجُونِ^(٣)
ذاتِ الشُّمَالِ بها وذاتِ يَمِينِ^(٤)
من بَارِقِ حَيَّا عَلَى جَيْرُونِ^(٥)
أزْقَى بَلِيلِ ذَوَائِبِ وَقَرُونِ^(٦)
فَالدَّمْعُ دَمْعِي وَالْحَنِينُ حَنِينِي
جاءَ الصُّبَا وَشَفَاعَةُ العَشْرِينِ
ما أنتَ أَوْلُ حازِمِ مَفْثُونِ
وهوأيَ بَيْنِ جَوَائِحِي يَغْصِينِي
فبأيِّ حُكْمِ يَقْبِضُونَ رُهُونِي
حتى لَهْدِ طَالِبْتُهُ بضمينِ
إن العَزِيزَ عذابُهُ بِالهُونِ
عَارِ عَلَى دُنْيَاهُمْ وَالذِّينِ
مُتَكُونُونَ مِنَ الحَمَا المَسْثُونِ

قُصُوا عَلَيَّ حَدِيثَ مَنْ قَتَلَ الهوى
ولئن كتمتُم مُشْفِقِينَ فقد درى
فوق الرُّكَّابِ ولا أُطِيلُ مُشَبَّهًا
هُزَّتْ قَدودُهُمْ وَقَالَتْ لِلصُّبَا
وكانما نَقَلْتُ مآزِرَهُمْ إِلَى الـ
ووراءَ ذِيكَ المُنْقَبِلِ مَوْرِدِ
إمَّا بيوتُ التُّخْلِ بَيْنَ شَفَاهِهِمْ
تَرْمِي بِعَيْنِيكَ الفِجَاجِ مُقْلَبًا
لو كنتَ زَرْقَاءَ اليَمَامَةِ ما رَأَتْ
شُكُوكَ مِنْ لَيْلِ التُّمَامِ وَإِنَّمَا
وَمُعْتَفٍ فِي الوَجْدِ قَلْتُ لَهُ أَتَيْدُ
ما نَافِعِي إِنْ كانَ لَيْسَ بِنَافِعِي
لا تُطْرُقَنَّ خَجَلًا لِللَّوْمَةِ لائِمِ
أَسْوَئِهِمْ وَهُمْ الأَجَانِبُ طَاعَةَ
دِينِي عَلَى ظَبْيَاتِهِمْ ما يَنْقُضِي
وَحَشِيئَتُ مِنْ قَلْبِي الفِرَارَ إِلَيْهِمْ
كُلَّ السُّكَّالِ أَطِيقُ إِلا ذِلَّةً
يا عَيْنُ مِثْلُ قَدَاكَ رُؤْيَةٌ مَغْشَرِ
لَمْ يُشَبِّهُوا الإِنْسَانَ إِلا أَنَّهُمْ

- (١) العذري: عروة بن حزام العذري، والمجنون هو مجنون ليلي، وكلاهما قضى من العشق.
(٢) الجدد: ما استرق من الرمل. يبرين: من أصقاع البحرين، به منبران، وهناك الرمل الموصوف بالكثرة، بينه وبين الأحساء وهجر مرحلتان. وقيل: يبرين بأعلى بلاد بني سعد. (معجم البلدان ٥ / ٤٢٧).
(٣) الزرجون: الخمر.
(٤) الفجاج: جمع فج، وهو الطريق الواسع بين جبلين.
(٥) زرقاء اليمامة: من أهل اليمامة، مضرب المثل في حدة النظر وجودة البصر. قالوا: إنها كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام. (ثمار القلوب ١ / ٤٦٥ - ٤٦٦).
- بارق: ركن من أركان عرض اليمامة وهو جبل. (معجم البلدان ١ / ٣٢٠).
- جيرون: قرية الجبابرة في أرض كنعان. وقيل: جيرون عند باب دمشق من بناء سليمان بن داود عليه السلام. وقيل: إن أول من بنى دمشق جيرون بن سعد بن عاد بن إرم، وبه سمي باب جيرون. (معجم البلدان ٢ / ١٩٩).
(٦) ليل التمام: أطول ما يكون من ليالي الشتاء. ويطول ليل التمام حتى تطلع فيه النجوم كلها، وهي ليلة ميلاد عيسى عليه السلام. (لسان العرب ١٢ / ٦٧-٦٨: تم).

طَهَّرْتُهَا فَنزَحْتُ مَاءَ جُفُونِي
وَهُمْ إِذَا عَدُّوا الْفَضَائِلَ دُونِي
عَادَتْ إِلَيَّ بِصَفْقَةِ الْمَغْبُونِ
أَبْصَرْتَهُ فِي الضَّمْرِ كَالْمَرْجُونِ^(١)
وَاليَمِّ قَاذِفُ فُلْكَئِي الْمَشْحُونِ^(٢)
ظَفِرًا بِقَالَ الطَّائِرِ الْمِيمُونِ
قوله: «أأسومهم وهم الأجانب طاعة» البيت، هو من قول البُخْتَرِيِّ^(٣): [البيسط]
عَمْدًا إِذَا كَانَ قَلْبِي فِيكَ يَغْصِينِي^(٤)

نَجَسُ الْعَيُونِ فَإِنْ رَأَتْهُمْ مُقْلَتِي
أَنَا إِنْ هُمْ حَسَبُوا الذُّخَائِرَ دُونَهُمْ
لَا يُشْمِتُ الْحَسَادَ أَنْ مَطَامِعِي
مَا يَسْتَدِيرُ الْبَدْرُ إِلَّا بَعْدَمَا
هَذَا الطَّرِيقُ اللَّخْبُ زَاجِرٌ نَاقَتِي
فَإِذَا عَمِيدُ الْمُلْكَ حَلَّ بِرَبْعِهِ
قوله: «أأسومهم وهم الأجانب طاعة» البيت، هو من قول البُخْتَرِيِّ^(٣): [البيسط]
وَلَسْتُ أَعْجَبُ مِنْ عِضْيَانِ قَلْبِكَ لِي
وبعده:

مَرِحْتُ بِأَزْهَرَ شَامِخِ الْعِزِّينِ
وَنَفْسِي أَعْدَى لِي مِنَ النَّاسِ أَجْمَعِ^(٦)
فَلَا يُخَدِّثُنِ مِنْ خِلَّةِ الْغَيْرِ مَطْمَعًا
يُكْثِرُ أَسْقَامِي وَأَوْجَاعِي^(٧)
كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي

مَلِكٌ إِذَا مَا الْعِزْمُ حَتْ جِيَادَهُ
ومثله قول الشَّريف الرُّضِيِّ^(٥): [الطويل]
أروم أنتصافي من رجال أباعد
إذا لم تكن نفس الفتى من صديقه
وأصله من قول بكر بن حارثة: [السريع]
قلبي إلى ما ضرني داعي
كيف احتراسي من عدوي إذا

وقوله: «يا عين مثل قذاك رؤية معشر» إلخ، هو معنى بديع، وقد سبق إليه، قال

- (١) العرجون: أصل العذق الذي يعوج، وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابساً. وقال الأزهري: العرجون أصفر عريض شبه الله به الهلال لما عاد دقيماً فقال: «والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم». (لسان العرب ١٣/٢٨٤: عرجن).
- (٢) اللخب: الواضح.
- (٣) البختري: الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي (٢٠٦-٢٨٤هـ): شاعر كبير، يقال لشعره: سلاسل الذهب. ولد بمنبج - بين حلب والفرات - ورحل إلى العراق، فاتصل بجماعة من الخنفاء، أولهم المتوكل العباسي. (الأعلام ٨/١٢١).
- (٤) ديوان البختري: ٢/٢٩٥.
- (٥) الشريف الرضي: محمد بن الحسين بن موسى، أبو الحسن الرضي العلوي الحسيني الموسوي (٣٥٩-٤٠٦هـ): أشعر الطالبين على كثرة المجيدين فيهم. مولده ووفاته في بغداد. انتهت إليه نقابة الأشراف في حياة والده، وخلع عليه بالسواد. الأعلام ٦/٩٩، وهدية العارفين: ١/٦٠.
- (٦) ديوان الشريف الرضي ١/٦٦٤.
- (٧) البيتان لبكر بن حارثة في الذخيرة ١: ٣٦٥/١، وللعباس بن الأحنف في ديوانه ١٧٨ - ١٧٩، وديوان المعاني ١/٢٨٢، وأمالئ المرتضى ١/٤٦٠.

الثعالبي^(١): اتفق لي في زمن الصبا معنى بديع، لم أسبق إليه، وهو^(٢): [م.الرجز]

قلبي وجداً مشتغلاً وبالهجوم مُشتغلاً
وقد كسثني في الهوى ملبس الصب الغزل
إنسانة فتانة بدر الدجى منها خجل
إذا زنت عيني بها فبالدموع تفتسل

وقد سبقه ابن هندو^(٣)، في قوله^(٤): [الطويل]

يقولون لي ما بال عينك مذ رأث محاسن هذا الظبي أدمعها هطل
فقلت زنت عيني بطلعة وجهه فكان لها من صوب أدمعها غسل

قال أبو علي الفارسي^(٥): لست أعجب من توارده، وإنما أعجب من قوله: «لم

أسبق إليه»، وقد قال أبو الطيب في الحمى^(٦): [الوافر]

إذا ما فارقتني غسلتني كأنا عاكفان على حرام

وقد سلم من شناعة ذكر الزنا، وما في قبح لفظه من الخنا، فمعناه أصح؛ لأنه ذكر

في هذا الشعر من نفسه وزائرتة ذكراً وأنثى، جرى بينهما ما يقتضي الغسل.

وإن قيل: إن قوله «عاكفان على حرام» من لغو الكلام، وهما ذكرا، زناً بين اثنين،

ولو قال: زنى ناظري، أو لحظي، كان أحسن.

قلت: هذا كله كلام ناءٍ عن حُسن الأدب، وهو سُخْفٌ، ولكن: [الطويل]

..... أي الرجال المهذب^(٧)

(١) الثعالبي: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (٣٥٠-٤٢٩ هـ): من أئمة اللغة والأدب. من أهل نيسابور، اشتغل بالأدب والتاريخ، فنيغ وصنف الكتب الكثيرة الممتعة، مثل: ثمار القلوب، ولطائف المعارف، والتمثيل والمحاضرة. (الأعلام ٥/١٦٣-١٦٤).

(٢) يتيمة الدهر ٣/٣٩٥، وتاج العروس (أنس)، وخلاصة الأثر ٤/٥٠٢، ونفحة الريحانة ٤/٤٠٦-٤٠٧، وعنوان المرقصات والمطربات ٦١، ومن غاب عنه المطرب ١١٣.

(٣) ابن هندو: علي بن الحسين بن محمد بن هندو (.....-٤٢٠ هـ): من المتميزين في علوم الحكمة والأدب، وله شعر. نشأ بنيسابور، وكان من كتاب الإنشاء في ديوان عضد الدولة. (الأعلام ٤/٢٧٨).

(٤) البیتان لابن هندو في يتيمة الدهر ٣/٣٩٦، وخلاصة الأثر ٤/٥٠٢، ونفحة الريحانة ٤/٤٠٧.

(٥) أبو علي الفارسي: الحسن بن أحمد الفارسي (٢٨٨-٣٧٧ هـ): أحد الأئمة في علم العربية. ولد في فسا بفارس. صحب عضد الدولة بن بويه، وتقدم عنده، فعلمه النحو، وصنف له كتاب الإيضاح في قواعد العربية. كان متهماً بالاعتزال، وله شعر قليل ومؤلفات كثيرة. (الأعلام ٢/١٧٩-١٨٠).

(٦) ديوان المتنبي: ٤٧٧.

(٧) تمام البيت:

(ولست بمُسْتَبِقٍ أَخاً لَا تَلْمَهُ على شعث، أي الرجال المهذب)

وهو للنابغة الذبياني في ديوانه ٧٤، وديوان المعاني ١/١٦.

ومع ذلك فقد وقع هذا في كلام من تقدّمهم، ومعناه أصح وديباجته أطف وأوضح، كقول يزيد بن معاوية^(١): [الطويل]

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها سواها وما طهرتّها بالمدامع^(٢)
أجلك يا ليلى عن العين إنما أراك بقلب خاشع لك خاضع
ثم مشى على أثرهم الناس، وولّدوا معاني لا تُحصّر، كقول السراج الوراق^(٣):
[البسيط]

يا نازح الدار مرنومي يُعاودني فقد بكيثُ لفقد الظاعنين دما^(٤)
أوجبت غسلاً على عيني بأذمعيها فكيف وهي التي لم تبلغ الحلمما

٢- محمد الصالحى الهلالي

هُمام بعيد الهمة، قريب منال مياه الجمة^(٥)، له دراري شيم، هي غرة دهم الليلي، وبنات أفكار لم ترتضع غير در المعالي، فلا أقسم برّب المشارق والمغرب، إنها شمس لم تزل طالعة من سماء المناقب، وهي الآن شامة في وجنات الشام، وروضة تفتحت أنوارها بثغور ذات ابتسام.

ومن سئته الاعتزال عن الناس، وتقديم الوحشة على الاستئناس، منقطعاً لاقتطاف زهرات العلوم، يمدد لقرى الأسماع موائد المنشور والمنظوم، في زهد متحلّ بخلاله، تدق صفات المدح عن معاني جلاله، بعزم هو أبو العجب، لو قدح زنده لهب لهب، وخطّ تسرّ به النفوس، وتوشى بديباجه الطروس. [م. الكامل]

خطّ زهت أزهاره والروض يُنبئته السحاب
وشعره شقيق الرياض، المطردة الجياض، تُستخرج الجواهر من بحوره، وتُحلى

(١) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي (٢٥ - ٦٤ هـ): ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٠ هـ. في زمنه فتح المغرب وخرارزم وبخارى. كان نزوعاً إلى اللهو، ويروى له شعر رقيق. وإليه ينسب نهر يزيد في دمشق. (الأعلام ٨/١٨٩).

(٢) البيتان ليزيد بن معاوية، نفحة الريحانة ٤٠٨/٤.

(٣) السراج الوراق: عمر بن محمد بن حسن أبو حفص، سراج الدين الوراق (٦١٥-٦٩٥ هـ): شاعر مصر في عصره. كان كاتباً لواليتها الأمير يوسف بن سبا سلار. له ديوان شعر كبير في سبعة مجلدات. (الأعلام ٥/٦٣).

(٤) البيتان للسراج الوراق في فوات الوفيات ١١١/٢.

٢- محمد الصالحى الهلالي، محمد بن نجم الدين بن محمد الصالحى الهلالي (٩٥٦-١٠١٢ هـ): شاعر، من الكتاب، من أهل دمشق. برع في الفقه والتفسير والأدب. (خلاصة الأثر ٤/٢٣٩، والأعلام ٧/١٢٣).

(٥) مياه جمة: كثيرة. (لسان العرب: جمم).

لَبَّاتِ الطُّرُوسِ بِقَلَائِدِ سَطُورِهِ، لَمْ يَضْرِفْهُ لِمَدْحِ كَرِيمٍ، وَلَا تَغَزَّلَ بِمَلِيحِ كَرِيمٍ، وَلَعَمْرِي إِنَّهُ قَطَعَ مِنْهُ مَيْدَانًا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ الْكُمَيْتُ، وَنَقَى أَلْفَاظَهُ وَهَدَّبَ مَعَانِيَهُ فَلَمْ يَقُلْ فِيهِ «لَوْ» وَلَا «لَيْتَ».

وبالجملة فهو في عصره إمام الأدب المُقتدى به، والبليغ الذي لا تُشِيرُ أَغْصَانُ الأَقْلَامِ إِلَّا فِي رِيَاضِ آدَابِهِ.

ولما قَدِمَ القَاهِرَةَ أَفَاضَ عَلَيَّ لِبَاسَ مَوَدَّةٍ لَمْ تُبَلِّ عَهْوُهَا، أَلَا حَبْدًا إِخْلَاقُهَا وَجَدِيدُهَا، وَوَرَقَ الدُّنْيَا خَضِرًا، وَعُودَ الشَّبَابِ غَضُّ نَضْرٍ، وَالْأَدَبِ لَمْ يَغْفُ مَنَارُهُ، وَلَمْ تَخْبُ نَارُهُ وَأَنْوَارُهُ، لَا كَالْيَوْمِ إِذْ حَامَ قَوْمٌ حَوْلَ حِمَاهِ، فَوَقَعُوا فِي ظُلُمَاتٍ لَيْسَ فِيهَا عَيْنُ الْحَيَاةِ، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ أَسْتَاذٌ وَمَلَاذٌ، تَذُوقُ أَفْهَامُنَا مِنْ مَوَائِدِ فَوَائِدِهِ أَنْوَاعَ الْمَلَاذِ، فَأَتَحَفَنِي بِطُرْفِ أَشْعَارِهِ، وَنَزَّهُ أَحْدَاقَ فِكْرِي فِي حَدَائِقِ آثَارِهِ، فَأَسْكُرُ سَمْعِي بِسُلَافَةِ أَدَارَتِهَا كَوْوَسُ بِيَانِهِ، وَتَقَلَّدْتُ بِمَذْهَبِ الْبُخْتَرِيِّ فِي اجْتِنَاءِ الْوَرْدِ مِنْ أَغْصَانِهِ^(١): [الكامل]

وَاسْمَعُهُ مَمَّنْ قَالَهُ تَزْدَدُ بِهِ عَجْبًا فَحَسَنَ الْوَرْدِ فِي أَغْصَانِهِ

طالعتُ له فصلًا في ديوانه، الذي سماه «صدح الحمام، في مدح خير الأنام» ذكر فيه بُدْأً مِنْ صِفَاتِهِ، وَمَعَاهِدَ أُنْسِهِ وَلِدَائِهِ، وَمَسَارِحَ آرَامِ تَرْبِهِ وَلِدَائِهِ، وَهُوَ^(٢): «إِنِّي لَمَّا نَشَأْتُ بِمَكَّةِ الْمُشْرِفَةِ، وَالْأَمَاكِنِ الَّتِي هِيَ بِالْجَوَزَاءِ مُنْطَقَةٌ، وَبِالْثُرَيَّا مُشَفَّةٌ، وَكَسَانِي الزَّمَانُ قَشِيبَ بُرُودِهِ، وَطَفِئْتُ أَرْقُلَ مَا بَيْنَ عَقِيقِ الْحِمَى وَزُرُودِهِ^(٣)، وَغُصِنَ الصَّبَا بِأَيَّامِ السَّعَادَةِ مُورِقٍ، وَبَدَرَ الشَّبَابُ فِي سَمَاءِ الْكَمَالِ مُشْرِقٍ، لَا دَابَّ لِي إِلَّا تَوْسُمٌ وَفُودُ الْعُلُومِ فِي سَوْقِ عُكَاظِهَا، وَلَا شُغْلٌ لِي إِلَّا اسْتِكْشَافِ سَائِمِ وَجْهِهِ الْمَعَانِي الْمُخْبِئَةِ تَحْتَ بَرَاقِعِ أَلْفَاظِهَا، ثُمَّ لَمَّا بَطَلَتْ حَرَكَةُ الدُّورِ، وَتَنَقَّلَ الزَّمَانُ مِنْ طَوْرٍ إِلَى طَوْرٍ، أَعْمَلْنَا حُرُوفَ^(٤) النَّجَائِبِ تَنْصُ^(٥) بِنَا الْبَيْدَاءِ فِي سُرَاهَا، وَلَطْمُنَا خَدَّ الْأَرْضِ بِأَخْفَافِهَا إِلَى أَنْ بَرَّاهَا السُّرَى فِي بُرَاهَا^(٦)، فَكَمْ جَاوَزْنَا جَنَابًا شَوَامِيخَ زَاخِمَتْ بِمَنَاكِبِهَا أَكْتَاثَ السَّحَابِ، وَذَزَعْنَا بِأَذْرَعِ النَّاجِيَّاتِ شُقَّةَ قَفْرِ لَمْ تُطَوِّ إِلَّا بِأَيْدِي الرِّكَائِبِ، فَكَمْ مَنْ رَاسَلْتُهُ وَرَاسَلَنِي بِرَائِقِ شِغْرِهِ وَسَجْعِهِ، وَأَدَارَ وَأَدْرَتْ كَوْوَسَ قَوَافِي شِعْرِي عَلَى أَفْوَاهِ سَمْعِهِ،

(١) ديوان البخترى: ٣١٥/٢ .

(٢) هذا الفصل ذكره المحبى في خلاصة الأثر ٢٤٠/٤ .

(٣) العقيق: وإد عليه أموال أهل المدينة. (معجم البلدان ١٣٩/٤).

- زرود: رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة. (معجم البلدان ١٣٩/٣).

(٤) الحروف: جمع حرف، وهي الناقة النجبية التي أضنتها الأسفار، شبهت بحرف السيف في مضائها ونجائها ودقتها. (لسان العرب: حرف).

(٥) النص: التحريك حتى تستخرج من الناقة أقصى سيرها. (لسان العرب: نصص).

(٦) البرة: حلقة في أنف البعير. (لسان العرب: بري).

وزفقت عليه عرائس أفكارى استجلاباً لِيودادِهِ، وتلوّث عليه غرائب أسمارى استقداحاً
لِوَارِي زِنَادِهِ. [الطويل]

وهنّ عذاري مهرها الوُد لا الندى وما كلُّ من يُعزى إلى الشعر يستجدي

انتهى.

وهذه بُذّة من نثار نثره، وسأقرّط سمعك بجواهر شعره.

وكنت كتبت له قصيدة تائيّة، مُلغزاً من شعر الصّبا، الذي يحسد مُهلَهل بَزْدِهِ في
رِقَّتِهِ نسيَمُ الصّبا، لا كما قال البَاخْرَزِيّ^(١) هو التَّمْر باللِّبَا^(٢). فهو باكورة ثمرات
الآداب، بل الرّوض الأريض^(٣)، الذي سُقي من ماء الشّباب، فأجاب وأجاد، وصَفَى
من قَدَى الكَدَرِ مواردَ الوِدادِ، وهذه كواكبها المُشرقة في دياجي نفسه، وثمراتها الزّاهية
في رياض طرّبه^(٤): [البيسط]

وحازتِ الحُسنَ هاتيكَ البَراعاتُ
تحلّو الخِلاعاتُ فيها والصّباياتُ
لها لدى السَّمعِ لذاتُ ونشآتُ
ومدحُها مالَه في الحُسنِ غاياتُ
في لفظِها الخمرُ تجلّوه الزّجاجاتُ
مُلُّ المُكرّرُ طنبعا والمُعاداتُ
ومالَه في سَمّا الإذراكِ هالاتُ
ضَمَّتْ عِتاقَ المَذاكي الجُرَدَ حَلَباتُ
أغفُو وكم لُعيونِ النّجمِ غفواتُ
عني الهمومُ وزارَني المَسراتُ
وكان عِندي بذلُ النّفسِ كسراتُ^(٥)
أحسبُ وكم للكثيرِ العَدَّ غلطاتُ
فيه شهابٌ لنا منهُ إناراتُ
بالذاتِ ما عرضتُ فيه الإضاءاتُ

طالتُ وقد قصرتُ عنها العباراتُ
غراءُ فائقةٌ باللُّطفِ رائقةُ
أختُ الغزاليةِ إشراقاً ومُلتفتاً
نسيبُها أطربَ الأسماعَ موقِعُهُ
كأنَّ حُرَّ معانيها ورِقَّتُها
يحلّو المُكرّرُ من ألفاظِها ولكم
أتتُ إليّ ويدرُ الفكرِ مُنخِيفُ
وللهمومِ أطرادُ في الفؤادِ كما
أسامرُ النّجمِ في الليلِ الطويلِ ولا
فقمْتُ في الحالِ إجلالاً لها وسرتُ
وظلّتُ مُنتصباً لما ارتفعتُ بها
قبَلْتُها ألفَ ألفِ ثم زدتُ فلم
وكان أفقُ زمانِي مُظليماً فبدأ
شهابُ علمٍ ولكن نوره أبدأ

(١) الباخريزي: علي بن الحسن بن علي (.... - ٤٦٧هـ): أديب من الشعراء الكتاب. من أهل
باخرز، بنواحي نيسابور. كان من كتاب الرسائل، وله علم بالفقه والحديث. اشتهر بكتابه «دمية
القصر» وهو ذيل لتيمة الدهر. (الأعلام ٤/ ٢٧٣).

(٢) دمية القصر ٨٠/١. واللبا: أول اللبن.

(٣) روض أريض: كثير العشب، وأرض أريضة: زكية كريمة. (لسان العرب: أرض).

(٤) انظر: خلاصة الأثر ٤/ ٢٤٦.

(٥) رجل ذو كسرات: يغبن في كل شيء. (لسان العرب: كسر).

فَسَبَّ كَالنَّارِ لَا تَعْرُوه فَثَرَاتُ
بُ الْخِصُومِ إِذَا عُنْتُ مُلَاحَاةُ
قَد كَادَ أَنْ تَحْسِدَ الْأَرْضَ السَّمَوَاتُ
مِنْ فَوْقِ ذَاكَ مَقَامَاتُ عَلِيَّاتُ
كَأَنَّهَا عِنْدَ نَفْثِ السُّمِّ حَيَّاتُ
ذَاكَ الْأَمَانِيِّ إِذْ ذَاكَ الْمَنِيَّاتُ
لِللَّخْمِ تَغْدُو لَهَا فِي الطَّرْسِ سَجْدَاتُ
مِنْهَا عَقُودٌ وَلَكِنْ لَوْلِيَّاتُ
إِلَّا اغْتَرْتَنِي لِقَرْطِ الشُّكْرِ نَشَوَاتُ
مِنْهَا إِلَى السَّمْعِ نَفْحَاتُ زَكِيَّاتُ
وَيَانَ بِالْبَانَ مِنْ شَكْوَايَ مَيْلَاتُ
كَأَنَّهَا فَوْقَ غُصَنِ الْبَانَ قَيْنَاتُ
فِيهِ الْعِلْمُ وَفِي الدُّهْمَاءِ أَشْتَاتُ
فَكَمْ لِمِثْلِي بِالتَّقْصِيرِ هَفَوَاتُ
وَكَمْ لَهُ عِنْدَمَا أَرْجُوهُ نَبَوَاتُ
لَمْ تُذْنِبْ مِنْهُ أَيَّامٌ وَلَيْلَاتُ
يَعْتَادُهَا لِفِرَاقِ الْإِلْفِ زَفَرَاتُ
تُطِيعُهُ مِنْ قَوَافِي الشَّعْرِ أُنْبِيَّاتُ
يُجَلِّي بِهِ الْجَهْلَ عَنَّا وَالضَّلَالَاتُ
تَأْتِي إِلَيْهِ الْمَعَالِي وَالْكَمَالَاتُ
وَمَا رَعْتُهُ الْجِيَادُ الْأَعْرُوجِيَّاتُ^(١)

عُذِّي بَدْرُ لِبَانِ الْفَضْلِ مُذْ زَمَنِ
شَيْخُ الْعُلُومِ وَمِفْتَاحُ الْفُهُومِ وَعَلَا
بَاهَتْ بِهِ أَرْضُ مِصْرٍ وَازْدَهَتْ فَلِذَا
قَد شَادَ بَيْتَ الْعُلَا فَوْقَ السُّهَى وَلَهُ
تَسْتَنُّ أَقْلَامُهُ فِي الطَّرْسِ مِنْ مَرَحٍ
فِيهَا التَّقِيضَانِ مِنْ نَفْعٍ وَمِنْ ضَرَرٍ
مَهْمًا اغْتَدَتْ طَوْعَ بَارِيهَا مُلَازِمَةً
أَشْعَارُهُ الْعُرُّ مِثْلُ الدُّرِّ قَدْ نُظِمَتْ
مَا إِنْ حَسَا كَأْسُ سَمْعِي مِنْ سُلَافِيَّتِهَا
لِلَّهِ أَحْجِيَةٌ مِنْهُ أَتَتْ فَسَرَتْ
وَأَذْكَرْتَنِي بِأَنَّ الْقُدْسَ مِنْ سَكْنِي
وَالْوُزُقُ رَقَّتْ لِمَا أَلْقَاهُ سَاجِعَةً
وَأَنْتِ يَا أَفْضَلَ الْعَصْرِ الَّذِي اجْتَمَعَتْ
سَامِخٌ إِذَا هَفْوَةٌ لِلذَّهْنِ قَدْ عَرَضَتْ
فَسَيْفُ فِكْرِي لَا لَأَقِيْتُ فِيهِ صَدَا
وَالْجِسْمُ فِي غُرْبَةٍ وَالْقَلْبُ فِي وَطَنِ
وَالْبَالُ فِي قَلْقٍ وَالنَّفْسُ فِي شَجَنِ
فَأَيُّ شَخْصٍ بِهَذَا الْوَضْفِ مُتَّصِفٍ
بَقِيَّتْ مُفْرَدَ عِلْمٍ لِلهُدَى عِلْمًا
وَدُمْتَ طَوْذَ حِجِّي فِي الْجُودِ بَخْرَ نَدَى
مَا لَاحَ نَجْمٌ عَلَى الْخَضْرَاءِ مُتَّقِدٌ

سَانِحَةٌ

في قوله: «رعته» استخدام^(٢)؛ لَعُودِهِ إِلَى النِّجْمِ، بِمَعْنَى الْكَوْكَبِ، عَلَى مِلَاحِظَةِ
مَعْنَى التَّبَيُّتِ.

(١) الأعوجيات: نسبة إلى فرس اسمه أعوج، كان أعوج لكندة، وأخذته بنو سليم في بعض أيامهم،
فصار إلى بني هلال. انظر: أنساب الخيل ١٦، ٢١، والاقْتَضَابُ ٤٩٣، ٦٢٣، ٧٠٠، والحلبي
في أسماء الخيل ٣٩، والمقاصد النحوية ٣٥٥/٢.

(٢) الاستخدام: هو ذكر لفظ مشترك بين معنيين، يراد به أحدهما، ثم يعاد عليه ضمير أو إشارة بمعناه
الآخر، أو يعاد عليه ضميران يراد بثانیهما غير ما يراد بأولهما. (جواهر البلاغة ٣٦٤). وانظر:
شرح الكافية البديعية ٢٩٦، وخلاصة الأثر ٢٤٦/٤.

وقد يتعدّد ذلك، كما في قول ابن الوزديّ^(١): [م. الوافر]

ورُبَّ غَزَالَةٍ طَلَعَتْ بقلبي وهو مزعاهها^(٢)
وقالت لي وقد صرنا إلى عين قصدناها
بذلت العين فأكحلها بطلعيتها ومجراها

وقد يكون الاستخدام بالضمير، من غير اشتراك أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُّ مِنَ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِضُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ [فاطر: ١١].

وقد يكون بالضمير المُستتر في حالٍ ونحوها، كقولك: [م. الوافر]

بذلت العين جاريةً مكحلةً وطالعةً

وقد يكون بالتمييز من غير ضمير، كقوله في هذه القصيدة: [البيط]

أخت الغزاة إشراقاً ومُلتفتاً

وقد يكون باسم الإشارة، كقولي: [البيط]

رأى العقيق فأجرى ذاك ناظره

وقد يكون بالاستثناء كقول البهاء زهير^(٣): [م. الكامل]

أبدأ حديثي ليس بالـ منسوخ إلا في الدفاتر^(٤)

فذكر النسخ بمعنى الإبطال، واستثنى منه بمعنى الكتابة. وهو استثناء غريب، يحتاج إلى نظرٍ دقيق في إدخاله في أحد نوعيه.

وله من قصيدة: [الكامل]

وتجرّدت بيض الصّفاح وألبست علق الشجيع كحلة حمراء

والسّمُرُ مذ سقت الدماء زجاجها

وله من أخرى: [البيط]

كأنما الخيل في الميدان أزجلها

ومن رسالة لابن عبد الظاهر^(٥):

(١) ابن الوردي: عمر بن مظفر بن عمر المعري الكندي (٦٩١-٥١٤٩هـ) شاعر، أدب، مؤرخ، ولد في معرة النعمان بسورية، وولي قضاء منبج، وتوفي بحلب. كانت بينه وبين صلاح الدين أصدقاء مناقضات شعرية لطيفة. (الأعلام ٦٧/٥).

(٢) ديوان ابن الوردي: ٢٦٣-٢٦٤.

(٣) البهاء زهير: زهير بن محمد بن علي المهلبى العتكي (٥٨١-٦٥٦هـ) شاعر، كان من الثقات، يقول الشعر ويرفقه. ولد بمكة، ونشأ بقوص، وانصل بخدمة الملك الصالح أيوب بحضرته وجعله من خواص كتابه. (الأعلام ٥٢/٣).

(٤) ديوان البهاء زهير ص ١٢٤.

(٥) عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان الجذامي السعدي (٦٢٠-٦٩٢هـ) فاضل، أدب، مؤرخ من

«أصبح الأعداء كأنما جُزر أجسادهم جزائر، يتخللها من الدماء السيل، ورؤوسهم أكر تلعب بها صوالجة الأيدي وأرجل الخيل»^(١).

وله من أخرى: [الطويل]

سقى طلاً حيث الأجارغ والسقط
هزيم همول الودق مرتجس له
ولو أن لي دمعاً يروى رحابه
ولكن دمعني صار أكثره دماً
ومنها:

وحيث الظباء العفر ما بينها تغطو
بأفنائيه من كل ناحية سقط^(٢)
لما كنت أرضي عارضاً جوده نقط
فأني يرجي أن يروى به فخط

كأن انسياب الرُمح في الدرع سالخ
والبيت الثالث كقول مهيّار^(٤): [الطويل]

من الرُقش في وسط الغدير له عط^(٣)

وكيف يحل الماء أكثره دم^(٥)

بكنيت على الوادي فحرمت ماءه
وقول الأبيوردي^(٦):

أريد الحيا فالدمع أكثره دم^(٧)

سقى الله ليل الخيف دمعني والحيا
والأخير كقول المعري: [الوافر]

فرنق يشرب الحلق الدخالا^(٨)

توهم كل سابغة غديراً
وله من أخرى: [الكامل]

إلا حمدت بليل طرته السرى
فغدا اضطباري وهو محلول العرى

ما لاح في أفقي المحاسن إذ سرى
عقد الإزار على كتيب في نقاً

= أهل مصر مولداً ووفاء. كان كاتب الإنشاء في الديار المصرية، وله شعر حسن. (الأعلام ٩٨/٤).

(١) ورد قول ابن عبد الظاهر في نفحة الريحانة ٩٦/٣ .

(٢) الهزيم: الرعد. الودق: المطر. رجست السماء: رعدت رعداً شديداً وتمخضت.

(٣) السالخ: الأسود من الحيات. الرقش: جمع أرقش ورقشاء، والرقشاء: الأفعى، سميت بذلك لترقيش في ظهرها وهي خطوط ونقط.

(٤) مهيّار بن مرزويه الديلمي (.... - ٤٢٨هـ): شاعر كبير، في معانيه ابتكار، وفي أسلوبه قوة. كان مجوسياً وأسلم على يد الشريف الرضي، وتشيع، وغلا في تشيعه. (الأعلام ٣١٧/٧، وهدية العارفين: ٤٨٥/٢).

(٥) ديوان مهيّار ٣٤٤/٣ .

(٦) الأبيوردي: محمد بن أحمد بن محمد القرشي الأموي (.... - ٥٠٧هـ): شاعر عالي الطبقة، مؤرخ، عالم بالأدب. كان على غزارة علمه تياها، معجباً بنفسه. (الأعلام ٣١٦/٥).

(٧) ديوان الأبيوردي: ٣٢٩ .

(٨) شروح سقط الزند ١٠٧/١ . السابغة: الدرع. رنق: من قولهم رنق الطائر على الماء إذا حام حوله.

لا تذكر الغزلان عند كِناسِه
وله أيضاً: [الطويل]

إلى كم أمتي القلب والقلب مولى
وحتى متى أشكو فراق أحبتي
وأستعرض الركبان عنهم مسائلاً
تصبرت عنهم وانثنت إليهم
أراعي نجوم الليل أرقب طيفهم
وما زلت أبكي لؤلؤاً بعد بينهم
وما كان تبكي العين لولا فراقهم
فلا حاجز بعد الأحبة حاجز
غربن شمساً في بدور أكلية
وشابهن غزلان النقا في نفاها
لها من مهة الرمل عين مريضة
ومن قضب البان الرطاب معاطف
وتغدو سيوف الهند لما تشبهت
ذكرتهم والقلب بالهم طافح
وما تنفع الذكرى لمن صدتهم قلى
ولا عجب فالبخل في الغيد والدمى
كما لعلي كل جود وسؤدد
وله من أخرى: [الطويل]

معه فإن الصيّد في جوف الفِرا^(١)
وأزجر طرف العين والطرف يدمع
عفا بالنوى منهم مصيف ومربع
عسى خبر عنهم به الركب يرجع
ولم ينق في قوس التصبر منزع
وكيف يزور الطيف من ليس يهجع
إلى أن بدا مرجان دمعي يهمع
عقيقاً ولا يشفي الفؤاد طويلع^(٢)
ولا لعلع مذ فارق الحي لعلع^(٣)
فليس لها إلا من الخذر مطلع
ولكنها بين الترائب ترتع^(٤)
وجيد كجيد الظني أغيد أثلع^(٥)
تكاد عليها الوزق تشدو وتسجع^(٦)
بالحاظها في الحرب تفري وتقطع
لبينهم والبحر كالليل أسفع^(٧)
ووصلهم قطع ومنهم تمنع^(٨)
طبيعة نفس ليس فيها تطبع
سجية ذات ليس فيها تصنع

- (١) في الحديث: «كل الصيد في جوف الفراء»، والفراء: الحمار الوحشي. والمعنى: إن الحمار الوحشي أجل ما يصيده الصائد، فإذا صاده فكأنه صاد جميع الصيد. وهذا الحديث قاله أبو سفيان. انظر خبر الحديث في: الأغاني ٦/٣٤٤ - ٣٤٥، والنهاية ١/٢٩٠ (جلهم)، ولسان العرب ١٢/١٠٤ (جلهم)، وتداولته كتب الأمثال، وهو في جمهرة الأمثال ٢/١٦٢، وفصل المقال ١٠-١١، ومجمع الأمثال ٢/١٣٦، والمستقصى ٢/٢٢٤.
- (٢) طويلع: ماء لبني يربوع، وهضبة بمكة. (معجم البلدان ٤/٥١).
- (٣) حاجر: منزل من منازل الحاج في البادية. (لسان العرب: حجر).
- لعلع: منزل بين البصرة والكوفة. (معجم البلدان ٥/١٨).
- (٤) الترائب: عظام الصدر.
- (٥) الأتلع: الطويل العنق.
- (٦) الورق: جمع ورقاء، وهي الحمامة.
- (٧) الأسفع: الأسود.
- (٨) القلى: البغض.

وَرَكِبَ طِلَاحَ صَاحِبِوَا النَّجْمِ فِي السَّرَى
يَخْوَضُونَ بَحْرَ الْآلِ يَطْفُو عُبَابَهُ
كَأَنَّ الْمَطَايَا وَالْأَكْلَةَ فَوْقَهَا
وكان له نديم أخذب، يسمى أبا الخير، يعده عيبة أسراره^(٤)، وجُهينة أخباره، وهو يُدير عليه شمول وداده، ويجنى إليه من كل وادٍ ثمرات فؤاده، ويُشده ترجمان لسانه عن مُحجَّب جنانه: [الكامل]

وَلَقَدْ جُبِلْتُ عَلَى مَحَبَّةٍ وَدَّةٍ مَا الْحَبُّ إِلَّا لِلْإِمَامِ الصَّالِحِ
جِيعَ إِخْوَانِهِ إِلَيْهِ يَلْجِئُونَ، وَمِنْ كُلِّ حَدَبٍ إِلَى جُرْثُومَتِهِ^(٥) يَنْسِلُونَ، خَفَّتْ رَوْحُهُ
فَأَلْقَتْ بَدَنَهُ خَلْفَهُ ظَهْرِيًّا، وَأَتَّخَذَتْ مَا سِوَاهُ شَيْئًا فَرِيًّا، كَأَنَّهُ خَافَ الْخُطُوبَ فَهُوَ مُتَجَمِّعٌ
حَذَرَ الْوُثُوبَ. [الطويل]

وَمَا الدَّهْرُ فِي حَالِ السُّكُونِ بِسَاكِنٍ وَلَكِنَّهُ مُسْتَجْمِعٌ لَوْثُوبٍ
وَلَهُ بِهِ عِزٌّ أَقْعَسُ^(٦)، فِي رَبْوَةِ الْمَعَالِي يُغْرَسُ، وَطَبَعُهُ بِالظَّرْفِ رِبِيْعٌ أَخْصَبُ، وَفِي
أَمْثَالِهِمْ: «أظرف من أخذب»، فهو سنام اللطف وغاربه، ويحز أخذب الأمواج، بدائع
بدائيه عجائبه، ولم يزل يعتام^(٧) وداده، حتى قبضت جواهر عمره يد الدهر النقاداة:
[البيسط]

كُلُّ ابْنِ أَنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ . يَوْمًا عَلَى آلِهِ حَدْبَاءٌ مَحْمُولٌ^(٨)

فصل

وَلَمْ أَسْمَعْ فِي وَصْفِ أَخْدَبِ الْطُفِّ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الْمُنْجَمِ فِي ابْنِ حُصَيْنَةَ الْمَعْرِيِّ:
[الخفيف]

يَا أَخِي كَيْفَ غَيَّرْتَنَا اللَّيَالِي . وَأَطَالَتْ مَا بَيْنَنَا بِالْمِحَالِ^(٩)

- (١) طلع البعير: أعياء.
- (٢) الآل: السراب.
- (٣) الأكلة: ثوب رقيق يتوقى به من البعوض، وهو ما يعرف بالناموسية. (شرح التصريح ٧٥٩/٢).
- الأرحبيات: نسبة إلى أرحب، فحل من الإبل.
- (٤) عيبة الرجل: موضع سره، على المثل، وفي الحديث: «الأنصار كرشى وعيبتى» أي: خاصتي وموضع سري. (لسان العرب: عيب).
- (٥) الجرثومة: الأصل.
- (٦) عز أقعس: ثابت.
- (٧) اعتام الشيء: اختاره.
- (٨) البيت لكعب بن زهير في ديوانه ١٩.
- (٩) المحال، بالكسر: الكيد، وروم الأمر بالحيل.

حاشَ لِّلِهٖ أَن أَصَافِي خِلَا
 زَعَمُوا أَنَّنِي نَظَّمْتُ هَجَاءَ
 كَذَبُوا إِنَّمَا وَصَفْتُ الَّذِي حُزُّ
 لَا تَظُنُّنَّ حَذْبَةَ الظَّهِرِ عَيْبًا
 وَكَذَاكَ الْقَيْسِيُّ مُخَدَّوْدِيَّاتٍ
 وَإِذَا مَا عَلَا السَّنَامُ فَفِيهِ
 وَأَرَى الْإِنْحِنَاءَ فِي مَنْسِرِ الْبَازِي
 كَوْنُ اللَّهْ حَذْبَةٌ فِيكَ إِنْ شِئْتَ
 فَآتَتْ رِبْوَةً عَلَى طَوْدِ عِلْمٍ
 مَا رَأَتْهَا النُّسَاءُ إِلَّا تَمَثَّتْ
 وَأَبُو الغُصْنِ أَنْتَ لَا شَكَّ فِيهِ
 عُدَّ إِلَى وُدِّنَا الْقَدِيمِ وَلَا تُضْ
 وَتَذَكَّرْ لِيَالِيًا حِينَ وَلَّتْ
 أَتْرَى بِالِدُّعَاءِ يُجْمَعُ شَمْلِي
 وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْهَاجِرِ بُدُّ
 وَعَلَى هَذَا النَّمَطِ نَسَجَ ابْنُ دَانِيَالٍ^(٤) قَوْلَهُ فِي رَجُلٍ أَحَدَبٍ، يَسْمَى حَسَانًا:

[الكامل]

قَسَمًا بِحُسْنِ قَوَامِكَ الْفَتَّانِ
 أَنْتَ الْحُسَامُ زَهَا بِرَوْتِقِي حَذْبَةَ
 يَا مُخَجَّلًا شَكَلَ الْهَلَالَ بِقَدِّهِ
 وَمُمَائِلًا قَدْ الْقَضِيْبِ إِذَا مَشَى
 مَا عَاب قَامَتِكَ الْحَسُوْدُ جَهَالَةً
 هَلْ يُحْسِنُ الْجَوْكَانَ إِلَّا أَنْ يَرَى
 يَا أَوْحَدَ الْأَمْرَاءِ فِي الْحُذْبَانِ
 فَرَهَا عَلَى الْخَطِيَّةِ الْمُرَانِ^(٥)
 حَاشَاكَ أَنْ تُغْزَى إِلَى نُقْصَانِ
 مِنْ حَذْبَتَيْهِ يَمِيسُ كَالرِّيَّانِ
 إِلَّا أَجْبَنَتْ مَقَالَهُ بِبَيَانِ
 مَعَ أَكْرَةَ فِي حَلْبَةِ الْمِيدَانِ^(٦)

(١) الظبا: جمع ظبية، وهي حد السيف. العوالي: الرماح.

(٢) القرم: الفحل من الإبل.

(٣) الرئبال: الأسد.

(٤) ابن دانيال: محمد بن دانيال بن يوسف الخزاعي الموصلى (٦٤٧-٧١٠هـ): طبيب كحال، من الشعراء. أصله من الموصل، ومولده بها. نشأ وتوفي في القاهرة. كان صاحب نكت ونوادير ومجون، وله شعر رقيق. (الأعلام ٦/١٢٠).

(٥) الخطية: الرماح، نسبة إلى الخط، وهو مرفأ بالبحرين تجلب إليه السفن المحملة بالقنا من الهند. المران: الرماح الصلبة اللدنة.

(٦) الجوكان: عصا لها طرف مستدير. الأكرة: الكرة.

أو هل يَزِينُ الْمَتْنَ إِلَّا رِذْفُهُ
والعُودُ أَخْدَبُ وَهُوَ أَلْهَى مُطْرِبُ
وكذا سَفِينِ الْبَحْرِ لَوْلَا حَذْبَةٌ
وَإِذَا اكْتَسَى الْإِنْسَانُ قَيْلَ تَمَثُّلاً
وَمُدْبِرُ الْإِكْسِيرِ يُدْعَى أَخْدَباً
يَفْدِيكَ فِي الْحُدْبَانِ كُلُّ مُكَرَّبِحٍ
مُتَجَمِّعِ الْكَتِفَيْنِ أَقْبَصُ قَدْ بَدَأَ
وَمِنْ بَدَائِعِ ابْنِ خَفَاجَةَ الْأَنْدَلُسِيِّ^(٣)،
فِي سَاقِ أَخْدَبِ أَسْوَدٍ، قَوْلُهُ^(٤): [السريع]
وَكَأْسٍ أَنْسٍ قَدْ جَلِثَتْهَا الْمُنَى
طَافَ بِهَا أَسْوَدٌ مُخْدَوِّدِبٌ
فَخَلِثُهُ مِنْ سَبَجِ رَبْوَةٍ
وَلَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ النَّطَّاحِ، فِي أَخْدَبِ^(٦): [الكامل]
قَصْرَتْ أَخَادِعُهُ وَغَاضَ قَدَّالَهُ
وَكَأَنَّهُ قَدْ ذَاقَ أَوَّلَ صَفْعَةٍ
وَإِذْ جَرَزْنَا ذَيْلَ الْبَيَانِ، وَسَحَبْنَا بُرْدَ سَخْبَانَ عَلَى الْحُدْبَانِ، فَنَقُولُ: قَوْلُهُ «وَأَحْسُ
ثَانِيَةً» إِيخ، كَقَوْلِ ابْنِ دَانِيَالٍ: «مُتَجَمِّعِ الْكَتِفَيْنِ» إِيخ، وَهُوَ مَعْنَى بَدِيعٍ فِي بَابِهِ، لِأَنَّ
مُتَوَقَّعَ الضَّرْبِ يَتَضَاعَلُ مِنْ خَوْفِهِ، وَنَظِيرُهُ مِنْ يَرِيدُ الْوُثُوبِ يَتَجَمِّعُ لِيَثْبَ، فَهَيْئَتُهُ كَهَيْئَةِ
مَنْ يَرِيدُ السُّكُونَ.

وَلَقَدْ أَجَادَ صَالِحُ الشُّتْرَيْنِيَّ مِنْ شِعْرَاءِ الْمَغَارِيَةِ، فِي قَوْلِهِ: [الطويل]
نَحَاذِرُ أَحْدَاثَ اللَّيَالِي وَقَلَمًا خَلَا مِنْ تَوْقِيهِنَّ قَلْبُ أَدِيبٍ

- (١) كَرِيحُهُ: صَرَعُهُ.
- (٢) الْقَبِصُ: ضَخْمُ الْهَامَةِ، وَرَجُلٌ أَقْبَصُ الرَّأْسِ: ضَخْمٌ مَدُورٌ.
- (٣) ابْنُ خَفَاجَةَ الْأَنْدَلُسِيِّ: إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَفَاجَةَ (٤٥٠-٥٣٣ هـ): شَاعِرٌ غَزَلُ، مِنْ الْكُتَابِ الْبَلْغَاءِ، غَلَبَ عَلَيْهِ شِعْرُهُ وَصَفَ الرِّيَاضَ وَمَنَاطِرَ الطَّبِيعَةِ. (الأعلام ٥٧/١).
- (٤) دِيوَانُ ابْنِ خَفَاجَةَ: ٢١٠.
- (٥) السَّبِجُ: خَرَزُ أَسْوَدٍ، وَالسَّبِيجَةُ: دَرْعٌ عَرَضُ بَدَنِهِ عِظْمَةُ الذَّرَاعِ. وَقِيلَ: هِيَ بَرْدَةٌ مِنْ صَوْفٍ فِيهَا سَوَادٌ وَبِيَاضٌ.
- (٦) الْبَيْتَانُ لَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ النَّطَّاحِ فِي مَعَاهِدِ التَّنْصِيصِ ١٧١/١، وَلَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الطَّبَّاحِ فِي عُنْوَانِ الْمَرْقُصَاتِ ٨٥-٨٦، وَلَأَبِي مُحَمَّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الطَّبَّاحِ فِي نَوَادِرِ الْمَخْطُوطَاتِ «الرِّسَالَةُ الْمِصْرِيَّةُ» ٥٣/١، وَهُمَا لِابْنِ الرَّومِيِّ فِي دِيوَانِهِ ١٤٦.
- (٧) الْأَخَادِعُ: جَمْعُ الْأَخْدَعِ، وَالْأَخْدَعَانُ: عِرْقَانُ فِي جَانِبِي الْعُنُقِ خَفِيَانِ. الْقَدَّالُ: جَمَاعٌ مُؤَخَّرُ الرَّأْسِ.

وَنَرْتَابُ بِالْأَيَّامِ عِنْدَ سَكُونِهَا
وما الدهرُ في حال السُّكُونِ بِسَاكِنٍ
وهو مأخوذ من قول الآخر: [الطويل]
سَكَنْتُ سَكُونًا كَانَ رَهْنًا لَوَثْبَةٍ
وقول الآخر: [البيسط]
قد قلتُ يا قوم إن اللَّيْثَ مُنْقَبِضٌ
وفي المثل: «الدَّهْرُ أَزُودٌ ذُو غَيْرٍ»^(١). قال الجَوْهَرِيُّ^(٢): أي يعمل عمله في
سكون، لا يُشْعِرُ بِهِ^(٣).
ويقال: «تَلْبِيدٌ خَيْرٌ مِنَ التَّصْيِيءِ»^(٤) يُقال لمن يتشاجع، ويضرب مثلاً للفرار^(٥)،
كما قاله الأَصْمَعِيُّ^(٦).

وفي معناه قولِي: [الوافر]

أقولُ لنائمِ الغفلاتِ جهلاً
وكم رَجَعَ الزمانُ عن الرِّزايا
تنبئة كم فسادٍ في صلاح
رُجوعِ التَّيسِ أَقْعَى لِلنُّطَاحِ

٣- حسن بن محمد البوريني

ديباجة الدنيا، ومكرمة الدهر، ونكتة عطارِد التي يفتخر بها الفخر، حسنة اعتذر بها
الدهرُ عما جَنَى، ودَوْحَةٌ فضل غَضَّة الأنوار والجنَى، وزهرة الدنيا التي أنبتّها الله تعالى
برياض الشام نباتاً حسناً، فجعل الأدب لروض فضله سِياجاً، وأنار بدره في سماء الكمال
سراجاً وهاجاً، ولم تزل مُساءلة الرُّكبان تُتِحَفَنِي بهدايا أخباره، ونسيمُ المسامرة يهُبُ
مُعطراً بنفحات آثاره، وأنا أوْمَلُ اجتلاء بدره المنير، وهو على جمعهم إذا يشاء قدير.

(١) المثل في المستقصى ٣١٨/١ .

(٢) الجوهري: إسماعيل بن حماد الجوهري (. . . - ٣٩٣ هـ): أول من حاول الطيران ومات في
سبيله. لغوي، من الأئمة. أشهر كتبه: الصحاح. (الأعلام ٣١٢/١).

(٣) الصحاح (رود).

(٤) مجمع الأمثال ١٤٦/١ .

(٥) التلبيد: تليق شعر الرأس بالصمغ لئلا يتشعث، والتصيء: إثارة الشعر لفضله، دون تنقية وسخه.
ويضرب المثل لمن قام بأمر لا يقدر على إتمامه.

(٦) الأصمعي: عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمغ الباهلي (١٢٢ - ٢١٦ هـ): راوية العرب،
وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. مولده ووفاته في البصرة. (الأعلام ١٦٢/٤).

٣- الحسن بن محمد بن محمد بن حسن الصفوري البوريني (٩٦٣-١٠٢٤ هـ): مؤرخ، من العلماء
بالأدب والحديث والفقه والرياضيات والمنطق. اشتغل بالتدريس والوعظ بمدارس الشام
ومساجدها. (خلاصة الأثر ٥١/٢، والأعلام ٢١٩/٢).

فمن نَفحاتِهِ، وَغُرِّ لُمَعَاتِهِ قَوْلُهُ^(١): [الطويل]

يقولون في الصُّبْحِ الدِّعَاءُ مُؤَثَّرٌ
فيا عجباً مَنْسِيَّ أَرْوَمُ لِقَاءِهِ
وإنسانُ عَيْنِي كَيْفَ يَنْجُو وَقَدْ غَدَا
وإن كان يومَ البَيْنِ يَسْوَدُ فَحَمَّةٌ
وليس عَجيباً أَنْ دَمَعِي أَحْمَرُ

وفي البيت الأول معنى حسن، قال: إنه ترجمه من الفارسي، مع أنه مشهور في كلام العرب قديماً وحديثاً، كقول ابن شبيب: [الطويل]

هوى صاحبي رِيحَ الشَّمَالِ إِذَا جَرَتْ
يقولون لو عَزَّيْتَ قَلْبَكَ لَزَعَوِي
ومثله قول ابن أذينة^(٣): [البيسط]

قالت وَأَبْثَثْتُهَا سِرِّي فَبُحِثُ بِهِ
أَلَسْتَ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلِي فَقَلْتُ لَهَا
وتابعه البَاخْرَزِي، فقال من قصيدة^(٥): [الكامل]

قالت وقد فَتَّشْتُ عَنْهَا كُلَّ مَنْ
أَنَا فِي فُؤَادِكَ فَازِمَ طَرْفِكَ نَحْوَهُ
وللبهاء زهير^(٦): [الكامل]

جعلَ الرُّفَادَ لَكِي يُوَاصِلَ مَوْعِدَا
وللعرجي: [الكامل]

وزعمت أن الدَّهْرَ يُغْقِبُنِي
وفي معناه قولي^(٨): [الطويل]

- (١) الأبيات في خلاصة الأثر ٥٦/٢، وأعلام النبلاء ٤٠٨/٦، والبيت الأول في نفحة الريحانة: ٢/٦٤٤.
- (٢) البيتان لعبد الله بن شبيب في خلاصة الأثر ٥٧/٢، وهما لبشار بن برد في ديوانه ١٨٦/١، والأغاني ١٧٧/٣.
- (٣) الشعر والشعراء: ٢٢٦.
- (٤) البيتان لعروة بن أذينة في خلاصة الأثر ٥٧/٢، والشعر والشعراء ٥٧٩/٢، وبلا نسبة في الأغاني ٣٣/١٥، وتزيين الأسواق ٥٣٠.
- (٥) ديوان الباخري ص ٢، وخلاصة الأثر ٥٧/٢.
- (٦) ديوان البهاء زهير ٧٠، وخلاصة الأثر ٥٧/٢، ونفحة الريحانة ٦٤٤/٢.
- (٧) البيت للعرجي في نفحة الريحانة ٦٤٤/٢، وإعلام النبلاء ٤٠٨/٦.
- (٨) البيتان في نفحة الريحانة ٦٤٤/٢، وإعلام النبلاء ٤٠٨/٦.

وقد هجرُوا مِن غير ذَنْبٍ فَمَنْ يُلْحَى
ومالِي قَلْبٌ غيرُهُ يَطْلُبُ الصُّلْحَا

خافوا مِن الواشي على حُبِّي
باللُّبِّ حتى أَخَذُوا قَلْبِي

على دَوْحَةٍ حتى استَطالا وأَيْتَعَا
وَيَسْقِيهِمَا كَأْسُ السَّحَابِ مُثْرَعَا
خَلِيَّتَيْنِ من قول الحسود إذا سَعَى
وأَبْقَى بقلبي حُرْقَةً وتَوَجُّعَا
حفظت له العهد القديم وضيِّعَا

مخافَةً واشٍ بيننا ورقيب
تلاجِظُهُ في أضلَعِ وقلوبِ
وهذا مما تداولوه كثيراً. كقول أبي عبادة^(٣): [الكامل]

وأصْدُ عنك ووجهٌ وُدِّي مُقْبِلُ

لنا حين تلقانا العيونُ قلوبُ
وإن هو أبْدَى لي البِعادَ قَريبُ
إذا خافَ عَيْنَا أو أشارَ رقيبُ
وتخرسُ منا ألسنٌ وقلوبُ

عِلْمٌ وفي بعضِ القلوبِ عيونُ^(٥)

يقولون لي لم تُبْقِ للصُّلْحِ موضعاً
صدقْتُمْ وأنتم للفؤادِ سَلْبْتُمْ
وقلتُ أيضاً: [السريع]

مُذ أودَعُوا قَلْبِي سرَّ الهوى
فانتَهَبُوا لُبِّي ولم يثْنَعُوا
عوداً على بَدءِ.

وله أيضاً^(١): [الطويل]

وكُنَّا كغُضْنِي بَانَةٍ قد تَأَلَّفَا
يُغْنِيهِمَا صَدْحُ الحمامِ مُرْجَعَا
سَلِيمَيْنِ من خَطْبِ الزمانِ إذا سَطَا
ففارقني مِن غيرِ ذَنْبٍ جَنِيثُهُ
عفا اللُّهُ عنه ما جَنَّاهُ فإِتْنِي
وله أيضاً^(٢): [الطويل]

أحوْلٌ وجَهي حين يُقْبِلُ عامداً
وفي باطني واللُّهُ يعلمُ أعيُنُ
وهذا مما تداولوه كثيراً. كقول أبي عبادة^(٣): [الكامل]

أخنو عليك وفي فؤادي لوعةٌ
وقوله أيضاً: [الطويل]

حبيبي حبيبٌ يكتمُ النَّاسَ حُبَّهُ
يُبَاعِدُنِي في المُلْتَقَى وفؤادِهِ
ويُعْرِضُ عَنِّي والهوى منه مُقْبِلُ
فتنطِقُ مِنَّا أعيُنٌ حين نلتقي
ولأبي تمام^(٤): [الكامل]

ولذلك قيل من الظنونِ جَلِيَّةُ

(١) الأبيات في خلاصة الأثر ٥٥/٢ .

(٢) البيتان في خلاصة الأثر ٥٧/٢ .

(٣) البيت للبحراني في ديوانه ١٦٠٠/٣ .

(٤) أبو تمام: حبيب بن أوس بن العارث بن قيس، أبو تمام الطائي الشاعر المشهور، ولد في بلاد الشام قرية جاسم، ونشأ بمصر وانتقل إلى العراق، وسكن الموصل، وتوفي بها سنة: ٢٣١، من تصانيفه: الحماسة الطائية المشهورة، كتاب الاختيارات في شعر الشعراء. هدية العارفين: ٢٦٢/٥ .

(٥) ديوان أبي تمام: ٣٢٦/٣ .

وأحسن منه قولي^(١): [الطويل]

تنازع فيه الشوق قلبي وناظري
وتنظره من قلبي الصب أعين
وله في ترجمة معنى من الفارسية^(٢): [الكامل]

مملوءة بأدلة التوجيد
ورق الغصون دفاتر مشحونة
وله أيضاً قوله: [الكامل]

الناس نحو معادهم ومعاشهم
وأنا الذي أسعى ليلذة نظرة
والناس يخشون الصدود وإنما
يسعون في الإضباح والإمساء
من وجهك المزري ببدر سماء
وأحسن من هذا قولي في رباعية: [الدوبيت]

والصبر بمرهم لجرجي أس
لكنني أخشى إذا طال نوى
وله أيضاً: [الطويل]

أما ينقضي هذا الغرام من القلب
ألا حاكم بيني وبين عواذلي
ألا راحم في الحب أشكو ظلامتي
ألا ساعة أخلو به فأبئه
أما في الوري من فيه رقة رحمة
لقد ضاقت الدنيا علي لبغده
إذا لاح تبدو وقفه في تلفظي
فما في إفصاح ولا فيه رحمة
ولا أنا ذو فكر صحيح يدلني
وإني إلى مولاي أنهيت حالتي
وله أيضاً: [المتقارب]

إلهي أدم حاكم الحب فينا
وأشرب سقيم الجفون العقارا
أنل لحظة في القلوب اقتدارا
إلهي وزد ذلك القد لنا
إلهي على ضعف أهل الهوى

(١) البينان في خلاصة الأثر ٥٧/٢ .

(٢) البيت في خلاصة الأثر ٥٧/٢ .

إلهي جُنودَ الهوى أَعْطِهَا
إلهي على الحَبِّ أَلْقَيْتُ صَبْرًا
إلهي أَجَبْتُ رَسُولَ الهوى
إلهي رَضِيْتُ بِمَا تَرْتَضِي
إلهي لِي الْجَبْرُ فِيمَا تَرَى
إلهي أَعِدْ لِي لَيْلَ هَجْرَانِهِ
على قُوَّةِ الصَّابِرِينَ انْتِصَارًا
وعن حُسْنِهِ مَا أَطَقْتُ اضْطِبَارًا
ولم أَلْقَ مِنْذُ دَعَانِي اخْتِيَارًا
بِسِرِّي وَسَلَّمْتُ أَمْرِي جَهَارًا
وإن ظَنَّنَهُ الْعَاذِلُونَ انْكِسَارًا
بِصُبحِ الوفا والتلاقي نَهَارًا

أقول: هذا أسلوبٌ من أساليب الفصاحة لطيف، كما بيناه في كتابنا المسمى بـ «حديقة السحر»، وهو نقل الكلام من طريق إلى آخر، كاستعمال ما عهد استعماله في الدعاء والمناجاة في التغزل، كما هنا.

ومثله قول ابن الوكيل^(١): [الكامل]

يا رَبِّ جَفَنِي قَدْ جَفَاهُ هُجُوعُهُ
يا رَبِّ قَلْبِي قَدْ تَصَدَّعَ بِالنَّوَى
يا رَبِّ فِي الْأَطْعَانِ سَارَ فَوَادُهُ
والموجدُ يَعْصِي مُهْجَتِي وَيُضِيفُهُ^(٢)
فإلى متى هذا البعدُ يزوِّغُهُ
يا لَيْتَهُ لو كان سارَ جَمِيعُهُ
ولم يزل يكرّر «يا رب» إلى آخر القصيدة.

ومنه استعمال ما ورد في الرسائل والمكاتبات في غيره، كقول الشاب الظريف ابن العفيف^(٣): [الوافر]

أعزَّ اللّهُ أنصارَ العيونِ
وأسبغَ ظلَّ ذاك الشُّعْرِ دَوْمًا
وخلدَ مُلكَ هاتيك الجُنُونِ^(٤)
على قَدْ بِهِ هَيْفَ الغُصُونِ
ومن شعر صاحب الترجمة قوله: [الضويل]

لها في رُبِّي قلبَ المحبِّ مَقِيلُ
وإن ظَمِئْتُ فالوزدُ من ماء دَمَعِهِ
فكم أَلْفَتْ هذا النِّفَارَ كأنما
أجل إن عفا من بعدهم فكأنما
منازلُ هذا القلبِ كُنَّ أوهالاً
وظلُّ بأخفاء الضَّنْوَعِ ظَنِيلُ
يبلُّ به عند الهَجِيرِ غَنِيلُ
فؤادُ المَعْنَى بالسُّقَاءِ مُجِيلُ
يُجِرُّ عَلَيْهِ لِنَجْوَتِ ذَبِيلُ
وها هي من بعد الفِرْقِ طَبِيلُ

- (١) ابن الوكيل: محمد بن عمر بن مكي (٦٦٥ - ٧١٦هـ) شاعر، من العلماء، له كتاب في الأدب عجيبة، حفظ مقامات الحريري في خمسين يوماً، وديوان العنبي في أسبوع (الأعلام ٣١٤/٦).
(٢) الأبيات في خلاصة الأثر ١/٢٤٦ - ٢٤٧، ونفحة الربحانة ١/٣٢٥.
(٣) الشاب الظريف: محمد بن سليمان بن علي، النعماني، الشاب الطريف، من العفيف، ولد بالقاهرة سنة ٦٦١، وتوفي بدمشق سنة ٦٨٨، له ديوان شعر وديوان جوف المعجم المشهور بالعارفين: ١٣٦/٢.
(٤) البيان للشاب الظريف في ديوانه ٦٤، وخلاصة الأثر ١/٢٤٨، ونفحة الربحانة ١/٣٢٦.

فؤادُ لبَّينِ الظَّاعنينِ عَليلُ
ويا بدرُ هل بعد الأفلِ قُفولُ
وهم في فؤادي ما حيثُ نُزولُ
إليهم وإن طال الصُّدودُ أميلُ
بغذري وما غدرُ المُحبِّ جَميلُ
وليس إلى نقضِ العهدِ سَبيلُ
وأبعدُ شيءٍ ما أرادَ عَدولُ
فهل لي عليه في الأنامِ دليلُ
له فوق أفنانِ الرِّياضِ هَدِيلُ
من الشُّوقِ يُمليها لنا ويميلُ
وكيف ولمَّا يئسنا عنه خليلُ
عليه لبَّينِ رِقَّةً ونُحولُ
لما ازدان بالأطواقِ منك تَليلُ^(١)
وما لي إلى وُضلِ الحبيبِ وُصولُ
تَهَبُّ عليها شَمالٌ وقَبولُ^(٢)
تُدارُ عليه في الكؤوسِ شَمولُ

لك الله يا ابن الأكرمين أيشتفي
ويا ظبي هل بعد الثُّفارِ تَأْسُ
ويا منزلَ الأحبابِ أين تَرَحَّلُوا
يميلون عني للوشاةِ وإنني
أجمُلُ من أحبابِ قلبي غدرهم
عليّ لهم حِفْظُ الودادِ وإن جنوا
وظبي أراد العاذلون سُلوهُ
وقد ضاع قلبي مُذ رأيتُ جماله
وما هاجني إلا ابنُ وِزْقَاءِ سُحْرَةِ
يُرَدُّ في صُحفِ الرِّياضِ قصائداً
يُخيلُ أن البينَ آذَى فؤاده
ولم تختكم فيه الليالي ولم يبين
أما والهوى لو ذقت ما ذقت في الهوى
على أنه ما فارق الألفَ دهره
تسئمَ غُضناً في رِياضِ أريضةٍ
يُصَفِّقُ جَدلانَ الفؤادِ كأنما

وأنشدني له بعض الأدباء رباعية، هي: [الدوبيت]

كم تمزحُ كم جنى عليك المَرزُحُ
ما تشعرُ بالخُمَارِ حتى تضحُو

يا قلبُ إلى متى عَدَاكَ التُّضحُ
كم جارحةٌ عدا عليها الجَرزُحُ

قلت: ليست هذه له؛ فإنها في «ديوان محمد بن علي»، كما ذكرناه في «ديوان

الأدب».

ومن شعره، أعني صاحب الترجمة: [الوافر]

وألقِ إليه في الحربِ السُّلاحَا
ومن لزم المُسامحةَ استراحَا

ألا سامخُ أخاك إذا تعدَى
فمن يغتَبُ على الخِلالِ يتعبُ
وله أيضاً: [الخفيف]

لا قريبي في حلَّتِي وبلادي
أي نفعٍ لُصْحبةِ الأُجسادِ

صاحبي مَنْ يودُّني بالفؤادِ
ليت شعري إذا تناءتْ قلوبُ

(١) القليل: العنق.

(٢) رِياضِ أريضة: كثيرة العشب. وأرض أريضة: زكية كريمة.

- القبول: ريح الصُّبا، لأنها تقابل باب الكعبة.

وله أيضاً^(١): [الطويل]

خَبَأْتُكَ فِي عَيْنِي لِتَخْفَى عَنِ الْوَرَى
وأحسن من هذا قولي^(٢): [المتقارب]

وكم شَرَّفَ الدَّارَ سُكَّانُهَا
وَمِنْ غَيْرَةِ خِفْتُ أَنْ يَفْطِنُوا
لذلك قالوا إن في العينِ إنساناً
ومن فوائده: أنه سئل عن قول صاحب الهمزية^(٣): [الخفيف]

شَمْسٌ فَضِلْ تَحَقِّقِ الظَّنُّ فِيهِ
فَإِذَا مَا ضَحَى مَحَا نَوْرُهُ الظَّلَّ
أَنَّهُ الشَّمْسُ رَفَعَتْ وَالضُّيَاءُ
وَقَدْ أَثْبَتَ الظَّلَالُ الضُّحَاءُ
مَنْ أَظَلَّتْ مِنْ ظِلِّهِ الدَّفَاءُ
فَكَانَ الغَمَامَةُ اسْتَوْدَعَتْهُ

فذكر ما للشارحين فيه من الكلام الذي لا مُحَصِّلُ له، فخالفهم فيما قالوه من أن «الدففا» بفاءين، «وأظلت» فيه بالطاء المشالة، وذكر كلاماً لا طائل تحته، باء على أن «أضلت» بالضاد، من الضلال بمعنى الإضاعة «والدففا» بمعنى جماعة مُسْرِينِ من الجيش أو الملائكة، وفيه خَبُطٌ وَخَلْطٌ، والذي عندي فيه أنه تحرّف عليهم أجمعين، وإنما هو هكذا:

فَكَانَ الغَمَامَةُ اسْتَوْدَعَتْهُ مُذْ أَظَلَّتْ مِنْ ظِلِّهِ الدَّفَعَاءُ

«فاستودعته» و«أظلت» مبيتان للمفعول بصيغة المجهول، «ومذ» بميم مضمومة وذا معجمة «والدفعاء» بدال مفتوحة مهملة وقاف وعين مهملة ثم مذ بمعنى الأرض وترابها، كما هو مُصْرَحٌ به في كتب اللغة، والمعنى أن الغمام إنما أظله لنلا يمسّ ظلّه الأرض؛ فلذا أخذه وديعة عنده، ليصونه عن مسّ التراب، وهذا معنى بديع، يعرفه من ذاق حلاوة الشعر، وعرف مغزاه.

وفي قوله «مذ أظلت» إلخ، معنيان: أحدهما، مذ مسّ ظلّه التراب. والآخر: مذ صارت الأرض كلها في حمايته؛ لأنه ظلّ الله.

وفي معناه رباعية لي^(٤): [الدوبيت]

مَا جُرَّ لِظِلِّ أَحْمَدِ أَذْيَالُ
هَذَا عَجِيبٌ وَكَمْ لَهُ مِنْ عَجَبِ
في الأرض كرامة كما قد قالوا^(٥)
والناس بظله جميعاً قالوا

(١) البيت مع بيت آخر في خلاصة الأثر ٥٨/٢، ونفحة الريحانة ٢٣٥/٣.

(٢) البيتان في خلاصة الأثر ٥٨/٢، ونفحة الريحانة ٢٣٥/٣ - ٢٣٦.

(٣) الأبيات للبوصيري في ديوانه ص ٥٨، وهي الأبيات (١٣٤ - ١٣٦).

(٤) الرباعية في نفحة الريحانة ٤٢١/٤، وشرح الشفاء ٣١٩/٣.

(٥) قالوا: من القول، وفي البيت التالي «قالوا»: من القبولة.

وفي التائية المنسوبة للسبكي^(١) التي نظم فيها معجزات النبي ﷺ، وشرحها بعض المتأخرين: [الطويل]

لقد نزة الرحمن ظلك أن يرى على الأرض ملقى فانطوى لمزية
وأثر في الأحجار مشيك ثم لم يؤثر برمل حل بطحاء مكة
قال شارحها: قيل: إنه عليه الصلاة والسلام كان لا يقع ظلُّه على الأرض؛ لأنه نور رُوحيّ: [الخفيف]

مَا لَطَه رَأَى الْبَرِيَّةَ ظِلًّا هُوَ رُوحٌ وَلَيْسَ لِلرُّوحِ ظِلُّ
والنور لا ظلُّ له، وكذا الرُّوحانيّات كالملائكة؛ لأنها أنوار مُجرّدة.
قيل: ولهذا أظهر الأُمّة؛ لئلا يقع ظلُّ يده على اسم الله لو كتبه، ولا يخفى ما فيه.
وقيل: لم يُرَ ظلُّه؛ لأن العمام يُظله.
وقيل: هو تكريم له، لئلا يقع ظلُّه على الأرض، فيوطأ محله.
ونُقِلَ أن بعض اليهود كان يطأ ظلَّ المسلمين إهانة لهم، فصين لئلا يُمتهن.
وقيل غير ذلك.

وأما كَوْن قدمه ﷺ يُؤثر في الحجر دون الرمل، فكان في ذهابه لغار ثور مع أبي بكر، كان يقول له: «ضَعْ قَدَمَكَ مَوْضِعَ قَدَمِي فَإِنَّ الرَّمْلَ لَا يَنْبُحُ عَلَيْهِ» لإرادة الله تعالى إخفاء أثره عمّن يطلبه من المشركين؛ ولأن له الحجرُ إظهاراً لأنه لا يستعصي عليه، ولتكون فيه سِمة ينجو بها من النار، التي وقودها الناس والحجارة، ودلالة على شِدَّة قسوة قلوب الكفرة إلخ.

٤- أبو المعالي درويش محمد الطالوي

وحيد له الحزم تيزب واللفظ قرين، وماجد ما له في قصب السبق رهين، وربق قُصب المروّة، فاتح حصون المُلمّات عنوة، سليل المعالي والكرم، رقيق حواشي الطبع والشيم، فكم في علاه مسرح للمقال، ومجال لمضمّرات الأمانى والآمال: [المتقارب]

إذا أعجبثك خصال امرئ فكُنه تُكن مثل ما يُعجبك

(١) السبكي: محمد بن عبد اللطيف: تقي الدين، أبو الفتح المتوفى سنة: ٧٤٤. هدية العارفين: ٢/١٥١.

٤- أبو المعالي درويش محمد بن أحمد، أبو المعالي الطالوي الحنفي، ولد بدمشق سنة: ٩٥٠ من أب رومي وأم من أسرة طالو، ولزم في أول أمره صنعة السروج، ثم جذبه الشهاب الغزي إليه متوسماً فيه حب العلم، صحب أبا الفتح المالكي، كانت أخلاقه متفاوتة فما مدح أحداً إلا عاد وهجاه. خلاصة الأثر: ١٤٩/٢، هدية العارفين: ٢/٢٦٥.

فليس على المجدي من حاجبٍ إذا جئته زائراً يَخْجُبُكَ
حَسَنَ عَصْرِهِ، وَأَبُو عُبَادَةَ دَهْرِهِ، لَهُ فِي الْمَجْدِ زَنْدٌ وَرَيْتِي، وَلِلْأَسْمَاعِ مِنْ مَوْرِدِهِ
العذب شِزْبٌ وَرَيْتِي، نُورٌ مُحْيِيَاهُ فِي ظِلْمَةِ الْخَطُوبِ هَادٍ، وَصِيْتُ كَرَمِهِ لِرُكَاثِبِ الْأَمَالِ
حَادٍ، وَبِحَرِّ فِكْرِهِ الْمَدِيدِ سَرِيعٍ، وَنَسْجُ طَبْعِهِ أَنْهَى وَأَبْهَجَ مِنْ وَشِيِّ الرَّبِيعِ، إِذَا حَلَى
أَجْيَادَ الْغُصُونِ بِعُقُودِ دَرِ الْغَمَائِمِ، وَأَلْبَسَ هَامَاتِ الرُّبَا مِنْ الثَّبْتِ مُخَضَّرَ الْعَمَائِمِ، فَكَأَنَّهُ
بِسِحْرِ الْبَيَانِ، أَغْدَى عَيُونََ الْغَيْدِ الْحَسَانِ.

نَجْمٌ تُجَلَى عَلَيْهِ الْمَعَانِي صُورَةً فَصُورَةً، وَتُتَلَى عَلَيْهِ آيَاتُ الْفَضْلِ سُورَةً بَعْدَ سُورَةٍ.
وَإِذَا كَاتَبَ بِالْفَاظَةِ الرَّقِيقَةَ، وَدَّ السُّخْرُ لَوْ كَانَ قِنَّهُ وَرَقِيقَهُ، فَكَمْ سَرَّحَ طَرْفَ طَرْفِي
فِي رِيَاضِ الْمَنْشُورِ، فَجَنَى مِنْ حِدَائِقِهِ بَيْدَ الْفِكْرِ غَضَّ الزَّهْوَرِ، فَفَاحَ نَشْرُ بِلَاغِيهِ فِي لَيْلِ
جَبْرِهِ، وَلَا بَدَعَ لِلْمَنْشُورِ إِذَا عَبَقَ فِي عَثْبِ الظُّلْمَاءِ عَبِيرُ نَشْرِهِ، فَحَلَيْتُ لِسَانِي بِعُقُودِ إِنْشَائِهِ
الدُّرِّيَّةِ، وَأَشْرَقَ عَلَيَّ مِنْ فَلَكَ الْمُسَامِرَةِ كَوَاكِبُهَا الدُّرِّيَّةِ، وَرَأَيْتُ سَبْحَ سَطُورِهَا فِي يَدِ
الْمَجْدِ، وَخِيْلَانُ نَقَطِهَا تَزِينُ مِنْ وَجْهِ الطَّرْسِ صَفْحَةَ الْخَدِّ، فَسَبَّحْتَ عَجَباً مِنْ دُرِّ لَوْنِهِ
السَّوَادِ، وَمِنْ رِيَاضِ كَافُورٍ تُنْبِتُ مِنْكَ الْمِدَادَ: [الكامل]

فَكَأَنَّ أَسْطَرَّهُ غُصُونٌ حَدِيقَةٍ وَمِنْ الْقَوَافِي فَوْقَهُنَّ حَمَامٌ
وَهُوَ فَرْعٌ مِنْ شَجَرَةِ آلِ طَالُو، الَّذِينَ فَاقُوا فِي رَتَبِ الْعُلَى وَطَالُوا: [الكامل]
إِنْ حَارِبُوا مَلَأُوا الْبِلَادَ مَصَارِعاً أَوْ سَالَمُوا عَمَرُوا الدِّيَارَ مَسَاجِدًا
طَلَعُوا فِي رُبَى الْجِيَادِ غُصُوناً مُورِقَةً بِالسَّلَاحِ، وَبَسَقَتْ فِرْعُوعُهَا مِنْ بِيضِ الصَّفَاحِ
وَسُمْرِ الرَّمَاكِ، صَيَّرُوا أَكْفَهُمُ لِلْمَكَارِمِ مَعْدِنًا، وَأَبْوَابَهُمْ لَوْفُودِ السُّعَادَةِ مَوْطِنًا، فَكَمْ مِنْ
رَاكِبِ عَجَلٍ اسْتَوْقَفْتُهُ فَوْقَ، وَأَهْدَى إِلَيَّ مِنْ آثَارِهِ تَحْفًا بِكُلِّ طَرْفَةٍ تُحْفٍ، حَتَّى وَرَدَ
عَلَيَّ بِالرُّومِ فَقَرَّ بِهِ نَظْرِي، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنِي بِأَحْسَنِ مِمَّا قَدْ رَأَى بِصُرِي، فَطَارَ غُرَابُ
الْبَيْنِ مِنْ وَكْرِ الْعَنَا، وَنَشَرَتْ عَلَيَّ قَوَادِمُ يُمْنِهِ نِشَارَ الثَّنَا، وَأَنَا ثَمَّتْ غَرِيبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ
وَاللِّسَانِ، وَلَيْسَتْ الْفُرْقَةُ فَقْدُ الْأَهْلِ بَلْ فَقْدُ الْأَحْبَةِ وَالْإِخْوَانِ، فَدَارَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَثُوسُ
مُحَاوَرَاتِ تُسْكَرِ الْأَذْهَانِ، وَيَخْتَسِي حُمَيَّاهَا فِكْرُ كُلِّ لَيْبٍ بِأَفْوَاهِ الْأَذَانِ، وَيُوسَمُ بِهَا عَقْلُ
الدَّهْرِ، وَتُغْضِي حَيَاةَ مِنْهَا عَيُونََ الزَّهْرِ.

فَمِمَّا كَتَبْتُهُ إِلَيْهِ؛ لِاسْتِمَطَرِ سَحَابِ طَبْعِهِ الْغَمْرِ، وَأَسْتَجْدِي كَرَمًا مِنْ رَقِيقِ خُلُقِهِ
الْحَزْرِ، وَأَسْتَمْرِي مِنْهَا مَاءَ الْحَيَاةِ عَلَى غُلَّةٍ، فَطَرَاتِ لَوْ وَقَعَتْ فِي بَحُورِ الْأَشْعَارِ لَمْ يَكُنْ
بِهَا عِلَّةٌ، قَوْلِي^(١): [الكامل]

قَبِلْتُ مُصْطَبِحاً شِفَاءَ الْأَكْثُوسِ وَالصَّبِيحُ يَنْبَسُّ لِي بِشَفْرِ الْعَسْرِ

(١) البيت الأول في خلاصة الأثر ١٥٣/٢ .

مِسْكُ الدُّجَى عِنْدَ الْجَوَارِي الْكُنُوسِ
 وَلَهُ حَمَائِلُ مِنْ خَمَائِلِ سُنْدُسِ
 أَوْ شَقَّقَتْ لِلرُّجْدِ حُلَّةَ أَطْلَسِ
 فِي وَشِي دِيبَاجِ الرَّبِيعِ السُّنْدُسِيِّ
 مِنْ جَلِيَّةِ الْمَجْدِ الْعَزِيزِ الْأَنْفَسِ
 وَالصَّبُّ بِالسُّقْمِ الْمُبْرَحِ مُكْتَسِبِ
 مِنْ وَجْدِهَا وَفَتُورُ مَهْجُورِ نُسِيِّ
 وَغَفَلْتُ عَمَّا قَدْ جَنَى الدَّهْرُ الْمُسِيِّ
 إِنْ التَّمَنِّي رَأْسُ مَالِ الْمُفْلِسِ
 فَطَرَحْتُهُ كَصَحِيفَةِ الْمُتَلَمَّسِ
 وَوَهَبْتُ نَوْمِي لِلْعَيُونِ التُّعَسِ
 خَجَلٍ وَقَدْ بُهَتَّتْ عَيُونُ التَّرْجِسِ
 أَمْسَى بَوْشِي عِذَارِ شَعْرِكَ مُكْتَسِبِي
 وَطِرَازَ مَا حَاكَ الْعُلَا مِنْ مَلْبَسِ
 فَدَنْتُ إِلَى حَرَمِ الْكَمَالِ الْأَقْدَسِ
 بِذُرَى أَشْمَمٍ مِنَ الْمَعَالِي أَقْعَسِ
 عَنْهَا يَكَادُ يُبَيِّنُ نُطْقُ الْأَخْرَسِ
 فَغَدَّتْ تُحَدِّثُنَا بِطِيبِ الْمَغْرَسِ
 كَأْسٌ لَهُ فِكْرِي بِسَمْعِي مُخْتَسِ
 طَرِباً بِهَا عَقْلَ اللَّيْبِ الْأَكْيَسِ
 إِلَّا رَأَى الذُّوقُ نَقْلَ الْمَجْلِسِ
 وَتَظَلُّ بَيْنَ مُسَدِّدٍ وَمُقَرِّطِسِ
 وَصَبَاحُ صَفْوِي عَنْهُ لَمْ يَتَنَفَّسِ
 طَلَّقَ الْجَبِينِ كَوَجْهَ يَوْمِ مُشْمِسِ
 زَاهٍ بِغَيْرِ يَدِ الثُّهَى لَمْ يُنْمَسِ
 نَقْدُ الْجَوَابِ بِرَاحَةِ الْمَسْتَأْنَسِ
 مَا حَدَّقْتُ لَيْلًا عَيُونََ الْخُنُوسِ

أَمْ قَدْ مَغْسُولِ الْمَرَاشِفِ أَلْعَسِ^(١)

حتى غدت منه الغزالة واختفى
 والنهر سيف والنسيم فرنده
 أو صدر خود فتحت أطواقها
 والطير تشدو والغصون رواقص
 وعلى الخلاعة ليس جيدي عاطلاً
 ولواحظ مرضى بها اعتل الصبا
 فتنت بأنفسها ففيها علة
 فلكم قطفت ثمار لهو أينعت
 وطردت آمالي براحة عفتي
 رام التلمس بذل شعري برهة
 وكحلت طرفي بالشهاد صبا
 ونظرت خد الورد لما احمر من
 وأظن خجلته لخد الطرس إذ
 يا عقد جيد الدهر غرة فجره
 بل كعبة حجت لها آمالنا
 من آل طالو فثية طالوا الوري
 بمناقب تليست لنا آياتها
 ورياض فكر بالفضائل أثمرت
 أسكرتنا بسلاف شعر لفظه
 وسرت نسيمات سحيرا أرقصت
 فاعجب لها من أكوس ما أبرزت
 وسهام أقلام له تضيء العباد
 ناجيته وظلام فكري قد دجا
 فجلا الشرور له بشعر باسم
 فالينكها مني قوافي دوحها
 بكرأ إلى كفه تزف ومهرها
 لازلت في حلل المسرة رافلاً
 فأجاب وأجاد رحمه الله: [الكامل]
 خد توردة من لهيب تنفس

(١) البيت الأول في خلاصة الأثر ١٥٣/٢ .

لبس الشباب الرُّوق أحسن ملبس^(١)
 ماست فيا خجل الغصون الميس
 هاروث منه نُطقه كالأخرس
 تيهأ على زهر الجواري الكئس
 حسن النظام بجيد ظبية مكئس
 أغصانها وزق بلخن مؤنس
 وكست معاطفها غلائل سُندس
 قان وأبيض ناصع ومؤرس
 صبأ تناسى العهد منه وما نسي
 والقلب أقصر عن هواه وما أسي
 من شرخي الماضي تعلقة مفلس
 حلو الشمائل بالفضائل مكئس
 حتى الوصال من الحبيب المؤنس
 والقلب بين توجس وتهجس
 قمر السماء بليل شعر جندسي^(٢)
 في ثوب غيم ترتديه وتكئسي
 نطق الفصيح وحار فكر الكيس
 شهب العلى بكمال فضل أقعس
 والفرغ يُنبىء عنه طيب المغرس
 خجلت لبهجتها عيون الترجس
 صبح وهن به بقايا الجندس
 فغدا له فيه حياة الأنفس^(٣)
 متبواً العلياء أزع مجلس
 فللك الثوابت وهو فوق الأطلس
 متوشحاً بزدة الشباب الأنفس

من ريم وجرة أو جاذر جاسم
 متوشحاً خطي قامته فإن
 فإذا رنا فاللحظ منه بابل
 أم عقد غانية الحسان زهت به
 أم لؤلؤ رطب توائم زانه
 أم روضة غناء غئت في ذرى
 حاكت لها أيدي الجنوب مطارفاً
 ما بين أصفر فاقع أو أحمر
 أم عادة هيفاء أذكرت الصبا
 وافت وأفراش الصبا قد عريت
 وافت وفي بقية الهو بها
 من ماجد وشهاب فضل ثاقب
 فظننت ريعان الشباب أعيد لي
 فطفقت أمصر بانه من قدها
 حتى اطمأنت فاجتليت بوجهها
 لما بدا خفيث له شمس الضحى
 نطقت مناطقها فأخرس دونها
 لم لا وناظمها الشهاب من اغتلى
 فرغ نماء إلى خفاجة مخيد
 وافت لنا منه حديقة روضة
 طرس به زهر النجوم كأنه
 لثمت شفاء الغيد قدماً بنفسه
 إنني لأعجب من شهاب قد سما
 والشهب تطلع في السماء وحدها
 لازلت في حلل الفضائل رافلاً

- (١) وجرة: منزل لأهل البصرة إلى مكة، منها يحرم أكثر الحاج. (معجم البلدان ٥/ ٣٦٢).
 جاذر: جمع جؤذر، وهو ولد البقرة الوحشية.
 جاسم: قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ، على يمين الطريق الأعظم إلى طبرية. (معجم البلدان ٩٤/٢).
 - الروق: أول الشباب.
 (٢) الحندس: الليل المظلم.
 (٣) النفس: المداد.

خُذْهَا وَإِنْ كَانَتْ مُقْصِرَةً فَمِنْ
شَامِيَّةٍ يَعْتُو لِبَاهِرِ حَسْنِهَا
وَأَنْعَمَ بِهَا لِأَزَلَّتْ تُرْشِيفُ سَمْعَنَا
وَمَا أَنْشَدْنِيهِ قَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ: [الطويل]

يَرَاغُكَ أَمْضَى مِنْ شِفَارِ الصَّوَارِمِ
مَضَاءً يَفْقُدُ الْمُرْهَفَاتِ وَعَزْمَةً
ومنها:

بِسَيَّارَةٍ مِثْلِ النُّجُومِ طَوَالِ
تَسَاقُطِ فِي الْأَسْمَاعِ لَوْلُو لَفْظِهَا
بَقِيَتْ لِهَذَا الْمُلْكِ تَحْمِي ذِمَّارِهِ
جَنَابُكَ مَحْرُوسٌ وَبَابُكَ كَعَبَةٍ
وله أيضاً: [البيسط]

كَفَى بِهِ جَائِراً فِي الْحُكْمِ مَا عَدَلَا
وَرَاغَ يُضْمِرُ سُلُواناً بِخَاطِرِهِ
بَلْ كَيْفَ يَصْحُو غَرَاماً أَوْ يُفِيقُ هَوَى
فَمَا الْهَوَى غَيْرُ أَجْفَانِ مُسْهَدَةٍ
وَلَا الْغَرَامُ سِوَى وَجْدٍ يُكَابِدُهُ
جِمَى دِمَشْقٍ سَقَاهَا غَيْرَ مُفْسِدِهَا
حَتَّى تَظَلَّ بِهَا الْأَزْجَاءُ بِاسْمَةٍ
وَخَصَّ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مَنَزَلَةً
مَعْنَى الْهَوَى وَمَعْنَى اللَّهْوِ حَيْثُ بِهِ
تَلِكُ الْمَنَازِلُ لَا شَرْقِيٌّ كَاطِمَةٌ
دِيَارُ كُلِّ مَهَاةٍ كَمَا أَقُولُ لَهَا
بِمَا بَعَيْنِكَ مِنْ سِحْرِ صِلِي دَنِفَا

(١) الصوارم: جمع الصارم، وهو السيف القاطع.

(٢) الذمار: ما وراء الرجل مما يحق عليه أن يحميه ويدافع عنه.
- السمر: جمع أسمر، وهو الرمح.

(٣) الأسل: الرماح.

(٤) كاظمة: جو على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة. (معجم البلدان ٤/٤٣١).

- النغوير: ماء بين العقبة والقاع في طريق مكة. وقيل: هو ماء لكلب بأرض السماوة بين العراق والشام.

فَارَقْتُ شَرِخَ الصُّبَا وَاللَّهُوَ وَالغَزْلَا
هَجَرَ امْرِيءٍ مَغْرَمٍ بِالرَّاحِ كَأَسِّ طِلَا
وَلَا تَعَوَّضْتُ عَنْهَا بِالصُّبَا بَدَلَا
بِي الْمَوَامِي تَجُوبُ السَّهْلَ وَالْجِبَلَا^(١)
وَسَابِحَ مِثْلَ سَيِّدِ الرَّمْلِ مَا عَسَلَا^(٢)
بِذِرَا غَدَا بِهَلَالِ الْأَقْيِ مُنْتَعِلَا

رَوْضَا أَرِيضَا وَمَاءَ بَارِدَا وَكَلَا
رَوْضُ ابْنِ بُسْتَانٍ مَوْلَانَا فَقَالَ بَلَى
تَدْعُو الْعُفَاةَ إِلَى نِعْمَائِهِ الْجَفَلَى^(٣)

شَامِيَّةَ الْأَضْلِ مَهْمَا سَائِلٌ سَالَا
كُفُوٌ سِوَاكَ فَاَنْقِذْ مَهْرَهَا عَجَلَا

عُتِبَهَا عِطْفَ آدَابِهِ، فَأَجَابَهُ بِقَوْلِهِ، عَفَا اللَّهُ

سِمَطَيْنِ مِنْ لَوْلُؤِ رَطْبٍ وَمِنْ كَلِمِ
بَزَتْ بِسَهْنٍ دَرَارِي الْأَقْيِ بِالْقَلَمِ
تَجْرُ تَيْهَا فُضُولَ الرِّيطِ مِنْ أَمَمِ^(٤)
عِطْفَيْنِ مَخْضُوبَةُ الْأَطْرَافِ بِالْعَنَمِ^(٥)
صَبُّ صُبَابَةٍ شَرِخٍ مَرٌّ كَالْحَلَمِ
بُكَاءَ طَرْفٍ قَرِيحٍ بَاتَ لَمْ يَسْمِ
مِنْ نَاقِضِ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ وَالذَّمَمِ
عَنْ ثَغْرِ مُبْتَسِمٍ بِالذَّرِّ مُنْتَضِمِ
ثَغُورِهِ بَيْنَ مُنْهَلٍ وَمُنْسَجِمِ^(٦)

الِلَّةُ يَعْلَمُ أَنِّي بَعْدَ فُرْقَتِيهَا
مَا كُنْتُ لَوْلَا طِلَابُ الْمَجْدِ أَهْجَرُهَا
وَلَا تَخَيَّرْتُ أَرْضَ الرُّومِ لِي سَكْنَا
وَلَا امْتَطَيْتُ عِتَاقَ الْخَيْلِ رَامِيَّةً
مِنْ كُلِّ طَرْفٍ يَفُوقُ الطَّرْفَ سُرْعَتُهُ
إِذَا تَطَّلَعَ مِنْ لُجِّ السَّرَابِ يُرَى
ومنها:

مَتَى أَتَى بِي أَرْضَ الرُّومِ مُنْتَجِعَا
وَقَالَ بُشْرَاكَ رَوْضُ الْفَضْلِ قَلْتُ لَهُ
هُوَ الْجَوَادُ الَّذِي سَارَتْ مَوَاهِبُهُ
ومنها:

وَهَاكُنَّهَا مِنْ بِنَاتِ الْفِكْرِ غَانِيَّةً
غَرِيبَةً فِي بِلَادِ الرُّومِ لَيْسَ لَهَا

وكتب له بعض أحابه قصيدة هزت بنسيم

عنه: [البيسط]

تَوَشَّحَتْ كَالنَّجُومِ الزُّهْرِ فِي الظُّلَمِ
وَقَلَّدَتْ جِيدَ آرَامِ الثُّقَا دُرَّرَا
وَأَقْبَلْتِ فِي مُرُوطِ الزُّهْرِ رَافِلَةً
جِيْدَاءُ مَصْقُولَةُ الْقُرْطَيْنِ مَائِسَةٌ أَلْ
كَأَنَّهَا حِينَ وَاقَتْ وَالْفَوَاذُ بِهَا
فَمَا الرِّيَاضُ بَكَاهَا الْفَطْرُ لَيْلَتَهُ
شَوْقًا لِطَيْفِ خِيَالِ بَاتَ يَرْقُبُهُ
يُضَاحِكُ الْمُزْنَ فِيهِ الْأَقْحَوَانَ ضُحَى
فَالْوُزْقُ صَادِحَةٌ وَالرَّوْضُ ضَا حِكَةٌ

(١) الموامي: جمع مؤمأة، وهي الفلاة.

(٢) الطرف، بالكسر: الفرس. السيد: الأسد والذئب. غسل الذئب: اضطرب في غذوه وهز رأسه.

(٣) العفاة: جمع عاف، وهو من يطلب المعروف. الجفلى: الجماعة.

(٤) الريط: جمع ريطة، وهي كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد. الأمم: القرب.

(٥) العنم: ضرب من الشجر له نوز أحمر تشبه به الأصابع المخضوبة.

(٦) انسجم الماء والدمع: انصب.

تجاذبُ الرِّيحُ أطرافَ الغصونِ بها
يوماً بأحسنِ مَرايٍ من شمائلِها
مُهذَّبُ القسولِ إلا أنه أذُنٌ
لا يعرفُ الوُدَّ إلا مَذقَ ساعتهِ
هيهات ما الوُدُّ ممَّن كنتُ أعهدُهُ
فيا له من عِتَابٍ لم يَفُةَ أبداً
سوى امرئٍ ساء ظناً في صنائِعِهِ
وشاتمُ العِرضِ فيما قيل، كُنْ فِطْناً
لا يُغزِينَ ذاكَ للإحسانِ والنَّعمِ
كم من أخِ صارمٍ وُدِّي صَبْرَتْ لَهُ
يا مَنْ تُعَمَّرُ مِنْهُ بَيْتٌ باطنِهِ
يا مَنْ لَهُ مِنْ وِدادِي كُلِّ خالِصَةٍ
أصيحُ إلى القولِ واسمِعْ ما أقولُ قَلِي
قد كُنْتُ رِيحانةَ العَيْشِ التي بَسَقْتُ
فصوِّحتُ وذَوَى الغِصنِ الرُّطِيبِ فلا
ولا مَعاجٍ على سِقْطِ اللُّوى وبه
ولا على طَلَلِ دَمْعٍ يُراقُ ولا
خُذها عَقيلةً فَكَّرِ بنتَ ليلِتيها
واسلَمْ على حالِتي وُدٌّ وصِدقٌ ولا

وكان له غلام تُعَصَّرُ من شمائله سُلَافَةُ اللُّطَافَةِ، هَمَّتُهُ^(٦) في خِدْمَتِهِ خِفَّةُ النِّشاطِ إلا
أردافه، أخلَى من ظَفَرِ عَاني، وألذُّ من حديثِ الأمانِي، لو قيل للحُسنِ تَمَنُّ المُنَى تَمَنَى
أنه مثله، لشَغَفَهُ به سَلَمٌ له قلبه، فسَرَى به رَبَطَهُ وَحَلَّهُ، فسَلَبَهُ منه الزمانُ أبو البدائع،

(١) اللمم: ما دون الكبائر من الذنوب.

(٢) المذق: الخلط.

(٣) رضوى: جبل بالمدينة قرب ينبع. (معجم البلدان ٣/٥١).

(٤) صوحت: شققت.

- حزوى: موضع بنجد في ديار تميم. وقيل: جبل من جبال الدهناء. (معجم البلدان ٢/٢٥٥).

- ذو سلم: موضع بالحجاز. وقيل: واد ينحدر على الذنائب، والذنائب: في أرض بني البكاء على طريق البصرة إلى مكة. (معجم البلدان ٣/٢٤٠).

(٥) البان: موضع من يمين طريق المصعد من الكوفة على ميل من أفاعية. (معجم البلدان ١/٣٣٢).

العلم: جبل فرد شرقي الحاجر يقال له أبان فيه نخل وفيه واد. (معجم البلدان ٤/١٤٧).

(٦) همته خفة النشاط: أذابت جسمه وأجهده.

وما كلَّ خَزَقٍ إِذَا وَهَى لَهُ رَاقِعٌ، فَكُتِبَ إِلَى الشَّرِيفِ أَمِيرِ الشَّامِ، يَسْتَعْدِيهِ عَلَى أَعْدَائِهِ، وَأَقْسَمَ عَلَيْهِ بِالْحَمِيَّةِ الْهَاشِمِيَّةِ الْمُؤَزَّوثةِ مِنْ آبَائِهِ، بِقَوْلِهِ^(١): [م. الكامل]

ر سَرَى بِرَوْضَاتِ الْغَرِي
نَشَّوَانٌ مِنْ كَأْسِ رَوِي
هَافِي رِيَاضِ الْخَابِرِي
م وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ السَّنِي
صِدْ سَاحَةِ الشَّرْفِ الْعَلِي
ف ابْنِ الشَّرِيفِ الْمُوسَوِي
مَ كَمِشْكَ دَارِينَ الذُّكِّي^(٢)
ر وَلِيٍّ مَوْلَانَا عَلِي
لَاهِ الْمَحَبِّ الطَّلَوِي
لِدَا مِنْ دُرُوزِي غَسَوِي^(٣)
لَا بِلْ يَدَيْنِ بِكُلِّ غِي
فَعَالَةٍ فِي كُلِّ شَيْ
فَإِلَيْهِ مِنْ بَلَدٍ قَصِي
أَوْصَاهُ فِي أَخْذِ الصُّبِي
لَا كَانَ بِالْكَأْسِ الرَّوِي
يَبْكِي بِدَمْعِ عَنْدَمِي
فِيهَا إِلَى خَلِّ وَفِي
يَأْوِي إِلَى رُكْنِ قَوِي
فَ الطَّاهِرِ الشَّيْمِ الزُّكِّي
فَ بِكُلِّ أَبْيَضٍ مِخْدَمِي^(٤)
كَ فَجُذِبَ مِنْ غَيْرِ لِي^(٥)

بِاللَّهِ يَا نَشَرَ الْعَبِي
طَافَ الْمَشَاهِدَ وَأَثْنِي
وَأَقَامَ بِالزُّورَاءِ مِثْنِي
مُتَنَزِّلِ الْآيِ الْكَرِي
إِنْ جِثَّتْ رَنَعَ الشَّامُ فَاثْنِي
أَغْنِي الشَّرِيفَ ابْنَ الشَّرِي
مُتَحَمُّلاً عَنِّي السُّلَا
لِجَنَابِ مَوْلَانَا الْوَزِي
ثُمَّ اشْرَحَنْ مِنْ حَالِ مَو
مَاذَا لَقِي فِي ثَغْرِ صِينِي
دِينُ التَّنَاسُخِ دِينُهُ
وَيَرَى الطُّبَائِعَ أَنَهَا
وَأَقَى بِمَكْتُوبِ الشَّرِي
يُوصِيهِ فِيهِ كَأْتَمَا
فَسَقَاهُ يَوْمَ فِرَاقِهِ
وَعَدَا الْحَشَا مِنْ بَعْدِهِ
فِي غُرْبَةٍ لَا يَشْتَكِي
لَا جَارَ يَخْمِيهِ وَلَا
إِلَّا إِلَى رُكْنِ الشَّرِي
حَامِي جِمَى الشَّرْعِ الشَّرِي
مَوْلَايَ لِي حَقُّ عَلَيْنِي

(١) الأبيات في خلاصة الأثر ١٥٣/٢-١٥٤ .

(٢) دارين: فريضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند. (معجم البلدان ٤٣٢/٢).

(٣) صيدا: مدينة على ساحل بحر الشام شرقي صور. (معجم البلدان ٤٣٧/٣).

- الدرورزي: يقصد به فخر الدين الثاني ابن قرقماس من آل معن (٩٨٠-١٠٤٤هـ): من أكبر أمراء آل معن، من دروز الشوف بلبنان. ناوا حكومة الأستانة، واستولى على مدن كثيرة، فامتدت سلطته من حدود حلب فلبنان إلى حدود القدس غرباً، وطمع بالاستيلاء على دمشق والقدس، فقبض عليه العثمانيون مع ولدين له، وأمر السلطان بقتلهم. (الأعلام ١٣٧/٥-١٣٨).

(٤) المخدومي: نسبة إلى مخدوم، وهو سيف للحارث بن أبي شهر الغساني.

(٥) اللتي: الجدل.

بِوَلَاءِ حَئِدْرَةَ الْوَصِيِّ أَخِي النَّبِيِّ الْهَاشِمِيِّ
لَا تُهْمِلُنْ مِنْ أَخْذِ ثَا رِي مَنْ كَفُورٍ بِالنَّبِيِّ
وَابْعَثْ إِلَيْهِ مَقَانِبًا فِيهَا الْكَمِيُّ عَلَى الْكَمِيِّ^(١)
لَوْ حَارِبَتْ جُنْدَ الْقَضَا ۚ ثَنَّتْ سُورًا عَنْ مُضِيِّ
جَرَافَةً لَمْ تُبْقِ فِي أَطْلَالِهِ غَيْرَ الثُّؤْيِيِّ
وَأَشْيَعِثْ يَنْعِي الدُّيَا رَ مَعَ ابْنِ دَايَةَ فِي السُّعِيِّ

قلتُ: هذا بُرْدُ سَابِرِيِّ^(٢) أو سحرٌ سَامِرِيِّ، تجري منه مياه الفصاحة، وتزهو من مَحْيَاهُ أنوارُ الملاحاة، وفيه نَفْحَةٌ عَلَوِيَّةٌ، وشكَايَةٌ من ابنِ مَعْنٍ، وهو من الطائفة الملحدة القائلين بالتناسخ، على رأي الحاكم بأمر الله، ويقال لهم: دُزْزِيَّةٌ نسبةً لحسين الدُّزْزِيِّ، وهو صاحب دعوة الحاكم، ومعنى الدُّزْزِيِّ: الخيَّاط.

وقوله: «الوصي» هو علي رضي الله عنه، زعم الشيعة أن النبي ﷺ أوصى بالخلافة للإمام علي رضي الله عنه حين تأخى معه في غدير خُم^(٣)، وهو أمر مخالف لأهل السنة، إلا أن ممدوحه كان يقول بذلك، فجرى في شعره على مُعْتَقَدِهِ، والله أعلم بالسرائر.

وقوله: «لو حاربت» غُلُوٌّ كان ينبغي تركه.

و«العري» موضع بالكوفة، دُفِنَ فِيهِ عَلِيٌّ كَرَمَ اللهُ وَجْهَهُ.

و«الثُّؤْيِيُّ» بضم النون والهمز، جمع نُؤْيٍ، وهو ما يُحْفَرُ حَوْلَ الْخِيَابِ حَتَّى لَا يَدْخُلَهُ الْمَطَرُ.

والمراد «بأشيعث» تصغير أشعث، الوَيْدُ؛ لَأَنَّهُ يَشْعَثُ إِذَا دُقَّ.

«وابن دَايَةَ» كُنْيَةُ الْغَرَابِ، وَالْمَرَادُ أَنَّهُ لَا يَبْقَى لَهُمْ أَثْرًا.

ومما أنشدنيه قوله، وقد أرسلها من الروم إلى الشام^(٤): [م. الكامل]

أَنْسَيْمَةَ السَّرُوضِ الْمَطِيرِ بِالْعَهْدِ فِي زَمَنِ السَّرُورِ
وَأَنْبِيَقَ أَيَّامِ الشُّبَا بَ وَعَيْشِهِ الْعَضُّ النَّضِيرِ

(١) المقانب: جمع المقنب، وهو من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين.

- الكمي: اللابس السلاح. وقيل: هو الشجاع المقدم الجريء، كان عليه سلاح أو لم يكن.

(٢) السابري: ثوب رقيق جيد.

(٣) غدير خم: بين مكة والمدينة، بينه وبين الجحفة ميلان. (معجم البلدان ٤/١٨٨).

(٤) ذكر المحبي في خلاصة الأثر ٢/١٥١، مطلع القصيدة قائلاً إنها قصيدة مشهورة:

(سارت في البلاد وطارت في الآفاق لحسن ديباجتها وكثرة رونقها، وكان أرسلها من الروم إلى أصحابه من العلماء والأمراء المقيمين بدمشق).

بي يا لَمَفْهَدِهَا الْخَطِيرِ
 بْ وَشَرْخُهُ فِيهَا سَمِيرِي
 دَاعِي الصَّبَاحِ الْمُسْتَنْيرِ
 أَغْقَابِ بَرْقِ مُسْتَطِيرِ
 بِعِ فِيهِ حَسَّانَ الْبُدُورِ
 رِيَّانَ مِنْ مَاءِ الْغُرُورِ
 وَحُبَّالَةَ الظَّنْبِي الْغَرِيرِ
 غَنَاءُ صَافِيَةَ الْغَدِيرِ
 هُ الرُّودُ مِنْ رِيَمِ الْخُدُورِ^(١)
 كَأَخِي الرَّشَا أَخْتِ الْغَرِيرِ^(٢)
 أَبْهَى مِنْ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ
 ثَبَّ وَالنُّحُورَ مِنَ الثُّغُورِ^(٣)
 بَ الرُّوقَ حَسَّانَ الْحَبِيرِ
 فِيهَا رَوْعَةُ الظَّنْبِي النَّفُورِ
 الْحَاظِهَا ضَعْفُ الْفُتُورِ
 مِنْ دُرِّ مَذْمَعِهَا النَّثِيرِ
 مُمْ مِنَ التَّرَائِبِ وَالنُّحُورِ
 أَنْفَاسُ تَضَعْدُ بِالزَّفِيرِ
 أَحْشَاءُ نِيرَانِ السَّمِيرِ
 يَا نَسْمَةَ الرُّوضِ الْمَطِيرِ
 قِي عَلَى الْخُورَنْقِ وَالسُّدِيرِ^(٤)
 فَهَ زَائِرِ أَوْفَى مَزُورِ^(٥)
 هَ مِنْ أَخِي شَجِنِ أُسِيرِ^(٦)
 هَ وَالصُّرَاةِ عَلَى شَفِيرِ^(٧)

وَوَثِيقَ أَيَّامِ التَّصَا
 وَمَعَاهِدِ كَانِ الشُّبَا
 هَوَمْتُ فِيهِ فَصَاحِ بِي
 فَطَفِقْتُ أَنْظَرُ مِنْهُ فِي
 قَدْ كَانِ حَسَّانَ السَّمَا
 أَيَّامَ غُصْنِ شَبِيبَتِي
 وَذُؤَابَتِي شَرَكِ السَّمَا
 حَيْثُ الشُّبَيْبَةُ رَوْضَةُ
 فَتَاءُ رَائِدُهَا السَّمَا
 مِنْ كُلِّ مُخْطَفَةِ الْحَشَا
 طَلَعَتْ بَلِيلِ ذَوَائِبِ
 بِيضَاءِ وَشَحَّتِ التُّرَا
 فَكَسَى مَعَاظِفَهَا الشُّبَا
 تَمَشِي أَنَاءَ الْخَطُورِ
 قَوِيثَ عَلَى قَتْلِي وَفِي
 وَبِمَا جَرَى يَوْمَ النَّوَى
 كَالْعِقْدِ أَسْلَمَهُ النُّظَا
 وَبَوَاقِيَةِ التُّودِيَعِ وَالْأ
 وَيَدُ الْفِرَاقِ تَشَبُّ فِي الْأ
 إِلَّا سَرَيْتِ مَعَ الصُّبَا
 فَاجْتَزَتْ مِنْ أَرْضِ الْعِمَا
 وَوَقَفَتْ بِالزُّورَاءِ وَقَدْ
 وَحَمَلَتْ لِلْكَرْخِ التُّجِي
 وَنَزَلَتْ مِنْ نَهْرِ الْأَبْلُ

- (١) الغناء: الكثيرة الأغصان. الرود: الشابة الحسنة.
 (٢) مخطفة الحشا: ضامرة البطن.
 (٣) الترائب: عظام الصدر.
 (٤) الخورنق: قصر للنعمان الأكبر، كان بالعراق، السدير: بناء ذو ثلاث شعب، أو قبة في ثلاث قباب متداخلة.
 (٥) الزوراء: مدينة بغداد، قال الطفراني:
 فيم الإقامة بالزوراء لا سكنى
 (٦) الكرخ: ناحية ببغداد.
 (٧) الأبله: بلد قرب البصرة.

بها ولا ناقتي فيها ولا جملي

وأقمت في شط الفُرا
وسمعت هَيْئمة الرِّيا
وجذبت في تلك الحدا
حُفَّت بسَرُو كالقيا
ولثمت خد الروض في
وثنت عطفك والصبأ
وأيت بابل فاضطَبَّخ
يُغْنِيكَ مُثْهَمَةٌ وَمُنْ
ثم انبريت مع الجُثور
حتى نزلت على الأرا
فسقطت من أرض الحُزَا
وظلعت نَجْدًا والسدجى
ومشيت فوق عَرَارِه
وهبَّت عَوْرَ تَهَامَةِ
ونزلت في سَفْح الأرا
وسلكت من وادي العقي
وأملت فيه ذوائب الن
وهصرت بانات النقا
فحملت منها من عوا

تِ بِمُلْتَقَى العذْبِ التَّمِيرِ^(١)
ض و صَوْتِ جَائِشَةِ الخَرِيرِ^(٢)
نَقِي طَوِّقِ سَاجِعةِ الهَدِيرِ
نِ تَلْفَعَتْ خُضْرَ الحَرِيرِ
ه نَبَاتِ رَيْحَانِ طَرِيرِ^(٣)
حُ يَكَادُ يُؤذِنُ بِالسُّفُورِ
تِ بِمِثْلِ مِصْبَاحِ مَنِيرِ^(٤)
جِدَّةٌ سَنَاها عَنِ خَفِيرِ^(٥)
بِ وَحُدَّتْ عَنِ مَسْرَى الدُّبُورِ^(٦)
كَةِ أَوْ رَسَيْتِ عَلَى ثَبِيرِ^(٧)
مَى وَالْبَشَامِ عَلَى الخَبِيرِ
يُسْتَلُّ مِنْ أَثْوَابِ قِيرِ
مَا بَيْنَ حَوْذَانِ وَخَيْرِ^(٨)
وَالشَّهْبِ مَالَتْ لِلغُويرِ
كِ وَشَفَّتْ زَاهِيَةَ البَرِيرِ^(٩)
قِي مَنَابِتِ العَجَمِ الشُّكِيرِ^(١٠)
أَغْصَانِ مِنْ طَلْحِ نَضِيرِ
هَضْرَ الرُّوَادِفِ لِلخُصُورِ
لِي المِسْكَ فَاغِيَةَ الزُّهُورِ^(١١)

- (١) التميمير: الماء الطيب الناجع في الرِّي.
(٢) الهَيْئمة: الدندنة، أو الكلام غير المفهوم.
(٣) ريحان طرير: جميل حسن الهيئة.
(٤) بابل: مدينة عريقة في العراق.
(٥) مُثْهَمَةٌ: قادمة من تهامة، وهي أرض منخفضة بين ساحل البحر وبين الجبال في الحجاز واليمن.
ومنجدة: قادمة من نجد وهي قسم من الجزيرة العربية بين الحجاز والعراق، وقد أكثر شعراء
العربية القول في طيب تراهه.
(٦) الجُثُوب: ريح تهب من جهة الجنوب، ويقال: ريحها جنوب: إذا كانا متصافيين. والدُّبُور: ريح
تهب من المغرب، وتقابل القُبُول، وهي ريح الصَّبَا.
(٧) الأراك: شجر المسواك، كثير الفروع، ووادي ذي الأراك: وإد قرب مكة.
(٨) العَرَار: نبات طيب الرائحة، الواحدة عرارة. والحَوْذَان: نبات عشبي من ذوات الفلقتين، حلو طيب
الطعم. والخَيْرِيُّ: نبات له زهر.
(٩) شَفَّتْ: شاف الشيء شوقاً: أشرف ونظر، والبرير: الأول من ثمر الأراك.
(١٠) العَجَمَة: النخلة تنبت من النواة، والشكير: الغصن الغض.
(١١) الفاغية: الرائحة الطيبة.

رِ وشِمَّتِ غَالِيَةَ الْعَبِيرِ
 ١١ وَرَثَدِهِ عِنْدَ الْمَسِيرِ^(١)
 لَأَ وَانْثَنَيْتِ مَعَ الْبُكُورِ
 كَالْوَحْيِ يَخْطُرُ فِي الضَّمِيرِ
 خَوْفَ الصَّبَاحِ لَدَى الْوُكُورِ
 سَكَّةُ الْأَعْيُنَةِ عَنِ مَسِيرِ
 سَيْفًا مِنَ الشُّغْرَى الْعَبُورِ
 بِ كَأَنَّهُ كَسَفُ الْمُشِيرِ
 رَ اللَّهْوِ بَلْ مَعْنَى الشُّرُورِ
 سِ شَاطِئًا غَيْرِ الشُّطِيرِ
 دِي النَّيْرَيْنِ عَلَى الصَّخُورِ^(٢)
 مَا بَيْنَ رَوْضِ أَوْ غَدِيرِ
 رِ بِهَا السَّلَامُ بَلَا قُصُورِ
 مِ مَفِيدِ أَزْبَابِ الضُّدُورِ
 يَةِ شَيْخِ جَامِعِهَا الْكَبِيرِ
 غَةِ عُمْدَةِ الْفَتْحِ الْقَدِيرِ
 نِي الْمُعْتَفِي كَنْزِ الْفَقِيرِ
 عَتِيهَا الْمُحْكَمِ فِي الْأُمُورِ
 هِ وَالْمُنَزَّهِ عَنِ نَظِيرِ
 الدِّينِ ذَا الرَّأْيِ الْمُنِيرِ
 قَلْبَ الطُّرُوسِ مَعَ الشُّطُورِ^(٣)
 وَشَيِّ الْبَدِيعِ أَوْ الْحَرِيرِ
 فِي الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ الْغَزِيرِ
 نَلْ وَهُوَ فِي الزَّمَنِ الْأَخِيرِ
 رِ الرُّوْضِ غَيْبٌ حَيًّا مَطِيرِ

وَعَبْرَتِ دَارَيْنِ الْعَطَا
 وَازْدَدتِ مِنْ أَرْجِ الْكَبَا
 وَجَزَعَتِ وَادِي الشُّخْرِ لِي
 وَالصَّبْحُ يَخْطُرُ فِي الدَّجَى
 وَالنُّسْرُ فِيهِ وَقَعُ
 وَكَوَاكِبُ الْجُوزَاءِ مُنْمُ
 خَافَتْ سُهَيْلًا فَانْتَضَتْ
 وَالنَّجْمُ يَهْوِي لِلْفُرُ
 فَهَبَطَتْ رَبْعَ الشَّامِ دَا
 وَنَزَلَتْ بِالْوَادِي الْمَقْدُ
 وَخَطَرَتْ مِنْ بَطْحَاءِ وَ
 وَوَقَفَتْ فِي تَلِكِ الرَّبَى
 وَقَرَأَتْ سُكَّانَ الْقَصُورِ
 لِاسِيْمَا شَيْخِ الْعَلُورِ
 شَمْسِ الْهَدَايَةِ وَالذُّرَا
 كَشَّافِ أَسْرَارِ السَّبَلَا
 مُعَلِّي مَنْارَ الشُّرْعِ مُفْ
 وَرَثِيْسِيهَا قَاضِي جَمَا
 الْفَاضِلِ اللَّسِينِ الْمُفْرُ
 أَغْنِي بِهَ الْقَاضِي مُحَبُّ
 مَوْلَى أَرَاغِ يَرَاغُهُ
 بِبَدِيعِ وَشَيِّ مُخْجَلِ
 وَأَبِي الضُّيَا حَسَنِ حَلِي
 عَجَبًا لَهُ فَاقِ الْأَوَا
 أَدَبٌ يَرُوقُكَ مِثْلُ زَهْمِ
 وَمِنْهَا:

- (١) الْكِبَاءُ: عود البخور، أو ضرب منه، والرُّثْدُ: شجر طيب الرائحة من الفصيلة الفارسية، ينبت في سواحل الشام.
 (٢) النَّيْرَانُ: تشية نيرب، قرية مشهورة في دمشق، في وسط البساتين، قال عنها باقوت الحموي: أنزه موضع رأيت. معجم البلدان ٥٥٨/٤.
 (٣) الطُّرُوسُ: جمع الطرس: الصحيفة أو الكتاب.

وَمُشِيَّيْ أَرْكَانَهَا
 مِنْهُمْ جَنَابُ الطَّاءِ
 مُخَيِّي مَكَارِمِ حَاتِمِ
 وَالْمَنْجَكِيِّ مُحَمَّدِ السَّاءِ
 فَهُوَ الْأَمِيرُ ابْنُ الْأَمِيرِ
 ذَكَرْتُهُمْ الْأَنْوَاءُ ذِكْرًا
 وَكَسَاهُمْ خُلَعُ الشَّبَابِ
 وقد عارض بهذه القصيدة ما في «الحماسة»، وللناس على منوالها قصائد كثيرة، أحسنها ما للشريف الرضي: [م. الكامل]

نَطَقَ اللِّسَانُ عَنِ الضَّمِيرِ
 وَعَلَى مِثْوَالِهَا لِأَبِي بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيِّ قَصِيدَةٌ، مَطْلَعُهَا: [م. الكامل]

إِنِ الْأَلَى خَلَسَ الْخُدُورِ
 وَقَعَ الْغُبَارُ عَلَيْهِمْ
 لَمَّا مَشَيْنَ عَلَى الثَّرَى
 يَا سَائِلِي مَنْ فِي الْهَوَا
 فِيهَا الرِّضَاعُ مِنَ الْمَنِيِّ
 وَأَنْشَدَنِي مِنْ قَصِيدَةٍ أُخْرَى لَهُ: [م. الكامل]

فَاشْتَفَّهَ وَجَدًّا إِلَى سُكَّانِهِ
 فَصَبَا حَلِيفَ جَوَى إِلَى أَوْطَانِهِ
 وَرَقَّ سَوَاجِعُ هِجْنٍ مِنْ أَحْزَانِهِ
 دَرَسَتْ فَنُونَ الْعِشْقِ مِنْ أَفْنَانِهِ
 لَمْ تَدْرِ طَعْمَ الْوَصْلِ مِنْ هِجْرَانِهِ
 مَعَ الْفِيهَا وَالْعَمْرِ فِي رَيْعَانِهِ
 حَيْثُ الْعَرَارُ صَفَا إِلَى حَوْذَانِهِ^(١)
 وَالْغَانِيَاتُ يَطْفَنَ حَوْلَ مَغَانِهِ
 ذَهَبُ الْأَصِيلِ يَسِيلُ مِنْ عَقِيَانِهِ^(٢)
 عَذْبُ الْمَرَاشِفِ نَدَّ عَنْ غِزْلَانِهِ

(١) انظر حاشية الصفحة ٤٦ رقم (٨).

(٢) العقيان: ذهب متكاثف في مناجمه، خالص مما يختلط به من الرمال والحجارة، وفي أساس البلاغة: ذهب ينبت نباتاً، وليس مما يستذاب من الحجارة. (عق).

عذب يثوق إلى العذيب وبانه
للرؤم فاجثها بسود رعانِه
فيها نزول الوحي مع فزقانه
قلب الحسود علته ظلمة رانه^(١)
سح يباري الغيث في تهتانه
مسجورة الأحشاء من نيرانِه
روض تغرد في ذرى أغصانه
كالدُر يُنظّم في سُموطِ جمانِه
روض ابن بُستانٍ وحيدِ زمانِه
فلك المحيطُ فلجّ في دورانِه
لصحائف الأعمارِ في سرعانِه

هيّ اللآليء إلا أنها كليم
في الشعر لثا لها من نفسها أجم^(٢)
كالأنجم الزهرِ عقداً ليس ينقصم
الحاظها سقم في أنفها شمم

مغاني الهوى فيها مغاني أحبتي
تطارحها ذكرى عهد برنوة^(٣)
خلال سما روضاتها كالمجرة
فتضفي له الوزقاء من فوق أيكه

فجری التسیم عليه يسمع ما جرى
وكان تحت الماء سراً مضمراً

لجنيه بلال حيرت فكري
غير الأديب إليها غير مفتقر

بيننا تردّد فيه من عذب إلى
مع صفو عيش إذ رمثها نيّة
هبطت بها الأقدار أرضاً لم يكن
سوداء مظلمة الرحاب كأنها
فغدت تئوخ على البلاد بمذمع
مأسورة القلب المعنى من جوى
تبكي إذا ذكر الحمى حيث الحمى
تنفك تنثر لؤلؤاً من أدمع
حتى ترى روض الحمى أو تجتلي
ذو رتبة في المجد رام بلوغها الـ
سبقت فاستعدى علينا طاويأ

وله من أخرى: [الكامل]

لي فيكم كدراري الأفق سائرة
من كل شامخة العرنيين تحسبها
تبقي على صفحات الدهر خالدة
أو غادة حسنها قيد التواظير في

وله من أخرى: [الطويل]

جمى الشام جاد الغيث ما حلّ تربه
وباتت بأغلى الثيربين مع الصبا
على نهر خضباؤه الشهب قد جرى
يجابو تسجاع الحمام خريره

ولله ذر أبي الحكم، في قوله في هذا المعنى: [الكامل]

وتحدث الماء الزلال مع الحصى
فكان فوق الماء وشياً ظاهراً

وقوله من أخرى: [الكامل]

يياض طرس جرى ذوب النصار على
كاللؤلؤ الرطب إلا أنها فقر

(١) الزان والزين: هو ما غطى على القلب وركبه من القسوة للذنب بعد الذنب.

(٢) الأجم: الحصن، ويقال: الموت لا تنجو منه الأسد في الآجام.

(٣) انظر حاشية الصفحة: ٤٧ رقم (٢).

ومنها في السفن:

لكنها من بناتِ الماءِ والشَّجَرِ
إلا نُجومُ اللَّيالي مَوْضِعَ الغُرَرِ
وَأَتَّقِي حادِثَ الأَيامِ والضَّررِ

ركائبٌ ليس تَرْضَى بالجديلِ أبا
شُمَّ العَرَائِينِ دُهمَ ما بها وَضَحْ
مازلتُ أَجِدُفُ طُوفانَ الخُطوبِ بها
ومنها:

فقد علته بمدح فيك مُبتَكِرِ
برَبْوَةِ الشَّامِ في رَوْضِ عَلي نَهَرِ

خُذها فَدَتِكَ نفوسُ الشَّعرِ قاطِبَةً
طائِيَّةُ الأَصلِ إِلا أَنها نَشأتُ

ورأى نيلوفر^(١) صدفاً لدرّ السحاب، وحققة^(٢) لجوهر الندى المذاب، كأنها بوثقة
أذاب بها الجوُّ نضاره، أو كأس في يد مضطجح يُداوي بها خماره، أو مقلّة صبّ كئيب
قد فجأه على الغفلة الرقيب، بعد ما امتلأت بدمع الهوى، وتردد فيها الدمع من خيرة
النوى، وقد طفا عليها الماء الزلال، فبلغ حافاتها وما سال، بل لخشية فراقها، تشبّت
بأهداب أوراقها، فقال مضمناً وأجاد: [الوافر]

تَجُمُّ الماءِ خَشِيَّةً أن يُراقا
وصارت كلها للدمع ماقا^(٣)

ونوفرة كعين الصبّ شكري
ذكرت لها النوى يوماً ففاضت

«وشكري» بشين معجمة بمعنى ممتلئة، وهو من قصيدة للمثنبي، أولها: [الوافر]

فصلوت..... إلخ^(٤)

نظرت إليهم والعين شكري
وأنشدني له أيضاً: [الرمل]

فانبَرَتْ أَجفانُه تَذري الدُموعا
هَبَّةَ المِضباحِ في الليلِ ذَريعاً
وَأتى الرُّومَ سَري الأيمِ جزوعاً
خَفَقانَ القلبِ قد أَمسى مَروعاً
وسَناهُ طارَ في الجوّ رَفيغاً
فارَقَ الأوطانَ مثلي والرُّبوعاً
من غزالِ راحِ للوصلِ مَنوعاً
ومَهارةَ الرَّمَلِ جيداً أو تَليغاً^(٥)

شامَ بَرَقَ الشَّامِ بالرُّومِ خدوعاً
هَبَّ من عَلياً دِمَشقِ مُوهِناً
جَزَعَ الأفاقِ في هَبِّتِه
خَفَقَتْ راياتُه في أَفقِه
وقَعَتْ شَعلتُه وَسَطَ الحِشا
ليس يذري وَقَعها غيرُ شَج
أو مُعَنى بِهَوَى تَيَمِّمَه
يُخجِلُ الشَّمسَ سَناً وسَناً

(١) النيلوفر: ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة.

(٢) الحققة: وعاء صغير من خشب.

(٣) نقل المحبي في خلاصة الأثر هذا النص ووردت «سكري». «وحققة لدر الندى المذاب». انظر الخلاصة ١٥٣/٢.

(٤) ديوانه: ٢٧٩.

(٥) جيد تليغ: عنق طويل.

أشهر الجفن خلياً عن كرى
 كيف يكرى ناظر فارقه
 وشباب شزخه مقتبلاً
 لم يكن إلا كحلّم وانقضى
 أزمعت حشرته لا تنقضي
 لست أرضى منه بالسفياً له
 والذي هاج الهوى قمرية
 كلما ناخت على أفنائها
 وإذا عنت له عنت له
 يا سقى الله جماها وإبلاً
 حيث ربح اللهو منه أهل
 كل رويد لبست شزخ الصبا
 كم لنا فيهن من بهنانية
 لست أنسى ساعة التوديع إذ
 وهي تذري لؤلؤاً من نرجس
 علقث ذيلي وخائتها الهوى
 وأفاقت وبها حرّ الجوى
 لا رعى الله المعالي مطلباً
 كنت لي بدرأ منيراً فاختمني
 وشباباً لاح بزقاً عندما
 أيها الظاعن والقلب على
 لا تكن للعهد بعدي ناسياً
 وهي طويلة، ذكر فيها تغرّبه بالروم، واشتياقه للشام.

مقلّة لا تطعم النوم هجوعاً
 ناضر العيش من الليل هزيعاً
 كان للصب لدى الغيد شفيعاً
 أو خيال في الكرى مرّ سريعاً
 آه ما أسرع ما ولى زميعاً^(١)
 وسحاب الجفن يشقيه النجيعاً^(٢)
 بالضحى تهتف بالأيك سجوعاً
 هاجت الصب غراماً وولوعاً
 ذكر الشام فزادته صدوعاً
 مسبل الطرف من الغيث هموعاً^(٣)
 والغواني في مغانيها جميعاً
 وهوى إن تدعه لبي مطيعاً
 ولع القلب بها خوداً شموعاً^(٤)
 وقفت في موقف البين خضوعاً
 فوق وزد كاد طيباً أن يضوعاً
 فانشنت من وقفة البين صريعاً
 ثم قالت وشكث دهرأ خدوعاً
 كم نرى صباً بها مغرى ولوعاً
 في سرار بعد ما سرى طلوعاً
 أشعل الرأس سنأ راح سريعاً
 إثره مذ سار مازال هلوعاً
 يا حياتي واغطفن نحوي رجوعاً

(١) الزماع: السرعة والمضاء في الأمر والعزم عليه.

(٢) النجيع: دم الجوف، يقال: طعنة تمج النجيع.

(٣) غيث هموع: ماطر سيال.

(٤) البهانة: الخفيفة المرححة في هدوه ولين، الخوذ: الشابة الناعمة الحسنة الخلق، الشموع: اللعوب الطروب.

٥- محمد بن قاسم الحلبي

يتيمة الدهر، وبيضة البلد^(١)، ممن نزلت فضائله بين العلياء والسند، أخ لمن تجببه الدهر شقيق، حرّ العرض على أنه عبد الصديق، فكم له من يد خضراء تنبثها يد بيضاء، كما اخضرت الهضاب، من أبيض نسج خيوط السحاب: [البيسط]

تَمُدُّ الْآفَاقُ بِيضَ خِيوطِهِ فتنسجُ منها للثرى حُلَّةً خَضْرَاءَ
وله شعر راق بجيد الدهر عقده، وعذب على لسان الدهر المحلى بالفصاحة وزده، وزها في يانع رياضه البهية شقيقه ووزده، مع فضل حلا في أفواه الليالي ثناؤه، وأضاء في دجى المشكلات سنأه وسناؤه: [البيسط]

له صحائف أخلاق مَهْدَبَةٌ منها الحجى والعلا والفضل يُنْتَسَخُ
وكانت أخباره تغدو على مسامعي، فتشوق إلى لُقياه أجفان عيون مطامعي، حتى لقيته بالروم، فاهتزت به أعطاف المسرة، ونلت به ما هو للروح قوت وللطرف قرّة، وعود الدهر المورق يختال في غلائله، وفينان روضه كأنما سرق الحسن من بعض شمائله، بطبع أرق من بزد النسيم هلّه الشمال، وأضفى من ريق مدامة صفقها العذب الزلال، فدارت بيننا شمول آداب ظل لها ثغر الأنس باسماء، وانتظمت عقود عهود كان لها كف المودّة ناظماً، ولما لم يرض مقامه بحلب، وفطم أمّله مما أدر الدهر له بها وحلب، لأن زامر الحي لا يطرب، وما كل حاملة إذا أنتجت تُنجب، سار عنها وسلك الطريق، حتى نزل بين وادي العذيب والعقيق، فلما أخذ الله كريمته، وعوضه جنة عدن لديه، تربعت أقدام أقدامه، وقد سقط في يديه، فقعد ينتظر دعوته حتى تلقاه، وإن كان مع الركب اليمانيين هواه: [الطويل]

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه وليس عليه أن يساعده الدهر

فما دار بيننا من كؤوس الأدب، ما كُتِبَتْهُ إليه وقد قديم من حلب: [م. الكامل]

حَسْبِي مَ يَغْزُونِي صُدُودُهُ والصبرُ قد كُسِرَتْ جَنُودُهُ

سَكْرَانٌ مِنَ الْحَاظِهِ قامت على قلبي حُدُودُهُ

وَسَقِيمٌ طَرَفٍ لَمْ تَزَلْ أبداً لَوَاحِظُنَا تَعُودُهُ

بَرَقَتْ بِسِوَارِقٍ وَضَلِيلُهُ والهجرُ قد خَرِسَتْ رَعُودُهُ

٥ - محمد بن القاسم الحلبي الملقب بشمس الدين بن المنقار الحلبي ثم الدمشقي، الحنفي البارع العالم، كان من أعيان العلماء الكبار، ولد سنة: ٩٣١، وتوفي سنة: ١٠٠٥. انظر خلاصة الأثر: ١١٥/٤، ونفحة الريحانة: ٣٢٩/١، ٢٧٨/٢.

(١) بيضة الشيء: أصله، وبيضة القوم: حوزتهم وحماتهم، وفلان بيضة البلد: إذا عرف بالسيادة.

فِي كُثْبٍ أزدافِ تَسُوذُ
 والخِضْرُ أشقَمُ أم عهُودُ
 عَبَثت بِأَمالي وُعودُ
 لث فيه لاحتَرقتْ خدودُ
 يهَمِي لأحرقه وَقودُ
 بغرامه المُضنَى شهودُ
 فليس ينفَعُه جُحودُ
 دَمِعي حَيًّا يَهْمِي مَدِيدُ
 نُظِمَت على نَسَقِ عَقودُ
 بكَؤوسِنَا انفتَحَتْ وُروُدُ
 فَلَكِ المَسرَّةِ لي سَعودُ
 قد زَيْن الدُّنيا وُجودُ
 مازال في تَعَبِ حَسودُ
 وزهتْ بطلَعَتِه بُرودُ
 هِ الفضلِ حَتَّى اخضَرَ عودُ
 دةِ مُثمِراً منها وفودُ
 حتى تحلَّى منه جِيدُ
 أفكارَ إذ يَبْدُو تَلِيدُ
 بِ فكلُّها حُبًّا عَبِيدُ
 بِ ثنائِنَا أبداً خلودُ
 أذنى بَدِيهَتِه وِلِيدُ
 حتى طَلَعَتْ وَأنتِ عِينُ
 هِر زَيْنَتُه نَضِيدُ^(١)
 مَهراً تروقُ لها نَقودُ
 فالحُبُّ تُستَخلى قِيودُ
 في الدهرِ لا يَبلى جَدِيدُ
 والبوزد ما أبَدتْ خدودُ
 في ثَغْرِه منه نَضِيدُ

غصنٌ تَمِيلُ به الصُّبَا
 لم أذِرِ فاتِرُ جَفْنِه
 نَشوانٌ يَعْبثُ بي كما
 لولا مِياهُ الحُسنِ جا
 كالصُّبِّ لولا دَمْعُه
 يُخفي الهوى وعيُونُه
 بشهادةٍ ليست تَرُدُ
 فسقى رِياضَ الحُسنِ من
 زمنٍ بِجيدِ اللهُوِ قد
 إذ دَوخٌ أَنسِي يانِعُ
 والكاسُ نَجْمٌ لاح في
 يصفو فيحكِي ذَكَرَ مَنْ
 ذاك ابنُ قاسمِ الذي
 رُقِمَتْ به حُللُ العُلا
 مازال يُسقى من مِيا
 فيكاد يُورِقُ بالسُّعا
 قد كان دَهري عاطلاً
 مَجْدُ طَريفٍ يُغرقُ الـ
 يا مالِ كَأرِقُ القُلُوبِ
 بل جَنَّةٌ فيها بطيـ
 في الشَّعرِ ليس ببالغ
 قد كان فِكْري صائماً
 فالينكها عِقداً لِجيدِ الدُّ
 بِكراً يَرومُ جوابِها
 ولئن تَكُن قَيدَ الثُّهى
 فالبَسَ لِباسِ مسرَّةِ
 فأجاب، وأجاد: [م. الكامل]
 للظنبي لَفْتَتُه وجِيدُ
 والدُّرُّ يَزهُو بالذي

(١) النضيد: المرصوف المنسق.

لِ فَأَيُّ عَقْلِ لَا يَصِيدُهُ
 مِنْ حُسْنِهِ مَعْنَى يَزِيدُهُ
 عَ الْحَسَنِ فَاحْمَرَّتْ خَدُودُهُ
 لَا يَسُوعُ لَهَا وَرُودُهُ
 لِ فَنَالِ مِنْهُ مَا يُرِيدُهُ
 لِلنَّاسِ مِنْ دَمْعِي بِرِيدُهُ
 مِنْ فَعَلٍ مُثْقَلَتِهِ جُنُودُهُ
 بِنَالِ أَجْرٍ آثَرَهُ شَهِيدُهُ
 صَانِعُهُ عَنْهُ يُعِيدُهُ
 يَثُّ بِهِ وَهَلْ يُغْنِي جُحُودُهُ
 مِنْ نَفْسِهِ قَامَتْ شُهُودُهُ
 بِ الْفَضْلِ إِذْ طَلَعَتْ سُعُودُهُ
 عَ الْمَجْدِ زَيْنَتِهَا وَجُودُهُ
 مَعُ عَنْهُ وَاشْتَعَفَى حَسُودُهُ
 بِ لَيْسَ يُظْفِئُهُ وَقُودُهُ
 غَيْرِ الثَّلَا لَيْسَتْ تُقُودُهُ
 نِ بِمَا يُنْمُقُهُ فَرِيدُهُ
 يَا الْحُسْنَ قَدْ نُظِمَتْ عُقُودُهُ
 وَ كَمَا سَمِعْتَ بِهِ لَبِيدُهُ (١)
 عَ لِقَاءِ أَيَّامِ تُسْفِيهِدُهُ
 قَبْدَ كَانَ فِي أَمَلِي وَعُودُهُ
 يَفِيضُ لِلْعَافِينَ جُودُهُ
 شَى أَنْ يَفْرُقَهَا وَفُودُهُ
 مِنْ خَاطِرٍ قَدْ جَفَّ عُودُهُ
 عَهْدِ الصُّبَا جِيناً عُهْودُهُ
 لِي لَا تُلْبِيهِ عَبِيدُهُ
 مَا دَامَ مِنْ لُقْيَاكَ عِيدُهُ

وَبِوَجْهِهِ شَرَكُ الْعَقُورِ
 فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلْهُوَى
 رَوْضُ سَقَاةِ أَلَلُهُ مَا
 يَسْتَوْقِفُ الْأَبْصَارَ حَتَّى
 مَلِكُ تَحَكُّمِ فِي الْجَمَا
 وَجَرَى بِأَسْرَارِ الْهُوَى
 مَا زَالَ يَسْطُورُ فِي الْوَرَى
 حَتَّى ظَسُنْنَا أَنَّهُ
 يُبْدِي الصَّدُودَ وَكُلَّمَا
 أَتَاهُ يَجْحَدُ مَا لَقِيَ
 وَهُوَ السُّهَارُ إِذَا بَدَا
 كَضِيَاءِ مَوْلَانَا شِهَا
 مَا زَالَ يَسْمُورُ فِي سَمَا
 حَتَّى تَقَطَّعَتِ السَّمَطَا
 وَقَادَ فِكْرٍ أَيُّ خَطْطِ
 كَرُمَتْ لَهُ هِمَمٌ إِلَى
 يَزْهُو عَلَى جِيدِ الزَّمَا
 مِنْ كُلِّ سَجْعٍ مِنْ مَزَا
 وَإِذَا ذَكَرْتَ الشُّعْرَ فَهِيَ
 قَدْ كُنْتُ أَجْهَدُ فِي ابْتِغَا
 حَتَّى وَقَفْتُ لِي بِالذِّي
 فَلَقِيَتْهُ الْبَحْرَ الْخِضَمُ
 مُتَدَفِّقاً بِالْفَضْلِ تَخْ
 مَوْلَانِي عُذْرًا إِنَّهَا
 بَعْدَتْ بِقَوْلِ الشُّعْرِ فِي
 لَبِّي دُعَاكَ وَأَيُّ مَوْ
 مَا ضَرَّهُ عِيدُ نَأَى
 وَمَا أَنشَدْنِيهِ قَوْلُهُ: [م. البسيط]

(١) لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري، وهو من أشراف الشعراء، أدرك الإسلام، وتوفي بالكوفة بحدود سنة: ٦٠، له ديوان شعر مشهور. هدية العارفين: ٨٣٩/٢.

مُتَّفَعًا يَوْمَنَا بِصَخْرٍ ليس على الشَّمْسِ منه سِثْرُ
 كَأَنَّ فِي الْجَوِّ مِنْهُ كَثْرًا سَالَ عَلَى الْأَرْضِ مِنْهُ تَبْرُ
 وقوله في مליح مُصَفَّرُ العِدَارِ، كأنما خاف الدهرَ على ذهابِ حُسْنِهِ، فقيده بسلاسل
 النَّضَارِ^(١)، أو ملك الجمال بلغ كماله، فمدَّ لِمِشْكَاةٍ صُدِّغِهِ سِلسَلَةَ الغَزَالَةِ: [م.الرجز]
 لَمَّا التَّحَى تَمَّتْ مَحَا سُنُّ وَجْهِهِ وَصَفَّتْ طِبَاعُهُ
 وَغَدَا بِالطُّفِّ عِدَارِهِ قَمْرًا أَحَاطَ بِهِ شِعَاعُهُ
 ومما رَوَيْنَاهُ فِي مَعْنَاهُ، قَوْلُ الخَطِيبِ الحَظِيرِيِّ^(٢): [المنسرح]
 وَأَشْقَرُ الشَّعْرِ مِنْ لَطَافَتِهِ يَجْرَحُ لَخِظَ العَيُونِ خَدْيِهِ
 فَإِنْ بَدَأَ مَنْ يَشْكُ فِيهِ فِلي شَاهِدُ عَدَلٍ مِنْ لَوْنِ صُدْغِيهِ
 وله أيضًا: [المنسرح]
 كَأَنَّ صُدْغِيهِ فِي أَحْمِرَارِهِمَا قَدْ صَبِغَا مِنْ مُدَامِ وَجَنَّتِيهِ
 وله أيضًا: [البيسط]
 مَا أَحْمَرَ شَعْرُ حَبِيبِي أَنْ وَجَنَّتَهُ سَقَّتَهُ مِنْ صَبِغِهَا خَمْرًا وَلَا خَجَلًا
 وَإِنَّمَا لَفَحَتْ خَدْيِيهِ مِنْ كَبِدِي نَارٌ فَدَبَّتْ إِلَى صُدْغِيهِ فَاشْتَعَلَا
 ومما أَنشَدْنِيهِ قَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ: [الخفيف]
 قَدْ دَعَاهُ الهَوَى وَدَاعِي التَّصَابِي لَأَذْكَارِ الأَوْطَانِ والأَحْبَابِ
 فَآتَتْ دُونَ صَبْرِهِ مِنْ أَلِيمِ الأَ وَجِدِ نَارٌ شَدِيدَةُ الأَلْتِيهَابِ
 فَذَوَى غَضُّهُ الرُّطِيبُ وَجَفَّتْ مِنْ رِيَاضِ الصُّبَا مِيَاةُ الشَّبَابِ
 شَعْرُ المَرِّ نُسخَةُ العُمَرِ والأَيِّ أَمْ فِيهَا مِنْ أَضْدَقِ الكُتَّابِ
 فَإِذَا تَمَّ مِنْهُ مَا كَتَبَتْهُ تَرَبُّثُهُ مِنْ شَيْبِهِ بِشْرَابِ
 لَسْتُ آسَى عَلَى الصُّبَا إِنَّمَا أَذْ كُرْ حَقًّا لِأَقْدَمِ الأَضْحَابِ
 قَدْ سَقَّتْنِي عَهْوُهُ العَيْشَ صَفْرًا وَكَسَّتْنِيهِ مُونِقَ الجِلْبَابِ
 ومنها:
 بَحْرٌ فَضِلُّ لَوْ قِيسَ بِالبَحْرِ كَانَ ال بَحْرٌ فِي جَنْبِهِ كَلَمَعَ الشَّرَابِ
 مَزَجَ الفَضْلَ بِالسُّخَاءِ كَمَا مَا زَجَّ مَاءَ القَمَامِ صَفْرَ الشَّرَابِ

(١) النَّضَارُ: الخالص من كل شيء، والذهب.

(٢) الوراق الحظيري: سعد بن علي بن القاسم بن علي الأنصاري الخزرجي، أبو المعالي الوراق الحظيري، والحظير: موضع فوق بغداد، الأديب الحنفي، توفي سنة ٥٦٨، من تصانيفه: الإعراب في الأحاجي والألغاز، وله ديوان شعر زينة الدهر في عصرة أهل العصر ذيل الدمية للباخرزي هدية العارفين: ٢٨٤/١.

وإذا قيل خُلِقَ الرُّوضُ أَضْحَى الر
 ما عسى أن أَعُدَّ من مَكْرُمَاتِ
 وإذا ما الأفكارُ أَمِعِنَ فِيهَا
 أنتَ من ناظِرِ الزَّمانِ سوادِ العِيَدِ
 وَضُ طَلَقاً بِذَلِكَ الْاِنْتِسَابِ
 ضَبَطُهَا قَدْ أَغْيَى عَلَى الْحُسَابِ
 غَرِقَتْ مِنْ بِحَارِهَا فِي عُبابِ
 مِنَ وَالنَّاسِ مِنْهُ كَالْأَهْدَابِ

فصل

قوله: «شعر المرء نسخة العمر» إلخ، معنى بديع، ونحوه قولي: [الطويل]

لَعَمْرِي إِنْ الدَّهْرَ خَطَّ بِمَفْرَقِي
 أرى نُسخةً لِلْعُمَرِ سَوْدَها الصُّبا
 ونحوه قول الأَرْجَانِيِّ^(١): [البيسط]

وقد علّتْ عُبرَةُ الشَّيبِ الشَّيبَةَ لي
 كتابُ عُمَرِي اللَّيالي تَرَبَّتْهُ وما
 وللأَمِيرِ العاصِمِيِّ^(٢)، وهو شاعر معاصر للصَّاحِبِ، وإن لم يذكره في «اليتيمة»:

[م. البسيط]

تَعَجَّبْتُ حِينَ ذَاعَ شَعْرِي
 قالَتْ أَهْذا الَّذِي أَرَأَهُ
 فقلتُ لا تَعْجَبِي فَهَذا
 من بَعْدِ نَضْوِي الخِضابِ حالي^(٣)
 غَبِلُوا طاحونَةَ بَدَا لي
 غَبَارُ طاحونَةَ اللَّيالي
 قلت: لولا مشاكلة الطاحونة السابقة، ودوره معها لُقِّبَتْ هذه الاستعارة جداً.

وللغَزِيِّ^(٤): [الخفيف]

مَسَحَتْ عارِضِي وما ذاك إلا
 أنها ظنَّتِ المَشِيبَ عُباراً

(١) الأَرْجَانِيُّ: أحمد بن محمد بن الحسين الأَرْجَانِيُّ - بفتح الهمزة وتشديد الرّاء وفتح الجيم - وأرجان: كورة من الأهواز، أبو بكر، كان قاضياً، ولد ٤٦٠، وتوفي ٥٤٤، وله ديوان شعر مشهور. هدية العارفين: ٨٤.

(٢) الأمير العاصمي: عاصم بن الحسن بن محمد العاصمي البغدادي الشاعر، توفي سنة ٤٨٢، له ديوان شعر. هدية العارفين: ٤٣٥.

(٣) نضا الشيء: نزعه وألقاه، يقال: نضا الثوب عنه.

(٤) الغزي: أبو الطيب بن محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي، يتصل نسبه بعامر بن لؤي، كان في زمانه أبلغ الشعراء، وشعره من أجود الشعر، انتفع في علوم الأدب بالقاضي محب الدين جد مؤلف الخلاصة، وتفقه على الشهاب العيثلوي، توفي في دمشق سنة: ١٠٤٢. انظر خلاصة الأثر: ١/١٣٥، ونفحة الريحانة: ١/٨٥.

وقال العماد^(١): تشبيه الشيب بالغبار حسن، وكنت أظن أنني ابتكرته في قولي:

[م. الكامل]

ليلاً الشباب تولى والشَّيْبُ صُبْحُ تَأَلَّقُ
ما الشَّيْبُ إلا غُبَارٌ من رَكْضِ عُمْرِي تَعَلَّقُ

قال: وشبهته أيضاً بالتثريب، في قولي: [الخفيف]

أصدوداً ولم يصدَّ التَّصَابِي ونِفَاراً ولم يَرُعْكَ المَشْيَبُ
وكتابُ الشَّبابِ لم يَطْوِه الشَّ وقُ ولا مَسَّ نَقْشَه تَثْرِيْبُ
ولمحمد القيسراني^(٢): [الكامل]

لا تُنْكَرِي وَضَحاً لِبِسْتِ قَتِيرَهُ رَكْضُ الزَّمَانِ أثارَ هَذَا العِثِيرَا
وقوله: «كنت أظن أنني ابتكرته» عجيب منه، مع قول ابن المعتز^(٣): [الكامل]

صَدَّتْ شَرِيرٌ وَأَزْمَعَتْ هَجْرِي وَصَعَتْ ضَمَائِرُهَا إِلَى العَدْرِ
قَالَتْ كَبِرَتْ وَشَبَّتْ قَلْتُ لَهَا هَذَا غُبَارٌ وَقَائِعِ الدَّهْرِ

وهو مسطور في «ديوانه» وقد تابعه عليه كثير من الشعراء وتطفل عليهم العماد،

لكنه طفيلي، وقد حذا حذوه في قوله: [الكامل]

إذا كتب الشبابُ سطورَ منك وأثربهنَّ كافرُ المَشْيَبِ
فيا أسفي وما أسفي وحزني سوي طيِّ الصَّحيفةِ عن قريبِ

على ذكر التثريب، فما أحسن قول الطغرائي في وصف كتيبة من قصيدة له:

[الطويل]

عليها سطورُ الضربِ تُعْجِمُهَا القنا صحائفُ يغشاها من النقعِ تَثْرِيْبُ
وللمهذب الموصلي^(٤): [الكامل]

(١) العماد الكاتب: محمد بن أبي الفرج محمد بن أبي الرجا، أبو عبد الله الكاتب الأصبهاني الأديب الشافعي، ولد سنة ٥١٩، وتوفي بدمشق سنة ٥٩٧، من تصانيفه: البرق الشامي وخريدة القصر وجريدة أهل العصر في ذيل الدمية، وديوان شعر، وغيرهم. انظر هدية العارفين: ١٠٥/٢، والخبر المذكور في الخريدة: ١٤١/١.

(٢) محمد القيسراني: محمد بن طاهر بن علي، المعروف بابن القيسراني، ولد سنة ٤٤٨، وتوفي سنة: ٥٠٧ في بغداد، له من النصائيف: كتاب أسامي اشتمل عليه الصحيحان، وكتاب أطراف أحاديث أبي حنيفة، وتاريخ أهل الشام، وغيرهم كثير. هدية العارفين: ٨٢/٢.

(٣) ابن المعتز: عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد العباسي، الأديب، ولد سنة ٢٤٧، وتوفي قتيلاً سنة ٢٩٦، وله من الكتب: البدائع، الآداب، الجوارح والصيد - السرقات، وغيرها. هدية العارفين: ٤٤٣/١، والأبيات في ديوانه: ٣٣٧.

(٤) المهذب الموصلي: خضر بن عطاء الله بن محمد الموصلي، توفي سنة: ١٠٠٧، له أرجوزة في فضل أهل البيت، الإسعاف بشرح أبيات القاضي والكشاف، وأنموذج العلوم، والفوائد النظرية في:

تُرْدِي الكتائبَ كُتْبُهُ فَإِذَا غَدَتْ لَمْ تَدْرِ أَنْفَذَ أَسْطُراً أَمْ عَسْكَراً
لَمْ يُحْسِنِ الإِثْرَابَ فَوْقَ سَطُورِهَا إِلا لَأَنَّ الْجَيْشَ يَغْقِدُ عِثْرًا
وَمِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ الأَثِيرِ^(١) :

صَدَرَ هَذَا الكِتَابُ وَالْفَتْحُ غَضُّ طَرِيٍّ لَمْ تَنْصَلْ حُمْرَةً يَوْمِهِ، وَلَا أَغْمَدْتَ سِوْفَ
قَوْمِهِ، فَسَطُورُهُ تُثْرَبُ بِمُثَارِ عَجَاجِهِ، مُمَثَّلَةٌ بِخَطِّ ضَرْبِهِ، وَإِعْجَامُ زُجَاجِهِ.

وَقَلْتُ مَعَ زِيَادَةِ حَسَنِ التَّعْلِيلِ : [السريع]

جَيْشٌ كَأَنَّ الأَرْضَ مِنْ تَحْتِهِ صُخْفٌ غَدَتْ أَقْلَامَهُنَّ الرِّمَاحُ
مُدَّ سَطْرَ الجُنْدِ عَلَى وَجْهِهَا تَرَبَّهَا النَّقْعُ فَلَاحَ الفِلاحُ
وَأَصْلُ هَذَا مَا رَوَاهُ جَابِرٌ، عَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ : «إِذَا كَتَبَ أَحَدُكُمْ كِتَابًا فَلْيُثْرِبْهُ، فَإِنَّهُ
أَنْجَحُ لِلْحَاجَةِ».

رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

وَقَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِيهِ، وَقِيلَ : إِنَّهُ مَوْضُوعٌ .

وَفِي «النَّهْيَةِ»^(٢) : مَعْنَاهُ، لِيَجْعَلَ عَلَيْهِ التَّرَابَ .

وَقَالَ الطَّبِيبِيُّ^(٣) : لِيُسْقِطَهُ عَلَى التَّرَابِ، حَتَّى يَصِيرَ أَقْرَبَ إِلَى المَقْصِدِ، اعْتِمَادًا

عَلَى اللَّهِ فِي إِيْصَالِهِ إِلَيْهِ .

وَقِيلَ : مَعْنَاهُ التَّوَضُّعُ فِي خِطَابِهِ، وَالمَرَادُ بِالتَّثْرِيبِ المَبَالِغَةُ فِي التَّوَضُّعِ . انْتَهَى .

وَمَا أَنشَدْنِيهِ : [الدوبيت]

يَا رَبُّعُ سَقَاكَ كُلُّ مُزْنٍ غَادٍ قَدْ كُنْتُ مَحَلًّا أَنْسِنَا المُغْتَادِ
هَلْ يَلْحُظُنِي الزَّمَانُ بِالإِسْعَادِ يَوْمًا فَتَعُودَ فِيكَ لِي أَغْيَادِي

= شرح القواعد النحوية، و خلاصة الأثر: ١٣١/٤، وهدية العارفين: ٣٤٧/١ .

(١) ابن الأثير: مبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، أبو السعادات مجد الدين بن الأثير الجزري الشافعي، كاتب الإنشاء بالموصل، ولد سنة ٥٤٤هـ، وتوفي سنة ٦٠٦هـ، له الكثير من التصانيف منها: الجمع بين الكشف والكشاف، والباهر في النحو، وتهذيب فصول ابن الدهان، وجامع الأصول لأحاديث الرسول، والنهية في غريب الحديث، والمرصع في اللغة. انظر هدية العارفين: ٢/٢ .

(٢) النهاية في غريب الحديث: ١٨٥/١ .

(٣) الطيبى: أحمد شهاب الدين بن أحمد بن بدر الدين الطيبى، الفقيه، الشافعي، اللغوي، الدمشقي، كان مدرساً في الجامع الأموي، ولد سنة: ٩١٠، وتوفي سنة: ٩٧٩، من تصانيفه: الإيضاح التام في تكبيرة الإحرام، وقراءة ورش من طريق الأصبهاني، والمضيد في علم التجويد. انظر هدية العارفين: ١٤٧/١ .

فائدة

قال السيوطي في «شرح السنن»^(١): «الإسعاد المعاونة في النياحة خاصة»، وفي غيرها المساعدة، وأصله من وضع الساعد على الساعد. انتهى.
وعلى هذا فالإسعاد هنا ليس مُستعملاً فيما وضعته العرب^(٢)، وإن صح على أنه مجاز مُرسل في مُطلق المعاونة، لكنّ الفصحاء يستقبحون مثله.
وقد بيّناه في كتاب قرض الشعر، المُسمّى «حديقة السحر» فانظره ثمة.

ومما أنشدنيهِ أيضاً قصيدة في تهنته بختان، واخترت منها قوله: [المتقارب]

<p>وَقِرَّةٌ عَيْنِ الْعُلَا وَالْكَمَالِ وَضَعُ نَعْلٍ مَسْعَاكِ فَوْقَ الْهَلَالِ بِمِثْلِكَ فِي الدَّهْرِ عَيْنُ الْمُحَالِ بِهِ لَبَسَ الْمَجْدُ ثَوْبَ الْجَمَالِ أَنَارَتْ بِهِ حَالِكَاثُ اللَّيَالِي^(٣) أَكْفُ الْمَكَارِمِ مِنْهُ حَوَالِ لِنَيْلِ الْأَمَانِي وَكَسْبِ الْمَعَالِي فَضْلٌ يُعَدُّ عَلَى كُلِّ حَالِ عَلَيْهَا أَسِنَّةُ سُمْرِ الْعَوَالِي بِحَيْدِ الزَّمَانِ عُقُودُ الْأَلِي</p>	<p>أَعْلَامَةُ الْوَقْتِ مَوْلَى الْمَوَالِي تَبَوُّاً مِنَ الْمَجْدِ أَعْلَى مَقَامِ فَقَدْ أَيَقُنُ الْمَجْدُ أَنَّ الْمَجِيءَ فَبُشْرَى لَكُمْ بِالْخِتَانِ الَّذِي هُوَ الشَّمْعُ إِنْ قُطَّ لَا غَرَوْ أَنْ وُظْفِرَ بِثَقْلِيْمِهِ لَا تَزَالُ وَتَشْمِيرُ ذَيْلِ لَدَى الْاِسْتِيبَاقِ وَمَا لِلنَّيْرَاعِ إِذَا لَمْ يُقَطَّ وَمِنْ بَعْدِ بَرْزِي الْعُصُونِ اازْدَهَتْ فَلَا بَرِحَتْ مِنْ مَزَايَاكُمْ</p>
--	---

فصل

في معناه للقاضي الفاضل^(٤):

الحمد لله الذي أطلعه بشيئات الكمال، وبلغه غايات الجمال، ويسره لدرجات الجلال، ونقله تنقل الهلال، وشذبه تشذيب الأغصان، وهذبته تهذيب الشجعان، وأجرى فيه سنة سن لها الحديد فنقصه للزيادة، واستخلصه للسيادة، وذرّبه للاضطبار، وأدّبه للائتيار، وألقى عنه فضلة في أطراجها الفضيلة، وقطع عنه علقه حق مثلها إلا

(١) سنن النسائي: ١٦٨/٧، والشرح في شرح الحديث رقم (٤١٩٠)، وما بين قوسين فقط هو للسيوطي.

(٢) يقال: أسعدت النائحة الثكلى: أعاتها على البكاء والنوح. أساس البلاغة (سعد).

(٣) قَطُّ: قطع أو قلم.

(٤) انظر نفحة الربحانة: ٢٧٧/١ - ٢٧٨.

تكون بمثله موصولة، فلم يزل التقليل متوفاً بالأغصان، ومُتَّبِهاً للثمر الوَسنان، ومُبَشِّراً بالثَماء، ومُيسِّراً للنشو والانتشاء.

ولابن فضل الله، في خِتان الملك الناصر: [الخفيف]

لم يُرَوِّع له الخِتانُ جَناناً
مثل ما تُنقِص المصابيحُ بالقَطِّ
وأصله قول الغزِّي: [الطويل]

مُدَّ أَصَابَ الحديدُ منه حَدِيداً
فَتَسزُدَاذُ فِي الضُّيَاءِ وَقُوداً

تمالكِ وُدِّي حينَ قَلَمْتُ رَأْسَهُ
ولابن مطرُوح^(١): [الوافر]

قياساً على الأَقلامِ والشَّمعِ والظُّفْرِ

لقد سَرَتِ البشائرُ والتَّهاني
ويصغُرُ كلُّ مُبْتَهَجٍ إذا ما
تَوَدُّ الزُّهْرَةُ الزُّهْرَاءُ فِيهِ
وَأَنَّ البَدْرَ طَارَ فِي يَدَيْهَا
وتسْتَملي من الأَفلاكِ لحناً
وتُسقى بالثُرَيَّا فِيهِ كاساً
ولكن من رَجِيحِ سلسبيلٍ
ويصغُرُ خادماً بَهْرَامُ فِيهِ
فلولاً أَنَّهُ فَرَضَ عَلَيْنَا
وَقَطُّ الشَّمعِ يُكسِبُهُ ضِيَاءً
وللصَّنَوْبَرِيِّ أَيضاً: [الوافر]

إلى الثَّقَلَيْنِ من إنسٍ وجانٍ
نَسَبْنَاهُ إلى هذا الخِتانِ
لو أَتَّخَذتْ له إحدى القِيانِ
وَأَنَّ مُراسِلَيْهَا الفَرَقْدانِ
فما قدرُ المِثَالِثِ والمِثانِي
ولا أَرْضِي لها بِثَتِّ الدُّنَانِ
بأَيْدِي عِبْقَرِيَّاتِ حِسانِ
على ما فِيهِ من بأسِ الجِئانِ
لما مُدَّتْ لِحِياتِنِه يَدانِ
وَقَطُّ الظُّفْرِ زَيْنٌ لِلبَنانِ

أرى طَهراً سِيْثَمِرَ بَعْدَ عَرَسِ
وما قَلَمَ بِمُغْنٍ عَنكَ إلا

كما قد تُثْمِرَ الطَّرَبَ المُدَامَةَ
إذا ما أَلْقَيْتْ عَنهُ القُلامَةَ^(٢)

قلت: «الطهر» بالضم، والطهور بالفتح، والتطهير كنايةات عن الختان، استعملها المُخَدِّثون، كقولهم للأعور، «ممتع» كما ذكره الثعالبي في كتاب «الكناية»، وفي كتابه المُسَمَّى بـ «مرآة المروآت»، وغيره.

ومن شعر صاحب الترجمة: [م. الكامل]

(١) ابن مطروح: جمال الدين أبو الحسن يحيى بن عيسى بن إبراهيم الصعيدي المصري الأديب المعروف بابن مطروح، ولد سنة ٥٩٢، وتوفي سنة ٦٥٤، قال السيوطي في ترجمته في حسن المحاضرة: له تصانيف في الأدب منها: ديوان مشهور. انظر هدية العارفين: ٥٢٣/١.

(٢) البيتان في نفحة الريحانة ٢٧٧/١، والشطر الأول فيه:

أرى طَهراً سِيْثَمِرَ بَعْدَ عَرَساً

نَ كَذَا تَفَرُّقُنَا سَرِيْعًا
لَ فَصِرْتُ أَنْتَظِرُ الرُّجُوعَا

فِي خَاطِرِي مِنْكَ لَا يَزُولُ
وَلَا إِلَى مَطْلَبٍ وَصُولُ

وَأَهْلُ وُدِّي جَمِيْعًا غَيْرُ أَشْتَاتِ
نَوَى بِكَيْتُ عَلَى أَهْلِ المَوَدَّاتِ
مَقْسُومَةٌ بَيْنَ أَحْيَاءٍ وَأَمْوَاتِ

لَكِن لَأَقْوَالِ العِدَى وَالْوَشَاةِ
إِلَّا وَفِيهَا مِنْ رَقِيْبٍ قَذَاةِ

وَبَاتَ مِنْ حَرِّ نَارِ الشُّوقِ فِي شُغْلِ
مِنْ صُخْبَةِ النَّارِ أَمْ مِنْ فُرْقَةِ العَسَلِ

وكتبتُ إليه في مرضٍ اغتراه، فلم أعذه لمرضٍ أصابني، فعتب عليّ، ولم يذر ما عاقني عن العيادة: سيدي ومولاي يعلم أن القلوب، وهي حصون المودة لا تفتح عنوة، والدهر لم يبق للصلح موضعاً تتمسك منه يد الأمل بغزوة: [الكامل]

وودادي كما عرفت وداي وفؤادي كما عهدت فؤادي

وصاحب البيت أذرى بالذي فيه، وأن للبيت رباً يخميه، وقد عرض من السقم ما عاق عن العيادة، وأقعدني عن القيام بأمرها وهي عبادة، وكيف يصح بدنٌ وروحه سقيمة، فلذا أنشد لسان حال المودة السليمة: [الوافر]

ضعيفاً في معالمتها نحيفاً
أجاب ملاحظاً معني لطيفاً
وعين الفضل قد أمسى ضعيفاً
بصيخته وأمنه المخوفاً

وكتبتُ مع ذلك شعراً، وعرضته عليه، وهو قولِي مُضْمَنًا: [الطويل]

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنْ يَكُو
قَدْ كُنْتُ أَنْتَظِرُ الوِصَا
وله أيضاً: [م.الرجز]

وَاللَّهِ لَوْلَا حُصُولُ مَعْنَى
مَا كَانَ بِالْعَيْشِ لِي انْتِفَاعُ
وله^(١): [البيسط]

قَدْ كُنْتُ أَبْكِي عَلَى مَنْ مَاتَ مِنْ سَلْفِي
وَالْيَوْمَ إِذْ فَرَّقْتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
فَمَا حَيَاةُ امْرِئٍ أَضَحَّتْ مَدَامِعُهُ
وله: [م.الرجز]

وَيَلِي مِنَ الْمُغْرَضِ لَا قَسْوَةَ
مَا لَاحَ لِلْعَيْنِ سَنَا وَجْهِهِ
وله مُضْمَنًا^(٢): [البيسط]

صَبَّ عَلَى الشَّنْبِ المَغْسُولِ ذَابَ أَسَى
كَالشَّمْعِ يَبْكِي وَلَا يَدْرِي أَغْبَرْتَهُ

(١) أعلام النبلاء: ٢٧٨/٦ .

(٢) أعلام النبلاء: ٢٧٩/٦ .

كما زاد مدّ الثيل حتى تفجراً
فقالوا سلا عن حُبنا وتَسْتَرَا
ولو شئت أن أبكي بكيث تفكراً

وحنيني كما ترؤن حنيني
زاد عن فكرتي ففاضت عيوني

وقولي، ناسجاً على منوال شعر الزمخشري المشهور: [الطويل]

جرت من مآقيه ولم تك غائضه
بخاطره أمست من العين فائضه

وهو: [الرجز]

حتى يخوضوا في حديث غيره
تلقاه فيه قد جرى بخريه

وقى فشقى امرأ دنفاً ضعيفاً
ألم به وصار له حليفاً
على طول المدى برا رؤفاً
وأوفى من عيادته ألوفاً
يزل يكسى به الفضل الشفوقاً
بطلعته من الدهر الصروفاً

مولاي، فكري الكليل عليل، والاستقصاء في مجازة سيدي ما إليه سبيل،
وسلامتكم غاية المسؤول، والعدر عندكم إن شاء الله تعالى مقبول، والسلام.

وقال جواباً عن كتاب: [الكامل]

ملا النفوس مسرةً بقُدومه
وثملت بالجزيال من مفهومي^(١)
إسعاد هذا العبد من مخدومه

بمَحْيَاهُ يُخَجِلُ الأَقْمَارَا
كان فَرْخاً وحين ريش طارَا

يزيد اشتياقي نحو مصر وأهلها
أذاب الثوى صبري وأفتى مدايمي
ولم يبق لي إلا تفكر نيلها
وقولي أيضاً: [الرمل]

إن وجددي بمصر وجد قديم
لم يزل في خيالي الثيل حتى

وقائلة ما هذه الأبحر التي
فقالوا لها أنهار مصر التي ثوث
ثم عن لي معنى آخر، حال الكتابة، وهو:

لحديث نيلك مصر أضحي مضغياً
يا كوثر إن سد عنه مسمعي
فأجاب، أبقاه الله: [الوافر]

أتثني رُقعاً من ذي ولاء
أبانت منه معذرة بسقم
وشاطرنى السقام ولم يزل بي
وذاك أبر في سنن التّصافي
تقيه السوء نفسي فهو من لم
شهاب ثاقب محت الليالي

مولا، فكري الكليل عليل، والاستقصاء في مجازة سيدي ما إليه سبيل،
وسلامتكم غاية المسؤول، والعدر عندكم إن شاء الله تعالى مقبول، والسلام.

وقال جواباً عن كتاب: [الكامل]

ورد الكتاب مبشراً بقُدوم من
فطربت بالأشجاع من منطوقه
وسجدت شكراً عند مورده على

وقال أيضاً: [الرمل]

قال لي العاذلون لم ملت عمّن
قلت كان الفؤاد عُشاً له إذ

(١) الجزيال: الخمر، أو صبغ أحمر.

وقوله، رباعية^(١): [الدوبيت]

يا جِيرَتَنَا فِي حَلَبِ الشُّهْبَاءِ من يوم فِرَاقِكُمْ سُرُورِي نَاءِ
قَدْ مِتُّ لِبُعْدِكُمْ غَرَاماً وَأَسَى لَقَدْ غَلَطاً أَعَدُّ فِي الْأَحْيَاءِ

٦- الأمير أبو بكر الحلبي

المعروف بابن حلالا .

أمير جيشه الهمم، وبحر تغترف منه الدِّيم، تسكر من الفاظه المُدَام، فإذا ساقط
الحديث سقاط الدرُّ أسلمه النظام، أو بدأ روض أدبه قامت له الأغصان في الرياض على
الأقدام.

رجيب ساحة الصدر، وصليب قناة الصبر، لم يعقد حَبْوَةَ رأيه إلا بيد الحزم، ولم
يحلل الدهر ما عقده إلا براحة العزم، فلا يأكل الطيش حِلْمَه، ولا تحل يد التوائب
حزمه.

أدبه أرق من دمع السحاب، وأضفى من ماء الحُسن في رياض الشباب، إلا أنه
اقتصر عليه، وجعل جملة متاعه في يديه، والأدب روضة ذات أفنان، لا تزهو إلا إذا
كانت ذات أنواع وألوان؛ فلذا قل ما روي شِعْرُه من ماء النَّضَارَة، واكتسى عُصْرُ لفظه
ورق الغضارة، ولم يحضرني منه الآن غير قوله: [الوافر]

أيا بَحْرًا غَدَوْنَا مِنْ نَدَاةِ نُقَدِّمُ بَعْضَ أَنْعَمِهِ لَدَيْهِ
كَذَاكَ الْبَحْرُ يَنْشَأُ مِنْهُ غَيْثٌ وَبَعْضُ سَحَابِهِ يُهْدِي إِلَيْهِ
وهذا معنى مشهور، في معناه قول البديع^(٢): [الكامل]

أهدي لمجلسك الشريف وإنما أهدي له ما حُرِّثَ مِنْ نَعْمَانِهِ
كالبحر يُمطره السحاب وماله مَنْ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ مَائِهِ^(٣)
وقد ضمَّه بعضهم، ونقله من الجد إلى الهزل، فقال: [م. الكامل]

يتبادلان فيُنْصَفَا ن وليس بينهما ارتياب
فيُصِيبُ هَذَا مَاءَ ذَا كَالْبَحْرِ يُمَطِّرُهُ السَّحَابُ
وقد حضرني في معناه، ما كتبه مع سمك أهديته: [م. الرجز]

(١) انظر أعلام النبلاء: ٢٧٩/٦ .

(٢) البديع الإسطرلابي: هبة الله بن الحسين الإسطرلابي المعروف بالبديع، المتوفى سنة ٥٣٤، من تصانيفه: درة التاج في سفر ابن الحجاج، ودبوان شعر، والمعرب المحمودي في الريح - انظر هدية العارفين ٥٠٥/٢، ومعجم الأدباء ٢٧٣/١٩، وفوات الوفيات: ٦١٤/٢ .

(٣) البيتان في خلاصة الأثر: ٨٨/٣، وفوات الوفيات ٦١٥/٢، ونفحة الريحانة: ١١٥/٤ .

أَهْدَيْتُ حَوْتاً نَحْوَ مَنْ فَاتَتْ عَزَائِمُهُ السَّمَاكَ
فَأَقْبَلَ بِحَقِّكَ عُذْرَ مَنْ أَهْدَى إِلَى الْبَحْرِ السَّمَاكَ^(١)
ومن الفصول القصار: المُهَدَّد لمن فوقه مُهَدَّد للبحرِ بالشَّرْق، وللحوت بالغرق.

٧ و٨ - إبراهيم، ومحمد ابنا أحمد الحلبي، المعروف بالملأ

هما من دَوْحَة الكمال عُضنان، بل رَوْضان أنبتهما مَرْجان، ولا أقول نَهْران فهما
بَحْران، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، كل منهما جواد يُفْرِغ الخزائن بجوده، فيملاً
بالغيظ قلب حَسُوده، طويل الباع، عذبُ الموارِد إذا ظمئت الأسماع، مُرَهَف فكره
صَقِيلُ الطَّبَع، وبحرُ كرمه متموج بهبوب نسيم ذلك الطبع، رقيق حواشي المجد، أرقُّ
من عَبرَات أسالها الوجد، وضاحُ المُحَيَّا تحمراً خجلاً منه خدودُ الحُمَيَّا.
صَنَفًا وَأَلْفًا، وَلَا حَا كَعُضْنِي بَانَةٌ^(٢) قَدْ تَأَلَّفَا.

نشأ في حجر الفضل والحسب، وبسقا في رَوْض النَّجْدَة والأدب، في زمانٍ شَمِت
فيه الجهل بالفضل، ورَقِي صَهْوَة عِزِّه كُلُّ قَدَمٍ نَذَل^(٣).

نَجْمَان بَأَيِّهَما اقْتَدَيْتَ فِي طُرُقِ الْمَعَانِي اهْتَدَيْتَ، فهما في مَغْرَسِ الْكْرَمِ صِنْوَان،
وثمراتها صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَان، وَرَوْضَا مُحَامِدَ، يُسْقِيَانِ بِمَاءٍ وَاحِد.
ووالدهما^(٤) هُمَامٌ أَلْفٌ، وَأَفَادٌ، وَعَذُبَتْ مَوَارِدُ إِفَادَتِهِ لِلرُّوَاد.

له تآليف كثيرة، منها «شرح مغني اللبيب» طرّز بتحريره حواشيه، ودخل جنّته من
أَيِّ بَابٍ شَاءَ مِنْ أَبْوَابِ الثَّمَانِيَّةِ.

فمما أنشدته لمحمد ابنه^(٥): [الدوبيت]

(١) السماكان: نجمان نيران، أحدهما في الشمال وهو السماك الرامح، والآخر في الجنوب، وهو
السماك الأعزل، والسماك الثانية جمع سَمَك وهو الحيوان البحري المعروف.

٧ و٨ - إبراهيم بن أحمد بن علي بن أحمد الحصكفي الشافعي الحلبي، المعروف بابن الملا، ولد بحلب،
ولزم المطالعة والكتابة، نظم «الدرر والغرر» في فقه الحنفية، والحصكفي: نسبة إلى حصن كيفا
وهي من ديار بكر. انظر: إعلام النبلاء ٢١١/٦، وخلاصة الأثر ١١/١.

وأخوه محمد هو: محمد بن أحمد بن علي شمس الدين الحصكفي الحلبي الشافعي المعروف بابن
الملا، ولد بحلب سنة ٩٦٧، كان كريم الخلق، حسن العبادة، كتب تاريخاً لحلب، وكان صاحب
شعر حسن، توفي سنة ١٠١٠. انظر: إعلام النبلاء ١٧٠/٦، وخلاصة الأثر ٣٤٨/٣.

(٢) البانة: ضرب من الشجر، ورقه لين، يشبه الصفصاف، ويشبهه به الحسان في الطول واللين.

(٣) القدم: الرجل القدم: الرجل ثقيل الفهم عتي.

(٤) أحمد بن محمد بن علي الحصكفي الحلبي الشافعي المعروف بابن الملا، ولد سنة ٩٣٧، كان

واحد دهره في فنون الأدب، رحل إلى القسطنطينية ثم رجع إلى حلب، فاشتغل بالتدريس
والتأليف، قتل سنة ١٠٠٣. انظر: هدية العارفين: ٢٦٤/٦، ونفحة الريحانة: ٦٥٥/٢، وإعلام

النبلاء: ١٣٨/٦، وخلاصة الأثر: ٢٧٧/١.

(٥) الأبيات من الدوبيت.

في الليل وفي النهار حَرَى كَبِدِي مقتولٌ ضَنْيَ بجائرٍ ليس يَدِي
تَرشِي عيني جواهرُ الدمعِ على لُقْيَاه تظنُّ أنه طوعُ يَدِي
وهو معنَى مُترجمٍ من الفارسيَّة، ومثله قول صاحبنا محمد القاسمي^(١):

لُقْيَاكَ سرورُ قلبي المحزونِ والوحشةُ من هَواكَ لا تغدُونِي
يا وَيْحَ عيوني خَشِيثَ شَقْوَتِهَا مني فأتتْ بَدْرُهَا ترشِينِي
وقريب منه قول ابن الرومي^(٢): [م. الكامل]

وهبَتْ له عيني الهُجوعَا فأثابَهَا منه الدُموعَا^(٣)
وأحسن منه قول الأَرْجَانِي^(٤): [البيسط]

لولا طُروقُ خيالٍ منك مُنتظِرٌ يُلِمُّ بي راقداً ما ساءَني سَهْرِي
كأنَّ جَفْنِي إكراماً لَزائِرِهِ أمسى على قَدَمِيهِ نائرُ الدُرِّ
ولإبراهيم من قصيدة، قرَّظ بها شعراً ليوسف بن عمران^(٥): [الكامل]

أطرُسُكَ هذا أم لَجِينُ مُذَهَّبٌ ونظْمُكَ أم خمْرٌ لِهَمِّي مُذَهَّبٌ
وتلك سطورٌ أم عقودُ جواهرٍ وزَهْرُ سماءٍ أم هو الروضُ مُخْصِبٌ
وتلك معانٍ أم غوانٍ تروقُ لِدُ عيونٍ وباللَّحْنِ المسامعُ تُضْرِبُ
فيا حبَّذا هذي القوافي التي بمن يعارضُها ظَفْرُ المنيَّةِ يَنْشِبُ
لقد أحكمتها فكرةُ المَعِيَّةِ فكِدْتُ لها من رِقَّةِ النِّظْمِ أَشْرِبُ
فمن غَزَلٍ قد هزَّ ذا سلوَّةِ إلى التَّ صابِي فأضحى بالغرْزِ يُشْبِبُ
فيا بحرَ فضلٍ فائضٍ بلائِيءِ لها فكرُك الوَقَادُ مازال يَنْشِبُ
ظننتُ بأنِّي للخطابِ مؤهَّلٌ فأرسلته شعراً لنظمي يَخْطِبُ
فَعُدْراً فإن الفكرَ مني مُشْتَتٌ وعقلي بأيدي حادثِ الذَّهْرِ يُنْهَبُ

وكان العِماد بينه وبين أحمد مودة صافية، وفي بعض الأحيان تجري بينهم
مداعبات وأحماض، فكتب له مرَّةً وقد رأى ميله لمُعذِرٍ كان من جملة خُدَمِهِ، ينسب
في رأي أهل المَوْصِلِ: [الخفيف]

(١) الأبيات من الدوبيت.

(٢) ابن الرومي: علي بن العباس بن جريح، أبو الحسن البغدادي مولى عبد الله بن عيسى بن أحمد
العباسي، ولد سنة ٢٢١، وتوفي سنة ٢٨٣ هـ، له ديوان شعر مشهور. انظر: هدية العارفين: ١/
٦٧٤، والفهرست: ٢٧١، ووفيات الأعيان: ٣٥٨/٣، ومعجم الشعراء: ٢٨٩.

(٣) ديوانه: ٤٣٢.

(٤) ديوان الأرجاني: ١٦٢، وقد سبقت ترجمته في الصفحة (٥٦).

(٥) خلاصة الأثر: ١١/١، ١٢.

وأولي العِلم والحِجى والكمال
 جاء رأي الهوى وحب الجمال
 فاكشفوا لي عن شبهتي وسؤالي
 الذي فاق ربة السخلخال
 ويطرف أزرى بلحظ الغزال
 بصفاء على بديع اللالي
 بذقون كأنهن المخالبي
 ناقص الحشن مضدر الأفعال
 لاح بذراً مكملاً بالدلال
 خارجاً عن مطالع الاعتدال
 لاتباع الهدى وترك الضلال
 ناجحي القصد بالغي الآمال

وهماماً سما بروج الكمال
 من نظام أزرى بعقد اللالي
 بثناء يفوق ريح الغوالي
 فاق أقرانه بحسن الخصال
 في صحيح الهوى خلا عن مثال
 رق طبعاً ففاق صفو الزلال
 ببديع الفنون أصبح حالي
 حاز لطفاً قد تم بالاعتدال
 ذق عن ذوقه فهو الرجال
 بشهبائنا رضوا بالمحال
 من بخديته جال ماء الجمال
 ولحاظ تروى عن الغزال
 ويح قلبي من قده العسال
 بذقون كأنهن المخالبي
 ناقص أجوف الحشا ذي اغتلال
 لاح لم تقصدوا هواه بحال
 آن والعهد ليس لي من مجال

ما تقولون يا ذوي الأفضال
 في أناس يزون في حلب الشهد
 قد تحيرت في هواهم زماناً
 أي ذنب للأمرد الناعم الخد
 بمحياً مثل الغزالة حسناً
 وبمضقول وجنة قد تسامت
 فلماذا تعوضوا عن هواه
 من يتيف محفف ذي اغتلال
 أفلا تنظرون مראה وجهه
 دون ذي لحية كسنته ظلاماً
 فاكشفوا شبهتي فأية داع
 لا برحتم في نعمة وسرور
 فأجابه بقوله: [الخفيف]

يا إماماً حوى فنون المعالي
 وأديباً أتى بكل بديع
 وعلى أصله المكارم جادت
 ولعمري إن العماد إمام
 ياله فاضلاً وأحسن مولى
 هدبته أيدي الليالي إلى أن
 قد أتى منه لي لطيف سؤال
 نمقته أيدي القريحة حتى
 جاء في طيه بنشر ذكي
 سائلاً عن معاشر من بني الحب
 عدلوا عن هوى صقيل المحيا
 وله بهجة بوزدي خد
 ناعم الوجنتين معسول ثغر
 فلماذا تعوضوا عن هواه
 تارة تنتحون حب يتيف
 وإذا الأمرد الجميل المفدى
 وطلبتم مني الجواب وإني أ-

والحشَا في تَحْرِقٍ واشتِعالِ
وعلى الله في القَبولِ اتكالي
حَسَنِ الوُصفِ والثَّنَا والِفِعالِ
فاق في الحُسْنِ رَبَّةَ الخَلخالِ
خاف أَنَا نُصِيبُهُ بالبَلالِ
وَجْهَهُ البدرُ ذُو البَها والجمالِ
أنه مذهبٌ من القَدحِ خالِ
قد رَقُوا في العُلا ذُرَى الآمالِ
وأثُوا بالبديعِ مِن كلِّ قالِ
زَلُ فيهِمُ وفيهِمُ كلُّ عالِ
ذو صوابٍ فارَقْتُ نَهجَ الضلالِ
فضلِ مَنْ جاءنا بهذا السُّؤالِ
وقَبولُ يُقادُ مِن غيرِ قالِ
ونعيمِ وبَهِجَةِ واقْتِبالِ
عادمِ الصَّبْرِ واجدُ البَلبالِ

كيفَ والفكرُ في خُمولِ وَهَمِّ
غيرَ أَني أقولُ قولاً وجيزاً
إِنِّي مُغرَمٌ بكلِّ جميلِ
أمرداً كان أو فَتَى ذا عِذارِ
سَيِّحِ المِسكِ وَزُدْ خَدْيِهِ لَمَّا
وتجلى من هَالَةٍ في عِذارِ
ذَا غرامِي ومذهبي واغتقادي
إذ رأينا مَمَّنْ تَقَدَّمَ قوماً
سَلَكُوا في هوى الفريقيين سِلماً
وطِباعُ الوَرَى تخالفُ فالنَّا
ها جَوابي ولستُ أَزَعَمُ أَني
فعلى الفاضل الأديبِ ملكِ الـ
العمادِ الإمامِ نَشْرُ اغتداري
دام في رِفْعَةٍ وأزَعِدِ عيشِ
ما انتَحى المُرْدَ والمُعَدَّرَ صَبِّ

٩- يوسف بن عمران الحلبي

أديبٌ نظمَ ونثر، فأصبح ذكره جمالَ الكُتبِ والسِّيرِ، أكثرَ من الرِّحلةِ والنُّقْلةِ، على تَيَقُّظٍ لا تَطْمَعُ فيه العَفْلةُ، ففاضت عليه سحائبٌ من الثَّناءِ سَكُوباً، مُزجِياً رِياحَ الشُّكرِ مما يَسْحَبُهُ الصِّبا والجُنبُ، إلا أنه في أواخره داسَتْ ساحتَه الثُّوبُ، فأحاط به الفقرُ لَمَّا أدركته حُرْفَةُ الأدبِ، فأصبح بعد التَّعِيمِ المقيمِ بُوْسُهُ أبا العَجَبِ: [السريع]

لو كان يذري المرءُ أن ابنه يُخزَمُ بالأدابِ ما أدبته
وقد صحبني فرأيتُه بِشِغْرِهِ مُعْجَباً طُروباً، إذا سَنَحَ له معنَى فكأنه قسيضُ يوسف
في أجفانِ يعقوبِ، فمدحني بعدةِ قصائدِ، وأهدى إليّ منها ما هو على أدابه شاهد،
وطلب مني يوماً تَقْرِيطَ شِغْرِهِ، فقلتُ بديهةً: [البسيط]

٩- يوسف بن عمران الحلبي: الشاعر المشهور، قال الخفاجي في ترجمته: أديب نظم ونثر، وكان أول أمره ذا تجارة ومال ونباهة، ففارق الأديب من أبناء عصره، وأقام على ذلك مدة مديدة ثم طاف بلاد الشام والقاهرة، ثم توجه إلى دار السلطنة وامتدح علماءها، وله أشياء كثيرة من معنى مبتكر، وكانت وفاته سنة ١٠٧٤. انظر: خلاصة الأثر: ٥٠٦/٤-٥٠٧، وهدية العارفين: ٥٦٦/٢، وأعلام النبلاء: ٣٣٨/٦، ونفحة الربحانة: ١٧٧/١، ٤٩٩، ٦٢١/٢.

لَشِعْرُ ذَا الْحَبْرِ بَحْرٌ فِي تَمَوْجِهِ يُهْدِي لِأَسْمَاعِنَا رَوْحاً وَرِيحَاناً^(١)
 ذُو مَنْطِقٍ سَاحِرٍ مُطَرِّ فَيَا عَجَباً لِلسُّحْرِ يُنْشِئُهُ وَهُوَ ابْنُ عِمْرَانَا^(٢)
 وَكَانَ مِنْ خَزَائِنِ الْآدَابِ نَهَاباً وَهَاباً يُطْرَبُ بِالْحَانَةِ، وَإِنْ رَجَحَ عَلَى مَنْ سِوَاهُ
 بِأَوْزَانِهِ.

فَمِنْ عَذْبِ خِطَابِهِ، وَقَلَائِدِهِ الْمُنْتَظِمَةِ فِي جِدِّ آدَابِهِ، مَا أَنْشَدْنِيهِ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ:
 [الطويل]

أَثَارَ بِأَحْشَائِي الْبِنَانُ الْمُطَرَّفُ رَسِيسَ هَوَى يَفْوَى إِذَا الصَّبْرُ يَضْعَفُ^(٣)
 وَأَرْقَنِي مِنْ حَيِّ سَلَمَى حَمَائِمُ غَدَّتْ فَوْقَ أَغْصَانِ الْمَعَاطِفِ تَهْتِفُ
 وَتَغْرُ إِذَا مَا افْتَرَّ يُبْدِي ابْتِسَامُهُ بُرُوقاً بِهَا أَبْصَارُنَا تُتَخَطَّفُ
 وَخَدُّ سَقَى مَاءِ الشَّبَابِ رِيَاضُهُ بِالْحَاطِنَا مِنْهُ جَنَى الْوَزْدِ يُقْطَفُ
 وَدِينَارٌ خَدُّ كَامِلُ الْوَزْنِ حُسْنُهُ عَلَى حُبِّهِ رُوحِي النَّفِيسَةُ تُضْرَفُ
 وَجِسْمٌ صَفَا حُسْنًا يَكَادُ أَدِيمُهُ أَلُ مُنَعَّمٌ مِنْ فَرْطِ الطَّرَاوَةِ يُرْشَفُ^(٤)
 وَقَوْلُهُ مِنْ أُخْرَى: [الطويل]

حَذَارِ تَرُومِ الْوَضَلِ مِنْ سَاحِرِ الْجَفْنِ فَكَمْ مَشْرِفِي دُونَهُ سُلٌّ مِنْ جَفْنِ
 وَإِيَّاكَ مِنْ خَطِيٍّ عَامِلٍ قَدَّهُ فَكَمْ أَتَخَنَ الْأَحْشَاءُ طَغْنًا عَلَى طَغْنِ
 أَلَا أَيُّهَا الرِّيمُ الَّذِي بَاتَ يَزْتَعِي حُشَايَةَ نَفْسِ الصَّبِّ لَا رَوْضَةَ الْحَزْنِ
 بِخَدِّكَ مَا فِي مُهْجَتِي مِنْ لَظَاهُمَا بِجِسْمِي الْمُعْتَى مَا بِخَضْرِكَ مِنْ وَهْنِ
 وَمِنْهَا:

لَسَّمْتُ لَهُ جِيداً طَلاً الظُّبْيِ دُونَهُ وَتَغْرًا لَمَاءَ الْعَذْبِ أَخْلَى مِنَ الْمَنْ^(٥)
 وَأَلْصَقْتُهُ بِالصَّدْرِ عِنْدَ عِنَاقِهِ كَمَا ضَمَّتِ الْأَخْلَامُ جَفْنَاً إِلَى جَفْنِ
 وَهَذَا كَقَوْلِ الْقَاضِي الْفَاضِلِ: [الوافر]
 فَيَا جَفْنِي فَاغْتَنِقَا انْطِبَاقاً
 وَلَهُ مِنْ أُخْرَى: [الكامل]

كَأَنَّ زَهْرَ الرَّوْضِ حِينَ تَسَاقَطَتْ

(١) في خلاصة الأثر:

لشعر يوسف بحر في تموجه

(٢) في خلاصة الأثر: (وذا عجب) ٥٠٦/٤ .

(٣) الرسيس: بقية الشيء وأثره.

(٤) أعلام النبلاء: ٣٤١/٦ .

(٥) أعلام النبلاء: ٣٤١/٦ .

يهدي لأفهامنا روحاً وريحاناً

وله من أخرى: [البيسط]

فالشَّاءُ والذُّئْبُ في أَيامِهِ اتَّفَقَا
ولو إِلَيْهَا بِالْفَيِّ مُقْلَةٌ رَمَقَا

رَبِيعُ عَدَلٍ بِهِ أَيامُهُ اغْتَدَلَتْ
لا تَخْتَشِي الطَيْرُ مِنْ مُلْقِي الشِّبَاكِ لَهَا
وفي معناه قولي، من قصيدة: [الكامل]

وليس لغير السُّمْرِ في الحربِ يَغْرِسُ
من الدُّلِّ في رَوْضِ المحاسِنِ تَنْعَسُ
وصارتُ جميعاً أَعْيُنًا لكَ تَحْرُسُ

فدَيْتُكَ يا مَنْ بالشُّجَاعَةِ يَزْتَدِي
فإن عَشِقَ النَّاسُ أَلْمَهَا وَعُيُونَهَا
فدِرْعُكَ قد ضَمَّتْكَ ضَمَّةَ عاشِقِ
ومما أنشَدنيه أيضاً قوله: [الكامل]

إلا لأمرٍ طال مِنْهُ سُهادِي
لِبِسْتُ عَلَيْهِ العَيْنُ ثُوبَ حَدَادِ

مَا إن عَصَبْتُ العَيْنَ بَعْدَهُمْ سُدَى
لَمَّا قَضَى نَوْمِي بأَجْفَانِي أَسَى
وقد كُنْتُ لَمَّا ذَكَرَ لِي هَذَا ذَكَرْتُ لَهُ نُتْفَاً

في معناه، فأعجبته، فمنها: [الكامل]

أَهْوَى وَمَنْ هُوَ شَمْسٌ حُسْنِ باهِرِ
نظراً تُؤَثِّرُ ضَعْفَ طَرْفِ النَّاطِرِ
نَظْرِي فَعَكْسُ خيالِها في ناظِرِي^(١)

لا تُنْكِرُوا رَمَدِي وقد أَبْصَرْتُ مَنْ
فالشَّمْسُ مَهْمَا إن أَطَلَّتْ لِتَحْوِها
ولقد أَطَلْتُ إلى أَحْمَرِ خُدُودِهِ
ومنها: [الكامل]

قد كان كُحْلاً في نواظِرِ عَبيدِهِ
عند النُّوى مِنْ مُقْلَتَيْهِ وَخَدِهِ^(٢)

رَمَدْتُ جُفُونِي عَندما فارَقْتُ مَنْ
وسرَقْتُ حُمْرَةَ ناظِرِي وَسَقامِهِ
ومنها: [الخفيف]

رمداً زاد في ذُبُولِ المَحاجِرِ
كَغَبَةِ الحُسْنِ تحتِ سُودِ السُّتائِرِ^(٣)

حِينَ خُبِرْتُ أن في الطَّرْفِ مِنْهُ
جِثُّ كَيْما أوزَرَ مِنْ وَجْهِ بَدْرِي
ومنها: [السريع]

نَزَجِسُهُ بُدُلَ مِنْهُ الشَّقِيقِ
أصبح سَكْراناً فلا يَسْتَفِيقُ

ما أَحْمَرُ طَرْفِ العَيْنِ ضَعْفاً ولا
لكنَّهُ مِنْ حُمْرَةِ الخَدِّ قد
ومنها: [السريع]

تُبَدَّلُ النُّزْجِسَ بِالوَزْدِ
تَأَثَّرْتُ مِنْ حُمْرَةِ الخَدِّ

انْظُرْ إلى أَجْفانِهِ الرُّمْدِ
تَحْمَرُ لا مِنْ عِلَّةٍ إنْما

(١) الأبيات في نفحة الريحانة ٤٩٩/١ .

(٢) الأبيات في نفحة الريحانة: ٤٩٩/١ .

(٣) الأبيات في نفحة الريحانة ٦٢١/٢ .

ولا بن المُعْتَر: [السريع]

قالوا اشتكت نرجستا طزفه
حُمرة ورد السخد أغدثهما

وكتب ابن الخيمي إلى اليعموري، وهما أزمدان، قوله^(١): [الوافر]

عَدْتُ رَمْدَاءَ تَجْرِي مِثْلَ عَيْنِ
لَأَنَّكَ قَدْ رَمِدْتَ وَأَنْتَ عَيْنِي

فأجابه: [الوافر]

مَحَاسِنَ مُقْلَتَيْكَ بِكُلِّ زَيْنِ
لَأَنَّكَ قَدْ شُفِيتَ وَأَنْتَ عَيْنِي

ومما قلته أيضاً: [البيسط]

أَشْكُو إِلَيْكَ جُفُوناً قَدْ رَمِدْنَ وَقَدْ
وَالْقَلْبُ مُنْقَلِبٌ عَنْ رَاحَةٍ وَهَنًا

ولتُصِرَ عِنَانُ الْاِخْتِيَارِ، فَقَدْ طَالَ، وَالشَّيْءُ بِالشَّيْءِ يُذَكَّرُ.

ومما أنشده لي أيضاً قوله في بخيل^(٢): [الوافر]

بَخِيلٌ لَوْ بَشُومَ مِنْهُ جَادَتْ
وَلَوْ فِي النَّارِ أَلْقَى الْفَ عَامٌ

وَلَوْ صَارَتْ بِسَفَرْتِهِ رَغِيْفًا

وقوله: [البيسط]

أَفْئِدِي حَبِيْبًا تَفُوْقَ الْبَدْرَ طَلَعْتُهُ
حَاكُ الْجَمَالِ عِذَا رَأَى فَوْقَ وَجْنَتِهِ

وأنشدته لنفسي في معناه: [الطويل]

ظَنَنْتُ الصَّبَا لَمَّا عَلَى النَّهْرِ قَدْ جَرَتْ
شِبَاكًا بِهَا صَادَ النَّسِيمُ غَزَالَةً

ومما يعجبني هنا قول القائل: [الوافر]

غَدَوْتُ مُفَكَّرًا فِي أَمْرِ أَفْقِي
أَرَانَا الْعِلْمَ مِنْ بَعْدِ الْجَهَالَةِ

(١) اليعموري: محمد بن إسحاق اليعموري، جمال الدين المتوفى سنة: ٦٧٩، صنف: الاطلاع على

منادمة الضياع، وكنز الفوائد ومعادن الفرائد. انظر هدية العارفين: ١٣٣/٢ .

(٢) انظر: أعلام النبلاء: ٣٤٢/٦ .

(٣) ذكاء: اسم علم للشمس.

فما طويث له شُبُكُ الدَّراري إلى أن أظفَرثنا بالغرْزَاله
 وقول الشَّهاب محمود في عُقاب: [المتقارب]
 ترى الطَّيْرَ والوخشَ في كَفِّها ومثقارها ذا عظام مُزَاله
 فلو أمكنَ الشَّمسُ من خوفِها إذا طلعت ما تسمت غزاله
 وللمحار: [الوافر]
 أنظر إلى النهر في تطرُّده وصَفوه قد وشى على السمك
 توهم الريحُ صَفوه فغدا يئسج فوق الغدير كالشُّبِك^(١)
 وأحسن منه قولي: [البيسط]
 ما الغصنُ مال على الأنهار جَعدها مرُّ النسيم وألقى فوقها حُبكا
 بل مدَّ منه يداً لما رأى سَمكاً من صَفوه طرَحوا من فوقه شَبكا

١٠- سرور بن سنين الحلبي

شاعرٌ سَمُحُ السَّجِيَّة، له أنفاس نديَّة نديَّة، كانت نَسَمات المسامرة تهبُّ بنفحاته وأقواه الأسماع تَحْتَسِي في نادي الأدب سُلَاقَةً أبياته، وتوزُّ روضه يتبسَّم في الأكمام، فترى منه ما هو ألدُّ من نظر المعشوق في وجه عاشقٍ بابتِسَام، فتستعذب في مذاق الأدب، وتتلقَّى بضائعها من الرُّكبان القادمة من حلب.

ثم رأيتُه لما وردَ الروم، إلا أنه لم يُطل مُكثه بها لفقد ما يروم: [الكامل]

وآفة التُّبْرِ ضَغْفُ مُنتَقِده

فرجع قائلاً لكلِّ يوم غد، ولكل سَنبت أحد، فلم تر عينُ أمله سرورا، ولم يُدق كأساً كان مزاجها كافورًا، ولم يلبس بُزْدَ العُمَرِ قَشِيًّا، حتى احتضِر غُضناً رطيباً.

فمما أنشدني من شعره، قوله من قصيدة: [الطويل]

وليل هدثنا فيه عُرُّ الفراقِدي لحاجاتِ نفس هُنَّ أسنى المقاصد
 وقد صُرِفَتْ زُهْرُ الدَّراري ذَراهِمًا تمثُّ الثريا نحوها كف ناعِد
 وباتت تناجيني ضمائرُ خاطري تُقرب نيل المطلب المتباعد
 لَحَى اللُّهُ طَرْفي ماله الدهر ساهراً لمُكْتَجَل الأَجفان بالشوم راقِد

(١) نفحة الريحانة: ٢٢٩/١. وصاحب هذين البيتين هو عمر المحار، وهو: عمر بن مسعود بن عمر سراج الدين المحار الحلبي الكناني، شاعر، نظم الموشحات، توفي بعد السبعمانه أو ٧١١ انظر: فوات الوفيات: ٢١٩/٢.

١٠- سرور بن سنين: هو سرور بن الحسين بن سنين الحلبي، شاعر بديع الصنعة، مليح الأسلوب، فارق حلب وسارح إلى طرابلس الشام ليمدح أمراءها، توفي بطرابلس في حدود ١٠٢٠، انظر: أعلام النبلاء: ١٩٠/٦، وخلاصة الأثر: ٢٠٤/٢.

حبیبٌ كان البُعْدَ يَهْوَى وِصَالَهُ
أخذتُ الهوى من لَحْظِهِ وابتسامِهِ
وقوله «حبیب» إلخ، كقول أبي الطَّيِّب^(١): [الوافر]

معي فهو لا يثْفَكُ فيه مُعَانِدِي
بما قاله الضُّحَاكُ لي عن مُجَاهِدِ
كأنَّ الحُزْنَ مشغوفٌ بقلبي
وقول المَعْرِي^(٢): [الوافر]

فساعةٌ هجرها يجدُ الوِصَالَ
فلا تَعدَمُ بما تَهْوَى اتِّصَالَ
لئن عشقتُ صَوَارِمُهُ الهَوَادِي
وفي معناه ما قلته: [الطويل]

لَكَ اللُّهُ مِن دَمْعِ كَشْمَلِ مُبَدِّدِ
لئن عشق التُّسْهِيْدُ أجفانَ مُقْلَتِي
وَمِن تَقْرِيطِ لِه عَلِي شَعْرِ ابْنِ عِمْرَانَ^(٣): [الطويل]

وَطَرْفِ بِنْعَسَانِ الجَفُونِ مُسْهَدِ
لِهَجْرِكَ فليَنعَمَ بوَضْلِ مُخْلَدِ
حَمَلتَ إلينا يا ابنِ عِمْرَانَ رَوْضَةَ
خَمِيْلَةَ شِغْرِ يَزْدَرِي البَدْرَ نَوْرُهَا
مِن النَّظْمِ يَسْقِيهَا الحِجَى صَوْبَ وَكْفِهِ
وَيُنْأَى عَنِ الشُّغْرَى العَبُورِ بِعَطْفِهِ^(٤)
لَهَا ثَمْرٌ يَلْتَدُّ سَمْعِي بِقَطْفِهِ
نَهَاراً زَهَتْ فِيهِ كَوَاكِبُ وَضْفِهِ
مُبْرَدَةٌ مِن حَرِّ قَلْبِي وَلَهْفِهِ
لَوْجِرَةَ أُخْوَى فَاحِمْ الشُّغْرِ وَخَفِيهِ^(٥)
يَجُوعُ إِذَا غَصَّ الإزَارُ بِرَدْفِهِ
فَكَانَتْ كَمَا زَارَتْ مُعْطَرَةَ اللَّمَى
وَوَاقَى إِلَى الصَّبِّ الكَثِيْبِ شُوَيْدِنُ
فَأَحْبَبْتُ بِهِ عَيْلَ الرُّوَادِفِ خَضْرُهُ

١١- حُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ الْجَزْرِيِّ الْحَلَبِيِّ

أديبٌ له أوصافٌ حُسْنَى، ومناقبٌ هُنَّ الوَشْيُ بهجَةً وحُسْنًا، إذا أصغت له أذنٌ
أديب، حَلَّتْ مِنْهُ بَوَادٍ خَصِيْبٍ: [البيسط]

(١) ديوانه: ١٢٩ .
(٢) المعري: أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد، أبو العلاء المعري من معزة النعمان، الأديب اللغوي ولد سنة ٣٦٣، وتوفي ٤٤٩، له كثير من المؤلفات: تفسير أمثلة سيبويه، وتفسير سقط الزند، والرسالة السنوية، ورسالة الصاهل والساجح، ورسالة الغفران، ولزوم ما لا يلزم، ومختصر ديوان البحري. انظر هدية العارفين: ٧٧/١، ومعجم الأدباء: ٢٩٠/١ .

(٣) مرّت ترجمته في الصفحة (٦٧)، يوسف بن عمران .
(٤) الشُّغْرَى: كوكب نير يطلع عند شدة الحر، وفي التنزيل: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّغْرَى﴾ [النجم: ٤٩]، وهما شعريان: الشعري الثبور، والشعري الغميصاء .
(٥) شويدن: تصغير شادن: وهو ولد الظبية، الوَجْرَةُ: حفرة تجعل للوحوش فيها مناجل، فإذا مرّت عرقتها .

١١- حسين بن أحمد بن حسين الحلبي المعروف بابن الجزري، ولد ونشأ بحلب، وأخذ بها الأدب =

سِحْرٌ مِنَ اللَّفْظِ لَوْ دَارَتْ سُلَافَتُهُ عَلَى الزَّمَانِ تَمْشِي مِشْيَةَ الثَّمَلِ
رَأَيْتُهُ بِالرُّومِ، وَهُوَ شَابٌ يَجْرُ رِدَائِي شَبَابٍ وَأَدَابٍ، وَهِيَ لَهُ مُشْرِقٌ فِي أَفْقِ نَمَائِهِ،
وَعُرَّةٌ صُبْحِهِ تُؤَدِّنُ بُوْجِهَ ذُكَاةٍ ذُكَاةً، وَقَدْ سَلَكَ إِلَى الْمَجْدِ طَرِيقاً غَيْرَ مَطْرُوقَةٍ، بِهَمَّةٍ غَيْرِ
هِمَّةٍ، وَخَلِيقَةٍ غَيْرِ خَلِيقَةٍ، وَلِلدَّهْرِ فِيهِ عِدَاتٌ يُرْجَى إِنْجَازُهَا، وَحُلَلٌ مَنْشُورَةٌ سَيْلُوحِ
طِرَازِهَا فَلَمْ يَنْبَسِطْ بُرْدُهَا حَتَّى انْطَوَى، وَلَمْ يُورِقْ قَضِيْبُهُ الرَّطِيْبُ حَتَّى ذَوَى، وَالِدَّهْرِ
يَقُولُ، وَالنَّجْمُ فِي مَطْلَعِ الْعُمْرِ هَوَى: [م. الكامل]

أَبْكِي إِنْاءَ شَيْبَةٍ فِي وَقْتِ مَا امْتَلَأَ انْكَفَا
فَمَمَا أَنشَدَنِي فِي صَدِيقِهِ سُرُورِ، السَّابِقِ ذِكْرُهُ: [الكامل]

وَحَقُّكَ مَا تَرَكَتُكَ عَنْ مَلَالٍ
وَلَكِنْ مُذْ أَلْفَتْ الْحُزْنَ قَدْماً
وَهَذَا مِنْ قَوْلِ الْمُتَنَبِّي: [الطويل]

خَلَقْتُ أَلُوفاً لَوْ يُعَاوِدُنِي الصَّبَا
وَمِنْهُ أَخَذَ الْبَهَاءُ زُهَيْرٌ^(١) قَوْلُهُ: [الكامل]

وَأَلُوفاً فَلَوْ أَفَارِقُ بُؤْسِي
وَقَدْ أَجَادَ الْقَائِلُ فِي مُتَابَعَتِهِ: [الطويل]

أَلْفَتْ الضَّنَى مِنْ بَعْدِكُمْ فَلَوْ أَنَّهُ
وَصَارَ الْبُكَالِي عَادَةً فَلَوْ أَنَّهُ
وَمِمَّا قَلْتُ فِي الْمَعْنَى: [الرملي]

مُذْ هَجَرْتُمْ هَجَرَ الطَّنِيفِ وَلي
فِي هَوَاكُمُ أَلْفَ الْحُزْنِ فَلَوْ
وَلَهُ «دِيوان» بليغ، طالعته فاخترت منه قوله، من قصيدة: [الكامل]

أَغْطَى سَرَائِرَكَ التُّحُولُ اللَّوْمَا
وَوَشَى وَنَمَّ عَلَيْكَ دَمْعُكَ عِنْدَمَا
وَالْحُبُّ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ أَنْ يَكْتُمَا
وَوَشَى بَعْنَدِمَهُ الْخُدُودُ وَنَمْنَمَا

= عن إبراهيم بن أحمد المنلا وغيره. وشغف بتعلم الشعر صغيراً، رحل إلى الشام والعراق ودخل
الروم سنة ١٠١٤، توفي سنة ١٠٣٣، على ما ذكر البريعي وهناك خلاف في سنة وفاته، والجزري
نسبة إلى جزيرة ابن عمر من بلاد الأكراد. انظر: خلاصة الأثر: ١/ ٨١-٨٤، وأعلام النبلاء: ٦/
٢١٤.

(١) البهاء زهير: زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسن الأزدي المهلبى بهاء الدين، أبو العاصم
الكاتب، ولد بمكة سنة ٥٨١ وتوفي بمصر سنة ٦٥٦، وله ديوان شعر. انظر: هداية العارفين: ١/
٣٧٥.

(٢) انظر: نفحة الريحانة: ٤/ ٤٦٨.

أَفْرُمْتَ تُبِهِمْ وَاضِحاً مِنْ سِرِّهِ
 أَمْ خَلْتِ أَنْ أَسَاكَ تَمْحُوهُ الْأَسَى
 إِنَّ الْمَحَبَّةَ مِخْنَةٌ لَا مِئْنَةَ
 وَشَكِيَّتِي شَاكِي السَّلَاحِ جُفُونُهُ
 ظَنِّي ظَبًا لِحِظَاتِهِ بِمَضَائِهَا
 أَخْشَى الْهَلَاكَ تَوْهُمَا مِنْ بَاسِهِ
 وَأَظْلُ صَادِي الْقَلْبِ خِيْفَةَ صَدُّهُ
 وَإِذَا مُنِغَتِ الْمَاءُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
 بِأَبِي وَإِنْ كَانَ الْأَبِيُّ وَبِي رَشَاءُ
 كَالصُّبْحِ فِرْقًا وَالغَزَالَةَ طَلْعَةً
 يَزْدَادُ وَرَدُّ خُدُودِهِ وَجَوَانِحِي
 صَافِي الْأَدِيمِ تَرَى تَرَافَةَ جِسْمِهِ
 صِنْمٌ لِبَسْتِ الْغِيِّ فِيهِ غَلَاثِلًا
 كَيْفَ الْهِدَايَةَ لِي وَفَاجِمُ فَرْعِهِ
 كَالْأَفْعُوَانِ عَلَى قَضِيبِ كَثِيبَةٍ
 أَنَا مَنْ أَبَاحَ يَدَ الْغَرَامِ زِمَامَهُ
 فَعَسَى الْحَبَائِبُ أَنْ تُخَفَّفَ عُثْبَاهَا
 فِي كُلِّ يَوْمٍ رَوْعَةً أَوْ لَوْعَةً
 شِيَانٍ لَسْتُ بِأَمْنِ عُقْبَاهُمَا
 فَلَأَبْلُغَنَّ نِهَايَةَ فِي قَدْحِهَا
 ومنها: [الطويل]

وَالذَّمْعُ مُتَضَيِّحٌ بِهِ مَا أَبْهَمَا
 كَلًّا وَرُبَّ جِرَاحَةٍ لَنْ تَحْسَمَا
 وَمِنْ الْغَرَامِ يَرَى الْمُحِبُّ الْمَغْرَمَا
 مُرُّ الْعَذَابِ لِشِقْوَتِي عَذْبُ اللَّمَى
 أَنَا مُوقِنٌ لِأَشْكَ تُزِدِّي الضَّيْعَمَا (١)
 وَلرُبُّمَا هَلَكَ الْمُحِبُّ تَوْهُمَا
 وَلَوْ أَنَّهُ بِنَعِيمٍ وَضِلَّ أَنْعَمَا
 وَوَرَدَتْهُ أُخْرَى تَذَكَّرْتَ الظُّمَامَا
 قَدْ الْغُصُونُ رَشَاقَةً وَتَقَدَّمَا
 وَالْبَدْرُ وَجْهًا وَالثُّرَيَّا مَبْسَمَا
 مِنْ نَارِهِنَّ تَضْرُجًا وَتَضْرُمَا
 مَاءٌ وَيَأْتِي الْمَاءُ أَنْ يَتَجَسَّمَا
 وَالْمَرْءُ يَسْلُبُ رُشْدَهُ حُبُّ الدُّمَى
 قَدْ ظَلَّ يَجْهَدُ أَنْ يَضِلَّ وَيَفْخَمَا
 لَا يُزْتَجَى لِسَلِيمِهِ أَنْ يَسْلَمَا
 فَمَشَى بِهِ أُنَى يَشَاءُ وَيَمَّمَا
 فَلَقَدْ حَمَلْتُ مِنَ الثَّوَابِ أَعْظَمَا
 وَالْقَدْ تُقْعِدُهُ الْحَوَادِثُ تَوَامَا
 أَنْ تَضْحَبَ الدُّنْيَا وَتُدْنِي الْأَرْقَمَا
 إِنْ لَمْ تُبَلِّغْنِي الْأَبْرَ الْأَكْرَمَا

وِطِئْتَ نَعَامَةً أَخْمَصِي الْأَنْجَمَا
 يَوْمًا إِذَا كَانَ الزَّمَانُ الْمُسْقِمَا
 وَالْمَكْرُ أَرْفَقُ مَا تُرَافِقُ مِنْهُمَا
 أَفِيرْتَضُونَكَ بِالْهُدَى مُتَكَلَّمَا
 تَرْجُو السَّلَامَةَ مِنْهُمْ أَوْ سُلَّمَا
 أَنْ تَضْحَبَ الْأَعْمَى الْأَصَمَّ الْأَبْكَمَا
 لَمْ تَلْقِنِي إِلَّا إِيَاءَ مُفْعَمَا

وَلَوْ أَنْ إِذْرَاكَ الْمُتَى بِيَدِ الثُّهَى
 وَمَتَى يَصِيحُ سَقِيمٌ جَدُّ أَخِي الْجَجَى
 فَالْحُمُقُ أَلِيْقُ وَالخِدَاعُ مُوَافِقُ
 أَبْنَاءُ دَهْرِكَ بِالنُّفَاقِ نِفَاقُهُمْ
 مَا لَمْ تُنَافِقْ فَاتَّخِذْ نِفْقًا بِهِ
 لَا يَفْقَهُونَ وَشَرٌّ مَنْ صَاحِبَتَهُ
 وَلَقَدْ مَلِئْتُ تَحَارِبًا وَتَجَارِبًا
 ومن قصيدة: [الرجز]

(١) الظُّبَّةُ: حد السيف والسنان والخنجر وما أشبهها. وجمعه: ظُبا وظبات، والضيغم: الأسد.

قد تُرْفَعُ الأَسْمَاءُ بِالتَّقْدِيرِ
من جَابِرٍ وَالجَبْرِ لِلْمَكْسُورِ

تُوْمَلُ أَنْ تُقْضَى وَخِلٌ نُصَادِقُهُ^(١)

وَلَا لَاحَ فِي يَافُوخِهِ وَخَطُّ شَائِبِ
سُئِلُوا فَوَادِي أَوْ وَفَاءَ حَبَائِبِي

وَعِشْ بِعَلْيَاكَ عُمَرَ أَعْصِمِهِ
لَا يُصْلِحُ القَرْخَ غَيْرُ مَرْهَمِهِ
كَفَّارَةٌ مِنْ ذُنُوبٍ مُجْرِمِهِ

مِنْهَا وَسَاوَرَنِي فِي كَرِّهَا سَعْبُ
أَنْ المِنيَّةُ فِي ثَغْرِ المُنَى شَنْبُ^(٢)

بَثُونَا وَأَهْلُونَا مَعَ الطَّالِعِ النُّحْسِ
نَرَجِي وَشَمْسُ الوَاقِعِ فِي شَرْفِ الشَّمْسِ

ذِيونِي وَأَغْيَانِي الغَرِيمِ بِمَطْلِهِ
وَإِنْ رُمْتَ تَفْجِيلَ العَطَا فَبِجْلِهِ

وَتَقْبِحُ لِي أَقْوَالُهُ وَالفَعَائِلُ
يَسْرُكُ فِي بَعْضِ الأُمُورِ التُّغَابِلُ
وَهَذَا كَقَوْلِ بَعْضِ الحُكَمَاءِ: الكَرَمُ مِكيَالٌ ثَلَاثَةُ التُّغَابِي.

لَكِنْ سَيِّدَ قَوْمِهِ المُتَغَابِي

لَا تَلْحَنُ الأَقْدَارُ فِي إِغْرَابِهَا
مَكْسُورَةٌ قَدْ حَاوَلْتُ إِكْسِيرَهَا
وَلَهُ مِنْ أُخْرَى: [الطويل]

وَلَيْلٍ كَأَنَّ الصَّبْحَ فِيهِ مَارِبٌ
وَلَهُ مِنْ أُخْرَى: [الطويل]

وَلَمْ أُنْسَ لَيْلًا مَا تَبْلُجُ صُبْحُهُ
عَدِمْتُ ابْتِسَامَ الفَجْرِ فِيهِ كَأَنَّهُ
وَلَهُ مِنْ أُخْرَى: [م. البسيط]

فَاسْلَمَ بِدَهْرِ عَصِمَتْ مِنْهُ بِهِ
تَأْسُو بِرُؤْيَاكَ مِنْ إِسَاءَتِهِ
فَإِنَّ هَذَا الزَّمَانَ مُحْسِنُهُ
وَلَهُ مِنْ أُخْرَى: [البسيط]

وَبِي مَضَاضَةُ عَيْشٍ مَسْنِي لَعْبُ
حَتَّى تَصُورَ لِي مِنْهَا عَلَى ظَمًا
وَمِنْ أُخْرَى: [الطويل]

بِنَا أَظْلَمْتُ أَيَّامَنَا وَتَظْلَمْتُ
عَسَى شَمْسُ هَذَا الدَّهْرِ تَأْتِي بِوَقْفٍ مَا
وَلَهُ يَطْلُبُ فِرْسًا: [الطويل]

أَبْشَكَ أَنْ لَا طِرْفَ لِي أَقْتَضِي بِهِ
فَجُدْ لِي بِمَا أَرْجُوهُ إِنْ شِئْتَ مُلْجَمًا
وَلَهُ مِنْ أُخْرَى: [الطويل]

وَرُبُّ عَيْبِي كُنْتُ أَحْسِنُ وَدَّةً
تَغَافَلْتُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْهُ وَرُبَّمَا
وَهَذَا كَقَوْلِ بَعْضِ الحُكَمَاءِ: الكَرَمُ مِكيَالٌ ثَلَاثَةُ التُّغَابِي.

وَلَأَبِي فِرَاسٍ: [البسيط]

لَيْسَ الكَرِيمُ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ
وَمِمَّا قَلَّتْ أَنَا فِي نَحْوِهِ: [الرجز]

(١) نفحة الريحانة: ٥٥٩/٤، وخلاصة الأثر: ٨٣/٢.
(٢) المضاضة: الألم من وجع المصيبة.

فزاد في سغيي إليها لَغِيي^(١)
وَأَنِّي إِنْ عَنَّ سُوءَ لَغِيي

تَغْرُقُ آمَالَ الْعُفَاةِ بِحُورِهَا
بِأَيْمَانِهِمْ حَاضَتْ دِمَاءَ ذُكُورِهَا

وَيَأْتِيكَ دُونَ الْإِنْتِظَارِ نُضَارُهُ

فَمَا شَاقَّنِي خِلٌ وَلَا رَاقَ مَوْضِعُ
وَيُوصِلُنِي حَزْمِي وَدَهْرِي يُقَطِّعُ
مِنَ الْجَهْلِ فِي الْأَيَّامِ أَشْنَى وَأَشْنَعُ
وَمَا هُمُ قَلْبِي الرَّقْمَتَانِ وَلَعْلَعُ^(٢)

وَلَا بَارِقٌ مِنْ بَارِقٍ وَهُوَ يَلْمَعُ^(٣)
مُضُّ بِجَزَعَاءِ الْحِمَى يُتَجَرَّعُ
وَلَا قَدَحٌ فِيهِ الرَّجِيحُ الْمُشْفَعُ
وَمَسْهُرُودَةٌ زَغْفَا وَأَبْيَضُ يَسْطَعُ

وَهَذَا طَرِيقٌ لِلْمَكَارِمِ مَهْيَعُ
أَسْرٌ وَأَسْرِي مَا دَعَانِي وَأَسْرَعُ
وَأَيْسَرُهَا عِنْدَ السُّوَابِ تُفْنِعُ
وَوَاسَاكَ فِي الضَّرَاءِ مَنْ يَتَوَجَّعُ

وَأَكْثَرُ مَنْ تَلَقَّى يَخُونُ وَيَخْدَعُ
لَدَيْكَ وَعِزْنَيْنُ الْعِدَى بِكَ أَجْدَعُ^(٤)
لغِيرِكَ فِي الدُّنْيَا وَغَيْرِي الْمُضْيَعُ
سَحَابُهَا مِنْ نَفْسِهَا لَا تَقْشَعُ

وَلَكِنَّهُ إِنْ سُمِّتَهُ الضَّمِيمَ بَلَقَعُ^(٥)

كَمْ قَدْ سَعَيْتُ لِلْمَعَالِي جَاهِدًا
وَلَسْتُ فِي فَهْمِي غَيْبًا أَبَدًا
وَلَهُ مِنْ أُخْرَى: [الطويل]

وَلَا عَيْنَبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ صِلَاتِهِمْ
وَأَنَّ سُيُوفَ الْهِنْدِ فِي كُلِّ مَغْرِكَ
وَلَهُ مِنْ أُخْرَى: [الطويل]

يُلَبِّيكَ مِنْ قَبْلِ السُّؤَالِ نَوَالُهُ
وَلَهُ مِنْ أُخْرَى: [الطويل]

وَقَبْلَكَ صَاحِبَتُ الزَّمَانِ وَأَهْلَهُ
يُقَدِّمُنِي عَزْمِي وَحِظِي مُؤَخَّرِي
وَلَا ذَنْبَ لِي إِلَّا الْفَضِيلَةَ إِنِّهَا
وَهَمِّي مِنَ الدُّنْيَا الْمَعَالِي وَتَيْلُهَا

وَلَا نَسْمَةَ سَحْرِيَّةٍ شَخْرِيَّةٍ
وَلَا عَذْبُ مَاءٍ لِلْعُدَيْبِ عَلَى ظَمَا
وَلَا رَشَاءُ أُخْوِي وَلَا صَوْتُ قَيْنَةٍ
وَلَكِنَّهُ لَذَنْ وَأَجْرَدُ سَابِحُ

وَإِثْلَافُ مَا أُخْوِي عَلَى طَلَبِ الْعُلَا
وَأَنِّي مِنْ خِلِّي بِأَيْسَرِ وُدِّهِ
قَلِيلُ مَوَدَّاتِ الرُّجَالِ كَثِيرَةٌ
أَبْرَكَ مَنْ يَلْقَاكَ بِالْبِشْرِ وَجْهُهُ

وَلَكَّنِّي لَمْ أَلْفِ غَيْرَكَ وَافِيًا
فَحَاوَلْتُ أَنْ أَلْقَى الْمَنَايَا أَوْ الْمُتَى
تَمَلَّكَتْ مَنِّي جَانِبًا لَا أُضْيَعُهُ
لِسَانًا طَرِيًّا بِالْمَدِيحِ وَأَتْمَلَأُ

وَقَلْبًا عَلَى حِفْظِ الْمَوَدَّةِ عَامِرًا

(١) اللغب: التعب والإعياء.

(٢) الرقمتان: ثنية الرقمة: وهي: الروضة أو جانب الوادي، أو مجتمع مائه، وقيل: هما قريتان بين البصرة والنباج، وقيل: هما روضتان بناحية الصمان. لعلع: اسم جبل.

(٣) شحرية: نسبة إلى الشحر، وهو ساحل بين عمان وعدن.

(٤) العزنين: ما صلب من عظم الأنف حيث يكون الشمم.

(٥) بلقع: الخالي من كل شيء، يقال: مكان بلقع، وطريق بلقع.

وصيّرتني عبداً لأمرِك طائِعاً
ولي رُثبةٌ فوق الثُريّا مَحَلُّها
وسَلَسالُ لفظِ سائِغِ الوِزْدِ عَذْبُه
وما قَصَدتُ إلّاك قبلُ قِصائِدِي
مُنَمَّقَةٌ تزهُو على زَهْرِ الرُّبَى
لو اغتَبِر الرّائِي مِواقِعَ لفظِها
وغيرِي طُفَيْلِي القِوافِي وأشعَبُ الـ
وله من أخرى: [الكامل]

إن خَصَنِي بالبُوسِ دَهْرِي دائِماً
هذي عِقايرُ العِطارَةِ كُلِّها
وله من أخرى: [الطويل]

أرَى اليأسَ عِزّاً والرَّجاءَ ذِلَّةَ الفِئى
فلا تَضَجِرُنْ من حالَةٍ مُستَحِيلَةٍ
وإن الفِئى كالغُضنِ مادام نابتاً
وله من أخرى: [الوافر]

إذا ما كُنْتُ مُصطَبِعاً جَميلاً
ولا تُكْرِمُ بِهِ إلا كَرِيماً
ولم أَرِ نِعْمَةً تُسَدِّى فَتُزْرِى
وقوله: [الخفيف]

غَيْرُ بَدْعٍ إذا ظَلِمْتُ بِدَهْرٍ
فالهواءُ الصَّحِيحُ يُدْعَى عَلِيلاً
وقوله: [الخفيف]

ما سَنِمْتُ الزَّمانَ إلا لِحَرِّما
وثرأءُ اللَّئيمِ أَقْبَحُ في العِندِ
وله: [الطويل]

ومُسْتَخْبِرِ عَنِّي بِغَيْرِ جِهالَةٍ
تَنكُرُ مُرتاباً ولم يَدِرْ أَنِّي
إذا ما اسْتَرَدَّ الدَّهْرُ مِنِّي هِباتَه
وله: [الخفيف]

لا يَضُرُّ الكَرِيمَ قَلَّةُ مالٍ

وإنِّي إلّاكَ الأَنامَ أَضْيَعُ
ودون تُرَى فيهِ نِعالِكَ تُوضَعُ
لَه مَشْرَبٌ صافٍ نَميرٌ ومَشْرَعُ
ولم يَرها قومٌ سِواكَ وَيَسْمَعُوا
وتُشْرِقُ كالزُّهْرِ السَّوارِي وتَطْلَعُ
تَيَقَّنُ أن السَّحَرَ في الشَّعْرِ يُجمَعُ
معانِي لَه في كلِّ ما عَن مَطْمَعُ

دون الـورى فأنا بذلك أفضل
لم يَحترِقُ مَنهَنَ إلا المُنْدَلُ

وطولُ المُنَى عَجْزاً وحبُّ الغنى فقراً
كما نَلتُها عُسرًا ستشركها يُسرًا
فأونَةُ يُكسى وأونَةُ يَغرى

فحاولن من يروفتك بالضعيف
رماه الدهر عن مجد رفيع
بمُسديها سوى رفع الوضيع

زرَق الغَمُرِ فيهِ حَقٌّ عَظِيمُ
واللديغُ المُصِيبُ يُدعى سَلِيمُ

ن كَرِيمِ فيهِ حَقٌّ عَظِيمُ
سِينِ مَرأتِي من سَمَرِ كَرِيمِ

يراني وفي عينيهِ عن حالتي عسى
شهدتُ مذاقَ العيشِ شُهْداً وَعَلَمَا
فسيان أن أعطى كسيراً وأخيراً

لا ولا باللائيم يُجدي الثراء

وبصنديدها تُقَدُّ العَصَاءُ

كلاً لقد ساوى المَهَيْمُنُ بيئها
وإذا حُرِمْتَ الجَدَّ أُعْطِيتَ النُّهَى

فأضرُّها القُرْبَاءُ والقُرْنَاءُ
يُبْدِي فقد يُضْدي الحُسَامَ الماءُ

نَيْلُ المُنَى بالفضل إنسانُ
وغاية العِرْفَانِ جِرْمَانُ

وصَبْرُكَ عنده أبهى وأبْهَجُ
وعند حُلُولِها الرحمنُ فَرَجُ

ويُقْصِيكَ عَنِّي يا بُثَيْنُ أمورُ
وكلُّ يَسِيرٍ لا يُنالُ عَسِيرُ

وامزج السقهوة عوداً
غَمٍ تَمْحُو وهي سوداً

ثوب الضنا فيه وفرط السقام
حتى إذا خَطَّ عِذارِيه لأم

نقَطَها من مِسْكِ شاماتِهِ
كأنَّه البدرُ بهالاتِهِ
كَلِمَ قلبي بمُنْجَاتِهِ
أمنتُ باللهِ وآياتِهِ

مُنْهَزِمًا تَابِعَ آثارِهِ

فشَبَا مُزْهَفِ الجَبَانِ كليلُ
وله: [الكامل]

لا تحسب الأرزاق تُقسَمُ باطلاً
فإذا رُزِقْتَ الجهلَ أذركتَ المُنَى
وله: [الكامل]

حاذِرُ عِدَاكَ الأقربين من الوردِ
وتوقُّ من كَيْدِ الحَقُودِ ولينِ ما
وله: [السريع]

أبعَدُ ما يَطْلُبُ إدراكَهُ
وكلُّ شيءٍ وله غايَةٌ
وله: [الوافر]

رُوَيْدُكَ إن بعدَ الضيقِ مَخْرَجُ
وكم من كُرْبَةٍ عَظُمَتْ وَجَلَّتْ
وله: [الطويل]

كفى حزنًا أني أراكِ قَريبَةً
أراكِ ولكن لا سبيلَ إلى اللقْنا
وقوله: [م. الرمل]

اشقيني قهوة بُنْ
فهني للصفراءِ والبَلْ
وقوله: [السريع]

وأغَيِّدَ أورثني بُعْدُهُ
رثي لي العاذلُ في حُبِّه
وله: [السريع]

مُدَّ خَطَّ آياتِ عِذارِ له
ولاح في أضداغِه وجهُه
وأرسل اللُخْظَ نذيراً وقد
ولم أستطع كُفرائها إنني
وله في الصَّيفِ: [السريع]

قد هجم الصَّيفُ وولَّى الشِّتَا

ويُخْرِجُ المَالِكَ من دَارِهِ

مخافَةً أن تُسِيرَ إلى مُرِيبٍ
ومن دَرَن السَّفَارِ على غَرِيبٍ

ولي عن اللّوم فيه أُذُنُ أُطْرُوشٍ^(١)
في صَبُوءِ شَوْشِثُهُ أيّ تَشْوِيشِ
عُذْرًا وقال رَمَى قلبي به رِيشِي

وأبصرتُ وجهَ الشَّمْسِ أُغْبِرَ أسودًا
سِوَاهَا إذا ما شَامَهَا الطَّرْفُ أزْبَدًا^(٢)

أعاد إليك الطَّرْفُ جِدًّا كَلِيلِ
وإن صَحَّ منه الطَّرْفُ غيرَ عَلِيلِ

واليومَ صُبِخَ الشَّيْبُ من رَقَبَانِي
بِئِضَاءٍ من ذي لَمَّةٍ بِيضَاءٍ^(٣)

آبَاءِ تُنْتِجُ خِيسَةَ الأَبْنَاءِ^(٤)
يُبْدِي الوفاءَ وولاتِ حينَ وفاءِ
فالعَضْبُ يَضْدَأُ مِثْلَهُ بِالماءِ
من لا أراه موافقًا لإخاني
مُتَلَوْنًا كَتَلَوْنَ الحَرْبَاءِ
إن الطَّبِيبَ يَخَافُ مِنَ الداءِ
والبِئْسَ يَجْدَعُ أنفَ كُلِّ رَجاءِ

مُبْتَدِعًا يَسْلُبُ أثوابنا
وله: [الوافر]

أراك بِسِرِّ مُسْتَوْعِيكَ سِرًّا
أنمَّ من السُّؤالِ على عَدِيمِ
وله: [البيسط]

لا أَشْتَكِي الحَبَّ تُضْمِينِي مِصائِبُهُ
فَلَسْتُ أَوَّلَ مَنْ أَلْقاهُ نَاطِرُهُ
كَالنَّسْرِ أزداه سَهْمٌ فَاسْتَعَدَّ لَهُ
وله أيضًا: [الطويل]

بِرُوجِي مَنْ أبصرتُ صَفْحَةَ خَدِهِ
كَأَنِّي أراها دُونَهُ مِثْلَمَا يُرَى
وله من أخرى: [الطويل]

مُنِيرُ المُحَيَّا كُلَّمَا شِمَّتْ وَجْهَهُ
كذا الشَّمْسُ مَهْمَا شَامَهَا المرءُ لم يَعُدْ
وله من قصيدة: [الكامل]

قد كان ليلُ ذَوائِبِي لي شافِعًا
وَلَمُلتَقَى بِيضِ الصَّفاحِ أَحَبُّ لُدْ
ومنها: [الكامل]

ولئن خَبِرْتَ بني الزمانِ وَخِيسَةَ الـ
إِيّاكَ تَرَكَنُ مِنْهُمُ لِمَمَازِقِ
وتَجَنَّبَنُ مِنْ لِينِ مَلَمَسِ عِطْفِهِ
ولطالما أَضْفَيْتُ قَبْلَكَ خُلَّتِي
وبلوتُ مِنْهُ وَذَهَ فَرَأَيْتُهُ
فغَدوتُ أَحْتَرِزُ الأَنامَ وَغَدَرْتُهُمْ
وقطعتُ بِالبِئْسِ الرِجاءِ لَدِيهِمْ
وله من أخرى: [مخلع البسيط]

(١) الأطروش: الأصم.

(٢) أزبد: اختلط سواده بكدره، ويقال: ازبد وجهه: احمر حمرة فيها سواد عند الغضب.

(٣) انظر: نفحة الريحانة: ٣٧٦/١.

(٤) انظر: نفحة الريحانة: ٣٧٦/١.

أَوَاهُ كَمَ لَوَعَةٍ بِقَلْبِي تَغْدُو وَكَمَ رَوْعَةٍ تَرُوخُ
 إِنِ الْهَوَى دَاءُهُ غِيَاءُ يَعْجِزُ عَنْ بُرْئِهِ الْمَسِيحُ
 وله من أخرى، يصف قصيدته: [الكامل]

وَكَأَنَّهَا فِي كُلِّ بَيْتٍ شِمْتَهُ مِنْهَا تَضُمُّ مِنَ الْقَرِيضِ مُهَنْدِسًا
 وَالشَّعْرُ مَا شَاقَّتْكَ مِنْهُ حِكْمَةٌ لَا مَا يُشَوِّقُكَ الْكَثِيبَ الْأَوْعَسَا^(١)

١٢- أبو بكر تقي الدين التاجر، المعروف بابن الجوهري

مَنْ زَهَتْ زَهْرَةٌ حَيَاتِهِ بِالشَّامِ، فَنَظَرَ مِنْ مَطَالِعِ آفَاقِهَا بَوَارِقَ الْفَصَاحَةِ وَشَامَ،
 وَأَسْعَدَتْهُ الْجُدُودُ، فَبَدَتْ عَرَائِسُ أَفْكَارِهِ مَتَوَرِّدَةً الْخُدُودَ، وَدَارَتْ مِنْ شَمَائِلِهِ الشَّمُولُ،
 فَسُرَّتْ بِهَا قُلُوبُ الْقَبُولِ، وَعَيُونَ الْعُقُولِ، كَمَا ارْزُقْصَ عِرْقُ الطَّلِّ الْهَثَّانِ، عَلَى رُءُوسِ
 الْقُصْبِ وَطَرَّرَ الرِّيحَانَ.

وله في الأدب والشعر تجارة لن تبور، إلا أن طبعه كأم الصقر مقلات تزور.

فمن عقوده وجواهر نقوده قوله: [م. الكامل]

هَذَا الْمَنَازِلُ قَبْلَنَا كَسِمَ ذَا تَدَاوَلَهَا أَنْاسِي
 كَمَ صَدَّعَتْ مَلِكًا وَكَمَ مِنْ مُثَدِّعٍ وَضَعِ الْأَسَاسِ
 غَرَسُوا وَغَيْرَهُمْ اجْتَنَى مِنْ بَعْدِهِمْ ثَمَرَ الْغِرَاسِ
 دَوْلٌ تَمَرُّ كَأَنَّهَا أَضْغَاثُ حُلْمٍ فِي نُعَاسِ
 وهو من قول أبي تمام^(٢): [الكامل]

أَعْوَامٌ وَضَلَّ كَادَ يُنْسِي طَيْبَهَا ذِكْرُ النَّوَى فَكَأَنَّهَا أَيَّامُ
 ثُمَّ انْبَرَتْ أَيَّامٌ هَجَرَ أَعْقَبَتْ نَحْوِي أَسَى فَكَأَنَّهَا أَعْوَامُ
 ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السَّنُونَ وَأَهْلُهَا فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهَا أَحْلَامُ
 وكانت نزلت بي شدة، ليس لها غير لطف الله عذة، فكان في كل يوم يسألني
 الأحبابُ بذكر مُبَشِّرَاتِ بِحُصُولِ الْفَرَجِ، فَقُلْتُ، وَقَدْ كَثُرَ ذَلِكَ: [الكامل]

وَيْسَلَاةٌ مِنْ زَمَنِ كَانَ نَهَارُهُ نَفَضَتْ دُجَاهَهُ عَنْهُ صِبْغُ ظَلَامِ

(١) الأوعس: السهل اللين من الرمل، تغيب فيه الأرجل.

١٢- ابن الجوهري: الأديب أبو بكر بن أحمد بن علاء بن محمد بن ناصر الدين بن علي البهرام بادي
 الدمشقي المعروف بابن الجوهري، الأديب الشاعر المطبوع، أحد المجيدين في صناعة الشعر، نشأ
 بدمشق، وقرأ على مشايخ عصره، منهم: الحسن البوريني، ولد عام ٩٦٨، وتوفي بعد الثلاثين
 وألف بقليل. انظر: خلاصة الأثر: ١/٦٨-٧٠.

(٢) ديوانه: ١٥١/٣.

من بعد ما كانت ليالينا لها نُورٌ يُرِينَا صَفْوَةَ الأَيَّامِ
زَمَنٌ كَأَحْلَامٍ تَقْضَى بَعْدَهُ زَمَنٌ نُعَلَّلُ فِيهِ بِالْأَحْلَامِ

١٢- شمس الدين محمد، المعروف بابن المنقار

جواد في حَلْبَةِ المكارم سابق، مُخَلِّطٌ مُزِيلٌ، فَاتِقٌ رَاتِقٌ، وَقَدْ كَانَتْ تَتَجَادَبُ
الأخبارُ شمائلَ فضائله، وَتَهْتَزُّ الأَغْصَانُ إِذَا هَبَّتْ نَسَمَاتُ شمائله، وَمَنْ طَابَ عِرْقُهُ طَابَ
مِنْ عَرْفِهِ الشَّمِيمِ، وَمَنْ كَانَ عُصْنًا فِي رِياضِ المعالي هَزَّهُ مَرُورُ النَّسِيمِ.
إِلَّا أَنْ شِعْرَهُ شِعْرُ العُلَمَاءِ، وَأَدْبَهُ أَدْبُ الفُقَهَاءِ، وَمَا كُلُّ قَصْرِ خَوَزَنَقٍ وَسَدِيرٍ، وَمَا
كُلُّ وادٍ فِيهِ رَوْضَةٌ وَغَدِيرٌ.

على أنه كانت تَبِيه به على سائر البقاع بقاع الشَّامِ، وَيَفْتَخِرُ بِهِ عَصْرُهُ عَلَى جَمِيعِ اللِّيَانِي
وَالْأَيَّامِ، فَلَا تَزَالُ تَضْحَكُ وَرُزْقُ الفَصَاحَةِ فِي نَادِيهَا، وَتَسِيرُ الرُّكْبَانُ بِمَا فِيهِ مِنَ المَحَاسِنِ
رَائِحًا وَغَادِيهَا، وَأَقْلَامُ الفُتُوَى مُثْمِرَةٌ مِنْ شَمْسِ إِفَادَةٍ لَهُ ارْتَفَعَتْ، فَيَا لَهَا مِنْ قُضْبٍ أَثْمَرَتْ
بَعْدَ مَا قُطِعَتْ، وَنُورٌ فَضَلَهُ بَادِي، وَمَوَائِدُهُ مَمْدُودَةٌ لِكُلِّ حَاضِرٍ وَبَادِي. [الكامل]

كَالشَّمْسِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ وَنُورِهَا يَغْشَى البِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبَ
وَلَمْ يَبْرَحْ ثَاوِيًا فِي فَلَكِ السَّعَادَةِ، حَتَّى كَسِفَتْ شَمْسُ حَيَاتِهِ، فَلَبَسَ الدُّجَى عَلَيْهِ
جِدَادَهُ.

فَمِنْ نَفْحَاتِ أَسْرَارِهِ، وَلَمَعَاتِ أَنْوَارِهِ قَوْلُهُ لِلْقَاضِي مُحِبِّ الدِّينِ، وَهُوَ بِمَسْرَعَةٍ
[الكامل]

مَنْ يَوْمَ بَيْنَكَ كُلُّ طَرْفٍ دَامِي لَمَّا رَحَلْتَ مُمْتَعًا بِسَلَامَةٍ
لَمَّا رَحَلْتَ مُمْتَعًا بِسَلَامَةٍ خَلَّفْتَ بَعْدَكَ كُلَّ خَلٍّ هَانِمًا
خَلَّفْتَ بَعْدَكَ كُلَّ خَلٍّ هَانِمًا سَكْرَانٌ مِنْ كَأْسِ الفِرَاقِ مُعَذِّبًا
سَكْرَانٌ مِنْ كَأْسِ الفِرَاقِ مُعَذِّبًا يَشْدُو بِذِكْرِكَ مِنْ نَوَاكٍ إِذَا رَأَى الدَّ
يَشْدُو بِذِكْرِكَ مِنْ نَوَاكٍ إِذَا رَأَى الدَّ مَوْلَانِي بَعْدَكَ قَدْ تَفَرَّقَ شَمْلُنَا
مَوْلَانِي بَعْدَكَ قَدْ تَفَرَّقَ شَمْلُنَا قَدْ كُنْتَ وَاسِطَةً لِعَقْدِ نِظَامِنَا
قَدْ كُنْتَ وَاسِطَةً لِعَقْدِ نِظَامِنَا وَضِيَاءٌ وَجْهَكَ فِي النِّهَارِ إِذَا بَدَا
وَضِيَاءٌ وَجْهَكَ فِي النِّهَارِ إِذَا بَدَا هَذَا وَعَبْدَكَ ضَاعَ بَعْدَكَ صَبْرُهُ
هَذَا وَعَبْدَكَ ضَاعَ بَعْدَكَ صَبْرُهُ

١٢- ابن المنقار: محمد بن القاسم المناقب شمس الدين بن المنقار الحلبي ثم الدمشقي، الحنفي المولود
البارع، كان من أعيان العلماء الكبار، ولد سنة ٩٣١، وتوفي سنة ١٠٠٥ ودفن في دمشق. [الكامل]
خلاصة الأثر: ١١٥/٤، وإعلام النبلاء: ١٥٢/٦، ونسحة الرحاب: ٣٢٩/١ - ٢١٨/٢

وعلى جِماك من المحبِّ تحيةً
وسقى الإله ديارَ مِصرَ وأهلها
لَمَّا حللتَ بها تضاحكَ نوزها
لازلتَ ترفُلُ في ثيابِ سيادةٍ
ما نمقَ المُشتاقُ طرسَ رسالةٍ
لا تنتهي وعليك ألف سلام
أنواء سُحب من يديك عظام
فَرِحاً وبُدلَ نقضها بتمام
وتجرُّ ذيلَ العِزِّ فوق الهام
بحديثِ أشواقٍ وبثِّ غرام^(١)

١٤- ابنه عبد اللطيف

ولما ارتحلتُ عن مصر، فارقتُ أترابي وِلداتي، ومَن بها من ذخائر آمالي وكنز حياتي. [الطويل]

وِظنُّرُ بلادٍ أرضعتني بمائها
مرزتُ على دمشق الشام، فرأيتُ مَن بها من الكرام، كان ممَّن نِعمتُ بلقباه،
ووقفتُ على هَضباتِ علاه، هذا الأديب الحسيب، والروضُ الأريض، والمربَع
الخَصيب، فحيَّاني بأنفاس من أنفاس الخِزَامِي أندى، وهبَّت منه نفحاتُ أنس كتنفحة
روضٍ من قبيل الصبح بَلَّتْها الأنداء، فعطَّر بفضائله المجاميع، وفكَّه بثمراتِ آدابه
المسامع، وأهدى إليَّ في مشرفة قصيدة، حيَّاني بها، وهي: [الوافر]

بأفقى دِمَشقَ قد طلعَ الشَّهابُ
هُمامٌ جدُّ في طلبِ المعالي
ومولى شأنه تخريِرُ علم
حواشيه مُنقَّحةُ المعاني
فبدرُ علاه مُكتمِلٌ مُنيرُ
ففي التفسير مجتهدٌ وفيما
فلا يُلقَى له فيه نظيرُ
أتى من مصرَ مجتازاً فطابت
وعاد إلى دِمَشقٍ وهو ثانٍ
فقلَّدَ جيدها بعقودِ فضل
وجاد رُبى دِمَشقٍ وساكنيها
أضاءتُ منه هاتيكَ الرِّحابُ
فأخرزُ شأوها منه الطُّلابُ
وتقريرُ المباحثِ والخطابُ
ومن فنِّ البيانِ بها اللُّبابُ
يفيضُ بدُرِّها منه العُبابُ
تَحاهُ رأيُه أبداً صوابُ
وليس له سوى التَّحريرِ دابُ
بمقدِّمه معالمُها الرِّحابُ
عنانَ العزمِ واقتَبَلِ الإيابُ
ووشى روضها ذاك الجَنابُ
بصنِبِ سَنِبه الهامِي سحابُ

(١) الطرس: الصحيفة.

١٤- عبد اللطيف بن يحيى بن محمد بن القاسم، المعروف بلطفي، ابن المتقار الدمشقي الحنفي، أحد مشاهير الفضلاء النبلاء، أخذ العربية عن الحسن البوريني، اشتغل بالتدريس، توفي سنة ١٠٥٧، ودفن بدمشق. انظر: خلاصة الأثر: ٢٣-٢٠/٣.

(٢) الظنر: المرضعة.

فقرت أعيننا وسمت مقاماً
وغنت لي قيان الطير بشراً
وماست غادة الروضات زهواً
وقد بسمت ثغور الثور فيها
وكأس الورد في راح الراوي
فنعيم الوقت وقت جاء فيه
فدام ممتعاً في ظل عيش
وعمر بنيه في الدنيا طويل
له مني ثناء كل وقت

وقد راقث مشاربها العذاب
فكان من القبول لها جواب
فألقي عن محياتها النقب
وأسكر من ثناياها الرضاب^(١)
طفأ فيه من الأنداء حباب
وخير الدهر وقت مستطاب
لطيف لا يكدره الذهب
يتيه بعده فيه الحساب
جزيل أو دعاء مستجاب

١٥- شيخ الإسلام عماد الدين الحنفي الشامي

ماجد طويل النجاد، له بيت كرم رفيع العماد، من غير قدح فيه واري الزناد، ممن رُفع فوق هامة السماك مهاده، إذا شيد بيت الشعر وعمر ربيع الأدب فهو عماده، وإذا بدى ربيع طبعه نشر على البقاع وشائع، يخبي دارس الفضل فيصبح وهو مشهور بها وشائع، وجواد قريحته ملآن العنان، سباق إلى مغارس قصب الرهان، بغذب مشرب كأنه جنى التحل ممزوجاً بماء الوقائع، فما ربح الشمال وما الرّاح الشمول، وما وجنات الورد خمشتها راحة القبول.

له لطف خلق يسعى اللطف لينظر إليه، ورقيق محاسن يقف الكمال متحيراً نديه، ألد من إغفاءة الصباح، وأخلى من مذاق الظفر من ثمرات الثجاج.

وأنا وإن لم تقع لي عليه عين، فسماع الأخبار إحدى الرؤيتين، على أني إن لم أر الأسد فقد رأيت شبله، وسيأتي ما بيني وبينه من المحبة والخلة، لما قلت بظل الشام، في روضة أطلت على نهر تفتّر مباسم النور فيها عن لآلي المطر.

وكان صدراً لكل ناد، حتى قرض الدهر منه رفيع العماد: [السريع]

وزهرة الدنيا وإن أينعت فإنها تسقى بماء الروان

وللطالوت في مدائح وبينهما محاورات، منها قوله: [السريع]

عهد السرور وزيعان الهوى الثضير سقاك عهد الحيا رقرق منحدر

(١) الرضاب: الريق المرشوف.

١٥- عماد الدين بن عبد الرحمن بن محمد العمادي، مفتي الحنفية بالشام واس مفتيها، كان فاضلاً، وقوراً متواضعاً، قرأ على والده وعلى الحسن البوريني والشيخ تاج الدين القزويني، كان صدراً من صدور الشام، وكانت ولادته في سنة ١٠٠٤، وتوفي سنة ١٠٦٨، ودفن في دمشق. انظر: الأثر: ٢٠٣/٣.

ريح الصبا بين منهلٍ ومنهمرٍ
 بلحن مغبّد تتلو طيب الخبر
 رمتك أيدي النوى بالحادثِ العدير
 عدت مغانيك أخلاف من المطر
 من منزل أهل بالشوق والذكر
 قد لحن تحت سناء من سنا قمر
 قد زانها الحسن بين الدلّ والخفر^(١)
 وصيرتها الليالي فتنة البشر^(٢)
 أعطافها وكساها حلة الخفر
 قلذتها من دموعي رائق الدر
 بمدمع فوق روض الخد منحد
 فصفو رونقه لم يخل من كدر
 فالجأ لظل عماد الدين تستر
 جنابه ظل ماوى الخائف الحذر
 بسؤدد مجده عال على الزهر
 يختال في حلل الأوضاح والغرر
 وعزمه كمضاء الصارم الذكر
 في البحث إلا اثنى بالعبي والحصر
 سمّت أرتك فعال البيض والسمر
 وقد توشح بالأنهار والعدير
 بمنطق وزده أخلى من الصدر
 فكللت دوحه المخضّل بالزهر
 وقد كسته الصبا من رقة السحر^(٣)
 زهر المجرّة صينت عن يد الغير
 فيبعث الشوق في أحشاء مستعر
 غر المعاني بها في أحسن الصور
 ركن العلا سامياً في سالف العصر

وجاد ربّعك وشمي تكرّره
 وغرّدت برباك الوزق وابتكرت
 ولا برحت مغان للجسان ولا
 ولا أغبّتك أرواح النسيم ولا
 كم لي بها وشبابي الغض مقتبل
 كم اجتليت بدوراً من مطالعها
 من كل رغبوبة تهفو بمضطبري
 رود كسستها يد الأيام ثوب صبا
 هيفاء صب الصبا ماء الشباب على
 قامت تعانقني عند الوداع وقد
 تقول والبين تغشاها ركائبه
 لا تعيب الدهر إن حالت خلائقه
 وإن ترّم تتقى من صرّفه نوباً
 مولى غدا ربه أمن المروع كذا
 لزال يسمو إلى العلياء مرتقياً
 حتى امتطى صهوات المجد سامية
 بهمة تجتلي كالليث ذا أشر
 ما فاضل قط جازه إلى أمد
 أقلامه السمر في بيض الطروس إذا
 له سجايا كزهر الروض غب ندى
 يلقاك طلق المحيا وهو مبتسم
 ما الروض جادت له الأنواء بالبكو
 جاد الغمام له سحا بوابله
 تخال زهر الأجاجي في خمائله
 يشدو الحمام على أغصانه سحراً
 يا فاضلاً قد جلت أبقار فكرته
 يا ابن الكرام ومن شادوا بعزمهم

(١) الرعبوية: المرأة البيضاء الغضة الطويلة الممتلئة الجسم.

(٢) زور: المرأة الحسناء الناعمة.

(٣) سخ الماء يقال: سحابة سحوح: غزيرة، وسحت السماء مطرها، وسخ المطر والدمع: سال، سح سحاً: انصب صبا.

ويا عماداً لبّيت الفضل يرفعه
إلى ذراك انتمت فاقبل على دخل
لازلت في نعمة تسمو بسؤددها
ما ناح بالأيك قمرِي وما سجعت

فأجاب رحمه الله وأجاد بقوله: [البيسط]

أحلي حوراء أم عقد من الدرر
أم الحباب على راح مروقة
أم نظم درّ زهت آيات منطقه
يا نافث السحر من فيه بمعجزة
ويا مديراً سلفاً من بلاغته
ويا ابن طالو وإن طال الزمان فما
أخذت قص المعاني من معادنه
وحزت جمع المزايا وانفردت بها
وجئت من كل معنى رائق حسن
كانه ضرب قد شابه شنب
وقد شهدنا بما أوتيت معجزة
أهديت لي عادة جلّت محاسنها
رغبوبة من بنات البدو مذ خطرث
حيث فأحيث بالفاظ منمقة
وأسفرت عن سنا بزقي وعن شفق
زارت على حين إشراق لبهجتها
وضاع عرّف شذاها عندما برزت
سألها قبلة أظفي بها حرقاً
فاومأت لشتيت زانه شنب
ونادمتني بليل قد سررت به
وبت أنشد مدحاً في محاسنها
يا نزهة النفس يا من زان منطقتها
خذها إليك وإن كانت مقصرة
وإن تكن أوجزت في المدح واختصرت

وكان من ضعفه يلقى على خطر
نسيجها يا رئيس البدو والحضر
هام السماكين حيث النسر لم يطر
وزق الحمائم بالأصال والبكر

أم زاهر الزهر أم زاه من الزهر
أم نفة السحر ذي أم نسمة السحر
فأعجزت كل ذي نظم ومُنْتِثِرِ
عقدت السن أهل البدو والفكر
هلاً ترفقت بالألباب والحضر
لنا بلوغ إلى عليك فاقصير
وغضت في أبخر الآداب للدرر
ولم تدع للسوى شيئاً ولم تذر
بكل ما قد حلا في الذوق والنظر
أو عاتق عاتق من ريجه العطر
جمع الفضائل في فرد من البشر
وقد تجلّت لنا في أحسن الصور
قلبي بها صار من وجددي على خطر
وغازلنا بلطف الدل والخفر
وعن ضياء وعن شمس وعن قمر
ومتعتنا بذاك المنظر النضر
منكاً وعطرت الآفاق بالقطر
شبت بقلب شديد الوجد مستعر
وأنعمت بلذيد الورد والصدر^(١)
لكنه ساءني والله بالقصر
ما قاله شاعر في سالف العصر
قس بن ساعدة المشهور في السير
فشان مثلك ستر الغيب بالستر
فالعذب يهجر للإفراط في الخصر

(١) الشنب: جمال الثغر وصفاء الأسنان، واستعير الشنب للشارب واستعمل حتى نسي الأصل.

وإن تكن من بديع القولِ عاطلةً
فاعدزُ فإني تركتُ الشَّعرَ من زمن
لازلتَ تسمو على الأقرانِ مُرتدياً
ما طرزَ الطُّرسَ تنميقُ اليراع بما
أو شَبَّ المادحُ المُطري بِمدحك في
فقد تحلَّتْ بعقدٍ من مديحِ سَري^(١)
لشاغلٍ عنه غَشَى مُقلَّةَ الفِكرِ
ثوبَ البلاغةِ في أمنٍ من الحَصْرِ
يزهو على الرُّوضِ أو يعلو على الزَّهرِ
بيتٍ من الشَّعرِ في رَوْضٍ على نَهْرٍ

١٦- بدر الدين بن رضي الدين الغزي، العامري، الشامي

فريدُ الدهرِ وأوانه، وابنُ عَبَّاسٍ في زمانه، وسَلْمان آل بيته، وحسَّان قصيدته وبيته،
صاحبُ الفنون، وغَيْثُ الإفادة الهتون، جمالُ الكُتبِ والسَّير، سيّدُ أهل الحديثِ وعَيْنُ
ذوي الأثر، ممَّن حازتْ به أقطارُ غَزَّة، شرفاً باذخاً وعِزَّة.

وابنه شَيْبُ الأسد^(٢)، ذُو الرَّأيِ الصَّائبِ الأَسَد، وفِرْنَدُ نَضْلِهِ المصقولِ الحَدِّ، وهما
كَرُكْبَتِي البعيرِ في كلِّ معنَى صارِم، أو كالحلقةِ المفرَّغة أو كغِرَارِي صارِم، وبدر طلع
من أفقِ كمالِ والده مُبتدراً، وكَرَع من بحرِ فضله البرِّ ماءَ الحياةِ قبل أن يبدو نباتُ
عارضِهِ خَضِرًا، وتُحيط بِمشرقِ أنوارِهِ، في إِبَّانِ طلوعه هالَةٌ عذارِهِ، حتى أمدَّ شمسُ
الفضلِ بما يُحيي النفوسَ، فهل سمعتَ ببذرٍ تستمِدُّ من أنواره الشُّموسُ، فتكلَّفَ البدرُ
إذ حَكَاه، وضاهى سَناءه وسَناه. [الطويل].

ولا عَجَبُ للبدرِ أن يتكلَّفَا

وله من شعرِ العلماءِ ما صدحتْ من ألقاصِ سُطوره الحَمائمِ، وتحملتْ الصِّبا نَشْرَه
فتلقته الزُّهورُ بثغرٍ باسمِ.

ولم يَزَلْ مُشرقاً في منازلِهِ البدرِيَّة، حتى أَلَمَ بِسنا عُمَرِه سِرارِ المنيَّة، لازال ثاوياً في
قصورِ الجِنانِ، وضريحه مطافٌ وفودِ الرَّحمةِ والغُفرانِ.

فمما لَمَعَ من نُورِ كماله، وسطع من نجومِ أقواله، قوله: [الطويل]

إذا كانَ حَمْدُ العَبْدِ مولاةِ إنَّما
وذلك مما يُوجبُ الحَمْدَ دائماً
يكونُ بِإلهامِ مِنَ اللّهِ لِلعَبْدِ
فلا حَمْدَ حقاً مَن سِوى مُلهمِ الحَمْدِ

(١) المرأة العاطلة والغطل: التي ليس لها حلي، والمعطل: المعتادة ترك الحلي استغناء عنه بجمالها،
وتمام خلقها.

١٦- محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله، أبو البركات، بدر الدين بن القاضي رضي الدين الغزي
العامري القرشي، الفقيه، المفسر، النحوي، ولد سنة: ٩٠٤، وتوفي سنة ٩٨٤، انظر: تراجم
الأعيان: ١٧٢، وخلاصة الأثر: ١٨٩/٤، ونفحة الريحانة: ٤٢٣/١.

(٢) انظر: خلاصة الأثر: ١٨٩/٤.

وقوله: [البيسط]

كم من كرائم أموالٍ لَدَيْهِ حَوَى
يرى الفقيرَ لَدَيْهِ والغنيَّ سَوَا

لنا أميرٌ فريدٌ في خلائِقِهِ
له التيفاتُ لرزقِ النَّاسِ مُعْتَنِيَا

وقوله: [السريع]

في الحشرِ مع تقصيره في القُرْبِ
والمصطفى فالمرءُ مع مَنْ أَحَبَّ

مَنْ رام أن يبلُغَ أَقْصَى المُنَى
فليُخْلِصَ الحَبَّ لمولى الوَرَى

وقوله: [مخلع البسيط]

في عصرنا المالُ يُستَفَادُ
وَكَمْ حَسَمَارٍ لَه جَوَادُ

بالحِظِّ والجَاهِ لا بفضْلِ
فكم جوادٍ بلا حَمَارٍ

وقوله^(١): [السريع]

أَلْثَمَهَا أَقْوَاةُ أَهْلِ العِلا
يَزْدَادُ رِقًّا لَكُمْ أَوْ وَلَا

يُقْبَلُ الأَرْضَ جِماها الذي
عَبْدٌ إِذا كاتَبْتَهُ ثانياً

وكتب إليه الفاضل التَّحْرِيرُ عبد الرحيم العباسي مُلغزاً، بقوله: [الخفيف]

وهُماماً أَضحى لراجيه كُنْزاً
وهو حَرْفانٍ لا سِوَى إن تجزأ
جاء معنى أو جاء لِلْفِظِّ يُغزى
وسِوَى الخُمْسِ منه ما تمَّ أَجْزاً
فهو وَضْفٌ لِكاملِ نال عَزاً
أخراً فهو قولها حين تَهز
ثمَّ عن حَمَلِ إِبْرةِ نال عَجْزاً
لُغزُهُ ظاهراً وإن كان رُمْزاً
لك دوماً جُضناً حَصِيناً وحِزراً

يا إماماً له الفضائلُ تُغزى
ما بسِيطُ حروفه ليس تُخْضى
كلُّ جُزءٍ منه استوى القلبُ فيه
نصفُهُ رُبْعُهُ ولا رُبْعُ فيه
وَإِذا ما تصحَّفَ البَدْءُ منه
أضْمَرَ القلبُ غادةً إن تُصحَّفُ
وعلى حَمَلِ صُخْرةِ ذُو اقتدارٍ
هاكهُ واضحاً بدون خَفاءٍ
دُمْتَ في رِفْعَةٍ وَجَفْظٍ إلهي

فأجابه البدر: [الخفيف]

فلقد قُنتَ للهداية كُنْزاً
صار منك البيانُ للدهرِ طَرْزاً
يتمُّ والمجدُّ من تجرَّبه يَهْزاً
ثمَّ حسناً وأورثَ الفِكرَ عَجْزاً
ثمَّ نظيراً فقد تفرَّدَ رُمْزاً

زادكَ اللُّه بالدراية عَزاً
يا بديع الألفاظِ عَذْبُ المعاني
مَنْ يُجارِيكَ في العلومِ يُجارِي الـ
إن لُغزاً أُرْسَلْتَهُ فاق بدرَ التـ
مَنْ يُفتشُ فليس يُلْفِي له

(١) انظر: نفحة الريحانة: ٤٢٣/١ .

تسمع الأذن منه في ذاك ركزاً^(١)
نابَهُ للفرار يجمزُ جمزاً^(٢)
بالدراري حتى يحاكيه لغزاً
إبلٌ لم تكن لديّ فمغزى^(٣)
فإليه كل الفضائل تغزى
ما أمال التسييم غصناً وهزاً

لني قالت خل عنك
أنا أولى بك منك

يُنزله للمنزل السافل
يقابل الباطل بالباطل

لو قد تأملت الشواهد
أو لا فكذبني بواحد

عامر الجرجاني^(٤)، أحد شعراء «اليتيمة» وفي

يعرف قدر الثناء والمدح
فكذبوني بواحد سمح

وإن لم يكن من جميع الوجوه: [الكامل]
فكأنه أير الجمار القائم

ثم من يبتغي مضاهاته لا
وتراه وقد تحير مما
من يطق يلمس السماء ويأتي
قلت لما أجبت عنه إذا ما
غير أنني بالسثر منه وثيق
دام في نعمة وظل سُعود
وقوله: [م. الرمل]

إن أطفاف إلهي
لا تدبر لك أمراً
وقوله: [السريع]

من أطلع الأحمق فوق الشها
وغير بدع فعله حيثما
وأشده بعضهم: [م. الكامل]

ما في زمانك واحد
فاشهد بصدق مقالتي

قلت: ليس له، وهو من شعر أبي
معناه قول ابن حيوس^(٥): [المنسرح]

قد مات في دهرنا الكرام ومن
فإن شككتم فيما أقول لكم

ومما أنشده الخوارزمي مما يشبه هذا،
أمسى بلا عظم لديه تعاطم

(١) الرّكز: الصوت الخفي، الهمس.

(٢) الجمز: هو سير فوق العنق، وهو الجمزي، يقال: هو يعد والجمزى.

(٣) البحر مأخوذ من قول امرئ القيس في ديوانه: ١٣٦

ألا إلا تكن إبل فسمعزى

(٤) الجرجاني: فضل بن إسماعيل، أبو عامر التميمي الجرجاني، الأديب المحدث، روى عن حمزة بن يوسف، توفي في حدود ٤٤٥، صنف البيان في علوم القرآن، وسلوة الغرباء، وعروق الذهب من أشعار العرب. انظر: هدية العارفين: ٨١٩/١.

(٥) ابن حيوس: محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس بن مرتضى الغنوي الأمير صفى الدولة أبو الفتيان، الشاعر، الشهير بابن حيوس. ولد سنة: ٣٩٤، وتوفي بحلب سنة: ٤٧٣، وله ديوان شعر. انظر: هدية العارفين: ٧٤/٢.

ويقول إن الناس كلهم أنا
ولا بن تميم: [الطويل]

وأيا معشر الأصحاب مالي أراكم
لئن كان ذم الناس أضحى شعاركم
ومما قلته في معناه: [الطويل]

تفرّدت في ذا العصر بالفضل والنهي
فأبقى لنا في الدهر غيرك عالماً
ومن شعر والده: [م. الرمل]

إن خلاً ملاً مئناً
هو لا يسأل عننا
وللتقي السبكي^(١) رباعية في هذا المعنى، وهي: [الدوبيت]

يا قلب من الغرام قد زدت وله
فالنفس عزيزة على من هي له
ولا بن الورددي^(٢): [م. الكامل]

إذا كرهت منزلاً
وإن جفناك صاحب
لا تخمّلن إهانة
فمن أتى فمرحبا
ومما أنشدته له: [الخفيف]

إن تسأل عن حال الذين اجتباهم
أحب الله والذين اضطفاهم
وللحافظ ابن حجر العسقلاني^(٣) في معناه: [السريع]

(١) السبكي: محمد بن عبد اللطيف السبكي تقي الدين، أبو الفتح المصنف في السير، المتوفى في سنة ٨٤٤، قال السيوطي في حسن المحاضرة أنه ألف تاريخاً لم يبق منه شيء، نظر في هذه المعرفين ١٥١/٢ .

(٢) ابن الورددي: عمر بن المقفّر بن عمر بن محمد بن أبي العوارس المعري الحلبي الشافعي، توفى في سنة ٧٨٩، له الكثير من تصانيف النظر في هذه المعرفين: ٧٨٩/١ .

(٣) ابن حجر العسقلاني: علي بن محمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، والد شهيد الدين ابن حجر المعروف، توفى سنة ٧٧٧، له ديوان الحرم في المدائح النبوية، نظر في هذه المعرفين: ٧٢٥ .

وقائل هل عمَلُ صالحٍ أَعَدَّدْتَهُ يَنْفَعُ عِنْدَ الْكُرْبِ
فقلتُ حَسْبِي خِدْمَةُ الْمُصْطَفَى وَحُبُّهُ فَالْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ
وكنْتُ قلتُ قبلُ أنْ أسمعَ هذا: [الوافر]

وحقُّ الْمُصْطَفَى لي فيه حُبٌّ إذا مرضَ الرَّجَاءُ يَكُونُ طِبًّا
ولا أَرْضَى سِوَى الْفِرْدَوْسِ مَأْوَى إذا كانَ الْفَتَى مَعَ مَنْ أَحَبَّ

واعلم أنه وقع في حديث صحيح، عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أنت أحب إلي من نفسي وأهلي ومالي، واني إذا ذهبت لداري لا تطيب نفسي حتى آتيك وأراك، فإذا متت أنت كنت في أعلى مقام، فأخشى ألا أراك.

فلم يُجِبْهُ الرَّسُولُ ﷺ، فنزل عليه جبريل عليه السلام، بقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ الآية [النساء: ٦٩].

فقال رسول الله ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»^(١).

وقلتُ في معناه رُبَاعِيَّةٌ: [الدوبيت]

حُبِّي لمحمدٍ حبيبِ الباري في طِينَةِ خَلْقَتِي وَرُوحِي سَارِ
والمَرْءُ وَمَنْ أَحَبَّ في الْخُلْدِ معاً طُوبَى لِي إِنْ عَدَوْتُ عِنْدَ الدَّارِ

١٧- أبو الصفاء مصطفى بن العجمي الحلبي

روضٌ ورِيْقُ أَغْصَانِ الْمُرْوَةِ، رِيَانٌ من ماء المكارم والفتوة، فارسُ الشهباء نُبْلًا وأدبًا، طبعه أخو ابنة العنب صفاء وطرباً، أردانُ شبابه باللطفِ مُدْهَبَةٌ، وكؤوسُ آدابه المجلوة للقلوب مُحِبَّةٌ، إذا ابتسمت عُقودُ أَلْفَاظِهِ كَسَدَ نَظِيمِ الْجَوْهَرِ، وَخِيْلَ أنها لِرَفَّتِهَا من خدود الغيد تُعْصِرُ، أَقْبَلْتُ على شِعْرِهِ الْفَصَاحَةَ بوجهٍ جميل، وقصّر عن إدراك لطفه النَّسِيمُ وهو غليل، مع صَبَاحَةٍ مُحْيَا يَهْزَأُ بِالرَّوْضِ الْوَسِيمِ، إذا عطرت مجامرُ نَفْحَاتِهِ أذْيَالَ النَّسِيمِ، نَفَحَتْ في بُرُودِ الزَّهْرِ نَشْرًا، وَعَبَثَتْ بِمَبَاسِمِ النَّوْرِ الضَّاحِكَةِ بَشْرًا. [الخفيف]

ثُمَّ لَمِنْ سُلَافَةِ الطَّلِّ في الزَّهْرِ بِرِ وَنَاهِيكَ طِيْبُهَا مِنْ كَاسِ
ولم تزل كؤوسُ أدبه على التَّدَامَى مَجْلُوءَةٌ؛ حتى وردَ مواردُ الموتِ فَبُدِّلَتْ بِالْكَدْرِ
صُفُوهُ. [الطويل]

(١) الحديث في صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب: علامة الحب في الله عز وجل، برقم: ٥٨١٦-

٥٨١٧، وأخرجه مسلم في البر والصلة والآداب، باب: المرء مع من أحب، رقم ٢٦٤٠.

١٧- ابن العجمي الحلبي: مصطفى بن محمد العجمي ثم الدمشقي الشافعي، توفي سنة ٩٩٥، له شعر لطيف. انظر الكواكب السائرة: ٢٠٧/٣.

وَأَيُّ صَفَاءٍ لَا يُكَدِّرُهُ الدَّهْرُ

فَقَطَّفَتْ زَهْرَةَ شَبَابِهِ، وَقَدْ سَقَّتْهَا دَمَوْعُ أَحْبَابِهِ.

فمن شعره، ما أنشدني له الطَّالُوبِيُّ، من قصيدةٍ اخترتُ منها قوله: [البيط]

وَلَا النَّسِيمُ بِأَخْبَارِ الْجِمَى نَسَمًا
حَتَّى كَأَنَّ بِهِ مَا يُشْبِهُ اللَّمَمًا
فَغَادَرْتُهُ كَأَنْفَاسِ الصَّبَا سَقَمًا
تَضُمُّ صَدْرًا خَفُوقَ الْقَلْبِ مُضْطَرَمًا
مِنَ الْبَوَارِقِ تَهْمِي فِي عِرَاصِكُمْ^(١)
تَبْتُ مِنْ سِرِّهَا مَا كَانَ مُكْتَمًا
يُزْرِي مُفْلَجُهُ بِالذُّرِّ مُنْتَظَمًا
أَيْدِي سَبَا وَتَرْدُ الْفِكْرِ مُنْقَسِمًا
مِنَ الزَّلَالِ وَقَدْ كَادَتْ تَذُوبُ ظَمًا
أَضْحَى وَجُودِي كَصَبْرِي فِي الْهَوَى غَدَمًا

مَا اجْتَازَ بَارِقُ ذَاكَ الثَّغْرِ مُبْتَسِمًا
إِلَّا وَعَاوَدَهُ مِنْ وَجْدِهِ طَرَبٌ
مُتَيِّمٌ لَعِبْتُ أَيْدِي الْغَرَامِ بِهِ
تَبِيْتُ مِنْهُ عَلَى الْأَخْشَاءِ كَفُّ شَجٍ
أَيَا خَلِيلِي لَا زَالَتْ مُجَلَّلَةٌ
حَتَّى تَظَلَّ لَهَا الْأَرْجَاءُ بِاسِمَةٍ
أَمَّا وَمُبْسِمِهِ الزَّاهِي بِمُنْتَسِقِي
وَلَفْتَةٍ تَذُرُّ الْأَلْبَابَ شَارِدَةً
لَا حُلْتُ عَنْ حُبِّهِ الْأَشْهَى إِلَى كَبْدِي
وَلَا تَبَدَّلْتُ إِنْسَانًا سِوَاهُ وَلَوْ
وَمِنْهَا:

وَهِيَ اللَّالِيَةُ ظَنَّتْهَا الْوَرَى كَلِمًا

لِلَّهِ مَا أَنْتَ فِي الْآفَاقِ تَنْثُرُهُ
وَمِنْهَا:

لَا تَرْتَضِي الشُّعْرَ أَنْ يُغْزَى لَهَا شَمْسًا

مِنْ كُلِّ زَاهِيَةِ الْأَلْفَافِ زَاهِرَةً

وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ رَثَى بِهَا الْعِمَادَ: [الطويل]

لَهُ كَمَدٌ بَيْنَ الضُّلُوعِ مُقِيمٌ
فَأَصْبَحَ كُلُّ وَهْوٍ عَنْهُ هَزِيمٌ
وَأَوْهَى عِمَادَ الدِّينِ وَهْوٍ قَوِيمٌ
وَإِنْ فَوَادَ الْمَكْرَمَاتِ كَلِيمٌ

عَظِيمٌ مُصَابٍ مُقْعِدٌ وَمُقِيمٌ
وَفَادِحُ خَطْبِ حَارَبِ الصَّبْرِ وَالْكَرَى
وَحُكْمٌ أَذَلَّ الْفَضْلَ عِنْدَ اعْتِرَازِهِ
إِلَّا إِنَّمَا عَيْنُ الْمَعَالِي غَضِيضَةٌ
وَمِنْهَا:

سَحَابٌ رَضْوَانٍ فَلَيْسَ تَرِيمٌ
بِهَا الثَّبْتُ شَتَى يَانِعٌ وَهَشِيمٌ

أَقَامَتْ عَلَى قَبْرِ لَهْ عَاطِرِ الثَّرَى
إِلَى أَنْ يَعُودَ الْقَبْرُ أَنْضَرَ رَوْضَةً

وكان له بجلق أصدقاء تسكر بشمول شمائلهم الرّاح، وتهترّ طرباً لذكرهم معاطف الأزيحية والسّماح، فتخفق على هامات مجدهم ألوية الحمد، وتضيء في سماء معاليهم

(١) العِراس: السحاب الذي يعرض بركة، يقال: عرض البرق: إذا كثر لمعانه. ودار خالية العِراس والعِراضات.

كواكبُ المجد، من كل مُصطَبِح بكاساتِ المَسْرَةِ مُغْتَبِق، ولولا نَدَاهُ كَاد من نارِ الذِّكَاة
يخترِق.

فلما ارتحلَ إلى الشَّهْبَاء غلبه الشَّجَن ونافسته الشُّجُون، وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون، فكتب إليهم: [البسيط]

يُقْبِلُ الأَرْضَ صَبُّ مُغْرَمٍ عَلَقَا
جِلْفُ الصَّبَابَةِ أَمَا قَلْبُهُ فَشَج
يَشْتَاقُكُمْ كَلَّمَا هَبَّتْ يَمَانِيَّةٌ
بِهِ مِنَ الْبَيْنِ مَا لَوْ حَلَّ أَيْسَرُهُ
يَا هَلْ تَعُودُ أَوْيَقَاتُ بِكُمْ لَفَتِي
اللَّهُ يَعْلَمُ مَا إِنْ عَزَّ ذِكْرُكُمْ
وَلَا تَغْنَثُ عَلَيَّ غُضُنٌ مُطَوَّقَةٌ
يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْأَيَّامُ مُطْمِعَةٌ
هَلْ لِي إِلَى عَوْدِ أَوْقَاتِ بِكُمْ سَلَفَتْ
لِلَّهِ أَيَّامُنَا وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ
وَإِذْ بِكُمْ كَانَ عَيْشِي أَخْضَرًا نَضِرًا
يَا صَاحِبِي فَلَا زَوْغُثَمَا بَنُوِي
إِنْ جِئْتُمَا الْجَامِعَ الزَّاهِي بَرَوْنِقِهِ
مِيَمَّيْنِ لَهْ عُوْجَا كَذَا كَرْمًا
فَبَلِّغْنَا لِي سَلَامًا مَن مَحَبَّتُهُ
وَخَبْرَاهُ بِمَا أَلْقَى بَعِيْشِكَمَا
إِنِّي إِلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى الْمَشُوقُ كَمَا
لَا سِيَّامَا الأَرُوعَ الْمَحْمُودَ سَيِّدِنَا
طَوْرًا تَرَاهُ بِكَاسِ الْحَمْدِ مُصْطَبِحًا
يَا غَائِبِينَ فَمَا وَدِّي بِمُنْتَقِضِ
تَخْدُوهَ رِيْحِ الصَّبَا وَهَنَا لِأَرْضِكُمْ

فأجابه أبو المعالي الطَّالُوِي بِقَصِيْدَةٍ، أَنشَدْنِيهَا، وَهِيَ: [البسيط]

وَأَفْتِ فَارْجَبِ الأَرْجَاءِ وَالْأَفْقَا
رَاحَ كَأَنَّ الصَّبَا بَاتَتْ تُعَلِّلُهَا
بِكُمْ وَذَلِكَ مِنْ تَكْوِينِهِ عَلَقَا
مِنَ الْفِرَاقِ وَأَمَا جِسْمُهُ فَلَقَا
وَلَا مَحَالَةَ أَنْ يَشْتَاقَ مَنْ عَشِيْقَا
يَوْمًا بِأَرْكَانِ رَضْوَى هُدًى أَوْ طَفِيْقَا^(١)
دَمُوعُهُ خَدَّدَتْ فِي خَدِّهِ طُرْقَا
إِلَّا تَنَائِرَ دُرِّ الدَّمْعِ وَاسْتَبَقَا
إِلَّا أَهَاجَثَ لِي الأَشْجَانُ وَالْأَرْقَا
وَالدَّهْرُ فِي عَكْسِ مَا يَهْوَى الْفَتَى خُلِقَا
رَجَا فَأَظْفَرَ أَحْيَانًا بِمَا افْتَرَقَا
أَيَّامٌ لَا فُرْقَةَ أَخْشَى وَلَا فَرَقَا
وَأَسْوَدُ اللَّيْلِ مِنْكُمْ أَبْيَضًا يَقَقَا^(٢)
وَعَنْكَمَا ظَلَّ جَفْنُ الدَّهْرِ مُنْطَبِقَا
سَقَاهُ عَمَّنْ غَادِيَاتِ الشُّحْبِ مَا عَدَقَا
لِنَحْرِ قُبَيْتِهِ السَّمَاءِ وَانْطَلِقَا
لَمْ تُبْقِ لِي مِنْذُ حَلَّتْ مُهْجَتِي رَمَقَا
مِنَ فَرْطِ لَاعِجِ أَشْوَاقِ أَتَتْ نَسَقَا
أَشْتَاقُ صَحْبِي إِخْوَانَ الصِّفَا خُلِقَا
المُسْكِتَ اللِّسَنَ المُطْرَى إِذَا نَطَقَا
وَتَارَةً مِنْ سُلَافِ الْمَجْدِ مُغْتَبِقَا
مِنْكُمْ وَلَا حَبْلُ عَهْدِي وَاهِنًا خُلِقَا
يُزْرِي شَذَاهَا بِرِيًّا مِسْكِهِ عَبِقَا

أَمْنِيَّةٌ مِنْ شَذَاهَا قَطْرُنَا عَبِقَا
بِالسُّخْرِ بَيْنَ رِيَاضِ طَلْعِهَا بَسَقَا

(١) رضوى: اسم جبل.

(٢) اليق: الأبيض الناصع، شديد البياض.

أهدت لنا أرجاً جُنْحَ الدُّجَى عِبْقًا
 كخُوطِ بَانٍ غَضِيضٍ مُثْمِرٍ بِنَقًا
 مهْمَا انْبَرَتْ بفؤادِ هَامٍ أو عَشِقًا
 لأذْكَرْتَهُ زَمَانًا يَبْعَثُ الحُرْقًا
 أزرَتْ به وكذا سَحْبَانُ إن نَطَقًا
 قد نُظِمَ الدُّرُّ في لَبَاتِهَا نَسَقًا
 يُزْرِي شَذَاهَا بَرِيًّا المِسْكَ إن عِبْقًا
 فالْحُرُّ يَشْتاقُ إِخْوَانَ الصِّفَا خُلُقًا
 شَمْسُ النَّهَارِ وَأَبْدَى صُبْحُهُ شَفَقًا
 بِسَفْحِ جِلْقٍ أو بَرَقِ الجِمَى بَرَقًا^(١)
 بأن يُمَنَّ على مُضْنَاكُم بِلِقَا
 إلا وَرُحْتُ بَدْمَعِي جازعًا شَرْقًا
 وَرَقَاءُ تَنْدُبُ إِلفًا نازِحًا شَفَقًا
 ففاض من مُقْلَتِي الدَّمْعُ وانْطَلَقًا
 والدهرُ قد غَضَّ عِنا الجَفْنُ فانْطَبَقًا
 يُزْرِي بِغَزْلانِ غَسْفانِ إذا رَمَقًا
 أو راح من ولهِ بالطاس مُغْتَبَقًا
 بشت مَلْمُومِنا والدهر ما خَلَقَ
 تُعوذُ يَوْمًا فأخْظِي منكم بِلِقَا
 صِبابَةٌ تَبْعُكُ الأشْجانَ والأرقا
 كَمِسْكَ دَارِينَ يَزْكو كُلْما تُشَقَا

أم نَفْحَةً مِنْ رَبِّي دَارِينَ عاِطِرَةً
 هَيْفَاءُ تَزْهُو بِقَدِّ زانِهِ هَيْفُ
 تَرْنُو إِلَيَّ بِطَرْفِ كُلُّهُ حَوْرُ
 لو شاهدَ ابنُ عُنَيْنٍ حُسْنَ طَلْعَتِهَا
 أو انْبَرَتْ لِحَبِيبٍ وَهُوَ ذُو لَسَنِ
 يا حُسْنُهَا حينَ زارْتنا مُحَبَّرَةً
 أهدت تحيَّةً وُدُّ من أَخِي ثِقَّةً
 لا غَزْوَ أَنِّي مَشُوقٌ في الأنام لَهُ
 أَشْتاقُ رُؤْيَتَهُ الغرَاءَ ما طَلَعَتْ
 وكَلِّما سَحَرًا هَبَّتْ شامِيةً
 أَحْبَابِنا والذي أرجوه مُبْتَهلاً
 ما إن تَذَكَّرْتُ معنَى راقٍ لي بكم
 ولا شَدَّتْ بِغِياضِ العُوطَتَيْنِ ضَحَى
 إلا وَغاضِ اضْطِبارِي أو وَهَى جَلْدِي
 إذ جانبُ العيشِ طَلَّقَ رائِقَ بَهْجِ
 تَلْهُو بِكُلِّ كَجِيلِ الطَّرْفِ ساحِرِهِ
 لا سِيَّما إن غدا بالكاسِ مُصْطَبِحًا
 لَيْتَ الزَّمانَ الذي فينا العِداةَ قَضَى
 يا هَلْ أو يَنْقائِنا الألاتي بكم سَلَفَتْ
 عَلَيْكَ مِنِّي سلامُ اللهِ ما بَقِيَتْ
 تَهْدِيهِ رِيحُ الثُّغامِي نحوَ أَرْضِكُمْ

١٨- تقي الدين بن معروف

سماء فضل بإطلاع نجوم الكمال معروف، وشموس معارفه لا يغتريها نسوف،
 ورياض علمه أنيقة، ودوحة مجده وريفة الظل وريقة.

إذا مس الأعلام سجدت في محاريب الطروس شكرًا، ومادت من مدام مداده هائمة
 شكرًا، فكم لليل جبره المسكبي الأنفاس يد بيض الله بها محيا القرطاس. [الرجز]

(١) جلق: اسم من أسماء دمشق.

١٨- تقي الدين بن معروف: محمد بن أبي الفتح محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف بن
 الأمير منكوبرس الأسدي، تقي الدين الراصد، ولد سنة ٩٣٠ بدمشق وتوفي سنة ٩٩٣، له كثير من
 المصنفات منها: الدر النظيم في حل التوفيم، وعلامسة الأعمال في موافقت الأيام والامال العبد
 هدية العارفين: ٢٥٧/٢، والأعلام للزركلي ٣٢٦/٧.

تُخْبِرُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ

وله في علم الفلك أنظار تنم بأسرار كواكبه، وإن كتم قلبه على لسان أسرار صاحبه، بَوَّاهُ اللهُ مِنْهُ مَكَاناً عَلِيّاً، فَتَلَا لِمَنْ رَامَهُ سِوَاهُ: ﴿أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً﴾ [مريم: ١٨] فكم سعد له بخطوات فكره وسما، واتخذ خطوط جداوله للغروج إليه سلماً، فكلما طارت حمائم النجوم من بروج أقطارها، جعلها بطاقة تطير في الآفاق لتبليغ أخبارها، فلو كان لعطارد الخيار كان بدنانير الدراري له مشتري، ولو أراد مدحه أطراه بقول ابن الرومي غير مفترى: [المنسرح]

أعلاكم في السماء مجدكم
شافهتكم البدر بالسؤال عن الـ
لم تذكروا قط بالحساب بل الـ
فلستم تجهلون ما جهلاً
أمر إلى أن بلغتم زحلاً
أحساب علماً لكم ولا عملاً

ولم يزل متقلداً بصارم القضاء، قانعا من معشوقته الدنيا بحالتي الصد والرضا، حتى أراد أن يجدد لأستاذنا رصداً: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشْداً﴾ [الجن: ١٠] غافلاً عن حركات الفلك، حتى قال له: نبهك الله ما أغفلك، فدارت دوائره على مدارها، وصارت زاوية قبره حادة بعد ما كانت منفرجة في أقطارها، وشكل العروس من زخرف الحياة له أطماع، وهو لمن تأمله شكل قطاع: [الرجز]

والموت للإنسان بالمرصاد

وقد طالعت له رسائل فلكية، وبعض تحريرات هندسية؛ تدل على علو كعبه فيها، ورقيه من خضيب الخمول إلى سماء معاليها.

وله شعر وسط، ونثر غريب الثمط، كقوله في مدح العلامة أبي الفتح المالكي:

[الرجز]

يا كعبة يؤمها أولو النهي
لأنت في العالم فرد علم
والفضل لما قال إن مالكي
رفعت قدراً وعلوت رتبة
وقفت أهل الأرض بالعلم الذي
يصرف لب المرء نحو لفظه

وقوله من قصيدة في مدح استاذي سعد الدين الشاعر: [الطويل]

صباح الأمانى في صباح مكارم
مطالع مازالت طوالع بالسنا
تجلت على عرش الجلالة والحمد
تعمم آفاق المكارم بالسعد

فائدة مهمة

سُئِلَتْ عنها في حال تخريري هذه «الريحانة»، وهي أنه مَنَعَ بعضُ علماء المالكيَّة من الألقاب المُضافة للدين، كسعد الدين، وعز الدين.

فقلتُ: قال العارفُ بالله ابن الحاج^(١) في كتابه المسمى بـ «المدخل» الذي استقصى فيه أنواع البدع، ما نصُّه: فصلٌ، من ارتكب بدعةً يثبني له إخفاؤها؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ ابْتُلِيَ مِنْكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْقَادُورَاتِ فَلْيَسْتَتِرْ»^(٢) والعالم يجب عليه التسترُ أكثر من غيره؛ لأنه ربما يُقال: عنده علمٌ بجواز ما ارتكبه، فيقتدي به غيره، كما قال أبو منصور الدمياطي، في قصيدة له: [الدوبيت]

أيهما العالمُ إياك الزَّلَلُ	واحذرِ الهَفْوَةَ فالخَطْبُ جَلَلُ
هَفْوَةُ العالمِ مُسْتَفْظَمَةٌ	إِنْ هَفَا أَصْبَحَ فِي الخَلْقِ مَثَلُ
وعلى هَفْوَتِهِ عُمَدَتُهُمْ	وَبِهِ يَخْتَجُّ مِنْ أخطَا وَزَلُ
فهو مِلْحُ الأرضِ ما يُضْلِحُه	إِنْ بَدَا فِيهِ فسادٌ أَوْ خَلَلُ

فمِمَّا يثبني التَّحْفُظُ عنه من البدع الأعلامُ المخالفة للشرع، المُضافة للدين؛ لما فيها من تزكية النفس، المنهية عنها، كما صرَّح به القرطبي في «شرح الأسماء الحسنى».

وللفضل بن سهل قصيدة في ذمِّها، فمنها قوله فيمن لُقِّب بعز الدين وفخر الدين:

[الطويل]

أرى الدينَ يَسْتَحْيِي من الله أن يُرى	وهذا له فَخْرٌ وذاك نَصِيرُ
فقد كَثُرَتْ في الدينِ ألقابُ عُضْبَةٍ	هُمُ في مَراعِي المُتَكَرراتِ حَمِيرُ
ولائي أَجَلُ الدينِ عن عِزِّهِ بِهِمْ	وأعلمُ أن الذَّنْبَ فِيهِ كَبِيرُ

فمن نادى بهذا الاسم، أو أجاب به، فقد ارتكب ما لا يثبني؛ لأنه كذب؛ وفي الحديث: «عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ فَإِنَّهُ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَالْبِرُّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَالْكَذِبُ فُجُورٌ وَالْفُجُورُ يَهْدِي إِلَى النَّارِ»^(٣) الحديث.

(١) ابن الحاج: أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي المعروف بابن الحاج، من أصحاب ابن أبي حمزة، نزيل القاهرة، المتوفى بها سنة: ٧٣٧، من تصانيفه: شمس الأنوار وكنوز الأسرار في علم الحروف وروحانيته، ومدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة. انظر هدية العارفين: ١٤٩/٦.

(٢) الحديث في النهاية في غريب الحديث ٢٨/٤، وفيه «فمن أصاب من هذه القادورة شيئاً فليستر بستر الله». وقال فيه: أراد ما فيه حدُّ كالزنا والشرب.

(٣) الحديث في صحيح البخاري في كتاب الأدب برقم ٥٧٤٣، وقد جاء كما يلي: «إن الصدق يهدي إلى البرِّ، وإن البرِّ يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً. وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»، وأخرجه مسلم في البر والصلة والآداب، باب: قبح الكذب وحسن الصدق: رقم ٢٦٠٧.

فإذا قال أحدٌ «مُحْيِي الدين» يُقال لهذا الذي أُخِيى الدين؟ فإذا أخذ صحيفته وجدها مَشْحُونَةً بالكذب.

ولما دخل رسولُ الله ﷺ على أم المؤمنين زينب، قال لها: «مَا اسْمُكَ؟» قالت: بَرَّة. فكرِهَ صلى الله عليه وسلم ذلك، وقال: «لَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ» وسمَّاهَا زَيْنَب^(١).

ولا يُقال: إنها خرجت عن أضْلِهَا بِالنُّقْلِ لِلْعَلَمِيَّةِ؛ لأنه لو كان كذلك ما كرهوا تزكُّها مع ما فيها من التَّشْبُه بِالْعَجْمِ الْمُنْهِيِّ عَنْهُ.

وهذه التَّسْمِيَةُ أَوَّلَ مَا ظَهَرَ مِنْ مُتَغَلِّبَةِ التُّرْكِ مِضَافَةً لِلدَّوْلَةِ، وَكَانُوا لَا يُلقَّبُونَ أَحَدًا إِلَّا بِإِذْنِ السُّلْطَانِ، وَكَانُوا يَبْذُلُونَ عَلَيْهِ الْمَالَ، ثُمَّ عَدَلُوا عَنْهُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الدِّينِ.

ونقل عن الثَّوَوِيِّ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ مِنْ يُلقَّبُهُ بِمُحْيِي الدِّينِ، وَيَقُولُ: لَا أَجْعَلُ مَنْ دَعَانِي بِهِ فِي جِلٍّ.

ولذا تحاشَى عنه بعضُ العلماء، وهذه نَزْعَةٌ شَيْطَانِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ، وَلَمَّا كَانَ فِي أَهْلِ الْمَغْرِبِ مِنَ التَّوَاضُّعِ كَانُوا يَغَيِّرُونَ الْأَسْمَاءَ، لَمَّا هُوَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ أَيْضًا، فَيَقُولُ لِمُحَمَّدٍ: «حَمُو»، وَلِأَحْمَدَ «حَمْدُوس»، وَلِيُوسُفَ «يَسُو» وَلِعَبْدِ الرَّحْمَنِ «رَحْمُو» وَنَحْوَهُ. انْتَهَى.

أقول: أَمَّا كَوْنُ هَذِهِ بَدْعَةً حَدَّثَتْ بَعْدَ الْعَصْرِ الْأَوَّلِ فَلَا شُبُهَةَ فِيهِ.

وَأَمَّا كَوْنُهَا مَمْنُوعَةً شَرْعًا، أَوْ مَكْرُوهَةً فَلَا وَجْهَ لَهُ، وَمَا تَشَبَّهَتْ بِهِ أَوْهَى مِنْ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ، وَمَا نَقَلَهُ عَنِ الثَّوَوِيِّ وَغَيْرِهِ مِنَ السَّلَفِ لَا أَضْلَ لَهُ، وَكَذَا مَا نُقِلَ عَنِ شَيْخِ وَالِدِي نَاصِرِ الدِّينِ اللَّقَّانِيِّ^(٢)، أَنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ فِي الْفَتَاوَى «نَاصِرًا» لِهَذَا.

وَقَدْ غَرَّنِي ذَلِكَ مُدَّةً، ثُمَّ رَجَعْتُ عَنْهُ؛ لِعَدَمِ ثُبُوتِهِ.

وَكَوْنُهُ كَذِبًا يُكْتَبُ فِي صَحْفِهِ مِجَازَفَةٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ مِثْلُهُ بِالرَّأْيِ، وَهَذَا لَمْ يَضَعْهُ الْإِنْسَانُ لِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا سَمَّاهُ بِهِ أَبَوَاهُ فِي صِغَرِهِ، وَعَدِمَ تَكْلِيفَهُ.

وَكَوْنُهُ تَزْكِيَّةً لِنَفْسِهِ أَيْضًا غَيْرُ صَحِيحٌ؛ لِأَنَّ الْإِضَافَةَ تَكُونُ لِأَذْنَى مُلَابَسَةٍ، فَهُوَ مُضَافٌ لِلسَّبَبِ تَفَاؤُلًا، فَعِزُّ الدِّينِ بِمَعْنَى يُعِزُّهُ اللهُ بِالدِّينِ، وَكَذَا مُحْيِي الدِّينِ، بِمَعْنَى

(١) انظر النهاية في غريب الحديث: ١١٧/١، وفيه: «أَنَّهُ غَيْرُ اسْمِ امْرَأَةٍ كَانَتْ تَسْمَى بِرَّةَ فَسَمَّاهَا: زَيْنَبَ، وَقَالَ: تُزَكِّي نَفْسَهَا، كَأَنَّهُ كَرِهَ لَهَا ذَلِكَ».

وزينب هذه ليست أم المؤمنين كما وهم المؤلف.

(٢) ناصر الدين اللقاني: محمد ناصر الدين اللقاني أبو عبد الله المصري المالكي المتوفى سنة: ٩٥٨، صنف حاشية على شرح جمع الجوامع للحلى في الأصول، وشرح خطبة مختصر الشيخ خليل في الفروع. انظر: هدية العارفين ٢/٢٤٤.

مُحيي نفسه بالدين، فقياسه على «بَرَّة» قياسٌ فاسد، مع الفارق، ولو صح هذا مُنع أحمد، ومحمد، وحسن، وهو محمود.

وقد قال المُحدِّثون: إذا اشتهر اللقب جازَ وإن كان ذمًّا، كأعرج، وأعمش، فما ذكر تضيق وخرَج في الدين.

وفي هذا الكتاب كثيرٌ من هذا النمط، فإياك والاعتزاز به.

والأعلام إنما تدلُّ وضِعاً على الذات، والتَّفَاؤُل بالأمر المُستَحسَنه مُستحب؛ لقوله في الحديث: «كان يُحبُّ الفأل، ويكره الطيرة»^(١). ويحمد قائله لا يعتقد ثبوت ما يقال به، وإنما سُمِّيَ به، فلا كذب.

والأعلام لا حَجْر فيها، والتَّشْبُه بالعجم فيما لا يُزاجِم الشَّرْع غيرُ منهيٍّ عنه، إلا للعصبيَّة المذمومة، بدليل حديث الخندق.

ويدل على ما ذكرناه حديثُ تسمية النبي ﷺ بمحمد.

وأما حديث «بَرَّة» إن صحَّ، فإنما فعله ﷺ لكونه من أعلام الجاهليَّة، أو لمعنى آخر، بدليل أنها كانت بَرَّة في نفسها.

١٩- محمد بن الرومي، المعروف بمامي ابن اخت الخيالي

نزيل دمشق الشام

شاعر تقوِّدت جَمَراتُ أفكاره، وتورَّدت في رياض الشام وَجَناتُ أزهاره، وابتسَمَت في ناديه تُغورُ أنواره، لكنها خُدودٌ لم يترقِّق عليها دَمْعُ القطار، ومبايسم لم ترشِف الشمسُ منها ريقَ الأمطار، فليله دَرُه من فصيح لم يُعلل بمياه عُروقِ القَيْضوم والشَّيح، ولم يُغذِّ بلبانِ العربيَّة، ولم يَتَفَكَّهُ بشمار العلومِ الجنيَّة؛ لأنه من بني الأضفر، وممن قاسى الفقرَ الأسود وهو الموتُ الأحمر، إلا أن للبقاع تأثيراً في الطباع، فلما تَغذَى طفلُ جبلِّته ماءَ الشام ونسيمه، وبزغ هلاله فيه بعد ما أميَّطت عنه هالةُ التميمة، انصقل طَبْعُه المُرَهَف، فانبثرت شمائله أرقٌ من الشمال والطف، لاسيما وأبو الفتح ماشطة عرائسِ فكره، ومُلمٌ شَعَبٌ لَمَّةٍ نظمه ونثره، إذا آتس طَبْعُه لَحْنَة، أو طرقت طرف ذهنه طيفُ هُجْنَة.

(١) الحديث في النهاية: ٤٠٥/٣، ٤٠٦، وفيه أيضاً أنه ﷺ كان يتفاهل ولا يتطير.

١٩- محمد بن الرومي: محمد بن أحمد بن عبد الله المعروف بمامي، الشاعر والمشهور أصله من الروم، قدم إلى دمشق في صغره، اهتم بالأدب وقول الشعر. توفي سنة ٩٨٧. انظر الكواكب السائرة: ٤١٣/٨.

وقد طالعت ديوانه، فرأيتُه يغتريه عِللٌ وفُتُورٌ، ويدخُلُ في مغايبي معانيه وبُيُوتِه القُصور.

فمن شعره الذي اخترته قوله: [الطويل]

سمعتُ لسانَ الحالِ من قهوةِ الطُّلا
فباشمي تسمت قهوةُ البُنِّ في المِلا
فمن كذبها قد سوّدَ اللهُ وجهها
ومنه قوله مُضمّناً: [البيسط]

يقولُ هلُمُّوا واسمَعوا نصَّ أخباري
ولكنّها لم تحك أضداغَ خَماري
وعذبها بغد الإهانةِ بالنَّارِ

قد قالتِ القهوةُ الحمراءُ وافتخرت
وقهوةُ القِدرِ إن قَدراً عليّ علّت
ومنه قوله: [الكامل]

كم قد ملكتُ ملوكَ الأغصُرِ الأوّلِ
لي أسوةٌ بانحطاطِ الشَّمسِ عن رُحلي^(١)

جُليتِ عروساً في عُقودِ حُبابها
طلعتِ عروساً تنجلي في كأسها
بكرٌ إذا باكرتها لك ولدت
أخذت من العقلِ النَّفيسِ جواهرأ
راحَ حلالِي شربها في جنةِ
وهو مأخوذ من قول الأَرَجانيّ^(٢): [م.الرجز]

وقدّيتُ ظنبياً بالسُّرورِ حُبابها
وكسا كُفوفَ الغيدِ نَقشَ خُصابها
سِرُّ السُّرورِ لدى حُضورِ جنابها
مَهراً لها والنَّفْسُ من خُطابها
والنَّصُّ في الجَنّاتِ حلُّ شرابها

كأسٌ من السُّحرِ الحَلا
في مجلسٍ هو جنةُ
وقوله: [الطويل]

لِ شربها لَلقُومِ سُكْرُ
ولذاكَ فيه تَجَلُّ خَمْرُ

يقول حبيبي ما لَطَرَفِكَ أحمراً
فقلتُ له إشراقُ خَدِّكَ قد بعدا
وأحسنُ منه قول الأمير مُجير الدين بن تميم: [البيسط]

كأنك يا حيرانُ في نشوةِ الثَّيهِ
وقابلهُ طَرْفي فخيَّلهُ فيه

أقول للصَّخبِ لما أنكروا أثراً
عائبتُ الحَاظَ عيني عندما نظرتُ
وقوله: [الطويل]

مِن احمِرارِ بدّا في باطنِ المُقلِ
إلى سيوى الحَبِّ فاحمَرتُ من الخَجَلِ

ولمّا انقضى شهرُ الصَّيامِ بفضلهِ
كحاجبِ شيخِ شابٍ من طولِ عُمرِه

تجلى هلالُ العيدِ من جانبِ العَرَبِ
يُشيرُ لنا بالرَّمزِ للأكلِ والشُّربِ

(١) الأبيات في نفحة الريحانة: ٤٠٧/٢ .

(٢) ديوانه: ٢٠٢ .

وهو مأخوذ من قول العَقِيلِيّ: [الكامل]

قُمْ هَاتِيهَا وَزِدِيَّةَ ذَهَبِيَّةَ تبدو فَتَحَسَبُهَا عَقِيْقًا ذَابَا
أَوْ مَا تَرَى حُسْنَ الْهَلَالِ كَأَنَّهُ لَمَا تَبْدَى حَاجِبٌ قَدْ شَابَا
إلا أن قوله «من طول عمره» تكميل حسن.

ومما قلته في بعض الرسائل: شاب حاجب الهلال وما دانه كمالاً، واشتعل رأس الشمس شيباً ولم تر له مثلاً.

ومما يضاهاه هذا ما قلته لَمَّا رأيتُ قول الثعالبي، في مدح قُضْرِ بنِ الصَّاحِبِ بن عبَّاد: [البيسط]

لِلَّهِ قُضْرٌ تَرَى كُلَّ الْجَمَالِ بِهِ وَأَسْعُدُ الدَّهْرَ تَبْدُو مِنْ جَوَانِبِهِ
كَأَنَّمَا جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ قَدْ نَزَلَتْ إِلَى خُوَارِزْمٍ تَعْجِيلاً لِصَاحِبِهِ
ورأيت ما فيه من العفلة؛ فإن تعجيله بالدخول لها إنما يكون بالموت، ففيه إيهام لا يليق بمثله، فقلتُ في هذا المعنى، وأتيتُ فيه بنوع من الاختراس، سمَّيته التهذيب: [الوافر]

بَنَى دَاراً يَحَارُ الْوَصْفُ فِيهَا وَتَهْوَاهَا الْمَحَاسِنُ وَالْمَسْرَةُ
كَأَنَّ الْجَنَّةَ اشْتَاقَتْهُ حَتَّى لَهُ نَزَلَتْ أَطَالَ اللَّهُ عُمُرَهُ
وقد يقال: في قوله «نزلت» اختراس ما، لكنّه خفي، والمقام ياباه.
ومن ديوانه قوله أيضاً: [البيسط]

كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى كَثْمِ الْغَرَامِ إِذَا كَاتِبْتُكُمْ وَأَرَدْتُ السَّرَّ يَنْكُتُمْ
وَقَدْ غَدَا الطَّرْسُ بِالْوَجْهَيْنِ مُشْتَهراً وَبِاللُّسَانَيْنِ أَمْسَى يُغْرِفُ الْقَلْبَ
وقوله: [الوافر]

لَقَدْ مَرَضَ الْجَهْلُ لَهْ فَعَدْنَا وَنَحْنُ إِذَا أَنْاسُ رَاحِمُونَ
فَظَنَّ بَأَنَّنَا عُدْنَا خَوْفاً فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ
وقوله أيضاً: [الطويل]

إِذَا دُفِنَ الْإِنْسَانُ فِي الرَّمْسِ بُرْهَةً وَعَاوَدْتَهُ تَلَقَّاهُ بِإِدْ ثَنَائِهِ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهُ مُتَبَسِّمٌ عَلَى كُلِّ مَغْرُورٍ بِأَخْوَالِ ذُنَيْهِ
ومما يضاهاه هذا، أن المولود يُولد باكياً، مقبوض الكف، فإذا مات فتحها، فقال الحكماء: إنه إشارة لحزبه حياً، وأنه خرج منها بغير شيء، كما قيل: [الطويل]
وفي قبض كَفِ الْوَجْهِ عِنْدَ وِلَادِهِ دَلِيلٌ عَلَى الْحَرْصِ الْمُرْتَكِبِ فِي الْحَيِّ

وفي بسطها عند الممات إشارة
 ألا فانظروني قد خرجت بلا شيء
 وكم في الكون من إشارات، فهو جميعه ناطق بالعظات، ولكن من يسمع ويبصر!
 وأنشدني له بعض أدباء الشام: [الوافر]
 رأيت الكائنات خيال ظل
 مُحركها هو الرب الغفور
 فضندوق اليمين بطون حوا
 وضندوق الشمال هو القبور
 وليس له، فإني رأيتُه منسوباً للشيخ ابن عربي، وهو معني مشهور، ولكنه تصرف
 فيه فاستعار عباءة، وردَّ ديباجة.

وأصله من قول الآخر: [الطويل]

رأيت خيال الظل أكبر عبرة
 لمن هو في علم الحقيقة راقب
 سُخوص وأشكال تمر وتقصي
 وتفتى سريعاً والمحرك باقي
 ومنه ولد ابن الوردي في الحمّام قوله^(١): [الطويل]

وما أشبه الحمّام بالموت لافريء
 تبصر لكن أين من يتبصر
 يُجرّد من أمواله ولباسه
 ويبقى له من كل ذلك مئزر
 ومما قلته فيه: [الرملة]

إن يكن يخكي خيال الظل في
 فعساه عن قريب مظهرأ
 وقلت أيضاً: [الوافر]

هي الدنيا خيال الظل تخكي
 ولولا الستر ممدود عليه
 فغلبه دهر لنا يُبدي العبر
 صوراً أحسن من هذي الصور
 يُحركها القضاء كما يُقدّر
 من الغفلات ما ألهي وما سر

٢٠- زين الدين الإسعافي

فاضل لئن العود ماجد الأغرقي، حلو السمائل عذب الأخلاق، له آثار على أكف
 القبول مرفوعة، وكلمات كثرات الجنان غير مقطوعة ولا ممنوعة.

صحبني وهو يقطف نور التحصيل، وللفضل إلى معاليه انتظار وتأميل، فتجادبنا
 أهذاب المذاكرة، وجرزنا ذبول المناشدة والمحاورة.

(١) ديوانه: ٢٧٠ .

٢٠- زين الدين بن أحمد بن علي بن الحسين بن علي الشافعي الحلبي، المعروف بالإسعافي، نزيل
 دمشق، الأديب الفاضل العروضي السائر ذكره، له رسائل في العروض منها: بل الغليل في علم
 الخليل، والتنبيهات الزينية على الغفلات العينية، وعمدة النبيل. توفي في حدود ١٠٤٣، أو ١٠٤٢ .
 انظر: هدية العارفين ٣٧٩/١، وخلاصة الأثر: ١٨٩/٢-١٩٠ .

فمما أنشدنيهِ من شعرهِ قوله: [الطويل]

كما قد بدت في الحب كل ممزق
ولكنني أصبحت غير موفق
فلا تُكبرن هذا المقال وصدق^(١)

كتبت وأفكاري وحقك مُزقت
ولو حُم لي التوفيق كنت تركته
إذا قيل أشقى الناس من بات ذا هوى

وهذا كقول الآخر: [البيط]

فإنه ضلّ عني عند مسراها
فأيها أنت تعني قلت أشقاها^(٢)

سألتها عن فؤادي أين مسكنه
قالت لديّ قلوب جمّة جمعت

٢١- أبو بكر الجوهري الشامي

شاعر عذب الكلمات، حسن الذات والسّمات، عرائس أفكاره صباح، وجوهري نفاثه صباح.

ورد إلى مصر مرتدياً حُلل الشباب، مطرزة بطراز أخلاقه العذاب، متعاضياً للتجارة، صارفاً لها نقد عمره. [الطويل]

إذا كان رأس المال عمرك فاخرس
فمن جواهر كلماته الصباح، التي هي أرق من نفس الصبا في الصباح، قوله في مליح اسمه داود، ورقيب اسمه عمرو: [البيط]

مع عارض شبه واو العطف مندود
حذار سزقة عمرو واو داود

أفدي غزلاً له خال بوجنته
كأنما الخال فوق الخد يحرسه

ولابن لؤلؤ فيمن اسمه داود^(٣): [الكامل]

لا تزدهيني الغائب الغيد
فالأنه بجفونه دود

قد كنت جلدأ في الخطوب إذا عرت
وعهدت قلبي من حديد في الحشا

وللملك الناصر في داود^(٤): [الكامل]

(١) الأبيات في خلاصة الأثر: ١٨٩/٢ .

(٢) البيتان في خلاصة الأثر: ١٨٩/٢ .

٢١- أبو بكر الجوهري الشامي: أبو بكر بن أحمد بن علاء الدين بن محمد بن ناصر الدين بن علي البهرام بادي الدمشقي المعروف بابن الجوهري، الأديب والشاعر، قرأ على مشيخ عصره، ومهوه الحسن البوريني، توفي بعد الثلاثين وألف بقليل. خلاصة الأثر: ٦٨/١، ٧٠ .

(٣) ابن لؤلؤ: عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن تولو التيماني أبو عمرو العلجوري، معين الدين المصري المعروف بابن لؤلؤ، وقيل: ابن تولو، الشاعر، ولد سنة ٦٠٥، وتوفي سنة ٦٨٥، له ديوان شعر. انظر هدية العارفين: ٦٥٥/١ .

(٤) الأبيات في فوات الوفيات: ١٥٧/١، والملك الناصر هو: صلاح الدين الأيوبي، أبو العلاء .

مُنِّي بِطَيْفِكَ بَعْدَ مَا مَنَعَ الْكَرَى
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ قَلْبَكَ لَمْ يَلِنُ
وَمِمَّا قَلْتَهُ فِيمَا قَالَهُ: [السريع]

وَحَاسِدٌ يَرْسِمُ فِي صُخْفِهِ
فَاسْمِي لَدَيْهِ وَأَوْ عَمْرٍو لِيَذَا
وَأَصْلُهُ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ^(١): [الخفيف]

أَيُّهَا الْمُدَّعِي سُلَيْمًا سِفَاهًا
إِنَّمَا أَنْتَ مِنْ سُلَيْمٍ كَوَاوٍ

فَضْلِي وَيُخْفِي الذُّكْرَ إِذْ يَطْرَأُ
يُكْتَبُ فِي الْخَطِّ وَلَا يُقْرَأُ
لَسْتُ مِنْهَا وَلَا قَلَامَةً ظَفَرٍ
أَلْحَقْتُ فِي الْهَجَاءِ ظُلْمًا بَعْمَرٍ^(٢)

٢٢- شمس الدين محمد بن إبراهيم الحلبي

المعروف بابن الحنبلي

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ [الطارق: ١-٢]، هو في ميدان الفضلِ وحلبة
الشهباء سابق، وأيُّ سابق، وعصره كان منك ختامها، وسحر لياليها وأصيل أيامها،
نورث حدائقها بغوادي شمائله، وتحلّى معصم مجدها بسوار فضائله: [البيسط]

حَيْثُ التَّقَى نَفْسُ الْأَقَاجِي وَالصَّبَا
وَجَرَى النَّسِيمُ يَجْرُ فُضْلُ رَدَائِهِ
نَشْوَانٌ يَعْثُرُ بِالْغُصُونِ لَطَافَةً
وَتَرْتُمُ الْحُسْنَاءِ وَالْوَرْقَاءِ
مُتَبَخَّرًا يَجْلِي مِنَ الْخِيَلِ
مِنْهُ فَيَسْقُطُ فِي غَدِيرِ الْمَاءِ

درّس فيها، وأفتى، وطمى بحر فضائله فترك الحساد يضربون حتى.

وله نظم كما انتظمت دراري الزهر، ونثر كما نثر الشمال على وجنات الرياض
لآلي القطر.

وله تصانيف جمّة تزيّنت بها البلاد، وأمست تمائمها مئونة بأجساد الأجواد، فهو

(١) أبو نواس: الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح الحكمي البغدادي، أبو نواس، الشاعر
المشهور، توفي سنة: ١٩٦، له ديوان شعر مشهور. انظر هدية العارفين: ٢٦٥/١، والفهرست:
٢٥٨.

(٢) البيتان في ديوانه: ٥٤٥، وجاء في الديوان:

قل لمن يدعي سليمان سفاهاً
إنما أنت من سليمان كواوٍ
وهما في هجاء أشجع السلمي.

٢٢- ابن الحنبلي: محمد بن إبراهيم بن يوسف بن عبد الرحمن الحلبي، رضي الدين أبو عبد الله
الحنفي المعروف بابن الحنبلي، ولد سنة: ٩٠٨، وتوفي سنة ٩٧١، له آثار كثيرة ومؤلفات واسعة
منها: أحكام الأشعار، وحاشية على شرح لباب الفقه، ودرر الحبيب في تاريخ أعيان حلب، وديوان
شعر، وغيرها كثير. انظر هدية العارفين: ٢٤٨/٢، وأعلام النبلاء: ٥٩/٦.

نسيج وخذيه، آثاره في حُلل الفضل طراز مُذهب، وأسد في مجادلة العلماء لا يُذكر عنده تُغلب.

وله مُحاضرات لو ذُكرت للراغب لسعى لها راغباً، أو لسُخبان ظلّ لذيل الخجلة على وجه البسيطة صاحباً

فمما هبّت به صبا الأسحار، وغرّدت به على كرسيّ الرّبيّ حمائم الأخبار، قوله^(١):
يلومونني في ترك ضمّ قوامه
نعم بيننا جنسيّة الودّ والصفاء
وقوله: [الطويل]

يقولون لي والشيب عاث بلخيتي
أعن نار خديها التي هي منيتي
وله: [الطويل]

قوامك يا بدر النّحاة كأنه
وعينك فاقت كل عين بكخلها
وقوله: [الطويل]

لکم همم نلثم برمي شباکها
وعدثم إلى المغمى بما نلثم وقد
وقوله: [البسيط]

کنا سمعنا بأوصاف کملت بها
من قبل رؤيتکم نلنا محبتکم
وهو لبشار^(٢)، وأوله:

يا قوم أذني لبغض الحيّ عاشقة
وفي معناه قول الحلبي:

وهويتکم قبل اللقاء كما
ولصاحب الترجمة أيضاً رباعية، وهي:

تُهوى الجنان بطيب الأخبار

..... إلخ^(٣)

(١) البيتان في النّحة: ٦٠/٦ .

(٢) بشار بن برد: أبو معاذ العقيلي بالولاء، الضربير الشاعر المتوفى سنة: ١٦٨، له ديوان شعر في ألف ورقة. انظر الفهرست: ٢٥٧، وهدية العارفين: ٢٣٢/١ .

(٣) هذا صدر البيت وعجزه:

والأذن تعشق قبل العين أحياناً

ديوانه: ٢٢٣ .

ولصاحب الترجمة أيضاً رباعية، وهي: [الدوبيت]

طَرْفَاكَ كِلَاهُمَا ضَعِيفٌ وَعَلِيلٌ مِثْلِي وَأَنَا الْعَلِيلُ مِنْ أَجْلِ عَلِيلٍ
مِنْ ضَعْفِي قَدْ صَرَفْتُ مِثْلِي لِهَمَا وَالْجِنْسُ إِلَى الْجِنْسِ كَمَا قِيلَ يَمِيلُ
قوله: «والجنس» إلخ، من أمثال مؤلدي العجم، ومثله قولهم: الجنسيسة علة
الضم، وهو كما قيل: [البسيط]

إِنَّ الطُّيُورَ عَلَى أَجْنَاسِهَا تَقَعُ

[الوافر]

وَشِبْنُهُ الشَّيْءِ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ

وله من أبيات المعاني، في مליح من بني تميم: [الكامل]
وَمُهَفَّفِ الْأَعْطَافِ قَلْتُ لَهُ انْتَسَبَ فَأَجَابَ مَا قَتْلُ الْمَجِبِ حَرَامٌ
وله مضمناً: [الطويل]

حَمَى نَعْرَهُ الضُّحَاكَ صَمْصَامُ جَفْنِهِ كَمَا صِينَ بِالتَّعْذِيرِ خَدُّ مُورِّدُ
أَخَذَ حَبِيبِي لَا تَزِدْ زَرْدِيَةً فَحَسْبُكَ وَالضُّحَاكَ سَيْفٌ مُهْتَدٌ
والضحك اسم ملك العرب، لكنه وافق صيغة المبالغة من الضحك.
ومثله من نوادر العربية.

ومن فصوله القصار:

إِنَّمَا تُلْقَى الْمَخَاصِرُ إِلَى كَرِيمِ الْعُنَاصِرِ: ع
لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا لِلْآخِرَةِ ضَرَّةً، وَمَنْ يَنْكُحُ أُمَّةً عَلَى حُرَّةً.
مَا أَحْسَنَ الْكَلْبَ الْعَوَّاءَ، وَإِنْ صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ وَالْعَوَّاءُ^(١).
الصُّحَّةُ رَأْسُ الْمَالِ، وَرِبْحُهَا حَسَنُ الْأَعْمَالِ.
تَذَكِيرُ الْمَوَاعِظِ صَابُونَ، لِمَنْ هُمْ عَنْ دَنَسِ الْأَخْلَاقِ صَابُونَ.
إِذَا كَانَ التَّدْيُ مَاتَ، فَالسُّؤَالُ أَكْبَرُ التَّدَامَاتِ.

٢٢- أبو الفتح بن عبد السلام المالكي المغربي

نزيل الشام

نادرة الفلك، وهدية الزمان، ونكتة عطار المدونة فصحف الإمكان، وبرهان
من قال من الحكماء بتعدد نوع الإنسان.

(١) العواء: نباح الكلاب، ويقال للنجم: العواء، لأنه يطلع في ذنب البرد، فكأنه يعوي في أثره
ويطرده، ولذلك تسميه العرب: طاردة البرد، يمد ويقصر.

٢٣- محمد بن محمد بن عبد السلام المالكي المغربي، ولد سنة: ٩٠١، ودخل دمشق وهو شاب، كان
فقيهاً أصولياً، علامة في علوم العربية، له شعر حسن، توفي سنة: ٩٧٥. انظر تراجم الأعيان:
٢٤٩/١، ونفحة الريحانة: ٢٩١/١، والكواكب السائرة: ٢١/٣.

وليس الغريب من تناءت داره، بل من فقد من الكرام نظراؤه وأنصاره، وهو غريب في فضله ومجده، وإن ملك من الأدب ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده.

ولما أشرقَت بالمغرب شمسُ علمه وآدابه، وزها نورها إذ جرى في عوده ماء شبابه، أسفرَ وجه صباحه، وجلاً له الظفرُ غرة نجاجه، فحلَّ عقد عزمته بالشام، كما حلَّ الربيع نقابه عن منظرِ بسام: [البيسط]

والريح تجذب أطراف الغصون كما
أفضى الشقيق إلى تنبيه وسنان
فألقي بها عصا تسياره، ونفض عن بُرد همته غبار أسفاره، وبني أمره على السكون
وماضي حاله على الفتح، وقد شدت وُزق فصاحته بها بأطرب ترثم وصدح، فمضى
وتور الأدب لا يجتنى إلا من رياض كلامه، وسورة الفتح بمحاربيها لا تتلى بغير السنة
أقلامه، وإثمد مراودها كحل البصائر، وتُحف آثاره يتلقى رُكبانها كل بادٍ وحاضر، حتى
في نادي القضاء تربع واختبى، وأصبح طراز مذهب مالك به مُذهباً: [البيسط]

وصار فيهم غريب الفضل مُنفرداً
كبيت حسان في ديوان سخنون^(١)
فأنار ليله الحالِك، وتصرف فيه تصرف مالك، بأخلاقٍ تُغضر منها شمول
الشمائل، وفضائل جمّة المآثر سخبان عندها باقل.

إلا أنه مع تملك جواهر العلوم، وتقلد جيد كماله بعقود المنشور والمنظوم. عداه
دهره، وصافاه فقره، فظل يمتري ضبابة عيش لو أنها نؤم ما شعرت بها الأخداق،
ويتحمل من أثقالها ما يوهن ويوهي القوى والأعناق.

ولم يزل كذلك حتى غار ماء حياته، وانغلق على الفتح باب قبره عند مماته،
فانفتحت له أبواب الجنان، فسقاه الله رحيق عُقرانه بين رُوح وريحان، وزه عيون
رجائه، وأمله في رياض الجنان، بين الخور الحسان.

فمن نظمه الذي حشا الأسماع سخرأ، وملاً أفواه الرؤاة ذراً، قوله: [الخفيف]
بأبي العس المرأشف أُمى
سرق الجيد واللحافظ من الظ
عطفته الضبا إلي ومالي
فتحاشيت لثمه خيفة ال
أه لولا الثقى ومعترك الش
وله من قصيدة: [الكامل]

(١) يعني به: سخنون بن عبد السلام بن سعيد التنوخي أبو سعيد صاحب الحدوة في اللغة العربية توفي سنة ٢٤٠ . انظر هدية العارفين ٥٦٩/١، والأعلام ٥/٤

حاز الجمالَ بأسره فمُجِبُّه في أسره لم يَرْضَ حَلَّ وَثاقِهِ
قَسَمًا بَصُبحِ جَبِينِهِ لو زارني جُنَحَ الدُّجَى وسَعى إلى مُشْتاقِهِ
لَفَرَشْتُ خَدِّي في الطَّرِيقِ مُقبِلاً بَقَمِ الجُفونِ مَواطِيءَ اسْتِطْرَاقِهِ
وصَفَحْتُ عن زَلَّاتِ دَهْرِي كُلِّها وَعِنادِهِ فيما مَضَى وشِفاقِهِ^(١)

وقوله «بِقَمِ الجفون» إلخ، كقوله أيضاً في أرجوزته المشهورة: [الرجز]

تَكَادُ من عُذوبَةِ الألفاظِ تَشْرِبُها مَسامِعُ الحُفَاطِ

وهذا نوعٌ من البديع غريب، بيّناه في «حديقة السحر».

وله نظائرٌ كثيرة، وهو على نهج قوله تعالى: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الكَذِبَ﴾ [النحل:

٦٢] كما أشار إليه في «الكشاف».

وقد أوضحه الغزّي بقوله في بعض قصائده: [الرجز]

إن لم أُمِتْ بالسَّيفِ قال العُدْلُ ما قِيمَةُ السَّيفِ الذي لا يَقتُلُ
وتُغَيِّرُ المُعتادِ يحسُنُ بعضُهُ للوَرْدِ خَدُّ بالأنوفِ يُقبَلُ

ومنه ما أنشده لنا صديقنا الطالويّ لنفسه: [الطويل]

أرودُ بلخِظِي وَرَدَ خَدِّيهِ والذي جنى لحظه وَرَدَ الخُدودِ فما أخطأ
وأرشفُ بالألحاظِ خَمْرَةَ ريقِهِ لأنني امرؤُ أَلَيْتُ لا ذُقْتُ إسْفِنَطًا^(٢)

وهذه الخمرة لا يليق بها غير نقل البُحْثَرِيِّ^(٣) في قوله: [البسيط]

تُفَاحُ خَدِّ إذا اخمَرَّتْ محاسِنُهُ مُقبَلٌ بخَفِيّ اللُّحْظِ مَعْضوضُ^(٤)

وقوله «مَعْضوض» بدل من قوله «مقبَل»، وهو غيرُه وليس بدل غلط. وانظره؛ فإنه

من سحر البلاغة.

ومما نحن فيه قول ابن الرُّومِيّ: [م. الكامل]

بَدْرٌ كأن البَدْرَ مَقْفُ رَوْنٌ عَليهِ كَوَكَبُ
عَذِبَتْ خَلائِقُهُ فكَا د من العُذوبَةِ يُشْرَبُ

ولابن هِنْدٍ في عُودِ البَخورِ: [م. الوافر]

رَأَيْتُ العُودَ مَشْتَقًا من العُودِ بِإيقانِ

(١) الأبيات في الكواكب السائرة عدا البيت الأول: ٢٣/٣ .

(٢) الإسْفِنَطُ: المطيب من عصير الفاكهة أو العنب، أو ضرب من الأشربة، أو أعلى الخمر.

(٣) البُحْثَرِيُّ: أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي المنبجي الأديب الشاعر الشهير بالبُحْثَرِيِّ «بضم

الباء والتاء»، ولد سنة ٢٠٥، وتوفي سنة ٢٨٤، من تأليفه: الحماسة الطائية، وديوان شعر مشهور،

ومعاني الشعر. انظر الفهرست: ٢٧٠، وهدية العارفين: ٥٠٠/٢ .

(٤) البيت في ديوانه: ١٢١٧/٢ .

وهذا طيب أذان

تأكله عيوننا وتشربه

فلعلني أرى الديار بسمعي^(١)

أتمشي هناك بالأخدان

فالناس ما نطقوا إلا من النظر

وهو من رماه الحدق: [المجتث]

والسكر يعطف قده

واخمرت الكاس وزده

أوزى به السوجد زنده

وكدت أشرب خده^(٢)

من كؤوس تذاق بالآذان

لا أرى المشي فيه للضراق

امش يا صاح فيه بالأخدان

والشيء بالشيء يذكر، هذا في معنى قولي قديماً مضمناً: [الكامل]

إياك فيها المشي فهو محرد

ولأجل عين ألف عيب تكرم

ولصاحب الترجمة من قصيدة، مدح بها العلامة علياً الحناني، وعاتبه على قطع

مرتب له: [السريع]

ما كان قد رتب من رفده

رتبه كالجزم من وزده

كالمشك والعنبر في نده

فهذا طيب أناف

ولابن المعتز في فرس: [الرجز]

يكاد لولا اسم الإله يصحبه

وللشريف الرضي: [الخفيف]

فاتني أن أرى الديار بطرفي

ومنه أخذ القاضي الفاضل قوله:

مثلته الذكرى لسمعي كأنني

وأجاد أيضاً، حيث قال: [البيسط]

الجود أمدح ممن قام يمدحه

وقول ابن خفاجة المغربي الأندلسي،

وأهيف قام يشغى

وقد ترنح غضناً

وأهب السكر خذاً

فكاد يشرب نفسي

ولناصح الدين الأرجاني: [الخفيف]

ورشفنا مدام نظم ونشر

وقلت أنا: [الخفيف]

ترجس الروض قد زها لعيوني

قلت لما أتيت لخليلي

والشيء بالشيء يذكر، هذا في معنى قولي قديماً مضمناً: [الكامل]

يا صاح إن واقنت روضة ترجس

حاكت عيون معدبي بذبولها

ولصاحب الترجمة من قصيدة، مدح بها العلامة علياً الحناني، وعاتبه على قطع

مرتب له: [السريع]

إن قطع السيد عن عبده

فالعبد لم يقطع دعاء له

ولا ثناء حسناً نشره

(١) ديوانه: ٥٠٠/١ .

(٢) ديوانه: ٣٥٤ .

أو كرياضٍ راضٍها وإبلٍ
وانتظمت من نثرٍ أزهارها
وهو غني عن ثناء امرئ
إذ مهَّد الحقُّ له رتبةً
ونال ما شاء من المجد لا
فهو عليّ لا بمذح الوري
وإنما أوجب مدحي له
وما حباه الحقُّ سبحانه
والعلم والتَّحقيق والفهم والت
والشُّكر للمنعِم فرض به
وفيه لاشكَّ مزيِّد لمن
هذا وإن العبد يبغي الرضا
وماله في غيره رغبةً
وليس ذا حزنٍ لما فات من
سيانٍ فقرٍ وغنى عنده
وما تصدَّى لصدى آية
سوى لزوم البيتٍ مستوحشاً
مشتغلاً بالعلم مستغرقاً
قد لزم العزل لكنّه
أقسم لا يبرح من بيته
إن مات لم يترك له درهماً
ولا أثاثاً ولا ملبساً
وقرّة جرداء من عثقتها
وطيلسانٍ خلق دمه
ولم يكن يترك شيئاً إذا
غير بقايا كُتب رتبةً
يُباع في تجهيزه بعضها
هذا لعمرى عرض حالي على
لا برحت أعتابه قبلةً

فابتسم اليانح من وزده
جواهر الأنداء في عقده
ظل كليل الذهن من فقده
عظيمة مُذ كان في مهده
بسفني إنسانٍ ولا كده
له ولكن بسنا سغده
تتابع النعماء من عنده
من العلاء الزائد عن حده
وفيق والتدقيق من قضده
يأمن ذو الإيمان من طرده
لازمه والكل من عنده
في قربه الأقرب أو بُغده
والعبد مخمول على قضده
دنياه مُذ سيق إلى رُشدِه
لما هو المعهود من زهدِه
قبيحة تفضي إلى صدِه
من الوري حتى ذوي ودِه
أوقاتِه فيه وفي سرده
لصخبه باقٍ على عهدِه
حتى يوارى في نرى لخدِه
يحوزه الوارث من بَغده
يصلح للبيع سوى بُرده
أضلاعه ترعد من برده
من عثقه يجري على خده^(١)
فارقه يأسى على فقده
أكثرها قد مات في جلده
والبعض وقف لا على ولده
من أجمع الناس على حمده
يؤمنها العافون من وفده

(١) الطيلسان: ضرب من الأوسجة يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن خالٍ من التفصيل والخياطة.

ما هَطَلَتْ أُنْمَلَةٌ بِالنَّدَى من رَاحَةٍ كَالْبَحْرِ فِي مَدَّةِ

تكملة

في قوله «مستغرقاً» إلخ فوائده:

منها: أن الاستغراق أصل معناه طلبُ الغرق، ثم استعمله الناس في أخذ الشيء وتخصيله، ومنه قولُ العامة «استغرق في الضحك» إذا أطالَه، وهو غلَط، وصوابه في الضحك «استغرب»، لا «اغترب» أيضاً كقول البُخترِيِّ: [الكامل]

وضحكَنَ فاغترَبَ الأَقاخي من نَدَى غَضُّ وسَلَسالِ الرُّضابِ بِرُودٍ^(١)

قال الأَمِدِيُّ في كتاب «الموازنة» قوله: «اغترب» يريد الضحك، والمستعمل «استغرب» في الضحك، إذا اشتدَّ فيه، و«أغرب» أيضاً أخذاً من غروب الأسنان، وهي أطرافها، وغَرَبَ كلُّ شيء: حَدَّهُ، إذ المعنى امتلاً ضحكاً. انتهى.

والسرد أصله نسج الدرع، وتتابع الكلام وتعداد الأشياء، والعامة استعارته لتتابع نَعاسِ الجالس، وليس بعربي، وهو الذي أراد هنا، وهو كقوله: [الطويل]

لداودَ من بَرشٍ كساءِ سَفاهِيةٍ مُطَرَّرَةٌ من صُفْرَةِ الوَجْهِ وَالخَدِّ^(٢)

وما زال دِرْعَ الكَيْدِ لِلضُّحْبِ ناسِجاً ولو ناعِساً أَمْسى يُقَدِّرُ في السردِ

وقوله: «مات في جلده» استعمال معروف عامي، وجه استعماله ركيك، والبالغ قولُ العرب للمفلوج: «سُجِنَ في جِلْدِهِ»، وحسن هذا وصف الكتاب به، كما قال ابن نُباتَةَ المِصْرِيُّ^(٣): [السريع]

لِلَّهِ مَجْموعٌ لَهُ رَوْتِقُ كَرَوْتِقِ الحَباتِ في عَشْدِهِ

كلُّ تصانيفِ الوريِ عِنْدَهُ تَموتُ لِلخَجَلَةِ في جَنْدِهِ^(٤)

عوداً على بدء.

ومن شعره أيضاً: [الخفيف]

مَرِحِباً بِالجمامِ ساعة يَطْرأ ولو ابْتَرَّ مَنِّي العُنْبُ مَطْرأ

حَبْذا الإزْتِحالُ عن دارِ سُوءٍ نحنُ فيها في فَيْصَةِ الأَشْرِ أَسْرأ

(١) ديوانه: ٦٩٨/٢ .

(٢) برش: اختلاف لونه، فكانت فيه نقطة حمراء وأخرى سوداء أو عسراء أو حمراء ذلك فهم الأبرش، ويقال: جلد أبرش.

(٣) محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن الحسين بن صالح بن علي بن محمد جمال الدين بن أبي الفارقي المعروف بابن نباتة المصري، ولد سنة: ٦٨٦، وتوفي سنة: ٧٦٨، وله من المؤلفات الكثير وديوان شعر، انظر هدية العارفين: ١٦٤/٢ .

(٤) ديوانه: ١٧١ .

وإذا ما ارتحلْتُ يا صاحٍ عنها لا سقى الله بغدي الأَرْضَ قَطْرًا^(١)

وهذا كقول الأمير أبي فراس الحمداني^(٢)، من قصيدة له: [الطويل]

أراك عَصِيَّ الدَّمْعِ شِيمَتِكَ الصَّبْرُ أما للهوى نَهْيٌ عَلَيْكَ ولا أَمْرٌ^(٣)

الشاهد منها:

تُعَلِّلِنِي بِالوَعْدِ والموتُ دونَه إذا مِتُّ عَطْشَانًا فلا نَزَلَ القَطْرُ

ونحوه قولي في مطلع قصيدة: [السريع]

إن لم تُبَرِّدْ لي الصُّبَا غُلَّةُ فلا شَفَى السُّلَّةُ لها عِلَّةُ

وله أيضاً: [الطويل]

ويُمْكِنُ وصلُ الحَبْلِ من بعد قَطْعِهِ ولكنهُ يَبْقَى به أثرُ الرِّبْطِ^(٤)

وأحسنُ منه قولي في بعض الرِّسائل: «أنت وإن وصلتَ بعد القطعِ حبلَ المودَّةِ،

ففيما بَقِيَ من أثرِ ذلك في القلبِ عُقْدَةٌ».

وقلتُ من قصيدة: [المجتث]

يا واصلينَ جبالاً كانت تَشَدُّ المودَّةَ

لا تَقْطَعوها بِبُغْدٍ قد غيَّرَ النَّأْيُ عَهْدَه

فإن تقولوا وَصَلْنَا من بُعدِ ذا القَطْعِ شدتُه

يَبْقَى وحقُّك فيها من ذلك القَطْعِ عُقْدَةٌ^(٥)

وهذه الاستعارة معروفة قديماً، وفي حديث العقبة أن الأنصار قالوا: «إن بيننا وبين

القوم جبالاً، أتراهم قاطعيها» وقد حَقَّقَه في «الروض الأتف».

وكتب للقاضي معروف، وقد أهدى له حُلَّةً: [الرجز]

مخدومنا قاضي قضاة مدينتي صَفِّدِ أحقَّ الناسِ بالتَّفْصِيلِ

العالمُ الحَبْرُ الذي معروفُهُ تُزْرِي زيادته ببخْرِ النَّيْلِ

أهدى لنحوي من مَخِيطِ ثيابه جُملاً فأغْناني عن التَّفْصِيلِ

والتَّفْصِيلِ في لسان العامة بمعنى قطع الثياب الجديدة، ففيه تورية، كقول ابن نباتة

المِضْرِي: [البيسط]

(١) الكواكب السائرة: ٢٦/٣ .

(٢) الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدون الحمداني، أبو فراس الشاعر المشهور، ابن عم ناصر

الدولة، ولد سنة: ٣٢٠، وتوفي: ٣٥٧، له ديوان شعر. انظر هدية العارفين: ٢٦٤/١ .

(٣) ديوانه: ١٥٧، انظر نفحة الريحانة: ١٠٩/١ .

(٤) نفحة الريحانة: ٢٩١/١ .

(٥) نفحة الريحانة: ٢٩١-٢٩٢/١ .

كم جُمَلَةٌ وَصَلَتْ لِي مِنْ نَدَاكَ وَكَمْ
حَتَّى لَقَدْ غَدَتِ الْمُدَاخُ حَائِرَةً
وقوله أيضاً: [البسيط]

تَفْصِيلَةَ أَلْبَسْتَنِي أَجْمَلَ الْحُلَلِ
بَيْنَ التَّفَاصِيلِ مِنْ نِعْمَاكَ وَالْجَمَلِ^(١)
وقطروا أذمماً من بعد ما سهرُوا
صاروا ملوكاً هم إن جرّبُوا افتقرُوا
وكم فتى منهم قد غره القمرُ
وقوله في أهدب: «كان أترجة الظرفاء، وكرة اللهو بميدان الندماء اللطفاء»^(٢) وكان
أبو الفتح يكرهه، ولم يعمل فيه بقول الباخريزي: [السريع]

وصانِعِ الدَّهْرَ فكم دَوْلَةً
صَاعَتْ مِنْ السَّلْحَةِ أترجةً
فقال فيه: [السريع]

إذا غَفَرَ اللِّةَ ذَنْبَ امْرِئٍ
شَدِيدُ النُّكَايَةِ مَعِ ضَعْفِهِ
ومن ظرفاء الحدبان القاضي الفاضل، وفيه يقول القائل: [السريع]

فلا غُفِرَتْ زَلَّةُ الأَخْدَبِ
قِيَاساً عَلَى إِبْرَةِ العُقْرِبِ
تُذَكِّرُ النَّاسَ بِعَهْدِ التَّعِيمِ
مِنْ هَيْبَةِ الفَاضِلِ عَبْدِ الرَّجِيمِ

وعلى نمطه، وإن لم يكن من بابه قول ابن جليك لما امتدح القاضي الزملكاني
فأجازه بخبز، فكتب على حائط بستانه: [الرجز]

لِلَّهِ بُسْتَانٌ حَلَلْنَا ذَوْحَهُ
والبانُ تَحْسَبُهُ سَنَائِيراً رَأَتْ
في روضةٍ قد فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا
قَاضِي القُضَاةِ فَنَفَسَتْ أذْنَابَهَا^(٣)

وهذا نمط عجيب، وقد بلغنا أن بدر الدين بن مالك صنّف «كراسة» في لطائف
هذه المقطوعة، ووجوه بلاغتها، ولم أرها، وهو جدير بذلك.

ووجه حُسْنِهَا أنه قَصْدٌ به تشبيه زهر البان، وأدمج فيه هجو القاضي؛ لأن السنانير
إنما تنفث أذنانها إذا فرغت من الكلاب، فكانه قال: إنها ظننته كلباً، ونحوه ما مر في
القاضي الفاضل، والإيماء لحديثه.

وهذا النوع يُشَبِّه المدح بما يُشَبِّه الذم، وعكسه، ففي صريحه تشبيه لطيف، كنى به
عن هجو قبيح، وليست بلاغته من جعل التشبيه كناية عن معنى آخر؛ فإنه صريح، كما

(١) ديوانه: ٤١٧ .

(٢) الأترجة: واحدة نوع من الثمار الحمضيات، جميل المنظر، طيب الطعم والكهة، ليس العنبر،
كثير المنافع.

(٣) فوات الوفيات: ٢٣/١ .

حققه السيد في فن البيان، بل لأمر قصدها، وليس هذا محل تفصيلها، فإن أردتها فانظر كتابنا «حديقة السحر».

وله أيضاً يُذكر من وعده بتأسومة، وهي نعل معروف كالمَدَّاس: [الخفيف]

رُبَّ تَأْسُومَةٍ بِهَا قَدْ وُعِدْنَا فَإِذَا قُرْبُهَا مِنَ النُّجْمِ أَبْعَدُ
رُبَّ يَسْرٍ حَصُولُهَا لِمَجِيبٍ عِلَّةٌ لِكَمَالِ يَرْقَى وَيَضَعُدُ
عملاً في الوري بقول حكيم ضَعَّ مَكَانَ السَّعِيدِ رِجْلَكَ تَسْعَدُ
وهذا مثل مشهور، بمعنى قول علي رضي الله تعالى عنه: «صاحب من أقبل جده تسعد».

وقد قلت في مثال نغله صلى الله عليه وسلم: [الكامل]

لِمِثَالِ النَّعْلِ الشَّرِيفِ لِطَه شَرَفٌ قَدْرُهُ مِنَ النُّجْمِ أَبْعَدُ
وَسَمِعْنَا الْأَمْثَالَ قَالَتْ قَدِيمًا ضَعَّ مَكَانَ السَّعِيدِ رِجْلَكَ تَسْعَدُ
وسعيد من كان من قبل هذا أَوْ عَلَيْهِ قَدْ مَرَّغَ الْوَجْهَ وَالْحَدَّ
وما أحق هذا أن يُنشد له قول أبي العتاهية: [السريع]

نَعْلٌ بَعَثَتْ بِهَا لِتَلْبَسَهَا قَدِمَ بِهَا تَسْعَى إِلَى الْمَجْدِ
لو كان يصلح أن أشركها خَدِّي جَعَلْتُ شِرَاكَهَا خَدِّي^(١)
ولابن هانيء الأندلسي^(٢) في قبّاب وهو نعل يُصنع من الخشب، وهو مُخَدَّث بعد العصر الأول، ولفظه مولد أيضاً، لم يُسمع من العرب كما قاله الأزهري^(٣): [الخفيف]

كُنْتُ غُضْنًا بَيْنَ الرِّيَاضِ رَطِيبًا مَائِسَ الْعِطْفِ مِنْ غِنَاءِ الْحَمَامِ
صِرْتُ أَخِي عِدَاكَ فِي الذُّلِّ إِذْ صِرْتُ تْ بَرَّغَمِي أَدَاسُ بِالْأَقْدَامِ
وله يذكر معاهد نيّطت بها تمائمته، وغرّدت على أغصان شبابه حمائمته، يندب إخوانه، ويتعى أوطاره وأوطانه: [الطويل]

سَلُّوا الْبَارِقَ النَّجْدِيَّ عَنْ سُخْبِ أَجْفَانِي وَعَمَّا بِقَلْبِي مِنْ لَوَاعِجِ نِيرَانِي
ولا تسألوا غير الصبا عن صبابتي وَشِدَّةِ أَشْوَاقِي إِلَيْكُمْ وَأَشْجَانِي
فما لي سواها من رسول إليكم سَرِيعِ السَّرَى فِي سَيْرِهِ لَيْسَ بِالْوَانِي
فيا طال بالأسحار ما قد تكلفت بِإِنْعَاشِ مَحْزُونٍ وَإِيقَاطِ وَسْنَانِ
وتنفيس كزب عن كئيب مُتَمِّمِ يَجُنُّ إِلَى أَهْلِ وَيَضْبُو لِأُوطَانِ

(١) ديوانه: ٣٥٧ .

(٢) ابن هانيء الأندلسي: محمد بن علي بن هاني الأزدي، أبو القاسم البستي الأندلسي الشاعر،

المتوفى سنة: ٣٦٢، صنف تاريخ الأندلس، وديوان شعره مشهور. انظر هدية العارفين: ٤٧/٢ .

(٣) الزاهري في اللسان (ق ب ب).

فَاللَّهِ مَا أَزْكَى شَدَا نَسْمَةِ الصُّبَا صباحاً إذا مرت على الرُّندِ والبَانِ
فكم نحوكم حملتها من رسالة مُدَوَّنة في شرح حالي ووجداني
وناشدتها بالله إلا تفضلت لتبليغ أخباري السَّلامَ وجيراني
وقد نَحَا نَحْو قول ابن مَلِيك الحَمَوِيِّ^(١) في قصيدة له: [الطويل]

سَلُّوا فَاتَرَ الأَجْفَانِ عن كَبِدِي الحَرَى وعن دُرِّ أَجْفَانِي سَلُّوا العِقْدَ والنَّخْرَا
مَلِيحٌ إِذَا مَا رُمْتُ عَنْهُ تَصْبُراً يقول الهوى لن تستطيعَ معي صَبْرَا

وهذا الشاعر، وإن لم يكن من أهل العصر، فإنه

قريب العهد، فينبغي ذكره هنا، فنقول: هو:

٢٤- علاء الدين بن مليك الحَمَوِيِّ

هذا شاعر حَمَاة، ومن كَلَّا سَرَحَ الأَدبِ بها وحمَاه.

رآه أبو الفتح المالكي^(٢)، وقد رَقِيَ شَرَفَ عِلْمِهِ وَسَمَا، وهو بحانوتٍ له يبيعُ الأقسما، وأقلامه قُضِبَ على جَدَاوِلِ الطُّرُوسِ مِئَالَةً، أُسْبِلَ على وَجْهِ دَوَّجِهَا الزَّاهِي ظِلَالَهُ، بل لواءً على مَلِكِ الكَلَامِ، أو عموداً نُصِبَ عليه من السُّحْرِ خِيَامِ، وهو يَخْلِبُ الأَسْمَاعَ بِسِخْرِهِ، وَيُرِيقُ حَلَوَ مَائِهِ على صِنَاعَةِ شَعْرِهِ.

ثم رَفَعَتْهُ جِرْفَةُ الأَدبِ عن حَضِيضِ دُكَّانِهِ، إلى أن صار ملك الأَدبِ بديوانِهِ، فنَادَى لِسَانُ قَرِيضِهِ النُّظِيمِ: ما هذا مَلِيكِ بل مَلِكِ كَرِيمِ.

وقد وَقَفْتُ على «ديوانه» فَجَنَيْتُ من ثَمَرَاتِ حُسْنِهِ وإِحْسَانِهِ، قوله من قصيدة له:

[الكامل]

ذَكَرَ الغَضَا فَحَنَّتْ عليه أضلعي وبكى العَقِيْقُ فساقطته أذمعي
لِلَّهِ دَرُّ دُمُوعِ عَيْنِي إِنهَا وَقَعَتْ مِن الأَجْفَانِ أَحْسَنَ مَوْعِ
مَنْ لِي بِقَلْبِي يَوْمَ كَاظِمَةٍ وَقَدْ ودَعَتْهُمْ لو خَلَّفُوا قَلْبِي مَعِي
رَحَلُوا فَكَانَ القَلْبُ أَوَّلَ رَاحِلِ وَالصُّبْرُ آخِرَ ظَاعِنِ وَمُودِعِ^(٣)
وقوله من أخرى: [السريع]

(١) ترجمته في الصفحة التالية، انظر ديوان: ٦٧ .

٢٤- ابن مليك الحموي: علي بن محمد بن مليك الحموي، علاء الدين الفقاعي ثم الدمشقي الحنفي الأديب المتوفى سنة: ٩١٧، له ديوان شعر سماه: النفحات الأدبية من الرياض الحموية. انظر هدية العارفين: ٧٤١/١ .

(٢) توفي أبو الفتح المالكي سنة ٩٧٥، أي عندما توفي ابن مليك، كان عمر أبي الفتح سنوات؟ .

(٣) ديوانه: ٩ .

وَدُرُّ دَمْعِي بِفِيهِ مِنْ نَظْمَةٍ
بِالْمِسْكِ قُفْلًا عَلَيْهِ مِنْ خَتْمَةٍ
ظُلْمًا عَلَى صَبِّهِ وَمَا رَجِمَةٌ^(١)

حَيِّ عَنِّي الْبَانَ وَالْأَثْلَ مَعَا
طَائِرُ الْقَلْبِ عَلَيْهِ وَقَعَا
صَادِحُ الْحَلِيِّ عَلَيْهِ سَجَعَا^(٢)

وَحَلَا بِسَكْبِ الْقَطْرِ عُودُ نَبَاتِهَا
أَدَّتْ كَنُوزُ الْأَرْضِ بَعْضَ زَكَاتِهَا
أَضْحَى خَرِيرُ الْمَاءِ مِنْ رَنَاتِهَا^(٣)

مَا اشْتَأَقَ قَلْبِي لِلْمَوَارِدِ مَثَلًا
مَا قَلْتُ شِعْرًا فِي الْمَسَامِعِ قَدْ حَلَا^(٤)

لَمَا ظَهَرَتْ هَذِي الْحَلَاوَةُ فِي شِعْرِي

فَلَمْ أَنْلِ غَيْرَ حَمْلِ الْإِثْمِ وَالنَّصَبِ
فَأَجْرَةُ الْخَطِّ أَوْ كَفَّارَةُ الْكَذِبِ^(٥)

وَقَدْ هَجَانِي وَمَا فِي ذَاكَ مِنْ عَجَبٍ
أَنِي كَذَّبْتُ فَجَازَانِي عَلَى الْكَذِبِ

مِنَ اللَّيْنِ يُعْقَدُ لَوْلَا الْكَفْلُ

طِرَازُ ذَاكَ الْعِذَارِ مِنْ رَقْمَةٍ
وَخَالُهُ فَوْقَ كَنْزِ مَبْسَمِهِ
مَنْ لِي بِهِ ظَالِمَ الْجُفُونِ سَطَا
وَقَوْلُهُ مِنْ أُخْرَى: [المديد]

يَا بَرِيقًا بِالْحِمَى قَدْ لَمَعَا
فَبِذَاكَ الْحَيِّ لِي عُصْنُ نَقَا
يَا لَهُ مِنْ عُصْنِ بَانَ يَانِعٍ
وَقَوْلُهُ مِنْ أُخْرَى: [المديد]

أَخِيَا الرَّبِيعُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَمَاتِهَا
وَالزَّهْرُ قَدْ أَلْقَى النُّشَارَ كَأَنَّمَا
وَحَكَّتْ جَدَاوِلُهَا خَلَاخِيلاً وَقَدْ
وَقَوْلُهُ مِنْ أُخْرَى: [الكامل]

سُقِيًا لِأَرْضٍ بَعْدَ كَوَثْرِ مَائِهَا
لَوْلَا بَقَايَاهُ وَحَقُّكَ فِي فَمِي
وَهَذَا مِنْ قَوْلِ بَلَدِيهِ ابْنِ حِجَّةَ^(٥) مِنْ قَصِيدَةٍ: [الطويل]

وَلَوْلَا بَقَايَا طُعْمِهِمْ فِي مَذَاقَتِي
وَمَنْ نَتَّفَ لَهُ: [البيسط]

مَدَحْتُكُمْ طَمَعًا فِيمَا أُؤْمَلُهُ
إِنْ لَمْ تَكُنْ صِلَةٌ مِنْكُمْ لِدِي أَدَبٍ
وَقَوْلُهُ أَيْضًا: [البيسط]

لَا تَعَجَّبُوا مِنْ صَدِيقِي كُنْتُ أَمْدَحُهُ
بَلْ اعْجَبُوا مِنْ ذَكَاءٍ فِيهِ كَيْفَ دَرَى
وَقَوْلُهُ أَيْضًا: [المتقارب]

يَكَادُ لِرِقَّةٍ أُعْطَاهُ

(١) ديوانه: ٩٢ .

(٣) ديوانه: ٥١ .

(٥) ابن حجة الحموي: علي بن عبد الله تقي الدين أبو بكر الحموي الأديب الحنفي الشهير بابن حجة

بكسر الحاء، ولد سنة ٧٦٧، وتوفي سنة: ٨٣٧، من تصانيفه: أمان الخائفين من أمة سيد

المرسلين، وبلوغ الأمل في فن الزجل، وثبوت الحجة، وله كثير غيرها بالإضافة إلى ديوانه. انظر

هدية العارفين: ٧٣١/١ .

(٦) ديوانه: ١٣٠ .

(٢) ديوانه: ٤٠ .

(٤) ديوانه: ١١٨ .

(٥) ابن حجة الحموي: علي بن عبد الله تقي الدين أبو بكر الحموي الأديب الحنفي الشهير بابن حجة

بكسر الحاء، ولد سنة ٧٦٧، وتوفي سنة: ٨٣٧، من تصانيفه: أمان الخائفين من أمة سيد

المرسلين، وبلوغ الأمل في فن الزجل، وثبوت الحجة، وله كثير غيرها بالإضافة إلى ديوانه. انظر

هدية العارفين: ٧٣١/١ .

(٦) ديوانه: ١٣٠ .

فإن قيل بدر فقل عبده
ونحوه قول ابن حجر: [المتقارب]
حبیبی لا تحنّفل بالعدل
وحنّك إن العادل الأقل
ومن قصيدة له: [الطويل]

وفوق ظهور الخيل ماتوا فأضبحوا
وفي كل سرج فوقها لهم قبر
وقد توارد في هذا المعنى مع ابن حجر، في قوله من قصيدة، وكنت لما طالعت
في «ديوانه» لم أر له معنى ابتكره غيره وهو: [الكامل]

ماتوا على تلك السروج مخافة
فكان هاتيك السروج مقابر
وهو تشبيه لطيف؛ لأن هيئة دفتي السرج، كهيئة جانبي القبر المصنوع من الحجارة
في هذا الزمان. وقد سبق إليه ابن نباتة، في مرثية له: [الطويل]

وما الناس إلا راحل بعد راحل
تبدت لدى البندا مطايا قبورهم
إذا ما انقضى عصر مضى بعده عصر
ليعلم أهل العقل أنهم سفر^(١)
ثم رأيت في أشعار المتقدمين، لكن هذب، فإن أبا نواس قال في قصيدته، التي
أولها: [الطويل]

أجارة بنينا أبوك غيور
وميسور ما يزجي لذيك عسير^(٢)
ومنها:

إليك أتت بالقوم هوج كأنما
جماجمها تحت الرحال قبور^(٣)
قال الصولي: أي إبل كان بها هوجاً لناشط في سيرها، وهذا التشبيه بالقبر حسن،
لكنه أخذه من قول الوليد: [البيسط]

كان هاماتها قبر على شرف
يمد للسير أوصالاً وأضلاباً
انتهى.

وها هنا أمر نفيس، ينبغي الإضغاء له، لأن الجماجم الرؤوس، ولو شبه أسنمتها
أو الرحال التي عليها بالقبور، لكان من المعاني التي لا نظير لها. فاستحسن الصولي
ليس بحسن، وكان المتأخرين إذ كانوا رأوه تنبهوا لهذا، وهذا من حسن الظن بالسلف،
ولا فللمقال مجال.

فإذا فطنت لما قلناه، وفهمته علمت أن هذا كله لا يصل في الحسن إلى درجة من
درجات قولي، من قصيدة لي: [الطويل]

(٢١) ديوانه: ٤٨٠ .

(٣) ديوانه: ٤٨٢، والهوج: جمع هوجاء: الناقة المسرعة.

إذا جئتُ داراً قبل لُقبايِ أهلِها
عليها لقد حطوا رحالاً بمنزِلِ
ليشْتَظِرُوا مَنْ خَلَّفوه بدورِهِم
يقولون جِدُوا في الرَّحيلِ فإن مَنْ
أقاي قُبوراً للكرام أولي المجدِ
وكم هودج من بينها مُرتخي الشدِّ
ليلحَقَهُم قبلَ القيامِ بلا جَهدِ
تَبَيُّ أناسٍ أَرْضِعُوا اللُّؤمَ في المَهْدِ
وقولي: «قبل لُقباي» إلخ، إشارة إلى أن قبور كل بلدة خارجها، فكل قادم لا بد
أن يُلاقِيها أولاً.

وإلى هذا المعنى أشار القاضي الفاضل في قوله: [م. الكامل]

المُذْنُ إن رَجَعَ المُسا
ما اسْتَقْبَلْتَهُ وَوَدَّعْتِ
فِر أو إذا خَرَجَ المُسافِرُ
بغيرِ هاتيكِ المقابِرِ

٢٥- القاضي مُحِبُّ الدين بن تَقِيِّ الدين الحَمَوِيِّ

نزِيل الشام، وشامةٌ مَنْ بها من الوجوه والأعلام، ذو كمالٍ وأدب، ومجدٍ تناوله
عن كَتَب، فكان غُرَّةً مَنْ نَظَم ونَثَرَ، وكتَب وشَعَرَ، إذا حلَّ بناذٍ تهلَّل صدرُهُ وأنشَرَح،
وتزيَّنَتْ بدرِّرِ كلماتِهِ عُقودُ المُلح، وترنَّمت أطيَّارُها، وتفتَّحت بنسيم خُلُقِهِ أنوارُها،
بمُحاوراتٍ له تخمَّرُ خدودُ الكاساتِ منها خَجَلًا، وتفتح أزهارُ الخمائِلِ لها آذانًا ومُقَلًا.
إلا أنَّه وافى رياضها عشيَّةً، فحيَّته من أنقاسِها بِالطِفِّ تحيَّةً، فحمدَها وشَكَرَ، بما
طار بين سَمعِ الأرضِ والبَصَرِ.

ومن شعره قوله في الشام: [الطويل]

أَتِينَا فَسَلَّمْنَا عَلَيْهَا عَشِيَّةً
وَابْدَى لَنَا ثَغْرُ الْأَقاجِي تَبْسُماً
وما هِيَ إلا جَنَّةٌ قد تَزَخَرَفَتْ
ومن تحتِها الأَنْهارُ تجرِي وكلُّها
ومن فصلٍ له:

«يقبَلُ الأرضَ بعد دُعائِهِ تُرَضُّع في تيجانِ الإجابة دُرُّرُهُ، وتَضْرُعُ تَقِف في ديوان
الإخلاصِ فِقْرُهُ».

٢٥- محب الدين الحموي: محمد بن أبي بكر بن داود بن عبد الرحمن بن عبد الخالق الملقب محب
الدين بن تقي الدين أبو الفضل العلواني الحموي الدمشقي الحنفي جد المحبي مؤلف الخلاصة،
ألف الكثير، منها: حواشيه على التفسير والهداية، والدرر والغرر، ومنظومة في الفقه، وله شرح
شواهد الكشاف، وله السهم المعترض والرد على من فجر، ولد سنة ٩٤٩ وتوفي ١٠١٦، ودفن
في دمشق. انظر خلاصة الأثر: ٣/٣٢٢-٣٣١.

ومما وقفت عليه من آثاره «شرح شواهد التفسير» وهو كتاب حسن، لكنه لم يُشبع فيه الكلام^(١).

٢٦- شهاب الدين الكنعاني الشامي

شاعرٌ عَصْرِيٌّ، لم أَقِفْ له إلا على ما أنشده شيخنا العِنَايَاتِيّ، من قوله: [السريع]
يَحْسَبُ كُلُّ النَّاسِ أَمْثَالَهُ مَنْ بَاتَ فِي مَهْدِ نَعِيمٍ وَطِي
أَمَا تَرَى الشُّبْعَانَ يَا سَيِّدِي يَفُتُّ لِلجِيعَانِ فَتًا بَطِي
وهذا مثل عامِّي، من أمثال العوام، تضربه للمترفة الذي لا يعرف حال من كان في
بؤس وشدة، فيظنه مثله.

ولفظ «الجيعان» أنكره أهل اللغة وقالوا: المسموع فيه جائع وجوعان؛ لكن الأمثال لا تُغَيَّرُ.

٢٧- معروف الشامي

هو ممن أتمم بالأدب في الحديث والقديم، وسرى ذكره كما سرى من الرياض
النسيم، فسَمَّتْ مقاصده، وعذبت مصادره مواردّه، فليس للرّبيع نضارة تلك الشيم، ولا
للغيث شيم ذلك الكرم، فروضة مآثره يانعة الزهر، ونسخة محاسنه مخلدة في صحائف
الدهر.

لا زال جدته روضة من رياض الجنان، ومنزلاً تحل فيه قوافل الغفران، ما بكى
المطر لِفراقِ الغمام، فضحك النور على بكائه في الأكمام.

فمما أنشدت له قوله: [الكامل]

يا مُفْرَدًا أَضْحَتْ ظَوَاهِرُ شَأْنِهِ ما فوقها في الحُسن غيرُ المخبر
يا سَالِبًا قَلْبِي الشَّجِيّ وما اشْتَكَى منه الجفاء إلى السَّميعِ المبصر
مِنِّي إِلَيْكَ مع النِّسِيمِ تحيَّةً فتقت نوافجها بمسكٍ أذفر
مِن مَنطِقِي يزهُو بحسنِ بَرَاعَةٍ تُزْري حلاوته بطغمِ السُّكر
فكأنها وكأنه وكأنها من جُوهرٍ في جُوهرٍ في جُوهرٍ
يُبْدي التداخَلَ في الجواهرِ عَنوَةً لبصيرةِ المقْدَامِ لا المُتخبر

(١) انظر الخلاصة: ٣/٣٢٢.

٢٦- لم أشر على ترجمة له.

٢٧- لم أشر على ترجمة له.

فكأثما قِرْطاسُها أسرارُنا
أرجو على قُزْبِ المَزَارِ يُقَرِّبُ الـ
في ذلك الشرفِ المُعَلَى المُنتهى
ونُقِل لي عنه فصلٌ في كَحَال، صورته:

فلان انتهى إلى فوق ما يُضْرَب به المثل، إن قيل يسرق الكُخْل من العَيْن، فهذا يسرق العَيْن من الكُخْل، فقد أودع كُحْلَه حُزْنَ يعقوب، فمن كُجِل منه ائبُضت عيناه، وجحد مُعجزة القميص اليوسُفي، فلو مرّوا به على ناظرٍ تقرّح جَفْنَاه، وهو من الذين إذا رَفَعوا أُميآلهم فإنما هي لعَيْن الشمس، ولشَمْس العَيْن مِزْوَلَة، وإذا أُولج أحدهم المِيل في المُكْحَلَة، فهو أولى بالرَّجْم مِمَّن أُولج المِيل في المُكْحَلَة. انتهى.

وأنا أظن أن هذا من كلام القاضي الفاضل.

ومن هذا قولٌ مِهْيَار^(١)، في طيب كَحَال: [الكامل]

أفنى وأغمى ذا الطيبِ بِطِبِّه
فإذا نظرت رأيت من عُميانه
ومنه أخذ الزغاري قوله: [م. الكامل]

وبكُخْلِهِ الأحياء والبُصْرَاء
أممأ على أمواته قُرَاء
والموتُ من وَصفائِهِ
يقهرأ على أمواتِهِ

وإنما خَصُوا العُميان بالقراءة؛ لأنهم معروفون بكثرة الحفظ، وقد قيل: إنه ما أخذ الله من عبده حاسةً إلا نقل قُوَّتَها لغيرها.

ولابن عُنَيْن^(٢): [الكامل]

لو أن طُلابَ المطالبِ عندهم
لأتوا إليك بكل ما أمْلتَه
ودعوك بالصَّبَاغِ لَمَّا أن رأوا
وبِكِفِّكَ المِيلُ الذي يَخْكِ عَصَا
عِلْمٌ بِأَنَّكَ لِلْعُيُونِ تُغَوِّرُ
منهم وكان لك الجزاء الأوفرُ
يغشى العُيُونُ لديك ماءً أَضْفَرُ
مُوسَى فكم عينٍ به تَتَفَجَّرُ^(٣)

(١) مهيّار: أبو الحسين مهيّار بن مرزويه الديلمي الفارسي الكاتب ببغداد، الشهير بالديلمي، كان مجوسياً ثم أسلم على يد الشريف الرضي، توفي سنة ٤٢٨، له ديوان شعر مشهور. انظر هدية العارفين: ٤٨٥/٢، والأعلام: ٣١٧/٧.

(٢) ابن عنين: محمد بن نصير الدين بن نصر بن الحسين بن عُنَيْن، شرف الدين أبو المحاسن، كوفي الأصل دمشقي المولد، كان أديباً شاعراً، تولى الوزارة بدمشق، ولد سنة ٥٤٩، وتوفي بها سنة: ٦٣٠، له تاريخ العزيزي، ومقراض الأعراض في الأهاجي، وديوان شعر. انظر هدية العارفين: ١١٣/٢، والأعلام: ١٢٥/٧.

(٣) ديوانه: ٢٤٠.

ولمحمد بن الأكَفَانِي^(١): [الكامل]

ولقد عَجِبْتُ لِمَنْ أَتَى بِالْكَيمِيَا
يُلْقِي عَلَى الْعَيْنِ التُّحَاسَ يُجِيلُهَا
وأحسن منه قولي: [الخفيف]

كُحِلْ كَحَالِنَا غَدَاً إكْسِيرَا
فَحَدِيدُ الْأَبْصَارِ يُلْقَى عَلَيْهِ
منه قد عَلَّمَ الْوَرَى الْكِيمِيَا
عاد في الْحَالِ فِضَّةً بَيْضَاً

٢٨- نجم الدين بن معروف

أديب إذا نظم حرَّك الهوى، وقال الشعر: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا
غَوَىٰ ﴿ [النجم: ١-٢]، فقد سَلَكَ سَبِيلَ الرِّغَائِبِ، واهْتَدَى بِأَعْلَامِ المَنَاقِبِ، فهو نجم
بَزَغَ من سماءِ الكَرَمِ، وشمس اهْتَدَتْ بِأَنْوَارِهِ سِرَاةً الْأُمَمِ.
تَقَلَّدَ سَيْفَ الإِمَارَةِ، فَلَاحَتْ عَلَيْهِ من السَّعَادَةِ كُلِّ أَمَارَةٍ، فَلِلَّهِ نَجْمُهُ الثَّاقِبُ بِرَفْعَتِهِ
لِدُرِّي الكَوَاكِبِ.

فمن أنواره السَّاطِعَةِ من مَشْرِقٍ فِيهِ، ما كتبه للقاضي أبي الفتح يَسْتَدْعِيهِ: [الكامل]
يا أَيُّهَا المَوْلَى الَّذِي فُتِحَتْ لَهُ
وَوُفُودُ أَرْبَابِ الفُنُونِ تَعَبَّدُوا
وَإِذَا أَتَاهُ الفَاضِلُونَ بِجُمْلَةٍ
العَبْدُ يَرِغِبُ أَنْ تُشْرِفَ بَيْتَهُ
لَا زِلْتَ يَا زَيْنَ الوُجُودِ مُمْتَعَاً
فَأَجَابَهُ: [الكامل]

يا ماجداً نحو الغلا لم يُسَبِّقْ
لَبَيْتِكَ من مولى بفضلي داعياً
واقف بدائع نظمه تخكي عُقُو
تدعو لحضرته البديع صفاتها
سغياً على الأخداق نحو كماله
ومَهْدَباً حاز الكمار بجلق
لمحبه بل عبده المُتَمَسِّقْ
ذ الدُرِّ في سلك البيان المُونِقْ
ببلاغة فاقَتْ بأفصح منطِقْ
وجماله المُتَوَقِّدِ المُتَأَلِّقْ

(١) ابن الأكَفَانِي: محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري، شمس الدين أبو الحود السحاري ثم
المصري الطبيب المعروف بابن الأكَفَانِي المتوفى سنة: ٧٤٩، من تصانيفه: إرشاد الفاصد إلى
أسنى المقاصد في أنواع العلوم، وغنية اللبيب فيما يستعمل عند غيبة الطبيب، واللباب في علم
الحساب، وغيرهم. انظر هدية العارفين: ١٥٥/٢.

نحو الفضائل والقواضل والثنا
لازلت محروس الجناب ممتعاً
نحو المكارم والندى المتدفق
بلقائك الفضلاء دون تفرق
أو فاحت الروضات للمستنشق
ما لاح نجم في الدجئة ثاقب

٢٩- محمد بن محمد الحكيم المعروف بابن المشنوق

شاعر رأيتُه، وله شعر لم يُثابِر على تهذيبه، فهو وسوس لفكرة تهذي به.

وقد أنشد قصيدة سماها لامية الروم، منها: [البيسط]

حتى م أنظم من دَمعي ومن غزلي
يرى خلودي في نار الصدود فهل
أدلة وحبیب القلب مُعترلي
فسقت حين جعلت العشق من عملي

٣٠- فتح الله بن بدر الدين محمود البيلوني الحلبي

أديب فاضل، له طُرف ومُلح وشعر، سَمح طبعه منه بما سَنح، وله مجلس من مجالس القُصاص والنُصاح، ينادي به كلُّ طالبٍ حيٍّ على الفلاح.

رأيتُه وقد قدم الروم بصحبة الوزير نُصوح، وشمسُ فضله من أفق معاليه تُلوح، فانقطع عن الاختلاط، وربما حرك السكون رديء الأخلاط.

وله شعر وشعور، هما من خير الأمور، كقوله: [الطويل]

يقولون نافع أو فوافق مُرافقاً
فقلت وأمرٌ ثالثٌ وهو قولٌ أو
على مثلٍ ذا في العُصرِ كلُّ لقد دَرَج
ففارِقٌ وهذا الأمرُ أسلمٌ للحرَج^(١)
وقوله في بعض منازل الحج، المسمى بأكرهه، ويقال لها أكرى بالقصر أيضاً:

[الطويل]

تعففتُ عن زادِ الرقيقِ ومائه
ووفرتُ ما عندي احتِرازاً وإني
وسرتُ لبيتِ اللهِ أهدي له سُكره
لِصونِي ماءِ الوجهِ لم أرَ ما أكره
ومن أمثاله المُرسلة: [الخفيف]

رُبَّ داءٍ أضرُّ مسننه السدواء

٢٩- لم أعثر على ترجمة له.

٣٠- البيلوني: فتح الله بن محمود بن محمد بن الحسن العمري الأنصاري الشافعي الحلبي المعروف بالبيلوني، ولد سنة ٩٧٧، وتوفي سنة ١٠٤٢، تولى إفتاء الشافعية بالقدس، وهو من المكثرين في الرحلة، ألف كثيراً من التأليف منها: حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي، وخلاصة ما يعول عليه الساعون في أدوية دفع البواء الطاعون، وله مجاميع اشتملت على تعاليق غريبة. انظر خلاصة الأثر: ٢٥٤/٣، وهدية العارفين: ٨١٥/١، وإعلام النبلاء: ٢٣٩/٦.

(١) في خلاصة الأثر عند هذين البيتين قال المحبي: «وقوله وينسبان لفتح الله بن النحاس، والصواب أنهما لفتح الله هذا» انتهى. ٢٥٦/٣.

ومنه: [البيسط]

إذا ابتليت بسُلطانٍ يرى حسناً عبادة العجلِ قدم نحوَه العلفاً^(١)
وقوله: [الخفيف]

أنت كالمُنخل الذي صار يُلقى الصِّ فو للناسِ مُمسيكاً للثخالة
وهذا مما وقع معناه في بعض الكتب الإلهية، كما نقله الإمام الرّازي.
وقد كنتُ قلتُ فيه: [م. الكامل]

الدَّهرُ كالغِرْبَالِ في خَفِضَ ورفَع لا مَحَالَهُ
إن حَطَّ لُبُّ لُبَابِهِ رَفَع الحُثَالَةَ والثُّخَالَةَ
والبَيْلُونِي، لقبُ جدِّه، وهو نسبة للبيّلون، وهو طين أصفر، تسميه أهل بصر
طفلاً. انتهى.

٣١- القاضي ظهير الدين الحلبي

أديبٌ وزده مَعِين، وإثمد مداده مما تكتحل به عيون اليقين.
صحبته بالروم، فكان لي منه ظهير ومعين، فاقتطف سَمْعِي جنى أزهره، لما جلا
عليّ نتائج أفكاره، فرأيتُ كُبراهها وصُغراها في الحدِّ الأوسط، ومنها ما هو عن رتبة
الإنتاج مُنحط.

فمن غَضُّ ثَمَرَاتِهِ، ويانع زهواته، قوله من قصيدة نبوية: [الطويل]

تَسِيمُ الصُّبَا من حاجرٍ ونواحيه سرت فأزالت صبرن عن صيصيه
وَمِن بَارِقِ شَامِ المُتَيَّمِ بَارِقاً بدا فتداعى شوقه من أقاصيه
وَمِن ذِكْرِ أيامِ الغذيبِ تكدرت مشارب صبّ ضلّ عنه مسجيه
إذا قفل الحجاجُ زاد وتوَعَّه وأرسل دفعا قاتب من أمديه
وبي من غدا يَخْتالُ عَجِباً بقده وظلعت سكران من خيرة نبيه
وفي القربِ أخشاهُ وفي البغدِ قاتلي فواحرِباً من بَغدده وتدائيه
يُفوقُ من جَفْنِيهِ للقلبِ أسهماً بأوهنها يزسي الكسي فيضديه
بذلتُ له زوحي فأعرض مُعجِباً وقال أملكى عاد مأكك تُهديه

(١) الخلاصة: ٢٥٦/٣ .

٣١- ظهير الدين الحلبي القاضي الأديب الشاعر، تردد مراراً إلى الروم، اجتمع به الشهاب الحلبي، وهو
بالروم، وكان قاضياً من قضاة القصبات ببلاد الأناضول، وولى مناصب عديدة، يقول المحقق في
خلاصة الأثر: نسبه ومولده ووفاته لم أطلع عليها إلا أن هناك ما يشير إلى أنه كان من ولد
١٠١٣ . انظر خلاصة الأثر: ٢٦١/٢ .

وبالشَّعب من وادي النَّقا خيرُ جيرةٍ
إذا ذُكروا يرتاحُ قلبي كأنما
غدث بُغيتي والله من غيرِ تمويه
أتت نحوه تنقادُ قسراً أمانيه^(١)

٣٢- بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي الحارثي

الشَّامي أصلاً ومختِداً، الفارسي منشأً ومولداً^(٢).

فاضل لمعت من أفق الفضل بوارقه، وسقاه من مورده النَّمير عذبه ورائقه، لا يُدرك بحرَ وظيفه الإغراق، ولا تلحقه حركات الأفكار ولو كان في مضمار الدهر لها السباق.

زَيَّن بمآثره العلومَ الثَّقَلِيَّةَ والعقلِيَّةَ، وملك بنقده ذهنه جواهرها السَّنيَّةَ، لاسيَّما الرياضات، فإنه راضها، وغرس في حدائق الألباب رياضها.

وهو في ميدان الفصاحة فارسٌ أي فارس، وإن كان عُصنه أئِنع وربما برَبوة فارس، فإن شجرته نبَّت عروقها بنواجي الشَّام الزَّاهية المغارس، والعِرْق نَزاع وإن أثر الجوار في الطُّباع.

ولما تدفَّق ماء كرمه خرج منها سائحاً، بعد ما ألقى دَلوه في الدَّلاء ماتحاً، لابساً خِلع الوَقار، قاطفاً من رياض الكون ثمرات الاعتبار، فجاب البلاد، وأتى إزم مصر ذات العماد، فنمى متاع فضل به اتَّجر، والمعالي هي كَفالات السَّفَر، فاجتني نوراً انفتحت كمائمهُ، وسرى سُرَى قلبُ الوجود كاتمهُ. [السريع]

وسُرَّ دَهْرٌ هو صَدْرٌ له بعالم ذي نَجْدَةٍ عامِل
وفي أثناء ذلك نظم عقود أشعار حقائقها العقول، وجمع من أزواد فضله مجموعة سماها «الكشكول»، طالعُها فرأيتُ فيها ما تُشرح له الصُّدور، وتحلُّ عُقدَ الإشكال عن كل مَصْدور.

وكان رئيس العلماء عند عباس شاه، سلطان العجم، لا يصدُر إلا عن رأيه إذا عقد ألوية الهَمَم، إلا أنه لم يكن على مذهبه في زندقته وإلحاده، لانتشار صيته في سداد دينه

(١) خلاصة الأثر: ٢/٢٦١.

٣٢- العاملي: محمد بن عز الدين حسين بن عبد الصمد بن محمد محمد العاملي الجبلي، بهاء الدين الحارثي الهمداني، رئيس علماء الشيعة الإمامية بأصبهان، ولد في جبل عامل في لبنان سنة ٨٥٣، وتوفي سنة ١٠٣١، له الكثير من التصانيف منها: توضيح المقاصد، وتهذيب في النحو، وحاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي حدائق الصالحين، وشرح الأربعين في الحديث كشكول، وديوان شعر. انظر هدية العارفين: ٢/٢٧٣، وخلاصة الأثر: ٣/٤٤٠.

(٢) قال محقق ديوانه: من المؤلفين من قال إنه ولد في بلدة أمل الخراسانية، أما القول في أنه ولد في بعلبك فبعيد عن الصواب، بل هو خطأ محض، وأرجح أن قولهم هذا يرجع إلى الخلط بين جبل عامل وبين «أمل». انظر ديوانه: ١٤.

ورشاده، إلا أنه علوي بلا مین، وهو عند العقلاء أهون الشرین، فإنه أظهر غلوّه في حب آل البيت، وجازى في حلبة الولاء الكميت، وأنشد لسان حاله لكل حي وميت:
[الكامل]

إن كان رفضاً حب آل محمد
فليشهد الثقلان أنني رافضي
وشعره باللّسّاتين مهذب محرر، وبالفارسيّة أحسن وأكثر.

ولما سآح في البلدان، واجتمع بمن بها من الأعيان، عاد بذر ذاته لفلک أقطاره، فعانق في أوطانه عقائل أوطاره.

وهو الآن قرّة عين مجدها، وغرّة جبين سغدها، تطوف بحرمة وفود الأفاضل، وتتوجه شطره وجوه الآمال من كل فاضل، بنعيم مقيم تتحدث عنه طروس الأسفار، وتكتحل بإئمد مداده غيون الطروس والأسفار.

فمن أنوار كلامه التي أطلعتها غصون أقلامه، قوله من قصيدة^(١): [الخفيف]

يا نديمي بمهجتي أفديك	قُم وهات الكؤوس من هاتيك
هاتها هاتها مشغشعة	افسدت عقل ذي التقى التسيك
خمرة إن ضللت ساحتها	فسنا نور كأسها يهديك
يا كلیم الفؤاد داو بها	قلبك المبتلى لكي تشفيك
هي نار الكليم فاجتليها	واخلع الثغل واترك التشكيك
صاح ناهيك بالمُدام فدم	في اختسائها مخالفاً ناهيك
عمرك الله قل لنا كرمًا	يا حمام الأراك ما يُبكيك
أترى غاب عنك أهل مني	بعد ما قد توطئوا ناديك
إن لي بين ربّهم رشًا	طرفه إن تمت أسي يحييك
ذو قوام كأنه غصن	ماس لما بدا به التخريك
لست أنساه إذ أتى سحراً	وخده وخده بغير شريك
طرق الباب خائفاً وجلًا	قلت من قال كل ما يرضيك
قلت صرخ فقال تجهل من	سينف الحاظه تحكم فيك
قمت من فرحتي فتحت له	واعتنقنا فقال لي يهنيك
بات يسقي وبت أشربها	خمرة تترك المقل مليك
ثم جاذبته الرداء وقد	خامر الخمر طرفه الفتيك
قال لي ما تريد قلت له	يا منى القلب قبله من فيك

(١) ديوانه: ١٠٨-١٠٩، انظر نفحة الريحانة: ٢٨٣/٢، وخلاصة الأثر: ٤٤٩/٣، وقد ذكر منها أحد عشر بيتاً.

قال خُذْهَا فَمُذَّظْفِرْتُ بِهَا
 ثم وَسَدَّتْهُ الِيمِينِ إِلَى
 قلتُ مَهْلًا فَقَالَ قُمْ فَلَقَدْ
 وله من أخرى، مدح بها الأستاذ البكري، وقد اجتمع به، وهو مما يدل على
 سلامة عقيدته، قوله: [السريع]

يا مِصْرُ سُقِيَا لِكَ مِنْ جَنَّةِ
 ترابها كالتُّبْرِ فِي لُطْفِهِ
 قد أَخْجَلَ الْمِسْكَ نَسِيمٌ لَهَا
 دَقِيقَةٌ أَصْنَافُ أَوْصَافِهَا
 مُنْذُ أَنْخَتُ الرِّكْبَ فِي أَرْضِهَا
 فَيَا حَمَاهَا اللُّهُ مِنْ رَوْضَةٍ
 فِيهَا شِفا الْقَلْبِ وَأَطْيَارُهَا
 ومنها:

مَنْ شَاءَ أَنْ يَخِيَا سَعِيدًا بِهَا
 فَلْيَدْعِ الْعِلْمَ وَأَضْحَابَهُ
 وَالطَّبَّ وَالْمَنْطِقَ فِي جَانِبِ
 وَلِيَتْرِكِ الدَّرْسَ وَتَذْرِيسَهُ
 إِلَى مَ يَا دَهْرُ وَحَتَّى مَتَى
 تُحَقِّقُ الْأَمَالَ مُسْتَعِطْفًا
 وَهَكَذَا تَفْعَلُ فِي كُلِّ ذِي
 فَإِنْ تَكُنْ تَحْسَبُنِي مِنْهُمْ
 دَعْ عَنْكَ تَعْذِيبِي وَإِلَّا فَاشْكُرْ
 وله رباعيات لطيفة، منها: [البسيط]

أَغْتَصِرُ بَرِيقَتِي كَحَسَنِي الْحَاسِي
 إِنْ مُتُّ وَجَمْرَةُ الْهَوَى فِي كَبِدِي
 وله: [البسيط]

كَمْ بَيْتٌ مِنَ الْمَسَا إِلَى الْإِشْرَاقِ
 وَالْهَمُّ مُنَادِمِي وَنَقْلِي نَدْمِي

قلتُ زِدْنِي فَقَالَ لَا وَأَبِيكَ
 أَنْ دَنَا الصُّبْحُ قَالَ لِي يَكْفِيكَ
 فَاحَ نَشْرُ الصُّبَا وَصَاحَ الدَّيْكَ

قَطْرُوقُهَا يَانِعَةٌ دَائِيَّةٌ
 وَمَاؤُهَا كَالْفِضَّةِ الصَّافِيَّةِ
 وَزَهْرُهَا قَدْ أَرْخَصَ الْغَالِيَّةِ
 وَمَا لَهَا فِي حُسْنِهَا ثَانِيَّةٌ
 أُتْسِيَتْ أَضْحَابِي وَأَخْبَابِيَّةِ
 بَهْجَتُهَا كَافِيَّةٌ شَافِيَّةِ
 بِنِغْمَةِ الْقَانُونِ كَالزَّارِيَّةِ

مُنْعَمًا فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَّةِ
 وَلِيَجْعَلَ الْجَهْلَ لَهُ غَاشِيَّةِ
 وَالنَّحْوَ وَالتَّفْسِيرَ فِي زَاوِيَّةِ
 وَالْمَثْنَ وَالشَّرْحَ مَعَ الْحَاشِيَّةِ
 تَشَقَّى بِأَيَّامِكَ أَيَّامِيَّةِ
 وَتَوَقِّعُ التَّقْصَرَ بِأَمَالِيَّةِ
 فَضِيلَةٍ أَوْ هِمَّةٍ عَالِيَّةِ
 فَهِيَ لَعْمَرِي ظِنَّةٌ وَاهِيَّةِ
 كَ إِلَى ذِي الْحَضْرَةِ السَّامِيَّةِ^(١)

إِذْ أَذْكَرُهُ وَهُوَ لِعَهْدِي نَاسِي
 فَالْوَيْلُ إِذَا لَسَاكِنِي الْأَزْمَاسِ

مَنْ فُرِّقْتِكُمْ وَمُطْرِبِي أَشْوَاقِي
 وَالذَّمْعُ مُدَامَتِي وَجَفْنِي السَّاقِي

(١) القصيدة في ديوانه: ١٢٣، وخلاصة الأثر: ٤٤٢/٣.

ومنها: [الدوبيت]

لا تَبِكِ مُعَاثِرًا نَأَى أَوْ إلفًا
بِالمُهَلَّةِ أَوْ تَعَاقِبِ نَتَبَعُهُمْ

ومنها: [الدوبيت]

من أربعة وعشرة أمداي
في طَيِّبَةِ الغُرَاءِ مع سَامِرًا

ومنها: [الدوبيت]

لِلشُّوقِ إِلَى طَيِّبَةِ جَفْنِي بَاكِي
أَسْتَنكِفُ إِنْ مَشَيْتُ فِي رَوْضَتِهَا

ومنها: [الدوبيت]

هذا النَّبَأُ العَظِيمُ مَا فِيهِ كَلَامُ
مَنْ يَمَّمُ بِأَبِهِ يَثَلُ مَطْلَبَهُ

ومنها: [الدوبيت]

هذا حَرَمٌ بِفَضْلِهِ العَقْلُ أَقْرَ
كُلِّ مِنْهُمْ يَقُولُ يَا زَائِرَهُ

ومنها: [الدوبيت]

يَا رِيحُ إِذَا أَتَيْتِ دَارَ الأَخْبَابِ
إِنْ هُمْ سَأَلُوا عَنِ البِهَاءِ فَقُلْ

ومنها: [الدوبيت]

يَا رِيحُ أَقْصِرْ قِصَّةَ الشُّوقِ إِلَيْكَ
قَبْلَ عَنِّي ضَرِيحَ مَوْلَايَ وَقُلْ

ومنها: [الدوبيت]

أَهْوَى زَشَاءَ عَرَضَنِي لِلبَلْوَى
كَمْ جَنَّتْ لِأَشْتَكِي فَمَذُ أَبْصَرَنِي

ومثله قولي: [الدوبيت]

لَوْ تَسْمَعُ لَذَ لِلْمَعْنَى الشُّكْوَى
كُلُّ بِهَوَاهِ مُبْتَلَى ذُو دَنْفٍ

ومنها: [الدوبيت]

القَوْمُ مَضَوْا وَنَحْنُ نَأْتِي خَلْفًا
كَالعَطْفِ بِثُمَّ أَوْ كعَطْفِ بِالفَا

فِي سِتِّ بِقَاعِ سَكُنُوا يَا حَادِي
فِي طُوسٍ وَكَرْبَلَا وَفِي بَغْدَادِ

لَوْ صَارَ مُقَامِي فَلَكَ الأَفْلَاكُ
فَالْمَشْيُ عَلَى أَجْنَحَةِ الأَمْلاكِ

هَذَا لِمَلَائِكِ السَّمَوَاتِ إِمَامُ
مَنْ طَافَ بِهِ فَهُوَ عَلَى النَّارِ حَرَامُ

فِيهِ لِمَلَائِكِ السَّمَوَاتِ مَقَرُ
أُبَشِرْ فَلَقَدْ نَجَوْتُ مِنْ نَارِ سَقَرُ

قَبْلَ عَنِّي تُرَابِ تِلْكَ الأَغْتَابِ
قَدْ ذَابَ مِنَ الشُّوقِ إِلَيْكُمْ قَدْ ذَابَ

إِنْ جِئْتَ إِلَى طُوسٍ فَبِاللَّهِ عَنَيْتُ
قَدْ مَاتَ بِهَاؤُكَ مِنَ الشُّوقِ إِلَيْكَ^(١)

مَا عَنهُ لِقَابُ المُعْنَى سَلْوَى
مِنْ لَذَّةِ قُرْبِهِ نَسِيْتُ الشُّكْوَى

لَا مِنْ بِنْدَا وَلَيْسَ عَنهُ سَلْوَى
قَالُوا وَتَطْيِبُ إِذْ تَعْمُ البَلْوَى

(١) الرباعيات في ديوانه: ١٣٨-١٣٩، و خلاصة الأثر: ٤٥٣/٣ .

يا غائبٌ عن عيني لا عن بالي
أيامٌ نواك لا تسأل كيف مضت
والله مضت بأسوأ الأحوال^(١)
وفي معناه ووزنه قول الأرجاني^(٢): [الدوبيت]

لابأس وإن أذبت قلبي بهواك
وليت وقلت أنعم الله مساك
القلب ومن سلبته القلب فذاك
مولاي وهل ينعم من ليس يراك

٣٣- خضر الموصلي

كعبة فضلٍ مرتفعة المقام، تضمنت ألسنة الرواة التزام مدحه فله ذلك التضمن والالتزام.

رأيته في عُنُقوان العمر والدنيا كلها رياض، والأيام كلها أعياد وأعراس، والأوقات كلها سحر، والأشهر كلها نيسان: [الطويل]

فلو بغت يوماً منه بالدهر كله
فهو حسنة في صحائف الأيام والليالي، وروضة تثبت الشكر في رياض المعالي، والعيش كله نضر، وقد قيل لكل زمان خضر: [الطويل]

إذا ما ذكرنا جوده كان حاضراً
وأقام بمكة مع بني حسن مخضراً الأكناف، وصيِّف باسم السيد حسن كتابه «شرح شواهد الكشاف»، شرحاً تشبث بأهدابه السحر، وناط به تميمه معلقة بجيد الدهر، وقد ملكته وطالعه، فرأيت فيه ما يدل على سعة اطلاعه، وطول طوله وباعه.

وهو تلميذ والدي، وكان يسلك معه طريق الأدب، ويجثو بين يديه على الركب.

وأشدني له قوله مضمناً: [الطويل]

تبدل عن البرش المبلد بالطلا
فما البرش إن فتشت عن كنهه سوى
فعالم أهل البرش غمر وجاهل
دويهيّة تصفر منها الأنامل^(٣)

وللسعد بن مماتي، مما أنشده في كتابه «سلافة الزرجون»^(٤): [الطويل]

(١) الرباعيات في ديوانه: ١٣٨-١٣٩، وخلاصة الأثر: ٤٥٣/٣.

(٢) الرباعية للبهاء في ديوانه: ١٤٠، وليست في ديوان الأرجاني.

٣٣- الشيخ خضر بن عطاء الله الموصلي نزيل مكة العالم الأديب المشهور، كان إماماً في العربية واللغة ومعاني الأشعار، كثير العناية بها حسن الضبط، هاجر إلى مكة، ألف: الإسعاف بشرح أبيات القاضي والكشاف، وأرجوزة في فضل أهل البيت، والفوائد النظرية في شرح القواعد النحوية، والقواعد النحوية في علم العربية، توفي سنة: ١٠٠٧. انظر خلاصة الأثر: ١٣١/٢، وهديّة العارفين: ٣٤٧/١.

(٣) البيتان في الخلاصة: ١٣١/٢.

(٤) مماتي المصري: أسعد بن الخطير أبي سعيد مهذب ابن مينا بن زكريا بن أبي قدامة ابن أبي =

نديمي لا تهزأ بمشْمولةٍ فإن
وراقك منها رِقَّةٌ في قوامِها
فلا تغترز منها بليين فإنها
وهذا من قصيدة لبَّيد، التي أولها^(١): [الطويل]

بدا لك منها بهجَّةٌ وشمائلُ
ولا حث كشمس أضعفتها الأصائلُ
دُوَيْهِيَّةٌ تُضْفَرُ منها الأناملُ
وكُلُّ نعيمٍ لا محالةٌ زائلُ
دُوَيْهِيَّةٌ تُضْفَرُ منها الأناملُ^(٢)
وقد ضمَّن زكي الدين بن قريع منها أيضاً في قوله: [الطويل]

تأملُ صُحَيْفَاتِ الوجودِ فإنَّها
وقد خُطَّ فيها إن تأملتَ خطَّها
وفي معناه قول العلامة الشيخ حسن البوريني: [الكامل]

من الجانبِ السَّامِيِ إليك رسائلُ
الأكلُ شيءٌ ما خلا الله باطلُ
وَزُقُّ الرِّياضِ إذا نظرتَ دفاتِرَ
مَشْحُونَةٌ بأدلةِ التَّوْجِيهِدِ
وهو في معنى شعر أبي نواس المشهور.

ومما مدحتُ به حضرة مولانا خضر المذكور: [الخفيف]

وصباً من كُؤوسِ ذِكْرِكَ سَكْرِي
ولو جدي رَقَّتْ كطَبْعِكَ لُطْفاً
لَكَ حَمْلُهَا ثناءً وشُكْراً
واستعارتُ من طيبِ ذِكْرِكَ نَشْراً
فاسألته عني فذلك أذرى
في الثوى لا يزالُ يثبغُ خضراً^(٣)
معك القلبُ حيثما سرتَ يسري
من أولي العزمِ لي فؤادُ كَلِيمٍ

فصل

فيمن لقيته بالشام في رحلتي لمصر راجعاً من الروم لما مُنيتُ بغربةٍ قارظيةٍ^(٤)،
ودعاني الشوق إلى العود إلى القاهرة المُعزِّيَّة، وعنان مطايا العزمِ بين ثلجٍ وحرارةٍ.

- = مليح مقامي القاضي وحيد الدين أبو المكارم الدمشقي، كان ناظر الدواوين بمصر، توفي سنة ٦٠٦، من تصانيفه: تهذيب الأفعال، ودررة التاج ديوان شعره، وسيرة السدقان صلاح الدين منظوم، وسلاسل الذهب، ونظم كليله ودمنة، وغيرها. انظر هدية العارفين: ٢٠٥/١.
- (١) لبَّيد بن ربيعة بن مالك العامري، أبو عقيل، من أشراف الشعراء، أدرك الإسلام، وتوفي بالكوفة حدود سنة ٦٠، له ديوان شعر مشهور. انظر هدية العارفين: ٨٣٩/١.
- (٢) ديوانه: ٢٥٤، ٢٥٦.
- (٣) الأبيات للموصلي في خلاصة الأثر: ١٣١/٢، وجاء قبلها:
- قال ومما مدحته به في شيبتي قبل نوم سياره همتي وحمود نار شرني *
- (٤) قارظية: دبع الأديم بالقرظ وهو ورق السلم، ورجل قارظ: يجمع القرظ، وفي المثل: حتى

وطوارق الوسوس بين رائج وغادي .

بدا لي بها وجهه جو قاطب، وسامرت بها ليالي عمّر الكواكب، يتعثر بالعوّاء^(١)،
وتضربه بعصا الجوزاء، ونهار صباه سموم، كأنه قلب صب مغموم، أو نفس فقير
مظلوم، نفّضت بها الآمال بساط القرار، واسترجعت نزعها الأمصار، إذ لم تجد حراً
ترتجيه، ولا أخاً وجد تطارحه هوى نجد وتجاريه، كما قلت: [الكامل]

يا ويح مصر ترحلت سكاؤها وتعطلت تلك المجالس والمدارس
ظعنوا ومن بركايتها وجمالها كنست وهاتيك النخيل بها مكانس
فكان الكرام أوراق خريف لوته الأعاصير، وبدده الشتات، ورسومها خط بها البلاء
آيات المواريث وضحف الفرائض فلا يذكر فيها غير الأموات، فإذا رجع أو خرج منها
المسافر، ما ودّعه واستقبله غير المقابر: [الطويل]

عليها لقد حطوا رحالاً بمنزل وكم هودج من بينها مرتخي الشد
وقد كنت أذاب في الترحال، لأحط بربعها المخصب رحال الآمال، رجاء لقاء
أشياخي وأخداني، ومغازلة من بها من خرد أوانس الأمانى، ممن سافنته بواديهما،
وساجلته بدلاء المجون في بواديهما، وقد تنزل من حزن طودها الأوابد، كما قال
كشاجم في كتاب «المطارد»: إن الوحوش قد تلج العُمران، وتلجاً للأنس، إذا كلب
الشتاء، وعبس بالجذب وجه الزمان، فعدمت الأقوات، وأخفى الجمد والتلج الماء
والنبات، فشاب منه الوليد، كما قال مسلم بن الوليد^(٢): [الطويل]

فإن أغش قوماً بعدهم أو أزورهم فالوحش يذنيها من الأنس المخل
يذكرنيك الخير والشر والتقى وقول الخنا والجلم والعلم والجهل
فألقاك في مذمومها متنزهاً وألقاك في محمودها ولك الفضل^(٣)
فعاد الرائد خائباً، من دار أمواتها أشراف، إذ بدت مقفرة الأزجاء، مبرقة باليأس
وجه الرجاء، من دار أمواتها أشراف، وأحيائها أجلاف، بها ضعاف عقول يزعمون أنهم
ألفوا وصنفوا، كأنهم بقية من أهل الكتاب الذين بدّلوا وحرّفوا فعجت زائراً مقابر
أطلالها، وقد خيل لي أنها أول منزل سفر بسروجها ورحالها، ينتظر بها السابقون

= يؤوب القارظ». المقصود: غربة طويلة.

- (١) العوّاء: نجم يلع في البرد.
(٢) مسلم بن الوليد: الشهير بصريع الغواني، مولى الأنصار، كان شاعراً من شعراء الدولة العباسية،
توفي ببغداد سنة: ٢٠٨، له ديوان شعر. انظر هدية العارفين: ٤٣١/٢ .
(٣) ديوانه: ٣٣٣، بغير هذا الترتيب.

اللاّحقين، فقلت: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، فردّوا وصاحوا بهاواها، وأنشدني
بديهة صداها: [م. الكامل]

يا راكباً حُكَّ المَطِيّ	لأرضٍ مصر تَنْتَجِيهَا
جُزْ بالقَرافةِ واقْرَأْ	مَنْي السلامَ لساكِنِيهَا ^(١)
وقل السّلامُ على الكِرا	م الأكرمين الفاضليها
لم ألقَ بعدَهُمُ بها	إلا جَهولاً أو سَفِيها
فكأنّما الدنيا البخِ	لمةً بالعطاءِ لمُجْتَدِيها
صَرَفَتْ دَنائِيرَ البَها	بشُحاسِ نَحسٍ من بَنِيها
سادت بها فِرْقُ العبي	دِ فأبى حُرٌّ يَرْتَضِيها
فلذا هَجَرْتُ مَقامَها	وطلبتُ أرضاً أضطَفِيها
فإذا مررتَ فلا تَسَلْ	عَمَّن نأى من قاطِنِيها
وقِفِ المَطِيّ بِجِلْقِ	إن الكرامَ الغُرِّ فِيها ^(٢)
عُرِفَتْ بعَرَفِ المجدِها	تِيكَ الرُبوعِ لساكِنِيها

فرحلتُ إلى الوادي المقدّس طوى، والعزمُ بأيدي المطايا شبر^(٣) شقّة البين
وطوى، حتى نزلتُ تربةً عُجنتُ بماءِ الوحي، على رَغمِ أنفِ النوى، ومسختُ بها
المُحيا، وحيثُ أكرمَ مَحيا، بين الصخرةِ والطور، والبيتِ المُتألّيءِ فيه سَبَحاتُ الثور:

قَطَعْنَا في مَسافَتِهِ عِقاباً وما بعد العِقابِ سِوى التَّعِيمِ
ولما رأيتُه طُشتَ ذهبٍ مملوءاً بالعقارب، غسَلتُ يَدَ الأملِ فيه من الرُّغائبِ،
وانثنيتُ للشّامِ شامةً وجِهَ البُلدانِ، وجئتُ الله في أرضِهِ المحفُوفَةِ بالحُورِ والوُلدانِ،
المفروشةِ بسُنْدُسِ الثّباتِ والأشجارِ، اللَّابِسةِ حُللِ الرِّياضِ المُزَرَّةِ بالأنوارِ، المُسجَّفةِ
بِزُرُقِ الأنهارِ، فقالت لي: أهلاً وسهلاً، ومدّت كراماً ونزلاً، وتلقّني بصدرٍ رَجيبِ،
فبتُ فيها بين تكريمٍ وترحيبِ: [م. الكامل]

مِن فِوقِ أَكمامِ السُّرِيا ضِ وتختِ أذيالِ النُّسِيمِ
ولقيتُ بها من فضلائِها الأغيانِ، وأدبائِها النقيّةِ الأذهانِ والأزدانِ، كلُّ كَرِيمِ تُحسَدِ
عليه العيونِ والأذانِ، هو لعينِ المجدِ قُرّةٌ، ولوجهِ المكارمِ غُرّةٌ، ولقلبِ الدهرِ قُرحةٌ
ومسرةٌ.

فكان ممن اجتلاه ناظري، وعكف عليه في حرم كرمه خاطري.

(١) القرافة: المقبرة.
(٢) جلق: من أسماء دمشق.
(٣) شبر: قاس المسافة بالشبر.

٣٤- المولى عبد الرحمن بن عماد الدين الشامي الحنفي

وهو إذ ذاك مُفْتِيهَا، وناشِرُ لواءِ الإفادة بناديها، ومُحْيِي من رسومِ المدارس كلِّ دائِرِ بها ودارِس.

إن جاد فُجُودُهُ تَمِيمَةٌ للعدم، أو وَعَد فوَعْدُهُ لِلغِنَى سَلَم، مع صِدْقِ مقالٍ، تُعَقَدُ منه الأَقْوَالُ بالأفعال.

إذا ذُكِرَ ما فيه من محاسِنِ الصِّفَاتِ، سَجَدَتْ له الخناصِرُ كأنه آياتُ سَجَدَاتٍ، أو سُرِدَتْ نُعُوثُهُ فَكُلُّ نَعْتٍ مَقْطُوعٍ، وَكُلُّ وَصْفٍ تَابِعٌ له، وَهُوَ مَتَّبِعٌ.

وقد مُتَّعَتْ منه بما هو أَلَدُّ من نَيْلِ الوَطْرِ، وليس العَيانُ كَالخَبَرِ، وَهَبَّتْ عَلَيَّ رِيحُ إقبَالِهِ قَبُولَ وَجَنُوبٍ، وَأَطْرَبْتَنِي أَنفَاسُهُ وَالكَرِيمُ طَرُوبٍ، وَصَرَفُ الزَّمانِ مَغْلُولُ اليَدَيْنِ، وَالزَّمانُ مُنْقَادٌ لَجَمْعِ الشَّمْلِ، كأنه عليه دَيْنٌ، فَقَلْنَا في ظِلِّهِ الظَّلِيلِ، وَلَمْ نَرَفِ فيه نَقْصاً سِوَى أَنه قَلِيلٌ، وَناهِيكَ بِطِيبِ عُنْصُرٍ لو رآه النَّظَامُ أَثْبَتَ به الجَوْهَرَ الفَرْدَ، مع لُطْفِ طَبْعِ هُوَ شَقِيقِ الرُّوضِ المُخْجَلِ بِلُطْفِهِ خَدَّ الوَرْدِ، وَحُسْنِ تَقْرِيرِ وَتَخْرِيرِ يَهْتَزُّ طَرِباً له كلُّ غَصَنِ نَضِيرٍ.

وبالجملة فهو في كلِّ كمالٍ مُفْرَدٌ، مُسْتَعْنٍ عن التَّعْرِيفِ بِفَضْلِ له لا يُحَدِّدُ، فَإِنَّه أَصِيلٌ عَضْرِهِ، وَعِمَادٌ دَهْرِهِ، كَأَنَّما عَنَاهُ مَنْ قال: [الخفيف]

أَرَأَيْتُمْ في النَّاسِ ذاتَ لَطِيفٍ يَشْرَحُ الصِّدْرَ مِثْلَ ذاتِ العِمادِ
حَسْبُهَا من لَطَافَةٍ أَنها لم يَخْلُقِ اللّهَ مِثْلَها في البِلادِ

وقد دارت بيني وبينه كؤوس محاورات لها ثغر الحباب باسم، تُنظَّمُ منها في جيد الآداب عُقُودٌ لها بِنانُ البَيانِ نَاطِمٌ، ولما قُوِّضَتْ خِيامُ المُقامِ، وَزُمَّتْ مطايا العزائم، كَتَبْتُ له مُودَعاً وشاكراً لما أفاضه عليّ من سوابغ المكارم قولي: [الكامل]

قَسَماً بِلُطْفِ مالِكٍ لِفُؤادِي وَبَرَوْضِ أَنَسِ مُثْمَرِ لِوِدادِي
وَبَطْلَعَةِ نَزَلَتْ لَدَى حَرَمِ العُلا وَبِسُودَةٍ هِيَ قَبْلَةُ القُصَّادِ
أَنِّي ارْتَحَلْتُ وَذَكَرْكُمْ أَبداً عَلَي طُولِ المَدَى مائِي السَّمِيرِ وَزادِي
يا واحِدَ الدُّنيا وَبَيْتَ قَصِيدِها الزَّ أَهِي لَدَى الإِنْشاءِ وَالإِنْشاءِ
يا ابنَ العِمادِ لَأَنْتَ عُمْدَةٌ سادَةٌ تُمْتاحُ في الإِضْدارِ وَالإِيرادِ

٣٤- عبد الرحمن بن محمد عماد الدين بن محمد العمادي الحنفي الدمشقي، أحد أفراد الدهر وأعيان العلم، وهو المفتي بالشام بعد أبيه، ألف حاشية على بعض تفسير الكشاف، وله رسائل في سائر الفنون، ومنشآت وأشعار، نشأ يتيماً ذهب إلى المدينة المنورة، ثم عاد إلى دمشق وتفرغ للإقراء والتدريس، وولي الإفتاء، ولد سنة ٩٧٨، وتوفي سنة: ١٠٥١ . انظر خلاصة الأثر: ٣٨٠/٢، والأعلام: ٣٣٢/٣ .

ذات العِمَادِ بِكُمْ وَأَيَّ عِمَادِ
أَتَرَى لَهَا بَعْدَ الْبِعَادِ بَعَادِ
أَضْحَى بِأَضْلِكَ عَالِيِ الْإِسْنَادِ
أَبْدَأُ بِرَغْمِ عَشِيرَةِ أَوْغَادِ
لِلِقَائِهِ لِبَسْتِ حُلَى الْأَغْيَادِ

إِزْمًا غَدَتْ أَرْضُ الشَّامِ لَأَنْهَا
بَلْ جَنَّةٌ فِيهَا التَّنَاءُ مُخَلَّدُ
وَحَدِيثُ فَضْلِكُمْ الْمُعْتَنُّ مَجْدُهُ
يُثْنِي عَلَيْهِ رَائِحُ أَوْ غَادِي
وَاسْلَمَ وَدَمٌ فِي عِزَّةِ أَيَّامِهَا
وَبَعْدَ هَذَا فَصَلْ :

مولاي، هذه نَفْثَةُ مَصْدُورٍ، وَغَلَالَةُ صَادٍ لَوْلَاكَ لَمْ تُرَوِّ بِهَا الصُّدُورُ، وَبَدِيهَةٌ غَرِيبٍ
مِنَ الْأَوْطَانِ وَالْأَجِبَّةِ مَهْجُورٍ، وَالطَّبَعُ وَإِنْ كَانَ فِي حَلْبَتِهِ جَوَادٍ، فَقَدْ يَكْبُو الْجَوَادُ، وَقَدْ
يَبْخُلُ الْجَوَادُ، وَلَكِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّادٍ: [الخفيف]

فِي وَهَادٍ مِنْ أَرْضِهَا وَنَجَادٍ
شِعْرَاءُ الْبِلَادِ فِي كُلِّ نَادٍ

أَنَا لَوْلَاكَ مَا رَأَيْتَنِي الْقَوَافِي
إِنْ خَيْرَ الْمُدَّاحِ مَنْ مَدَحْتَهُ
وَالسَّلَامُ .
فَأَجَابَ :

وَشِهَابُهَا رُجْمٌ عَلَى الْأَضْدَادِ
أَمْ حُلَّةٌ وَشِيْثٌ مِنَ الْأَبْرَادِ
رُفِعَتْ عَلَى عُمْدٍ رَفَعْنَ عِمَادِي
تَبَّتْ أَيْدِي فِكْرٍ قَسٌّ إِيَادِ
وَشِمَائِلًا يَا أَوْحَدَ الْآحَادِ
شَنَّفْتَنِي مِنْ حَاضِرٍ أَوْ بَادِ
وَتَبَعْدَ الْأَمَالِ طَوْلَ بَعَادِي
جَذِبْتَ مَحَبَّتَكُمْ شِغَافَ فَوَادِي
وَقَفَاً عَلَى الْإِثْهَامِ وَالْإِنْجَادِ
فَهُوَ السَّمِيرُ لِمُهْجَتِي فِي النَّادِي
لِيُعَلِّلَ الْأَخْشَا بِقُرْبِ بَعَادِ

هَذِي دَرَارٍ نُورُهَا لِي هَادِي
أَمْ رَوْضَةٌ بِسَمْتِ ثَغُورِ زَهُورِهَا
أَمْ تِلْكَ أَبِيَاتِ أَبِيَاتِ الْبِنَا
بُنِيَتْ بِأَيْدِي فِكْرٍ قَسٌّ خَفَاجَةٍ
مَوْلَايَ يَا فَرْدَ الْوَجُودِ فَضَائِلًا
قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ عَنْ فَضَائِلِكَ الَّتِي
وَلَطَالَمَا قَدْ كُنْتُ أَرْجُو الْمُلتَقَى
حَتَّى شَهِدْتُ جَمَالَكُمْ فَلِمِخْنَتِي
وَدَنَا الرَّحِيلُ مُخْلَفًا قَلْبِي لَكُمْ
سِرٌّ بِالْهَنَا أَمَّا خِيَالُ كَمَالِكُمْ
وَاسْلَمَ وَلَا تَنْسَ الْعِمَادِي إِنَّهُ
وَمَا أَنشَدَنِي قَوْلُهُ^(١) : [الطويل]

وَأَنْفَضُ مِنْ ذَيْلِ الثَّصَابِي غِبَارَهَا
لَقَدْ طَالَ مَا خَامَرْتُ جَهْلًا خُمَارَهَا
وَطَيْبَ لِيَالِي اللَّهْوِ حَتَّى أَذْكَارَهَا

سَأَطْمِسُ أَنَارًا هَوَايَ أَنَارَهَا
لَقَدْ أَنْ صَخْوِي مِنْ سَلَاةٍ صِبَابَةٍ
هَجَرْتُ الْهَوَى وَالزُّهْوِ حَتَّى اشْتِيَاقَهُ

(١) الأبيات في خلاصة الأثر: ٣٨٧/٢ .

وعَفَيْتُ سُبُلَ الهَزْلِ بِالْجِدِّ مُقْلِعاً
 أَثَامَ كُفَيْتُ اليَوْمَ بِالثَّرِكِ شَرَّهَا
 قَطَفْتُ أَزَاهِيرَ الصَّبَابَةِ فِي الصَّبَا
 فلو صَائِدَاتُ القَلْبِ أَقْبَلْنَ كَأَلْمَهَا
 وقد كُنْتُ أودَعْتُ الحِجَا فَاسْتَرَدَّةً
 وكان شَبَابِي شَبَّ نَارَ صَبَابَتِي
 تُرَى شَيْبَتِي مَا عَذُرَهَا لِشَيْبَتِي
 تَبَسَّمَ ثَغْرُ الشُّعْرِ فِيهَا تَعْجُباً
 فما زار وَكَّرَ الشُّعْرَ فِيهَا غُرَابُهُ
 عسى الآن عَمَّا قد عَثُرْتُ إِنَابَةً
 عسى رَحْمَةً أو نَظْرَةً أو عِنَايَةً
 عسى نَفْحَةً من نُورِ نُورِ معَارِفِ
 وَيُشْرِخُ صَدْرِي نُورَ عِلْمٍ مُقَدَّسِ
 وَأَمْنَحُ الطَّافِئاً مِنَ الإنْسِ أَبْتَغِي
 وَتُكْشَفُ عَن عَيْنِ البَصِيرَةِ حُجُبُهَا
 فَيَظْهَرُ لِي سِرُّ الحَقِيقَةِ مُشْرِقاً
 وَأُحْظَى بِحَالَاتِ مِنَ القُرْبِ أَكْتَسِي
 وَلُطْفُ إلهِي قُطْبُ دَائِرَةِ المُنَى

وقال قَبِيلُ موْتِهِ، رَحِمَهُ اللهُ: [الكامل]

قد شَابَ فَوْدِي حِينَ شَابَ فَوَادِي
 حُسْنَ الخَوَاتِمِ أَرْتَجِي مِنَ مُحْسِنِ
 وَعِمَادِي التَّوْحِيدُ فَهُوَ وَسِيلَتِي
 إن قِيلَ أَيُّ سَفِينَةٍ تَجْرِي بِلَا
 قُلِّ رَحْمَةِ الرَّحْمَنِ مَنْ أَنَا عَبْدُهُ

وَعَفْتُ مَسْرَاتِ جَنَيْتِ ثِمَارَهَا
 لَعَلِّي غَدَاً فِي الحَشْرِ أَكْفَى شَرَّهَا
 وقد صار عَارَاً أَن أَشْمَ عَرَارَهَا
 وَقَبْلَنَ رَأْسِي مَا قَبِلْتُ مَزَارَهَا^(١)
 إلى النَّفْسِ شَيْبٌ قد أعَادَ وَقَارَهَا
 فَمُدَّ لَاحَ نُورِ الشَّيْبِ أَحْمَدَ نَارَهَا
 وقد صَبَغْتُ قَبْلَ الكَمَالِ عِذَارَهَا
 لها إِذْ رَأَى لَيْلَ السَّبَالِ نَهَارَهَا
 ولا دَارَ حَتَّى اسْتَوطنَ البَارِ دَارَهَا
 يَقِيلُ بِهَا لِلنَّفْسِ رَبِّي عِثَارَهَا
 يَسِمُ سُعوْدِي فِي صُعوْدِ مَنَارَهَا
 تَهْبُ فَتَخْتَارُ الفَوَادِ قَرَارَهَا
 يُرِينِي أسْرَارَ العِلْمِ جِهَارَهَا
 خَفَاها وَيَأْبَى الوجودُ إِلا اشْتِهَارَهَا
 بِأَنْوَارِ عِرْفَانِ تُزِيلُ اسْتِتَارَهَا
 على ظَلَمِ الكونِ التي قد أَنَارَهَا
 بَدُنِّيَا وَأُخْرَى فَضَّلَهَا وَفَخَارَهَا
 فَإِنَّ عَلَيْهِ فِي العَطَاءِ مَدَارَهَا

فكأنما كَانَا على مِيعَادِ
 قد مَنْ لِي قِدمًا بِحُسْنِ مَبَادِي
 فِي نَيْلِ مَا أَرْجُوهُ عِنْدَ مَعَادِي
 ماءٍ وَلَيْسَ لِأَهْلِهَا مِنْ زَادِ
 تَسَعُ العِبَادَ فَمَنْ هو ابْنُ عِمَادِ^(٢)

وكتب إلي وهو مريض، وقد سمع بعوذي لمصر، ولم يلبث بعده إلا قليلاً، ما صورته:

أسعد الله تعالى طالِعَ مصر وما حولها من الأمصار، وأنجد هذا العصر وما يليه من الأعصار، وأبد عِزَّةَ العلوم وأهليها، وأيد دولة الفضائل وطالبيها، بدوام سعادة أيام عين

(١) البيت في نفحة الريحانة: ٥٢٧/١ .

(٢) الأبيات في خلاصة الأثر: ٣٨٨/٢ .

أهل المعارف والمعالي، ووَاسِطَةُ عِقْدِهِمُ الْغَالِي، وَنَادِرَةُ فَلَكَهْمُ الْعَالِي، الَّذِي هُوَ صَدْرُ الْعُلَمَاءِ وَيَنْدُرُهُمْ، وَمَنْ يَدُورُ عَلَيْهِ أَمْرُهُمْ، فَكَأَنَّهُمْ فَلَكُ هُوَ قُطْبُهُ، أَوْ جَسَدُ هُوَ رُوحُهُ وَقَلْبُهُ، عَلَامَةُ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ، وَرَوْضَةُ الْأَدَبِ الْوَرِيْقَةِ وَظِلُّهَا الْوَارِفِ، شَمْسُ عَضْرِهِ، وَعَزِيْزُ مَضْرِهِ، جَامِعُ الْمَزَايَا وَالْمَنَاقِبِ، شَهَابُ الْفَضْلِ الثَّاقِبِ.

أَهْدِي إِلَى حَضْرَتِهِ الْعَلِيَّةِ تُحَفَ التَّحِيَّةِ، وَطُرْفِ الْأَذْعِيَةِ الْمَرْضِيَّةِ.

وَأُنْهِي إِلَيْهِ شِكَايَةَ نِكَايَةِ الشُّوقِ، وَاسْتِطَالََةَ سُلْطَانِهِ، وَمَدَّ مُدَّةَ الْبَيْنِ وَاسْتِطَالََةَ زَمَانِهِ.

وَأَهْنِيهِ بِرُثْبَةِ الرِّيَاسَةِ الْعِلْمِيَّةِ، الَّتِي بَعْضُ صِفَاتِهَا وَلايَةُ مِصْرَ الْمَحْمِيَّةِ، جُزْءٌ مِنْ آلِئِهَا وَآلِئِهَا، حَيْثُ آتَتْ تَسْعَى إِلَيْهِ، وَمَدَّ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ رُوقَهَا عَلَيْهِ، عَلَى أَنْ الْمَوْلَى أَنْوَهُ قَدْرًا، وَأَنْبَهُ شَأْنًا وَذَكَرًا، مِنْ أَنْ يُهْتَى بِوَلَايَةِ، وَإِنْ أَمَرَ أَمْرُهَا، وَعَلَا بَيْنَ أَهْلِ الْعُلَا قَدْرُهَا.

وَمَنْصِبُ مِصْرٍ وَإِنْ عَظُمَ مَوْقِعُهُ، فَالْمَوْلَى بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى يَرْفَعُهُ وَالْمَنْصِبُ لَا يَرْفَعُهُ، وَمَا شَرَفَهُ الْمُؤْتَلُّ الْمَعْلُومُ، إِلَّا بِفُنُونِ الْفَضَائِلِ وَالْعُلُومِ.

وَحِينَ بَلَّغْنَا وَصُولَهُ بِالسَّلَامَةِ بِتَيْسِيرِ الْمُيسِّرِ، عَجَبْنَا كَيْفَ رَكِبَ الْبَحْرُ الْبَحْرَ، وَسَلَّكَ الْبَرُّ الْبَرَّ، وَقَلْنَا عَادَ قُسٌّ إِلَى عُكَاظِهِ، وَعَادَ قَيْسٌ بِحِفَاظِهِ.

وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ، إِذْ أَنْامَ الْأَنَامَ فِي حِرْزِ الْعَدْلِ وَالْأَمَانِ، بِنَضْبِ فَيَضَلِّ حُكْمِهِ، وَحُسَامِ قَضَائِهِ؛ لِحَسْمِ مَادَّةِ الظُّلْمِ وَأَنْتِضَائِهِ، فَتَحَ بِذَلِكَ بَابَ دَوْلَةِ الْعَرَبِ، وَرَوَّاجَ بِضَاعَةِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَالْأَدَبِ، فَخَلَّدَ اللَّهُ دَوْلَةَ سَعَادَتِهِ مَدَى اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَنَظَّمَ أَعْوَامَ مُدَّةِ سُلْطَنَتِهِ فِي سَبْلِكَ التَّأْيِيدِ وَالذُّوَامِ.

وَنَسْأَلُ اللَّهَ لِحَضْرَتِكُمْ طَوْلَ الْبَقَاءِ، وَدَوَامَ الْعِزِّ وَالْإِزْتِقَاءِ.

٢٥- أحمد بن شاهين الشامي

صديقنا الصادق الوداد، الفاضل المستغرق بمحاسنه لمراتب الأعداد، قناص سوانح الأفكار، حائز قصب السبق في كل مضممار.

أديب حديثه الحسن كقطع الروض، ولذة الثشوان، يُخيل لسامعه أنه صب عليه الجمان، وجرى خلاله ماء البيان، تتسابق ألفاظه ومعانيه إلى القلوب والآذان، حتى لا تذري أيهما السابق في الولوج للسمع والجنان، فكم هبت شمال شمائله، فأضححت

٣٥- أحمد بن شاهين القبرسي الأصل ثم الدمشقي المولد المعروف بالشاهيني، ولد سنة: ٩٩٥، وتوفي سنة ١٠٥٣، له ديوان شعر الرياض الأنيقة في الأشعار الرقيقة، ومختصر القاموس وزيادته. انظر هدية العارفين: ١٥٩/١، وخلاصة الأثر: ٢١٠/١.

سماء فضائله، فيا عجباً كيف هَمَى منه الندى، وقد انقشع به غمام الغي عن مطالع الهدى، فهو نُكْتة عَطارد، الوارث من المجدِ كلِّ طريف وتاليد، حتى أذنى جودُ أياديه الحسان، ولم يشقَّ غبارَه سوابقُ الاستحسان.

وله نَظْمٌ ونثرٌ أرقُّ من دَمعِ الصَّبِّ، وأغذَّب من زُلالِ القَطْرِ غَبَّ الجَذبِ: [الرجز]
 لو بَقِيَتْ سِلْكَاً على الدُّهورِ لعَطَّلَتْ قلائدَ النُّحورِ
 وأخَجَلَتْ جواهرَ البُحورِ وسُمِّيتْ ضرائِرَ الثُّغورِ
 تُهْدِي إلى الأَكْبَادِ والصُّدورِ رَوْحاً يُحاكي نَفْثَةَ المِضدورِ
 ولما وافيتُ في رحلتي إلى الشَّامِ، نَظَمَني وإيَّاهُ في عِقدِ الصُّحبةِ سِلْكَ الأَيَّامِ، في أوْثِقَاتِ كُلِّها أصيْلٌ وسَحَرٌ، ولا عَيْبَ فيها سِوى ما بها من قِصرٍ: [الكامل]

وكذاك أَيَّامِ السُّرورِ قِصارِ

فشرَّفني بقصيدةٍ أتخفني بها، وهي قوله: [الخفيف]

أيُّ دهرٍ قد جادَ لي بابتهاجِ وصَبَّاحٍ قد لاحَ لي بانْبلاجِ
 وزمانٍ قد مَنَّ لي بنعيمِ وقرانٍ وافى بأُسْعَدِ تاجِ
 وازديارٍ من غيرِ وِغْدِ حبيبِ كَشْفاءٍ من غيرِ سَبْقِ عِلاجِ
 واجتماعِ لنا بغيرِ اتِّفاقِ كَغَيْثِي، جاء طالباً ذا احتِياجِ
 وسخاءٍ من الزَّمانِ بأهْنا نِغْمَةٍ قد أتتْ لأخوجِ راجِ
 بقُدومِ المولى الإمامِ المُفدى أحمدَ السَّيِّدِ الشَّهابِ الخَفَاجِي
 الشَّهابُ الذي أضاءَ فضاءتِ شامُنا من سِراجِهِ الوهَّاجِ
 زارنا في دِمَشقَ غَيْثِ رِويِّ غَيْثُ عِلْمٍ من طَبِيعِهِ الشَّجَّاجِ^(١)
 حينَ وافى من مِصرَ والسَّعْدِ عَبدُ خادِمٌ عنده بغيرِ اختِلاجِ
 ولو أني وفَّيتُ حقَّ قُدمِ سادِ حَظِّي منه وزادَ ابتهاجِي
 كنتُ أفرشُته جُفونَ عيونِي ورفَعْتُ الغُبارَ فوقِ الحجاجِ
 عالِمٌ يُخرِجُ الخَفِيَّ المُعَمَّى من علومِ الألى بلا استِخراجِ
 عنده كالصُّباحِ من كلِّ علمِ مُدْلِهِمُ كالليلِ أسودَ داجِ
 سيدي سيدي تحيةً داعِ مُخْلِصٍ في الودادِ غيرِ مُداجِ^(٢)
 أشكِّي غُربَتِي إلَيْكَ وأنِّي بينَ أهلي في خِسةٍ وانْدِماجِ
 غيرَ أنِّي شَرَوِي غَريبٍ لفقدي أهلَ وُدِّي وعِشرَتِي وامْتِزاجِي
 منهمُ عُمْدَتِي الذي كان دهرأ

(١) الشَّجَّاجِ: الشديد الانصباب، وفي التنزيل العزيز: ﴿وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً﴾ [النبا: ١٤].

(٢) مداج: داجاه: ساتره بالعداوة ولم يُبدها.

العِمَادِيُّ ذَاكَ مَنْ قَدْ تَقَضَّى
 كَانَ وَاللَّهِ عِطْرَنَا التَّدْلَمًا
 كَانَ شَيْخِي وَكَانَ خَلِيًّا إِذَا مَا
 فَرَمْتَنِي فِيهِ اللَّيَالِي عِنَادًا
 فَتَخَلَّفْتُ فِي دِمَشْقَ وَحِيدًا
 أَيُّهَا السَّيِّدُ الْجَلِيلُ الْمُفَدَّى
 فابنُ شاهين ذو جناح مَهِيضِ
 كُنْ لِرَاجٍ مِنْ فَضْلِ جَاهِكْ عَوْنًا
 جَارَ دَهْرِي عَلَيَّ فَاظْطَرُّ لِأَمْرِي
 رَقَّ حَالِي فَاجْبُزْهُ قَبْلَ انْصِدَاعِ
 كَسَدَتْ مُدَّةً بِضَاعَةٌ فَضْلِي
 بَيْنَنَا حَقٌّ نِسْبَةٌ لِكَرِيمِ
 لَابْنِ عَبْدِ الْغَنِيِّ ذَاكَ الْمُصَفَّى
 قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ وَحَيَاةَ
 وَابَقَ وَاسْلَمَ فِي مَعَالِيكَ عَنْهُ
 كُلُّ وَجْهِ تَأْتِيهِ تَلْقَاةً طَلْقًا

ومحمد بن عبد الغني المذكور كان قاضي العساكر بالرُّوم، وله «حواشٍ على تفسير البيضاوي» وسنذكره إن شاء الله تعالى، آخر هذه «الريحانة».

٣٦- الأمير منجك ابن الأمير محمد بن منجك

الجزكسي أضلاً ومختدأ، الشامي منشأ ومولدا.

أديب أريب، ونجيب ابن نجيب.

أورق عوده بالشام وأثمر، فإذا عذت الشجايا عرّضاً فسجاياه جوهر.

(١) محمد بن عبد الغني بن مير بادشاه المعروف بغني زاده، قاضي العسكر المشهور في الافاق من موالى الروم وعلمائهم له حاشية على تفسير البيضاوي لم تتم، توفي ١٠٣٦، خلاصة الأثر ٩/٤ .
 ٣٦- الأمير منجك بن محمد بن منجك اليوسفي الدمشقي الجزكسي، نشأ في ظلال النعمة وصرف عمره في تحصيل الأدب، له من الفضل ما لا يحتاج إلى إقامته دليل، ولما مات والده انقلبت أحواله وأنفق ما ورثه وكان مبالغاً في البذل والسرف، هاجر إلى البلاد الرومية وأقام بها ثم عاد ولم يخرج من عزلته إلا قبل وفاته بعام، جمع أشعاره فضل الله المحيي والد صاحب خلاصة الأثر بامر من شيخ الإسلام عبد الرحمن بن حسام الدين زاده، ولد سنة: ١٠٠٧، وتوفي سنة ١٠٨٠ .
 انظر خلاصة الأثر: ٤٠٩/٤-٤٢٣، وهديّة العارفين: ٤٧٢/٢ .

نشأ بها والدهرُ أبيضُ أقمر، ونادم العيشَ والعيشُ أخضر.
وللبقاع تأثيرٌ في الطباع، والعزق كما قيل لمغرسه نزع، ومن كان جازَ الرياض لبس
طبعه بُردَ نسيمها الفضااض، كما لبس النهرُ الجاري، دِرْعَ النَّسِيمِ السَّارِي. [الطويل]
وقد نسجت كَفَّ النَّسِيمِ مُفَاضَةً عليه وما غيرُ الحُبَابِ لها حَلَقُ
وقد صَحِبَنِي بِجِلْقٍ، ونسيمه سَجَسَجٌ، وخيوط شبيبته بيد الكهولة لم تُنْسَجِ،
ولازمني إذ رأى انعطافي عليه، وشبهه الشيءُ مُنْجِدْبُ إليه.
ومدحني بمدائحٍ أطالَ فيها وأطاب، وغنم الصُّحْبَةَ ولم يَرْضَ من الغنيمة بالإياب.
ومما كتبه إليَّ من شعره، وقد طلبتُ منه ما أودعه في الرحلة.

صورة ما مدحتُ به مطلعَ نجوم المعالي، وفلك شُموس الموالِي، المولى عبد
الرحمن حين قلَّد صارمَ الأحكام بِدِمَشْقِ الشَّامِ، صِنْتَ عن حوادثِ الأيام: [البيط]

ألى الزَّمانُ عليه أن يُوالِيكَ إذا سَطَا فبأحكام تُنفذُها
يُهِنُ ذَا العِيدِ حَظُّ مِثْكَ حينَ غَدَتْ هِلَالُهُ نالَ فوقَ البَدْرِ مَنْزِلَةً
مُجَمَّلًا بِأَيَادِ مِثْكَ فائِقَةً وافى يُهَيِّي بِكَ الدُّنْيَا ونَحْنُ بِهِ
مَنْ ذَا يُضَاهِيكَ فيما حُزَّتْ من شَرَفٍ فالشَّمْسُ مَهْمَا تَرَقَّتْ فَهِيَ قاصِرَةٌ
والبَدْرُ لَمَحَةٌ نُورِ مِثْكَ تُبَصِّرُهَا وكلُّ طَوْدٍ تَسَامَى فَهُوَ مُحْتَقِرٌ
وكلُّ مُجَدِّ فَمِنْ عَلِيَّاكَ مُكْتَسَبٌ وما حَكَى السَّلْفُ المَاضِي وَحَدَّثَنَا
تَعْنُو لِعِفَّتِكَ الزُّهَادُ مُذِعِنَةٌ يا ابنَ الحُسامِ الَّذِي لِلدِّينِ نُضْرَتُهُ
أعيادنا كلها يوم نراك به

ومما مدحتُ به أيضاً المولى المذكور، دام في رَعْدِ عَيْشٍ وسرور: [الكامل]

الناسُ كُلُّهُمْ شِرَاءُ عَطَائِهِ يَخْتَالُ ذَا بِالْحَلِيِّ مِنْ عَلِيَّائِهِ
والعِيدُ وَالسُّورُوزُ مِنَ آلِيهِ شَرَفًا وَذَا بِالْوَشِيِّ مِنْ نَعْمَائِهِ

(١) خلاصة الأثر: ٢/٣٥٤-٣٥٥، ديوانه: ٤٦.

(٢) البيت ساقط من خلاصة الأثر.

قَرَّتْ بِهِ عَيْنُ الْغَزَالَةِ وَاعْتَدَتْ
مَا أَنْبَتَ الْأَذْوَاخَ بَعْدَ ذُبُولِهَا
سَلْسَالُهَا وَنَسِيمُهَا مِنْ لُطْفِهِ
مَوْلَى أَقْلٍ هِبَاتِهِ الدُّنْيَا فُكِّلَ
عَدْلٌ لَهُ مَازَالَ يُورِقُ عُدُوهُ
غَيْثٌ أَغَاثٌ بِهِ الْمُهَيِّمُنُ خَلَقَهُ
نَجْلُ الَّذِي الْإِفْضَالُ مِنَ الْقَابِهِ
السَّعْدُ مِنْ خُدَامِهِ وَالْعِزُّ مِنْ
تَسْعَى الْمَوَاسِمِ كُلُّهَا لِرِحَابِهِ

ومما مدحت به إمام الأئمة، موضح المشكلات المدلهمة، يوسف ابن أبي الفتح^(٢)
إمام حضرة السلطان، دام منصوراً مظفراً في كل آن ومكان: [الكامل]

قَمْرٌ إِذَا فَكَّرْتُ فِيهِ تَعَثَّبَا
صَادَفْتُهُ فَتَنَاوَلْتُ لِحِظَاتِهِ
مُتَوَرِّدِ الْوَجَنَاتِ خَشِيَّةَ نَاطِرِ
سَاوَمْتُهُ وَضَلًّا فَأَعْجَمَ لَفْظُهُ
أَنَا مِنْهُ رَاضٍ بِالصُّدُودِ لِأَتْنِي
شَيْثَانٍ حَدَّثَ بِاللُّطَافَةِ عَنْهُمَا
وِثْلَاثَةٌ حَدَّثَ بِطَيْبِ ثَنَائِهَا
عَلَامَةٌ الْآفَاقِ مِنْ أَشْعَارِهِ
مَنْ لَوْ رَأَى الْبَحْرَ يَوْمًا مُغْضِبًا
مَنْ لَوْ أَصَابَ الْبِرَّ أَيْسَرُ قَطْرَةٍ
مَنْ لَوْ نَظَّمْتُ الشُّهْبَ فِيهِ مَدَائِحًا
مَا نَسَمَةٌ سَحَرِيَّةٌ شِخْرِيَّةٌ
نَشْوَانَةٌ وَافَتْ تَجْرُزُ فِي الرَّبِّي
يَوْمًا بِأَخْسَنَ مِنْ صِفَاتِ جَنَابِهِ
مَنْ ذَا يُقَاسُ بِمَا جِدَّ جُعِلَتْ لَهُ

وَإِذَا رَأَيْتَنِي فِي الْمَنَامِ تَحَجَّبَا^(٣)
عَقْلِي وَأَعْرَضَ نَافِرًا مُتَحَجَّبَا
أَضْحَى بِرِيحَانِ الْعِدَارِ مُنْقَبَا
وَأَظُنُّهُ عَنِ ضِدِّ ذَلِكَ أَعْرَبَا
أَجِدُ الْهَوَانَ لَدَى الْهَوَى مُسْتَعْدْبَا
عَثَبُ الْحَبِيبِ وَعَهْدُ أَيَّامِ الضَّبِ
زَهْرُ الرِّيَاضِ وَخَلْقُ يُوسُفَ وَالضَّبَا
لِعِلْمِهِ أَضْحَتْ طِرَازًا مُذْهَبَا
لِرَأْيِهِ مِنْ خَشِيَّةٍ مُتَلَهَبَا
مَنْ رَاحَتِيهِ لِعَادِ رَوْضًا مُخْصَبَا
لَظَنَنْتُ فِكْرِي قَدْ أَسَاءَ وَأَذْنَبَا
بَاتَتْ تُعَلُّ مِنْ الْغَمَامِ الْأَعْدْبَا
ذِيلاً بِمَسْكِي الرِّيَاضِ مُطْيَبَا
أَتَى تَدَاوَلَهَا اللِّسَانَ وَأَطْيَبَا
أَرْضًا رِقَابِ الْحَاسِدِينَ وَقَدْ أَبَى

(١) الأبيات في خلاصة الأثر: ٣٥٥/٢، وديوانه: ٤٢ .
(٢) يوسف بن أبي الفتح بن منصور السقيفي الدمشقي الحنفي، ولد بدمشق ونشأ بها، أخذ عن علماء عصره كالحسن البوريني، كان ذكياً حسن الطبع، لطيف الشعر، كان إمام السلطان، وكان منافراً جيداً، توفي سنة: ١٠٥٦ . انظر خلاصة الأثر: ٤٩٣/٤ .
(٣) ديوانه: ٧١ .

ومما مدحتُ به المُبرِّز في العلوم، المالك أزمّة المنطوق والمفهوم، والبارع في
المثور والمنظوم، المرحوم عبد الرحمن العِمَادِيّ، مفتي دِمَشق الشّام: [الكامل]

بَانَ الْخَلِيْطُ ضُحَى عَنْ الْجَزْعَاءِ
اللّهُ يَعْلَمُ أَنْ صُبْحِي فِي الْهَوَى
تُطْوَى عَلَيَّ النَّائِبَاتُ كَأَنِّي
وَأَشَدُّ مَا يَشْكُو الْفَوَاذُ مُمْنَعٌ
رِيْحَانَةُ الْحَسَنِ الَّتِي لَعِبَتْ بِهَا
تَجْرِي مِيَاهُ الْحُسْنِ فِي أُعْطَافِهِ
قَمْرٌ إِذَا حَسَرَ الْقِنَاعَ مُخَاطِبًا
مَلَكَتْ وِلَايَةَ كُلِّ قَلْبٍ مُوَلِّعٌ
إِنْ يُخْفِيهِ لَيْلُ النَّوَى فَجَبِيئُهُ
كَمْ بَتُّ مَطْوِيٍّ الضُّلُوعِ عَلَى جَوَى
فَالِي مَ فِيهِ تَهْتِكِي وَتَنْسُكِي
عَلَّ الزُّمَانَ يُفِيدُنِي حَمْلَ الْمُئِي
نَجَلُ الْعِمَادِ وَمَنْ بَنَتْ عَزَمَاتُهُ
مَجْدٌ سَمَا بِجَنَابِهِ حَتَّى لَقَدْ
تَنْدَى أُنَامِلُهُ وَيُشْرِقُ وَجْهُهُ
يَقِظُ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَنَّمَا
سُبْحَانَ مَنْ جَمَعَ الْفِرَاسَةَ وَالْهُدَى
وَمَهَابَةَ سَادِ الْوَلَاةِ وَلَاؤُهَا
وَشَمَائِلَ رَقَّتْ كَمَا خَطَرَتْ عَلَى
مَوْلَايَ بِلِ مَوْلَى الْبَرِيَّةِ فِي صَفَا
أَنْتَ الَّذِي مَازَلْتِ تَرْبُ وِلَايَةَ
تَتَلُو عَلَى سَمْعِ الْمُحَامِدِ وَالثَّنَا
لِلَّهِ أُمَّ مَا عُذِيَتْ بِشَذِيهَا
أَطْلَعَتْ شَمْسَ الْفَخْرِ فِي فَلَكَ الْعَلَا
الْمَالِثُونَ قُلُوبَ أَهْلِ زَمَانِهِمْ
وَالضَّارِبُونَ خِيَامَ سُؤْدِدِهِمْ عَلَى

فَمَنْ الْمُقِيمُ لِشِدَّةٍ وَعَنَاءٍ^(١)
سَيَّانَ بَعْدَ رَجِيلِهِمْ وَمَسَائِي
سِرُّ الْهَوَى وَكَأَنَّهَا أَحْشَائِي
فِي لِحْظِهِ دَائِي وَمِنْهُ دَوَائِي
رِيْحُ الصَّبَا لَا رَاحَةَ الصَّهْبَاءِ
جَزِي الصَّبَابَةِ مِنْهُ فِي أَعْضَائِي
شَخَصْتُ إِلَيْهِ أَعْيُنُ الْأَهْوَاءِ
لَحَظَاتُهُ مِنْ عَالَمِ الْإِنْشَاءِ
صُبْحُ يَنْبِمْ عَلَيْهِ بِالْأَضْوَاءِ
أَغْضِي الْجُفُونََ بِهِ عَلَى الْأَقْدَاءِ
وَعَلَى مَ فِيهِ تَبْسُمِي وَبُكَائِي
حَيْثُ التَّجَاثُ لِأَوْحِدِ الْعُلَمَاءِ
بِنْتًا دَعَائِمُهُ عَلَى الْعَلْيَاءِ
بَلِغِ السَّمَاءِ وَفَاتَهَا بِسَّمَاءِ
فِي جُودِ الْآلَاءِ وَالْأَلَاءِ
جُلِيَتْ عَلَيْهِ حَقَائِقُ الْأَشْيَاءِ
لِجَنَابِهِ السَّامِي عَلَى النَّظْرَاءِ
مَخْفُوفَةٌ بِجَلَالَةِ وَبِهَاءِ
زَهْرِ الرَّبِيعِ بِوَائِرِ الْأَنْدَاءِ
صِدْقِ الطَّوِيَّةِ مِنْ بَنِي حَوَاءِ
وَأَبُو الْوَرَى فِي طِينِهِ وَالْمَاءِ
آيَاتِ مَذْحِكِ أَلْسُنِ النَّعْمَاءِ
إِلَّا لِبَانَ الْعِزَّةِ الْقَعْسَاءِ^(٢)
وَحَفَفَتْهَا بِكَوَاكِبِ الْأَبْنَاءِ
حُبًّا وَأَكْسَافِ الرَّجَا بَغْنَاءِ
هَامِ السُّمَّاكِ وَمَفْرِقِ الْجَوْزَاءِ

(١) ديوانه: ٧٣-٧٤ .

(٢) العزة القعساء: العزة الثابتة الراسخة.

يا مَورِداً حَامِثَ عَلَيْهِ غُلَّتِي
وَأَفْتِكَ مِنْ صَوْغِ الْقَرِيضِ فَرَائِدُ
لَا بَلَّ سَقَيْتَ رِياضَ فِكْرِ مَاجِلِ
فَهَضَرْتُ غُضْنَ مَعَارِفِ وَمَآثِرِ
هِنِهَاتِ مَا شِغَرُ الْأَنَامِ مُقَارِنَاً

ومما مدحت به أيضاً المرحوم عبد الرحمن العِمَادِيّ المذكور: [م. الكامل]

يا ابنَ الأماجدِ أنتَ مِن
كذَبِ الَّذِي حَسِبَ الزَّما
أَيْقاسَ ما غرسَ العُلا
والألَّ بالغَيبِ المُغَيِّبِ
العِلمِ سِرُّ اللّهِ لِي
والمجدُ سارَ إلى جِنا
وبك المَناصِبُ فخرُها
فإلَيْكَ مِنِّي رَوْضَةٌ
لِمَ لا يَطِيرُ بِي الرَّجا
وبذرتَ لي حَبَّ المُنى
وملكتَ رِقَّ مَدائِجِي

أَيُّ الأفاضلِ وابنُ مَنْ
نَ أتى بِمِثْلِكُمْ وَظَنَّ
يوماً بِخَضراءِ الدَّمَنِ^(١)
بِ إِذا تَوالى أو هَتَّنَ^(٢)
سَ عَلَيْهِ غَيْرُكَ يُؤْتَمَنُ
بِكَ مِنْ أبيكَ على سَنَنِ
دون السورَى من قَبْلِ أنْ
بالشُّكرِ يابِعةُ الفَنَنِ
إلى جِماكَ مَدَى الزَّمَنِ
ونصَّبْتَ لي شَرَكَ المِئَنَنِ
بالخَلقِ والخَلقِ الحَسَنِ^(٣)

ومما مدحت به شيخ الإسلام علم العلماء الأعلام العلامة قدوة المحققين، وعمدة الفقهاء والمحدثين المرحوم الشيخ أحمد المقرئ المغربي^(٤)، سقى الله ثراه سبحانه الغفران: [البيسط]

فخرأ دِمَشقُ على كُلِّ البلادِ بَمَنْ
المَقْرئُ الَّذِي في بَعْضِ أيسرِ ما
شَمسُ من الغَرْبِ قد كانتَ مشارِقُها
أغرُّ ما أَخدَقَتْ أَيْدِي الفِطامِ به

أولى البريةَ معروفاً وعرفانا
حوى من الفضلِ كُلَّ راحِ حيرانِ
بل دونها الشمسُ يومَ الفخرِ بُرْهانِ
إلا وأضحى بماءِ المجدِ ريانا

(١) دمن: الدمنة: هي البقعة التي سورها أهلها وبالت فيها وبعرت مواشيهم. وخضراء الدمن: المرأة الحسنة في منبت السوء.

(٢) هَتَّنَت السماء: هطلت وتنابع مطرها.

(٣) ديوانه: ٧٢.

(٤) أحمد بن محمد بن أحمد المقرئ التلمساني المالكي، نزل دمشق، واستقر أخيراً في مصر، كان حافظاً للحديث، أبة في الأدب، له مؤلفات كثيرة، أشدها نفع الطيب، توفي سنة: ١٠٤١، انظر خلاصة الأثر: ٣٠٢/١-٣١١، وهدية العارفين: ١٥٧/١.

من سورة العزّة القغساء عنواناً
ثواقب الزهر إرشاداً وإذعاناً
إلى وقارٍ يضاهاى هذى سلماًنا
مراقب ربّه سراً وإعلاناً
ويقطع الليل تسبيحاً وقرآناً
وقد غدا بحرّه الطاميّ مزرجاناً
نلنا الثرياً وكان الخير عُقباناً
لما أفاد مع «الإيضاح» إثقاناً
هل السراب يضاهاى الغيث هتاناً
وإن رأيت رجال الحى ركبانا
هو الإمام المفدى حيثما كانا
بعد الإساءة من لقياك إحساناً
إذ أنت من أهله حمداً وشكرانا
بأخمصيك من الأعداء تيجاناً
من الملائك أنصاراً وأعواناً
قول من الشعر إلا قول حساناً
حظاً لكانت لعين الدهر إنساناً^(١)

تكاد تقرأ في لآء غره
له من الفكر ما تخنو لأيسره
وسيرة عن أبي حفص تلقنها
مصاحب حسن فعل الخير يعشقه
يقضي النهار بأراءٍ مُسددةٍ
لأبي وزد نولي اليوم وجهتنا
لئن منحنا بلحظ من مواهبه
شفى بدرس «الشفاء» مرضى درائتنا
هيهات هيهات من في القوم يشبهه
إذا مشى فعلى الأعناق مشيته
يا سيّد العلماء العاملين ومن
أبرأت ذمة دهر جاء بمنحني
دهر يقتل أمالي وأوسععه
قطاً كما شئت لا تنفك منتصراً
واهنأ فأنت الذي أولاه خالقه
واسمع لها من قوافٍ لا يماثلها
واستجلبها نزهاً لو أنها رزقت

قال: ومما أجبت به عن لغز في يراع، أرسله إليّ الفاضل الذي طابت بذكر مآثره
الأسماع محمد الكرّيمي^(٢)، وفي ضمّنه لغز في مهند: [الطويل]

ومن منجدٍ بالمستهام ومثهم^(٣)
ومن ظالم إلا على غير مجرم
جرت قبل خلقي في عروقي وأعظمي
فإن كنت من يرضى بذلك فاسلم
تذوب وطرف هامع الجفن بالدم
حظوظي التي لم تجن غير تندم
رميت فلم تخطيء فؤادي أسهمي

فدى لك زوجي من رشا متبرم
ومن عاتب إلا على غير مذنب
سفتني العيون النجل منك سلافة
وأسلمني فيك الغرام إلى الردى
بعدت ولي في كل عضو حشاشة
ولست ملوماً أن من أيقظ النوى
جلبت إلى نفسي المنية عندما

(١) ديوانه: ٧٩ .

(٢) محمد بن يوسف بن يوسف الكرّيمي الدمشقي، ولد سنة: ١٠٠٨، قرأ على علماء عصره، وأتقن
الفارسية والتركية، كان ينظم الشعر باللغات الثلاث، اشتغل بالتدريس والقضاء، رحل إلى بلاد
الروم، توفي سنة: ١٠٦٨ . انظر خلاصة الأثر: ٢٧٣/٤، وهديّة العارفين: ٢٨٧/٢ .

(٣) ديوانه: ٩٠ - ٩١ .

أبى الله أن أبكي لغير صباية
سجية نفس لا تزال مليحة
أجمع شرذ المعالي وإنني
وأنذب أوقاتاً ألد من المني
تطارحني فيهن ذات تبسم
موشحة الأغطاف حالية الطلاء
أبت أن ترى إلا لظرف تفكر
أبيت سليم القلب منها كأنني
وما أنا من يسلو هواها وينثني
محمد السامي الجناب ومن غدا
همام لقد أضحت مائر فضله
ومولى إذا ضن السحاب بويله
له سؤدد حل السماكين رفعة
وكف تحلت بالسماح بنائها
فما روضة غناء باكية الحيا
تمد بها ريح الصبا خطواتها
بأنهج وجهاً منه عند هباته
فيا ماجداً كل المفاخر أصبحت
أنت تتهادى منك في مرط دلها
وما اضطحبت إلا البلاغة مخرمات
لها صوت داود وصورة يوسف
تسائلنا عما براه إلينا
جری قبل خلق الخلق في اللوح بالذي
يراع يراع الخطب منه وإنه
أراني طريق الفضل حتى سلكته
فما اسم زباعي إذا بان صدره
وما هي إلا بلدة في زبوعها

وأرتاع إلا من حبيب بمؤلم
من الضئيم مزميًا بها كل مجرم
أبيت بفكر في الهوى متقسم
تقضين لي بين الحطيم وزمزم^(١)
حديث هوى أخلى من الشهد في الفم
تقلد عقداً من دموعي ومن دمي
ويلثمها إلا شفاه توهم
أراقب صفو العيش من فم أرقم^(٢)
إلى أحد غير الكريم المعظم
له كرم الأخلاق دون التكرم
على جنبه الدنيا كغرة أدهم
علينا سقانا مسجماً بعد منجم
وذلك إزث فيه من عهد آدم
بغير نضار الفضل لم تتختم
تبسم عن تغزي أقاح وعندم^(٣)
وتزفل في ثوب من الثور معلم
إذا يمتت يمتناه آمال مغده
إلى مجده الوضاح تغزي وتنتمي
خريده أفكار وطبع مسلم^(٤)
وهل غيرها للبكر ينفي بمخرم
وحكمة لقمان وعفة مزيم
لتسطير آجال ورزق مقسم
يكون وما قد كان من قبل فاعلم
ليثمر من جدوى يديك بأنعم
وأوضح لي من لغزه كل منهم
غدوت به ذا لوعة وترثم
يطيب مقام المشتهم المتيم

(١) الحطيم: بناء قبالة الميزاب من خارج الكعبة المشرفة.

(٢) الأرقم: ذكر العجات، أو أخبتها.

(٣) العندم: نبات لونه لون الدم، يقال: فتح أفواه عروقه عن دم كأن لونه لون عندم.

(٤) المرط: كساء من خز أو صوف أو كتان يوتر به وتلتفع به المرأة والجمع: مرط.

وإن مَحَت الأفكارُ من ذاك ثالِثاً
ويُذِكرُني أخلاقك العُرَّ شِطْرُهُ
ويُبدي لنا من قلبه الشمسَ في الضحَى
وثانيه مَحمودٌ لدى كلِّ عاشِقِ
ويُسَلِّمُني يومَ التَّرحُلِ قلبه
ويُوصِلُ ما بين الملوكِ وقضدِها
حَليفُ نُحولٍ لم يذُقْ قَطُّ جَفْنُهُ
فَعولٌ ولكن ليس يُدعى بفاعلٍ
على أنه قد بان بَعْدَ خَفائِه
فأنزِلُهُ من نادِيكَ أشرفَ منزلٍ
ولولا معانِيكَ العذابُ وصوْغُها
وقابلُ جوابي بالقَبولِ تفضلاً
قال: وقلتُ متغزلاً: [الطويل]

بَكَيْتَ الصُّبا فيه وَعَهْدَ التَّنعمِ
وتخريفُه ضِدُّ لكم لم يُكْرَمِ
ويطلُعُ فيها أنجماً بعد أنجَمِ
ومَن ذا يَراه مِن وُشاةٍ ولُومِ
ولكنه مِن غيرِ كَفِّ ومِغصَمِ
وإن هَمَّ في أمرٍ على الفورِ يفصِمِ
مَناماً ولم يطمعَ بطيفِ مُسَلِّمِ
قَوولٌ ولكن ليس بالمتكَلِّمِ
وأصبحَ مشهوراً لدى كلِّ ضيغَمِ
والبِسْهُ حَلِيماً من قريضِ مُنظَمِ
لكانَ عسيراً بالمديحِ تكلُّمِ
وسامِخُ فإن الفضلَ للمُتقدِّمِ

خَلعُ العِذارِ ولا ازْتِشافُ عُقارِ^(١)
إلا بِرِيقَةِ شادِنِ مِغطارِ
فكأنما اغتصرتُ من الأنوارِ
في الأيِّكُ مُنعكِفاً على التَّهْدارِ
أوتارُه مِن فِضَّةِ الأمطارِ^(٢)
ذَكَرَ الهوى مِن سالفِ الأَغصارِ
يَزِمِي المَشيبُ الصَّفوَ بالأُكدارِ
وَزَدَ الخُدودِ لِقِلَّةِ الدِّينارِ
لوقوعِ ظِلِّ أو خيالِ ساريِ
أهوى جَنانِ الخُلدِ غيرِ النَّارِ
خمرِ القديمِ ونِغْمَةُ الأوتارِ
وتراسلُ الأَطيارِ في الأشجارِ^(٣)
بالصُّبابَةِ في سنا الأَقمارِ
فيما يَشأ مُستغْبِدِ الأَخرارِ

وافى الربيعُ فما عليك بِعَارِ
صَهْبَاءِ ليس يجوزُ عندي مَزْجُها
تدعُ الدُّجى صُبْحاً إذا هي أبرزتُ
قُمَ هاتِها حيثُ الهَزَارُ قد اغتدى
طيرٌ أعاد الغصنَ جُنكاً رُكبتُ
وتبُّهُ رِيحُ الصُّبا وَيَبُثُّها
فأنهَضُ لتغتنِمِ الشَّبيبةَ قبل أن
واشربُ على وزدِ الرُّبى إن لم تجدُ
وانصبِ بفكرِكَ في الهوى شَرِكَ المُنَى
هذا ولستُ أرى إذا فُقدَ الذي
هيهاتَ ما النَّايِ الرَّخيمِ ونشوةُ الـ
وحنينُ هينمةِ الرياضِ عشيَّةُ
عندي بأحسنَ من مُساجلةِ الأَجِبِّ
من كلِّ معبودِ الجمالِ مُحَكِّمِ

(١) ديوانه: ١٦٠ .

(٢) الجنك: الطنبور: وهو من آلات الطرب.

(٣) الهينمة: الدندنة، أو الكلام غير المفهوم.

قال: وقلتُ متذكراً لمغاني الأُنس التي انمَحَتْ آثارُها، ولم يَبْقَ للأماني ما تشبَّثُ به إلا أخبارُها^(١): [البسيط]

رُبَاكَ عَنِّي مِنَ الوَسْمِي مِذْرَارُ^(٢)
أَصَائِلُ وَلِيَالِيَهِنَّ أَسْحَارُ
وَلِلصَّبَابَةِ أَخْلَافُ وَأَنْصَارُ
بِالدَّفِّ وَالجُنُكِ وَالسَّنْطُورُ لِي جَارُ^(٣)
زَهْرٌ مِنَ الزُّهْرِ وَالتُّذْمَانُ أَقْمَارُ
يُدِيرُهَا فَاتِرُ الأَجْفَانِ سَحَارُ
فَتِيْقٌ مِسْكَ لِه الأَزْوَاحِ سَفَارُ^(٤)
فَلَاخَ لِلشَّرْبِ مِنْهَا التُّورُ وَالتَّارُ
لِه مِنَ الحَسَنِ مَا يَرْضَى وَيُخْتَارُ
مِن الوُشَاةِ لِأَنَّ اللَّيْلَ سَتَارُ
مِثْلَ الهَلَالِ لِه الجُوزَاءِ زُنَارُ
إِلَى الصَّبَاحِ فَمِرْبَاحٌ وَمِخْسَارُ
زُرَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الأَشْوَاقِ أَرْزَارُ
وَلَيْسَ عِنْدِي مِنَ العُدَالِ أَشْعَارُ
عَنِّي حَوَادِثُهُ وَالدَّهْرُ عَدْرُ

قَصَرَ الأمير بوادي الثَّيْرَبَيْنِ سَقَى
كَمْ مَرَّ لِي فِيكَ أَيَّامٌ هَوَا جَرُّهَا
حَيْثُ الشَّبِيْبَةُ بِكَرٍّ فِي غَضَارَتِهَا
حَيْثُ الرِّيَاضُ تُغْنِيْنِي حَمَائِمُهَا
حَيْثُ الخَمَائِلُ أَفْلَاكٌ بِهَا طَلَعَتْ
حَيْثُ المُدَامَةُ رَقَّتْ فِي زُجَاجَتِهَا
عِطْرِيَّةٌ نَفَضَتْ فِيهَا عَوَارِضُهُ
يَاقُوتَةٌ أَفْرَعَتْ فِي قِشْرِ لُؤْلُؤَةٍ
شَمْسٌ تَعَاطَيْتُهَا مِنْ رَاحَتِي قَمَرٌ
يَسْعَى إِلَيَّ بِهَا تَحْتَ الدُّجَى حَذِرًا
مُتَوَجُّ الرِّيحِ بِالإِبْرِيْقِ ذَا قُرْطِ
يَسْقِي وَأَسْقِيهِ مِنْ ثَغْرِ وَمِنْ قَدَحِ
يَضْمُنَا بِأَعَالِي القَضْرِ ثَوْبٌ هَوَى
أَمْتَعُ الطَّرْفِ مَنِي فِي مَحَاسِنِهِ
حَتَّى تَبْقُظَ دَهْرِي بَعْدَ مَا غَفَلْتُ
قال: وقلتُ: [الطويل]

حَدِيثٌ كَمُرْفُضِ الجُمانِ المُنْضِدِ^(٥)
كَأَيْمِ مَرْوَعٍ أَوْ حُسامِ مُجْرَدِ^(٦)
لِوَاحِظِ مَخْمُورٍ كَجِلْتَنِ بِإِثْمِدِ
مُبَدَّدِ عِقْدِ فِي فِرَاشِ زُمْرَدِ
مِبَادِي عِدَارِ فَوْقَ خَدِّ مُورَدِ
فَرُخْتُ بِهِ لَا أَفْرُقُ اليَوْمَ مِنْ غَدِ
نَجُومِ عَقِيْقِ فِي سَمَاءِ زَبْرُجَدِ

سَقَى اللهُ يَوْمَ القَضْرِ إِذْ كَانَ بَيْنَنَا
بِرَوْضِ يَجُولُ المَاءُ تَحْتَ ظِلَالِهِ
يَلُوحُ بِهِ قَانِي الشَّقِيْقِ وَقَدْ حَكَى
وَيَهْمِي بِهِ قَطْرُ التُّدَى فَتَخَالَه
وَرِيْحَانُهُ الغَضُّ الشَّهِيْ كَأَنه
سَقَانِي بِهِ رَاحَ الرُّضَابِ مُهْفَهْفُ
وَبِتُّ أَظُنُّ الجُلْنَارَ بِدَوَجِهِ

(١) الأبيات في خلاصة الأثر: ٤١٦/٤، وديوانه: ١٥٩.

(٢) النيربان: تشية نيرب، قرية مشهورة بدمشق في وسط البساتين.

(٣) السنطور: آلة طرب كالقانون، أوتارها من نحاس.

(٤) في خلاصة الأثر: «فتيت مسك» والسفار: جمع مسافر.

(٥) ارفض: يقال: ارفض الدمع أو العرق: زال، والمقصود هنا: تناثر، والأبيات في ديوانه: ١٧٤.

(٦) الأيم: الحية.

إلى أن بدت شمسُ النهارِ كأنها
قال: وقلتُ متغزلاً^(١): [الكامل]

قم للمُدامةِ يا نديمُ فإنها
حمراءُ صافيةُ المزاجِ كأنها
شمسٌ إذا بزغتُ لعينِكَ في الدجى
مِسْكِيَّةٌ أنى فَضُضْتَ ختامها
تفتَرُ عن حَبِّ ثغورِ كُووسِها
يسقيكها رَشاً إذا غنى بها
قال: وقلتُ أيضاً متغزلاً: [الخفيف]

أَلَدِيهِ نَهَبُ النُّفوسِ مُباحٌ
أيُّ أَسَدٍ تَجُولُ حولَ جِماه
ابنُ عَشْرٍ وأربعٍ لو تبدى
ما ربيعُ العيونِ غيرَ مُحيا
لي من وَجنتَيْهِ وَرَدَّ جَنِيٌّ
تَتَدانِي له القلوبُ وإن شَطَّ
إنَّ كُتبي إليه صُخفُ الأمانِي
قال: وقلتُ في الشَّيبِ: [الخفيف]

لا تَلْمَنِي على اجْتِنابِي لِلْكَأ
ما ترى الشَّيبَ فِضَّةً في عِداري
قال: وقلتُ في غرضٍ اقْتَضَى ذلك: [الوافر]

أَساءَ كِبارُنَا في الدَهرِ حتَّى
لقد شربَ الأوائِلُ كأسَ خَمِرٍ
قال: وقلتُ متغزلاً: [م. الكامل]

أَلْقَسَى فُؤادِي في أُواري
يَمْضِي الدُجى ونواظِرِي
وأودُّ لو عَلِقَتْ بِذِي
يَجْنِي فأبدي العذرَ عند

مِجَنُّ كَمِي قد تحلَّى بعَسَجِدِ

شَرَكُ المُنَى وُحْبالةُ الأفرحِ
وَرَدُّ الخدودِ أذِيبَ في الأقداحِ
أَغْنَتَكَ عن صُبْحٍ وعن مِصباحِ
عَبِقِ النَّدِيِّ بِنَشْرِها الفَضاحِ
كسِقِيطِ طَلٍّ في ثغورِ أَقاحِ
رَقِصَتْ لذاك معاطِفُ الأزواجِ

رَشاً سافِكُ الدِّمَما سَفَاحُ
وَكِناسٍ له الظُّبَا والرِّمَاحُ
في دُجى الليلِ قلتُ لآخِ الصُّباحِ
هُ إِلِيهِ أرواحُنَا تَرْتاحُ
ومِدامٍ من ثَغَرِهِ وأقاحُ
مَزارِهِ وأبَعِدَتْ أَشباحُ
وبِها الرُّسُلُ بَيْنَنا الأزواجِ^(٢)

سِ رُوَيْدًا فما عَلِيٍّ مَلامُ
سَبَكَّتُهُ بِنارِها الأيَّامُ^(٣)

جَرى هذا العَقابُ على الصُّغارِ
غَدَتْ مِنْهُ الأواخِرُ في خُمارِ^(٤)

قَمَرٌ سَراهِ مِنْ اسكِدَارِ
في حُبِّهِ تَرعى الدَّراري
لِ الوَعْدِ مِنْهُ يَدُ انتِظارِ
هَ وِليس يَرْضى باغْتِدارِ

(١) الأبيات في خلاصة الأثر: ٤/٤١٥، وديوانه: ١٦٢ .

(٢) ديوانه: ١٧٧ .

(٣) ديوانه: ٢٢٦ .

(٤) ديوانه: ٢٤٢ .

قاسنئته أم غير دار
ء الحسن في خدييه جار
أذري يميني من يساري
إلا التخلق بالتفار
دون الورى وقع اختياري^(١)

هواه طرّف الخطر^(٢)
يهزؤ بضوء القمر
إذا تبسدى نظري
على فراش الشهر
لضولجان الفكر

ما لقلب من مقلتيه أمان^(٤)
ك ووجه كأنه الإيمان
ه بروض تظلنا الأفنان
ه لعيني وثغره الأحنوان
لو يرفض بيننا والجمان
فيه أفق نجومه التذمان
وكأنا إذا شدا أغصان
و غصون ثمراها الكتمان
ف عليهم بها المنى والأمان
ه ملث من الرضا هتان
غصنه يانع الجدى فيندان
وشبابي يزينه العنقوان
هي عيد وبعضها مهرجان

أترأه يذري بالذي
أشكو الظمأ بدأ وما
أغدو به حينران لا
ريم أبث أخلاقه
ف عشقته وعليه من
قال: وقلت متغزلاً: [م.الرجز]

وشادن أركبيني
مهف هف مبهج
يكاد أن يشربنه
أبيث فيه قلباً
كان عقلي كره
قال: وقلت متغزلاً^(٣): [الخفيف]

بي ريم كناسه الموران
ذو عذار كأنه ظلمة الشز
وكأنا من أنسه ومحيًا
خده الورد والبنفسج صدغا
وكان الحديد منه هو اللؤ
وكان التدي والكأس تجلى
وكان الأنفاس منه نسيم
وكان التذمان في دوحه الله
يتعاطون أكوس العشب إذ طا
يا سقى ذلك الزمان وحيًا
زمن كله ربيع وعيش
مر لي بالشام والعمز غض
ابن عشر وأربع وثمان
قال: وقلت متغزلاً: [م.الكامل]

(١) ديوانه: ١٧٠، وخلاصة الأثر: ٣٢٨/٤، واسكدار: بلدة بالروم.

(٢) ديوانه: ١٧٩.

(٣) الأبيات في خلاصة الأثر: ٤١٣/٤، وديوانه: ١٦٥.

(٤) كناسه المزان: الكناس: مولج في الشجر يأوي إليه القطي ليستتر، والمزان: الرياح الصاعدة اللينة.

(٥) الملت: الخفيف الذي يدوم، والهتان: المنابع الهطول.

نَبِّهْ جُفُونَكَ مِنْ نُعَاسِكَ وَاشْمَحْ بِرَيْقِكَ أَوْ بِكَاسِكَ^(١)
 طَابَ الصَّبُوحُ فَهَاتِهَا وَاشْرَبْ مَعِيَ بِحَيَاةِ رَاسِكَ
 مَا الْوَرْدُ إِلَّا مِنْ خُدُو دِكَ وَالْبَنْفُسُجُ مِنْ نُوَاسِكَ
 أَفْدِيكَ ظُبِيًّا أَرْتَجِيهِ كَ وَأَتَّقِي سَطَوَاتِ بَاسِكَ
 تَخْشَى الْأَسْوَدَ مَهَابَةً مِنْ أَنْ تَمُرَّ عَلَى كِنَاسِكَ

قال: وقلت متغزلاً، من قصيدة: [الخفيف]

أُتْرَى أَيْنَ حَلَّ أَمِ أَيْنَ أَمْسَى غُضُنُ بَانَ يُطِلُّ أَغْلَاهُ شَمْسَا
 لَيْتَ أَنِي وَقَدْ تَرَحَّلَ بِيَدُ كُنَّ أَمْسٍ لِأَشْطَرِ الْعَيْنِ طِرْسَا
 لَهْفَ شَاكِ يَرَى الْمَعَاهِدَ ضَمًّا بَعْدَ مَا شَطَّ وَالْمَعَالِمَ خُرْسَا
 صَدَّعَ الْبَيْنُ مِنْهُ ثُمَّ فُوَادًا كَانَ صَخْرًا فَعَادَ بِالْوَجْدِ خُنْسَا^(٢)
 ومنها:

شَادِنُ أَظْلَمُ الْخَلَائِقِ الْحَا ظَا وَأَمْضَى فِعْلًا وَأَكْبَرُ نَفْسَا
 عَلَّمْتَهُ الْأَيَّامُ طُرُقَ التَّجْنِي وَاللَّيَالِي أَقْرَأْتَهُ الصَّدَّ دَرْسَا
 أَطْلَعَ الْحَسَنُ فِي حَدِيقَةِ خَدِي هِ وَرُودًا تَرَكْنَ لَوْنِي وَرْسَا^(٣)
 ومنها:

طَالَمَا بَتُّ بِالْخَدَائِعِ أَشْقِي هِ ثَلَاثًا حِينًا وَأَشْرَبُ خَمْسَا
 نَمْرُجُ الْكَاسِ بِالْحَدِيثِ وَمَا أَلْ طَفَ ذَاكَ الْحَدِيثَ مَعْنَى وَجْسَا
 لَسْتُ أَذْرِي أَمِنْ عَصَاةِ خَدِّ يَهْ أَمِ الرَّاحِ صَفْوُ مَا نَتَحَسِّي
 لَا رَأْتُ مُقْلَتِي مُحْيَاةً إِنْ كَا نِ فُوَادِي يَسْلُوهُ أَوْ يَتَأَسِّي
 قال: وقلت: [الكامل]

لَا تَتَّهَمُ بِالسُّوءِ دَهْرَكَ إِنَّهُ جَبَلٌ يُجِيبُ صَدَاكَ مِنْهُ صَدَاءُ^(٤)
 مِرَاتِكَ الدُّنْيَا وَفَعَلْكَ صُورَةً فِيهَا فَمَا الشُّنْعَاءُ وَالْحَسَنَاءُ
 قال: وقلت متغزلاً: [م. الوافر]

- (١) ديوانه: ١٦٥ .
 (٢) يشير إلى صخر بن عمر السلمي، أخي الخنساء، جاهلي، رثته أخته بقصائد شهيرة وهي أي الخنساء: تماضر بنت عمر، ويشير إلى بكائها عليه، أسلمت الخنساء ودفعت أولادها الأربعة إلى الجهاد حتى استشهدوا جميعهم في معركة القادسية، توفيت سنة: ٢٤هـ. هدية العارفين: ١/٢٤٥، والقصيدة في ديوانه: ٨٨-٨٩ .
 (٣) الوزس: نبات في الفصيلة القرنية (الفراشية) ينبت في بلاد العرب والحبشة والهند، وثمرتها قرن مغطى عند نضجه بغدد حمراء يستعمل لتلوين الملابس الحريرية لاحتوائه على مادة حمراء.
 (٤) ديوانه: ٢٤٢ .

وقصّر دونّه العَدْلُ^(١)
 تكاد تُذِيبُهُ القُبَلُ
 يميلُ به ويفتدِلُ
 بصفحة خدّه الخجلُ
 حشاي الطرف يتصلُ
 تناهبُ حسنه المقلُ
 شبابٌ ناضِرٌ خضِلُ^(٢)
 وطرفٌ ملوؤهُ كحلُ
 قوام زائنه السميلُ
 حواها التناظر الغزلُ
 مضين الصيب الهطلُ
 أميلُ كأنني ثميلُ
 وأنسي فيه مُقتبلُ
 لدى تؤدّيعه الأجلُ
 ودهرٌ كلُّه أضلُ

تنأهى عنده الأملُ
 رشاً يفتّر عن برِدِ
 يخامر عطفه ثملُ
 يمثّل ما يُروّفه
 فليت به كما أتصلت
 إذا ما الخدر أبرزه
 لقد أغراه في تَلْفِي
 وقد حشوه هيفُ
 فما الخطي غير قنا
 ولا الهندي غير ظبا
 سقى خلساً بذى إضيم
 وعيشاً حين أذكره
 وربعاً كنت أغهده
 بكنت دماً على زمن
 ليالٍ كلُّها سحرُ
 وهي طويلة.

قال: وقلت في الحماسة: [الطويل]
 لعمرُ أبي الرّاقِي السّماكينِ رِفْعَةٌ
 فما أنا مَنْ يرضى القليلَ مِنَ العُلا
 هي النَّفسُ فاخملها على الضّيمِ إن تُردُ
 قال: وقلت أيضاً: [الوافر]

وحامي ذمارِ المجدِ بالجلمِ والباسِ^(٣)
 ولا أنا ممن يخبسي فضلة الكاس
 لها العزّ وانفض راحتيك من الناس

ومنتزه يروق الطرف حسناً
 تجول كتائب الأزهار فيه
 ويات الورد فيها وهو شاكبي السد
 حكى منضم زنبقه طروساً
 تنمق طيها أيدي الثعامي

لما فيه من المرائي البديع
 وقد كسيت حلى الغيث المريع
 لاج يميز في الذرع المنيع^(٤)
 وفيها عرض أخوال الجميع
 وتبعثها إلى ملك الزبيع

(١) ديوانه: ١٢٢-١٢٤ .

(٢) فضل فضلاً: ندي وابتل .

(٣) ديوانه: ١٩٨ .

(٤) شاكبي السلاح: تام السلاح، كامل الاستعداد، الأبيات في ديوانه: ١٧٩ .

وقلتُ إذ أنفذتُ لبعض الأُحبة كتاباً، فقبَّله وتلطفَ في حُسن الجواب: [المنسرح]
 خُذها سُطوراً إليك قد بُعثتُ
 في طَيِّ بيضاءَ ظلتُ من ولِّه
 أكثبها والدموعُ تنقُطُها
 لو كان ظنِّي إذا بصُرتَ بها
 لرُححت شوقاً إليك مُندرجاً
 قال: وقلتُ: [البيسط]

مَهلاً سفينَةَ آمالي لعل بأن
 ويا حُظوظي رفقا لست مُدرِكةً
 قال: وقلتُ أيضاً: [الطويل]

ورَوْضةٍ أنسِ بات فيها ابنُ أيكةٍ
 وقد ضمنا فيها من الليلِ سايغاً
 فظَلتُ عرانيينُ الأباريقِ بالطلا
 وهذا معنى تصرف فيه وأبداع، وأدار منه على المسامع كأس أدبٍ مُترَع، وقد سبقه

إليه غيرُه، كابن رَشيق^(٤) في قوله: [الكامل]

صنمٌ من الكافورِ بات مُعانقي
 فذكرتُ ليلةً هجره في وِضله
 فطفقتُ أمسحُ مُقلتي في جيده
 لكنه جعل جيدَ محبوبه مُثديله فدَنَّسه، فلو قال: [الكامل]

فجعلتُ عيني تحت أخمَصِ نعليه
 كان أليقَ بالأدب.

وممن أجاد في هذا المعنى ابنُ مَرَج الكُخل الأندلسي، في قوله^(٦): [الطويل]
 ألا بَشِّروا بالصُّبحِ مِنِّي باكياً
 أضربُ به الليلُ الطويلُ مع البُكا

(١) ديوانه: ١٥١ .

(٢) ديوانه: ٢٤١ .

(٣) ديوانه: ١٩٤ .

(٤) ابن رَشيق القيرواني: الحسن بن رَشيق، أبو علي الأزدي المعروف بالقيرواني، نزيل صقلية، ولد سنة: ٣٩٠، وتوفي سنة: ٤٦٣، من تصانيفه: أنموذج في الشعراء، وتاريخ القيروان، والشذرة في اللغة، والعمدة في صناعة الشعر، انظر هدية العارفين: ٢٧٦/١ .

(٥) البيت في نفحة الريحانة: ١٥٤/٦، وديوان ابن شرف القيرواني: ١١٣ .

(٦) ابن مرج الأندلسي: محمد بن إدريس بن علي، نفح الطيب: ٢٧/٣ .

ففي الصُّبْحِ لِلصَّبِّ الْمُتَيْمِّ رَاحَةٌ
ولا عَجَبٌ أَنْ يُمَسِكَ الصُّبْحُ عَبْرَتِي
وقد قلتُ أنا في هذا المعنى أيضاً: [الوافر]

وساقَ لي الشُّرُورُ غداً طَبيباً
رأى في الكأسِ صُبَّ دَمِ الحُمَيَّا
قال: ومما قلته أيضاً: [م. الوافر]

سَقَى صَوْبُ الحَيَا زَمناً
وقد مَدَّ الغَمَامُ رِداً
ومما كتبه إليَّ الأميرُ منجك: [م. الرمل]

يا وحيداً في السَّجَايَا
وشهاباً في سَمَوا
وجواداً عندَه الأَفْـ
أنتَ بِحَرِّ دُونِهِ الأبـ
لا تُسْمِنِي حَضَرَ أوصا
راعني الدهرُ كما قد
ومما كتبه إليَّ الأميرُ أيضاً: [الرجز]

قد بَشَّرْتَكَ بِمَضَرَ بعضِ معاشِر
مِصرُ أَقلُّ نَدَى أَيادِيكَ التي
وهذا كثير الأمثال، كقول ابن نباتة المِضْرِي^(٣): [م. الرمل]

واقفَتْ أَصَابِعُ نَيْلِنَا
وأثتْ بِكُلِّ مَسْرَةٍ
وأحسنُ من هذا كله قولِي من قصيدة نبوية: [الوافر]

أصابعُ سَيِّدِ السَّادَاتِ مِنْهَا
فلو مِنْهَا يَنالُ النَيْلُ ظُفْراً
وعهْدِي بِالأَصَابِعِ فِي أَيادِي
لقد رَوَى الرَّبُّونُ مَسَدِي النُّمُود
لما مَضَى الأَصَابِعُ لَمَسَدِي
فكم في ذِي الأَصَابِعِ مِنْ أَيادِي

(١) ديوانه: ٩٩ .

(٢) ديوانه: ٩٩ .

(٣) ديوانه: ١٦٣، ورواية الديوان:

واقفَتْ أَصَابِعُ نَيْلِنَا

وطمعت فأكسعت الأعداء

٣٧- الفاضل أبو الطيب بن رضي الدين الغزي،

نزىل الشام

كان شامة الشام وقرّة الليالي والأيام.

وله في الفضل والأدب فنون، ثم تبدلت الفنون كما يقال جنون، فاشتغل بدائه، وصار هوى الأحبة منه في سؤيدائه، فاعتزل الناس، وصار وسواس حليه حلي الوسواس، بعد ما كان طبعه أرق من شمائل الشمال، ومعانيه أدق من دلائل الدلال. وشعره لفضله شعار، وحسن خطه يتعلم منه الحسنة نعمة العذار.

كقوله: [الكامل]

صادفته والحسن حليته كالريم لا رعشاً ولا قلباً^(١)
والعيد للأحاط أبرزه والبدر أقرب منه لي قرباً
أهوى لتهنئتي ومد يداً وفق المني فتناول القلباً^(٢)

ومد اليد المعتاد، للمصافحة في الأعياد، مسنون لإظهار القرب والاتحاد، فجعلها لأخذ الفؤاد معنى بديع.

ومثله ما قلته في مد اليد المسنون، المأمور به في الدعاء، وهو مما لم أسبق إليه، فإن أمر السائل بمد اليد، بمعنى خذ ما طلبت وأزيد: [المتقارب]

دعوناك من بعد قول ادعني فكيف نرد وكنا دعينا
أمرنا بمد يدي سائل ليملاها أكرم الأكرمين
وهذي وجوه الرجاء اغتدت ترى بعيون الظنون اليقيناً^(٣)

ومن شعره قوله من قصيدة: [المنسرح]

مؤنبي لا برخت في عدل فحبذا حبه علي ولي
غضن دلال أغر طلعته شمس الضحى فوق ناعم خضيل^(٤)

٣٧- أبو الطيب: محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن مفرج العامري يتصل نسبه بعامر بن لؤي، دمشقي المولد، الفاضل، الأديب، الشاعر، كان غزير المادة مطلعاً على معظم شعر العرب الخلعي وغيرهم، وهو من أذكى العالم وفضلاته المشهود لهم بالتفوق، تفقه بالشهاب العيثاوي، ورحل إلى مصر ثم عاد إلى دمشق ودرس بالمدرسة القضاعية الشافعية، توفي سنة ١٠٤٢، انظر خلاصة الأثر: ١/١٣٥-١٣٩، وتراجم الأعيان: ١/٢٦٦.

(١) الرعث: في أذنيه رعشان: قرطان، وما تذبذب من قرط أو قلادة فهو رعشة ورعثة، والقلب: سوار شبه بقلب النخلة في بياضها.

(٢) خلاصة الأثر: ١/١٣٦.

(٣) خلاصة الأثر: ١/١٣٦.

(٤) الخضيل: الندي الطري.

تَحْمِلُ نَقْوِيهِ فَشَرَّةَ الْكَسَلِ (١)
فَظَلَّ يَمْحُو بَنَائِهِ قُبَلِي
شَقِيْقُ خَدِّ فِي وَرْدَتِي خَجَلِ (٢)

وَشَامَتْ بَرَقَهَا الْمُقْلُ (٣)
يُجَاذِبُ خَضْرَهَا الْكَفْلُ
وَمَا السَّمِيَّالَةُ الذُّبْلُ
يُحَاذِرُ بِأَسْهَاهَا الْأَجْلُ
وَأَقْفَرَ دَوْنَهَا الطَّلُّ
وَيُذْنِيهَا لَهُ الْأَمْلُ
فَوَادٌ خَافِقٌ وَجِلُّ
بِمِيلِ الشَّهْدِ مُكْتَجِلُّ
مَوَاطِيءُ نَعْلِيهَا الْمُقْلُ
تَدَاعَى الْوَابِلُ الْهَظْلُ
نُ فِيْنَا يُضْرِبُ السَّمْلُ

وَالْبِدْرُ يَجْنَحُ لِلْعُرُوبِ
عَبَثَتْ بِهِ رِيْحُ الْجُنُوبِ
وَرَبَّمَا صَدَقَ الْكُذُوبِ
وَالْقَلْبُ بِاللُّقْيَا طُرُوبِ
فَمَشَى عَلَيْهِ وَلَا تُغُوبِ (٤)
هَذَا مِنْ كَأْسٍ وَكُوبِ
وَالِدِي مِنْ أَذْهِي لُحْفُوبِ
ءِ وَمُقْسَلَتِي عِبْرِي سَكُوبِ
حَازَ الْبِهَاءَ عَلَى ضُرُوبِ
طَرِ وَالشَّوَاظِرِ وَالْقُلُوبِ

يَجُولُ فِي عِظْفِهِ الدَّلَالُ إِذَا
رَقَمْتُ فِي طِرْسِ خَدِّهِ قُبَلًا
وَأَخَجَلَ الْوَرْدَ فِي نَضَارَتِهِ
وَقَوْلُهُ أَيْضًا: [م. الوافر]

تَرَامَتْ نَحْوَهَا الْإِبِلُ
فَتَاءٌ مِنْ بَنِي مُضَرٍ
فَمَا الْخَطَّارُ إِنْ خَطَّرَتْ
تَكَنَّفَهَا لُيُوثٌ وَعَغَى
لَثْنُ شَطِّ الْمَزَارِ بِهَا
يَمَثُلُهَا الْفَوَادُ بِهِ
وَكَمْ لِي يَوْمَ كَسَاظِمَةٍ
وَطَرَفٌ بَعْدَ بُغْدِهِمْ
عَلِقْتُ بِهَا غَدَاةَ غَدَتْ
فَإِنْ سَارَتْ بِأَخْمَصِهَا
وَإِنْ قَرَّتْ تَقَرُّ الْعَيْنُ
وَقَوْلُهُ: [م. الكامل]

لَمْ أَنْسَ لَيْلَةَ زَارِنِي
ثَمَلًا يَمِيلُ كَأَنَّمَا
وَلرَّبِّمَا جَادَ الْبَخِيلُ
فَنَهَضْتُ إِجْلَالًا لَهُ
وَفَرَشْتُ خَدِّي مَوْطِنًا
وَضَمَمْتُهُ وَلِثَمْتُ فَا
حَتَّى بَدَا الْإِضْبَاحُ وَهُوَ
وَلَوْ بِه مِنْ حَيْثُ جَا
هَذَا الَّذِي أَهْوَاهُ إِذْ
مَلَأَ الْمَسَامِعَ وَالنَّخْوَا

(١) النقا: عظم العضد.
(٢) الأبيات في خلاصة الأثر: ١٣٦/١.
(٣) الأبيات في خلاصة الأثر: ١٣٨/١.
(٤) لَغِبَ فُلَانٌ لَغْبًا وَلُغُوبًا: نَعِبَ وَأَعْيَا.

وقوله: [الطويل]

وشرب أداموا الورد من أكؤس الطلا
سقطنا عليهم كي نلذ لديهم

وقوله: [الكامل]

عاطيته حلب العصير ولا سوى
انظر إليه كأنه متبرم
وكان صفحة خده ياقوته

وأصله لابن هانيء الأندلسي: [الكامل]

عاطيته كأساً كأن شعاعها
انظر إليه كأنه متنصل
وكان صفحة خده وعذاره

وقوله: [البيسط]

خالسته نظراً وكان مورداً
انظر إليه كأنه متنصل
وكان صفحة خده وعذاره

ومن أربابها المذلجين إلى منازل الفناء، السائرين عند

وصولي بها إلى دار البقاء، الأُمجد الأُوحد، العلم المفرد:

٣٨- عبد الحق الشامي، المعرف بالحجازي

وهو، كما أُخبرت به، ذو فضل جسيم، ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ﴾ ﴿أُولَئِكَ الْمَقْرُونَ﴾ (١١)
في جنتِ التَّعِيرِ ﴿[الواقعة: ١٠-١٢].

أما الفصاحة فهو من العُرِّ المُحجَّلين يوم رهاניה.

وأما الفضائل فهو من السابقين في حلبة ميدانها، المرتضعين ذر المعالي في حُجور

(١) نفحة الريحانة: ٩٣/١، وخلاصة الأثر: ١٣٧/١ .

(٢) انظر خلاصة الأثر: ١٣٧/١ .

(٣) نفحة الريحانة: ٩٤/١، وخلاصة الأثر: ١٣٧/١ .

٣٨- عبد الحق بن محمد بن محمد الحمصي الأصل الدمشقي الشافعي الملقب زين الدين الحجازي
الفاضل الأديب المشهور، ذكره كثير من المنشئين وأصحاب التواريخ وأثنوا عليه، كان اشتغاله على
والده وغلبت عليه العلوم العقلية مع إحاطة تامة باللغة العربية، سافر إلى الروم وأخذ عن أبيه
المدرسة التقوية ودار الحديث الأشرفية، ولد سنة: ٩٩٢، وتوفي سنة ١٠٢٠ . انظر: خلاصة
الأثر ٣١٠/٢، وتراجم الأعيان: ٣٥٣/٢، ونفحة الريحانة: ٣٧٥/١ .

الفضائل، المُرتدين بُرود المكارم وشملة الشمائل، العاكفين في حرم العفاف، المُقتطفين
لجنى المجد الغض القطاف.

فمن ثماره المُتفتح عنها عيون أنواره، الدالة على طيب المَغرس وزكاء المَنبت،
قوله من قصيدة طويلة: [الطويل]

سقى الرِّبَع هَطَالٌ من المَزِن ساكِبٌ
هَدِيَّةٌ رَجَّافِ العَشِيّ كَأَنه
وَكُلُّ صَدُوقِ البَرِّقِ دَانِ رَبَابِه
تُزَجِّيهِ أَنفَاسُ الشَّمَالِ وتمتري
يُرَوِّي بها في سِنْبِه باطنَ الثَّرَى
كَأَنَّ هَدِيرَ الرَعْدِ في جَنَابَتِه
كَأَنَّ دَمُوعَ المَزِنِ وَهِيَ سَوَاكِبُ
فَذَاكَ الحَيَا لا زال في أَرْثَعِ الجَمَى
فَتُصْبِحُ مِنْهُ الأَرْضُ مُخَضَّرَةَ الرُّبَى
وَيُصْبِحُ مَنْشُوراً بها رَيْقُ الحَيَا
خَمَائِلُ فِيهَا لِلظُّبَاءِ مَسَارِحُ
وَفِيهَا لأَطْرَافِ الغُصُونِ وَنُورِهَا
كَأَنَّ نُغُورَ الثُّورِ وَهِيَ بِوَأَسْمِ
تَهَادَى ظُبَاءُ الوَخْشِ في عَرَصَاتِهَا
كَأَنَّ الرُّسُومَ الدَّارِسَاتِ تَصْبُرِي
فَوَا أَسْفَا لا القَلْبُ مِنْ سَكْرَةِ الهَوَى
فَمَنْ لِي بِحِفْظِ العَهْدِ مِنْ ذِي صَبَابَةٍ
تَهَبُّ مَعِي مِنْ هَجْعَةِ العَجْزِ رَبِّمَا
فَقَدْ تُذْرِكُ الحَاجَاتُ وَهِيَ فَوَائِتُ

وجادَتْ عَلَيْهِ السَّارِيَاتُ السُّوَارِبُ
كَتَائِبُ تَقْفُو إِثْرَهُنَّ كَتَائِبُ
تُثَوِّءُ فُوقَ الأَرْضِ مِنْهُ الهَيَادِبُ
ضُرُوعٌ عَزَالِيهِ الصَّبَا والجَنَائِبُ^(١)
وَتُمْنَحَى لِسُقْيَاها المُحَوَّلُ اللُّوَارِبُ
هَدِيرُ قُرُومِ هَيَجَّتْهَا الضُّوَارِبُ
دَمُوعٌ مُجِيبٌ فَارَقَتْهُ الحَبَائِبُ
مَرِيئاً بِهِ مِنْهَا الزُّلَالُ الخَضَارِبُ^(٢)
مُجَلَّلَةٌ بِالرَّيْطِ مِنْهَا الأَهَاضِبُ
كَما نَثَرَتْ مِنْ جِيدِهَا السَّمْطُ كَاعِبُ
وَفِيهَا لأَذْيَالِ الرِّيحِ مَسَاجِبُ
عِيونٌ عَلَتْ مِنْ فُوقِهنَّ حَوَاجِبُ
بأَرْجَائِهَا القُضُوى نَجُومٌ ثَوَاقِبُ
كَما تَتَهَادَى في القُصُورِ المَرَارِبُ^(٣)
عَشِيَّةٌ حُفَّتْ بِالقَطِيطِ الرُّكَّائِبُ
يُفِيقُ وَلا مِنْ غَيْبَةِ الشُّوقِ آيِبُ
أَضَاعَتْ هَوَاهُ المُذْنِبَاتُ العَوَاتِبُ
تُنَالُ بِأَشْفَاعِ الجُدُودِ المَطَالِبُ
وَقَدْ تَضَدَّقَ الأَمَالُ وَهِيَ كَوَادِبُ

وقوله: «هدية رجاف» المراد بالرجاف: الماء الجاري، وأصل معناه المُتحرِّك
المضطرب، ولهذا سُمِّي البرح رجافاً، كما قاله أهل اللغة.

ولهذا أجاد القائل في مُرتِعش اليَدِ: [البيسط]

(١) العزلاء: مصب الماء من القرية ونحوها، والجمع: عزالي وعزالي، ويقال: أرسلت السماء
عزاليها: انهمرت بالمطر.

(٢) ماء خضارب: يروج بعضه في بعض، ولا يكون إلا في غدير أو واد.

(٣) المرزبان: الرئيس عند الفرس.

ما هَزَّ راحته سِوى فيضِ النُّدى والبحرُ من أسْمائه الرِّجافُ
وقوله: «وفيها لأطراف الغصون» البيت، كقول ابن نباتة السَّعدي، من قصيدة له،
مطلعها: [الطويل]

رَضِينَا ولم ترضِ السيوفُ القواضِبُ نُجاذِبُها عن هامِهِم وتُجاذِبُ
ومنها:

خَلَقْنَا بأطرافِ القَنَا في ظُهورِهِم عُيوناً لها وَقَعُ السُّيوفِ حَواجِبُ
وتابعه أبو إسحاق إبراهيم الغزِّي، فقال: [الطويل]

خَلَقْنَا لهم في كُلِّ عَيْنٍ وحاجِبُ بِسُمْرِ القَنَا والبِيضِ عَيْناً وحاجِباً
وهنا لنا فائدة نفيسة، وهي أن من أهل المعاني مَنْ ادَّعى أن بَيْتَ الغزِّي أبداعٌ، لما فيه
من الطِّباقِ بين السُّمرِ والبِيضِ، ورَدُّ العَجْزِ على الصُّدرِ، واللَّفِّ والنُّشْرِ، ومراعاة النَّظير^(١).
وادَّعى أنه يجوز أن يُراد بالعين فيه الرَّئيسُ، وبالحاجِبِ مَنْ يَتَّبِعُه وحُجَّابُه،
والمعنى أن رماحنا وسيوفنا نالت الحاجِبَ والمحجوبَ، والرئيسَ والمرؤوسَ، مع
اشتماله على التَّورية والاستعارة، وهو جميعه ممَّا خلا عنه البيت الأول، مع ما فيه من
الافتخار بقتال الأعداء الثَّابتين، دون المُنهزمين، فإنه لا يُفْتَخَرُ بمثله.

وبهذا عيب البيت الثاني أيضاً، وإن ذكر صاحبُ «إيضاح المعاني» أنه أبلغ لاشتماله
على زيادة معنَى، وهو الإشارة إلى انهزامِهِم، وأطال فيه وأسهب، وبَعُدَ وقَرَّبَ.
والحق ما ذهب إليه خطيبُ المعاني، فإن الفضل للمتقدِّم، وبيت الثُّبَاتِي، أخلَى
لما فيه من التَّشبيهِ البديعِ، بجعل أثر الطَّعنة المستديرة من الرمح عَيْناً، وشَطْبَةَ السُّيفِ
فوقها حاجِباً، والإغراب بجعل الظَّهر محلَّ العين والحاجِبِ.

وأما انهزامِهِم فلا يدلُّ على عدم شجاعَتِهِم، حتى يُخَلَّ بالفخر؛ فإن الشجاع ينهزم
مَنْ هو أشجع منه، ولهذا قالوا: «الفِوار ممَّا لا يُطاق من سُننِ المُرسَلين»^(٢) كما فرَّ
موسى حين همَّ به القِبْطُ.

وما ذكره من معنَى العين والحاجِبِ سَخِيفٌ، وتخيُّلٌ ضعيفٌ، مع أن جعل الضُّرب
في العين والحاجِبِ من العجائب.

وقد مرَّ لي ما نحوْتُ فيه نحو ابن نباتة بعينه وحاجبه، وهو: [الطويل]

وتنظرُه في قَلْبِي الصُّبُّ أعينُ عليها لمَخِينِي الضُّلوعِ حَواجِبُ^(٣)

(١) في خلاصة الأثر: ٣١٤/٢: نسب المحبي هذا الرأي إلى المترجم نقلاً عن الشهاب الخفاجي.

(٢) في خلاصة الأثر: «الأبناء» ٣١٥/٢.

(٣) انظر نفحة الريحانة: ٥٤٧/٤.

وما ذُكِرَ من النَّقْدِ عليه نقله ابن السَّجَرِي في «أماليه» عن الشَّرِيفِ المُرْتَضَى، وقال: إنه عابَ عليه قوله: «بظهورهم» وقال: لو قال: «بصدورهم» كان أمدح؛ لأن الطعنَ والضربَ في الصدور أدلُّ على الإقدام والشَّجاعة للطَّاعن والضارب، والمضروب، لأن الرجلَ إذا وَصِفَ قِرْنَه بالإقدام مع ظهوره عليه، كان أمدح من وصفه بالانهزام، كما قال أبو تَمَّام: [الطويل]

حَرَامٌ عَلَى أَرْمَاجِنَا طَعْنَ مُذْبِرٍ وَتَنَدَّقُ فِي أَعْلَى الصُّدُورِ صُدُورُهَا

ولذا قال بعضُ المحقِّقين: القولُ بأنَّ قَدْ لِلتَّكْثِيرِ فِي قَوْلِهِ^(١): [البيسط]

قَدْ أَتْرَكَ الْقِرْنَ مُضْفَرًا أَنَامِلُهُ كَأَنَّ أَثْوَابَهُ مُجَّتْ بِفِرْصَادٍ^(٢)

لمناسبةِ مقامِ المدح، مِنْ قِصُورِ الْفَهْمِ.

ثم لم أزل أتوكأ على البيضاء والصفراء، وأقيل تحت قباب الخضراء والزرقاء، حتى قدفتني لهوات المهامه إلى حلب الشهباء، والناس بين مقوض وراجل، وما هذه الأيام إلا عقب ومراحل، إذ ذهب الذين يُعاشُ في أكنافهم كلُّ مذهب، وبقيتُ في خَلْفِ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ، إن تركته أذى جسدك، وإن حككته أذميتته ولوئت يدك: [الطويل]

عَلَى أَنِّي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلِلَّهِ مِنِّي الْحَمْدُ عِرْضِي أَمْلَسُ

فألقيتُ فيها عِصَا التُّسْيَارِ، عن كاهل العزائم، لما تفتَّحت بها عن زهرة المسرة خُضْرُ الْكَمَائِمِ، فإذا هي رَوْضَةٌ مُخْضِرَةٌ الْأَفْنَانِ، أو قطعة من الفِرْدَوْسِ أهدتها لنا الْجِنَانُ. [الكامل]

وكأنما الخضراء من طرب بها نثرت كواكبها على الأغصان

ولها جِضْنٌ كَأَنَّهُ وَكَّرَ لِنَشْرِ السَّمَاءِ، أو هَامَةٌ مُعَمَّمَةٌ بِسَحَابَةِ دُكْنَاءِ.

أرضها مفروشة بديباج نبت مرضع بالزهور، وحيطانها مجللة بستائر البهاء والثور.

نسيمها أعطر من عِزْفِ شَمِيمِهَا، وأهلها الطف وأرق من نسيمها، من كل فاضل

مِلثٌ بِالْفَضْلِ ثِيَابُهُ، وماجدٍ قد حُشِيَ بِالْكَرَمِ إِهَابُهُ، وأديبٍ رَقَّتْ شَمَائِلُهُ: [المتقارب]

فَلَوْلَا الْبُرْدُ يُنْمِسُكَ لَسَالًا^(٣)

(١) في اللسان: (قدد) ذكر ابن منظور هذا البيت أن (قد) تكون مع بعض الأفعال بمعنى رما، وقد نسب هذا البيت للهدلي.

(٢) الفِرْصَادُ: التوت.

(٣) مأخوذ من قول المعري:

يذيب الزعب منه كل عصبٍ فلولا الغمد يمسكه لسالا

وَعَذَّبَتْ كَلِمَاتُهُ وَرَسَائِلُهُ: [المتقارب]

فَأزْشَفْنَا عَلَى ظَمِإٍ زُلَالًا^(١)

فكان ممن لمعت بوارق بشره، وباحت خواطر نسيم لطفه بأسرار نشره، الفاضل الكامل، المرتدي بحبر الشمائل، العاكف في حرم الإفادة، الطالع نجمه من أفق السعادة:

٣٩- أبو الوفاء بن عمر بن عبد الوهاب الشافعي

العرضي الحلبي

فلقيني منه حبر مجيد، وشاعر مجيد، وأديب يضع القلادة في الجيد. له فضل لم تنظر عين الدهر لمنافيه، بل كلما أجال طرّفه رأى كل المني فيه، فإذا واد خصيب النوى والثمر، وحديقة منمنمة الأطراف والطرر، سقتها غمام نداء، وبكرها صيب جدواه، بلا مئة لحوامل السحاب، ولا انتظار لقوافل الصبا والجنائب. صرف نقد أوقاته، ورأس مال عمره وحياته، في تحصيل ربح الفضل والعبادة، وترك فضل العيش وفضول الناس لما رأى في تزكيتها من السعادة، ورأى في كل بكرة وعشية، حبل جين نوابهما في مشيمة المشية. ولما شمت كرمه وسببه، وردت ربيعاً زرّ عليه جيبه، انتدب لملاقاتي، وابتدر وخير أنوار الربيع ما بكر.

وكتب إلي مادحاً، ولزنت فكري قادحاً قوله: [الوافر]

أرى الشهباء للعليا قباباً ألم تر أفقها أبدى شهاباً
وقبل كست معالمها الدياجي مسزيلة ذراها والهضاباً
وكدر صفو منهلها قتاماً أحال شرابها الصافي سراباً^(٢)

(١) صدر بيت لأبي نصر أحمد بن يوسف المنازي، وعجزه:

أرق من المدامة للنديم

معجم البلدان: ٦٤٩/٤ .

٣٩- أبو الوفاء بن عمر بن عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمود بن الحسين الشافعي الحلبي العرضي، مفتي الشافعية بحلب، وابن مفتيها وأحد أعيان العلماء في المعرفة والإتقان والحفظ والضبط، كان عالماً إماماً خيراً متواضعاً حسن السمعة، روى العلوم النقلية والعقلية عن والده ولزم العلامة أبا الجود التبروني، تصدر للإقراء في دار القرآن الحبشية، له شعر حسن ونثر بارع، واعتنى بجمع تاريخ سماه «معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب»، وطريق الهدى في التصوف، ولد سنة: ٩٩٣، وتوفي سنة: ١٠٧١، انظر خلاصة الأثر: ١٤٨/١، وأعلام النبلاء: ٣٠٨/٦ .

(٢) القتام: الغبار الأسود.

ولو سُقِيَ الغرابُ بها لَشَابَا
يَضِلُّ الأَلْمَعِيُّ بها الصُّوَابَا
مناهِجُهُ وضاق بها رِحَابَا
وكم عادت سحائبُها ضَبَابَا
وَطَوَّقَ عِقْدَ مِثْيَةِ الرُّقَابَا
مُشِيدُ الفضلِ إِثْثَا وَاثْتِسَابَا
وفاجأها بِنِعْمَتِهِ اخْتِسَابَا
معالمُها وقد عَزَّتْ جَنَابَا
ونظمت الشُّجُومَ لها نِقَابَا
وَقَرَّ عُيُونَ أَهْلِيهَا اقْتِرَابَا
أحالَ التُّبْرَ للذَّهَبِ الثُّرَابَا
وَأثْبَعَهَا بِمَنْطِقِهِ عُبابَا
سقاءُ من فوائده رَبَابَا
فضائلِ حين ما سأل انصِيبَا
ذخائره انْتَهَازَا وانْتَهَابَا
قُبَيْلَ النُّطْقِ لَبَّاءُ جَوَابَا
ونادتك العُلا تَبْغِي الثُّوَابَا
فما وَفَى المديحَ ولا أَصَابَا
نسيْتُ الأَنْسَ منه حين غَابَا
فخالَتْ أنها تُرْقِي العُقَابَا^(١)
وَأَيْمُ اللّهِ ما مَلَكَوا نِصَابَا
حَبِيبَا قد أرذت أم الحَبَابَا
من الممدوح لو فهم الخِطَابَا
له الأفلاكُ طَاطَاتِ الرُّقَابَا
لما ذَهَبَتْ بالمدح الكِتَابَا
تَقَعَّتِ العُلا منه اخْتِجَابَا

وجرَّعَها كُؤُوسَ الجَورِ صِرْفَا
وكان الجهلُ مُتَّسِعَ الفَيَافِي
وضاق العلمُ ذُرْعاً حين سُدَّتْ
تُعَلُّلُها المَطامِيعُ كاذِبَاتِ
إلى أن حَلَّها رُوحُ المعالي
إمامُ العلمِ بخِثاً واكْتِسَابَا
قواصِلُها بغيرِ سباقِ وَغِدِ
فأهلاً بالذي منه استنارت
وقد وَطِئَتْ على هامِ الثُّرَيَّا
فَقَرَّ بِهَا وَقَرَّ بِهَا وِدَادَا
وقد ظفرت بكَنْزِ المجدِ حَتَّى
وفاضَ بحارُ كَفْيِهِ علوماً
ونَضَّرَ وَجْهَ روضِ الفضلِ لَمَّا
قد ازدحمَتْ بِمَورِدِهِ عَفَاةُ الـ
وقد ملأوا رَكائِبَهُم وِرَامُوا
إذا جال السُّؤالُ بِفِكرِ شَخِصِ
فيا دُخْرَ العلومِ فدَثِكِ نَفْسِي
أقِلْ قَلَمِي عِشَاراً زَلُّ فِيهِ
وكنْتُ نَبَذْتُ شِغْرِي في قِفَارِ
إذ الأيَّامُ قد رَفَعَتْ بُغَائِثَا
وظنُّوا أَنَّهُم كَنَزُوا علوماً
أَمْدُحُ مَنْ بِنَظْمِي ليس يَذْرِي
وكان القصدُ من قَضِي تَجَازِي
ولولا أَنَّكَ السَّامِي مقاماً
وكان بِمَدْحِكَ العالِي اِفتِخاري
فدُمُ يا زِينَةَ الدُّنْيَا بِمَجْدِ
ثم كتب بعدها:

لقد طَفَّحت أَفئدةُ العلماءِ بِشِراءِ، وارتاحت أسرارُ الكاملين سِرّاً وَجَهراً، وَأَفِيعَتِ

(١) البَغَاثُ: طائر أبغث اللون فيه بقع بيض وسود، وهذا الطائر: أصفر من الرخم بطيء الطيران، وفي المثل: إن البغاث بأرضنا يستنسر، يراد به: من جاورنا عز بنا.

من المسرة صدور الصدور، وطارت الفضائل بأجنحة السرور، يئمن قدوم من أخضرت رياض التحقيق بأقدامه، وغرقت بحار التدقيق من سحائب أعلامه، وتلاأت غرر المباحث إشراقاً، وأجريت مسائل الطالبين في ميادين التوضيح سباقاً.

أعني به جهيئة أخبار العلوم، وخازن أسرار المنطوق والمفهوم، المؤسس لدعائم الأحكام فرعاً وأصلاً، والسابق في مضمار التحقيقات منذ كان طفلاً.

وقد خدمته بهذه القصيدة التي كتبها عجباً، وكنت أضمرت ألا أفوه بكلمة منها خجلاً، لكن ظننت بالموالي كل جميل، ورأيت سترها بذيلي السامح والصفح من فضله الجزيل.

هذا، وإن العبد كتب تاريخاً سماه «معادن الذهب، في الأعيان المشرفة بهم حلب» سيعرض بعضه عليكم، ويؤتى بأنموذج منه لديكم، وجل القصد أن تكتبوا لي نسبكم وأشياخكم، ومقرؤاتكم، وبعض شيء من المنظوم والمنثور، لنطرز حله بطراز المأثور. والسلام.

وأشدني من شعره قوله: [الوافر]

بوزد الخد زبحان مجيظ وتركي حبه لا أستطيع
وقلت النفس خضرا يا عدولي كما قد قلت والزمن الربيع

وهذا مثل عامي، يقولون: «النفس خضراء، تشهي كل شيء».

وقولهم: «تشهي» إلخ، جملة مفسرة لخضراء.

وكأن أصله ما ورد في الحديث: «أزواح الشهداء في أجواف طيور خضر»^(١).

٤٠- أخوه محمد بن عمر العرضي

فاضل نجيب حبيب، صجيني وبزد شبابه قشيب، وغصنه في رياض المعالي
رطيب: [المنسرح]

(١) رواه الترمذي بلفظ قريب في باب فضائل الجهاد، برقم (١٣).

٤٠- محمد بن عمر بن عبد الوهاب بن محمد بن الحسين العرضي الحلبي، لم تنجب الشهباء منذ بنيت مثله، كان من الفضل بمرتبة الآحاد وفي الأدب في مرتبة لا تنال إلا بالاجتهاد، ولي القضاء مدة طويلة، ثم درس بالمدرسة الكتاوية والسعيدية، وولي إفتاء الحنفية بحلب، سافر إلى الروم وأقام بها مدة، ولما مات أخوه أبو الوفاء، صار مكانه مفتي الشافعية، توفي سنة: ١٠٧١، انظر خلاصة الأثر: ٨٩/٤، وأعلام النبلاء: ٣١٨/٦.

ملاحظة: يبدو أن هناك خلطاً في تاريخ وفاة أحد الأخوين، فقد ذكر في الخلاصة أن سنة وفاتهما: ١٠٧١، ومع ذلك يقول المحببي: إن محمد بن عمر تولى الإفتاء بعد وفاة أخيه؟؟، انظر الخلاصة: ٨٩/٤ و١٤٨/١.

إذ غُصِنُ ذاك الشبابِ مُغتدِلٌ لم تظَمَعِ الحادثاتُ في مَيْلِهِ
ومخايلُ النَّجَابَةِ عليه لائحةٌ، وطيورُ البلاغَةِ في قَفَصِ سُطورِ خطِّه صادِحَةٌ، بكلِّ ما
هو أَسْرُ من التَّهَانِي، وأمانِ الظَّافِرِ بالأمانِي، وحُلُلُ فضله زاهٍ بآدابه طرازُها، وِعِدَاتُ
الدهرِ فيه قد حانَ إنجازُها، وقد يجودُ البخيلُ الشَّحِيحُ، وكم لاحَ تحتَ الرِّغْوَةِ من لَبِنِ
صَرِيحٍ.

فلم تَضِلَّ فيه الظُّنونُ، لَمَّا قَضَتْ ما في ذِمَّتِها من الدُّيونِ، وفكَّتْ ما عندها من
مُغَلِّقاتِ الرُّهونِ.

فأنشدني من مقطعاته، وأهدى إليَّ من مُخبَّاتِهِ قوله: [الخفيف]

لم أزلُ من صَحيفةِ القلبِ أُمْلِي ناصباً هُدْبَ جَفْنِ عَيْني شِباكاً
ففي دُجَى الاغْتِرابِ سَطَرَ مِثالكِ فَعَسَى أن أصيدَ طَيْفَ خَيْالكِ^(١)
وقوله: [السريع]

يا لَيْلَةَ طالَتْ على عاشقِ كَلِيلَةِ المِيلادِ في طُولِها
باتَ من الوجودِ على جَمْرٍ كأنها تُكَلِّي جَنِينِ لها
تَسِخُ فيها العَيْنُ بِالْمَطَرِ^(٢) وأغرَّ قد سَمَّته بالفَجْرِ
وقوله أيضاً: [المتقارب]

ازْفُقُوا فالْفؤادِ ليس بجَلْدِ أنا شَحَّادُ حُسْنِكُمْ وعيوني
وازحموا ذلَّتِي وطولِ عويلي يا غُناةَ الجَمالِ كالكَشْكُونِ^(٣)
وقوله أيضاً: [الخفيف]

قال لي الجِبُّ لِمَ وضعتَ على الأذِ قلتُ مذ خَطَّ كاتِبُ الحَسَنِ نوناً
فجعلتُ العيونَ أربَعِ عليّ فجعلتُ العيونَ أربَعِ عليّ
وقوله أيضاً: [السريع]

ما قَصُرَتْ تلكَ الليالي التي لكنَّ أشواقِي لذاك الرِّشَا
في جُنْحِها بثَّ سَميرِ المِلاخِ قد عالجتني خَوْفِ وشكِ البِراخِ
عن صدره فأنجاب عنه الضِّباخِ^(٥) شَقَّقْتُ جَيْباً كالدُّجَى حالِكاً

(١) في الخلاصة: «طير خيالك» ١٠١/٤

(٢) في الخلاصة: «تسبح فيها العين» ١٠٠/٤

(٣) الخلاصة: ١٠٠/٤

(٤) الخلاصة: ١٠١/٤

(٥) في الخلاصة: «ما عاجلتنى فوق وشك البراخ» ١٠١/٤-١٠٢

وقوله أيضاً: [الخفيف]

قد زَمَانِي بِالهُونِ سَاقِي زَمَانِي
فَأَرَاقْتَنِي التَّدَامِي بِظُلْمِ

وقوله أيضاً: [الخفيف]

عَاب قَوْمٌ شَرَبَ المُدَامِ وَلَمْ يَدُ
جَبْرُ قَلْبِ الأَقْدَاحِ بِالرَّاحِ خَيْرٌ

وقوله: [الرمل]

إِن ذَاكَ الرَّشَاءُ الخِشْفَ الَّذِي
زَادَهُ مَوْتُ أَبِيهِ قِيَمَةً

وقوله أيضاً: [الخفيف]

قَدْ زَهَدْنَا عِشْقًا لِدِينَارِ خَدُّ
وَتَرَكْتُ الثَّوَالَ وَالْمَالَ عَلِّي

وقوله أيضاً: [الخفيف]

كَانَ عَهْدِي بِالرُّومِ فِيهَا يَضُوعُ الأُ
شِيَّبَتْ فَوَدَّ سَيِّدِ الرَّشْلِ هُوْدُ

وقوله: [الطويل]

كَأَنِّي وَأَمَالِي إِذَا مَا تَقَهَّقَرْتُ
عَرُوسٌ تُجِيدُ الرُّقْصَ حِينًا إِلَى وَرَا

وقوله مُضْمِنًا: [البيسط]

السَّيْفُ لَمَّا حَكَاهُ لَحِظٌ نَاطِرِهِ
لَكَ البِشَارَةُ فَاخْلَعْ مَا عَلَيْكَ فَقَدْ

وقوله: [الخفيف]

أَيُّهَا الرِّيمُ هَلْ تَرِيمُ بِنَظَرَةٍ
بِأَبِي أَنْتَ غُضُنُ بَانَ تَثْنِي
أَلِفُ القَدِّ زَانَهَا نُقْطَةُ الخَا
عَارِضٌ أَخْضَرٌ وَبِيضٌ ثَنَايَا

فَكَأَنِّي دِرْدِي كَاسِ المُدَامِ
فِي الزَّوَايَا وَمَوْطِيءِ الأَقْدَامِ^(١)

رُؤَا بِأَنَّ التَّغْيِيبَ عَيْنُ العُيُوبِ
فِي اغْتِقَادِي مِنْ كَسْرِ كَاسِ القَلُوبِ^(٢)

مَاتَ عَنْهُ وَالأِدُّ فَهُوَ كَظِيمِ^(٣)
كَانَ دُرًّا فَغَدَا اليَوْمَ يَتِيمِ

سَبَكْتُهُ حُسْنًا يَمِينُ البَارِي
أَنْ أَرَى فِيهِ مَالِكَ الدِّينَارِ

عِلْمٌ وَالأَنُّ ضَاعَ فِيهَا العُلُومُ
وَلَقَاهُ شِيَّبَتْ فَوَادِي الرُّومِ

وَبَرَقَ أَمَانِي سَرَابٌ وَخَلْبُ
وَحِينًا أَمَامًا وَهِيَ بِالبَيْنِ تَلْعَبُ

نَادَيْتُهُ بِلِسَانِ فِي الهَوَى لَهَجِ
ذِكْرَتِ ثُمَّ عَلَى مَا فِيكَ مِنْ عَوَجِ

عَلَّ يَصْحُو الفَوَادُ مِنْ بَعْدِ سَكْرَةٍ
وَغَدَا يَمْزُجُ الدَّلَالَ بِخَطَرَةٍ
لِ فَأُضْحَى وَوَاحِدُ الحَسَنِ عَشْرَةٍ
سَوْدَا وَجَهَ عَيْشَتِي بَعْدَ خُضْرَةٍ

(١) الخلاصة: ١٠٢/٤ .

(٢) خلاصة الأثر: ١٠١/٤ .

(٣) الكظيم: المكروب .

أنت زهرٌ غَضٌّ وقلبي كمامٌ
زرعتُ مقلتي بخديك وزداً
يا أبا عُذرة الملاحه إني
كغبة الحسن كل وقت إليها
فلماذا أوقدت بيتك جمره
فأبخني قطاف زرعِي زهره
بين موتى هواك من حي عُذرة
في ركابِ المني أحج بفكرة^(١)
ووالد هذين الفاضلين الحبر، علامة زمانه، شيخ الإسلام:

٤١- عمر بن عبد الوهاب العرضي

نسيحٌ وخذِه، وفريد فضله ومجده.
بحرٌ لا تُكدره الدلاء، ولا تُتَزَف بعضُ مواردِه المِلاء.
لم يزل صدرًا للإفاده والإفتاء بحلب، ترعى في ربيع فضله سوائمِ الطلَب.
وتأليفه وتصانيفه تنقلها الرُكبان، وتقف دونها سوابقُ الحُسن والاستحسان.
حتى رقى شرف السبعين، وصعد إليها بدرجات السنين، رافلاً في حُلل الغنى.
حتى جرَّ الدهر عليه أذيالَ الفنا.
وهو آخر من صنَّف بحلب، وأفاد، وأجاد.
ومن أجل مصنفاته «شرح الشفاء» في مجلدات، ولنا عليه اعتراضات، يتناهد في «شرحنا».

وله نظم ونثر، كقوله في «شرح الكافية للجامي» وله عليه «حاشية جليلة»: [البيضا]
لله دَرٌّ إمام طالما سَطَعَتْ
ألفاظه أشكرتُ أسماعنا طرباً
أنوار أفضاله من علمه السامي
كانها الخمر تُسقى من صفا الجاد
ولشيخه محمد بن الحنبلي فيه أيضاً: [الطويل]
لكافية الإعراب شرخٌ مُنقَحٌ
معاينه تُجلى حين تُتلى كأنما
ذلول المعاني ذو انتسابٍ إلى الحمير
هي الخمر تبدو شمسها في صفا الجاد
ولصاحبنا الشيخ عبد الله الدنوشري^(٢): [البيضا]

(١) ذكر المحبي في خلاصة الأثر الأبيات الخمسة الأولى فقط. ٩٢/٤، وانظر صفحته لربحانه ٢٠٥-٤٠٦.

٤١- عمر بن عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمود العرضي الحلبي الواعظ المفتي الفقيه الشافعي، ولد سنة: ٩٥٠ وتوفي سنة: ١٠٢٤، له تصانيف كثيرة منها: تهيج السعادة وموقف الإفاده، والدر الثمين في جواز حبس المنهيين، وذيل تاريخ ابن الحنبلي، وشرح رسالة القسبية، انظر هده العارفين: ٧٩٦/١، وخلاصة الأثر: ٢١٥/٣.

(٢) عبد الله بن عبد الرحمن بن علي الدنوشري أبو الفتح الشافعي الصوفي المتوفى سنة ١٠٢٥، له

لله شَرَحٌ به شَرَحُ الصُّدُورِ لَنَا كَأَنَّهُ الدُّرُّ أَوْ أَزْهَارُ أَكْمامِ
قد أسكَرَ السَّمْعَ إذ تُثَلَّى عَجَائِبُهُ والسُّكْرُ لا غَرَوَ مَعْرُوفٍ مِنَ العِجَامِ

٤٢- صلاح الدين الكوراني الحلبي

فاضل، شاعر، ناظم، ناثر، مكثير، مسهب، مطرب، معجب.

رأيتُه بحلب يُعاني حِرْفَةَ الوراقة، ويكتب للقضاة الوثائق التي شدت وثاقه، وقد قيده الكبر، وعاقه الدهر أبو العبر، فحجل بين الغرائب والرغائب، وقتل بيد فكره في الذروة والغارب، وهو في مهد الخمول راقدا، فمرت به النوائب وهو على طريقها قاعد.

وقد كان امتدحني بعدة قصائد، منها قوله: [البيسط]

شهابُ المعالي قد أضاءت به الشهبًا	وقد أطلعت من غر أفكاره الشهبًا
ومن قبل أخبار التناء تواترت	وقد ملأت أسماعنا لؤلؤاً رطبًا
وكان التمني أن يطابق سمعنا	نواظرنا واستغرقت قلبنا حبًا
وقد أغربت ألفاظه مع تأخير	عن السبق حتى فاقت العرب العربًا
فمن منطقي عذب وفضل موجه	إلى المدح إيجاباً وللحاسد السلبًا
بني غر أبحاث له قد تأسست	فلم يستطيع باغي الجواب لها نقبًا
إذا كان منه الفهم في البحث سابقاً	وذلك منه لا يفارقه دأبًا
فأهلاً بمن يخيا به مشرق العلا	وقد كان كالعنقاء جاوزت العربًا
ومن حلب كان الفطام من المني	فقد يبست منها ضرع المني حلبًا
إلى أن أتاج الله بعض بقيّة	من الحزم حتى زاحموا المنهل العذبًا
فتبًا لمن قد زاع عن وده وقد	تبدي ثبوت القول إذ أظهروا الحزبًا
ومذ قد أتى هذا الزمان بمثله	لبيباً علمنا أنه قد حوى لبًا
قد اغدودقت يميناه من بزق بشره	وقد سحبت غر المعالي له سحبا
وأسقت أيادي فضله سحبت الندى	وقد غرست من حبه في الحشا حبًا
له قلم إن ينقث السحر نافعاً	فما ضره أن لا يغادره غضبًا
فيا من له في مصر والشام همّة	وباع طويل يبهر الروم والعربًا

= جوهرة النفس في معرفة التاريخ المستعمل، وحل درجة الشمس، وحاشية على التوضيح للشيخ خالد، وهدية الأحاب في تفسير أعظم آيات الكتاب. انظر هدية العارفين: ٤٧٤/١.

٤٢- القاضي صلاح الدين المعروف بالكوراني الحلبي، شيخ الأدب، له شعر مطبوع ونظم مصنوع مع مشاركة في فنون عديدة، وخبرة بمفاهيم عجيبة، وكان من المكثرين في الشعر، توفي في حلب سنة: ١٠٤٩، وله من العمر أكثر من ثمانين سنة. انظر خلاصة الأثر: ٢٥٢/٢.

ثغورُ مبانِيها وتاهت بكم عَجَبًا
ودادٌ ولا يَبْغُون مالا ولا كَسْبًا
يرومُ خِلافَ الوُدِّ يَسْتَوْجِبُ السَّبَّ
نُسائِلُه سِلْمًا يَجَاوِبُنَا حَرْبًا
تُسَابِقُها العَرَجَا وتَلْحَقُها الحَذْبَا^(١)
بُكاءٌ على الخنساءِ في صَخْرِها أَرْبَى
فداوِنتُ دَمْعِي في تَنَاوُلِه شُرْبًا
أَعْلَلُه مَن كان سارِقَه غَضَبًا
بمذْحِك لکن لا يقولُ به كِذْبًا
وثقله توقيعي الوثائقِ والكُتْبَا
كما يَشْرَبُ العُصفورُ من مائه عَبًا^(٢)
ولا عِتَقَ لي حتى أرى اللُحْدَ والتُرْبَا
حُداةً حِجازٍ في السُّرى تُطْرِبُ الرُّكْبَا

تُسَرُّ به نفسٌ تدانى خُرُوجُها
فدَخِنتُ حتى يَسْتَبِين خُرُوجُها

لِتَلَّةٍ به عن الأَخْزَانِ
صار بالوجدِ مَخْزَنَ النُّيْرَانِ
فلهذا سَتَرْتُها بالدُخَانِ

على حَلْبٍ لَمَّا قَدِمْتُمْ تَبَسَّمْتُمْ
وأبناؤُها القومُ الذين مُرادُهُمْ
على ذا مَضَى عهدُ الأَخْلَاءِ والذي
وأشْكُو إِلَيْكَ الدهرَ عَبدَكَ إِنَّا
وكم قَعَدتُ عن سَبِقِها كلُّ صافِنٍ
وَإني على فِعْلِ الزمانِ لواجدٌ
وقد زَعَمُوا أن الدُخَانَ مُجَفَّفٌ
وفي كلِّ مَعْنَى فيه قد رَقَّ رِقَّةٌ
وعَبْدُكَ ذِيكَ الصُّلَاحُ مُقْصَرٌ
ولو لم يكن قَيْنُ الكِتابَةِ عائِقِي
لحاولتُ من عَجَاجِ فِكْرِكَ قَطْرَةَ
فكَيْفَ وقد أَضْبَحْتُ عِبدًا مُكاتبًا
فلا زلتُ في أَعْلَى مقامٍ إِذا حَدَثَ
وأشْدني له: [الطويل]

لَعَمْرُكَ لم أَشْرَبْ دُخَانًا لأَجْلِ أَنْ
ولكن زَنابيرُ الهُمومِ لَسَعَنِي
ولما أَشْدني هذا، أَشْدته قِطْعًا لي في معناه.

منها قولِي: [الخفيف]

ما شَرِبْتُ الدُخَانَ إِذ سِرْتُ عَنْكُمْ
أَحْرَقْتَنِي الأَشْواقُ فالقَلْبُ مِنْها
فخَشِيتُ الأَنْفاسَ تَفْضُحُ حالي

٤٣- السيد أحمد بن النقيب الحلبي

سَيِّدٌ عَجِنتُ طَيْثُه بِماءِ الوُخِيِّ والنُّبُوَّةِ، وَغَرِسْتُ نَبْعَه في ساحةِ الفِضْلِ والفُتُوَّةِ، له
مناقبٌ هي الوُشِيِّ حُسْنًا وبَهْجَةً: [الطويل]

إِذا نُشِرَتْ كانت مُمْسِكَةَ النُّشْرِ

(١) الصافن من الخيل: القائم على ثلاث.

(٢) العجاج: الغبار أو الدخان.

٤٣- السيد أحمد بن محمد الحسني المعروف بابن النقيب الحلبي، الأديب المتفنن البارع المشهور، رواء
الشهباء فخامة وجلالاً ووسامة، ولد بحلب ونشأ بها وأخذ عن العلامة عمر العرضي وتادب -

وغرائب رَغَائِبُ في الرُكْمِ واضِحَةُ المَحْجَّةُ: [الطويل]

يَظَلُّ بِهَا مُسْتَعِيدَ النُّظْمِ والنُّثْرِ

اجتَلَيْتُ بحَلَبِ مُحْيَاهُ، فأكرمني بَجُودِهِ وَتَدَاهُ، ومدحتُه شكراً لما أَوْلَاهُ: [الكامل]

وكذا الهاشِمِيُّ مثلك لا يُمَدِّحُ إلا بِهَاشِمِيِّ الكَلَامِ

فاستعار «ديواني»، واشتغل بمطالعتِه وانتخابه، وفي أثناء ذلك دَعَوْتُهُ فلم يَجِبْ،

ثم لاقِيَتْهُ فاعتذَرَ بعد عتابه، بأن اشتغاله بالديوان منع من المُلَاقاة، وأنشدني له هذه

الآبيات: [الطويل]

لِلَّوْ يَعْوُقُ النَفْسَ عَنْهُ ولا لَيْتِ

وقد كان فِكْرِي قَبْلَ ذلك كالمَيْتِ

فأَدْخَلُ في بَيْتِ وَأُخْرِجُ من بَيْتِ

وَحَقُّكَ لَمْ أَتْرُكْ زيارَةَ سَيِّدِي

ولكن بديوانٍ له قَمْتُ خادِماً

فأذْهَشَنِي حُسْنُ به ظَلْتُ حائِراً

= بإبراهيم بن المنلا، ورحل إلى القسطنطينية وولي القضاء ثم تقاعد، وولي نيابة القضاء بحلب، توفي بحلب سنة: ١٠٥٦، وعمره: ثلاث وخمسون سنة. انظر هدية العارفين: ١/١٦٠، وخلاصة الأثر: ١/٣١٨-٣٢٤.

القِسْمُ الثَّانِي

في محاسن العصريين من أهل المغرب
وما والاها

٤٤- مولاي أحمد أبو العباس المنصور بالله

ابن الخليفة أبي عبد الله المهدي بن عبد الله القائم بأمر الله الشريف الحسني:
[الكامل]

مِنْ جَوْهَرٍ مِنْهُ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فَعَلِيهِ مِنْ نُورِ الْإِلَهِ بَهَاءُ
مَلِكِ الْآنِ، الْمَطْوُوقُ بِفَضَائِلِهِ وَفَوَاضِلِهِ جِيدَ الزَّمَانِ، أَنَامَ الْأَنَامَ بِبِقِظَةِ جِرَاسَتِهِ فِي
حَرَمٍ، فَقَالُوا فِي ظِلِّ ظَلِيلٍ تَحْتَ رِيَاضِ السَّعْدِ وَالكَرَمِ.
وَعَطَايَاهُ نَمَائِمُ الْفَقْرِ وَاسْمُهُ عُوْدَةُ النَّقْمِ، وَبِشْرُ مُحْيَاةٍ لِكُلِّ نَدَى وَجُودٍ سَلَمٍ. وَلَهُ
شَرَفٌ تَحْسُدُهُ الشَّمْسُ فِي الشَّرْفِ، وَجُودٌ جُودٍ إِذَا وَكَّفَ أَقْلَعَ السَّحَابُ عَنْ مَجَارَاتِهِ
وَكَفَّ.

مَعْدِنٌ مَجِيدٌ وَحَسَبٌ، وَجَوْهَرٌ سِيَادَةٌ وَنَسَبٌ، جَمَعَ بَيْنَ نِزَارِهِ وَمَعَدَهُ، بَاغٌ تَمُدُّ بِهِ
النَّبُوَّةَ وَالْخِلَافَةَ قَبْلَ مَدَّةٍ: [الكامل]

نَسَبٌ تَحْسَبُ الْعُلَا بِحُلَاهُ قَلْدَتْهَا نَجُومُهَا الْجُوزَاءُ^(١)

بَدْرٌ اتَّخَذَ أَفْقَ الْمَغْرِبِ هَالَةً، وَبِحَرِّ أَفَاضٍ عَلَى كُلِّ وَارِدٍ نَوَالِهِ.

لَهُ كِتَابٌ آرَاءِ الْأَلْبَابِ سَلْبُهَا، وَبِوَادِرِ هِمَمٍ لَيْسَ إِلَّا الْأَرْوَاحُ طَلْبُهَا.

لَا تَزَالُ تَخَاطَبُهُ، مِنْ كُلِّ أَمْرِ عَوَاقِبُهُ، بِكَلَامٍ بَيْنَ غَيْبٍ وَوَلِيدٍ، وَحَبِيبٍ وَالْوَلِيدِ^(٢).

أَخْبَرَنَا الْأَدِيبُ الْفِشْتَالِيُّ، بِقُسْطَنْطِينِيَّةَ، أَنَّهُ لَمَّا دَعَتْ وَالِدَهُ شُغُوبٌ، وَوَفَدَتْ عَلَيْهِ

٤٤- مولاي أحمد بن عبد الله بن محمد الشيخ أبو العباس المنصور ابن الخليفة المهدي بن أبي عبد الله القائم بأمر الله، الشريف الحسني، ملك مراكش وفاس، السلطان الأديب العالم، كان حذو قاصباً في نواحي السوس من ديار الغرب ثم وثب على بني حفص، فلم يزل يقاتلهم حتى ملك ديارهم، واستمر يؤسس قواعد ملكه إلى أن مات في سنة: ٩٦٤، جلس ابنه عبد الله ثم تولى الملك بعده ولده محمد أخو أحمد صاحب الترجمة، أظهر أحمد المنصور أنه غير طالت للملك، ثم تولى الملك وحكم ثمانية وعشرين عاماً، وكان سلطاناً عادلاً، عظيم القدر حسن التدبير، أديباً، له شعر جيد، توفي سنة: ١٠١٢. انظر خلاصة الأثر: ٢٢٢/١ - ٢٢٥.

(١) نفحة الريحانة: ٤٥١/٣.
(٢) المقصود: عبيد بن الأبرص، ليبد بن ربيعة، أبو تمام حبيب بن أوس، والوليد البحرني أبو عاتدة

بوارح الخطوب، وجلس أخوه الأكبر في مسند الخلافة وسريرها، وظل مُتَنَزِّهاً في روضتها وغديرها، أظهر أنه للملك غير طالب، وأنفق رأس عمره في فتح كنوز العلم والمطالب.

فلما مات أخوه قام ولده في محله، واستولى عليه الغرورُ بخيله ورجله، فأزخى عليه الشباب، ستارةً حجبت عنه الصواب، وأشار عليه بعض خدامه، بقتل من بقي من أعمامه، ليُضْفِي من قذى الأكدارِ وزده، ولم يذر أن من شرب وحده غصَّ وخذَه، فمدَّ شباك مكائده، وهي من أعظم مصائده، كالحافرِ بظلفه، على مُذِيَّة حَتْفِه: [الطويل]

وأنى تُنجِيه من الشرِّ حيلةً وقد طال ما أودت بمحتالها الحيلُ
فلما علم بذلك مولاي أحمد وجف مع أخيه بجيش من الروم وجيش من عنده، قائلاً: إن ينصركم الله فلا غالب لكم من بعده، فتتمت على ابن أخيه الهزيمة، وعُلقت على جيد تذييره من الخذلان تميمة، فأصبح لعنان عزمه ثانياً، وذهب لملك الفرنسيين فأمده بما رجع به للحرب ثانياً.

فلما التقت الكتيبة السوداء بالكتيبة الخضراء، أقلعت سحابة النقع بعد ما أمطرت ديمة الدماء الحمراء، فكم أسير في غل ندمه، وقتيل طلع بدره في شفق دمه: [الطويل]
فما أكثر القتلى وما أزرخص الأسرى

فولج البحر وأغرق نفسه في مائه الغمر، وقال طقْصِيرُ عُمَرِه بِيَدِي لا بِيَدِ عَمْرُو^(١).
فقلصت السعادة عنه ظلها، وعقد النحس له عُقدة لم يذكر عاقدها حلها، وملة الملوان، وضحك على أمليه الخذلان، فتبرجت لأحمد عروس تلك الممالك مهتأة بالرِّفاء والبنين، وأمسث ثغورها لثور محياه ضواجك متهللة بالفتح المبين.

فما ألم بتلك الثغور قَلْح^(٢) إلا جلاه بمساويك الرِّماح، ولا نبض عرق كفر إلا فصده بمباضع الصِّفاح.

مع دخوله بيوت الفضل من أبوابها، وتحليه دون ملوك الزمان بحلي آدابها، حتى إنه كان يحضر دروسها، ويحيي بمنطقه الرائق دروسها، ويُطَلِّع في سماء ديوانه شمسها.
وله شعر وإنشا، بهما طرازُ المجدِ موشى، فهو ربُّ السيفِ والطيلسان، والقلم المسدِّدِ والسنان.

(١) «بيدي لا بيد ابن عدي»، وهو عمر بن عدي بن نصر، ابن أخت جذيمة الأبرش حينما أراد أن يثأر لمقتل جذيمة الأبرش قائلة الزبلاء وهي تقتل نفسها بأن مضت خاتمها وكان فيه السم، انظر القصة كاملة في معجم الأمثال في المثل: «خطب يسير في خطب كبير» رقم ١٢٥، ومعجم الأمثال: ٢٣٣/١.

(٢) القلح: صفرة تعلق الأسنان.

لا زال المغربُ به كامل الأهلّة، والشمسُ تسعى له لتُخدِم بالسَّعد مَحَلَّهُ.

فمن عَقْدَه المنظوم، ورجيق أدبه المختوم، قوله: [الطويل]

حرامٌ على طَرْفٍ يراهُ منامٌ وحلٌّ لجسمٍ قد جفاهُ سِقامٌ
وكيف بقلبٍ في هواهُ مُقلَّبٌ وأتى له بينَ الضَّلوعِ مُقامٌ
فيا شادِناً يزعى الحشاً أنتَ بالحشاً أما لِمَحَلٍّ أنتَ فيه ذِمَامٌ^(١)

وأحسن من هذا قول الأَرَجَانِي^(٢)، في معناه: [الرجز]

يزمِي فُوَادِي وهو في سَوْدَائِهِ أترأهُ لا يَخْشَى على حَوْبَائِهِ
ومن البليّةِ وهو يزمي نفسه أن يطمعَ المُشتاقُ في إنقائِهِ
وها هنا نكتة أدبية، وهو أن الأَرَجَانِي أخذ هذا المعنى من قول الحماسِي^(٣):

[الكامل]

قومي هم قتلوا أَمِينِمْ أَخِي فإذا رميتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي

إلا أن هذا لا يُعدُّ سرقة، وإنما هو توليد وانتقال من معنى لآخر يضاويه، وهو من سحر البلاغة، واستخراج مُخبّات كنوز المعاني، وقلٌّ من يهتدي إليه لِدَقَّتِهِ.

وكانت بعضُ حظاياها عليه غَضَبِي، وهي مُجَرَّدَةٌ عليه من صَوَارِمٍ هجرها عَضْبًا، فهَدَى له حَرَسِيٌّ وردةً من بستانِهِ، وحيّاه بِبَشِيرِ الربيعِ بنشرها قبل أوّانِهِ، فأرسلها إليها مع أبياتٍ يشترضيها، ويستعطفُ غصنَ قامتها بنسيم العتابِ وَيَسْتَعْفِيها^(٤): [الكامل]

واقى بها البستانُ صِنُوكِ وردةً يقضي بها لما مَطَلتِ عهدًا
أهدى البَهَارَ محاجراً وأتى بها في وقتِهِ كيما تكونَ خُدودًا
فبعثتها مُرتادَةً بنسيمها تُثْنِي من الرُّوضِ التُّضِيرِ قُدودًا
وهو في هذا كمن أهدى للبحرِ الدُّرَّ، بل للرُّوضِ الزُّهْرَ، ولا لأقول التَّمْرَ لِهَجْرٍ.
وقوله أيضاً: [السريع]

لا وطرفٍ علّمَ السيفَ فَنَدَ في قَوامِ كَفْنَا الخَطِّ مَيْدَ^(٥)
ووميضٍ لاحَ لِمَا ابتسمتُ من ثَنّايَا مثلِ دُرٍّ أو بَرَدَ
ما هلالُ الأفقِ إلا حاسدٌ لِعُلاها وبهاها والغَيْدُ
ولذا صار ضئيلاً ناجلاً

(١) خلاصة الأثر: ٢٢٣/١ .

(٢) ديوانه: ٨، وخلاصة الأثر: ٢٢٣/١ .

(٣) ديوان الحماسة (شرح التبريزي) ٦٤/١، والبيت للمحارث بن وعلّة الجزمي.

(٤) الأبيات في خلاصة الأثر: ٢٢٥/١ .

(٥) خلاصة الأثر: ٢٢٤/١، في البيت الأخير (عليلاً ناحلاً).

وللقطب المكي على منواله: [السريع]

لا وفزع كدجى الليل غسق
ومحيا كليف البدر به
ما أرى الغزلان إلا سرقت
ثم خافت فتولت شرداً
ومما نسجته على منواله: [السريع]
لا وغصن راق للطرف ورق
وشموس لم تغيب عن ناظري
وعيون حرمث نومي وما
ما اخمراز الراح إلا خجلاً
والذي قد حسبه حبيباً
وجبين ضوءه ضوئ الفلق
وحدود من حوالها شفق
منك جيداً والتفاتاً وحدق
كيف لا يشرد خوفاً من سرق
وعليه حلل اللطف ورق
والشعور الليل والخد الشفق
حللت لي غير دمعي والأرق
من رضاب سكرت منه الحدق
فوق خد الكاس قطرات العرق

تبيه

هذا القسم عدّه أهل البديع من المحسنات كقول عبد الله بن المعتز: [م. الرمل]
لا ورمان النهود
وعناقيد من الصد
ورسول جاء بالميد
ونعيم من وصال
ما رأث عيني كعيد
وقد أشار إليه في «الكشاف» ولم يفهمه كثير من الأدباء؛ لأنه من المعاني
الوضعية، فلا وجه لجعلها محسنة.

وقد بينه الإمام المرزوقي بما لا مزيد عليه، في شرح قوله^(١): [الكامل]
بقيت وفري وانحرفت عن الغلا
إن لم أشن على ابن حرب غارة
فأشار إلى أنه جعل ما يذم به من الصفات، سواء اتهم اتصافه بها أم لا؛ لغاية تنفّره
عنه، بمنزلة المصائب العظيمة عنده، ثم يجعل مقسماً به، تأكيداً لعظيم فظاعته، ففيه
كناية على كناية، أو كناية مرتبة على المجاز، وهو كثير، كقوله: [الطويل]

(١) حماسة أبي تمام (شرح التبريزي) ٤٠/١، والبيتان للأشتر النخعي، والمقصود بابن حرب: معاوية بن أبي سفيان.

لئن كان ما بُلغْتَ عني فلامني صديقي شلت من يدي الأناملُ
وهذا هو القسم المعدود من المُحسّنات، وكذلك إذا أقسم على الشيء بنفسه، أو
بمساويه، كقوله: [الكامل]

وئنساياك إنهما إغريض^(١)

وقد ذكره الزّجاج، وفيه مباحثُ آخر، ليس هذا محلّها.

وأخبرني الأديب الفشتالي، أنه أنشده يوماً قول الأبيوزدي^(٢): [الوافر]

ولو أنني جعلتُ أميرَ جيشٍ لما حاربتُ إلا بالسؤالِ

فقال صاحب الترجمة: لو كان الشعرُ لي لقلتُ: [الوافر]

ولو أنني جعلتُ أميرَ جيشٍ لما حاربتُ إلا بالسؤالِ^(٣)

وفي معناه قولي في بعض الرسائل: أعزُّ حصون العباد، ظهورُ المُطهّمة الجياد،
وخيرٌ من ذبِّ عنك العدى، مَنْ ملكت قلبه بالندى.

ونحوه قولي: [المتقارب]

بئيتُ حصوناً تصون العُلاً إذا ما بناء المملوك أنهدم

حصوناً من العدل من حولها خنادق فيها مياه الكرم

ولابن الرومي^(٤)، من قصيدة له: [الطويل]

وحارب من نغمائه ريبَ دهره من البرّ والمعروف جندٌ مجنّد

ولما بلغه «شرح توضيح ابن هشام»، الذي صنّفه الأستاذ الخال، في مجلدات،

أرسل إليه عطيةً جزيلة، ورجا منه إرسال نسخة منه.

وصورة ما كتبه إليه:

من عبد الله المجاهد في سبيله، الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين، الشريف

الحسني، أمد الله بعزیز نصره وأمره، وظفر بنصره عساكره.

إلى الفاضل الذي إذا نحا من العلوم نحواً رفع علمه توضيحاً، وجاز تالياً وهو

(١) صدر بيت لأبي تمام وعجزه:

ولآلِ تُسومٍ وبسُوقٍ ومبـ

ديوانه (شرح التبريزي) ٢٨٧/٢ .

(٢) انظر خلاصة الأثر: ٢٢٤/١، ونفحة الريحانة: ٣٧١/٤ .

(٣) قال الخفاجي: «أين كلام سائل حلّ السؤال من كلام ملك يملك القلوب بالنوال» خلاصة الأثر:
٢٢٥/١ .

(٤) ابن الرومي هذا: «أحمد ابن الرومي، ذكره المحبي في خلاصة الأثر: ٢٢٥/١، والبيت من قصيدة مشهورة طويلة».

المُقدِّم، ما تمحَّض من الخلاصة تثقيحاً، وشرح ماخفي إبانةً وتصريحاً، الفقيه المثيل، الثَّبيهِ الثَّبيِل، المُتقِن المتفَنِّن، لآزال يُعمر من دَسَتِ العلم مِنصَّه، يُعَمِل في مَيدانِها وَخَدَه وَنَصَّه.

سلامٌ عليكم، ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمدِ الله الذي ألهم تثقيفَ أودِ اللُّسان، وفتق منه بالبيان رثقاً، وصرِّف حِكْمَةَ الإغراب على ألسنة الأعراب، فامتدَّ شأؤها في مجال الإبانة طلقاً، وأجرى جِياد مَقاييسِه المُطرِدة فلم يتخلف لاحقٌ عن متقدِّمٍ سَبَقاً.

والصَّلَاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي أَرَصَدَه سَبباً للسعادة سفيراً، ودَحَضَ به قوادِمَ الشُّرك فأصبح مَهِيضاً كسيراً، وأعاض جمعَه من السَّلَامَةِ تكسيراً، والرُّضا عن آلِه وأسرته الغُرُّ الزُّهر الذين يَنُمُّ شذا ذكْرِهِم عَبيراً، ويروق طِرازُ مجدِهِم حَبيراً.

وعن أصحابه الأعلام، الذين فضوا حَلَقَ الضَّلالةِ المُسرُودة، ولقيت من عاصف بأسِهِم مُبيداً مُبيراً.

وصيلةُ الدُّعاء لعلِّي هذا المقام الأحمدي المنصوري الحسني بنصرٍ عزيزٍ يقطف من الفتح زهرات الكمائم، وسعدٍ جديد لا يزال قرينَ عَزَماتِه الماضية ما انقذح بَرَقٌ في مُسكَّةِ الغمائم، فكتبناه لكم من حضرة مَرَاكش، حاطها الله، وصنائعُ الله تعالى لهذا الجناب الثبوي الكريم المولوي مُطرِدة أطراد كُعبِ الذَّابل^(١)، وأمدادُ عنايةِ المُطيفة المُخدِّقة بهذه الإيالة^(٢) العلية واكفة الغمام الوابل.

هذا، وإنه قد أتصل بنا ما تعرَّفنا به حُسنَ مثابِكُم، وإرسالكم لعلِّي هذا المقام، وأنكم ممن ارتشف مُجاجةً لثته المسكئة الختام، واستوفى إيماضَ عنايةِ البارِعةِ الشَّارق، وشامَ حَيَاها الواكف غيرَ خُلْبِ البارِق، ليُقَمِّص من قُمصِها الموشى أُنيقَ الشَّارة، ويستشف في حِزبٍ من حلٍّ منها علويِّ دارَة.

وإلى هذا فتعرَّفوا أن أمثالكم من حَمَلَةِ المعارف، المتفَيِّنين لظُلها الوارف، مُتَمِّم لهم في هذا الجناب قسَطُ الثَّباهة بين وثرٍ وشَفَع، ونداءُ أعلامِهِم في هذا الباب لم يزل نداءً رَفَع، وجَنَى الكرامة داني الاهتِصار، وحظُّهم منها الإسهاب الذي لا يُخلُّ به اقتِصابٌ واقتِصار، وفتُّهم المتحيِّزة إلى هذا المقام لم تزل بالعناية محفوفة، تتعرَّف من ثنويه المقدار مزيته وشُفوقه.

(١) الذابل: الرمح الدقيق.

(٢) الإيال: الوادي، أو قطعة من أرض الدولة يحكمها والٍ من قبل السلطان.

وأما الغرض الذي يُمتمُّم، والقصد الذي به أُلْمِتمُّم، من خِدمة خِزانتِنَا العليَّة بتصنيفِكُم المُنقح الفُصول، المُحرَّر الفروع والأُصول، «شرح توضيح العلامة ابن هشام»، الذي أبرَز منه مكثوَنه حَتَّى استنار بعد اِكْتِتام، وتَرَكَ ذَكَرَ خالِدٍ غيرَ خالِد، ونسخَ من صِيَتِه الطَّرِيفَ والتَّالِد، فلِكُم التَّصريحُ في الحَقِيقَة، والتَّفَرُّد بِمُستتِر الإضمار، وسابِقُ الحَلْبَة إِنَّمَا يُعَرَّفَ آخِرَ المِضمار، فقد وَقَعَ من مَحَلُّنا الكَرِيم مَوْقِعَ القَبُول، وهَبَّ لَه من إِثَارنا كُلُّ صَبَأٍ وَقَبُول، وتوفَّرت داعيةُ رَغِبَتِنَا في إِتْمامِه، وإطْلَاع جَنَى زَهْرَاتِه من أَكْمامِه، لِيَتَسَقَّ إن شاء اللهُ تعالى في سِلْكِ خِزانتِنَا العليَّة اسْمُه، ويثبَّت بِحمدِ اللهِ في فَهارسِها الكَرِيمَة رَسْمُه.

واللهُ تعالى يسدُّد لِكُم في عَرَضِ التَّوفيقِ مَرامِيأ، ويجعلُ قِسْطَكُم من التَّشديدِ زاكِيأ ونامِيأ. والسلام.

فصل

المكتوب له هذا المنشور العالي، هو أستاذي وخالي، علامة العصر في سائر الفنون، وسيرُ الدهر الذي كان في ضميره عن النقص مضمون.
سبيوته عصره، وشافعي زمانه في مضره.
تحفة عطارده، وهدية الفلك لكل ماجد.
صاحب الحسب والنسب، الزاهد العابد، الذي لم تمض له طرفة عين في غير طلب الفوائد.

تخرج على والدي، ثم لازم العلامة أحمد بن قاسم، والعلامة الشمس الرملي^(١).
ثم بعدهما انتهت إليه الرياسة العلمية، وصدرُ الإفادة والتأليف والتصنيف.
وبه تخرجت، وبعلمه وبركة دعائه انتفعت.
قدس الله تعالى روحه، وجاد بسحب الرحمة ضريحه:

٤٥- أبو بكر بن إسماعيل بن شهاب الدين

القطب، الرباني، الشنوني، الوفاي

وجده الأعلى ابن عم السيد علي الشريف الوفاي، التونسي منشأ ومولدا.

(١) شمس الدين الرملي هو: محمد بن أحمد بن حمزة، توفي سنة: ١٠٠٤، انظر خلاصة الأثر: ٣/ ٣٤٢.

٤٥- أبو بكر بن إسماعيل بن شهاب الدين عمر بن علي بن وفاء الشنواني الشريف التونسي الأصل -

بحر العربية الذي استمدت منه جداول الفضائل، وروض الكمال الذي قامت له الأغصان على سوقها في الخمائل.

لو رآه المُبرّد برّد به الغليل، أو أحمد لقال: أفدي «بالعين» هذا الخليل.

فكم قرط وشنّف، وألف وصنّف.

لم أذر أماء الحياة أخلّى أم بحار راحته، أم ما جرى في ظلمات نفسه^(١) المُكتحل من عين دواته.

أما ترى القلم بغير روح مسّه فمشى، وطرز حُلل القراطيس ووشى.

في طرسه جداول تشعبت أنهارها، ونبت من السطور على حافتها رياضها وأزهارها وأنوارها: [الكامل]

فكان الزهور فيها شموعٌ ولذا قيل إنها أنوارٌ وهو لعمرى ممن تشرفت الصفات بذاته، ولذا سُميت بالتوابع، وتحيرت العبارات في بديع صفاته، إذ رأته ما لم تره عيون المطامع.

وهو والدي وأستاذه وخالي، ومن التأم في زمن الطلب به شعث حالي. وهو كما سمعته تلمذ لأبي وتخرج بابن قاسم^(٢)، وهو الرُخلة العلامة الذي هو لعقد الفضل في جيد الدهر ناظم.

وله تصانيف كثيرة شهيرة كـ «شرح التوضيح» الذي قرط به آذان الدهر، وتوج به رأس الكمال وهامة الفخر، ونظم به في جيد الفضل قلائد السطور، فافتضحت حلاوة «القطر» وانتثرت طلاوة «الشدور»^(٣): [الخفيف]

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار
وكنت كتبت إليه مكاتيب بعد رحلتي، وأسر الزمان لي في طول غزيتي، منها مكتوب صورته: [الكامل]

وجد الصبا للعاشقين رسولاً فشفى بإهداء السلام عليلاً

= والمصري المولد والدار، الشافعي، هو خال الشهاب الخفاجي، توفي سنة ١٠١٩، نسب إلى مدينة شنوان وبها ولد، كان إماماً في النحو تشد إليه الرحال، اشتغل بالتأليف وله كثير منها: شرح توضيح ابن هشام، وحاشية على شرح الأزهرية، والذرة الشنوانية على شرح الأجرومية في علم العربية، وغيرها كثير، ابتلى في أواخر حياته فمكث فيه سنين، انظر خلاصة الأثر: ٧٩/١، وهدية العارفين: ٢٣٩/١.

(١) النَّفْسُ: المداد يكتب به.

(٢) هو أحمد بن قاسم الصباغ الأزهرى، شهاب الدين من كبار علماء مصر، توفي بمكة سنة: ٩٩٢، انظر تراجم الأعيان: ٦٢/١.

(٣) إشارة إلى كتابي ابن هشام: قطر الندى وبل الصدى، وشدور الذهب.

قُلْ لِلأَجِبَّةِ أَنْتُمْ مَذْغِبْتُمْ لَمْ أَلْقَ وَجْهًا لِلسُّلُوكِ جَمِيلًا
فَخَلَعْتُ أَيَّامَ الوِصَالِ قَصِيرَةً وَلَيْسَتْ لَيْلًا لِلهُمُومِ طَوِيلًا

حرسَ الله تلكَ الذاتَ التي بَدَرُها لا يُخشى سِرارُه، لازالت مُشرقَةً في سماءِ المعالي أنوارُه، وكَلَّا منها روضَ كمالِ المجدِ أوراقُه وثمارُه، وسقاها من وَسْمِي النِّعماءِ كلَّ صَيْبٍ مُغْدِقٍ، بَلْ مِنْ وَلِيِّ سَجَاياها ما يَزْهُو به خِضْبُ كلِّ ربيعٍ ويُورِقُ، وحيًا اللهُ ذلكَ المُحيًا، وروى مواطنَ موطنِه التي يفاخِرُ بها ثِراءُ الثُّرَيَّا.

لازالت الفضلاءُ لا تُصرفُ عن نادِيه؛ لأنه مُنتَهَى جُموعِها، ولا برحت الفضائلُ من سُحبِ بَنانِه مُخضِباً ربيعُ رُبوعِها، كما قلتُ في قصيدةٍ تمسَّكتُ بأذيالِ أفضالِه، وتمسَّكتُ بغيرِ نَسَماتِ إقبالِه: [الكامل]

فرائدُ تزهُو في تَرائِبِ مَذْجِه وَعندي لولا الجِيدُ ما حَسُنَ العِقدُ
سقى اللهُ هاتيكَ الرُّبَا سُحْبَ راحِه لها نَسَماتٌ من عواطِفِه تَخدو
وإنَّ بِقاعاً قد سقاها بَنانُه لِيُثْبِتُ في أَرجائِها الفِخْرُ والمِجدُ

وأنا أسألُ اللهُ تعالى أن يُطْفِئَ من البُعدِ ضِرامَ صَداه، بِمُشاهدةِ ذلكَ الوجهِ الذي يقطُرُ منه ماءُ بِشرِه ونَداه، وَيُحَكِّمَ في عاتِقِ الفِراقِ، سيوفَ التُّداني والثَّلَاقِ، فإنَّ العبدَ مادام في أسْرِ البُعدِ، فِكْرُه محبوبٌ في سجنِ الغرامِ والوجدِ، مُتعلِّقٌ به أشراكُ التَّوى والثَّوابِ، فهو جازِمٌ بالألّا يُرفَعُ حِجابُ هَمِّه النَّاصِبِ.

وكيف لا، وإناءُ القلبِ مملوءٌ بولائِك، وثوبُ الحياةِ لُحْمُه وسَداه^(١) منسوخٌ بيدِ نَعْمائِك، فانتَ نُورُ حَدَقَةِ الزُّمانِ، ونورُ حَديقةِ الجِنانِ، والسلام.

فكتبَ إليّ، رحمه اللهُ^(٢): [الطويل]

سَلامٌ سَداهُ يَمَلأُ الأَرْضَ نَفْحَةً تُبَلِّغُها مِنِّي إِلَيْكَ يَدُ الصُّبَا
وتَحْمِلُها هُوجُ الرِّياحِ إلى العُلا وتُنشُرُها في الأَرْضِ شِرقاً ومَغرباً^(٣)
وسَقَى ديارَ الرُّومِ والجَوَّ عابِسَ رِذاذِ كَمالِ حُلِّ فيها وطَنباً^(٤)
ورَدَّ عليه العَينُ لُؤلؤَ حَلِيه ففَضَضَ هَاماتِ الثِّباتِ وذَهَباً
لِئنَ كانَ عن مِضِرِّ تواري شِهابُها فقد لَاحَ في دارِ الخِلافَةِ كَوَكَباً
وما كانَ تَأخِيرِي جِوابَكَ عن قَلِي ولكنَّ ضَغفِي للقَريحَةِ شِيباً
وشَرِقَنِي دَمعُ الأَسى وأَهاضِنِي على أنْ قَلبِي مِن فِراقِكَ غَرَباً

(١) اللُّحْمَةُ: خيوطُ النسيجِ العرضيةِ يُلحَمُ بها السدى وهي الخيوطُ الطولية.

(٢) خلاصة الأثر: ٨٠/١.

(٣) في الخلاصة: «وتحملة هوج الرياح... وتنشره».

(٤) في الخلاصة: «وسقى ديار الروم».

نأث بك يا قس الفصاحة بلدة وخلفتني بعد الفراق مُعذِّبًا
فليت الذي شقَّ القلوب يرُمُّها وليت الذي ساق القطيعة قَرِّبًا
سلام كعزف الرُّوض جزَّ عليه التَّسِيم ذيلَه، بعدما باتت كؤوس القطر تُدار عليه
نهارَه وليلَه، فأشرقَت شمسُ نهاره على الرُّوابي والبِطاح، وأقبلت ترشفت ريقَ الغواصي
من شفاه الشَّقِيق وثنايا الأَقاح، ونشر كافورُ الطَّل مسكِي الشَّدَى على مجامرِ الجُلنارِ،
ونصبت على نديِّ الندى سُرادِقَات من مُخيَّمات الأشجار.

يُهدى إلى من ألقث إليه العلومُ مقاليدَها، وملك من التَّحقيقاتِ الفِكرية طارِقها
وتليدَها، أفصحُ من وُشَى وجوه الطُّروس بخطوط المعارف، وأشبَل على عرائس
الألفاظِ فواضِل المطارف.

لا زالت عوارفُ المعارفِ عليه مُنهَّلة، وذيولُ مجده من بحار المكارم مُبتلَّة.

وبعد، فقد ورد علينا المشرفُ الكريم، فالقينا عليه عصا التَّسليم، واجتئنا من
قُطوفه الدَّانية بأكورة التَّسجيع، وتصيَّدنا من عُصون همزاته حمايمَ التَّرجيع، ورأينا قد
اشتمل على عشبِ أرقُّ من دَمعة الكئيب، والطف من مُعاتبَةِ الحبيب للحبيب.

غيرَ أن عُدري مقبولٌ لا يُردِّ، وطولُ الأسي رَفِيقٌ لا يودِّ، فإن المرض لا زمني منذ
سنواتٍ ملازمة التُّجوم الأفلاك، ونصبَ لصيد الصُّحَّة فِخاخه والشِّباك، لا يُفارقني إلا
مفارقة الجفن للعين، كأنه غريمٌ مُلِحٌ له عليَّ دينٍ: [الواقر].

كَأَنَّ السُّقْمَ مُحتاجٌ لجسْمِي فما يثَقُّ عنه قَيْدٌ شِبْرٍ
إن أردتُ القيامَ من مَضَجِي فلا بُدُّ من مُعين، وإن مشيتُ فلا أستغني عن عصاٍ وقَرِين.
رفضتُ يدي القلمَ وطالما حملته، وجفا يميني بعد ما أضعفته من جداول النِّوال
وغدته.

وارتَعشتُ اليدُ لفراقه أسفاً وندماً، وصار وُجْدان الطُّروس بعده عدماً، وأصبحتُ
كأني من أهل الكهف والرُّقيم^(١)، لا أعرف كم لبثتُ من السنين، وإن كان عندي المُقعد
المُقيم، والسلام.

وما شكاه في كتابه، فالج رماه بأوصابه، في دهر أثقله بمصائبه، وعضه بأنيابِ
نوائبه، فكساه لباسَ البأسِ والضَّرِّ، وخلع ثوبَ الحياة، فقال^(٢): [المتقارب]

فثوباً لبستُ وثوباً أُجرَ

(١) الرُّقيم: الكتاب، أو قرية أصحاب الكهف أو جبلهم أو كلبهم أو الوادي أو الصخرة، أو لوح
رصاص نقش فيه نسبهم وأسمائهم ودينهم وممن هربوا، أو اللوح، وفي التنزيل: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ
أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرُّؤَيْمِ كَانُوا مِنَّا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩].

(٢) عجز بيت لامرئ القيس، وصدرة:

فلما دنوت تسديتها

وقلتُ لما أتى نعيُّ وفاته، مُضمَّناً^(١): [الرمل]

رحمَ اللهَ أُوحدَ الدَّهرِ مَنْ قد كان من جليّةِ الفضائلِ حالي
ذاك مَنْ قلتُ سَلوَةً إذ نَعُوهُ لَيْسَ حَيٌّ على المَمُوتِ بِخَالٍ
والمصراع الأخير شاهدٌ لترخيم خالد، كما ذكره النُّحاة^(٢).

ولما جاء نعيُّ الخال، أُخبرت بموتِ الوالد أيضاً، فقلتُ في مرثيةٍ له: [الطويل]
كَأَنَّ اللَّيالي غالطَني ولم أَكُنْ أَقدِّرُ أنْ أغتَرَّ بالمَكْرِ والجَيْلِ
فقالَتْ إذا أعطيتُكَ الأمانَ عاجلاً من الرُّزءِ هل ترضى فقلتُ لها أَجَلُ
فجاءتُ بفَقْدِي لِلَّذينَ أَحَبُّهُمُ وقالَتْ لهذا كُنْتُ أَغني فلا تَسَلْ
لأنِّي لا أَخشى مُصاباً بَعِيداً ذَا فَللهِ رَبُّ الحادِثاتِ وما فَعَلْ

وهذا معنى مشهور في كلام فصحاء العرب، ولكنني تصرّفتُ فيه، مع تسمية النوع، تصرفاً يعرف حسنه من ذاق حلاوة الأدب.

وفي هذا المعنى يقول الصوليّ: [م. الكامل]

كُنْتُ السُّوادَ لِمُثَلِّةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ وناظِرُ
مَنْ شاءَ بَعْدَكَ فَلَيْمُتْ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحاذِرُ

وهو رثاءٌ في ابنِ له، وأخطأ صاحب «المواهب اللدنية» إذ زعم أنه رثاءٌ في النبي ﷺ، وعزاه لغيرِ قائله^(٣).

وفي معناه قولُ الآخر: [البيط]

فكلُّ ما كُنْتُ أَخشَى قد أَصَبْتُ بِهِ فليس بَعْدَهُمُ مِنْ فائِتِ جَزَعُ
وقال آخر: [م. الكامل]

اغْتَضَّتْ باليأسِ مِنْهُ صَبِراً اغتَضَّتْ أرجو ولستُ أَخشى
فَلستُ أرجو ولستُ أَخشى فليَجْهِدِ الدَّهْرُ في مُصابِي
وقال أشجع: [الطويل]

فما أنا مِنْ رُزءٍ وإنْ جَلُّ جازِعُ ولا بِسُرورٍ بَعْدَ مَوْتِكَ فارِحُ
وقال غيره: [البيط]

(١) خلاصة الأثر: ٨١/١ .

(٢) الترخيم في النحو هو ترخيم الاسم في النداء بحذف آخره تسهلاً للنطق به، كقول امرئ القيس:

أفأطم مهلاً.....

(٣) عزاه صاحب المواهب إلى حسان بن ثابت، المواهب اللدنية: ٣٨٧/٨ .

لَعْمَرِي لئن كُنَّا فَقَدْنَاكَ سِيداً يَحِقُّ لَنَا طُولَ التَّحْزُنِ وَالهِلْغِ
 لَقَدْ جَرَّ نَفْعاً فَقَدْنَا لَكَ إِنَّا أَمِنَّا عَلَى كُلِّ الرَّزَايَا مِنَ الْجَزَعِ
 وقيل لأمّ الهيثم - وهي امرأة مع بلاغتها لها علم باللُّغة، والأزهرية كثيراً ما ينقل
 عنها في «تهذيبه» - لما مات ابنها: ما أسرع ما سلوت عن الهيثم!
 فقالت: أما والله، لقد رزئته كالبدر في بهائه، والسيف في مضائه، والرُمح في
 روائه، والله، لقد فريت كبدي، وتصدع قلبي لفقده ويغده، وما اعتضت به إلا الأمن
 من الرزايا بعده.

وقد أوضح هذا المعنى القائل: [البيسط]

وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ لَا يَرَى مَا يَسُوؤُهُ فَلَا يَتَّخِذُ شَيْئاً يَخَافُ لَهُ فَقْدَا
 وهو باب واسع، لو أردنا نظائره سحبتنا ذيل المقال، على أثر الملال، فلنقتصر
 على مقدار الكفاية منه.

٤٦ - محمد الفشتالي^(١)

وزير مولاي أحمد

أديب فاس، وزينة فضلائها الأكياس.

تقدم فيها متقلداً قِلادة إنشائها، فائقاً برسائله على سائر أدبائها.

وكان في عصره من أجل وزرائها، رافلاً في حُلل الحُبور، تَبَسَمَ له الدولة
 الأحمديّة بثغور الشرور.

وعاد إلى القُسطنطينية رسولاً من ملك الغرب والعود أحمد، مُعِيناً للسفارة وهل
 أحد أولى بالرسالة من محمد؛ لأنه ممن ألقى إليه مقاليد النهى البشر، وسلّمته إليه يد
 التدبير مفاتيح الرأي والحذر.

وكان بها كثيراً ما يجلو عليّ كأس أنسه، ويسامرني بليل سمره ونفسه، ونحن في
 مضمار المحاورنة نتجاري، حتى مضى لنا معه أوقات أقصر من إبهام القطاة والحباري،
 وأقصر من عُمر تلاقى الأخباب، بل سالفة الذباب؛ لأنه ممن أحكم عرى المجد،
 وجذب عنان الشعر وأحكم الحل والعقد.

فكنت إذا جاذبته أهداب الآداب، وأجلت في نأديه قِداح الخطاب، كأني جاث بين
 يدي الفرزدق أو جرير، لأنه بصير بعورات الكلام خبير.

(١) لم أعر له على ترجمة.

ولما ورد الرُّوم، كتبتُ له مُهنئاً بالقدوم: [البسيط]

قُدومٌ له هذي الثُّغورُ بواسِمُ وليس له غيرُ الزُّهورِ مَباسِمُ
مَسرَّاتُ إقبالٍ وعزْمُ قوادِمِ عليها لِطَيرِ اليُمنِ رَقَّتْ قوادِمُ
على فَترةٍ وافيتَ للرُّومِ مُرسِلاً فضاءتْ بثورِ العلمِ منها المعالِمُ
فهل أهدتِ الأيامُ أعيادها لنا ففي كلِّ وقتٍ مذ قدِمْتَ مواسِمُ

هذا هناءٌ عرائسه على الألباب مجلوة، وآياته المُحكِّمة بلسان الزمان مثلوة، سُرَّتْ به الليالي والأيام، حتَّى كأنه في فم الدنيا ابتسام.

ولعمري لقد أبان هذا الرسولُ من المرسل كماله، ولا غرؤ أن خصَّ محمد في زماننا بالرسالة. قُدومٌ ذهبَ الأفقُ في البُكرِ والآصال، وهبَّتْ على رياضِ مجده نسماتُ الإقبال. وقد جريتُ في هذه التهنئة من الأدب على سنِّه، وأردتُ أن تُحيي بها فرائضَ مذهبه ومؤكداتُ سنِّه.

فمن مولانا تُجتنى ثمراتُ الألباب، وتطرِّزُ حُللَ المعارفِ والآداب.

فهذا زمان طلعت فيه شمسُ الفضلِ من مغربها، فإن فتح مولانا كنوزَ فكره فالعبدُ أحقُّ بمطلبها، والسلام.

فأجاب بقوله: [الخفيف]

جذيلٌ حكاكٍ قد رمى بعظيمةٍ كثالثة الأثفى وهنَّ عظامه^(١)
وذكرني الظغن الذي قد نسيته فتى مُبشِّرٌ بل مُنذرٌ لا يقومه
كأني بالفضل الذي هو أهله يُغطي عراقاً وهو بالنقص عالم

طالعتُ، أبقاكم الله، السحاة^(٢) التي لو رآها الفتح^(٣) لما انفتح له إلى الإحسان باب، ولو طالعتها البديع^(٤) ما ارتدى ممن مميسه بجلباب.

أقسم بتلك الفقر والقوافي، وهنَّ القوادِمُ في جناح الإحسان والخوافي، لقد سفتني من الأنس بعد الصُخو كاساً دهاقاً^(٥)، وملأتُ فكري وهو المظلم بتنائلي السكُنِ إخماءً وإشراقاً.

(١) جذيلها المحكك: الجذل: عود ينصب للإبل الجزلي لتحتك به، ويقال: إنه لجدل حكاك، وهو جذيلها المحكك: لمن يستشفى برأيه، وثالثة الأثافي: الأثفية: أحد حجار ثلاثة توضع على القدر، وثالثة الأثافي: حرف الجبل يجعل إلى جنبه أثفتان، ويقال: رماه بثالثة الأثافي: يدهبه كالجبل.

(٢) السحاة: ما أخذ من القرطاس.

(٣) يعني به: الفتح بن خاقان الكاتب المؤرخ، المتوفى سنة: ٥٢٨ هـ.

(٤) يعني به: أحمد بن الحسين، بديع الزمان الهمداني، المتوفى سنة: ٣٩٨ هـ.

(٥) كاساً دهاقاً: مملئة.

وإني لتاركٍ لِعتابِ اللَّيالي، إذ جَمَعْتنا في هذه الدِّيارِ بِأَمْثالِكُمْ، لازلْتُمْ تُقِيمونَ
رسومَ المعالي، وتجمعون في المكارم بين المقدَّم والتَّالي، بِمَنِّه وطَوْلِه.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وله ماء شِعْرٍ تشربُه أفواهُ الأسماع، ورياضُ منشورٍ تُغرِّدُ حمائمٌ قوافيه بِمُطربِ
الأشجاع.

فمما دارَ بيّني وبينه من كُؤوسِ المخاطبة، وجمال من جِيادِ القَوْلِ في مِضمارِ
المُكاتبَةِ، وأنا مسجونٌ بالرُّومِ، وليس لي غيرُ القضاءِ والقدرِ سَجَّان، في ديارٍ ترى
العربيَّ فيها غريبَ الوجهِ واليدِ واللِّسانِ، قَوْلِي مُلغِزاً في حَبَّاتِ الأَحْقافِ، المُلتقَّةُ تحتَ
أغصانِ المعاطِفِ على كُتُبِ الأزْدافِ: [م. الرمل]

أيا رَوْضاً لَه ظِلُّ	وشمسٌ معارفٍ تعلُّو
ويا مَنْ قَوْلُه فَضْلٌ	وعُنْصُرُ ذاتِه فَضْلٌ
أبْنُ لي ما مُقَيِّدَةٌ	بِرِذْفِ مالِه وَضْلٌ
بلا قلبٍ مُحجَّبةٌ	ومنها العَقْدُ والحَلُّ
على بابِ المَسْرَةِ أو	على كَنْزِ الهوى قُفْلٌ
ويحسنُ عَقْدُها لکن	إذا حلَّتْها تخلُّو
فأجاب، وأجاد: [م. الرمل]	

وفكرٍ طَلُّه وَبِلُّ	لنَّذِبِ فَضْلُه أضلُّ
ونظم أَرْفَعُ الشُّهْبِ	لأذِنِي قَدْرِه نَعْلُ
لهذِي فَتَكَّةُ بِكُرُّ	عَتا في بَدئِها نَضْلُ
وحزْتُم قَصَبِ السَّبِقِ	فلم يَعُدْ لکم خَضْلُ
وقرْتُم من ثنناً جَزَلِ	بما ليس له مِثْلُ
فلا زِلْتُم ولا زالْت	بکم ساعائنا تخلُّو
وكتبتُ له مُلغِزاً أيضاً: [الخفيف]	

أيُّها المفردُ الذي صار جمعاً	في المعالي ورقٌ لفظاً وطبعاً
أيُّ شيءٍ لدى السَّمواتِ يُلقَى	وهو في الأرضِ بالجِراءِ يَسْعَى
ذو ثلاثٍ وأربعٍ إن عَدَدنا	وتراه إذا تحقَّقت سبعا
فأجبتُني بجوهرٍ من نظامِ	كي أحلِّي به لساناً وسَمْعاً
فأجاب، وأجاد: [الخفيف]	

يا بديعاً حاز المحاسنَ طبعاً	وكريماً له المحامدُ تسعى
------------------------------	--------------------------

من معانٍ كأنها وشي صنعا
 في ضروبِ البيانِ أضلاً وفرعاً
 س وفي الغابِ بالضبارمِ يُدعى^(١)
 سبقُ عندها السَّوابقُ صرعى
 شهبُ طرسٍ يُرضيه حسناً ووضعاً
 ن وما للطعانِ ضاعفتُ دزعا
 للفتى حين يُشبعُ الشيخُ صفعا
 أنت أقوى على قسيك نزعاً
 وهذا يُشير إلى قول أبي حية الثميري^(٢): [البيسط]

عشيّة أبحار الكناسِ زميم
 ولكن عهدي بالنضالِ قديم
 وأشدني قصيدةً هنا فيها بفتح، فما اخترته منها قوله: [الرجز]

بمنصّة الجذالِ لم يزحل
 فهو المُفاجرُ دُرُكُم بِالْجَنْدَلِ
 ضلّت كتابُهم بليلِ الليلِ
 عينُ الغزاةِ في الرّعيْلِ الأوّلِ
 خطباً تذيبُهم نقيعِ الحنظلِ

فاخت مجامرُ طيبها بالمشدلِ
 هزواً بمدحِ جريرهم والأخطلِ
 «حين يشبع الشيخ صفعا» من مزج الجدّ بالهزلِ.
 وعليه فانظر قولي في التثف، التي سميتها «الشهب السيارة»، وهو: [الخفيف]
 فبياضِ الوجوه خيز وقار
 واجعلوني سُخريةً للصفار

لي لغزاً أهديته في برود
 حاكه فكرٌ ماهرٍ قد تناهى
 خامسٌ من بروجِ دائرةِ الشّم
 لميادينِ فكرِه تَتباري
 شقرُ ذاك اليراعِ مع دُهمِ نفسِ
 يُسعدُ الكفَّ ساعداها القويّاً
 والقوافي تميلُ ميلَ الغواني
 إن عهدي بالرمي عهدٌ قديمٌ

رمثني وسثرُ الله بيني وبينها
 ألا ربّ يومٍ لو رمثني رميثها
 وأنشدني قصيدةً هنا فيها بفتح، فما اخترته منها قوله: [الرجز]
 بشرى تُزفُّ من الزمانِ المُقبلِ
 يا نجلِ فاطمةٍ وكلِّ مُفاجرِ
 لولا ضياءُ المَشرفيّةِ والقنّا
 بعساكرِ رمدتِ بعثيرِ نقيها
 خطبتُ سيوفك في منابرِ هامهم
 ومنها، في ختامها:

هاكُم أميرَ المؤمنين قوافياً
 بمدحِ أهلِ البيتِ هزت مغطفاً
 وقوله في جواب اللّغز السابق: «حين يشبع الشيخ صفعا» من مزج الجدّ بالهزلِ.
 وقيل إن كان في الشباب سرورٌ
 قلتُ رُدُّوا الشبابَ لي واضفَعوني
 والشيءُ بالشيءِ يذكر.

وأجاد التّعاويدي^(٣) في قوله: [م. الرمل]

(١) ضبارم: يقال: أسد ضبارم: محكم الخلق فصنيزه.
 (٢) النميري: هو الهيثم بن الربيع بن زرارة، شاعر، راجز، والبيتان في الكامل: ١٩/١.
 (٣) التعاويدي: هو محمد بن عبيد الله: يقال له أيضاً: ابن التعاويدي، شاعر بعدادي، توفي سنة ٥٨٣، انظر النجوم الزاهرة: ١٠٥/٦.

وَعُلُوُّ السُّنِّ قَدِ كَسَّرَ بِالشَّيْبِ نَشَاطِي
كَيْفَ سَمَّوهُ عُلُوءًا وَهُوَ أَخَذَ فِي أَنْحِطَاطِ

وقوله: «بعساكر رمدت» إلى آخره، كقول الأرجاني^(١): [الكامل]

والشمسُ فَرَطُ سَنَاهُ أَرَمَدَ عَيْنَهَا
ومنه قولِي فِي التُّنْفِ أَيْضًا: [الوافر]

ولَيْلِ زَارَنِي وَالسَّعْدُ وَأَقَى
رَأَى لَيْلِي عُيُونَ الشُّهْبِ رُمْدًا

وأنشدني من قصيدة له، قالها وقد دعاه النجاح، وأسفرت له شمس الظفر من

خلف ستارة الفلاح، وأنشدته المسرة، قول شيخ المعرة: [الخفيف]

ابْتَقَ فِي نَعْمَةٍ بَقَاءَ الدُّهُورِ نَافِذَ الأَمْرِ فِي جَمِيعِ الأُمُورِ

وقد قدم من غزاة صدع بها شمل الكفر أي صدع، بعد ما خط على صحف

البيسطة سطور جيش متربة بالنقع، غص بعشيرها الوهاد، وسر بها الفضاء فتضمخ من دم

الأعداء بالجساد^(٢)، والربيع قد نقت تلك الصحف ووشاها، وخط في جوانبها النبات

وحشاها: [الكامل]

وكسا الأرض خدمة لك يا مو

وعدت كل ربة تشتهي الرق

فهي تختال في زبرجدة خض

فقدم وله عن ذنوب الدهر صفح، والقلاع تعرب عن رفع عزمه بعد ما بناها على

الفتح، في يوم عده عيد السرور، فهو ملء العيون ملء الصدور.

فقام بين السماطين، وهو إذا رأس كتابه، وناظم عقود الجوهر في سلك خطابه،

مهنئاً ومُنشِداً، وفي رياض نادية مُغرّداً، بقوله أيضاً: [الخفيف]

قَسَمًا بِالْجَفُونَ فِي سَطْوَةِ المُدِّ

وظباها التي بها تختمي في

وبخذ يُكنى أبا لهب تُذ

وبروض تدب شوقاً إليه

لهجرنا المنام حتى تناسث

يا ظباء سنخن ملتفتات

ك وقد أيدت بحسن الفتور

خوزة الصون بارقات الثغور

كي يد الحسن ناره في الضمير

عقرب الصدغ في ليالي الشعور

نحونا للخيال طرقت المسير

مثلعات أجيادها للثفور

(١) ديوانه: ٩٥ .

(٢) الجساد: الدّم اليابس .

أَمَّنَ اللّهُ رَوْعَكَ فإِنِّي
ومنها: [الخفيف]

نَسْمَةٌ فِي بَابِ الإِمَالَةِ تُبْنَى
مَا عَهَدْنَا رِيْمَ الْفِلا وَغَصُونًا
رَافِضَاتٍ عَهْدَنَا هَلْ لَوْضَلْ
ذَابَ شَوْقًا وَأَنْفَقَ الْعَمْرَ سَعْيًا
كَانَ خَدِّي مَجْرَى السَّوَابِقِ شُهْبًا
فَاسْتَحَالَتْ حُمْرًا وَتَكْمُنُ طَوْرًا
بِأَغْتِكَافٍ يَخْكِي جِهَادَ جِيَادِ
ومن مديحها:

يَا نَسِيبًا أَنْتَ الْمُقَدَّمُ فِي الْمَدْحِ
كَمْ نَظَّمْتُمْ لِلْحَقِّ عِقْدًا اغْتِزَازِ
وَبَضْرِبِ الْهِنْدِيِّ كَمْ قَدْ طَرَحْتُمْ
وَأَدْرَجْتُمْ عَلَيْهِمُ اللَّمَنَايَا
دَامَ فِي الْعِزِّ مُلْكُكُمْ وَبِئْمَنِي
مَا جَرَتْ أَفْرُسُ الدَّرَارِي بِمِضْمَا

قوله: «يا نسيباً» إلخ، كقول بعضهم مضمناً من قصيدة نبوية^(١): [الطويل]
لَهُ النَّسَبُ الْعَالِي فَيَا مَادِحَ الْوَرَى
وَلِلَّهِ دَرُّ ابْنِ خَفَاجَةَ، فِي قَوْلِهِ: [المتقارب]

مَلِيكَ تَبَسَّمِ بِشَرِّ الْمُنَى
فَلَمْ أَذِرِ وَالْحَسَنُ صِنُو لَهُ

وَكُتِبَ إِلَيَّ وَقَدْ أَصَابَتْهُ حُمَى فَاغْتَصَدَ، يَذْكَرُ اشْتِيَاقَهُ، وَيَشْكُو مَا مَنَعَهُ مِنَ مُلَاقَاتِي
وَعَاقَهُ.

أَزْتَجِي وَقَفَّةً بَوَقْتِ يَسِيرِ

لَدَى عِلَلِ اللَّيْنِ فِي الْقَضِيْبِ النَّضِيرِ
يُشْرِقُ الْحَسَنُ فِي بُرُودِ الْبُدُورِ
مِنْ رَجَاءٍ يَطْفِي لِقَلْبِي الْحَرُورِي
فِي رِضَاكُمْ وَمَالِهِ مِنْ شَعُورِ
بَادِيَاتٍ فِي لَوْنِهَا الْمُسْتَنِيرِ
مِنْ أَخَادِيدِ جَزِيْهَا فِي حَفِيرِ
مُدْمِنَاتٍ عَلَى الشَّرَى وَالْبُكُورِ

ح فَلَسْنَا نَرَى لَكُمْ مِنْ نَظِيرِ
وَنَثَرْتُمْ بِالْحَلِّ نَظْمَ الْفُجُورِ
مِنْ ضُرُوبِ الْعِدَى بِجَمْعِ الْكُسُورِ
أَكُؤْسًا لَمْ تَنْزَلْ بِكَفِّ الْمُدِيرِ
عِزْمِكُمْ لِلْفَتْوحِ سَيْفُ الظُّهُورِ
رِ مَيَادِينِهَا بِطُولِ الدُّهُورِ

إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالنَّسِيبُ الْمُقَدَّمُ

بِمِرْآةٍ وَامْتَدَّ خَطُّو الْأَمَلِ
أَبْدَأُ بِالْمَدْحِ أَمْ بِالْعَزْلِ

أَنَا فِي غُرْبَتِي وَعِغْلَتِي، وَنَارِ خَلِيلٍ لَمْ تُبَلِّ بِمَلَاقَاتِهِ غُلَّتِي، لَا أَظُنُّ نَسِيَانَ الْإِخْوَانَ،
وَأَعْتَدِرُ لِتَقْصِيرِ الزَّمَانِ: [الطويل]

لِيَجْمَعَ بَيْنَ السَّاكِنِينَ بِأَوْطَانِ

كَأَنَّ زَمَانِي خَافَ لِحْنًا فَلَمْ يَكُنْ
فَكُتِبْتُ إِلَيْهِ: [الوافر]

(١) عجز البيت تضمين لصدر بيت المتنبي:

أَكَلُ فَمَسِيحٍ قَبَالَ شَعُورًا مَسِيحًا

إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالنَّسِيبُ الْمُقَدَّمُ
ديوانه: ٢٩٠.

كفاك الله ما تخشى وغطى عليك بظل نعمته الظليل^(١)
 أعز الله تعالى أنصار الكرم الفياض والحسب، وحفظ بحمايته معالم الفضل العامرة
 بالأدب، ببقائك محروساً من هجوم الخطوب، محفوفاً بسور منيع من إحاطة القلوب،
 وأصوات جرس الدعاء به مرفوعة، وسدته بحجاب الصنائع ممنوعة، وله من عطر الثناء
 نشر انتشر، فلا يمل حتى يمل نسيم السحر.

والدهر وإن كان ذا غير، من تفكر فيه اغتبر، فكيف يتسلط عليه بالأمه، وهو لا
 يتسلط على أيادي إنعامه، فإن هم به ونعمه سابعة عليه، فقد ورد: «أتق شر من تحسن
 إليه»: [الطويل]

أتهدي له الأيام سُقماً وإنما مساعيه في أغناقهن قلائد
 فإن اعتل فإنما اعتل الكرم والكمال، وإن مرض فقد مرضت الأمانى والآمال،
 والقلوب والأزواج، وإن دعونا له فإنما ندعو لأنفسنا بالصلاح، ورُب مريض لا يُعاد،
 ولا يُحرم الأجر مريض الفؤاد، فلا أقول: [البيسط]

يا ليت علته بي غير أن له أجر العليل وأني غير مأجور
 وقد بلغت فضده الباسليق^(٢)، وأنه قد بكى دماً عزقه العريق: [المتقارب]
 وبات اغتلاكك يبكى دماً. وتضحك في جسمك العافية
 وعزق الصحة له في كل منبت شجرة عين باكية، تبكي بدموع العزق على فراق
 العافية، وليس بكاء وإنما من استغرب في الضحك قد تدمع عيناه، كما أن الحزين قد
 يضحك دهشة ممّا دهاه.

فأضحك الله تعالى ثغر فصاحته، كما ضحكت تباشير صحته، وهناً الله تعالى
 الوجود بسلامة الكرم والجود، وأطلع كوكب سبغده في أفق الإفاقة والإقبال، فإن لكل
 زمانٍ مُقبل غرة وهلال^(٣). والسلام.

فصل

دعانا مرة داعي الصبا، فحرك منا ما حرّكته من عذبات البان أنفاس الصبا، إلى
 روض أنيق، وواد تزوره السراء من كل فج عميق.
 نبهت عيون أزهاره أكف نسيم السحر، ونيطت على قُدود قُضبه بعد اخضرار
 عارض نباته تائم الزهر: [البيسط]

(١) انظر نفحة الريحانة: ٤٠٤/٤ .

(٢) الباسليق: عرق في الذراع.

(٣) انظر هذه الفقرة كاملة في نفحة الريحانة: ٤٠٥/٤ .

والرَّيْحُ تَجْدِبُ أَطْرَافَ الغُصُونِ كما أَفْضَى الشَّقِيقُ إِلَى تَنْبِيهِ وَسَنَانِ
 فِي مَجْلِسِ سَكْرَتٍ فِيهِ أَبَارِيقُ الصَّهْبَاءِ، فَرَجَّعَتْ أَصْوَاتُهَا تَرْجِيعَ تَمْتَامِ وَقَافَاءِ^(١).
 معِ خِلَانٍ، وَخُلِّصَ إِخْوَانٍ، كُلٌّ مِنْهُمْ قُرَّةٌ، فِي عُيُونِ المَسْرَّةِ.
 فِيهِ طِرَازُ حُلَلِ اللَّيَالِي، وَرَوْضَةٌ تُنْبِتُ أَنْوَارَ المَعَالِي.
 تَتَحَاسَدُ عَلَيْهِ القُلُوبُ وَالعُيُونُ، وَتُخْتَمُ بِهِ صُحُفُ الطَّرْفِ وَخِتَامُهُ مِسْكٌ يَتَنَافَسُ فِيهِ
 المَتَنَافِسُونَ.

قَامَ لَدَيْهِمْ سَاقٍ كَأَلْفِ عَلَى سَيْنٍ أُعْطِيَ قَافَهُ لِلإِبْرِيْقِ، أَوْ غَصْنٍ عَبَثَتْ بِهِ الصَّبَا فَكَادَ
 يُعَقِّدُ مِنَ اللَّيْنِ ذَيْلُ حَوَاشِي لُطْفِهِ الرَّقِيقِ.

لَوْلَا كَثِيفُ كَثِيبِ رِذْفِهِ، القَائِمُ عَلَيْهِ هَيْفُ عِطْفِهِ: [السريع]

لَوْلَا سِهَامُ جَفُونِهِ انْتَضَمَتْ عُقِدَتْ عَلَى وَجَنَاتِهِ القُبُلُ
 فَنَادَى: حَيَّ عَلَى الصُّبُوحِ، هَلُمُّوا إِلَى رَيْحَانَةِ الرُّوحِ، شَقِيقَةَ نَفْسِ الإِنْسَانِ، صَابُونَ
 دَرَنِ الأَحْزَانِ، دِزْيَاقِ^(٢) مَلْسُوعِ الغُمُومِ، مَطْيَةَ لَهْوٍ تُرْتَحِلُ بِهَا مِنْ مَنَازِلِ الهُمُومِ، بَارِزَةً
 دَسْتَبَانَ مِنْ ذَهَبٍ، يَصْطَادُ بِهِ سَوَاحِجَ الفَرَحِ وَالتَّطَرَّبِ، حَيْثُ لَا يُسْمَعُ صُرَاخٌ لِغَيْرِ
 الأَوْتَارِ، وَلَا بَكَاءٌ إِلَّا لِلقَنَانِي وَلا رِقْبَاءَ سِوَى عُيُونِ الأَزْهَارِ.

فَلَمْ يَزَلْ يُحَكِّمُ فِيهِمُ الكَاسَاتِ، وَلَا يَسْمَعُونَ مِنْ عَذْبِ أَلْفَاظِهِ غَيْرَ حُذِّ وَهَاتِ، فِي
 يَوْمٍ شَابَتْ ذَوَائِبُهُ، مِنْ قَبْلِ مَا طَرَّ بِالعَشِيَّةِ شَارِبُهُ.

فَلَمَّا دَنَا المَسِيرِ، وَغَابَ بَدْرُ الكَاسِ المُنِيرِ، قَامَ بَعْضُهُمْ ثَمَلًا سَكْرَانًا، وَذَهَبَ حَافِيًا
 رَجْلَانًا، فَنَسِيَ نَعْلَهُ، وَأَوْدَعَ عِنْدَ الخَمَّارِ عَقْلَهُ، فَكَأَنَّمَا فَرَّ هَارِبًا لَمَّا طَرَحَ أَحْمَالُ الأَحْزَانِ
 وَرَمَاهَا، وَأَلْقَى صَحِيفَةَ فِكْرِهِ وَالتَّرَادَ حَتَّى نَعْلَهُ أَلْقَاهَا.

فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ أَعْزِيهَ فِيهَا، وَأَخَفَّفْتُ عَنْهُ مَصَائِبَ الذَّهْرِ وَأَرْثِيهَا، بِقَوْلِي عَلَى لِسَانِهِ
 مُدَاعِبًا، وَمَفَاكِيهَا لَهُ مُطَايِبًا. [الطويل]

لَقَدْ خَانَنَا دَهْرٌ وَكُنَّا بِهِ نَعْلُو
 وَقَدْ كَانَ لِي نَعْلٌ فَشَتَّتْ شَمْلَهَا
 وَكَانَتْ تَقِي بِالنَّفْسِ رِجْلِي فَأَصْبَحْتُ
 وَقَدْ كُنْتُ ذَا بَشِيرٍ فَأَصْبَحْتُ حَافِيًا
 فَكَمْ صَحَبْتَنِي فِي سُرُورٍ وَشِدَّةٍ
 وَنَقَلْتُ الأَقْدَامَ لِلزَّاحِ شُخْرَةً
 يَوْذُ هَلَالِ الأَقْوَاقِ لَوْنَهُ نَعْلُ
 وَمَا الذَّهْرُ أَهْلٌ أَنْ يَدُومَ لَهُ شَمْلُ
 تُفَارِقُهَا مِنْ بَعْدِ مَا أَدْنَى التَّكْلِ
 وَكَمْ حَزَنْتُ مِنْ بَعْدِهَا الكَعْبُ وَالتَّجْلُ
 وَلَمْ تَتَخَلَّفْ عَنِّي مُرَادِي وَلَمْ تَعْلُ
 فَغَدْتُ وَلَا عَقْلٌ لَدَيْ وَلَا نَقْلُ

(١) فافأ: أكثر من ترديد حرف الفاء في كلامه، فهو: فافأ وفافاء.

(٢) الذرياق والترياق: علاج يمنع امتصاص السم في المعدة.

فما اختارَه مُضْنَى بِهِ وله عَقْلُ
لِيَنْفَعَنِي فِي ذَلِكَ الْحَادِثِ الْخِلُّ
قَلِيلٌ إِذَا الْإِنْسَانُ زَلَّتْ بِهِ التَّغْلُ
لَكَيْمَا فَوَادِي عَنْ مَحَبَّتِهَا يَسْلُو
فَقَدْ شَمَّرَتْ جَيْدَاءُ وَأَنْصَرَمَ الْحَبْلُ
وَقَدْ جَادَهَا بِالْدَّمْعِ قَطْرٌ لَهُ هَظْلُ
وَلَكِنْ بِكَفِّ السُّحْبِ أَمْسَى لَهَا غُسْلُ

فلما سمعها الفشتالي استظرفها جدًا، وكتب له: [البيسط]

عَلَى ذَقْنِ إِذْ لِلْهُمُومِ بِهِ شُغْلُ
نَوَى قَذْفٌ أَمْ لَا يُرْجَى لَهُ وَضْلُ
وَرَا حِلَّتِي فِي كُلِّ نَائِبَةِ نَعْلُ
رَجَاءَ سُرُورٍ وَالطَّرِيقُ بِهَا وَحْلُ
بِخُفِّي حُنَيْنٍ لَا ثِرَاءَ وَلَا عَقْلُ
وَمَا بِي شُعُورٌ إِذْ تَخَطَّفَهَا الْوَيْلُ
بِكُلِّ كَهْرِيمٍ لَا يَفَارِقُهُ فَضْلُ
يَحِقُّ لَأَرْبَابِ الْقَرِيضِ بِهَا شُغْلُ
بِتَضْحِيْفِ نَعْلٍ أَنْ قَدَرَكُم يَغْلُو
فَأَلَقْتُ إِلَيْهِ عِنْدَ ذَا نَعْلِهَا الرَّجْلُ

وكتب إليه الأديب زين الدين الإشعافي الحلبي: [البيسط]

وَلَا تُبْدِ أَحْزَانًا إِذَا ذَهَبَتْ نَعْلُ
لِعَقْدِ اجْتِمَاعِ الشَّمْلِ دُونَ الْمَدَى حَلُّ
بِتَكْدِيرِ صَفْوِ الْعَيْشِ مَمَّنْ لَهُ فَضْلُ
أَشَدَّ فِرَاقٍ لَا يُرَى بَعْدَهُ شَمْلُ
وَلَا تَارِكٍ صَفْوًا إِذَا زَلَّتِ التَّغْلُ
نُجْدُ أَفْرَاحًا لِكُلِّ صَدَا تَجْلُو
بِرَّحْبِ فِنَاهَا مِنْ غُصُونِ الْمُتَى ظِلُّ

ولابن قلايس^(١)، وقد سُرِقَتْ نَعْلُهُ: [الرملة]

كَذَلِكَ عَادَاتُ الشَّرَابِ وَفَعْلُهُ
وَأَنْشَدْتُ خَلِي حِينَ ضَاعَتْ وَلَمْ يَكُنْ
وَإِنَّ أَخْلَاءَ الزَّمَانِ غَنَاهُمْ
فَأَنْشَدَنِي بَيْتًا يَثْبُتُ مُهَجَّتِي
تَزُوذُ مِنَ الدُّنْيَا مَتَاعًا لَغَيْرِهَا
فَلَهْفِي عَلَيْهَا حِينَ أَمَسَتْ شَهِيدَةٌ
وَأَضْحَتْ عَلَيَّ وَجْهَ الثَّرَى دُونَ دَافِنِ
فَلَمَّا سَمِعَهَا الْفِشْتَالِيَّ اسْتَظْرَفَهَا جَدًّا،
رَأَيْتُ أَدِيبًا وَاضِعًا كَفًّا حَائِرِ
فَقُلْتُ لَهُ هَلْ بَانَ إِلْفُ لَوْتٍ بِهِ
فَقَالَ عَلِمْتُمْ أَنْ جَارِيَتِي يَدِي
خَرَجْتُ مَعَ الْبَازِي لِحَانَ مُدَامَةٍ
فَأَبْتُ وَبِي مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ لَسَعَةٍ
نَأَتْ عَنْ أَدِيمِ الْأَخْمَصِيِّنِ وَقَايَةٍ
كَذَا فَلْيَجِلَّ الْخَطْبُ فِي وَثْبَاتِهِ
وَفِي كُلِّ قَلْبٍ لِلْخُطُوبِ مَائِمٌ
فَقُلْتُ لَهُ إِنْ الْعِيَاةُ تَقْتَضِي
تَعَوَّدَ دَهْرٌ جُودَكُم وَأَتَى لَهُ

تَعَزَّ أَخِي إِنْ كُنْتَ مَمَّنْ لَهُ عَقْلُ
وَلَا تَغْتِيبِ الدَّهْرَ الْخَوْوَنَ فِدَابُهُ
لَحَى اللَّهُ دَهْرًا لَا يَزَالُ مُوَلَعًا
يُفَرِّقُ حَتَّى شَمَلَ رِجْلِي وَنَعْلِيهَا
فَمَا شَتَّ فَاضْنَعُ مَا اللَّيْبُ بِجَارِعِ
بِحَقِّكَ قُمْ نَسْعَى إِلَى الرَّاحِ سُخْرَةٌ
إِلَى دَارِ لَسَدَاتٍ وَرَوْضِ مَسْرَةٍ

(١) ابن قلايس: أبو الفتوح القاضي نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن قلايس الأديب الأزهري، توفي سنة: ٥٦٧، وقد ذكره السيوطي في حسن الحاضرة، وذكره ياقوت وابن خلكان في وفيات الأعيان. انظر هدية العارفين: ٤٩٢/٢.

قُلْ لِنَجْمِ الدِّينِ يَا مَنْ نَهْتَدِي من مُحْيَاهُ بِأَسْنَى قَبَسِ
ما الذي أَوْجَبَ عَوْدِي راجِلاً بعد أن وَافَيْتُكُمْ ذَا فَرَسِ
خَلَعُوا نَعْلِي لَمَّا عَلِمُوا أَنَّنِي من رَبِّعِكُمْ فِي قُدْسِ

تَبَيُّهُ

يُقال في المثل للمتساويين في الخير: فَرَسًا رِهَانًا.

وهذا كما أفاده بعضهم باعتبار ابتداء الجَزْيِ؛ لتساويهما حين الإرسال، وأما في المُنْتَهَى فيغلب سَبَقُ أحدهما، فكيف يُجْعَلان متساويين، وقد ضربتُ أنا المثل للمتساويين في الدَّناءة بفَرْدَتِي النُّعْلِ، وَثَوْرِي الحِرَاثِ؛ فإنه لا يُنتَفَعُ بأحدهما دون الآخر، فقلت: [السريع]

وَتَقِيلِينَ هَمَا ما افْتَرَقَا منهُمَا الدَّهْرُ أبو العَدْرِ اسْتَعَاثَ
فَكَأَنَّ اللُّؤْمَ قد صَاغَهُمَا فَرْدَتِي نَعْلِيهِ أو ثَوْرِي حِرَاثِ

وقد ضربت العرب المثل في هذا برَجْلِي النُّعامة، فقال الشاعر: [الطويل]

وَإِنِّي وَإِيَّاهَا كَرَجْلِي نَعَامَةٍ على كُلِّ حَالٍ من غِنَى وَفَقِيرِ
قال القالبي في «أماليه»^(١): أي أننا في اتِّفَاقنا لا نَخْتَلِفُ؛ لأنه ما من بهيمة تنكسر إحدى رِجْلَيْهَا، إلا وتنتفع بالأخرى غير النُّعامة. انتهى.

ولما قَدِمَ رَغِبَ في صُحْبَتِي، وخطب راجباً مودتي، ووَدَّ انْقِطَاعِي عَمَّنْ سِوَاهِ. فلما رأيتُ كَفَاءَتَهُ وَصِدْقَ مُدَّعَاهِ، كَتَبْتُ لَهُ: [الطويل]

سَلَا بَانَةُ الوادي لَدَى المَنْزِلِ الرُّحْبِ متى فَقدتُ غَرَّ المَنَاقِبِ من صُحْبِي
فَهَلْ في حِمَاها نَفْحَةٌ غُنْبَرِيَّةٌ قد اسْتَوْدَعَتْهَا الرِّيحُ من نَفْسِ الرُّكْبِ
وَهَلْ بَيْنَ أَطْلالِ الرِّسومِ وَنُؤْيِهَا حَمَائِمُ بَانَ في الرُّبَى طَيَّرَتْ لُبِي
وَهَلْ من عَهودٍ قد تَقَضَّتْ بَقِيَّةً يُوفَى بِهَا حَقِّي وَيُقْضَى بِهَا نَحْبِي
سَقَى اللُّهُ عَهْدًا لِلأَحْبَةِ ضَيْبًا من الطَّرْفِ تَغْنِيهِ عن الوَائِلِ السُّكْبِ
وَهَيْفَ عُصونٍ جَادَهَا هَاطِلُ الغنى فَتُنْبِتُ أوراقًا من الشَّجَرِ القَضْبِ
وَكُلُّ خَلِيلٍ رَفَرَقَ الوُدَّ صَافِيًا فَكُلُّ مَلامٍ في مَحَبَّتِهِ يُضَيَّبِي
أَصْدَقُ فيهِ الظَّنُّ من ضَيْتِي بِهِ على كُلِّ شَيْءٍ قد عَرَفْتُ سِوَى قَلْبِي
وما ذاك من سُوءِ الفِعالِ جِبَلَةٌ فَكَمْ جاء سُوءُ الظَّنِّ من شِدَّةِ النُّحْبِ

هذا معنى غير ما قاله المُتَنَبِّي^(٢): [الطويل]

(١) الأماي: ١٨/٢ .

(٢) ديوانه: ٤٥٦ .

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه
والحديث شجون.

ومنها: [الطويل]

إذا غاب بذر التَّم ظَلْتُ مُرَاقِباً
ولكنَّ شمسَ الحُسْنِ من وَجْهِ مُنَيَّبِي
كذاك بِشَمْسِ العَرَبِ أَشْرَقَ شَرْقُنَا
وقد كنتُ قَدَمًا تُبْتُ عن كلِّ خُلْطَةٍ
فلَمَّا صَفَى منه الودادُ ومَشْرَبُ
نَقَضْتُ على حُكْمِ المُرْوَةِ تَوْبَتِي
وبعد الشعر فصل:

مولاي أحمد قد ملأ فضله الجبال والوهاد، فسدَّ على حُسادِهِ طَرَقَ الجَحْدِ، وحاز
السِّيادة من ساعة الميلاد، فإنَّكَ مَهْدِيٌّ إليها من المَهْدِ.

وهو يعلم أن عقائل الوداد في خدور الخمول كميئة، وأنها لا تنجلي لغير المُحْرِمِ
ولا يُبْدِينَ زِينَةَ، فإن الزَّمانَ مُشْتَقٌّ من الزَّمانَةِ، والإخوانَ لَتَقْلُبُ قلوبهم من الخيانة، وإن
أطْلَعَ السِّبَاخَ النَّخْلَةَ الفَيْنَانَةَ، فقد يَنْبُت المَرْعَى على دِمَنِ الثَّرَى، وتَقَطَّعَ الأزرارُ مالها من
ضَيْقِ العَرَى، وما كلُّ جوهرٍ له مُشْتَرِي، وما كلُّ صاحبٍ يَعْرِفُ قَدَرَ العَسْكَرِيِّ.

فلذا نَفَرْتُ حَتَّى عن ظِلِّي، وقاطعتُ حَتَّى ولَدِي وأهلي، لكنَّ مالكَ من حُسْنِ
الأخلاق، جَذَبَ لك مودَّتِي بالأطواق، والسلام.

قولي: «وما كلُّ صاحبٍ» إلخ، إشارة إلى ما ذكره ياقوت في «مُعْجَمِهِ»، من أن
الصَّاحِبَ ابنَ عَبَّادٍ تَمَنَّى لقاءَ أَبِي أحمدِ العَسْكَرِيِّ، فكاتبه في الحضورِ له، فتعلَّلَ بِكِبَرِ
السَّنِّ، فلما يئس منه جَذَبَ السلطانَ لذلك الصَّوْبِ، وسار معه، فحين أتى عَسْكَرَ
مُكْرَمٍ، كتب له: [الطويل]

ولمَّا أبينْتُمْ أن تزوروا وقلْتُمْ
أتيناكم من بُغْدِ أرضِ نزوركم
نُسائِلُكم هل من قِرَى لنزِيلِكُمْ
فأجاب، بشر، ونظم منه: [الطويل]

أرومُ نُهوَضاً ثم يَثْنِي عَزِيمَتِي
فَضَمَّتْ بيتَ ابنِ الشَّرِيدِ كأنما
أهْمُ بأمرِ الحَزْمِ لو أَسْتَطِيعُهُ
صَعُفْنَا وما نَقْوَى على الوَخْدَانِ
على منزلٍ بِكْرٍ لنا وَعَوَانِ
بِمِلْءِ جُفُونٍ لا بِمِلْءِ جِفَانِ
تَعوُدُ أَعْضَائِي من الرَّجْفَانِ
تَعَمَّدُ تَشْبِيهِي به وَعَنَانِي
وقد حِيلَ بين العَيْرِ والنَّزْوَانِ

فلما قرأه استحسنه، وقال: لو خطر ببالي هذا المثل، ما أرسلت ذلك الشعر، لكنني ذهلت عنه.

ثم إن العسكري قصده بجم غفير من تلامذته، في ساعة لا يصل إليه أحد في مثلها، فحجبه الحجاب، فرجع صوته، يقول: [البسيط]

مالي أرى القبة الفيحاء مقللة دوني وقد طال ما استفتحت مقلها
كأنها جنّة الفردوس مغلقة وليس لي عمل زالك فأدخلها
فناداه الصاحب: ادخلها يا أبا أحمد، فلك السابقة^(١).

فبادر له الخدم، وحملوه حتى جلس عنده، فأقبل عليه، ورفعته إلى أرفع مجلس، ثم تحدث معه، وسأله عن مسألة، فقال له: الخير صادفت^(٢).

فقال له: ما زلت تُغرب في كل شيء حتى في المثل السائر.
فقال: تفاءلت عن السقوط للحضرة.

فأدرّ عليه، وعلى من معه بصلات كانوا يأخذونها إلى أن تُوفي.

فانظر ما في هذه القصة من لطائف الآداب، وما للصاحب مع جلالة قدره من مكارم الأخلاق، الذي طير ذكره في الآفاق، وخلده في صحائف الدهور، وهكذا فلتكن الصدور.

ولما أراد العود إلى المغرب، قال لي: عندي أمانة من مولاي أحمد، لا أرى غيرك لها أهلاً ومَحَلًّا، فطال العهد ولم أر لها محلاً، فقلت: [المديد]

إِنْ مَحَلًّا وَإِنْ مُرْتَحَلًّا^(٣)

فلما أرف الرحيل كتبت له رُقعة فيها:

أطال الله عمرك طول مواعيدك، وجعل آمالنا الكمونية موروقة من سحاب جودك.
ولعمري، لقد طال المطال فعرقوب^(٤) لا يبلغ عرقوبه، وزاد العشب على الإنحاح
والعشب بغير جزم عقوبة، ولو لم يكن أملي أضعف من الدباب، ما ارتبط بحبال

(١) معجم الأدباء: ٢٥٥/٨ .

(٢) أصل المثل: «على الخبير سقطت» وسقطت أي: عثرت، يقال: إن المثل لمالك بن حبيب العامري، وكان من حكماء العرب، انظر مجمع الأمثال للميداني: ٢٤/٢ برقم ٢٤٦٦ .

(٣) صدر بيت للأعشى، وعجزه:

«وإن في السفر ما حصى مهلاً»

ديوانه: ٢٣٣ .

(٤) عرقوب: قال أبو عبيد: هو رجل من العماليق، صار مثلاً في الخلف، ويقال في المثل: «مواعيد عرقوب» و«أخلف من عرقوب»، انظر مجمع الأمثال: ٢٥٣/١، ٣١١/٢ .

العنكبوت على هذا الباب، فليله أنت ما أخلمك وأصبرك على كثرة السؤال والجواب، ولم أر مثلك في الجود، إذ بذلت لي ألوف ألوف من الوعود، ولم تلمني على مقابلتها بالكفران، وها أنا ذا تائب شاكر لهذا الجزمان، إذ لم يكن لمثلك عليّ منة، وأحمد الله على كل حال متبعا للسنة.

وقد كان يعجبني قول أبي محمد الحكيم: [السيط]

لُبْسُ الثِّيَابِ وَتَشْيِيدُ الْقُصُورِ وَفِي تِلْكَ الثِّيَابِ رَأَيْنَا أَنْفُسًا خَرِبَةً
لَأَضْرِبَنَّ رَجَائِي أَلْفَ مَقْرَعَةٍ فَيْكُمُ وَأَضْلُبُ آمَالِي عَلَى خَشْبَةٍ

فلما رأيت بُعد العهود، وطول جبال الوعود، قلت: [السريع]

طالَتْ مَوَاعِيدُكَ يَا سَيِّدِي وَالْعَمْرُ قَدْ يَقْضِرُ عَنْ ذَا الْمِطَالِ
فَخِلْتُ آمَالِي لَهَا دُزْبَةً قَدْ عَلَّمَتْهَا الْمَشْيَ فَوْقَ الْجِبَالِ
وَلَوْ تَرَى مِثْلًا لَهَا رَبِّمَا جَرَتْ عَلَى فُرْجَتِهَا بِالنَّوَالِ

واللائق بالعارف بالزمان، أن لا يغيب على أحد من الإخوان، فإن الدهر خرف وهرم، ولو سأل شقيق شقيقه دزهما لقال: أودى درم.

فرحم الله الكرام، وعلى الجود الرحمة والسلام.

وهذه رقعة قصدت بها المزح والمجون، ورياضة الطبع الحرون.

وقولي: «أودى درم» مثل.

قال الأغشي: [المتقارب]

وَلَمْ يُودَ مِنْ كُنْتِ تَسْعَى لَهُ كَمَا قِيلَ فِي الْحَرْبِ أَوْدَى دَرِمٌ^(١)

قال السكرتي في «شرح ديوان الأغشي»: درم هو دب بن مرة بن ذهل، وكان النعمان يتطلبه، فجهز له سرية؛ فلما مظفروا به مات في أيديهم، قبل وصوله للنعمان، فلما سأل عنه، قالوا: أودى درم. فذهبت مثلاً. انتهى.

وقصدت به الدرهم؛ لأن الدرهم فارسيّ معرّب، وأصله درم، وقد يتلفظ به على أصله.

ومثله قولي في الرجل الجليل، يكون خاملاً لا يواسيه أحد، فإذا مات عظموه، وتأسفوا عليه: [المتقارب]

بكى الخلقُ ذا الفضلِ لما مضى وقالوا ألا لئنه لو سلم
ولو كان يسألهم دزهما لقال له الناس أودى درم

فصل

ذكر لي يوماً أنه مشتاقٌ لِلِقَائِي، مُستوحِشٌ لظُلْمَةِ التَّنَائِي، فقلتُ: ما جوابي لك غيرُ قول أبي العِيناء للمُتوكِّل، وقد قال له: قد اشْتَقْتُ لك يا أبا العِيناء .
فقال له: يا سيدي، إنما يشْتَدُّ الشوقُ على العبد؛ لأنه لا يصلُ إلى مَوْلَاهُ، وأما السَّيِّدُ فمتى أراد عبده دعاه .

وما أكذبَ الشوقَ بالمقال، إن لم تُقَمِّ عليه شواهدُ الإقبال .

وقد شرحَ حالنا في التَّنَائِي والتَّدَانِي، قولُ ناصِحِ الدِّين الأَرَجَانِي^(١): [الكامل]
وَإِذَا رَأَيْتَ الْعَبْدَ يَهْرَبُ ثُمَّ لَمْ يَهْتَرِ عِطْفَاءً، وَتَاهَ رِقَّةً وَلُطْفَاءً .

ثم قال لي: مِن أَيِّ مَعْنَى أَخَذَ هَذَا؟
قلتُ: لا أدري .

فقال: هو من قول المُتَنَبِّي: [البيسط]

إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَرُوا أَنْ لَا تُفَارِقَهُمْ فَالرَّاجِلُونَ هُمُ
فَأَبْدَأُ وَأَبْدَعُ، وَأَعْلَمُ أَنَّهُ مِنَ الْأَدَبِ بِمَرَأَى وَمَسْمَعِ .

ومنه أخذَ القائل: [البيسط]

لَيْسَ ارْتِحَالُكَ تَرْتَاذُ الْغَنِيِّ سَفْرًا بَلِ الْمَقَامُ عَلَى بُؤْسٍ هُوَ السَّفَرُ
وَالْمُتَنَبِّي أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الطَّائِي: [الطويل]

وَمَا الْقَفْرُ بِالْبَيْدِ الْفَضَاءِ بَلِ الَّتِي نَبَتْ بِي وَفِيهَا سَاكِنُوهَا هِيَ الْقَفْرُ
وَلَمَّا رَأَى وَزَرَءَ الرُّومِ، وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ دَارِسِ الرُّسُومِ، مِنْ تَكْبِيرِ بِلَا نَفْعٍ يُرْجَى،
وَتَبْخُرُ كُلُّ دَابَّةٍ مِنْهُمْ حَتَّى الْعَرَجِيُّ، قَالَ: أَهْؤَلَاءُ غَنَى الْغَزِي^(٢) بِقَوْلِهِ: [البيسط]

مِنْ آلَةِ الدُّسْتِ مَا عِنْدَ الْوَزِيرِ سِوَى تَخْرِيكِ لِحَيْتِهِ فِي حَالِ إِيمَاءِ
فَهُوَ الْوَزِيرُ وَلَا أَرَزُّ يَشْدُ بِهِ مِثْلُ الْعَرُوضِ لَهُ بَخْرٌ بِلَا مَاءِ
فَذَيْلَتُهُ بَدِيهَةٌ لَهُ، وَقَلْتُ: [البيسط]

عَسَى تَدُورُ عَلَيْهِمْ دَائِرَاتُ رَدَى تَقْطَعْنَهُمْ تَقْطِيعَ أَحْشَانِي
فَقَدْ شَابَهُ الرَّئِيسُ الْمَرْؤُوسُ، وَقَامَ عَلَى جُزْبِ الْأَبْدَانِ قُرْعُ الرُّؤُوسِ، وَمَا هَذِهِ

(١) ديوانه: ٥٣، ونفحة الريحانة: ٢١٦/٢ .

(٢) الغزي: إبراهيم بن عثمان أبو إسحاق، رحل إلى العراق وخراسان، توفي سنة: ٥٢٤، انظر وفيات الأعيان، والأبيات فيه: ٤١/١-٤٢ .

الدُّوَل، إن لم يَغْرُها الآن خَلَل، إلا كَسَفَّ السَّماء، وَقَبَّة الخَضْرَاء، قائِمةً بلا عُمْد ولا أَطْناَب ولا وَتَد، فهي كَبِوت الأشعار، لا تُظَلُّ في حَضْرٍ ولا أسفار.

كما قلتُ: [الوافر]

جيوشٌ ما لها في المُلْك نَفْعُ رأيتُ قتالَهُم من غيرِ نَبَلٍ
وعلَى بحر العَرُوض يعجِبني هنا قولُ الأَرْجاني^(١): [الكامل]

راعَ الفؤادَ نَوَى الخَلِيطِ ولم يكنُ وأرى فؤادي في الزَّمانِ كَأَنه
وللحَظيرِي: [الطويل]

وعِزُّضٍ بلا ذَنْبٍ يُقَطِّعُ دائِماً وقلتُ في معناه: [الطويل]

بأضفارِ نَجْمٍ قابلتُها بتَضْرِيعِ جميعِ الذي فيها مُعَدُّ لتَقْطِيعِ
دوائرُ أَفلاكِ تَلوُحُ بِحورِها كما خُطَّ في رَسْمِ العَرُوضِ دوائرُ
وقلتُ أيضاً: [الطويل]

وإني في تَضْيِيعِ ما قد جمَعتهُ كَبائِعِ بَيْتِ كان فيه مَقْرَءُ
لأَجْلِ الذي يُولِي الوَزيزُ من الغِنَى يقولُ: كَفاني بَيْتُ شِغْرِي مَسْكَنًا

٤٧- محمد بن إبراهيم الفاسي

نزِيل مصر

شمس فصاحةٍ طَلَعَتْ في آخِرِ الزَّمانِ من البَغرِب، لو رآه ابن سَعِيد^(٢) لَنَسِيَ بفاكِهِة مُفاكِهِتِهِ ذَكَرَ «المُرْقِصِ والمُطْرِبِ».

(١) ديوانه: ٢٥٦ .

٤٧- محمد بن إبراهيم، المدعو ببديع الزمان الفاسي، كان فاضلاً لساناً، فصيحاً، شاعراً، له نظم رائع، ونثر فائق، حسن الإيراد، مقبول الإنشاد، مع ما فيه من رقة الحضارة ودقة البداوة، رحل من المغرب إلى المشرق، وجمال في البلاد ودخل قسطنطينية الروم واجتمع بعلمائها وأثنى عليه الطالوي كثيراً، توفي في مصر سنة: ١٠٠٦، انظر خلاصة الأثر: ٣/٣١١، ونفحة الريحانة: ٥/٢١ .

(٢) علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العماري الغرناطي، نور الدين أبو الحسن، المؤرخ المالكي، ولد سنة: ٦١٠، دار البلاد من مصر إلى الشام إلى بغداد وبصرة ثم الحرمين ورجع إلى إفريقية سكن تونس، وتوفي بها سنة: ٦٨٥، له ديوان شعر، وريحانة الأدب في المحاضرات، والطلح السديد في تاريخ ابن سعيد، والمرقص والمطرب في أخبار أهل المغرب في التاريخ، وعنوان المرقصات والمطربات، والنفحة المسكية في الرحلة المكية، وغيرها، انظر هدية العارفين: ١/٧١٤، وفوات الوفيات: ٢/٨٩ .

ما كنتُ أظنُّ المغربُ تُنجبُ له بمَثِيلٍ، إن الزَّمانُ بمثله لبخيل .
ارتحل لمصر، واختلط بناسيها، وميَّزَ حالَ فُصولها وأجناسيها .

ولما قدِمَ كتبتُ له خاطباً لعقائِلِ وِداده، جالياً كئوسَ المُؤانسةِ على فُواده :

[الطويل]

أيا شمسَ أهلِ الغربِ شَرَّفْتَ مِصرنا وقلَّدتهِ عِقداً نَفيساً من الأُنسِ
فصارَ رَبيعاً باعْتدالِ قُدومِكم ولا بَدَعَ فيما قلتُ في شَرَفِ الشَّمسِ
وكانتِ حالي معه حاليَّة، ومواردُ أنسي به من قذَى الكَدْرِ صافيَّة، أراضِعُه تُدي
الآداب، وأتخذُه ممَّن مودَّتهُ تدخُلُ بيتَ القلبِ بغيرِ إذنٍ وحجاب .

إلى أن ارتحل إلى المحلَّة^(١)، وجعل كرمَ قاضيها مقرَّ أمله ومجلَّه، وفارق أخلاءه
وصحبه، لِمَا كابدَه من ضُحبيته الأمرئينِ الفقرِ والغُربة، فانعطفَتْ عليه أغصانُ المسرَّة
والهنا، وأقام في رياضِ المكارمِ تحتِ ظلالِ المُنَى .

إلى أن حالتِ الحال، وأذنتُ شمسُ حياتِه بالزَّوال، فجاد بِنفسه، وغاب في مغربِ
رَمسِه، بعد ما وقف على أطلالِ الهَمِّ، باكياً على دارِسِ رسومِ الكرمِ .

وكان مُغرماً معي بالمِزاح، لابساً للخلاعةِ ويزُدُ الجذُّ عنه غيرُ مُزاح .

وأشدني له يوماً قوله : [م.الرجز]

حَكَيْتُ إبليسَ خَناً وُصُورَةً مِن غُورَةٍ
يا سائلي عن العَمَى عِندي بَصْفُ خَبَرَةٍ

فقلتُ له : قد سبقك إلى هذا الباخِزري، في قوله : [الطويل]

فلا تحسبوا إبليسَ علَّمني الخَناً فبأني منه بالنضائحِ أنصُرُ
وكيف يرى إبليسُ مِعشارَ ما أرى وقد فُتحتُ عَيْناي لي وهو أغورُ
وهو من قول الآخر^(٢) : [الطويل]

وكنْتُ فتى من جُنْدِ إبليسِ فازتقى بي الحالُ حتى صارَ إبليسُ من جُندي
ولو مات من قبلي لأخيتُ بعده طرائقُ فسقِ ليس يُحسنُها بغيدي

وكان إذا أغار على معنى أغار، ولا يُبالي بأنه يُرى مغزاه إذا انجلى الغبار، تبعاً

لمذهب القائل : [الوافر]

فإن الدرهمَ المضروبَ باسمي أحبُّ إليّ من دينارِ غيري
كقوله : [الكامل]

(١) المحلَّة : مدينة في مصر .

(٢) البيان في خلاصة الأثر : ١٥٧/٤ ، ونفحة الريحانة : ٣٣٥/١ .

يا تاركاً شرباً لقهوتنا التي
 في تركٍ مثلك شربها لي راحةً
 وهو من قول ابن الرومي^(١): [الكامل]
 يا لائمٍ في الرّاح غير مُقْصِرٍ
 فأقل ما في تركٍ مثلك شربها
 ولم يزل باللّهو معروفًا، وبغزلان النّقا مشغولاً مشغوفًا، لاسيّما إذا تفتح عن وزد
 الخدود أكمأ العذار، وشاهد صنع الله الذي يُولج الليل في النهار: [الطويل]
 وقالوا أتت كُثبُ العذارِ بعزله
 فقلت لهم لا تعجلوا فيها ولي
 ويقال إن هذا الأمر أذهب خُبْرَهُ وخَبْرَهُ، ومحا بيدِ الفنا عينه وأثره، حتى عصفت
 رياحُ المنيّةِ برؤضه القشيب، وهصرث يدُ الرّدى يانعُ غُضنه الرّطيب، فاحتضِر واحتضِر،
 بأمر الملك المُقتدر.

لازال جدّته روضةً من رياضِ الجنان، ولا برح مجرى لجداولِ الرحمةِ والرّضوان.
 فمن العنبر الذي أذكته مجامرُ فكره، وقذفته في سواحلِ المُحاورةِ بحورُ شِغره، ما
 أنشده لي من قوله مُضمناً: [البيط]

قل للقضيبِ وراحِ الرّيحِ تعطفه
 أشبهت قامةً من أهواءِ لو طلعت
 لك البشارةُ فاخْلَع ما عليك فقد
 ولا بن أبي حجلة^(٢) مُضمناً: [البيط]
 قل للهلالِ وغنمِ الأفقِ يستره
 لك البشارةُ فاخْلَع ما عليك فقد
 وأنشدني له أيضاً مُضمناً: [الوافر]

وربّع الحسنِ مأهولِ المغاني
 وصرتُ من الرّقيبِ على أمانِ
 بمنزلةِ الرّبيعِ من الزّمانِ
 وقد حلّ العذارُ بوجنتيه
 وأنشدني قصيدةً، منها: [الكامل]

(١) ديوانه: ٢٨٨ .
 (٢) ابن أبي حجلة: أحمد بن يحيى بن أبي بكر محمد بن عبد الواحد، شهاب الدين أبو العباس
 التلمساني، المعروف بابن أبي حجلة المالكي الأديب، ولد سنة ٧٢٥ وتوفي سنة: ٧٧٦، له من
 التصانيف: الأدب الغض، وأسنى المقاصد في مدح مجاهد، وديوان الصباية، وغرائب العجائب
 وعجائب الغرائب، وغيرها. انظر هدية العارفين: ١١٣/١ .

عجباً لعمرك ما رأيتُ وما أرى
فهمتُ على خدي نجيعاً أحمرًا

بسَطِ الجمالِ فلم يزل مُتَحَيِّرًا
وزدُ الجمالِ لِن تراه مُكَدَّرًا

بكرًا تُحاكيها الملاحه منظرًا
نقدُ القبولِ وحقُّها أن تُمهِّرا
من قد ترى بين الثريا والثرى
عِ صار من عجب بها مُتَحَيِّرًا

كجلمودِ صخرِ حطَّه السَّيلُ من غلِ
ألا أيها الليلُ الطَّويلُ ألا انجلِ

حكى عصر الضبا قبل المشيب
هناك ولا خلو من رقيب
فدلثنا على مطر قريب

جزت أدمعي في الخد ذات صيب
فإن وقوع القطر غير عجيب

وملبس الشمس ثوب الحزن والحج
ت في سناه ظلال النهد والشمس
فهل سمعت بقل غير مُنتقم

حماء اللذ من ريب المشون

أُتِيبُ دمعِي ثم تسألُ ما جرى
هذي دما نفسِ هواك أذابها
ومنها:

من كان يقبضه جلالُ الحبِّ عن
فأنا جمالي الغرامِ وهكذا
ومنها في حسنِ الختام:

واليكها والحسنُ بعضُ صفاتها
قد زفها فكري إليك ومهرها
حاشاك تُهملها ويعرف قدرها
ختم البيانُ بها فكلُّ سليم طَب
وله في الهجاء مُضمَّنًا: [الطويل]

لقد قلتُ لِلطُّورِي^(١) لَمَّا بدا لنا
بوجهِ كليلِ الهجرِ أسودَ طائلِ
ومما أنشدنيه لنفسه قوله: [الوافر]

ولمَّا دار بالخدين نبت
تيقنتُ الوصالَ وليس وغد
ولكن دارة القمرِ استتمت
وأنشدتُ له قولي في معناه: [الطويل]

على خده مُذ لاح نبت عذاره
إذا ما استدارت دارة البدرِ حوله
ومما أنشدنيه قوله من لفظه مُضمَّنًا: [البيسط]

يا سالب الغضنِ حُسنِ القُدِّ والميلِ
ما شان خدك نبت بل صفا فترا
فأثبت على حبه يا قلب تحظ به

ومعنى البيت الثاني مما سبق إليه، كقول الأرجاني: [الوافر]

أعد نظراً فما في الخد نبت

(١) الطوري: عبد القادر بن عثمان القاهري الحنفي، الشهير بالطوري معني الحنفي معمر من بيت أمه الحنفي، كان عالماً فاضلاً فقيهاً أديباً، أفتى ودرس بجامعة الأزهر، له من المؤلفات شرح من الكنز في الفقه، وتكملة البحر الرائق، والفواكه الطورية. لم يذكر المحيي تاريخ وفاته بل كان موجوداً سنة: ١٠٢٦. انظر خلاصة الأثر: ١/٤٤٢-٤٤٤، وهذا العارفين ١/٥٩٩

أراك خيالاً أهْدابِ الجُفونِ

وماء الحسنِ رَقٌّ به وراقاً
وهل طَرْفٌ يُطِيقُ له فِراقاً
عِذاراً قد كَسَا بذراً مَحاقاً
كَأَنَّ عَلَيْهِ من حَدَقِ نِطاقاً

وكان يهوى بمصرَ غلاماً وقد دبَّ ظلُّ العِذارِ على وَرْدِ خَدِّه، وجعل حارسُ الحسنِ بِنَفْسِجِه سِياجَ وَرْدِه، هامَ به هيامَ سعدِ بنِ أنيسِ بوزدِه، ووهبه رُوحاً له لابسَةً حُللَ المودَّة، فكان لا يُسرُّ إلا إذا اضطَبِحَ مِنْ عِذارِه بالآسِ، ثمَّ لَمَّا أذركَه الغرقُ من الوجدِ والبأسِ، عملَ فيه مُزْدَوِجَةً لم يُذركَها مُذْرِكُ، فكان ذلك سبباً لصدِّه المُهْلِكِ، فازتحلَّ لا فتِضاجِه للمَحَلَّةِ الكُبرى، فكتبتُ له إذ ذاك قصيدةً، لأجددَ له الذِّكْرَى.

منها: [الكامل]

ومعاهداً فيها فليس بناسٍ
بمُدَامِ دَمْعِي يا لَهُ من كاسِ
دمعَ زِيادَتِه بغيرِ قِياسِ
أودعته في طَرْفِه النُّعاسِ
يَغْدِيهِ لِيَنْ قَوامِه المِياسِ
كالوَرْدِ بل حُبِّي له كالآسِ

ما أنتَ إلا الرُّوحُ لئلاكياسِ
لم تكتسبِ ذَا الطَّيِّبِ في الأَنْفاسِ
ما في وَقوفِكَ ساعةً من بَاسِ
رَوْضُ له ظِلُّ على الجُلاسِ
مَنْ يُودِعُ النُّيرانَ في القِرْطاسِ

صَهْبَاءُ سَالِبَةٌ عُقُولَ النَّاسِ
ذِكْرِي بِسالفِ عَهْدِكَ اسْتِثْنائِي
مولاي، أما الشوقُ فقد اشتعلَ ضِراماً، وكاد عذابُه أن يكونَ غَراماً، حتى قال فَمُ
الجَفْنِ بلسانِ الدَّمعِ: ﴿يَبْنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ [الأنبياء: ٦٩].

ولكن رَقٌّ ماءُ الخَدِّ حَتَّى
ومما قلته في معناه مُضْمِنًا: [الوافر]
صَقِيلُ خُدودِه مِرْآةٌ لِقَلْبِي
تُحِيطُ به العيونُ إذا تَبَدَّى
فَخَالُوا رِقَّةَ الأهدابِ فيه
وظلنا نجتلي منه مُحيا

مَنْ لَمْ يُدِمْ ذَكَرَ الحَبِيبِ النَّاسِي
بِي مَنْ كَسَا جِسْمِي السَّقَامَ وَعَلَّنِي
فِي نُقْطَةٍ مِنْ خالِه يَرْجُو الوفا
لَمَّا خَشِيتُ على الكَرَى من مَدْمَعِي
يَقْسُو عَلَيَّ فِؤادَه يا لَيْتَه
تالله ما حُبِّي لِعارِضِ خَدِّه
ومنها:

يا جوهراً للمجدِ صار مُجرِداً
لو لم تُحدِّثْ عن شمائلِك الصُّبا
يا راحلاً عَنِّي ومُجْرِي أذْمَعِي
عَقْدُ على جِيدِ الزَّمانِ مُنظَّمُ
لم اسْتَطِعْ وَضْفِي لَهيبَ صَبابِتي
ومنها:

فاستجْلِها بِكُراً نَتِيجَةً لَيْلَةٍ
لازال يا إنسانَ عَيْنِ العَصْرِ مِنْ

ف ﴿إِنِّي أَلْقَىٰ إِلَيْكَ كِتَابًا كَرِيمًا﴾ [النمل: ٢٩]، فاح منه شميمٌ عَرَارٍ^(١) نجد وما بعد العشيَّة من شميم، فَمُتَّعْتُ بما هو أخلقى من الوصل بعد الهجر، ومن الأمن بعد الخوف، ومن البرء بعد السقم، ولم أذر أطيْفُ مَنام، أو زائرُ أخلام، أم قُرب نوى بعد البعاد، أم حبيبٌ وافى بلا ميعاد، من أديبٍ أشرق بدرٌ مجده ساطعاً، وألبسني بُردَ المَسْرَةِ أخضرَ يانعا: [الوافر]

أهْمُ بَبَسَطِ حَجْرِي لِالتقاطِ إذا حاضرتُ بالدرِّ التَّسْبِيحِ
فحداني أن أحتَّ مَطِيَّ الهَمِّ، إلى نحو كعبة الفضل والكرم، فحرَّكتُ مجمر الطبع حتى عبق عنبراً ونذاً، وهزَّزتُ قُضْبَ اليراع على خد الطُّرس فانتثر أقاحاً ووزداً.
وقد كنتُ ممَّن زجر عن هذه الصُّناعة طبعه، فإنها كما قيل كالياسمين لا يساوي جمعه.

ولسانُ التَّقْصِيرِ، كما قيل قَصِير، لاسيَّما والجود عبدٌ أنت سيِّده، والفضلُ عَقْدٌ أنت مُقلِّده، والبلاغةُ سِوار ليس لغيرك عليه يد، وِرْداءُ المعارفِ مُستعار منك، وإن كان لا يُسترد، وللِفصاحةِ ماءٌ لا يجري في غير ناديك، ويَنبوعُه لا يتدفَّق إلا من أياديك: [الوافر]

ولو صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لِم تَزِدْهَا على ما فيكَ من كَرَمِ الطُّبَاعِ
وزمانُ الأَنسِ غابت عني أسرارُه، وطريقُ المجدِ أظلمَ دوني ليَّه ونهارُه، وانطوى عني دُجَاهُ وضُحاه، فسامرتُ نَسْرَه^(٢) ونعائمه^(٣)، ونفَضْتُ بعصا التَّشْيَارِ نُجودَه وتهائمه، وعود الهوى، قد يبس وذوى، وعهدي قديمٌ بالنُّضالِ، وإني في السَّبْقِ وقد أثقلني قيدُ الكلال.

ولا يُنكر من القرائح جُمودُها، ولا مِن نيرانِ الذِّكاءِ خمودُها، وقد غاضَ الكرام، وفاض اللُّثام، والحُرُّ لا يُستعبد بغير الوداد، ولسانُ المرءِ من خَدَمِ الفؤاد.
ولولا ابتسامِ ثغرِ المُنَى، وامتدادِ خطِّ الأملِ لنا، لملَّ كلُّ قلبٍ عاني، يفتت السُّوفَ والأمانِي.

فقد صرَفْتُ عن كلِّ شيءٍ وجَهَ مِئلي، لما نفرَ عني كلُّ شيءٍ حتى ضَبَّحَ ليلي،

(١) العَرَار: نبات طيب الرائحة، الواحدة: عرارة.

(٢) النَّسْرُ الطائر: مجموعة من النجوم معروفة بمشابهتها للنسر، والنجم الأول يسمى: الطائر، والنسر الواقع: النجم ذو القدر الأول في مجموعة النجوم التي تسمى (الشلياق) وكلا النسرين في النصف الشمالي من القبة السماوية.

(٣) النعائم: منزلة من منازل القمر صورتها كالنعامة، وثمانية أنجم تكوّن منزلة من منازل القمر.

واستوحشتُ من كلِّ شيءٍ حتى ظَلَمِي، وملَّتُ حتى المَلَلُ فقلَّتْ مَنْ لَيْلِي وَمَنْ لِي:
[الخفيف]

إِنَّ دَهْرًا يُلْفُ شَمْلِي بِسُغْدَى لَزِمَانٍ يَهُمُّ بِالْإِحْسَانِ
وفي المثل: «أُعْطِيَ الْعَبْدُ كُرَاعًا، فَطَلَبَ ذِرَاعًا»^(١).

فَعَسَى أَنْ تُمْتُوا بِسُطُورٍ، هِيَ سَلَالِمٌ يُتْرَقَى بِهَا إِلَى الشَّرُورِ.

لَا زِلْتَ تَرْقُلُ فِي ثَوْبٍ بَقَاءً بِالصُّحَّةِ مُغْلَمٌ، وَتَقِيلُ فِي رِبْعٍ مَسْرَّةً جِمَاهُ عَنِ الْأَكْدَارِ
مُحْرَمٌ، أَلَمَى الظُّلَالِ عَذْبُ المِشَارِبِ، تُسَطَّرُ مَحَامِدُهُ بَيْنَ دَفْتِي المِشَارِقِ وَالمِغَارِبِ، مَا
حَنَّ صَدِيقٌ إِلَى صَدِيقٍ، وَصُرِفَ بِدِرَاهِمِ النُّجُومِ دِينَارُ الشَّمْسِ الْأَنِيقِ، وَالسَّلَامِ.

فَأَجَابَ بِقَوْلِهِ: [الكامل]

أَسْقِيطُ طَلًّا فِي حَدِيقَةِ آسٍ	أَمْ ذَا حَبَابٍ دَارِ فَوْقِ الكَاسِ
أَمْ دُرٌّ تُغْرِ الْأَقْحُوَانَةَ بِأَسِيمٍ	أَمْ دَمْعُ طَرْفِ الشَّرْجِسِ النُّعَاسِ
أَمْ جَنَّةٌ جَنَّ النَّسِيمُ بِحُسْنِهَا	أَغْصَانُهَا مِنْ ذَاكَ فِي وَشَوَاسِ
أَمْ هَذِهِ زُهْرُ النُّجُومِ تَزِينَتْ	مِنْهَا السَّمَاءُ هِدَايَةً لِلنَّاسِ
أَمْ ذَا هُوَ السَّحَرُ الحَلَالُ حَلَا أَمْ أَلْ	عَذْبُ الزُّلَالِ وَكُلُّ غُضُو حَاسِي
أَمْ رُقْعَةٌ رَفَعَتْ لَوَاءً بَيَانِهَا	فَأَتَى المَبْدِيعُ لَهَا ذَلِيلَ الرَّاسِ
نَطَقَتْ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ ظَلَّتْ لَهَا أَلْ	أَحْدِيقٌ بَيْنَ مُحَقِّقٍ أَوْ خَاسِي ^(٢)
الشُّعْرُ فَاخِرَ أَنْجَمِ الشُّغْرَى بِهَا	وَالجَوْ قَالِ الفَضْلُ لِلْقِرطَاسِ
مَنْ ذَا يُطَاوِلُهَا وَمَطْلَعُ نُورِهَا	أَفْقُ الشُّهَابِ وَظُلْمَةُ الْأَنْقَاسِ ^(٣)
وَافَتْ فَمَا وَفَيْتُ بَعْضَ حَقُوقِهَا	إِلَّا بِبَذْلِ النَّفْسِ وَالأَنْفَاسِ
طَارَ الفِؤَادُ لَهَا فَقالَ وَقَارُهَا	مَا فِي وَقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسِ
جَاءَتْ تُحَدِّثُ عَنِ مَحَاسِنِكَ البَتِي	شُدَّتْ إِلَى حُسْنِ الثَّنَا بِمِرَاسِ
أَمَّا الفِصَاحَةُ صَحَّ أَنَّكَ قُسُهَا	بِالرَّغْمِ مِنْ غَمْرِ حَسُودِ قَاسِي
لِلَّهِ دُرٌّ عَقِيلَةٌ أَبْرَزَتْهَا	عَقَلْتُ بِبَهْجَتِهَا عَقُولَ النَّاسِ
مِنْ كُلِّ بَيْتٍ كَادَ يُشْبِهُ لَفْظُهُ	مَعْنَاهُ كُلُّ دَقٍّ عَنِ إِحْسَاسِ
شَرَحْتُ لِي الوُدَّ القَدِيمَ وَذَكَرْتُ	قَلْبًا قَدِيثُكَ لَمْ يَكُنْ بِالنَّاسِي
مَا أَخْطَأْتُ رَشْدًا وَإِنْ تَكُ أَبْطَأْتُ	خَيْرُ اللُّقَا مَا كَانَ بَعْدَ الْيَاسِ

(١) الكراع من البقر والغنم: مستدق الساق العاري من اللحم، يذكر ويؤنث وفي المثل: «لا تطعم

العبد الكراع، فيطعم في الذراع».

(٢) الخاس: الضافر الذليل.

(٣) الأنقاس: المداد يكتب به، وجمعه: أنقاس ونقس.

فألحِبُّ أن أَرْضَى بما تَرْضَى وها
 كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فِشِيمَتِي حِفْظُ الْعَهْوِ
 يَا مَنْ زَهَا حُرَّ الْقَرِيضِ بِلَفْظِهِ
 وَمَنْ اسْتَنَارَتْ مِنْهُ مِصْرٌ وَأُفْقُهَا
 وَمَنْ انْمَحَى ذَنْبُ الزَّمَانِ لِأَجْلِهِ
 دُمْتَ الْمُقَدَّمِ فِي الْمَجَادَةِ وَالْإِجَا
 وَالْيَنْكَهَا وَهِيَ الْمَلَاحَةُ نَفْسُهَا
 فَإِذَا أَصَاخَ لَهَا الْحَسُودُ حَسِبْتَهُ
 عَذْرَاءً تَبْسُطُ عُدْرَةَ تَقْصِيرِي وَمِنْ
 أَنِّي لِمِثْلِي أَنْ يَجِيءَ بِمِثْلِ مَا
 لَكُنَّهَا رُدُّ السَّلَامِ سَلَكْتُ فِيهِ
 فَعَلَيْكَ مِنْ أَوْفَى السَّلَامِ أَبْرَهُ
 حَلَّ الْمَحَلَّةِ جِسْمُهُ وَالْقَلْبُ فِي
 بَعْدَ تَقْبِيلِ ثُرَيَّا ذَلِكَ الثَّرَى، الَّذِي عَبِقَ فِي الْمَشَامِ عَنَبَرًا، وَقَلَّدَ جِيدَ الزَّمَانِ دُرًّا.

لازال متبع البيان، ومُتَّجِع الأعيان، ولا برح جوهرُ حصبائه يُفضله العيان، على
 قلائد العقيان.

هذا، وقد وصل إلي، وصل الله لك أسباب العُلا، وأبسك رائق الحُلى، كتابك
 الخطير في رُقعة من محاسن لفظك الرائق الجلباب، المُزري برؤنق ريق الشباب، وبهجة
 من بدائع خَطِّكَ المستوقف للناظر، المُخجل بحُسْنِهِ الوشي الفاجر، والروض الناظر،
 فأجنانِي ثمرَ البرِّ يانعا، وجلِّي عليَّ وَجْهَ الْوُدِّ أبيضَ ناصعا: [الخفيف]

وأراني كيف انقياد القوافي في زمام البيان سَمْعاً وطَوْعاً
 وفتح للمخاطبة بابا، طالما كنتُ له هَيَّابا، ورفع حجابا، ترك القلبَ وجابا.
 ما زلتُ أغازلُها أملا، فلا أطيقُ لها عملا، والأحظُّها أمدا، أذوب دونه كَمدا:
 [الطويل]

وفي تعبٍ من يحسُدُ الشمسَ نورَها ويزعمُ أن يأتي لها بضربٍ
 لا جرمُ أنه اقتضاني خالصَ وُدِّ، وصحيحَ عهد، لم يلتفت مني إلى معذرة، ولم
 يكلاني إلى ما في الوُضع من المقدره، وقد يعود على علمك بحرُ القريحة ثمدا^(١)،
 وحسامُ الذهن مُغضدا.

(١) التمدد: الماء القليل ليس له مدد، والمكان يجتمع فيه الماء.

فتكلّفُها بحكم هذا الغرام تحت حَصْرٍ، ونازح بَصْرٍ، فإن سَمَحَتْ بالإغضاء، وسامحت في الاقتضاء، سلّمت لك اليدُ البيضاء، وظهرت لشكرِكَ بالفضاء.

وأما العذرُ الذي توخّيت - ولا عُدِمَت - شَرَحَه، وحمّيت بقوة الكلام سَرَحَه، فأنت غنيٌّ عن تكلفاتٍ إيضاحه، ومدّ أوضاحه، فالذي يثبّت في النفوس، من الوُدِّ المصون المحروس، لا يُخشى عليه من تسلّطِ الطُموس والدُّروس.

ولا أقول إن وُدِّي لك كالتبر، إذ لا يصفو ما لم يشبّه لهيبُ الجمر، ولا كالرّاح، حيث يفتقر في الرّفة إلى مرّ المساء والصّباح.

بل أقول: إن وُدِّي لك - أبيت اللعن - كالقُرات العذب، يشفي غليل القلب، ويُطفي لهيب الصّب، يحلّ بالأرض الميتة فيحييها، ويمرّ بالروضة الذّابلة فيتوجّجها بالأزهار ويحليها.

وأنت - أعزّك الله - لا تثريب عليك إذ كلُّ يعمل على شاكلته، ويجري في أمره على مقتضى مرّتيته، فإن حُتو السيد - وأنت ذاك - يُستكثر قليله، وإخلاص العبد، وهو أنا، يُستخقر، كما علمت، جليله، والحقُّ أغلب، ومعرفة المرء نفسه أظوب.

وإن تفضّلت بالاستفسار عن أحوال العبد، فالحالُ في خير، والمآلُ يعلمه الله تعالى. وبالجملة، فسهم المصيبة إن سدّده الدهرُ فعلى مثله وقع، والتألم بمثل هذه الحالة قد ارتفع: [الطويل]

ولم أرَ مثل الصّبرِ أما مذاقُه فحُلوٌ وأما وجهه فجميلٌ
وكذلك كلُّ من دعا الصّبرَ لما شاء أجاب، وأراه من نشره الأفق المنجاب، وأقامه بين مبرّاتٍ وألطف، وأعطاه ممّا أحبّ جنّى قِطاف.

ولله دَرّ القائل: [الوافر]

يعيشُ المرءُ ما استغنى بخيرٍ ويبقى العودُ ما بقي اللّحاء
وهو الدهرُ لا يرّد عن مرّاده، ولا يُصدّر في إصداره وإبرّاده: [المتقارب]
فيومٌ علينا ويومٌ لنا ويومٌ نساءً ويومٌ نَسَرَ^(١)
على أن طول الغيبة ليس لشيء، علم الله، أثرته على لُقياكم، إذ استبدله طوعاً لكنه ارتكابٌ للأخف من الضّررين، واختيارٌ للأهون من الشّرّين: [الطويل]

عسى غلطاً يُثني الزمانُ عِناهُ بدورِ أمورٍ والأمورُ تدورُ
فقدركَ آمالٌ وتُفضي مآربٌ ويحدثُ من بعدِ الأمورِ أمورُ
فلذلك قنعتُ من البحرِ بالوشل^(٢)، وسرّخت في رياض المني بين عسى ولعلّ،

(١) البيت للنمر بن تولب العكيلي.

(٢) الوشل: الماء القليل، يتحلب من صخر أو جبل.

فقد قيل: إذا دار الفلك، فعليتك أو فلك، ولله في خلقه أمرٌ لا تُدرك العقولُ حكمته، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ أَلْفَيْتَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ [الشورى: ٨٢].

وما اجتليته في كتابك الخطير، وروضِ خطابك المطير، استدعى شيئاً من نظم العبد ونثره، والتنويه بذلك من حامل ذكره.

فلا عِدْمَتُ منك مولى على الإحسان مثابراً، وحكيماً لكسر إكسبير^(١) الخاطر جابراً. مع تشبُّت الحال لبعد مزارك، ونأى داري عن دارك.

وأقسم أني صممتُ على التَّغافل عن الجواب، وهو الأولى بالصواب، إذ ليس بلبيبٍ مَنْ يقيس الشُّبْرَ بالبَّاع، والجبانَ بالشُّجاع، وكيف لا، وكلُّ مَنْ تكلف فوق طاقته، افتضح لساعته، لكن عدم الامتثال محذور، والمُلجأ إلى ما لا يُطاق معذور.

فتكلَّفتُ ما يُعرض عليك من المُسمَّطات^(٢)، سوى القصيدة المشار إليها بذكر بعضها، فإنها متقدمة على ورود مُشرفيتكم.

فمثلك مَنْ سدَّ الخلل، وتجاوز عن الزلل.
والله يُيقيك، ومن كلِّ سوء ييقك، والسلام.

قوله في القصيدة: «حلَّ المحلَّة» إلخ، كقول ابن الخازن^(٣): [البيسط]

يوماً بحزوى ويوماً بالعقيق ويو
مأ بالعذيب ويوماً بالخليصاء^(٤)
ولأبي تمام: [البيسط]

بالشَّام أهلي وبغداد الهوى وأنا
وللأمير أبي فراس الحمداني: [السريع]

يا هل لصبِّ بك قد زدته
قد عدم الدنيا لذاتها
فهو أسير الجسم في بلدة
على بلايا أسره أسرا
لكنه ما عدم الضبر
وهو أسير القلب في أخرى

ولابن عبد ربه الأندلسي صاحب «العقد»^(٦): [البيسط]

(١) الإكسبير: مادة مركبة، كان الأقدمون يزعمون أنها تحول المعدن الرخيص إلى ذهب، أو هو شراب - في زعمهم - يطيل الحياة.

(٢) المُسمَّطات: قصائد يؤتى فيها بأشطار مقناة بقافية، ثم يؤتى بعدها بشطر مقفى بقافية مخالفة، ويستمر على هذا النهج مع التزام القافية المخالفة في القصيدة حتى تنتهي.

(٣) ابن الخازن: أحمد بن محمد الدينوري، أبو الفضل البغدادي، المعروف بابن الخازن، توفي سنة ٥١٢، له ديوان شعر. انظر هدية العارفين: ٨٢/١.

(٤) البيت منسوب في معجم البلدان: ٤٦٧/٢ لعبد الله بن أحمد بن الحارث، وفي نسخة الربحاه ٣٠٠/٤.

(٥) ديوانه: ٣٢٣.

(٦) ابن عبد ربه الأندلسي: أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب، أبو عمر القرطبي الأموي، ولد

الجسْمُ في بِلْدٍ والرُّوحُ في بِلْدٍ
 إن تَبِكْ عَيْنَاكَ يَا مَنْ قَدْ كَلِفْتُ بِهِ
 ولابن الفَارِضِ^(١): [الخفيف]
 كَيْفَ يَلْتَدُّ بِالحَيَاةِ مُعْنَى
 فِي قُرَى مِضْرَ جِسْمِهِ والأَصْنِحا
 وقلتُ أَنَا فِي مثله: [الخفيف]
 شَتَّتَ النَّوْمُ والأَحْبَبَةُ عَنِي
 أَنَا فِي بِلْدَةٍ وَأَهْلِي بِأَخْرَى
 فَكَأَنَّ الزَّمَانَ مَنِي اشْتَرَى الصَّفْ
 وقوله في المنشور: «وَدِّي لَكَ» إلخ، كقول أبي محمد بن سُفْيَانَ من شعراء
 «القلائد»: [الطويل]

كُتِبْتُ وَمَا عِنْدِي أَصْفَى مِنَ الرَّاحِ وَأَضْوَاءُ مِنْ سِقْطِ الزَّوْدِ عِنْدَ الاقْتِدَاحِ
 وقول أبي محمد بن القاسم الوزير، في جوابه:
 كُتِبْتُ عَنْ وَدٍّ لَا أَقُولُ كَصَفْوِ الرَّاحِ، فَإِنْ فِيهَا جَنَاحَا، وَلَا كَسِقْطِ الزَّوْدِ فَرَبِّمَا كَانَ
 شَحَاحَا، وَلَكِنْ أَصْفَى مِنْ مَاءِ العَمَامِ، وَأَضْوَاءُ مِنَ القَمَرِ لَيْلَةَ التَّمَامِ.
 فراجعه بقوله: كُتِبْتُ - دَامَ عَزُّكَ - عَنْ وَدٍّ كَمَا العَمَامُ الوَزْدُ نَفْحُهُ، وَعَهْدِ كَصَفَائِهِ
 صَفْحُهُ، وَلَا أَقُولُ أَصْفَى مِنْ مَاءِ العَمَامِ فَقَدْ يَكُونُ مَعَهُ الشَّرْقُ، وَلَا أَضْوَاءُ مِنْ قَمَرِ
 التَّمَامِ، فَقَدْ يَدْرِكُهُ النَّقْصُ وَيُمَحِّقُ.
 وليس ما وقع فيه الاعتراض مُخْتَصَبًا بِصَفْوِ الرَّاحِ، وَلَا بِسِقْطِ الزَّوْدِ عِنْدَ الاقْتِدَاحِ،
 فَإِنَّ أُمُورَ هَذَا العَالَمِ هَذِهِ سَبِيلُهَا، وَجِيَادُ الكَلَامِ تَجُولُ كَيْفَمَا أُرْسَلَهَا مُجِيلُهَا.

وعلى ذكر القِصَّةِ قلتُ: [البسيط]
 إن الصَّفِيَّ الَّذِي قَدْ كُنْتُ أَعَهْدُهُ
 عِنْدَ المُلَمَّاتِ دُخْرًا لِلدُّوَادِ مُذِقُ
 وَقَدْ يَغْصَرُ بِخَيْرِ الزَّادِ آكُلُهُ
 وَقَدْ يَكُونُ مِنَ المَاءِ الزُّلَالِ شَرَقُ
 وقلتُ أَيضاً: [البسيط]

= سنة: ٢٤٦، وتوفي سنة: ٣٢٨، صنف: الإرشاد في اللغة، والعقد الفريد في النوادر والأدب،
 واللباب في معرفة العلم والآداب، وغير ذلك بالإضافة إلى ديوان شعره. انظر هدية العارفين: ١/٦٠

(١) ابن الفارض: عمر بن الحسن بن علي بن المرشد، شرف الدين، أبو حفص الحموي الأصل
 المصري الدار، المعروف بابن الفارض الصوفي، ولد سنة: ٥٧٦، وتوفي بمصر سنة: ٦٣٦، له:
 الألغاز، وديوان شعره. انظر هدية العارفين: ٧٨٦/١.

إن كنت تُوجعني باللوم في زللي وظللت تُبريئني مني الذاء بالذاء
فقد يسوغ بضرب عصة من قد استغاث فلم يُنجذه بالماء

فصل

كنت في عُنفوان الشباب أهوى الهزل والخلاعة، مع هذا الأديب، لكثرة ما عنده من الأهواء، فكتبت له يوماً، وقد رأيتُه يتحدث مع بعض الأحداث:

ما بال مولاي مُغري بتقديم الذكور على الإناث، ومرتكباً لآثام تُطلق بها حور الجنان بالثلاث؛ وذلك لأن الرجل خير من المرأة بالاتفاق، فلذا تخلف عن الخلاق، وشق جيب الشقاق، كما قلت: [الوافر]

أديب مال عن حب الغواني وبالفلمان أصبح ذا اكتراث
أقلت بزاي أزياب المعاني فغلبت الذكور على الإناث
وما سواه على خلاف القياس، وإن لم يخل مثله عن لبس والتباس، وأيران تحت لحاف خطر.

وممن خالف المعاني، الأديب الأصفهاني، حيث قال: [الدويت]

هاتيك حبيبتني ازدهتني طيباً أو سعت بها ابن هانيء تكذيباً
لو أمعنت النحاة فيها نظراً لم تدع إلى المذكر التغليباً
والتغليب باب واسع الموارد، كثير المصائد والأوابد، فليُنظر الصواب، ولا يرسل الباز في الضباب.

٤٨- الوزير عبد العزيز الثعالبي الأديب

ساحرٌ تخلبُ نَفْثاته العقول، وفاضلُ الأيام من فضله غررٌ وحجول.
إن ذكرَ رِقَّةَ طَبِيعه فما الشَّمَال والشُّمول، أو شِغْرُه فما أبياتٌ غيره إلا دارسات
رُسومٌ وظُلول.

إذا طرّز بكلامه برود المجد، تخاله ممن جاور سُكّان تِهامة ونجد.

قدت من أديم المجد جلاله، ففضح الرياض وسحر السحر أقواله.

ديمةٌ مجدٍ أمطرت سحائبه، وسماءٌ فضلي شرف كواكبها مناقبه: [البيسط]

شمائل لا جيبُ الزمانِ مُعطراً حكاهما ولا خدُ الشمولِ مُورّداً

أطلع في رياض المغرب وَرَدَهُ وَسَوَسَنَهُ، وأصبح للفيقه مالكا فضائله في صحف
الدهر «مدونة».

بمثله بطون الإمكان عقيمة، فلو رآه الثعالبي^(١) توج به «تيممة اليتيمة».
إذا جلى كواعب كلماته فضحت الكواكب ثورا، وإذا أنشأ عد نثر سواه هباء
مشورا.

ولما قدم قسطنطينية الروم اجتمع به الأفاضل، وعظمه من بها من الصدور
والأمائل، فكتبت إليه مادحا، ولعذب أدبه مائجا، بقولي من قصيدة: [الرجز]

واقث وطرزف النجم مكحول الحدق
سكرانة الألحاظ من خمر الصبا
واستفجلت في خطوها تكاد أن
مائية تفضح أغصان النقا
فأبصرثني للسقام لابسا
فابتسمت فكاد من بارقيها
ما اهتز غصن البان إلا فرقا
ومنها:

راق لناظري وروده ورق
بهجرها فكيف لي منه شرق
كوزد بحر قد نفى قذى الملق^(٢)
أحيى زمانا فيه للفضل رمز
حتى زها مقتطفا ومنتشق
من أشهب بقصب السبق أحق
سعت إليك بين خب وعنق^(٣)
أهدى لها دُرّ الثناء في طبق^(٤)

(١) الثعالبي: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري، الإمام: أبو منصور الثعالبي الأديب

اللغوي، ولد سنة: ٣٥٠، وتوفي سنة: ٤٢٩، له الكثير من التصانيف منها: أحاسن المحاسن،

والتمثيل والمحاضرة، والتوفيق للتلفيق، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب، وفقه اللغة،

واللطف واللطائف، وبيتمة الدهر، وبيتمة اليتيمة. انظر هدية العارفين: ٦٢٥/١.

(٢) ملق الفرس ملقا: كان عدوه لطيفا مسرعا.

(٣) الخب: يقال: خب الفرس: نقل أيامه وأياسره جميعا في العدو، والعنق: ضرب من السير فسيح

سريع للإبل والخيول.

(٤) صر دز: علي بن الحسن بن علي البغدادي، توفي سنة: ٤٦٥ هـ شاعر مجيد، كان يقال لأبيه: صر

بعر لبخله، قال الذهبي لم يكن في المتأخرين أرق منه طبعاً مع جزالة وبلاغة، تقنطر به فرسه

فهلك بقرب خراسان. الأعلام ٢٧٢/٤.

قد وصف السحرَ لسانَ طرسها
حتى غدا العنبرُ يُلقى نفسه
ومدحه صاحبنا الأديب أبو المعالي الطالوي بقصيدة أنشدنيها، منها: [الطويل]

لعبد العزيز الأوحدي الثعالبي
فما بعدها في الدهر تُلقى يتيمة
سوادُ سطورٍ في بياضٍ مهاريق
والألمى وَسَطُ الشفاهِ يُعلُّ من
والأرياضُ قد كسَّتها يدُ الصبا
كانَ عليها عَبَقْرِيٌّ مَطَارِفِ
فكيف ترى عينَ يتيمةٍ دهرها
فللهِ مولى قد شهدنا بما وَشَى
وَحَكْمِ فِي نِظْمِ القَريظِ خَواطِرًا
فما يَشْكُرِيُّ القَومَ يَومًا وإن شدا
فكم بنت فكرٍ قد جلاها بنائه
كانَ صَبًا دارِينَ فَضَّتْ عَشِيَّةً
ومرَّت بَوادي الشَّخِرِ مُجتازَةً اللَوى
تُجاذِبُ من نَجِدِ شَمِيمِ عَرائِهِ
ووافَت جَمَى الزَوراءِ ليلًا فساجلت
وللمغربِ الأَقصى ثَنَّت من عِنايها
بِحيث تَرى البَيتَ الإِماميِّ مَعتلى
مَجَرُّ العَوالِي السَّمهَريَّةِ والقَنا
عليها أسودُ الإنسِ في يَومِ سِلمِها
بِها يَكلأُ اللَهُ الخِلافَةَ في جَمَى
جَمَى المَلِكِ المَنصُورِ مَولايَ أَحمدِ

بِعارِضِ خُطِّ عَلَي خَدِّ الوَرَقِ
في النَّارِ من غَيبِ لَدِيهِ وَحَتَّقِ

بدائعُ فاقَت مُبَدَّعاتِ الثَّعالبي
ولا قَبَلها وَشَتُّهُ أَقلامُ كاتِبِ
وَشامُ عَلَي خَدِّ لِحسانِ كاعِبِ
جَنى الثَّحَلِ مَمزُوجًا بِماءِ المَذانِبِ^(١)
طرائِفَ وَشَي من نَسِيجِ السَّحائبِ
ومِن حُلَلِ الدُّيباجِ وَشَي عَصائِبِ
وأُم سَجاياءِ وَلَوُدِ الغَرائِبِ
مُكاتِبَةَ الصَّادِينِ صابِ وصاحبِ^(٢)
أبَت غيرَ نِظْمِ النُّيراتِ الثَّواقِبِ
بِنِظْمِ القَوافِي عَندَهُ غيرَ ناعِبِ^(٣)
عَلينا وما غيرُ الأديبِ بِخاطِبِ
عَلى عَظفِها المِياسِ مِسانِكَ الحَقائِبِ
لِوى الرِّمْلِ فيهِ البانُ مُرَخى الذَّوائِبِ
فَيزنو لها الحَودانُ من لَحَظِ غاضِبِ^(٤)
عَلى الكَرخِ دارًا بِالدُّمُوعِ السَّواكِبِ
تَؤُم جَمَى البَينِضاءِ عَزَّت لِطالِبِ
تَطوِّفُ بِه الأَملاكُ من كُلِّ جانِبِ
ومَجَرى الجِياذِ المُقَرَّبَاتِ السَّلاهِبِ^(٥)
وفي الحَربِ تُلقى دَامِياتِ المَخالِبِ
مَليكَ قَصىِّ العَزمِ داني المَواهِبِ
إِمامِ الهَدى رامي العَدى بِالمَقائِبِ^(٦)

- (١) المذنب: سيل الماء، والجدول إذا لم يكن واسعاً.
- (٢) الصابي: أبو إسحاق إبراهيم بن هلال، والصاحب: إسماعيل بن عباد.
- (٣) يعني المنخل يشكري الشاعر المشهور، ناعب: يقال: نعب الغراب نعباً ونعبياً ونعباً: صاح وصوت، ويقال: نعب البعير نعباً: أسرع في سيره.
- (٤) الحودان: نبت يرتفع قدر ذراع، له زهرة حمراء في أصلها صفرة، وورقته مدورة.
- (٥) المقربة من الخيل أو الناقة تكرم فيعرب مربطها ومعلقها، والسلهب: الطويل.
- (٦) المقائب: جمع قنب: الجماعة من الفرسان والخيل دون المئة تجتمع للغارة.

من الأسَل الخَطِيّ دامي الثعالب^(١)
صِلَالُ نَقَا مَذْعُورَةٌ فِي مَسَارِبِ
فَتَكْرَعُ فِي حَوْضِ مِنْ الدَّمِّ رَاغِبِ
وَمُعْتَرِكِ الْهَيْجَا بِمَاضِي الْقَوَاضِبِ
وَفِيهِ الْمَنَايَا مُزَقَّتْ فِي الْكُتَائِبِ

وهل بعد هذا الفخر شأؤ لطالب
قلائد نظم كالنجوم الثواقب
وفيكم أتى التّنزيلُ يا آل طالب
رسولاً إلى البيضاء تُقضى مآربي
لراجيه أتدى من غيوث سواكب
دليل على أن الرّجا غير كاذب
قواف عسى عني تقوم بواجب
ترقرق ماء في متون القواضب

وأُنشدني الفاضل عبد العزيز بقسطنطينية قصيدة، منها: [البيسط]

وُلجّة الصُّبْحِ أَخْفَتْ نَرْجِسَ الْأَفْقِ
وَلَيْسَ غَيْرُ دَخَانِ النَّدِّ مِنْ غَسَقِ
كَأَسْوَدِ لَابِسِ طَوْقاً مِنَ الْوَرِقِ
سَوْسَانَةُ الْفَجْرِ يَوْمًا وَزَدَةُ الشَّفَقِ
أَتَتْ لَتَقَطَعَهُ كَافُورَةُ الْفَلَقِ
فَنَمَّ وَقَدْ الصَّبَا عَنْ نَشْرِهِ الْعَبَقِ
وَلَيْسَ غَيْرُ أَحْمَرَارِ الْوَرْدِ مِنْ عَلَقِ
وَحُضْرُ أَوْرَاقِهِ فِيهِنَّ كَالدَّرَقِ
كَأَنَّهُنَّ جِرَاحَاتٌ عَلَى نَسَقِ
بِيضاً عَلَى زَرْدٍ مَفْكُوكَةِ الْخَلْقِ
كَخُلُقِهِ وَشَدَا رِيَاءَهُ كَالْخَلْقِ
آيَاتُ سُؤْدِدِهِ فِي وَجْهِهِ الطَّلَقِ

بَدَتْ فَهَيَّجَتْ الْوَرَقَاءَ فِي الْوَرَقِ

أَسْوَدٌ عَلَى مَثْنِ السَّرَاجِيْبِ غَابَهَا
تَلَوَّى بِأَيْدِي الدَّارِ عَيْنَ كَأَنَّهَا
تَرَى السَّرْدَ نَهِيًّا وَالْقَتِيرَ حَبَابَهُ
مُؤَيِّدُ دِينَ اللَّهِ مُشْتَجِرُ الْقَنَا
سَلِيلُ الْوَعَى إِنْ يَنْتَضِي يَوْمَ مَعْرَكِ
ومنها:

فِيَا ابْنَ الْأَلَى هَذِي مَنَاقِبُ فَخْرِهِمْ
لَعِنْدِي عَلَى بُغْدِ الدِّيَارِ وَنَائِيهَا
وَلَكِنْ قَوَافِي الشَّرِّ كَيْفَ أَجِيدُهَا
وَإِنِّي لِأَهْوَى أَنْ أَكُونَ مَعَ الصَّبَا
لَدَى مَلِكِ دَانِي التَّوَالِ وَكُفُّهُ
عَلَى كُلِّ خَطٍّ مِنْ أَسْرَةٍ وَجْهِهِ
لِسُدَّتِهِ مَأْوَى الْعُفَاةِ بَعَثْتُهَا
عَلَيْهَا مِنَ الْمَدْحِ الْإِمَامِي جَوْهَرُ

زُجَاجَةُ الْفَجْرِ أَبَدَتْ خَمْرَةَ الشَّفَقِ
فَبَاتَ فِي زُهْرِ الْأَقْدَاحِ زَهْرُ طِلَاحِ
وَاللَّيْلُ قَدْ قَلَّدَ الْإِضْبَاحَ حِينَ بَدَا
وَمَا مَحَا الصُّبْحُ نَفْسَ اللَّيْلِ وَاسْتَثَرَتْ
لَكِنْ دَمُ اللَّيْلِ لَمَّا سَالَ عِنْدُمَهُ
فِي رَوْضَةٍ أَوْدَعَتْهَا السُّخْبُ سِرًّا شَدَا
فِيهَا لَكُمْتِ كُؤُوسِ الرِّاحِ مُعْتَرِكِ
حَيْثُ الْأَسِنَّةُ زُرُقٌ مِنْ بَنَفْسَجِهِ
وَلِلشَّقِيقِ أَحْمَرَارٌ فِي جَوَانِبِهِ
وَالرِّيْحُ فَوْقَ مُتُونِ الْمَاءِ طَالَعَةٌ
وَالرَّوْضُ مِثْلُ أَبِي حَفْصٍ وَبِهَجْتِهِ
نَجْلُ السَّرِيِّ أَبِي الْعَبَّاسِ مِنْ ظَهْرَتْ
وَعَلَى مِثْوَالِهَا قَوْلُ الْجَلِيِّ: [البيسط]

فَيْرُوزُجُ الصُّبْحِ أَمْ يَأْقُوتَةُ الشَّفَقِ

(١) الشرحوب: الطويل المتناسب الأعضاء، والثعلب: طرف الرمح.

وبيت الشقيق من قول القاضي عياض^(١): [السريع]
 انظر إلى الزرع وخاماته
 تحكي وقد ماست أمام الرياح
 كتيبة خضراء مهزومة
 شقائق الثغمان فيها جراح
 ولابن الزقاق الأندلسي^(٢): [السريع]
 نثر الورد في الغدير وقد
 درجه بالهبوب نشر الرياح
 مثل دزع الكمي مزقها الطغ
 ن فسالت به دماء الجراح^(٣)

٤٩ - العلامة محمد ذكروك المغربي

عابد زاهد، فهو مشكاة نور تعلق قلبه بالمساجد.
 فأحاديثه مصابيح الأنوار، وذاته مشكاة العلوم والأشرار، وآثاره مشرقة بالكمال،
 وجماء مرتع لسوارح الطلب والآمال.
 تغبق أرواح العلاء من حلاه الناد، وتفوح في مجامر الذكاء الوقاد، وتبشر بالنجاح،
 وتنادي: حي على خير الفلاح.

مع صيت هو المسك الفتيق، والروض المثير الأنيق، وخلق بكل ذكر جميل
 خليق، فلا يدركه مبار خلفه جرى، هيات هيات فات ذا أثراً.
 وكنت وأذهم الشبية طرب العنان، وورقها خضر مائس الأفنان، وووقه مطوقة
 بروائع الأفتنان، أروذ مساقط الندى، حتى غلق به حبل الرجا، وأنا في إبان الطلب،
 أتجر في بضاعة الأدب، فنزلت بساحته، وحططت رخلي على ماء سماحته، كما قال
 الكندي: [الكامل]

وحططت رخلي في بني ثعل إن الكريم للكريم محل
 فورذت منهل إفادته الصافي، وقرأت عليه علمي العروض والقوافي، وهو شفاء
 الغليل، لاسيما في علم الخليل، فقد تخرج به طلابه، وضربت به أوتاده وامتدت
 أسبابه، حتى قامت به الأدلة، وسلمت بلا فاصلة من كل علة، وجرت في بحاره مياه
 الفضائل، حتى كاد أن يكذب القائل: [البيسط]

(١) القاضي عياض: عياض بن موسى بن عياض بن عمر، القاضي أبو الفضل البحصي البستي المراكشي، المحدث المالكي، ولد سنة: ٤٧٦ وتوفي سنة: ٥٤٤، له من التصانيف: أخبار القرطبيين، وجامع التاريخ، وغنية الطالب وبغية الكاتب، ومشارك الأنوار في تفسير غريب الحديث. انظر هدية العارفين: ٨٠٥/١.

(٢) ابن الزقاق الأندلسي: هو علي بن عطية بن مطرف البلنسي اللخمي شاعر غزل، توفي سنة: ٥٢٨، مقدمة ديوانه، والبيتان في ديوانه: ١٣١.

(٣) الكمي: لابس السلاح والشجاع المقدم الجري، كان عليه سلاح أو لم يكن.
 -٤٩- لم أشر على ترجمة له.

مثل العروض له بحر بلا ماء^(١)

فكم وشى رداء الآداب ووشع، ورد شمسها من المغرب كما ردت ليوشع، ولكل عصر يوشع يرد شمس الفضل بعد الأفول، وتشرق شمس العضر على القصر والطلول.

يُقري وفود الطلب بيانا، ويُقر عيون الأمل حسنا وإحسانا.

وله في المعالي أزومة، وفي مغارس الفضل جزثومة.

غذي بلبان الفضل وليدا وعد لبيد إذا قيس بفصاحته بليدا.

راق في جيد دهره قلادة الأوصاف، وتحلت بعذب مدائح أفواه الرواة من سائر الأطراف، حتى تهادته الدول، تهادي لذيد الكرى للمقل.

فهو أئدى على الأكياد من قطر الندى، وألذ في أفواه الأجنان من كحل الكرى:

[الكامل]

فالكون إما ناطق فمُعظّم حُرْمَاتِهِ أو ناطق فمُسْبُح

ثم إن الدهر اقتطف ثمرة فؤاده، وقطع فلذة كبده ببعض أولاده، فهاجر إلى طيبة وقال بها في ظلال النعيم، إلى أن دعاه لجواره المولى الكريم.

وكنت كتبت إليه أسليه، وأصبره في بينه وأعزّيه: [السريع]

كُنِ الْمُعَزَّى لَا الْمُعَزَّى بِهِ - - - - - إِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْوَاحِدِ

لعل الله يُخلف ما أخذ من بينك ومالك، ويجعل الباقي منهم كما قيل في المثل: فتي ولا كمالك^(٢). وأنت لا تعدم أجر الصبر على كمالك.

فكم نبت من غصن غصون، وطلع من حبة سناب حباتها دُرٌّ مكنون.

وفي الله الخلف من كل ضائع، وما المال والأهلون إلا ودائع. والسلام.

وكان أملى علي من أشعاره، وبدائع فوائده وآثاره، ما حسدني عليه الدهر فمزقه

أيدي سبًا، وهجم عليه الضياع والنسيان فنهب وسبى: [الطويل]

وسهم الرزايا بالنفائس موع^(٣)

(١) عجز بيت للغزي إبراهيم بن عثمان، وصدرة:

فهو الوزير ولا أزر يشدُّ به

وفيات الأعيان: ٤١/١ .

(٢) فتي ولا كمالك: قاله متمم بن نويرة في أخيه مالك بن نويرة لما قتل في الردة، وقد رثاه متمم بقصائد، وتقديره: هذا فتي، أو هو فتي. انظر مجمع الأمثال: ٧٨/٢ برقم (٢٧٦٢).

(٣) عجز بيت للحزيمي، إسحاق بن حسان، وصدرة:

وأغدذته ذخراً لكل مُلِمَّة

التمثيل والمحاضرة: ٨٤، وفيه: «بالذخائر موع».

تتمة وفائدة مهمة

في تفسير هذا المثل، قال ابن خالويه في كتاب «ليس»^(١):

ليس أحد سمي نواة النخلة جريمة إلا أوساً الأتصاري، في حديث له، وهو أن أوس بن حارثة لم يكن له ولد إلا مالك، ولأخيه خمسة أولاد، فلما حضره الموت، قال له قومه: كئنا نأمرك بالتزوج في شبابك فلم تفعل!

فقال: لم يهلك هالك، ترك مالك، وإن كان الخزرج ذا عدد، فليس كمالك ولد. فلعل الذي استخرج النخلة من الجريمة، والنار من الوثيمة، أن يجعل لمالك نسلاً، ورجالاً بسلاً.

يا مالك، المنيّة ولا الدنيّة، والعتاب قبل العقاب، والتجلد لا التبلد.

واعلم أن القبر خير من الفقر.

وشرُّ شاربٍ المشتف، وأقبح طاعمٍ المُقتنع^(٢).

وذهابُ البصر، خيرٌ من كثيرٍ من النظر.

ومن كرم الكريم، الدفاع عن الحریم.

ومن قلّ ذلّ، ومن أمر قلّ.

وخيرُ الغنى القناعة، وشرُّ الفقر الضراعة.

والدهرُ يومان، فيومٌ لك، ويومٌ عليك، وكلاهما مُستحذر، وإنما تُغرّ من ترى،

ويغرّك من لا ترى، ولو كان الموت يُشترى، لسلم منه أهل الدنيا.

الشريف: الأبلج، واللثيم: المعلنج.

والموتُ المقيت، خيرٌ من أن يُقال هيبت.

وكيف السّلامة، لمن ليست له إقامة.

وشرُّ من المصيبة سوء الخلق، وكل مجموع إلى تلف، خباك إلهك.

قالوا: فكان من نسل مالك بعدد الخزرج، أو نحوهم.

تفسيره:

الجريمة: التمرة تُسمى بها النواة؛ لأنها منها.

والوثيمة: حجر القداحة.

(١) لم أجد هذا الخبر في الكتاب المطبوع، انظر مجمع الأمثال: ٧٨/٢، وفيه أن صاحب المثل متمم بن نويرة.

(٢) الشارب المشتف: الشارب الذي بلغ نهاية الشرب، ولم يبق شيئاً، والمقتنع: الذي شتف من الإناة، أو: يتناصله.

وأمر بمعنى: كثر.

والهَيْبَت: الضعيف الجبان.

والأَبْلَج: السيد الوضّاح.

والمُعْلَهَج: المختلط النسب.

خاتمة

اعلم أنني كنتُ في رحلتي مُتَجَرّاً في بضائع الفوائد، مُغَرّماً بصَيْد الشُّوَارِدِ وقَيْد الأوابِد، واستِعْلَامِ خَيْرِ مَنْ لَمْ أَرَهُ مِنَ الأَدْبَاءِ والفضلاء، فسألتُ مَنْ لَقِيْتُهُ مِنَ المغربِ عَمَّنْ قَرُبَ عَهْدُهُ بِهَا مِنَ الأَعْيَانِ، وَعَنْ حَبَايَا الدَّفَائِنِ التي اذخروها وهم أقلُّ مِنَ القليلِ، والدَّهْرُ حَسُودٌ بِخَيْلٍ.

فَمِمَّنْ تَعَطَّرْتُ بِطِيبِ أَخْبَارِهِ، وَتَفَكَّهْتُ بِبَاكُورَةِ ثَمَارِهِ، بِالْمَغْرِبِ:

٥- حسام الدين بن أبي القاسم الدرعي المغربي

أديبٌ حُسَامٌ طَبِيعُهُ مُرَهَفٌ، وَمَشْرِفِيَّةُ بَحْلَى الآدَابِ والعلمِ مُشْرِفٌ.

قَدْرُهُ أَعْلَى مِنَ النُّجُومِ الزَّاهِيَةِ، وَمِسْكَ مَدَادِهِ يُرَخِّصُ شَذَاهُ الغالية.

فَاخْرَتِ الأَرْضُ السَّمَاءَ بِمَطَالَعِ شَمْسِيهِ، وَعَلِمَ قَطْرُهُ بِهِ أَنْ يَوْمَهُ خَيْرٌ مِنْ أَمْسِيهِ.

فَهُوَ رَوْضٌ تُقْبَلُ الأَرْضُ فِيهِ ثَغُورُ الزُّهُورِ، وَتُطَرِّزُ بُرُودُ الآدَابِ بِمَالِهِ مِنَ المنظومِ

والمشور.

أخبرني صاحبنا محمد بن إبراهيم الفاسي - لا زال في رَوْحِ وَرَيْحَانِ، وَلَا بَرِحَ

جَدُّهُ رَوْضَةٌ مِنَ رِياضِ الجِنَانِ - لَنَّهُ أَنشَدَهُ لِنَفْسِهِ مُضْمِناً، يَخَاطِبُ مُحَمَّدَ بْنَ يَعْقُوبَ

الأندلسي: [الطويل]

مَوَدَّتَهُ فِي غَيْبَةِ وَعِيَانِ

تَخَالَفَ رُؤْيَا السَّجْنِ لِلْفَتْيَانِ

وَأَهْوَى بِنَاتِ الغُورِ طُولَ زَمَانِي

رَفِيْقُكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانِي^(١)

وَلِي صَاحِبٌ قَدْ هَدَّبْتُ لِي يَدَ الصَّفَا

وَلَكِنْ هَوَائِي مَعَ هَوَاهُ تَخَالَفَا

فِيهِمْ بَنِي نَجْدٍ وَلِيْنَ خُصُورِهِمْ

يُذَكِّرُنِي حَالِي وَإِيَّاهُ قَوْلُهُ

٥٠- حسام الدين الدرعي: حسين بن قاسم بن أحمد بن محمد، المغربي، المالكي، العتيق الدرعي،

ولد سنة ٩٧٨ بوادي درا، تتلمذ على مشايخ عصره ومنهم: المبخوري والإمام الحميدي والزفوري

والقدومي وابن القاضي، قدم دمشق، ثم زار بلاد الروم، ثم حج وقطن في مدينة العلا، توفي

سنة: ١٠١١ غرقاً. انظر خلاصة الأثر: ١٠٢/٢-١٠٤.

(١) خلاصة الأثر: ١٠٣/٢، وفيها قبل الأبيات: وذكره الفيومي في متزهه...».

٥١- عبد العزيز الفشتالي

أديبٌ عَذْبُ اللُّسَانِ، ماضي شَبَا السَّنَانِ .
له دَمَتْ أخلاقٌ وشمائلٌ، تجرُّ وراءها ذُيولَ الصِّبَا والشمائلِ .
ألطفُ من وِجَنَاتِ وَرْدِ عِدَارِهَا الآسِ، وأسحرُ من عيونِ العِيدِ إذا غازلها النُّعاسُ .
إن خَطَّ زَيْنُ بُرْدِ البلاغَةِ ووَشَاهِ، وتغَايرَ على أخذِ الرِّقَّةِ لفظُهُ ومعناه: [السريع]
فِي طَرَبِ السَّمْعِ لألفاظِهِ وَيَرْقُصُ القَلْبُ لمعناه
بِهَمَّةٍ هي خِذْنِ القَضَا، ولُطْفِ طَبِيعِ أَلَدٍ من ذَنْبِ محاهِ الرُّضَا .
فريدٌ هِمُّهُ إلى هَضْبَاتِ الهِمَّةِ نَاطِرَةً، وحيدٌ تَقَفُ دونَ اشتهارِهِ الأمثالِ السَّائِرَةِ .
عَبَّتْ بالبيانِ راحاتُ فكرِهِ السَّاحِرَةِ، فأيقظَتْ من مَهْدِ الألفاظِ عيونَ المعاني
الفاتِرَةِ .
وكان قبلَ ما جرَّ عليه الدهرُ ذُيولَهُ قامَ لإقبالِهِ، وقربَهُ في الدولة العَلَوِيَّةِ الأحمديَّةِ
على أمثالِهِ .

فمما ارتشفه فمُ السمع والأذان، وروي بنميره العذب ظاميء الأذهان، قوله:
[الخفيف]

حين أزمعتُ عند خوفِ البعادِ وَعَدْتَنِي من الفراقِ العوادي
قال صُحْبِي وقد أَطَلْتُ التِّفَاتِي أَي شَيْءٍ تَرَكْتُ قَلْتُ فُوَادِي^(١)

٥٢- عبد السلام بن سنوس المغربي

أديبٌ قَاسٌ، ومِسْكٌ غِزْلانٌ ذلك الكِناسُ، وريحانُهُ أهدى نَفْحِهِ خبرَهُ إلى الضَّبِ
الطَّيْبِ الأَنْفاسِ .
فَلِلَّهِ طيبُ الأَخْبَارِ، وما أهداه لي من المسارِ، من كلِّ حديثٍ هو لعينِ الفخرِ فِرَّةُ .
وفي وَجْهِ دُفْمِ اللِّيالِي غُرَّةُ .
ألفاظُهُ تضحكُ على نُغُورِ الأنوارِ، الضاحكةُ لبكاءِ الأمطارِ .
أنشدني له بعضُ الأدباءِ: [الوافر]
وبدِرِ لَاحٍ من تحتِ السِّلاهِمِ يَقولُ لكلِّ قلبٍ قد سلاهُمِ

٥١- عبد العزيز بن محمد أبو فارس المغربي، المعروف بالفشتالي، كاتب الملك الحضور مولاي أحمد صاحب المغرب، أديب عذب البيان، توفي سنة: ١٠٣٠ أو ١٠٣١ . انظر خلاصة الأثر ٢/ ٤٢٥
(١) الأبيات في الخلاصة وقد زاد عليها المحيي انظر: ٢/ ٤٢٥ ٤٢٦ .
٥٢- لم أعثر على ترجمة له .

لئن خَشِنَتْ مَلايِسُهُ عَلَيهِ فَقَدِ خَشِنَتْ عَلَيِ الْوَزْدِ الْكَمَائِمِ
السَّلاهِمِ: جَمْعُ سَلْهَامَةٍ، وَهِيَ بَلْغَةٌ أَهْلُ الْمَغْرِبِ بُرْنَسٌ أَيْضٌ خَشِينٌ.

وَأَنشَدَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ الثَّعَالِبِيُّ شِعْرًا لَهُ فِي الْقَمَرِ، مِنْهُ: [السَّريِع]

دَغْ ذَا وَقَلِّ لِلنَّاسِ مَا طَارِقُ يَطْرُقُهُمْ جَهْرًا وَلَا يَتَّقِي
لَيْسَ لَهُ رُوحٌ عَلَيَّ أَنَّهُ يَرْكَبُ ظَهَرَ الْأَذْهَمِ الْأَبْلَقِ
شَيْخٌ رَأَى آدَمَ فِي عَضْرِهِ وَهُوَ إِلَى الْآنِ بِخَدِّ نَقِي
وَهُوَ بَوَسْطِ الْبَحْرِ مَعَ قَوْمِهِ لَا يَنْثَنِي عَنْ نَهْجِهِ الضُّيْقِ
هَذَا وَيَمْشِي الْأَرْضَ فِي لَيْلَةٍ أَعْجَبَ بِهِ مِنْ مُوثِقِ مُطْلَقِ
فَتَارَةٌ يَنْزُلُ تَحْتَ الثَّرَى وَتَارَةٌ وَسَطَ السَّمَاءِ يَرْتَقِي
وَتَارَةٌ يُبْصِرُ فِي مَغْرِبِ وَتَارَةٌ يُبْصِرُ فِي مَشْرِقِ
وَتَارَةٌ تُبْصِرُهُ سَابِحًا يَجْرِي بِشَاطِئِ الْبَحْرِ كَالزُّورِقِ
وَتَارَةٌ تَحْسَبُهُ وَهُوَ فِي ضَيْقَتِهِ وَالْبَعْضُ مِنْهُ بَقِي
ذُبَابَةٌ مِنْ صَارِمٍ مُرْهَفِ بَارِزَةٌ مِنْ جَفْنِهِ الْمُطْبَقِ
يَذُوقُ إِلَى عُرْسٍ بِهَا حُسْنِهَا يَخْتَطِفُ الْأَبْصَارَ بِالرُّوثِقِ
حَتَّى إِذَا جَامَعَهَا يَرْتَدِي بِحُلَّةِ سَوْدَاءٍ كَالْمُخْرِقِ
وَهُوَ عَلَيَّ عَادَتِهِ دَائِمًا يُجَامِعُ الْأُنْثَى وَلَا يَلْتَقِي
ثُمَّ يَجُوبُ الْقَمْرَ مِنْ أَجْلِهَا مُشْتَمَلًا فِي مِطْرَفِ أَرْزِقِ
حَتَّى إِذَا قَابَلَهَا ثَانِيًا تَشْكُهُ بِالرُّمَحِ فِي الْمَفْرِقِ
وَبَعْدَ ذَا تُلْبِسُهُ خِلْعَةً يَا حُسْنَهَا فِي لَوْنِهَا الْمُونِقِ
فَجَسْمُهُ مِنْ ذَهَبٍ جَامِدِ وَجِلْدُهُ صَيْغٌ مِنَ الزُّنْبِقِ
ثُمَّ يُرَى فِي حَالِ إِتْمَامِهِ مِثْلَ مِجَنِّ الْمِخْرَبِ الْمُلتَقِي
وَهُوَ إِذَا أَبْصَرْتَهُ هَكَذَا أَحْسَنُ مِنْ صَاحِبَةِ الْمَفْرِقِ
وَقَدْ نُسِبَ هَذَا لِغَيْرِهِ.

٥٢- السيد عبد الخالق الفاسي

أَدِيبٌ تَجَنَّبَ مِنْهُ الْأَلْبَابُ يَانِعَ ثَمَرَاتِهَا، وَسَمَاءٌ لَمْ تَخْرُجْ بِدُورٍ كَمَالِهِ عَنْ هَالَاتِهَا.
فَرَعٌ مِنْ شَجَرَةِ الثُّبُوءِ، الْمَسْقِيَّةِ بِمَاءِ الْوَحْيِ وَالْفُتُوءِ.
فَعَلًا وَسَمًا، فَأَصْلُهُ ثَابِتٌ وَفَرَعُهُ فِي السَّمَاءِ.

فطرازه مُذْهَبٌ عَلَى كُمْ الْمَجْدِ، لَأَنَّهُ مِنْ ذُوَابَةِ تَنُوسٍ بَيْنَ تِهَامَةَ وَنَجْدِ.
عَقْدٌ عَلَى صَدْرِ الْمَنَاقِبِ الْعَلِيَّةِ، وَتَاجٌ مَعْقُودٌ بِرَأْسِ الْعَصَابَةِ الْعَلَوِيَّةِ: [الطويل]
تَوْلَدَ بَيْنَ الْمَصْطَفَى وَوَصِيهِ وَلَا غَرْوَ أَنْ تَزُكُو هُنَاكَ الْغَرَائِصُ
شَمَامَةً فِي يَدِ الْأَدَبِ، وَرِيحَانَةً مِنْ رِيَاحِينَ الْعَرَبِ.
لَمْ تَزَلْ سَيَّارَةً الْمَسَائِلَ تَلْقُطُ أَخْبَارَهُ، وَرُكْبَانَ الْأَخْبَارِ تَتَزَوَّدُ وَتَمْتَارُ أَشْعَارَهُ.
فَمِمَّا أُنشِدُنِي لَهُ الْأَدِيبُ مُحَمَّدُ الْفَاسِي: [الوافر]

إِذَا مَا رُمْتَ نُضِجَ النَّاسِ طُرًّا تَحَرَّ الْمُقْبِلِينَ ذَوِي الْإِيَابِ
فَلَا تُسْمِعْ سِوَى مَنْ كَانَ حَيًّا وَإِلَّا لَا خَرَاجَ عَلَى خَرَابِ

٥٤- السيد يحيى القرطبي

هُوَ فِيمَا بَلَغَنِي رَوْضُ مَخْصِبِ رِبْعٍ، مِنْ وَادٍ بِالْفَضْلِ مَرِيحٍ.
مِنْ فُرُوعِ الدَّوْحَةِ الْعَلِيَّةِ الْعَلَوِيَّةِ، وَثَمَرَاتِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ النَّبَوِيَّةِ، الْبَاسِقَةِ بِمَا سَقَّاهَا
مِنْ مَاءِ النَّدَى، وَالْمُورِقَةِ الْمُثْمَرَةِ بِالْعِلْمِ وَالْهُدَى: [الطويل]
فَخَارَ لَوْ أَنَّ الشَّمْسَ تُكْسَى سَنَاءَهُ لَمَا غَشِيَتْهَا الْمُظْلِمَاتُ الدَّوَامِسُ
أَسِرَ بِالْأَنْدَلَسِ فِي وَقْعَةٍ أَسْرَتْ أَفْرَاحَ الْقُلُوبِ، وَشَقَّتْ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ
الْجُيُوبِ، فَأَصْبَحَ فِي حَالِ تَعُدُّ الْمَنَائَا أَمَانِيًا، وَيَرَى لَضَعْفِ الدِّينِ الْمَوْتَ طَبِيئًا شَافِيًا.
إِذْ عَثَرْتُ خِيُولَ الْفِتَنِ وَالنَّقَمِ، بِذَوِي الْمَرْوَةِ وَالنَّعَمِ، فَأَرْسَلْتُ قَصِيدَةً نَعَى بِهَا
الْإِسْلَامَ، وَنَادَى مَلُوكَ الرُّومِ وَعِلْمَاءَهَا الْأَغْلَامَ، فَلَمْ يَجِدْ بِهَا صَفِيئًا، يَقُولُ لَهُ لَقَدْ
أَسْمَعْتُ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا، وَذَلِكَ فِي عَهْدِ السُّلْطَانِ سُلَيْمَانَ، الَّذِي دَخَلَ فِي خَبَرِ كَانَ،
وَهِيَ هَذِهِ^(١): [البيسط]

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ فَلَا يُغَرُّ بِطَيْبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدَتْهَا دَوْلُ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ
وَعَالَمُ الْكُونِ لَا تَبْقَى مَحَاسِنُهُ وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ
يُمزَّقُ الدَّهْرُ مَنَّا كُلَّ سَابِغَةٍ إِذَا نَبَتْ مَشْرِفِيَّاتُ وَخُرْصَانُ^(٢)
وَيَنْتَضِي كُلُّ سَيْفٍ لِلْفَنَاءِ وَلَوْ كَانَ ابْنُ ذِي يَزِينَ وَالْغَمْدُ غَمْدَانُ^(٣)
أَيْنَ الْمَلُوكِ ذَوُو الثُّيَجَانِ مِنْ يَمَنِ وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلُ وَتِيْجَانُ

٥٤- لم أشر على ترجمة له.

(١) هذه القصيدة مشهورة في كتب التراث على أنها للشاعر أبي البقاء الرندي، وهي في نفع الطيب:

٢٣٢/٦، وانظر: في الأدب الأندلسي، د. جودت الركابي: ١١٥.

(٢) الخرص: الدرع والجراب.

(٣) غمدان: قصر باليمن في صنعاء، قيل: بناه سليمان بن داود عليهما السلام لزوجته بلقيس.

وأين ما سَأَسَهُ فِي الْفُرْسِ سَاسَانُ
 وَأَيْنَ عَادَ وَشَدَّادٌ وَقَحْطَانُ
 حَتَّى قَضَوْا فَكَأَنَّ الْكُلَّ مَا كَانُوا
 كَمَا حَكَى عَنِ خَيَالِ الطَّيْفِ وَشَنَانُ
 وَأَمَّ كِسْرَى فَمَا آوَاهُ إِيْوَانُ
 يَوْمًا وَلَمْ يَمْلِكِ الدُّنْيَا سُلَيْمَانُ
 وَلِلزَّمَانِ مَسْرَاتٌ وَأَخْزَانُ
 وَمَا لِمَا حَلَّ بِالْإِسْلَامِ سُلْوَانُ
 هَوَى لَهُ أَحَدٌ وَاتَّهَدَ تَهْلَانُ
 حَتَّى خَلَّتْ مِنْهُ أَقْطَارُ وَبُلْدَانُ
 وَأَيْنَ قُرْطَبَةَ أَمْ أَيْنَ جَيَّانُ^(١)
 وَنَهْرَهَا الْعَذْبُ فَيَاضُ وَمَلَّانُ^(٢)
 مِنْ فَاضِلٍ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَانُ
 أَسَدٍ بِهَا وَهُمْ فِي الْحَرْبِ عُقْبَانُ
 كَأَنَّهَا مِنْ جِنَانِ الْخُلْدِ عَدْنَانُ
 عَسَى الْهَبْكَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَ أَرْكَانُ
 قَدْ حَفَّ جَذُولَهَا زَهْرٌ وَرِنْحَانُ
 سَيْوَفَ هِنْدٍ لَهَا فِي الْجَوِّ لَمَعَانُ
 فِي كُلِّ وَقْتٍ بِهِ آيٌّ وَقُرْقَانُ
 مُدْرَسٌ وَلَهُ فِي الْعِلْمِ تَبْيَانُ
 وَالذَّمْعُ مِنْهُ عَلَى الْخَدَّيْنِ طَوْفَانُ
 أَرْسَتْ بِسَاحَتِهَا قُلُوكَ وَغَرْبَانُ
 وَذِي فُنُونٍ لَهُ جِدْقٌ وَتَبْيَانُ
 وَجَنَّةٌ حَوْلَهَا نَهْرٌ وَيُسْتَانُ
 وَأَيْنَ يَا قَوْمُ أَبْطَالٌ وَقُرْسَانُ
 رَأَى شَبِيهَا لَهَا فِي الْحُسْنِ إِنْسَانُ
 بَدَأَ لَهُ فِي الْعِدَى قَتْلُكَ وَإِمْعَانُ
 تَبْكِيهِ مِنْ أَرْضِهِ أَهْلٌ وَوِلْدَانُ
 وَرَدَّ تَوْحِيدَهَا شِرْكَ وَطَغْيَانُ

وأين ما شَادَهُ شَدَّادٌ مِنْ إِرَمِ
 وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونٌ مِنْ ذَهَبِ
 أَتَى عَلَى الْكُلِّ أَمْرًا لَا مَرَدَّ لَهُ
 وَصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ مَلِكِ
 دَارِ الزَّمَانِ عَلَى دَارًا وَقَاتِلِهِ
 كَأَنَّمَا الصَّغْبُ لَمْ يُسْهَلْ لَهُ سَبَبُ
 فَجَائِعُ الدَّهْرِ أَنْوَاعٌ مُنَوَّعَةٌ
 وَلِلْمَصَائِبِ سُلْوَانٌ يُهَوِّنُهَا
 دَهَى الْجَزِيرَةَ خَطْبٌ لَا عَزَاءَ لَهُ
 أَصَابَهَا الْعَيْنُ فِي الْإِسْلَامِ فَاثْتَجِنَتْ
 فَسَلَّ بَلَنْسِيَّةً مَا شَأْنُ مُرْسِيَّةِ
 وَأَيْنَ حِمَصُ وَمَا تَخْوِيهِ مِنْ نُزَيْهِ
 كَذَا طَلَيْطَلَةٌ دَارُ الْعُلُومِ فَكَمْ
 وَأَيْنَ غَرْنَاطَةٌ دَارُ الْجِهَادِ وَكَمْ
 وَأَيْنَ حَمْرَاؤُهَا الْعَلْيَا وَزُخْرُفُهَا
 قَوَاعِدُ كُنَّ أَرْكَانَ الْبِلَادِ فَمَا
 وَالْمَاءُ يَجْرِي بِسَاحَاتِ الْقُصُورِ بِهَا
 وَنَهْرَهَا الْعَذْبُ يَحْكِي فِي تَسْلُسِلِهِ
 وَأَيْنَ جَامِعُهَا الْمَشْهُورُ كَمْ تَلِيثُ
 وَعَالِمٌ كَانَ فِيهِ لِلْجَهُولِ هَدَى
 وَعَابِدٌ خَاضِعٌ لِلَّهِ مُبْتَهَلٌ
 وَأَيْنَ مَالِقَةٌ مَرْسَى الْمَرَائِبِ كَمْ
 وَكَمْ بَدَاخِلُهَا مِنْ شَاعِرٍ قَطِينِ
 وَكَمْ بِخَارِجِهَا مِنْ مَنَزِهِ فَرْجِ
 وَأَيْنَ جَارَتْهَا الزُّهْرَا وَقُبَّتُهَا
 وَأَيْنَ بَسْطَةُ دَارِ الزُّعْفَرَانِ فَهَلِ
 وَكَمْ شَجَاعُ زَعِيمٍ فِي الْوَعَى بَطْلِ
 كَمْ جَنْدَلَتْ يَدُهُ مِنْ كَافِرٍ فَعْدَا
 وَوَادِيَا مَنْ غَدَّتْ بِالْكَفْرِ عَامِرَةٌ

(١) بلنسية ومرسية وقرطبة وجيان: مدن وممالك في الأندلس.

(٢) حمص: هي إشبيلية، لأن الأمويين عند دخولهم الأندلس سموها المدن بأسماء مدنها في الشام.

قُطِبَ بِهَا عَلِمَ غَوِثٌ لَهُ شَانُ
 كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الْإِلْفِ هَيْمَانُ
 حَتَّى الْمَنَابِرُ تَبْكِي وَهِيَ عِيدَانُ
 قَدْ أَقْفَرَتْ وَلَهَا بِالْكَفْرِ عُمْرَانُ
 بِهِنَّ إِلَّا نَوَاقِيسٌ وَصُلْبَانُ
 إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةِ فَالْدَهْرِ يَقْظَانُ
 أَبْغَدَ حِمْنِصَ تَغْرُ الْمَرْءِ أَوْطَانُ
 وَمَا لَهَا مَعَ طَوِيلِ الدَّهْرِ نِسْيَانُ
 كَأَنَّهَا فِي مَجَالِ السَّبْقِ عِقْبَانُ
 كَأَنَّهَا فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ نِيرَانُ
 لَهُمْ بِأَوْطَانِهِمْ عِزٌّ وَسُلْطَانُ
 فَقَدْ سَرَى بِحَدِيثِ الْقَوْمِ رُكْبَانُ
 أَسْرَى وَقْتَلَا فَلَا يَهْتَزُّ إِنْسَانُ
 وَأَنْتُمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانُ
 أَمَا عَلَى الْخَيْرِ أَنْصَارٌ وَأَعْوَانُ
 سَطَا عَلَيْهِمْ بِهَا كُفْرٌ وَطُغْيَانُ
 وَالْيَوْمَ هُمْ فِي قُبُودِ الْكَفْرِ عُبْدَانُ
 عَلَيْهِمْ مِنْ ثِيَابِ الدُّلِّ أَلْوَانُ
 لِهَالِكِ الْأَمْرِ وَاسْتَهْوَتْكَ أَحْزَانُ
 كَمَا تُفَرِّقُ أَرْوَاحَ وَأَبْدَانُ
 كَأَنَّمَا هِيَ يَاقُوتٌ وَمَرْجَانُ
 وَالْعَيْنُ بَاكِيَةٌ وَالْقَلْبُ حَرَّانُ^(١)
 إِنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانُ
 تَزْخَرَتْ جَنَّةُ الْمَأْوَى لَهَا شَانُ
 فَازَتْ لِعَمْرِي بِهَذَا الْخَيْرِ شُجْعَانُ
 مَا هَبَّ رِيحٌ صَبَاً وَاهْتَزَّ أَغْصَانُ

كَذَا الْمَرِيَّةُ دَارُ الصَّالِحِينَ فَكَمْ
 تَبْكِي الْحَنِيفِيَّةُ الْبَيْضَاءُ مِنْ أَسْفِ
 حَتَّى الْمَحَارِيبُ تَبْكِي وَهِيَ جَامِدَةٌ
 عَلَى دِيَارٍ مِنَ الْإِسْلَامِ خَالِيَةٍ
 حَيْثُ الْمَسَاجِدُ قَدْ أَمْسَتْ كَنَائِسَ مَا
 يَا غَافِلًا وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ
 وَاشْيَاءَ مَرِحًا يُلْهِيه مَوْطِنُهُ
 تِلْكَ الْمَصِيبَةُ أَنْسَتْ مَا تَقَدَّمَهَا
 يَا رَاكِبِينَ عِتَاقَ الْخَيْلِ ضَامِرَةٌ
 وَحَامِلِينَ سُيُوفَ الْهِنْدِ مُرْهَفَةٌ
 وَرَاتِعِينَ وَرَاءَ الشَّهْرِ مِنْ دَعَاةٍ
 أَعْنَدَكُمْ نَبَأًا مِنْ أَمْرٍ أَنْدَلَسِ
 كَمْ يَسْتَغِيثُ صِنَادِيدُ الرُّجَالِ وَهُمْ
 مَاذَا التَّقَاطُعِ فِي الْإِسْلَامِ بَيْنَكُمْ
 أَلَا نُفُوسٌ أَبِيَاتٌ لَهَا هِمَمٌ
 يَا مَنْ لِنُصْرَةِ قَوْمٍ قُسِمُوا فِرْقًا
 بِالْأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ
 فَلَوْ تَرَاهُمْ حَيَارَى لَا دَلِيلَ لَهُمْ
 فَلَوْ رَأَيْتَ بُكَاهُمْ عِنْدَ بَيْعِهِمْ
 يَا رَبُّ طِفْلٍ وَأُمٍّ جِيَلٍ بَيْنَهُمَا
 وَغَادَةَ مَا رَأَتْهَا الشَّمْسُ بَارِزَةً
 يَقُودُهَا الْعِلْجُ عِنْدَ السُّبْيِ صَاغِرَةً
 لِمِثْلِ هَذَا يَذُوبُ الْقَلْبُ مِنْ كَمَدٍ
 هَلْ لِلْجِهَادِ بِهَا مِنْ طَالِبٍ فَلَقَدْ
 وَأَشْرَفَ الْحُورُ وَالْوِلْدَانُ مِنْ غُرْفٍ
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ

فصل

هنا تُسَكَّبُ الْعِبْرَاتُ، لَتَطْفِيءَ نِيرَانَ الْحَسْرَاتِ.
 فَهَذِهِ الْأَنْدَلُسُ دَارُ الْإِسْلَامِ، مَلِكُهَا الْكُفَّارُ وَبُدُلُ نُورِهَا بِالظُّلَامِ.
 وَجَوَامِعُهَا صَارَتْ كَنَائِسَ، وَأَسْوَدُهَا لِكِلَابِ الْكُفْرِ فَرَائِسَ.

(١) العليج: الرجل من كفار المعجم.

وجامع قُرْطَبَةَ الكبير مملوءة بالكُتُب مسدودُ الباب، ومأوى للحشرات ومزقَدٌ للكلاب.

وأسطولُ الرُوم يُنْفِق عليه الأموال، فتخرجُ رؤساؤهم بَعْدَ الحرب والرجال، ويأخذون الجزية من فقراء المسلمين، فإذا عادوا عَدُوا أنفسهم غزاة غانمين.

ولولا أهل المغرب والجزائر، لم يكن للدين معين ولا ناصر.

وقد سلط الله عليهم بني الأضفر، فصار عيشهم أسوداً بالموت الأحمر.

وسلط على قُسطنطينية دوام الطاعون الجارِف، فقلوبهم راجفة وعيونهم بالدماء ذوارِف.

وترى حريق تلك الديار، لا يخمد في ليل ولا نهار، لما بها من ظلمة الوزرَا، وإنما طغوا بعلماء سوء وقضاة عم جهلهم سائر الوري: [الطويل]

لعمرك قد عم الحريق ببلدة	بها علماء الروم في الجهل والعمى
ومن مالك وأقى رسول حريقهم	دعاهم إلى نار الجحيم جهنماً
فقال اقبلوها واقبضوا أجره لها	فإن هدمت يبنى بها ما تهدماً
فطالبهم خزائنها بوقودها	وما صرفوه في زمان تقدمما
فأفتاهم المفتي بأن ضمانه	عليهم وأن الغرم للبطء مغنماً
ومن كثرة الدين المحيط بمالهم	أباح رشاً قد كان ربي حرماً

فهذه إنذارات ثلاث، جرت عادة الله بعدها بالخراب، واستيضال من بها بأشد العذاب والعقاب، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

وهذا المعنى في الحريق ظننت أنني لم أسبق إليه، ثم رأيت في شعر أبي الحسن المنجم^(١)، حيث قال: [الطويل]

أقول وقد عايشت دار ابن صوزة	وللنار فيها مارج يتضرم
كذا كل مال أصله من نهاوش	فعمما قليل في نهابر يغرّم ^(٢)
وما هو إلا كافر طال حنسه	فجاءته لما استببطأته جهنم

ومثله قول الآخر، فيمن انكسرت يده: [البيسط]

قالوا فلان على ما فيه من عبر	قد أضبحت يده مذمومة الأثر
تأخر القطع عنها وهي سارقة	فجاءها الكسر يستقصي عن الخبر

وقوله «يستقصي» إلخ فيه لطف، يعرفه من له شمة من الأدب.

(١) أبو الحسن المنجم: علي بن هارون بن علي، كان راوية، شاعراً، أديباً، متكلماً، توفي سنة: ٣٥٢.

انظر معجم الأدباء: ١٢/١٥.

(٢) النهاوش: المظالم والإجحافات بالناس، والنهابر: الحفرة بين الآكام، حبل من رحل صعب المرتقى.

ذكر مكة المشرفة ومن بحماها، صانها الله وحماها

وزادها تشرifaً وتكريماً وتعظيماً

لَمَّا امْتَطَيْتُ مَطَايَا الْهَمَمِ، وَوَجَّهْتُ وَجْهَ عَزْمِي إِلَى قِبْلَةِ الْأُمَمِ، وَرَعَيْتُ بِالْأَخْدَاقِ حَدَائِقَ تِلْكَ الْمَسَارِحِ، وَقَدْ سَأَلْتُ بِأَغْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحِ، فِي وَقْدِ رُكْبِ عَزْمِهِمْ غَارِبَ الْمَسْرَةِ وَامْتَطَيْتُ، وَهَدَيْتُهُمُ الثُّجْبَ إِلَى أَوْدِيَةِ يَضُلُّ فِيهَا الْقَطَا، فَقَطَعُوا مَهَامَةَ وَأَطْلَالَ، يَخَافُ أَنْ يَسْرِي بِهَا طَيْفُ الْخِيَالِ.

فَكَمَ لَاحَتْ جَدَاوِلُ مَوَارِدِ الثُّوْقِ جُسُورُهَا، وَسَارَتْ بِهِمْ سَفَائِنُ بَرٍّ وَالسَّرَابِ بِحُورُهَا.

فَكَأَنَّهَا أَشْجَارٌ، يَحْرُكُهَا صَبَا الْأَشْحَارِ.

تَسْقِيهَا مِنَ السُّرَى غَمَائِمُهُ، وَتَزْهَوُ عَلَى نَوْرِ الْخُدُودِ كَمَاثِمُهُ.

بَلِيلٌ يُعَاطِي فِيهِ الرُّكْبُ مِنْ خَمْرِ الثُّعَاسِ، رَاحاً لَمْ تَذُقْ نَشَأَتَهَا مَرَاثِفُ كَاسِ، وَالشُّمَالُ تَخْدُوهُمْ بِمِسْكِ الْأَنْفَاسِ، وَالسَّمَاءُ حَدِيقَةٌ تَرْجَسُ بَيْنَ رِيحَانٍ وَأَسِ.

حَتَّى التَّقَطُّ كَفُّ الصُّبَاحِ زُهُورَ زُهْرِهِ، وَقَطَفَتْ بِنَفْسِجِ الظُّلْمَاءِ رَاحَةً فَجْرِهِ، وَوَرَدَ سِرْحَانُهُ غَدِيرَ الصُّبَاحِ، وَنَادَى الْقُمْرِيُّ عَلَى مَنَارِ الدُّوْحِ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ.

وَلَمْ أَزَلْ أَذَابُ فِي التُّسْيَارِ، إِلَى أَنْ نَفَضْتُ عَنْ مَنَكِبِ الْمَشَقَّةِ غُبَارَ الْأَسْفَارِ، فَتَزَلْتُ بِجَوَارِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَتَطَيْتُ بِمِسْكِ تَرَابِ الْحَطِيمِ وَالْمَقَامِ.

وَقَلْتُ: [الوافر]

بِمَكَّةَ لِي غَنَاءٌ لَيْسَ يَفْنَى جَوَارُ اللَّهِ وَالْبَيْتِ الْمُعَظَّمِ

فَفِيهَا كِيمِيَاءُ سَعَادَةٍ قَدْ ظَفِرَتْ بِهَا مِنَ الْحَجَرِ الْمُكْرَمِ.

فَلَمَّا أَقْضَيْتُ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاسِكِ بِتِلْكَ الْبِقَاعِ، طُفْتُ بِهَا بِلَ بِالْمَسْرَةِ طَوَافَ الْوَدَاعِ، وَخَرَجْتُ مِنْ أَحَبِّ الْبِلَادِ، وَاللَّهُ لَا يَدْعُو إِلَى دَارِهِ إِلَّا مَنْ اسْتَخْلَصَهُ مِنَ الْعِبَادِ: [البسيط]

وَمَا دَرَى الْبَيْتُ أَنِي بَعْدَ فُرْقَتِهِ مَا سِيرْتُ مِنْ حَرَمٍ إِلَّا إِلَى حَرَمٍ^(١)

قَاصِداً طَيِّبَةَ الطَّيِّبَةِ الْمُطَيَّبَةِ، وَارِداً مَوَارِدَ آمَالِي الْمُسْتَعْذِبَةِ: [الطويل]

وَقَدْ قِيلَ فِي رُزْقِ الْعَيُونِ شَامَةً وَعِنْدِي أَنْ الْيُمْنُ فِي عَيْنِهَا الزُّرْقَا

(١) هذا البيت نسبة صاحب نفعه الريحانة إلى العمادي. انظر النفعة: ٣٥٩/٤.

فكلما سرى في الصبا نسر بطايجها، ودذت لو أعارثني العقاب خفاف جناحها، إلى أن لمعت أنوار الهدى، من سماء العلاء وقياب الحمى: [البسيط]

لمهبط الوحي حقاً ترحل الثجُبُ وعند هذا المرَجى ينتهي الطلبُ
فنزلتُ أعتيق الأراك مسلماً، وكذتُ ألتُم أخفاف الرّواحل، إذ أوصلتني إلى أعذب المناهل، ولم أقل على قلق الوضين^(١)، أشرقني بدم الوتين^(٢): [الكامل]

فإذا المَطِي بنا بلغن محمداً فظهورهن على الرجال حرام
قرئتنا من خير من وطىء الثرى فلها علينا حزيمة وذمام
فحلت في أرفع مقام، تُفاخر فيه الرؤوس الأقدام، ويشهد نشر المسك بفضل غباره، وتقر الجواهر بأنها دون حصاه فضلاً عن أحجاره:

وفاخرت الشهب الحصى والجنادلُ
فلذا صح رمي الجمار، بحصبائها الصغار، ولم يصح بالجواهر والذّرر، وما ذاك إلا لشرف خصه بها خالق القوى والقدر.

فنزّهت عيون أملي في روضة ذات أنوار، وعلمت وهي من رياض الجنة أنني لا أدخل بعدها النار.

وأنا الآن منتظر لألطف ربي، وهو في كل الأمور حسبي، أن يعيدني لجواره، واجتلاء نور حبيبه ومختاره، به إليه متوسلاً، وفي نيل رجائي متوكلاً لا متأكلاً.

وقد تأملت دعوة أبي الأنبياء إبراهيم، وقوله: ﴿فَجَعَلَ أَفئدةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧] إذ لم يقل: اجعل الناس تهوي إليهم؛ لأن المراد أن الشوق يجذبهم إليه، ويُعلق مشكاة قلوبهم بسلاسل أنواره؛ حتى يراهم بغير اختيار له متوجهين، وهم على تحمّل المشاق بوغاء السفر غير متضجرين: [البسيط]

كأنما هو مغناطيس أنفسنا فحيثما كان دارت نحوه الصورُ
ولذا جعل الطائف البيت على يساره؛ لأن القلب في جهة اليسار، وقد كان قبل الوصول مائلاً إليه، فلما وصل دام على ما كان عليه.

كما قلت: [الوافر]

قل لمن لام على سغي له قصير اللؤم وإن شئت لم
من أتى قلبي إليه ساعياً كيف لا يسعى إليه قدمي^(٣)

(١) الوضين: حزام عريض منسوج بعضه على بعض من سيور أو شعر، أو لا يكون إلا من جلد يشد به الرحال على البعير، وقيل: يصلح للرخل وللهودج.

(٢) الوتين: الشريان الرئيس الذي يغذي جسم الإنسان بالدم النقي الخارج من القلب.

(٣) البيتان لأبي نواس في ديوانه: ٤٠٨ .

ذكر الدولة الحسينية

ومن بها من بَقِيَّة العلماء والشعراء والأعيان

هو بيتُ أُسِّسَتْ عُمْدُهُ على الخِلافة، وقُطِرَتْ من شَعْبِ شَجَرَتِهِ مِياهُ اللُّطافة،
وغرست بين أثلاثِ المجدِ أعواده، فاستراحتْ عنده الآمالُ وتعبتْ حُسادُهُ.

قَصْرُ مَعَالٍ يَرُدُّ الطرفَ كليلاً، ونسيمَ الشمالِ عَلِيلاً: [البسيط]

أَعْلَى المَمَالِكِ ما يُبْنَى على الأَسَلِ^(١)

فهو سُورُ الخُطوبِ، وخليفةُ أخلاقِ الصِّبا والجَنوبِ.

تُقصدُ بِتُحَفِ المَدائِحِ، فيشترونها بِنَقْدِ المَنائِحِ.

فَعندَهُم مَحَطُّ الرُّكبانِ من الأَطرافِ، وربحُ المَحامِدِ مَتَجِرُ الأَشرافِ.

فإذا كانَ الدَّهْرُ قاتِمَ الأَعماقِ، مُسَوِّدُ النَّواجِي، فوجوهُهُم نُجومِي ووضاحُ غُرُرِهِم

صَباجِي.

فكم راضوا الزمَنَ بعدَ الحِرانِ، فأصبحَ سَهْلَ القِيادِ رِخِي العِنانِ.

تتَحلى بِذَكَرِهِم الأَفْواه، ويفوحُ نَشْرُ الطَّيْبِ خالِطُهُ الأَفْواه^(٢).

وَعُرُرُهُم في جِباهِ اللَّيالي والأَيامِ، يعجُرُ عن وصفِها أفْواهُ الدُّويِّ وألسنةُ الأَقلامِ.

في سماءِ موعالٍ ماءٌ مَجَرَّتْها مَورُودُ، ينبتُ في حافاته شقائقُ الشَّقِيقِ مُتورِّدة

الخدودِ.

فاكتحلتْ بالسَّحَرِ مُقلَّةُ دِياجِيها، وقُلِّدتْ بجواهرِ النُّجومِ لَباتٌ لِياليها. إلى أن أَدِيتْ

أمانةُ المُلكِ إلى:

٥٥- أبي نَميِّ بن بَرَكات

فهطلتْ منه على رياضِ الحَرَمينِ سحائبُ البركاتِ.

وله شعرٌ بليغٌ نَفحاتُهُ ذَكِيَّة، وفصاحتُهُ عُلْيَّة علويَّة، كقولهِ في المقامِ اليوسُفيِّ بِمِصرَ

والأداهمُ أَعْجالُ، والقُيُودُ كما قيلَ خِلاخيلُ الرِّجالِ، وقد لَمِعَ بَرَقُ الحِجازِ فَكادَ يَظيِّرُ

شوقاً لِحَمِي حَجَبِهِ النَّويِّ والحِجازِ: [البسيط]

(١) صدر بيت للمتنبي، وعجزه:

«والطُّغْرانُ عندَ مُحَبِّبِهِنَّ كالأَقْبيلِ»

ديوانه: ٢٦٥ .

(٢) الأَفْواه: مفردُها: فُوهٌ وهو: التابِلُ يَعالِجُ به الطَّعامُ، والطَّيْبُ.

٥٥- الشَّريفُ أبو نَميِّ مُحَمَّدُ بنُ بَرَكاتِ، وُلِدَ بِمَكَّةَ سَنَةَ: ٩١١ وتُوفِيَ سَنَةَ: ٩٩٢، بوايَ بَعْدَ أَنَّهُ سَهِدَ

٩٣١ وعمره عَشْرُونَ سَنَةً، كانَ ذاهِمَةً. انظر شذرات الذهب: ٤٢٢/٨ .

ما يلمع البرق من تلقا ديارهم
والله لولا قيود في قوائمنا
لكان لي في بلاد الله متسع
لي حزمة البيت والجار القديم ومن
أتيتكم وجلابيب الصبا قشب
إلا ولي مذمع بالسفح هطال
من الجميل وفي الأغناق أغلال
وفي الملوك لبانات وآمال
أتاكم وكهول الحي أطفال
فكيف أرحل عنكم وهي أسمال

وفي البيت الأخير معنى لطيف، وهو كقولي: [الكامل]

تالله ما فارقت لي وطناً به
إلا لأنني أستجحي من رده
ومن فحول شعرائه المقلدين جيد محبتهم بطوق ولائه:

٥٦- شهاب الدين أحمد الفيومي

أديب نسق من جواهر كلامه أكاليل دُر ما لمنظومها سلك، وجرت مياه البلاغة في
رياض نظامه فذابت كذوب التبر أخلصه السبك.
إذا امتد خطوه إلى المجد وكرم الخيم، فهو أسرع من رجع يد الذئب وأوسع من
خطو الظليم.

جمعت له الحظوظ من تلالها ووادها، وقيدت له القلوب بأزمة ودادها.
وأنشده يوماً قصيدة بائية، امتدحه بها، فلما وصل إلى قوله فيها: [الكامل]
يهتز من تحت السلاح كأنه
جنى على ركبتيه ووثب، وتطير من أحداقه شرر الغضب، وكاد أن يكلمه بالسنه
السيوف، ويخلع عليه خلعاً حمراء بلا أضرار فصلتها يد الحتوف، فلما قال بعده:
في كل منبت شجرة من جسمه
قال: عفوت عما فات، أولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات.
«وديان» شعره مشهور، ودُر براعته في نادي الأدب منشور.

ولما ارتحل إلى القاهرة، قال متشوقاً بألم القرى معاهده ومآثره: [السريع]
يا رب لا وضل ولا سلوة
إن لم يكن في وصلهم مطعم
لا زورة من طيفهم لا لقا
فلا تعدب مهجتي بالبقا
وله فيه مدائح عديمة الأمثال، سائرة في الآفاق سير الأمثال، منها قصيدته التي
عارض بها قصيدة صفي الدين الحلبي، التي مطلعها: [الوافر]
أذاب الثبر في كأس اللجين
رشاً بالراح مخضوب اليدنين

وأولها:

بدت فأرتك شمس المَطلَعين فتاةً أشهرت بالمَطل عيني

وعلى مِثوالها قصيدة الشهاب المنصوري، أحد الشهب السبعة، وأولها:

بكيثك يا غزال الأجرعين وقد ربحت عليك الأجرعيني

ومن شعره قوله مُضمناً: [الكامل]

لقد عدلت فلان الدين حين علا عليه عبد فقال اقليل من العدل

فإن علاني من دوني فلا عجب لي أسوةً بانحاط الشمس عن زحل

وله أيضاً: [م. الكامل]

أواخر الخمر فيها على الأوائل فضل

تُمُر دُورا فُدورا وكلما مرَّ يخلو

وله في من اسمه حسين^(١): [السريع]

تركت جفني واصلاً والكري راء فجذ بالوصل فالوصل زين

ولا تجبني عن سؤالي بلا فالقلب يخشى كذب لا يا حسين

وفي قوله: «زين» إيهام غير زين، لأن العائمة تقول في حروف الهجاء زين، والصحيح فيها زاء بالمد والقصر، ويقال زي بزنة كي، كما قاله ابن جني^(٢).

وأما هذه فتحريف قبيح. وله أيضاً: [م. الرمل]

حج للبيت اختلاسا وفساداً للأنام

مذ رآه الناس قالوا حج للبيت الحرام

٥٧- السيد حسن بن أبي نعي

ثم خلفه ابنه حسن، ومن حديث مناقبه مستفيض حسن:

وما محاسن شيء كله حسن^(٣)

فقد سارت بمآثره الركبان، وتحلى بذكره كل لسان.

فالجل يعرفه والحرم، والمجد ينطق بمحامده والكرم: [الكامل]

(١) البيتان في نفحة الريحانة: ٣١٦/٣ .

(٢) انظر اللسان: مادة (زوي) ومادة (زي ي).

٥٧- الشريف حسن بن أبي نعي محمد بن بركات بن محمد، ولد سنة: ٩٣٢، استقل بسلطنة الحجاز وقام بها أحسن القيام و ضبط الأمور والأحكام على أحسن نظام، وأمنت البلاد واطمأنت العباد، كان صاحب فضل باهر، وأدب غرض ومحاضرة فائقة، توفي سنة: ١٠١٠، انظر خلاصة الأثر: ٢/٢-١٥ .

(٣) نفحة الريحانة: ١٠١/١ .

وإنما المرء حديثٌ بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى
فقد خفقت في الخافقين رايات مكارمه، ونصبت على أعلام كوماتها بين معالمه،
وسرت سحائب كرمه ولها من غرته بریق، وتفرقت أنهار جوده في كل فريق، حتى
طفت على هضبات العذيب والعقيق.

وله فضل فضاء علوي حل بين الرفق والبأس، وأيس عن إدراك حدسه فيه
إياس^(١)، بين حماسة وسماحة، وفصاحة وصباحة: [الطويل]

إذا زان قوماً بالمناقب واصف ذكرنا له فضلاً يزين المناقباً
وجلالة هيبه لا تريد حاجباً، وشيم شم لو تجسمت كانت بوجه الدهر عيناً
وحاجباً.

فكم أورد النجيع سيفه المجرد عن العلائق، وأصدره نائراً على غدير لامته من
الدماء شقائق.

من فتية إذا تصافحوا بالصفاح، تهلت ضاحكة بالنجيع ثغور الجراح: [الطويل]
حليم إذا ما الجلم فك جزامه وقوف ولو كان الوقوف على جمر
مع محاضرات لو سمع بها الراغب^(٢) سعى لها راغباً، وأبكار أفكار لا يكافئها إلا
من كان بمتاع الحياة خاطباً: [الكامل]

ما عذر من ضربت به أغراقه حتى بلغن إلى النبي محمد
أن لا يمد إلى المكارم باعه وينال غايات العلا والسؤدد
متخلقا حتى تكون ذبولة أيدي الزمان عمائماً للفرقد
بلغني أن بعض بني عمه ورد نديه، جازاً لذيل التيه والحمية الهاشمية، فتصدر عليه
شخص في ذلك النادي، فتجعدت أساريره وسيف جدته من غمد التصبر بادي، فلما
فطن لذلك قال: إنه ليقودني زمام العجب، ويهز عطف أزيحيتي ساعد الطرب، بقصيدة
المتنبي، التي أولها^(٣): [الوافر]

فؤاد ما تسليه المدام وعمر مثل ما تهب اللثام
فتسلى بذلك وتعلل، وتبسم وجه مسرته بعد القطوب وتهلل، إذ فهم تلويحها،
لقوله فيها:

(١) إياس بن معاوية المزني، أبو وائلة، كان فقيه البدن، دقيق المسلك، وكان صادق الحسن، وكان
عجيب الفراسة ملهماً، توفي سنة: ١٢٢ . وفيات الأعيان: ٢٢٣/١ .

(٢) يعني به: الحسين بن محمد بن مفضل الإمام أبو القاسم، المعروف بالراغب الأصفهاني
(الأصبهاني) نزيل بغداد، توفي سنة: ٥٠٠، له من الكتب: أخلاق الراغب، وأفانين البلاغة،
ومحاضرات الأدباء، ومفردات ألفاظ القرآن، وغيرها. انظر هدية العارفين: ٣١١/١ .

(٣) ديوانه: ٩٢ .

ولو كان المكان له علو
وفي معناه قولي، من فصل:

لو كان الشرف بالمكان، ما انحطت النار وعلأ الدخان.

وقولي من قصيدة: [الكامل]

لم أذر يوم الحرب هل ثار الثرى
أم ناله شرف بمس نعاله
أم راح مشتكياً إلى خلاقه
ومما يحسن إيراده هنا قول أحمد المعري: [الكامل]

قل للرئيس أبي محمد الرضا
من حول بزكتك البهية سادة الـ
لو أنصفوك وهم قيام أشبهت
ومنه أخذ الأرجاني قوله^(١): [البيسط]

هذا الزمان على ما فيه من كدر
غدير ماء تراءى في أسافله
فالرجل تُنظر مرفوعاً أسافلها

وقوله «على ما فيه من كدر» من حشو اللوزينج، أما ترى قول المعري: [البيسط]
والخل كالماء يُبدي لي ضمائره
وأحسن من هذا كله قولي: [الطويل]

خليلي ذي الدنيا الدنية لم تزل
أسافلها تعلو أعاليها كما
إذا صوّرت للناس معكوسة بدت

عوذ إلى سيرة ابن سيد الناس، الذي تيسر الصبا بغير لطفه طيبة الأنفاس:

كنت قبل أن تُعري أفراس الصبا، ويتفرق شمل الأيام أيدي سبأ، لما ارتحلت مع
والدي لذلك الممجد، لنجتي وجه المليحة في الخمار الأسود، رأته وقد ابيض عنبر
لمته، وثقب الشيب مغفر هامته، وقد علا هام السنين، وترقى شرف السبعين: [الطويل]

وإن امرأ قد سار سبعين حجة إلى منهل من وزده لقريب
مشمراً لمخاضها، واقفاً على حياضها، بفكرة ما كانت النيران تخمد لو رزقت
بعض ذكائها، وبكر همة إذا جليت لا يُعد غير المجد من أكفائها.

٢٢٢ القسم الثاني / السيد الأجل ثقبه بن أبي نمي / حسين بن أبي نمي

قد قَلَمْتُ يَدُ عَزَائِمِهِ أَظْفَارَ الْخُطُوبِ، وَكَادَتْ لَا تَطَأُ الْحَرَمَ بِغَيْرِ إِذْنِهِ الصُّبَا
وَالجَنُوبِ.

يسوق لأعدائه جُنُودَ الحُتُوفِ، ويرى وُجُودَهُمْ ذَنْباً لَا يَعْتَذِرُ عَنْهُ غَيْرُ السَّنَةِ
السُّيُوفِ.

فكل حديث صدر منهم وحدث، لا يرفعه إلا التَّيْمُّمُ بتراب الجَدَثِ: [البسيط]
ولي صَوَارِمِهِ تَكْذِيبَ قَوْلِهِمْ فَهِنَّ أَلْسِنَةُ أَفْوَاهِهَا الْقِمَمُ
إِذَا تَرَبَّعَ رَأْيُهُ فِي نَادٍ وَاحْتَبَى، قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ الْهَمَمُ وَحُلَّتِ الْحُبَى.
يَضْطَرِبُ لِهَيْبَتِهِ إِذْ هَبَّتْ رِيَّاحُ النَّضْرِ سُمْرُ الرَّمَّاحِ، وَسَالَتْ بِسَوَابِحِ الْجُرْدِ وَأَغْنِاقِ
المَطَايَا الْوِهَادُ وَالْبِطَاحِ.

وكان من سُنَّةِ سَلْفِهِ، وَمَنْ خَلَفَهُمْ مِنْ خَيْرِ خَلْفِهِ، أَنْ يُقَدِّمَ لِلإِمَامَةِ مَنْ قَدَّمَ
الْأَيَّامَ، وَفِي الْمَثَلِ: «أَكْبَرُ مِنْكَ بِيَوْمٍ أَعْرَفُ مِنْكَ بِعَامٍ».
وكان يليه سِنًا ذُو الرَّأْيِ الصَّائِبِ، أَعْرُ السَّعْدِ وَالْوَجْهِ وَالْمَنَاقِبِ:

٥٨- أخوه السيد الأجل ثقبه

مَنْ لَوْ وَجَّهَ لَدُرَّ الْكُوكَبِ سِنَانٌ هِمَّتِهِ ثَقْبَهُ.
وَمَشْكَاهُ بِصِيرَتِهِ مُشْرِقَةٌ بَنُورِ الْيَقِينِ، وَكَلَامُهُ يَنْثُرُ عَلَى الْفَصَاحَةِ نِثَارَ الْجَوْهَرِ الثَّمِينِ.
وَكُلٌّ مَنْ نَسَلَهُ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِالْإِمَامَةِ، وَأَنْ يَتْلُو فِي صَحْفِهَا آيَاتِ مَجْدِهِ أَمَامَهُ.
فمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَ لِذَلِكَ وَسِيلَتَهُ، الدُّخُولَ فِي حَوَاشِيهِ وَمُصَاهَرَتَهُ، وَلِسَانُ حَالِهِ يُنَادِي
فِي مَا يُبْدِيءُ وَيُعِيدُ: ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَتَّى وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا زُبْدُ﴾ [هود: ٧٩].
فلما برع:

٥٩- حسين

وترغرع، وليس لامة^(١) الثجابه وتدرع.
وهو بحر نوال أمواجه الهمم، وروض سيادة الفخر والكرم.
لم يزل يرسل له هدايا وتحف، ويتضرع له بمودة بانواع الخلوص تحف.
فقال له والده يوما في أثناء الكلام: إيذن لحسين في أن يلي الرفادة في هذا العام.

٥٨- ذكره المحيي عند ذكره أخيه حسن، وبدون تفاصيل تذكر، انظر الخلاصة: ٢/٢ .

٥٩- حسين بن حسن بن أبي نمي.

(١) اللامة: أداة الحرب كلها من رمح، وبيضة، ومنفر، وسيف، ودرع.

فقال له: تريد أن تُضيف السُّباع، وهذه ضِباعُ المُنْحَنَى جِيعاً!
 فلما علم ما في هذه الكناية، صرع من النُّكَاية، صرَّح اليأسُ بجوابه، وهجم على
 قلبه همُّ أحلَّ تباريحَ الجَوَى به.
 فرجع بخُفْي حُنِين، وشاهد منه كَرْبلاءَ حسين، حتى ذاق بسيفِ الحسرة طعمَ
 الشَّهادة، ولبسَ عليه الدَّهرُ من دِياجِيهِ جِدَادَه.
 فسقى قبره رَيْقُ الغواذي الباسمةِ البروق، وإن كان فيه بحرٌ كرمٍ يَعذَّب في أفواهِ
 الأمانِي وَيَرُوق.
 ثم نهض أخوه:

٦٠ - مسعود

على قدميه، طالعاً بدره المسعود بين نجوم أتباعه وخدمه.
 وهو إذ ذاك في المعرفة عَلم، وفي طريق المجد ثَبَّت القلب ثابتَ القَدَم.
 يتبسَّم لغرته وجهُ النَّهار، ويُناجِيهِ السَّعدُ بما في ضمائرِه من الأسرار.
 وله حسناتُ شعرٍ ما خُطَّ في مجموعِ الدَّهرِ مثلُها، ولا سَجَعَت وُزُقُ الفصاحةِ
 بلحنه في ذُؤَابَةِ هاشميةٍ قَبْلُها.
 ومسعود لو مَسَّ عوداً بسعده أوزق، لِمَا جال في بئرِ مُحيَّاه من ماءِ الثدى وترْفِرُق.
 مع شجاعةٍ يرتعد لها الأسدُ والأسل، وَيَعْدُ الصَّعن في الهينِجاء كالقَبْل.
 كما قلتُ فيه: [الكامل]

قومٌ غزوتهم رأيتَ جسومهم
 من كلِّ مُقلَةٍ طَغْنَةٍ نجلاء مُذ
 رِمِدَتْ فكحلها مَراوِدُ سُمرِه
 وكأئما رَمِدَتْ لخوفِ قواضِبِ
 مُقَلًّا لهنَّ إشارةَ المتكلم
 نظرتُ فِراقَ الرُّوحِ تَبْكِي بالدم
 من إثمِ التثعِ المُثارِ المظنم
 صلَّت فتسجدُ وهي ذاتُ تيمم
 فلم يزل يخطب من المُلْك كواعبِ أبكاره، حتى أدركه الغرقُ في حياضِ مماته
 المُترَعَة من بحارِ أفكاره.

فأرسي بسواحلِ شُعب، وأنشدته الحالُ بلسانِ الخطوب: [الطويل]

غِياءُ به ماتَ المُجِبُّون من قِبَل^(٢)

(١) الأئمة: مادة بلورية هشة، يكتحل به.

(٢) عجز بيت للمتنبي، وصدرة:

عزيزُ أسن من داوهِ الحديقِ الشُّجَل

فبلغ في سفينة أمه وفاته، وسبقه الأجل كما سبق السيف العذل وفاته.
فرايت جنازته والدموع حوله طوفان، وقد أزست سفينة تابوته على جودي الفناء
والأحزان.

فلما بدل الأمنية بالمنية، وسقاه الدهر كاس المئون روية، قام مقامه:

٦١- أبو طالب

مترشحا لأمرها، مترقبا بعد موت ثقبه لاجتلاء بدرها.
وكان قبل لا يرد مورداً من مناهل أماله، إلا وقد عص بقدي رقبائه وعذاله:
[الخفيف]

لم ترد ماء حسنك العين إلا شريقت قبل ريتها برقيب
فأراد والده أن يقلده بصارمها، ويجعل هياكل جياده في أجيادها مقام تمايمها،
فأرسل الأمير بهرام، فرطاً يستسقي له ماء المرام، وهو منتظر لها انتظار ليلة القدر،
راجياً أن يحل منها محل القلب من الصدر.

فشر على ذلك الرسول، جواهر الإحسان والقبول، وأهدى له مع كتاب العهد خلعا
حسان، أزهى مما توشحت به معطف الكئيبان، وأبسته عطايا الربيع قدود الأغصان.

فكان كما قيل: [السريع]

قرت عيون المجد والفخر بخلعة الشمس على البدر
زر عليه الملك فضفاضها وإنما زر على البحر
ما هو إنعام ولكئه ما خلع الفيث على الزهر

فأفيضت عليه خلعة مغلّمة، وأصبحت قلائد الجود في جيد السيادة منظمة.

مما تقر به عين الزهراء، ويرفع الله به لآل البيت ذكرا.

وأمره بالدهر عابث، وأغصان المنابر باسمه مورقة أثاث^(١).

وأطر عليه عهد^(٢) الكرم وسيمياً وولياً، وتلى منشوره المعرب عن أنه أصبح لأبيه

ولياً.

٦١- أبو طالب بن حسن بن أبي نعي، الشريف الحسيني، ولد سنة: ٩٦٥، آلت إليه إمارة مكة بعد أخيه الشريف مسعود، نيابة عن أبيه، ثم أمر أبوه أمراء الحجاز أن يلبسوه الخلعة الكبرى، وألبسوا أخاه عبد المطلب الخلعة الثانية واستصدر من السلطان محمد بن خان بن مراد تقريراً بذلك، فأجيب إلى ملتسمه، ولما مات أبوه ثم لحقه أخوه عبد المطلب استقل بالملك، كان حسن الهيئة، شديد الهيئة، كريماً، توفي سنة: ١٠١٢. انظر خلاصة الأثر: ١/١٣١، ونفحة الريحانة: ٤/٦٢، وسمط النجوم: ٤/٣٨٤.

(١) نبت أثيث: كثير الفروع.

(٢) العهد: أول مطر الربيع.

فتبوا صدر الخلافة والجلالة، وورثها عن أبيه حياً لا عن كلاله^(١).
فأقرّ بعهدِه لسانا السيفِ والقلم، وتودّي هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والحلّ
والحرّم.

قام فطاف بالبيت شُكراً لذلك الإنعام الجسيم، فكاد يُمسيكه عرفاناً راحته لما استلم
الرُكن والحطيم.

وصورة منشوره^(٢)، وهو مما أنشأته بأمر رئيس الكتاب:
«الحمد لله الذي نشر على الخافقين أعلام عدله، وزين حُلل الوجود بجلوه
وفضله.

ونشكره شُكراً تطوف وفود الإخلاص حول كعبته، وتقصر الفصاحة بعد التّحليق
في أفق البلاغة عن أن تكون مُزدلفةً من شُكر نعمته، وتسجد له الأقلام في كعبة الطُرس
المكسوّ بسواد مِداذه، وتسعى للصفاء في مواقف إضداره وإيراده.

وصِلاتُ الصّلاة المسكّية النسيم، العنبريّة الشميم، تتوالى توالي القطر المُكرّر على
تلك الأقطار، والمثوى الذي تُراه إثمد البصائر والأنصار: [البسيط]

حيّاك يا ثربة الهادي الرسول حياً بمنطق الرعد بادٍ من فم الشخب
ضممت أعظم من يدعى بأعظم من يسعى إليه أخو فضل ولم يخب
وحزت أوضح من يهدي وأفصح من يُبدي وأرجح من يعزى إلى نسب
محمد المرسل بكتاب تمسك بأهداب سحر البلاغة والإيجاز، واستوثق دون بُلغاء
العرب بعزى الإعجاز، فرمى قلوب المعارضين بجمراته، وكحل بصائر المُطيعين بميل
الهداية فأقروا بيّنات آياته.

وعلى آله وصحبه، وجنّده وجزبه، أولياء عهده، والخلفاء من بعده، ما جردت
صوارمُ البروق من أعماد الغمام، وسرى نسيم نجد فابتسمت له ثغور الثور في
الكمائم.

هذا، وقد أظهر الله عز سلطانه كنز سرّه المكنون، بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي
الزُّبُرِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، فعلم به سرُّ
الأمر، في قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ﴾ [النساء: ٥٩].

فإنه ليس بعد الثبوة والرّسالة إلا مراتب الصّلاح، ولهذا كانت الرعايا بلا سلطان
كالأجسام بلا أزواج.

(١) الكلاله: من لا والد له ولا ولد.

(٢) انظر خلاصة الأثر: ١/١٣٢-١٣٣.

وما الشريعة إلا روضة زاهية الثمار، مُتَفَتِّحة الأثوار، تجري من تحتها الأنهار، والسلطان مُتَعَهِّد لها بالحراسة، يحميها من كل جانٍ بشوكة السياسة. وإذا كان ظلُّ الله في أرضه، وشمسه المتضخِّع بأنوار سنن سنَّته وفرضه، فعلى من طلعت عليه الشمس أن يجنح لظله، ويقييل في دوحه إحسانه وفضله. فإنه الشمس الذي تضيء بدور الكواكب بأنواره، والبحر الذي تستمدُّ جداول الأمراء من أنهاره.

والسماء الذي تتمنطق الجوزاء لخدمته، ويخاف الأسد أن يمدَّ إليها يد سطوته. والجنة التي تحت ظلال السيوف، والمُتَقَرَّب إليه بمحاسن الأعمال، والمُستَجار به من الصُروف.

والحرم الذي يأمن فيه الخائف، وكعبة اللطائف البادية لكل طائف. والربيع الذي اعتدلت أيامه بالعدالة، فصدحت حمائم الثناء على أغصانها الميأة الميأة: [الطويل]

وتهتز أعواد المنابر باسمه فهل ذكرت أيامها وهي أغصان
ومما ينبغي أن يرسم في صحائف الأفكار، ويجعل طرازاً على كعبة المحاسن والآثار، أنه من أهم ما يهتم به من جعل الحجا زيه، خدمة طيبة الطيبة، ومكة المشرف بها سائر الأقطار الحجازية، معدن جوهر النبوة، ومهبط آيات الوحي المتلوة، ومشرق شمس الأنوار المحمدية، ومظهر الآثار العلوية العلية.

ومثوى من شرف الله به نوع الإنسان، والأنموذج الذي صاغه الله تمثالاً للجنان، كما ورد في السنة: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»^(١).

وكذلك أول بيت وضع للناس، وأسس على التقوى منه الأساس: [البيط].

كأنما هو مغناطيس أنفسنا فحيثما كان دارت نحوه الصور
وكان أولى ما يقلده الإنسان عقود جواهر الإحسان، ويجتهد في تقليده، وتأييد تأييده، ويتوجه بتاج التكريم، ويعممه بحلل التبجيل والتعظيم، ويجزل الصلة لجنابه الموصول، ويضمير له في القلوب القبول، بدور فلك السعادة، وصدور مسند السيادة، السادة الأجلاء الأشراف، فخر آل عبد مناف.

وكيف لا يزدادون حُباً، بعد قوله: «قُلْ لَا أَشْكُرُ عَلَيْهِ إِجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» [الشورى: ٢٣] [المديد].

(١) الحديث في صحيح البخاري بلفظ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»، أخرجه في باب التطوع برقم ١١٣٧، وأخرجه مسلم بلفظ: «ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة» في باب الحج برقم: ١٣٩٠.

كُلُّ مَنْ لَمْ يَرَ فَرَضاً حُبِّهِمْ فَهُوَ فِي النَّارِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَا
وبالجملة، فإن مادحهم كمن قال للأسد: ما أشدَّ شجاعتك. وللبحر المحيط: ما
أوسع ساحتك.

لاسيما طوؤُ المجد الشامخ المُنِيف، المرفوعُ عليه عِلْمُ العِزِّ والنَّسبِ الشريف.
تاجُ هامةِ بني الحسن والحسين الجَنابِ العالِي، مَغْرَسِ ثَمَرَاتِ المعاني والمعالي.
العريق الحسيب، الأصيل النسيب.
ذُخْرُ الأنام، فخرُ اللَّيالي والأيام.

زهرة الشجرة العلوّية، فرع الدّوحة النبوية: [الطويل]
إذا وجّهه أو رأيه أو فعّاله تبلّجن في ليل تجلّت غياهبه
صارمُ الخليفة المُعمَد في رقاب أعدائه، ورحمته المُمطرَة دُررَ سحابها على
أوليايه.

الحسنُ الذاتِ والصفات، أبو المحاسن حسن بن أبي ثَمي بن بركات، أيده الله
بنصرٍ لا ينلّ جديدُه، ولا تشيّر بيد الحوادث عقودُه، أمين.
وقد ورد من جانبه رسول، تلقاه من سُدَّتِنَا نسيْمُ القبول.
إذ جاب الفياض من حَزْنِهَا وسهّلها، وأدى الأماناتِ إلى أهلها.
وكان كالميل سلك بين الجفون فأجاد، ومثع العيون بإئِمد الصّلاح والسداد.
ومعه منشورُ أرق من نسيم السحر، مُعرب عن العين بالأثر.
فأخبر أن مرسله أراد الفراغ، ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ﴾ [المائدة: ٩٩].
وتضمّن منشوره المذكور، أنه أراد الاستراحة من نصب المناصب، والتقاعد عما
بها من المراتب، رغبةً عن زُخْرُفِ الحياة، إلى خدمة سيده ومولاه.
وأن نجله النجيب الجليل، الحسيب الأصيل.
النَّاشِء في حجر الشرف الباهر، المُستخرَج من أكرم العناصر.
لَيْتَ غَايَةَ بِيضِ الصَّفاح، وسُمِرِ العسالة الرّماح.
عليه أمارَةُ الإمارة، ومخايلُ النُّجابهِ والصُّدارة: [الكامل]
بلغ السيادة في ابتداءِ شبابه إن الشَّبَابَ مَطِيئَةً لِلسُّودِدِ
وسأل أن نقلده صارمَ إمارة تلك الديار، وما يتبعها من البلدان والأقطار^(١).

(١) انظر خلاصة الأثر: ١/١٣٢.

على ما جرث عليه عادة سلفه الذي سلف، وقانون من خلفهم من الخلف. فأجبناه إلى مرامه ومرايه، وأمددناه بإشعافه وإشعاده؛ لأنه إنما نزع صارمها من يده الأخرى، وجعل خاتمها بعد يمين اليمنى في يسار اليسرى.

فسارت الإمارة من حرم إلى حرم، ولم تخرج من جيران نجد وذي سلم. فعليه، بعد ما خلغنا عليه حلاً تائق واشيها، ورقت على نسيج وحده حواشيها، ونظرنا إليه بنظرنا الذي هو إكسير، أن يحسن في العمل والتدبير.

وينظر إلى الرعايا بعين الرعاية، ويصونهم عن أهل الضلالة والغواية.

ويؤمن تلك المناسك، ويحرس تلك المسالك.

ويختار من قومه من يحرس أطرافها من الأعداء، ويحميها من كل قاصر في فعله تعدى.

ويبطل ما فيها من المكوس والمظالم، ويقيم الحدود على مستحقيها من كل باغ وظالم.

ليخلد في صحائف تلك البلاد الحسنات، ويمحو ما فيها من آثار السيئات.

ويتصرف في بندر جدة على العهد القديم، ومن جاور ذلك المقام فليُسعفه بالتعميم المقيم، ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحُكْمِ يُظَلِّمْ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ الْعَذَابِ﴾ [الحج: ٢٥].

ويحرس الوافدين إلى ذلك البلد الأمين، لإقامة شعائر الدين.

ويحمي بحمايته من ورد أو صدر، ويحرس مواردهم الصافية من الكدر.

ويلاحظ ما للخليل عليه الصلاة والسلام من صالح الدعوات، في قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٢٦].

ثم ليعلم كل من كحل بصره بإئمد منشورنا الكريم، وشئف مسامعه بآلىء لفظه النظيم.

ممن في دارة تلك الديار، أو هالة تلك الأقطار، وانتظم في سلك سكان القرى والأمصار.

من السادات الكرام، والقضاة والحكام، وولاة الأمور والأعيان، والوافدين على تلك الديار والسكان.

أن إمارة تلك المعاهد وما فيها من العساكر، وما أحاطت به من الأصاغر والأكابر، وسائر الوظائف والمناصب، والجهات والمراتب، مفوضة إلى السيد السند أبي طالب.

ناظراً بعين الإنصاف، متجنباً سبيل الاغتساف.

مصرفاً جميع المستحقين بحسن التصريف، صارفاً من لا يستحق برأيه الشريف.

وقد أقمناهُ مقامَ نفسينا في ذلك المقام، وفوضنا إليه التَّقْضَ والإِبْرَامَ.
والعلامة السلطانية حُجَّةٌ لما فيه مَرْقُومٌ، مُحَقَّقَةٌ لما فيه من منطوقٍ ومفهومٍ.
فليتحقق من وقف على هذا الخطاب، ومَن عنده عِلْمٌ من الكتاب، من أهل مكة
زادها الله شرفاً وما في جوارها، وطَيِّبَةَ الطَيِّبَةِ طَيَّبَ الله ثراها وسائر أقطارها، وبقيةِ
الثُّغُورِ، الباسِمةِ لدولتنا بمباسِمِ السرور، من حاضرها وباديها، أنا أعطينا القوسَ باريها:
[السريع]

فلم تك تصلحُ إلا له ولم يك يصلحُ إلا لها^(١)
سَدَّ اللهُ سِهَامَ رَأْيِهِ فِي أَغْرَاضِ الصُّوَابِ، وَفَتَحَ لَهُ بِمِفْتَاحِ السُّمْرِ كُلِّ مُغْلَقٍ مِنَ
الأبواب.

ما سقطت من كف الثريا الخواتم، ورقَّت على منابر الأغصان خطباء الحمائم،
والسلام.

وإذ انتهينا إلى هذا المقام، فاضغ لما نقضه عليك من عجائب الأيام، فإن
المضدورَ لا بدَّ له من نَفْثَةٍ، وَمَنْ جِهَدَ الْمَسِيرُ يَطْلُبُ عَلَى الطَّرِيقِ مُكْنَةَ.
فاعلم أننا رأينا كل ملك له مُبْتَدَأٌ تَظْهَرُ فائِدَتُهُ وَعائِدَتُهُ فِي خَبْرِهِ، وانتهاء يقف السعدُ
بعد وِزْدِهِ عِنْدَ صَدْرِ صَدْرِهِ.

ثم يرجع ما جرى إلى قراره، فيُنذِرُ الإقبال بإذباره، ويعود تدميره في تدبيره ويُقدِّرُ
صانعُ القدر أديمه على مقدار تقديره.

والى الله ترجع الأمور، وعلى بحور الإرادة يجري الفلك ويدور.

وقد تظهر قبل آخره فيه قُوَّةٌ، فيُظْهِرُ فِرْعَوْنَ طغيانه وعُتُوَّهُ، وللشمس زوال إذا
ارتفعت، وللثمرة سقوط إذا زهت وأينعت.

وقد يزيد قبل الانطفاء نور المصباح، ويحصل للمريض إفاقة يُسْمَعُ بعدها الصياح.
وتسمى هذه الأطباء النعشة الأخيرة، فكم من نعشة تُقَرِّبُ مِنَ السَّقِيمِ نَعْشَهُ، وهذا
في غير الخلافة النبوية، فإنها بالحي الذي لا يموت مَحْمِيَّةٌ.

وقد كان انتهاء صعود الشرف في الحجاز بالسيد حسن، وفي المغرب بمولاي
أحمد، وفي الروم بالسلطان مراد، ونحن الآن لا نذري ما يريد ولا ما يُراد، فقد ذهب
سليمانُ وأنحلت الشياطين، ووقف الرجاء على شفا جُرفِ هارِ بين قوم مجانين،
فالجواد دون الحمار المِضْرِي، وأبو جهل وَعَظَ الْحَسَنَ الْبِضْرِي: [الطويل]

فَقُلْ بَعْدَهُ لِلدَّهْرِ يَأْتِي بِصَرْفِهِ وَقُلْ لِلْيَالِي: أَفْعَلِي مَا بَدَأَ لَكَ

(١) البيت لأبي العتاهية في مدح الخليفة المهدي، ديوانه: ٣١١ .

وقلت: [البيسط]

قد جُنَّ شَيْخِي وَفِي الْأَمْثَالِ مِنْ قَدَمِ
يَا رَبِّ فَاعْقِدْ بِقَوْلِنِجِ لَهُ دُبْرًا
إِنْ الشَّبَابَ جُنُونَ بُرْؤُهُ كِبَرُهُ
حَتَّى يَعُودَ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَا ضَرْرَةٍ^(١)

٦٢- قُطْبُ الدِّينِ الْمَكِّيِّ النَّهْرَوَانِيِّ أَصْلًا وَمَحْتَدًا

قطبٌ مركزِ دائرة تلك الأقطار، والصدرُ المُستودعُ لما فيها من الأسرار.
وهو فاضل جري في بساتين فضله جداولُ الآداب، وتمسك الشعْرُ منه بأعظم
الأسباب.

فوقف دون مداه ضده وحسوده، ومن قيده الكلال لا تنفك قيوده: [الطويل]
فذاك كمن جازى جواداً بمُقرِفٍ قوائمهُ مشكولةً بحِرانٍ^(٢)
فسماءٌ مجده مُطلعةً لكواكبِ شعره، وزهرةٌ عمره سُقيتُ بماءِ سروره وبشره.
تنقطع عند كرمه الآمالُ وتعجز الأمانى، ويقصُر سلكُ الألفاظ عن نظم ما فيه من
دُرر المعاني.

وتقبلُ أفواهُ الأقلامِ لَمَى مداده، ويهيم سُويداءُ كلِّ لبيبٍ في سواده.
وتفتح عيونُ الأنوارِ لتُشاهد ساطعَ أنواره، وتترنمُ حمائمُ الحرَمِ بأسجاعه وأشعاره.
ويهبُ نسيمُ نجدٍ لشغفه برقته عليلًا، ويجرُّ على ثراه تيهًا بمُضاهاته له ذيلًا بليلاً.
لتغذيه بلبان فصاحة نجدٍ وذو سلم، واقتناصه أوابد المعارف بها فاعجب لمن حلَّ
له الصَّيدُ في الحرَمِ.

وقد شحذ مُرهف طبعه بيد الكمال، وسنَّ أسلَّةً^(٣) لسانه فأنجلى به فرندُ سخره
الخلال.

حتى تفيئات فتوى تلك الأقطار ظلالَ براعته، وسالت مسائلُ المسائلِ في جِياذِ
يراعته.

فكان قُطبَ تلك الدائرة، وعليه مدارُ فلك الفضلِ وبه الأمثالُ سائرة.

(١) القولنج: مرض معوي مؤلم، يعسر معه خروج الفضل والريح.
٦٢- قطب الدين محمد بن علاء الدين أحمد بن محمد، النهرواني، الهندي، الحنفي، ولد سنة: ٩١٧،
أخذ عن والده، وعن عبد الحق السنباطي، ومحمد التونسي، كان بارعاً متفنناً في الفقه والتفسير
وعلوم العربية ونظم الشعر، وشعره في غاية الرقة، كتب تاريخاً لمكة المشرفة، وألف «طبقات
الحنفية»، توفي سنة: ٩٩٠. انظر شذرات الذهب: ٨٤٦/٤.

(٢) المُقرِف: هو الفرس الذي يداني الهجنة من طرف أبيه، والهجنة تكون من طرف الأم.

(٣) الأسلَّة: طرف الشيء المستدق، ومنه: أسلَّة النصل، وأسلَّة اللسان، وأسلَّة الذراع.

فمُعَوَّلُ أمورها عليه، ومُنْصَرَفٌ وجوهُ الإقبالِ إليه .
 حتى أصبحَ عاطلٌ حاله خالياً، ومرتفعٌ حظُّه عن وهادِ الخمولِ عالياً .
 فلا يَرِدُ مَكَّةَ أحدٌ من أهلِ العلمِ والصَّلاحِ، إلاَّ قَيَّأه ظلالُ الكرمِ والسَّماحِ، وهزَّ
 عِظْفَ أمله بنشوةِ الازتياحِ .
 إلى أن تعدَّى الأجلُ، من القُطْبِ دائرةَ الأملِ، فدارت عليه رَحَى المَنُونِ، وطحنت
 دقيقَ أفكارِه السُّنونِ .
 فدعاه اللهُ لجوارِ الجنانِ، وتلقَّاه جَدُّهُ بَرُوحِ رحمةِ ورِيحانِ، وطافت بمثواه وفودُ
 الغفرانِ .

وقد نَعاه الفضلُ والكرمُ، وناحت لِفراقِه حمائمُ الحَرَمِ: [الطويل]

حمائمُ أبَلتْ في الحنينِ لِباسِها فلم يَبقَ منها غيرُ طوقِ بِجِديها
 فمِمَّا تهادتُه الرُّكبانُ من شوارِدِه، وعُلِقَ في كعبةِ الفصاحةِ من نُتْفِه وقصائِدِه،
 قوله^(١): [المنسرح]

أقبل كالغضن حين يهتز
 مَهْفَهْفُ القَدِّ ذو مُحَيَّا
 دارَ بِخَدَّيْهِ وأوَّ صُدغِ
 الخمرِ والجمرِ في لَماءِ
 يشكو له الخضرُ جَوْرَ رذِفِ
 طلبتُ منه شفاءَ سُقمي
 قد غفر الله ذنِبَ دهرِ
 جَزَّ فؤادي بسيفِ لَحْظِ
 أفديهِ مِن أغيدِ مَلِيحِ
 كان نديمي فمُدُّ رَأْيِي
 حَرَمِ مِن وَضَلِيهِ مُباحاً
 يا قلبُ لا تسَلْ عن هِوَاهِ
 وقلت في عَرُوضِه^(٢): [المنسرح]

مَن عَلمَ الغصنَ حين يهتز
 غَيِّدَ رماحِ القُدودِ منها
 وإن يَكُن هَزُّها دَلاًلاً
 مِثْلُ قُدودِ تَمِيلُ في الخَزِ
 لَيْسَتْ بِغَيْرِ الفؤادِ تُرَكِّزُ
 لَيْسَ لِغَيْرِ الطَّمانِ ذا الهَزِّ

(١) انظر القصيدة في: نفحة الريحانة: ٥٤٣/١، وشذرات الذهب: ٤٢٠/٨ .

(٢) أشار إليها المحبِّي في نفحة الريحانة: ٥٤٤/١ .

وَعُودُهُ بِالْمِطَالِ تُنَجِّزُ
تَرَاهُ مِنْ غِيْظِهِ تَمَيِّزُ
بِعَظْفَةِ الصُّدُغِ مِنْهُ تُهَمِّزُ
وَلَوْ بِهِزْوٍ عَلَيَّ طَنِّزُ
وَمُسْهَبُ الْقَوْلِ مِنْهُ مُوجِزُ
فِيهَا رِضَاهُ عَلَيَّ مُلْغِزُ
فِيهِ جَمِيعُ الْجَمَالِ يُكَنِّزُ
بِقُفْلِ صُدُغٍ لَهُ مُرَزُّزُ
مَا كَانَ بَيْنَ الصُّلُوعِ يُخَرِّزُ
أَزْعَجُهُ رِدْفُهُ وَأَغْجِزُ
مَعْنَى لَهُ ذَا الْجَمَالِ أَلْغِزُ
وَمَنْ لِهَذَا الْمَلِيحِ أُبْرِزُ
فَفُرْصَةُ الْعَمْرِ فِيهِ تُنْهَزُ
لِصَفْوِ عَيْشٍ عَلَيْهِ قَدْ عَزُ
مُسْتَهْبَبَتْ بُرْزُهُ مُطَرِّزُ
طَهَّقَ فِيهِ مَفَاصِلُ الْخَزِ
مَنْ ذَلَّ فِي الْحَبِّ فَهُوَ قَدْ عَزُ
بِغَيْرِ رَبِّ لَهُ تَعَزُّزُ
وَهُوَ لَجُرْبِ الْكَلَابِ قَدْ جَزُ
وَالْيَوْمَ مِنْ بَزِّ فَهُوَ قَدْ عَزُ
عَنْ نَسِجِ بُرْدٍ يَرِقُّ أَوْ قَزُ
أَضْحَى لَهَا فِي الْحَضِيضِ مَرْكَزُ

وله في الوزير سنان^(١) لما فتح اليمن: [الطويل]

عَلَى عِزَّةِ الْإِسْلَامِ وَالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ
لَهُ الْهَمَمُ الْعَلِيَا إِلَى شَرَفِ الذِّكْرِ
وَأَخْرُهَا بِالثَّيْلِ مِنْ شَاطِئِي مِضْرٍ
بِصَارِمِهِ يَسْطُو عَلَى مَفْرِقِ الدَّهْرِ

كَمْ وَعَدْتُ بِالْوِصَالِ مُضْنَى
وَمَا حَسُودٌ إِذَا تَوَاوَى
فِي أَلْفِي الْقَوَامِ لِيَنْ
خِطَابُهُ يُطْرِبُ الْأَمَانِي
وَشَتْمُهُ كَالْمَدِيحِ يُطْرِي
كَمْ لِحِظَةٍ مِنْهُ لِي بِطَرْفِ
لَهُ مُحِيًّا بِدِيْعٍ حُسْنِ
وَلِي بِهِ مَطْلَبٌ مَصُونٌ
لَوْ لَمْ يَكُنْ حُبُّهُ بِقَلْبِي
قَضِيْبُ آسٍ عَلَى كَثِيْبِ
كَأَنْمَا خُضِرُهُ خَفَاءُ
جَلَّ الْإِلَهُ الْبَدِيْعُ صُنْعًا
فَاغْتَمَّ زَمَانَ السَّرُورِ وَاطْرَبُ
وَانظَرَ بِسَاطِ الرِّبِيْعِ يَدْعُو
مَهَّدَهُ لِاجْتِمَاعِ شَمْلِ
تُنْحَرُ فِيهِ الزُّقَاقُ نَحْرًا
وَالوُزُقُ فِي رَوْضِهِ تَنَادَى
كَذَاكَ قَدْ ذَلَّ فِي الْوَرَى مَنْ
كَطَالِبِ الصُّوْفِ مِنْ لُئِيْمِ
وَكَانَ مِنْ عَزِّ بَزِّ قِيْدَمًا
وَهَذِهِ حُلَّةٌ تَرْقُبَتْ
لَهَا عَلَى الْقُطْبِ دَائِرَاتُ

لَكَ الْحَمْدُ يَا مَوْلَايَ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ
كَذَا فَلَيَكُنْ فَتْحُ الْبِلَادِ إِذَا سَعَتْ
جُنُودٌ رَمَتْ مِنْ كَوْكَبَانِ خِيَامِهَا
تَجْرُ مِنَ الْأَبْطَالِ كُلِّ غَضَنْفَرِ

(١) سنان باشا، الوزير الأعظم، صاحب الآثار الإسلامية، ولي الحكومة في مصر أيام السلطان سليم بن سليمان، انتصر المسلمون تحت قيادته على الفرنج وأخرجوهم من تونس، توفي سنة: ١٠٠٤ . انظر خلاصة الأثر: ٢١٤/٢ .

خليفة هذا العصر في البر والبحر
وبيض المواضي والمثقف السمر

من اليمن الأقصى أصر على القهر
يدك فجاج الأرض في السهل والوعر
طوال الرماح السمهريه والبئر
يجهز في أن جيوشاً من الفكر

ألم تره في مصر أحكامه تجري

وتأخذه من آل عثمان بالمكر
وسر أمير المؤمنين أبي بكر

وللفقيه الكُتُب والمصحف^(٢)
فليقتسمها مثل ما يعرف
يخشى على هذا الفتى يقصف
أليس في الحكام من ينصف
وعاطنيها أيها الأهيف
قد عام والله به يلطف

معي متهل اللذات وهو نعيم
واني إليكم ما حيث فقير

ولخطة الوعد من حبيب
في وجنتي شادين ربيب
طالت به مدة المغيب
أهيم من عاشق طروب

عساكر سلطان الزمان ملىكنا
حمى حوزة الدين الحنيفي بالقنا
ومنها:

وحين أتاه أن قد اختل جانباً
وساق لها جيشاً خميساً عرمرماً
لدى أسد شاكي السلاح عريته
وزير عظيم الشأن ثاقب رايه
ومنها:

سنان عزيز القدر يوسف عضره
ومنها^(١):

وهل تطمع الأعداء في ملك تبع
أبي الله والإسلام والسيف والقنا
ومن مشهور شعره قوله: [السريع]
الذن لي والكاس والقزف
إن كان ما تعجبه قسمتي
كم يزدري الكاس ويهزو بها
يسب شراب الطلا عمداً
فأترع الكاس على غيظه
وقل هو القطب ببخر الهوى
وله أيضاً: [الوافر]

أجبة قلبي أنتم قد وردتم
ووالله ما استغثت عنكم بغيركم
وله أيضاً: [المنسرح]

أحسن من غفلة الرقيب
وقبلية كانت اختلاسا
كثب أديب إلى مجب
تشرک من سطرث إليه

(١) البتان في خلاصة الأثر: ٢/٢١٥ .

(٢) القزف: الخمر، والماء البارد الصافي .

وله أيضاً: [الطويل]

بَدَا عَرَقٌ فِي خَدِّهِ فَسَأَلْتُهُ إِذَا مَا تَبَدَّى قَالَ لِي وَهُوَ يَمْرُخُ
أَلَا إِنَّ مَاءَ الْوَرْدِ خَدِّي إِنْأَوْهُ وَكُلُّ إِنْأَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ
وهذا مثل أوردته الميّداني في «أمثاله»^(١)، ولم يزد فيه على قوله: كلُّ إناء يرشح بما
فيه. ويروى: ينضح بما فيه. أي يتحلّب. انتهى.

وقد سبقه إلى هذا مجير الدين بن تميم^(٢)، كما وقفت عليه في «ديوانه» بقوله:

[الطويل]

سَقَى اللّهُ رَوْضاً قَدْ تَبَدَّى لِنَاطِرِي بِهِ رَشَاءٌ كَالْغُصَنِ يَلْهُو وَيَمْرُخُ
وَقَدْ نَضَحْتُ خَدَّاهُ مِنْ مَاءٍ وَزِدِهِ وَكُلُّ إِنْأَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ
وعن الشيخ نصر الله بن مجلي أنه رأى في المنام سيّدنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي
طالب، كرّم الله وجهه ورضي عنه، فقال له: يا أمير المؤمنين، تفتحون مكّة، وتقولون
من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، وقد تمّ على ولدك الحسين منهم ما تمّ!
فقال له: أما سمعت أبيات ابن الصّيفي، يعني به الحنص بيص^(٣)؟
فقلت: لا.

قال: اسمعها منه.

فلما انتهت ذهبت إلى داره، وذكرت له ما رأيت في منامي.

فبكي وحلف أنه نظمها في هذه الليلة، ولم يقف عليها سواه، وهي هذه، وأنشدها

له: [الطويل]

مَلَكْنَا فَكَانَ الْعَفْوُ مَنَا سَجِيَّةً فَلَمَّا مَلَكْتُمْ سَالِ بِالْدَمِّ أَبْطَحُ
وَحَلَلْتُمْ قَتْلَ الْأَسَارَى وَطَالَمَا غَدَوْنَا عَلَى الْأَسْرَى نَمْنُ وَنَصْفَحُ
وَحَسْبِكُمْ هَذَا التَّفَاوُثُ بَيْنَنَا وَكُلُّ إِنْأَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ
وقد سبقهم إلى هذا أبو الفتح كشاجم^(٤)، فقال: [الطويل]

(١) أوردته الميّداني بلفظ: «كل إناء يرشح بما فيه» ويروى: ينضح بما فيه، أي يتحلّب، برقم: ٣١٥٩، ١٦٢/٢.

(٢) محمد بن يعقوب بن علي الإسعدي، مجير الدين بن تميم، سكن حماة، وخدم الملك المنصور، وكان جندياً شجاعاً، كريم الأخلاق، بديع النظم، توفي بحماة سنة: ٦٨٤. انظر فوات الوفيات: ٢/ ٢٧٢.

(٣) هو سعد بن محمد بن سعد بن الصّيفي، أبو الفوارس البغدادي المعروف بحيص بيص، توفي سنة: ٥٧٤، له ديوان شعر، ورسائل في مسائل الخلاف. انظر هدية العارفين: ٣٨٥/١، وفوات الوفيات: ١٠٦/٢، والقصة والأبيات فيه.

(٤) كشاجم: أبو الفتح محمود بن محمد بن الحسين بن أسدي بن شاهك الرملي المعروف بكشاجم، =

وَمُسْتَهْجِنٍ مَدْحِي لَهُ أَنْ تَكُوِّدَتْ
وَيَأْبَى الَّذِي فِي الْقَلْبِ إِلَّا تَبَيَّنَا
وَقَلْتُ فِي الْهَجَاءِ: [الطويل]

فَتَى كَانَ مِنْ قَبْلِ الشَّبَابِ مُوَاجِرًا
يَبِيعُ بِرَأْسِ الْمَالِ فِي الشُّوقِ مَا اشْتَرَى
وَقَدْ لَاطَ كَهْلًا وَهُوَ تَيْسٌ سَيَنْطَحُ
وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ

وهذا المثل لم أرَ مَنْ شرح مَوْرِدَهُ ومضربه، وهو يَحْتَمِلُ معنيين:

أحدهما، وهو الظاهر المُتبادِر: أن كلَّ أحدٍ يلوح على ظاهره ما في باطنه، وإن أخفاه؛ كما قيل: مَنْ أَسْرَّ سَرِيرَةً رَدَّاهُ اللهُ بِرِدَائِهَا.

والثاني: أن كلَّ أحدٍ يُجَازِي مِنْ جنسِ عملِهِ، وهو الذي قصده الحَيْصُ بَيِّنٌ. وقد قلتُ في بعض الفصول:

كُلُّ عداوَةٍ تَزُولُ إِلَّا عداوَةَ الحَسَدِ، وكلُّ زارعٍ لِمَا زَرَعَ حَصْدٌ، وَبَيِّضَةُ ابنِ دَأْيَةَ^(١) النَّعَّابِ، وإن جثا عليها طَاوُسٌ عَدِنٌ لَا تُفْرِحُ إِلَّا الغُرَابِ، وإن كان عُشُّهُ فِي سِدْرَةِ الْمُنتَهَى، وقد عَدَّتْهَا مِنْ ثَمَارِ الجَنَّةِ وَمُنْتَهَا.

وفي صحيح الخبر: «النَّاسُ مَجْزِيُونَ بِأَعْمَالِهِمْ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ». وقد قيل: [م.الرجز]

مَنْ قَالَ خَيْرًا فَلَهُ وَمَنْ يَقْلُ شَرًّا فَشَرٌّ
وَقَالَ قَطْرِي الخَارِجِي مُتَمَثِّلًا: قِيلَ لِلْعُقْرِبِ: أَنْتِ مَحْبُوسَةٌ فِي الشِّتَاءِ، أَفَلَا تَخْرُجِينَ لِمَشَارِقِ الشَّمْسِ بِالغَدَوَاتِ، كَمَا تَخْرُجُ النَّاسُ؟

فَقَالَتْ: مَا أَحْسَنَ أَيَادِي عِنْدَهُمْ فِي الصَّيْفِ حَتَّى آنَسَ بِهِمْ فِي الشِّتَاءِ.

ولله دَرُّ أَبِي القَاسِمِ الدُّبُوسِيِّ فِي قَوْلِهِ^(٢): [الطويل]

أَقُولُ بِنُضْحِ يَا ابْنَ آدَمَ لَا تَنْمُ
وَإِنَّ الَّذِي لَمْ يَصْنَعْ العُرْفَ فِي غَنَى
عَنْ الخَيْرِ مَا دَامَتْ فَبَاتَتْ عَادَةٌ
إِذَا مَا عَلَاهُ الفَقْرُ لَأَشْكُ نَادِمٌ
فَأَنْتَ عَلَيْهِ عِنْدَ عَسْرِكَ قَادِمٌ

= الأديب الشاعر، المتوفى سنة: ٣٥٠، له أدب النديم، وخصائص الطير، وديوان شعره، وكتاب الصيغ، وكتاب المصائد والطراند. انظر هدية العارفين: ٤٠١/٢.

(١) ابن دأية النعاب: الغراب.

(٢) علي بن أبي يعلى بن زيد الحسيني، العلوي، الدبوسي، فقيه شافعي، كان إماماً في الفقه والامور والأدب، توفي ببغداد سنة: ٤٨٢، وهو منسوب إلى الدبوسية وهي بلدة من أعمال الصغد في وراء النهر. انظر معجم البلدان: ٥٤٨/٢.

٦٣- جمال الدين بن صدر الدين بن عصام الدين

العلامة الإسفرايني

فاضلٌ نشأ بمكة بين تهامة ونجد، ورُبِّي في حجر المعالي والمجد، ففاق طبعه رقةً وطيباً نسيمَ التُّرْجِسِ والوَزْدِ.

وخلعت عليه الأيامُ جمالها، وأفاض الله عليه فضلها وأفضالها.

والله جميلٌ يحبُّ الجمال، والدهرُ قد يُسَعِّفه وإن كان عدواً لأهل الكمال.

فحاز كرمًا ومجدًا، وفاح عَنبرًا ونَدًا: [الطويل]

عَطَاءٌ وَلَا مَنْ وَحُكْمٌ وَلَا هَوَىٰ وَجِلْمٌ وَلَا عَجْزٌ وَعَزٌّ وَلَا كِبَرٌ

وهو في الفضلِ عصاميٌّ عريق، وله عَذْبٌ مَشْرَبٌ نشأ بين العذيب والعقيق.

وأنا وإن لم أره فقد صاحبْتُ أخاه عليًّا، ورأيتُه وقد رفعه الله مكاناً عليًّا، ففُزْتُ

بصُحْبته وقد طافتُ وُفودُ الآمالِ حولَ كَعْبِيته: [البيسط]

جمالَ ذي الأرضِ كانوا في الحياةِ وهم بعدَ المماتِ جمالُ الكُتُبِ والسَّيْرِ

فمن شعره قوله: [البيسط]

فِنِجَانٌ قَهْوَةٌ ذَا المَلِيحِ وَعَيْنُهُ أَلْ كَخَلَاءِ حَارَتِ فِيهِمَا الأَلْبَابُ

فَسَوَادُهَا كَسَوَادِهَا وَبِيَاضُهَا كَبِيَاضِهَا وَدُخَانُهَا الأَهْدَابُ

قال أبو منصور الجواليقي في كتاب «المُعَرَّب»: الفنجان معرَّب، وصوابه فنجانة،

وفيه نظر.

وتشبيه الدخان بالأهداب تشبيه بديع.

ومثله في الحُسن قولُ الصَّنُوبَرِيِّ: [الرجز]

مُجَمَّرَةٌ طَافَ بِهَا الغِلْمَانُ أبدَعَ فِي صَنَعَتِهَا الزَّمَانُ

كَأَنَّهَا فِيمَا حَكَى العَيَانُ فَوَارَةٌ وَمَاؤُهَا دُخَانُ

فِي بِرْكَةٍ خَضِبَاؤُهَا نِيرَانُ إِذَا تَبَدَّتْ حَزَنُ الرِّيحَانُ

وَسُرَّتِ الجُيُوبُ والأَزْدَانُ

وقلتُ فيها، من أرجوزة أيضاً:

لِلَّهِ مَا أَحْسَنَهَا مِنْ مُجَمَّرَةٍ أَنفَاسُهَا طَيِّبَةٌ مُعَطَّرَةٌ

كَأَنَّهَا وَرِيحُهَا طَيِّبٌ نَرْجَسَةٌ مِنْ فَوْقِهَا ضَبَابٌ

وعلى ذكر الأهداب انظر حسنَ قولِي، في مَلِيحِ لِبَسِ فَرْوَةِ سَمُورٍ^(١): [الطويل]

٦٣- لم أعثر على ترجمة له، في هدية العارفين: ١٥٣/٢ ترجمة لوالده صدر الدين.

(١) البيتان في نفحة الريحانة: ٥١٥/١.

وظنبي من السَّمُورِ أَلِيسَ فَرْوَةَ
وَمَاسَ كَمَا هَزَّتْ صَبَاً سُخْرَةَ سَزَوَا
كَأَنَّ عَيُونَ النَّاسِ مِنْ دَهْشَةٍ بِهِ
تُخَلِّفُ أَهْدَاباً فَتَحَسَّبُهَا فَرْوَا
ولشيخنا العِنَايَاتِي، من قصيدة: [الخفيف]

فَهْوَةٌ لَا صُدَاعَ فِيهَا نَعَمَ فِيهِ
صِيْنٌ فِي الصُّيْنِ مِسْكُهَا فَحَكَاهَا
لَيْلٌ وَضَلَّ فِي صُبْحٍ لُقْيَا حَبِيبِ
طَابَ مِنْهَا غَبُوقُهَا وَالصُّبُوحُ
وللأستاذ محمد البَكْرِي، أو لمحمد مَامَاي المعروف بالرُّومِي: [م. الوافر]

أَنَا الْمَعَشُوقَةُ السَّمُورَا
وَعَوْدُ الْهِنْدِ لِي طَيِّبٌ
وكتب جمال الدين للقطب المَكِّي، يهنيه بشهر رمضان: [الرجز]

يَا شَيْخَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي أُمِّ الْقُرَى
فَتَهَنُّ وَحَدِّكَ إِنْ ذَاتَكَ أَصْبَحَتْ
فَأَجَابَ، وَأَجَادَ، وَأَجَازَ:

يَا وَاحِدَ الْفُضْلَاءِ أَنْتَ جَمَالُنَا
شِغْرٌ بِشِغْرِ لَا رَبًّا فِيهِ وَإِنْ
الْأَشْرَفِي فِي الْعُرْفِ بِمَعْنَى الدِّينَارِ، نَسَبَةٌ لِلْمَلِكِ الْأَشْرَفِ، وَتَوْحِيدُهُ جَرُّهُ الْقَافِيَةُ.
وَلابن الْقَيْمِ، وَقَدْ مَدَحَ مَنْ أَجَابَهُ، وَأَجَازَهُ: [الطويل]

وَلَمَّا مَدَحْتَ الْهَبْرِيَّ بْنَ أَحْمَدِ
فَعَوَّضْتَنِي شِغْرًا بِشِعْرِ وَزَادَنِي
لَفْظَتْ مَلُوكَ الْأَرْضِ حَتَّى لَقِيْتَهُ
وَهَذَا مِنْ قَوْلِ ابْنِ سِنَانَ الْخَفَاجِيِّ^(١): [الطويل]

سَرَيْتُ إِلَى شَمْسِ الضُّحَى فِي الْغِيَاهِبِ
طَوَيْتُ إِلَيْكَ الْبَاخِلِينَ كَأَنِّي
وَمَا يَشْبَهُ هَذَا قَوْلُ الْبَيْغَاءِ^(٢): [الرجز]

زَمَنُ الْوَرْدِ أَشْرَفُ الْأَزْمَانِ
أَدْرَكَ السُّرْجِسُ الْجَنِيُّ وَقُرْنَا
أَشْرَفُ الزُّهْرِ زَارَ فِي أَشْرَفِ الدَّهْرِ
وَأَوَانُ الرَّبِيعِ خَيْرُ أَوَانِ
مِنْهُمَا بِالْخُدُودِ وَالْأَجْفَانِ
بِ فَصْلِ فِيهِ أَشْرَفُ الْخِلَانِ

(١) عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، صاحب «سر الفصاحة» شاعر، أديب، تولى قلعة عزاز من أعمال حلب، مات بها مسموماً سنة: ٤٦٦. فوات الوفيات: ٢٣٣/١.

(٢) البيغاء: عبد الله بن نصر بن محمد المخزومي، أبو الفرج البغدادي، الشاعر المعروف بالبيغاء، توفي في بغداد سنة: ٣٩٨، له ديوان شعر مشهور. انظر هدية العارفين: ٦٣٣/٢.

ومدح البُخترِي طاهر بن إسماعيل الهاشِمِي، فبعث له بدنانير، وكتب معها:
[الرملة]

لو يكون الجِبَاء حَسْبَ الَّذِي أَنْزَلْتُ
لَحُبَيْتِ اللَّجِينِ وَالذُّرِّ وَالْيَا
وَالشَّرِيفِ الظَّرِيفُ يَسْمُحُ بِالْعُدُوِّ
فَرَدَّهَا، وَكَتَبَ إِلَيْهِ: [الرملة]

بِأَبِي أَنْتَ أَنْتَ لِلْبِرِّ أَهْلُ
وَالنُّوَالِ الْقَلِيلُ يَكْثُرُ إِنْ شَاءَ
غَيْرِ أَنِّي زَدَدْتُ بِرَّكَ إِذْ كَسَا
وَإِذَا مَا جَزَيْتَ شِعْرًا بِشِعْرٍ

ومثله قول أبي القاسم الدَّوْدِي: [الرملة]

رَبِّمَا قَصَّرَ الصَّدِيقُ الْمُقْبِلُ
وَلِئِنَّ قَلَّ نَائِلُ فَصَفَاءُ
أَزْخِ سِثْرًا عَلَى حَقَارَةِ بَرِّي
وَلَنُورِدَ هُنَا رَبًّا الشَّعْرَ، وَمَا قِيلَ فِيهِ؛ فَإِنَّ الْحَدِيثَ شُجُونَ.

وقد قال الصَّنَوْبَرِيُّ: [الوافر]

لَسْتُ أَسْتَحْسِنُ الرَّبَّاءَ فِي سِوَى الْوَدَّ
وَلَمَّا هُنَا الشُّعْرَاءُ ابْنُ طَاهِرٍ بُولَايَةَ خُرَّاسَانَ وَأَنْشَدَهُ تَمَّامُ بْنُ أَبِي تَمَّامٍ: [السريع]

هُنَّاكَ رَبُّ الْعَرْشِ هُنَّاكَ
قَرَّتْ بِمَا أُعْطِيَتْ يَا ذَا الْجَبَا
أَشْرَقَتْ الْأَرْضُ بِمَا نَلَّتْهُ
اسْتَضَعَفَ الْحَاضِرُونَ شَعْرَهُ، وَقَالُوا: مَا أَبْعَدَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ.

فأجابه بعضهم بقوله: [السريع]

حَيَّاكَ رَبُّ النَّاسِ حَيَّاكَ
مَدَخَتْ خِذْنًا مَتَهُمَا مَا لَهُ
فَهَاكَ إِنْ شُئْتَ بِهَا مِدْحَةً

فقال: أعزُّ الله الأمير، الشُّعْرُ بالشُّعْرِ رَبًّا، فَاجْعَلْ بَيْنَهُمَا مِثْحًا مِنَ الدَّرَاهِمِ؛ حَتَّى
يَجِلُّ.

فضحك، وقال: إن لم يكن معه شعرُ أبيه، فمعه ظُرْفُهُ. وأجزل جائزته.

وقال السراج الوراق^(١): [الوافر]

وعوَضَني على شِغري بِشِغري
ولستُ ألوْمُه فيما أتاهُ

وكتب دِغبل لأبي دُلف، وقد انقطع عنه^(٢): [الطويل]

وهل يُرْتَجى نَيْلُ الزِيادةِ بالكُفْرِ
فأفْرَطتُ في بَرِّي عجزتُ عن الشكرِ
فإن زدّني بَرًّا تزايدتُ جَفوةً

فوجّه له ألف دينار، مع رُقعة فيها: [الطويل]

ألا رُبَّ ضيفٍ زائرٍ قد بسطته
أتاني بترحيبٍ فما حال بيته
رأيتُ له فضلاً عليّ بقضده
فزودته مالا يقلُّ بقاؤه
فردّ دِغبل الألف، وقال: الشعر بالشعر، والبرُّ ريباً.

ومثل قول دِغبل لأبي العلاء المَعريّ: [البيسط]

لو اختصرتُم من الإحسانِ زُرْتُكم
وكنت كتبتُ لبعض الناس شغراً فأجاب عنه بشغري فكتبتُ له: [الوافر]

فالعذبُ يُهجرُ للإفراطِ في الخصرِ
نفيساً عقده مئِنُ الرقابِ
يُغفرُ في الوجوهِ ولا يُحايبي
مئنتُ به سريعاً في جوابي
بمَدحِ منك صرّتُ به تُرابي

٦٤- اخوه علي العصامي

كعبة المعالي، ومَن به حالُ الكمالِ حالي.

(١) السراجُ الوراق: صمر بن محمد بن حسن، شاعر مكثري، توفي سنة: ٦٩٥ . انظر فوات الوفيات:

١٠٧/٢، والأعلام ٦٣/١ .

(٢) طبقات الشعراء: ١٧١، وفيها أن الشعر لعلي بن جبلة المكونك، وفيها أبيات أبي دلف.

٦٤- علي بن إسماعيل صدر الدين بن العلامة إبراهيم بن محمد عريشاه الشهير بعصام الدين الإسفرايني، الشافعي، المكي، المشتهر بالعصامي، لم يفتخر بأبائه، ولم يتهج بنضارة أصله، تولى قضاء الشافعية بمكة، له حاشية على شرح الاستعارات، توفي بمكة سنة: ١٠٠٧ . انظر خلاصة الأثر: ١٤٧/٣ .

لا عيبَ فيه إلا أن لفظه عطل الياقوت والذّر، ولا عيبَ في نداءه إلا أنه يستعبد كلُّ
حُرّ.

فهو غرّة الجمال، وصورة الكمال.

إذا نطق فما الروضُ زاره الحيا، وإذا تهلّل فما النهر حياهُ بَرَقُ السّما.

ولعَمري إن جدّه، أسعدَ الله بجمعِ شمْلِ الفضائلِ جدّه: [الرجز]

نفسُ عصامِ سوّدتِ عصامًا وعلمته الكَرّ والإقدامًا

وهذا الحفيدُ عقْدُ المناصبِ به نُضيد.

لم يفتخرُ بأبائه، ولم ينتهج بنضارة أضله ونمائه، لما اغتصم بعزوة الفضلِ الوثقى،
وصعد إلى ربوة المجد وترقى، وقال أنا عصامي لا عظامي، وإن كنتُ لذيما مآثري
حامبي.

فألف وصنّف، ونوع قري الأسماع وأتحف.

وأفاد الطلّاب، وحلّ بأشنان قلبه عقْدَ المُشكلات الصّعب.

وأقام في جوار بيتِ الله وجمّاه، معتزلاً عن الناسِ ولا يدع أن يعتزل جار الله.

وكان ممّن وري به زنادي، وروي من وزده فوادي.

وسُعرث بالاستفادة منه ناري، وفكّ من ربنقة الجهل بفضله إساري.

ولم يزل يُرسل إليّ وفودَ أخباره، ويهدي نسيم نجدٍ إلى نفحاتِ آثاره.

إلى أن صمّ الخبر، وعمي قائد الأثر.

وبيني وبينه مكاتبات.

منها، ما كتبه إليه مع سمك:

مولاي أطال الله بقاءك، ورفعك على هام السمك.

أنهي إليك، نائراً للآلئِ المغيرة بين يديك، أني زرتُ البحرَ أخاك، ويدُ الرجاء

مدّت لما بهتت عيونُ الشباك.

فأهدى إليّ من المسرة، ما كدث معه أضطاد حوت السمك بشباك المجرة.

وأرسل لزيارتي أمواجه، فأنساني الدهرَ وخطبة فلا أدري أعرّض عني أم واجه.

وأهدى إليّ جيتاناً كأنها خناجر، قطعَتْ من الجوع الغلاصم والخصير.

فصير جيداً مالي حالياً، وأذكّرني وما كنت ناسياً، بحرَ عطاياك وهو أكبر، ولكنّ

الشيء بالشيء يُذكر.

فأرسلتُ وإن كنتُ كمن أهدى للجنان غصن الزهر، وأرسل الشمع للشمس والتمر لهجر^(١): [م.الرجز]

أرسلتُ أسماكاً إلى من مجده حل الفلك
أرأيت قبلي مهدياً أهدى إلى البحر السمك
وذكر مرة في درسه قول الرئيس ابن سينا في بعض كتبه حديث: إن الحكمة لتنزل من السماء فلا تدخل قلباً فيه هم الغد.

فقلت: إنه لم يُسنده، وهو بكلام النبوة أشبه.

وقد نظمته، فقلت^(٢): [السريع]

من يترك الدنيا يسد أهلها
لا تسكن الثقوى ولا حكمة
ويقتطف زهرتها باليد
مثل قلب فيه هم الغد

وللإمام الشافعي رضي الله عنه قريب منه: [البيسط]

كم ضاحك والمنايا فوق هامته
من كان لم يؤت علماً في بقاء غد
لو كان يعلم غيباً مات من كمد
ماذا تفكره في رزق بعد غد^(٣)

٦٥- أحمد المدني، المعروف باليتيم، مصفراً

دُرٌّ في حِقاقِ الدهرِ يَتيم، ودَوْحَةٌ أدبٍ هزَّها مُرورُ النسيم.

بعذبِ طبعِ مُسَلَّسِل، وبُزْدِ فصاحةٍ على الشعرِ مُهَلْهَل، إذا نَسَجَ حُلَّله على مِنوالِها
فهو من الطرازِ الأوَّل.

فهو تَوْءَم نسيمِ السَّحَر، وشقيقُ الماءِ والزَّهر.

وربيبُ الحسنِ سَقاهُ ماءُ الصُّبا، وخذنُ الخمايلِ قَدِمَ عليها رسولُ الصُّبا.

مع خِلاعةٍ ومُجون، وحديثِ صِبايةٍ كلها شُجون.

في فتيةٍ يَنْظِمُهُم الطَّرَب، نظماً يَرْقُصُ له الحَبِّ: [البيسط]

لا يُجْمِعُونَ على غيرِ الحرامِ إذا
تجمَّعُوا كحبابِ الرِّاحِ وانتظَّمُوا

فمن دُرِّه اليتيم، وعقده النُّظيم: [الكامل]

للهِ مُحْكَم قهوةٍ تُجَلِّي لنا
في أبيضِ الصُّبني طابِ شرايِبِها

(١) في مجمع الأمثال للميداني: «كمتبضع التمر إلى هجر ١٥٢/٢، برقم (٣٠٨٠).

(٢) خلاصة الأثر: ١٤٨/٣.

(٣) خلاصة الأثر: ١٤٨/٣.

٦٥- لم أعر له على ترجمة.

فكأنما هي مُقلَّةٌ مكحولَةٌ ودُخانُها مِن فوقها أهدابُها
ونحوه ما قلته: [الخفيف]
زرتُ روضَ الحمى الأريضِ سُخيراً إذ دعاني إليه سَجْعُ الطيورِ
وكان الشَّقِيقُ تحت ضبابٍ مِنجَمَرٌ فوقه بُخارُ البُخورِ
وقد مرَّ قريباً نحوه.

٦٦- سراج الدين بن عمر الأشهل المدني

سِرَاجٌ وهَّاجٌ أشرقت منه أنوارُ الفصاحة، وانجَلت أبقارُ أفكاره في حُللِ الملاحه.
حديقةٌ سِخِر، وحُقَّةٌ سِخِر.

تَقَطَّرَ منه مِياهُ اللُّطْفِ الجارية، وتَجَرِي بِرِقَّةِ الحِجَازِ وظَرْفِ العِراقِ وجَزالةِ البادية.
ولم يزل مقيماً بجوار الرسول عليه أشرفُ تحية، حتى أطفأ سراجَه صرصرُ المنية.
فمن شعره قوله: [المنسرح]

أرسلتُ رُسُلِي لقهوةٍ سَحَرًا فما أتوا سُرعَةً من الكَسَلِ
فقبلَ صِفها فقلتُ مُقتَبِساً جاءت على فثرةٍ من الرُّسُلِ
وله أيضاً: [م. الرمل]

ما الحالُ قالوا صِيفٌ لنا فلعلَّ ما بِك أن يُزَاح
فأجبتُ ما يَخُفَّاكُم حالُ السُّراجِ مع الريحِ
وقد سبقه لمثله، في كثيرٍ من شعره السُّراجِ الوراق.

فمن محاسنه قوله^(١): [المتقارب]

بُنِّيُّ اِفتدى بالكتابِ العزيزِ فزدتُ سُروراً وزاد ابتهاجاً
فما قال لي أفُّ في عُمُرِه لِكُونِي أباً ولِكُونِي سِراجاً
وله أيضاً: [الطويل]

إلهي قد جاوزتُ سَبْعِينَ حِجَّةً فشكراً لنعمائك التي ليس تُكْفَرُ
وعمرتُ في الإسلامِ فازدَدتُ بَهْجَةً ونوراً كذا يبدو السُّراجُ المَعْمَرُ
وعمَّم نوزُ الشيبِ رأسي فسرني وما ساءني أن السُّراجُ مُنَوَّرُ
وللسُّراجِ الوراقِ أيضاً: [المنسرح]

٦٦- لم أعثر له على ترجمة.

(١) البيتان في فوات الوفيات: ١٠٨/٢.

كم قطع الجودُ من لسانٍ قلد من نظمه النحورًا
 فها أنا شاعرٌ سراجٌ فاقطع لسانِي أزدك نُورًا
 وللشعراءِ المتأخرين كثيرُ أشعارِ، تتعلق بأسمائهم، وقد نحوثُ نحوهم لَمَّا
 قلتُ^(١): [الكامل]

قالوا نراك سقطت من رُتب أترى الزمانَ بمثلِ ذا غلِطًا
 قلتُ الشياطينُ اللئامُ علوا ولذا الشهابُ من العُلا سقطًا

٦٧، ٦٨ - عبد الرحمن، وعلي ابنا كثير المكيان

أديبان هما في وجه الكمال غرّة، وجوادان سماء كرمهما للعافين ثرّة.
 امتطيا ظهرَ المجد، ونزلا بطنَ تهامة وظهرَ نجد.

بهمة إذا غزتها التوائب، كانت عن حدّ المُرَهفات نوائب.

التجأ في الدولة الحسنيّة إلى طراز الدؤل، وأويا لها حيث لا عاصم من طوفان
 الخطوب إلا ذلك الجبل.

فأصبحت يدُ الجود لأسباب الغنى رابطة، ونظمت عقود الكرم في جيد أملهما بلا
 واسطة، ففي تلك الأكف بحارٌ تفرق فيها الآمال، ويرشح من عرق الخجل لها جبينُ
 السحاب الهطال.

من كل من مسحت راحة إحسانه، قذى الفقر عن عين زمانه.

فنادى لسان العيان، قد وضع الصبح لمن له عينان.

فمما أنشد لعبد الرحمن قوله: [الوافر]

كبارُ زماننا أضحوا صغاراً وقد غضب الزمانُ على الكبارِ
 كأن زماننا من قوم لوط له ولع بتقديم الصغارِ

وفي معناه قول المعمار^(٢): [السريع]

أيرى مُغرى باللواطِ الذي يقبض لاسيما على مثله
 أوقف حالي لا تسأل ما جرى وصرت خلف الناس من أجله

وقلت: [الكامل]

وزمان فيه الصغيرُ يُقدم أترأه لذلك الذئبِ يندم

(١) البيتان في فوات الوفيات: ١٠٨/٢، ونفحة الريحانة: ٣٤٣/٢.

٦٧، ٦٨ - لم أشر لهما على ترجمة.

(٢) المعمار هو: أبو محمد عبد الله بن إسماعيل الأسدي البغدادي، جلال الدين، كاتب، شاعر،
 أديب، فيلسوف، توفي بالحلة سنة: ٩٤٢. انظر الأعلام: ١٩٨/٢.

لَعَنَ اللّهُ قَوْمَ لُوطٍ فَهُمْ قَدْ عَلِمُوا التَّقْدِيمَ حَتَّى تَقْدُمَ
وقلتُ أيضاً، وهو أحسن مما تقدّم: [الطويل]

أقول لهذا الدهر عثباً على م لا تُقدّم من قد قدّمته الورى حقا
فهم بتقديم المُقدّم توبة فكان الذي قد رام تقديمه علقاً
ومما أنشدته لعلّي بن كثير قوله: [المتقارب]

صجبتُ الأنامَ فالفنيثهم وكلُّ يُريدُ رضى نفسه
وكلُّ يميل إلى شهوته ويجلب ناراً إلى بُزمتيه
فيلله ذرُ فئى عارف يُجازي الصديق بإخسانه
ويلبس للدهر أثوابه ويُبقي العدو إلى قذرتيه
ويرقص للقرذ في ذولتيه وقوله: «يجلب ناراً إلى بُزمتيه» البرمة: قدر من حجارة، بلغة أهل مكة.

هذا المثل كقولهم في مثل آخر: «كلُّ يحطب في حبله، ويجرُّ النارَ لِقْرِصِه»^(١) أي رغيه.

وما أحسن قوله أيضاً: [السريع]

ويسوم قرّ زاد أزيأحه وفي معنى قوله: «ويرقص للقرذ» إلخ،
يوم تود الشمس من بزده قول الأهوزي: [م. الرمل]
قل لمن لام لا تلمني كل امرئ عالم بشأنيه
لا ذنب فيما فعلت إني رقصت للقرذ في زمانه
من كرم النفس أن تراها بختم الذل في أوانه
ولأبي تمام: [م. الرمل]

لابد يا نفس من سُجود في زمن القرذ للقرود
وتقدّم الصغار داء قديم، ممّ ابتلي به الثعاليبي، وقد اشتكاه بقوله، في قصيدة له:
[الوافر]

لك الدنيا وما فيها بلاد تكبر ذا الزمان على بنيه
تلاحظها بعينيك اختقاراً وصار صغارهم فيه كباراً
فعيش حتى تعلمه الصغاراً خدمت لك الملوك أروض نفسي
فدم حتى تردهم صغاراً لآمن تحت خدمتك العشاراً

(١) مجمع الأمثال للميداني: ١٧١/٢ .

القسم الثاني / محمد بن أبي الخير... / العلامة شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي ٢٤٥

ولو كانت لنا الدنيا جعلنا لك الدنيا وما فيها نثاراً

٦٩- محمد بن أبي الخير ابن العلامة ابن حجر الهيتمي

المكي منشأ وموطنا

بليغ عذب البيان، نجيب سبط البنان، طويل النجاد وسيف اللسان.

رأيته وأنا بالحجاز، وليس بينه وبين الكمال حجاز.

وأشدني له شعراً من خير الأمور، وقد يقع ما يجلو طيف الشرور.

إلا أن أكثره في الأهاجي، ومنه ما هو في المعميات والأحاجي.

فمما أشدني له قوله: [السريع]

سوداء في الخد الشديد الصفا

يا ذا الذي من خاله حبة

فالحبة السوداء فيها الشفا

دغني أقبلها تزيل الضنى

وله في مליح اسمه علي: [م. الكامل]

مالها قط مشبه

لعلي محاسن

كرّم الله وجهه

وبشامات خده

والدعاء بـ «كرّم الله وجهه» مختص بالإمام علي بن أبي طالب، رضي الله عنه في لسان الناس؛ لأنه أسلم صبياً، ولم يسجد لغير الله، وقد روى الشيعة فيه أثراً، وهو أن أمّه، رضي الله عنه، وهي حامل به، كانت إذا جاءت لصنم أحست بتحويل وجهه عنه في بطنها.

ولم تر فيه نقلاً لغيرهم. انتهى.

٧٠- العلامة شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي

نزيل مكة، شرفها الله

علامة الدهر خصوصاً الحجاز، فإذا نشرت خلل الفضل فهو طراز الطراز.

فكم حجت وفوذ الفضلاء لكفبته، وتوجهت وجوه الطلاب إلى قبلة.

٦٩- لم أعثر على ترجمة له.

٧٠- أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن حجر، الهيتمي، السعدي، الأوصالي، ولد سنة ٩٠٩، ودرس بالجامع الأحمد في طنطا وفي جامع الأزهر، نوابي المدرسين والإمامة، ومعه من العشرين، برع في التفسير والحديث والفقه وعلوم العربية والدعوة، أقام أواخر حياته في مكة، توفي فيها سنة ٩٧٣. انظر شذرات الذهب: ٣٧٠/٨، وفتحة الرجاء: ٣٠٨/٣.

إن حدث عن الفقه والحديث، لم تتقرط الآذان بمثل أخباره في القديم والحديث.
فهو العلياء والسند، ومن تفك سبهاً أفكاره الزرد.
تأليفه غررٌ مُنيرات، أضاءت في وجوه دُهم المشكلات.
فكم أغنى بتحف أفكاره مُحتاجاً، وأوضح للإرشاد منهاجاً.
وكف المُبتدعة «بالصواعق»^(١) و«الزواجر»^(٢)، وفاق بأقواله المعتمدة الأول
والآخر.

ولود الليالي عن مثله عقيم، وديزباق نفثات طبعه السليم شفاء كل سقيم.
نشرت على الدنيا خلع الفرح، وتزينت بديع صفاته المدح.
أقلام فتاواه مفاتيح ما أرتج من المسائل المُشكلة، والعلم باب مُقفل مفتاحه
المسألة.

وهو من أجل مشايخ والدي، الذي ورثت من علمه طريفي وتالدي.
رحمه الله تعالى.

٧١- علاء الدين بن عبد الباقي

صاحب كتاب «الطراز المنقوش»، في محاسن الجبوش.
رأيتُ فرأيت منه عذب بيانٍ بديع، في صورة أديبٍ خليع.
ورأيت كتابه هذا وهو في وجه أديه شامة، وعيناً في مُحيا عمره نظر به الدهر
وشامه.

وله ربيع أدبٍ وريق، وسلافة خلاعة نقلها قبل وريق.

وأنشدني من شعره، طرفاً لم يتعطر كتابي بنشره.

وكتاب ابن الجوزي في معناه، فاح من مسك مداده عَرَف طيبه وشذاه: [السريع]

مُصوّرٌ من حَدَقِ الحِسانِ مُركَّبٌ من مُلِحِ الخِيلانِ

كأنه في ناظرِ الزمانِ إنسانٌ عينِ الحِسنِ والإحسانِ

٧٢- القاضي حسين المالكي المكي

سماء سحائب الكرم، وصائد قنص المعالي في جمى الحرم.

(١) إشارة إلى كتابه: «الصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة».

(٢) إشارة إلى كتابه: «الزواجر عن اقتراف الكبائر».

٧١- لم أعثر على ترجمة له.

٧٢- لم أعثر على ترجمة له.

إذا نُشِرَتْ صحفُ نَدَاهِ طُوبَى ذَكَرُ حَاتِمِ طَيِّ، أو رُفِعَتْ رَايَاتُ عَلَاهِ فليس غيرُ
السُّؤْدِدِ فِي.

أو ذَكَرَ الكِرَامُ فهِمَ لَهُ خَدَمٌ، أو أَيْنَعَتْ رِيَاضُ مُخَبَّرَةِ دَارِثٍ أَنهَارُ جَوْدِهِ حَوْلَهَا خَدَمٌ.
ذو هِمَّةٍ نَظَّمَتْ رَاخِطَهَا عِقْدَ الكِرَامِ، وَبَدَّدَتْ مَا تَجَمَّعَ مِنْ خُطُوبِ الأَيَامِ.
بَطْبَعِ أَلَدٌ مِنْ مِحَادِثَةِ الحَبِيبِ، وَأَعَذَبَ مِنْ مُفَاكِهِهِ الصَّدِيقِ الأَرِيبِ.
وَعُرَّةٌ أَشْهَرَ مِنْ مِثْلِ، وَعَنْ المَلُوكِ فَلَا تَسَلْ.
شَرِيفُ النِّسَبِ، سَرِيُّ الحَسَبِ.

إذا أَخْصَبَتْ بِمَاءِ النَّدَى عَذْبَاتُهُ الخُضْرُ، أَجْدَبَتْ سَاحَتَهُ مِنَ الحُمْرِ وَالصُّفْرِ:
[الرجز]

إِنْ قَالَ يَا عَثْبَرُ جَاءَ الشِّذَا أَوْ قَالَ يَا يَاقُوثُ جَاءَ الذَّهَبُ
يُشْرِقُ نَوْرُ الثُّبُوءِ مِنْ بَارِقِ أُسْرَتِهِ، وَتَطْلُعُ بِدَوْرُ الهُدَى مِنْ هَالَةِ أُسْرَتِهِ.
ثُمَّ لَمْ تَزَلِ السُّعُودُ فِي خِدْمَتِهِ قَائِمَةً، وَعَيُونُ النُّوَابِثِ عَنْ مَعَالِيهِ نَائِمَةً.
رَاقِيًا مِنْ مَطَالِعِ الكِمَالِ أَوْجَهَا، بِمُحَايَا يَفِيضُ سَنًا مِنْ بُدُورِ التَّمِّ أَوْجَهَا.
إِلَى أَنْ تَوَلَّى قِضَاءَ طَيِّبَةِ الطَّيِّبَةِ، وَأَمَسَتْ خِيَامُ سَعْدِهِ عَلَى هَامِ الفَلَكِ مُطْنَبَةً.
فَبَدَأَ مِحَاقَ بَدْرِهِ، وَخُتِمَتْ بِيَدِ القِضَاءِ صُحُفُ عُمْرِهِ.

ويقال: إنه هبَّت عليه شعوبٌ بعواصفِ السُّمُومِ، وَجَرَّعَهُ سَاقِي أَجْلِهِ كَاسَ
السُّمُومِ.

وَكَانَ فِي شَرْخِ شَبِيبَتِهِ، وَإِقْبَالِ رَايَةِ طَلِيعَتِهِ، فِي خُمُولٍ يُرِي الدَّهْرَ الصَّبْرَ كَيْفَ
يَكُونُ، وَيَعِزُّ وَالخُطُوبِ عَلَيْهِ تَهُونُ: [الكامل]

هَمُّ الفَتَى فِي الأَرْضِ أَغْصَانُ الغِنَى أبدأً وَليسَتْ كُلُّ حِينٍ تُورِقُ

٧٣- شيخنا العلامة علي بن جار الله

المَكِّي، الحَنَفِي، الخَطِيبِ، مَفْتِي الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ

خَطِيبٌ مِضَّقٌ، لَفْظُهُ بِالفِصَاحَةِ مُوشَى مُوشَعٌ.

٧٣- القاضي علي بن جار الله بن محمد بن أبي بكر بن علي، المخزومي، القرشي، الظهيري، الحنفي،
مفتي مكة، الشهير بابن ظهيرة، كان المفتي والخطيب في الحرم المكي، له آثار بديعة، اشتغل
بالعلم وحظي منه على أوفر نصيب، وانتفع به جماعة من الكبار، توفي في مكة بعد أن كف بصره
وتجاوز التسعين سنة: ١٠١٠. انظر خلاصة الأثر: ٣/١٥٠، له: تذكرة الظهيرية، وحاشية على
شرح إيسافوجي، وحاشية على شرح التوضيح، ودبوان شعر، وفتاوى الظهيرية. هدية العارفين:
٧٥١/١.

إذا انحدر من تلعتيه ماءً بلاغته، وسال يبطحاء أم القرى سلسال براعته، شهد بفضلته
الناس من فاجرٍ وبرٍّ، وكاد يخضرُّ تحته أعوادُ كل منبرٍ: [الطويل]

فتهتزُّ أعوادُ المنابرِ باسمه فهل ذكرت أيامها وهي أغصانُ
فعطَّر المحافل طيبًا، فلا ندري أضمخ طيباً أم ضمَّ خطيباً.

رأيتُه وقد طعن في السنِّ وليس له غير العصا قنًا، وقد رقي شرف السبعين وهي
سُلم الفنا.

وهو ينشرُ في نأديه جبر الربيع الأثيث؛ وترفع له الفتاوى في عضره وأسانيدهُ
الحديث.

ووردت منهل إفادته رائقًا، وأخذت من إجازاته ما صرتُ به على الأقران فائقًا.

وهو في مذهب النعمان لشيخنا المقدسي^(١) شقيق، وأم القرى لم تلذ مثله من

نجيب عريق.

٧٤ - علي الكيزواني المغربي

نزيل مكة المشرفة

صوفي أقام بمكة لابسا بُردَ التقى، حتى أحرم وتجرد من لباس البقا.
وله شعر على طريقة أزباب الحقيقة.

كقوله: [الكامل]

رقُّ الشرابِ ورقتِ الكاساتِ وتشابها فأضاءت المشكاةُ
اشربْ هنيئاً إن فهمت حديثنا أنت الكليم وذاتك الميقاتُ
وهو كقول الصاحب ابن عباد^(٢): [الكامل]

رقُّ الزجاجِ وراقتِ الخمرُ وتشابها فتشاكل الأمرُ
فكأنما خمرٌ ولا قدحٌ وكأنما قدحٌ ولا خمرُ

(١) المقدسي: نور الدين علي بن محمد بن علي الخزرجي المقدسي، من علماء الحنفية في عصره، وستأتي ترجمته في قسم مصر.

٧٤- قطب الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الحموي الشافعي، المعروف بالكيزواني، نسبة إلى «كازو» وكان يقول: «أنا المكي زواني»، ولد سنة: ٨٨١، وتوفي سنة: ٩٥٥، صنف: آداب الأقطاب، وتنبيه الطالبين على مقاصد العارفين، وكشف القناع عن وجه السماع، وكنز الدواني... وغيرهم. انظر هدية العارفين: ٧٤٥/١.

(٢) ديوانه: ١٧٦.

٧٥- معين الدين بن البكاء

نزِيل مَكَّة المَكْرَمَة المُعْظَمَة، شَرَفَهَا اللهُ

نَدِيمٌ دَمِثُ الأَخْلَاقِ، مُتَوَشِّحٌ بِبِرُودٍ لُطْفٌ حَوَاشِيهَا رِقَاقٌ.

فَهُوَ لِلأَدْبَاءِ صَدْرٌ، وَنَادِيهِ مِثْلُهُ وَاسِعُ الصَّدْرِ.

نَبَتَتْ دَوْحَتُهُ فِي رِيَاضِ الحَسَبِ، فَاجْتَنَى مِنْهَا زَهْرَةَ الحَيَاةِ وَفَوَاكِهِ الأَدَبِ.

وَلَهُ مِنْ طِيبِ الأَنْفَاسِ، مَا تَسَكَّرَ مِنْهُ الحُمَيَّا وَالكَّاسِ، مِمَّا هُوَ أَخْلَى مِنْ ثَمَرَاتِ

الأَمَانِيِّ غِبِّ مَرَارَةِ اليَاسِ.

وَهُوَ مَمَّنٌ سَاجِلَتُهُ وَأَنَا لِلأَدَبِ مُمْتَاكِحٌ، وَنَادَمْتُهُ وَالعَمْرُ مُورِقٌ بِالمَسْرَةِ مُشِيرٌ بِالنَّجَاحِ:

[الطويل]

لِيَالِي أَعْطَيْتُ البَطَالَةَ مِقْوَدِي تَمُرُ اللَّيَالِي وَالشُّهُورُ وَلَا أُذْرِي

وَكَانَ بَعْدَ مَا وَقَعَ لَهُ بِالرُّومِ هَاجِرٌ لِبَنِي حَسَنِ، وَأَقَامَ فِي ظِلِّهِمْ بِمَكَّةِ مُؤْتَلِفًا بِهِمْ

اِثْتِلَافَ المُقَلَّةِ بِالْوَسَنِ.

فَإِينَعْتَ زَهْرَتُهُ بَعْدَ الذُّبُولِ، وَسَقَاهُ صَيِّبٌ كَرِيمُهُمْ وَهَبَّتْ لَهُ نَسَمَاتُ القَبُولِ.

فَلَمَّا تَوَفَّى السَّيِّدُ مَسْعُودًا، تَبَدَّلَ بِالنَّحْسِ السُّعُودِ.

فَجَدَّدَ دِيبَاجَتَهُ وَارْتَحَلَ، عَمَلًا بِقَوْلِهِمْ: إِذَا نَبَا بِكَ مَنزَلٌ فَتَحَوَّلِ.

وَلِأَمْرِ مَا تَنَى القِرْنَ عِطْفَهُ، وَجَدَعَ قَصِيرًا أَنْفَهُ^(١).

وَكَانَتْ أَيَّامُهُ غَضَّةً نَضِيرَةً، تَكَادُ فِي عَضْرِهِ تَقْطُرُ مِنْهَا مِيَاهُ المَسْرَةِ.

وَكَانَ فِي جَمْعِ المَعَارِفِ وَالثُّوَادِرِ مَمَّنٌ لَمْ يَرَ الدَّهْرُ نَظِيرَهُ، وَلَمْ يَطْنُ^(٢) عَلَى سَمْعِهِ

حَدِيثٌ كَأَحَادِيثِ النُّضِيرَةِ.

فَهُوَ ذُكَاةُ الفَلَكِ^(٣)، وَمَا هُوَ بِبَشَرٍ بَلْ مَلَكٌ.

فَمِمَّا تَرَشَّحَ مِنْ قَطْرَاتِهِ، وَجَرَى فِي المَسَامِعِ مِنْ عَذْبِ كَلِمَاتِهِ، قَوْلُهُ^(٤): [المديد]

٧٥- معين الدين بن أحمد البلخي الأصل، المصري المولد والمنشأ، الشهير بابن البكاء، سافر إلى مكة

ثم المدينة وسكن بها إلى وفاته سنة: ١٠٤٠، له رسالة المعنى. انظر هدية العارفين: ٤٦٧/٢،

وخلاصة الأثر: ٤٠٦/٤.

(١) مجمع الأمثال للميداني: ٢٢٣/١، برقم: ١٢٥٠.

(٢) طن: صوت.

(٣) ذكاء: اسم علم للشمس.

(٤) خلاصة الأثر: ٤٠٦/٤، والبيت الثاني هنا، ترتيبه الرابع في الخلاصة وهو كما يلي:

فَبِحَقِّ الوَدِّ إِلا ضُنَّةً لِحَقْبِيرِ رُوحِهِ قَد سَفَرَتْ

يا شقيقَ الروح والجسم ويا
بحياةِ الوُدِّ إلا صُنَّتْه
كنتُ لا أخشى حسوداً لا ولا
وأرى الوُدَّ وهي بُنْيَانُه

ومن شعره تذييل لبيت القاضي الفاضل^(١): [الطويل]

تراءت ومرآة السماءِ صَقِيلَةٌ
ولاحت عليها حَلِيٌّها وَعُقُودُها
وله أيضاً^(٢): [الكامل]

حاذِرُ زُوَيْلَةَ أن تمرَّ ببابها
فموسط القثلى يقول بها انظروا
وهو تضمين لقول ابن نباتة السَّعْدِيّ من قصيدة: [الكامل]

وطعامها كُنْ آيساً من خيره^(٣)
مَنْ لم يمُتْ بالسيفِ مات بغيره
ومن شعره قوله في تقسيم الأيام^(٤): [البيط]

تعددتِ الأسبابُ والداءُ واحدُ
صَحْوٌ وَغَيْمٌ وَرِيحٌ ثم أمطارُ
تُقْضَى من الصَّيْدِ يومَ الغيمِ أوطارُ
ويومُ هَطَلِ السَّما للكأسِ مِذْرارُ
علَى بِساطِ رُباً يكسوه أزهارُ
ضياءِ وجهك لا في الأفقِ أقمارُ
الدهرُ أربعةٌ أيامُه انحصرت
فالصحو ظرف لإصلاح المآربِ إذ
ويومُ ريح لَنومٍ لا حراكِ به
واليومَ قد نُثرتْ ذُراً سحائبُه
فبادرِ الكأسِ يا بدرَ الزمانِ فمِنْ

٧٦- العلامة عبد الرحمن الخياري

نزيل المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

فاضلٌ إذا جُمِعتِ الفضائلُ فهو مُنتهى الجُموع، وكاملٌ كماله كَثَمَرُ الجَنَّةِ غير
مقطوع ولا مَمْنوع.

(١) خلاصة الأثر: ٤٠٦/٤ .

(٢) خلاصة الأثر: ٤٠٧/٤ .

(٣) زُوَيْلَةُ: قال المحبِّي: «زويلة مُصَغَّرَةٌ: محلة بمصر، كباب زويلة، ووجه تسميتها يعرف من
الخطط، وتواريخ مصر».

(٤) خلاصة الأثر: ٤٠٧/٤ .

٧٦- عبد الرحمن بن علي بن موسى بن خضر الخياري، الشافعي، نزيل المدينة المنورة وخطيبها
ومحدثها الجليل الشأن/ المشهور في الآفاق، أخذ عن علماء مصر، وتصدَّر للإقراء في الأزهر،
وأخذ عنه كثيرون، هاجر إلى المدينة المنورة سنة: ١٠٢٩، وانتفع أهلها به، توفي سنة: ١٠٥٦ .
انظر خلاصة الأثر: ٣٦٧/٢ .

لَمَّا رَأَى الْوَقْتَ سَيْفًا لَا يَقْطَعُ إِلَّا الْأَعْمَارَ، وَأَنَّ الْمَرْءَ قَبْلَ قُوْتِ الْفُرْصَةِ عَلَى أَيَّامِهِ بِالْخِيَارِ، لَمْ يَمُضِ لَهُ وَقْتُ فِي غَيْرِ الْعِبَادَةِ، وَلَا سَاعَةٌ فِي غَيْرِ الْاِسْتِفَادَةِ وَالْاِيفَادَةِ.

بوجهس أبلج وضاح، يلوح من غرته نور السداد والصلاح.

كَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ لَهُ الْمَنَاقِبَ فَاخْتَارَ مِنْهَا وَانْتَقَى، وَرَأَى أَنَّ أَحْسَنَهَا وَأَكْرَمَهَا الثَّقَى.

وَأَثَارُ أَقْلَامِهِ يَحْسُدُهَا الْحَوْرُ وَاللِّمَّا، وَيَعْرِقُ خَجْلًا مِنْهَا خُدَّ الرَّوْضِ بِالنَّدَى:

[البسيط]

أَبْدَى صَنِيعُكَ تَقْصِيرَ الزَّمَانِ فِي خُدَّ الرَّبِيعِ طُلُوعِ الْوَرْدِ مِنْ خَجْلِ
وَكَانَ فِي زَمَنِ الطَّلَبِ، وَمَنَافَسَةِ إِخْوَانِي أَوْلِي الْأَدَبِ، صَدِيقَ رُوحِي وَشَقِيقَهَا،
وَرِيحَانَ مَسْرَتِي وَشَقِيقَهَا.

وَعُودُ الزَّمَانِ خَضِرٌ وَرِيقٌ، وَوَجْهُ بِشْرِهِ بَسَامٌ طَلِيقٌ.

وَلَمَّا رَأَى أَنَّ اللَّهَ أَوْصَى بِالْجَارِ، رَحَلَ لَطِيئَةَ الطَّيْبَةِ وَسَكَنَ فِي جِوَارِ النَّبِيِّ الْمَخْتَارِ.

فَدَخَلَ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ فِي حَيَاتِهِ، وَإِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ حَبَاهُ بِنِعْمَةٍ لَا

يَسْلُبُهَا مِنْهُ بَعْدَ مَمَاتِهِ.

فَكَتَبْتُ لَهُ مُتَشَوِّقًا لِلِقَائِهِ، وَمُلْتَمِسًا صَالِحَ دُعَائِهِ^(١): [المديد]

يَا نَسِيمًا مِنْ نَحْوِ طَيْبَةِ سَارِي
مُزْرِيًا نَشْرُهُ بَعَثِيرِ شِخْرِ
خُدَّ فَوَادِي فَذَاكَ مَجْمَرُ شَوْقِي
مُوقِدًا فِيهِ عَثِيرًا مِنْ مَدِيحِي
لِمَقَامِ بِمُقْتَضَاهُ بَلِيغِ
وَفَصِيحِ فَصَاحَةِ اللَّفْظِ فِيهِ
وَلَمَنْ فِي ذُرَاهُ مِنْ كُلِّ جَارِ
فَهُمْ خَزْرَجِي وَأَوْسِي وَإِنْ لَمْ
يَسِيمَا صِنَوِي الشَّقِيقُ لِرُوحِي
قَدْ تَمَلَّى بِرَوْضَةِ حَازِ فِيهَا
بَاعَ دُنْيَا دَنْتَ بِأُخْرَى تَسَامَتْ
فَعَسَاهُ يَمُنُّ لِي بِدَعَاءِ
لِيَحْوِزَ الشُّهَابُ أَعْظَمَ سُؤْلِ
مَا اِزْتَدَى اللَّيْلُ مِنْ بُرُودِ الدِّيَاجِي

(١) خلاصة الأثر: ٢/٣٦٨.

فأجاب سقى الله ثراه^(١) : [الخفيف]
 بعد إهدا أسنى السلام الساري
 فائقاً طيبه شذا كل مسك
 لحبيب في الله خل وفي
 أحمد الفعل والشهاب المرجى
 دام في نعمة وعز ولطف
 مخيباً سنة الألى سبقوه
 وصلاة مع السلام دواماً
 ولآل وصحبه ما اضمحلت

من ربا طيبة أجل الديار
 فاتقاً نوره دجى الأسحار
 طيب الأصل ذي الثناء الساري
 كاشف المشكلات كنز الفخار
 من إله الورى الكريم الباري
 باتباع الألى وحسن الوقار
 للنبي الممجد المختار
 ظلم الظلم باجتلا الأنوار

فإني أحمد الله تعالى وأصلي وأسلم، على نبيه ﷺ.

وأعرض كثرة الأشواق، وتزايد الوداد، الذي لم يغيره تعاقب المدد والبعاد.
 ودوام الدعاء المرجو القبول، لاسيما تجاه أشرف نبي وأكرم رسول.
 ووصول مكتوبكم الكريم، وحصول الشور بلوامع مضمونه، وبدائع مكثونه.
 وقد بلغنا حسن سيرتكم في المناصب، ومزيد العفة، فجزاكم الله تعالى خيراً،
 وأعانكم وسددكم.

ولا تقطعوا أخباركم السارة، جمع الله لنا ولكم خيري الدنيا والآخرة، بجاه
 المصطفى الأمين، أمين.

نفحة من نفحات اليمن، ومن بلغنا خبره في هذا الزمن
 ممن بقي بها من الفضلاء والشعراء، وكان قريب العهد
 فمنهم، رحمهم الله تعالى:

٧٧ - عبد الله بن شمس الدين بن مطهر اليمني

فرغ من ذوابة هاشم، وتبعة من وشيخ تلك المكارم.
 من آل مطهر وهم ملوك مكرمون، لا يمسّ صحف مجدهم إلا المطهرون، من
 حدث البشرية، ودنس الهیولی^(٢) الدنية.
 من كل من قضى للعلیاء وطرها، وتلى آيات المجد وسورها.

(١) خلاصة الأثر: ٣٦٨/٢.

٧٧ - لم أعر على ترجمة له.

(٢) الهیولی: مادة الشيء التي يصنع منها، أو مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة، قابلة للتشكيل في شتى الصور، وهي التي صنع الله تعالى منها أجزاء العالم المادية.

تعبق منهم أنفاسُ الثبوة، وتجرُّ على وجه البسيطة أذيالَ الفتوة.

لم تُمخَّ محاسنهم من صحف الليالي والأيام، ولا تُشير بمثلها أغصان اليراع والأقلام: [الطويل]

مغارسُ طالت في رُبَا المجدِ فالتقت على أنبياءِ الله والخلفاءِ
إذا حمل الناسُ اللواءَ علامةً كفاهم مُشارُ النُقعِ كلَّ لواءِ
حتى أغارت عليهم جيوشُ ابن عثمان فذوى ذلك الثمر، واستفتت الأيامُ ماءَ حياتهم فلم يبقَ إلا الكدر.

فالتجأ إلى جبلِ كوكبان، واستظلَّ به من هَجيرِ حوادثِ الحدَثان.

وهو جبلٌ تضيء فيه قناديلُ النجوم، وتلتفُّ على هامته عصاباتُ الغيوم.

يزاجم الأفلak بالمناكب، وتكاد أن تلتقط سُكَّانه لآليء الكواكب: [السريع]

عالٍ كأنَّ الجِجْنَ مُدَّ مَرَدَّتْ جعلته مَرَقاةً إلى السَّرِّ

وهو الآن تاجٌ على رأس الزَّمن، وخالٌ تتزيَّن به وَجَناتُ اليمِن.

كأنما شَمخ كِبَراً بِمُجاورةٍ مَن به نزل، وصار كَبيرَ أناسٍ في بِجَادِ مُرْمَل^(١).

[الطويل]

وطودٍ على ظهْرِ الفلاةِ كأنه طوالُ الليالي مُطرقٌ في العواقبِ

يلوثُ عليه الغنيمُ سُودَ عمائم لها من وميضِ البرقِ خُضْرُ ذوائبِ

تحبى به آثارُ آبائه بعد مماتِها، ويردُّ روحَ المكارمِ للآمالِ بعد وفاتِها وفواتِها.

فمما التقطته من بعض السيَّارة من أشعاره، وأهدته إليَّ تجارُ اليمِن من تحفِ أثره.

قوله من قصيدة مدح بها أخاه عز الدين^(٢): [الكامل]

خطرت فقال الفصنُ صلُّ على النبي وبدت فقالت للشُّموسِ تحجبي

وسموطها دارت على لَبَّاتِها وزهت فقلنا للشُّجومِ تغيبني

لاحت لنا كالبدرِ ثم تبرَّعت فرأيتُ بدرًا حلَّ قلبِ العفريتِ

وبخدها خالٌ أراه غممه حُسنًا وناسبه بلونُ أخببي

فلطرفها عزُّ انكسارِ جفونها ولعطفها تيهُ المدنِ المُعجبِ

ومنها:

مُني عليَّ بزورةٍ أحيى بها في أنسِ قُربك أو عديني واكذبي

رقي بعِزِّك يا سعادَ لذتِي مُني ومثيبي أمانِي أشعبِ

ما أحسن الأطماعِ يُزجى نيلُها والضُّبُّ بين مُصدقٍ ومُكذبِ

(١) البجاذ: كساء مخطط، ومزمل: ملفف.

(٢) عز الدين بن دريب بن المعطهر اليميني الحسيني، كان سرياً، فاضلاً، عارفاً بالعلم، مسعوداً، محبوباً، عُرف بالمعلم، توفي: ١٠٦٢. انظر خلاصة الأثر: ٣/١١٠.

ومنها:

يا ليت شِعْرِي هل أفوزُ بمَطلبي
مَنْ لي بِشمسيّ الجمالِ مُمنعُ
مُتلونٍ كَمَدامِعي فوعودُه
يا قلبُ مالك ما انقلبتُ عن الهوى
خَلَّ النَّسِيبُ فقد أَطَلَّتْ وَعَدُّ عن
كَفَرُ زخارفِ زورٍ لهوٍ بالثنا
بصفاتِ عزِّ الدين والدنيا ومَنْ
حدُثْ وقل ما شئتُ في أوصافِه أَلْ
أسدٌ تخافُ الأسدُ ثعلبٌ رُمِجِه

قوله^(١): «صل على النبي» المراد به التعجب، والناس يستعملونه بهذا المعنى كثيرا، كقول شيخ الشيوخ الأنصاري، بحمّاة: [الرجز]

فمَنْ رأى ذلك الوِشا
وقال عَزَقلة: [الطويل]

أقبل يهتَزُّ في غِلالتيه
فقال كلُّ امرئٍ تَأْمَلِبُه

وقد تابعُهم، فقلت في قصيدة: [السريع]

ظَبْيِي على الصَّبِّ حين سلَّم
مُدْنَفُه والدموعُ بحرٌ

ومثله قولهم: «الله أكبر»، كما قال ابن النّبيّه: [البيسط]

الله أكبر ليس الحسنُ في العربِ
وهو قد اقتدى بعليّ بن الجهم، في قصيدة مدح بها بعض الخلفاء: [البيسط]

الله أكبر والنبيُّ محمدُ
والحقُّ أبلجُ والخليفةُ جعفرُ

وقد عابه شعراء عصره؛ حتى قال فيه مروان يهجوّه: [البيسط]

لَمَّا وصلتُ إلى الإمامِ عشيّةً
وكذبتهُ ومدخنتهُ بأذانِ

(١) انظر نفحة الريحانة: ٤٥٤/٢، ٤٤٧/٢ .

(٢) عرقلة: حسان بن نمير، الكلبي، النديم، أبو الندى، الأعور، وعده السلطان صلاح الدين حين كان من أمراء نور الدين أنه إن ملك مصر أعطاه ألف دينار، فلما سَير إليه الأموال بعد ملكه مصر، فجاء الموت، توفي سنة: ٥٦٧، وقد قارب الثمانين. انظر فوات الوفيات: ١١٢/١، ٤٤٧/٢ .

(٣) الكُمة: القلنسوة المدورة.

وقال أيضا: [الطويل]

أراد عليّ أن يقول قصيدة بمَدْح أمير المؤمنين فأذنا
فقلتُ له لا تغجلن بإقامة فلستُ على طهرٍ فقال كذا أنا
والإمام النَّوويّ، رحمه الله تعالى، صرَّح في «الأذكار» بأن الصلاة على النبي ﷺ
في مثله ممنوعة شرعاً، والوراد في مثله «سبحان الله».
وقال الحَلِيمِي من أئمة الشَّافعية: إنه جائز بلا كراهة، ويبتنوا وجهه في فقههم.

لطيفة

من غريب التَّمليح^(١) ما وقع في مجلس أبي بكر بن زُهر^(٢)، من أن بعض أدباء
الأندلس كان عنده، فدخل فاضلٌ من أهل خراسان عليهم، فأكرمه ابن زُهر، وأجله.
فقال الأندلسي: ما تقول في علماء الأندلس وأدبائهم وشُعرائهم؟
فقال: كَبُرْتُ.

فلم يفهم جوابه، واستبرده.

فلم يفهم ابن زُهر إنكاره.

ثم قال: أقرأت شعر المُتنبِّي؟

قال: نعم، وحفظته.

قال: أما سمعتَ قوله: [البيط]

كَبُرْتُ حَوْلَ ديارهم لَمَّا بدتْ تلك الشَّموسُ وليس فيها المشرقُ
فعلَى نَفْسِكَ فلتُكَبِّر، ولفهمك فاتهم وأنكر.
فخجل، واعتذر.

أقول: هكذا فلتكن محاورة الأدباء.

وأراد أبو الطَّيِّب بتكبيره التَّعْجِب.

وقوله في القصيدة: «أسد» إلخ^(٣)، فيه إيهامٌ بديع؛ فإنَّ الشَّعْلِب طرف الرَّمح
الداخل في السُّنان، والحيوان المعروف.

(١) انظر نغمة الريحانة: ٤٥٣/٢ .

(٢) أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر الإيادي، الأندلسي، الإشبيلي، لم يكن في زمانه أحدق منه
بصناعة الطب، له شعر رقيق، وموشحات انفرد في عصره بإجادتها، توفي سنة: ٥٩٥ . انظر
معجم الأدباء: ٢١٦/١٨ .

(٣) أي قصيدة المترجم السابقة التي أولها:

يا ليت شعري هل أفوز بمطلبي

والبيت المقصود هو الأخير فيها، انظر الصفحة (٢٠٥).

ومثله قول ابن الساعاتي^(١): [البيسط]
 ولو يملك الملك الأهلة عنده
 إذا مد جيشاً للعدو تلاعبت
 أبو فخرها إلا نعلاً لجزده
 ثعالب أطراف الرماح بأسديه
 وقوله: «أو عديني واكذبي» يقطر منه ماء اللطافة، كقول مهيبار: [السريع]
 يا ما طلي بالدين ما ساءني
 إن كنت تُنجز ثم لا نلتقي
 وللشريف الرضي^(٢): [السريع]
 يُعجبني مظل غريم الهوى
 ومثله حسن كثير، قديماً وحديثاً، كقول الطغرائي: [السريع]
 وتُعجبني المواعِد كاذبات
 ولابن الفارض^(٣)، رضي الله عنه: [الطويل]
 عديني بوضلي وامطلي بنجازه
 فعددي إذا صحَّ الهوى حسن المظل
 لَطول تزدادي إلى الماطل
 لتزدادي إليه على المطال

٧٨ - السيد حسين بن مطهر اليميني

رحمه الله تعالى ،

هذا أيضاً من أشرف العصرين .
 وقد أنشدني له بعض أصحابنا شغراً يفوح منه عَرفُ تِهامة ونَجْد، ويترجم عما فيه
 من المجد .

كقوله، من قصيدة له: [البيسط]
 من أين يخلق وجدك المتجدد
 وقد استفزك بالرحيل مودع
 يا نازلين على العذيب وثهمد
 أخزامة وبشامة وأراكه
 . ويزول عنك حنيئك المتردد
 قالوا الرحيلُ غداً عدمتك يا غد
 بأبي وببي كيف العذيب وثهمد^(٤)
 خضر على ما تعهدون وأعهد

(١) ابن الساعاتي: علي بن محمد بن رستم، بهاء الدين، الدمشقي ثم المصري، المعروف بابن الساعاتي الأديب، توفي بمصر سنة: ٦٠٤، له ديوان شعر في مجلدين، مفاتيح العلوم، ومقطعات النيل. انظر هدية العارفين: ٧٠٤/١ .

(٢) ديوانه: ٧١٢/٢ .

(٣) ديوانه: ١٥٦/٢ .

(٤) العذيب: بينها وبين القادسية حائطان متصلان بنخل. معجم البلدان ٦٢٦/٣، وثهمد: جبل أحمر فارد، من أخيلة الحمة، ويقال: موقع في ديار بني عامر. معجم البلدان: ٩٤٢/١ .

ومنها: [الكامل]

الحجُّ يُقصد كلَّ عامٍ مرَّةً ولك العوالمُ كلَّ حينٍ تقصدُ
وهذا المعنى كثير مسبوق إليه، كقول بعض العصريين: [الخفيف]
كعبةٌ أسست على الفضلِ لكن كلَّ حينٍ لها تحجُّ الوُفودُ
وأصله قول سعيد بن سلام، وقد قال له بعض ندمائه في بستان: ما أحسن هذا
البستان!

فقال له: أنت أحسنُ منه؛ لأنه يُؤتي أكله كلَّ عام، وأنت تُؤتي أكلك كلَّ حين.
وممن قرُب عهده باليمن:

٧٩- عبد الهادي السوداني

صاحب «الديوان» المشهور.

فاضلٌ جمع في أغصان الألفاظ ثمار المعاني، وعارفٌ بالله جناه في كلِّ حين
داني.

شيخُ الطَّريقة، العابرُ من قنطرة المجاز إلى الحقيقة.

جمع من بضائع الأدب ما راق صنعا، وحسدته لرقّة نسجه برود صنعا.
ونسج من مهلهل الأشعار في السلوك، ما كأنَّ قلمه على منوال طرسه مكوك.
وشعره مطبوع، وعلى أكفّ القبول مرفوع.
تلذُّ به الأسماع، وتطرب على السماع.

وأكثره على لسان أهل العرفان، الذي هو للخضرة الإلهية ترجمان.

كقوله: [المديد]

كيف حازوا فيك واعجبا يا منى سمعي ويا نصري
أنت لا تخفي على أحدٍ غير أغشى الفكر والنظر
جيرة عمّت فأني فتى رام عرفاناً ولم يحبر
وقوله من قصيدة: [المديد]

عاذلي في الحب أو خطرة لست من ليلي ولا سمرة
أنا في وإد أظنك ما قلت في الأقياء من شجرة
لا تُطل فيه الملام إلى أن تذوق الخلو من ثمرة

٧٩- عبد الهادي بن محمد السوداني، الصنعاني الصوفي، ولد بعد سنة ٢٧٠، وتوفي سنة ٩٣٢

يا حُلُولَ الشُّغْبِ من إصم
وهذه على مِثْوَالِ قصيدة أبي نُواسٍ، التي مطلعها^(١): [المديد]
أثِقُونِي النُّشْرَ من زَهْرَةٍ
أيها المُنْتَابُ من عُفْرَةٍ
لستَ من ليلي ولا سَمْرَةٍ
كَمُنِ الشُّنْآنُ فيه لنا
ككُمُونِ النَّارِ في شَجْرَةٍ
لا أذودُ الطَّيْرَ عن شَجَرٍ
وهي طويلة في «ديوانه».
قد بَلَوْتُ المُرَّ من ثَمْرَةٍ
وممن قُرْبَ عهدِه أيضا:

٨٠- إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل بن عبد الله بن عبد

الرحمن بن محمد بن يوسف بن عمر بن علي

العلوي الزبيدي الشافعي من ذرية اليماني

شارح «الكشاف».

أغرَّ يَمَانِي، منه تُجْنَى ثمار الأمانِي.

سحابُ فضلِه أوظفُ الأهداب، أخصبتْ به رياضُ المعاني والآداب.

نَقَابٌ مُحَدَّثٌ تنمُ فكارُه على أسرار الغيوب، وربيعُ مَرِيحٍ إذا أنبتَ الربيعُ البَقْلَ
أنبتَ رِيحانَ القلوب.

ولد بزبيد، وبيت شرفه فيها مشيد: [الكامل]

ولدتْ به أمُّ السِّيَادَةِ أُوْحِدًا مُتَضَمَّنًا معنَى العَدِيدِ الأَكْثَرِ

وللدهر فيه عِدَاتٌ لا تُعْرِفُ المَطْلَ، ومُقَدِّمَاتٌ مُرْتَبَةٌ لِنتائجِ الفضلِ.

حتى ظهرتْ له اليَدُ البيضاءُ في الفنونِ العقليةِ والنقليةِ، لاسيما ما أبدعه في «شرح الجامع الصغير» من دقائق العربية.

فكم شفى أفهاماً مراضاً قلوبها، ولا يعرف الأذواء إلا طبيها.

كما قال تلميذه الصُّدْرُ فيه من قصيدة: [السريع]

وإن تكنِ لسنحورٍ أضلاً فلا غرّو فإسماعيلُ أصلُ العربِ

مع شرفِ الحسبِ، وعلوِ شجرةِ النسبِ.

فهو مُكْرَمٌ مُفضَّلٌ، مُعْتَمَ مُخَوَّلٌ^(٢).

(١) ديوانه: ٤٢٧ .

٨٠- لم أعر على ترجمة له.

(٢) المعتم: الكريم الأعمام وكذلك المخول.

والفخار فنون، كما أن الحديث عنه شجون، والأخبار الصادقة على محاسنه عُيون.

وقد رأيتُ من آثاره أبكارَ عرائس، وحوراً مَقْصُوراتٍ في خيام الأفكار أوانس.

لا تَرْتَضِي الثَّرِيًّا عِقْدًا وَالزُّهْرَةَ قُرْطًا، وَلَا تَلْبَسُ المَجْرَةَ رِداءً وَمِرْطًا.

ك «شرح الجامع الصغير»، و«تعريف البيان، في شرح لُقطة العجلان»، للزركشي^(١) في المنطق والأضلين والجدل.

وهو كما قال فيه نسيبه الفاضل عفيف الدين: [البيسط]

يا سائلي جهلاً عن اسماعيل عن
أنصت تجد تغريفه وبيانه
أو لا فعذرُك فيه عُذْرٌ واضحٌ
والشياء قد يخفى لبغد مكانه

ولشعراء عصره فيه مدائح كثيرة، كقول عامر بن هارون الموزعي: [الوافر]

رَأَوْكَ فَضَلَّتْهُمُ أَدباً وَسَمْتاً
ورأموا النقص منك فأكذبتهم
خماهم نجم سعدك أن يحلوا
تصرف يا ابن إبراهيم فيما
وكيف يسومك الحساد خسفاً
وأبرغ من تلقت المعالي
وقد ناديت لما سرت ربي
بأن يكفيك عادية الليالي
وقد أوتيت سُؤلي فيك إذ لم
فدونكها عروساً من صديقي
وخذها غضة من منطقي لا
ربطت بها معالي الشمس قسراً
يوذ البدر لو ترضى به أن

فنالوا منك عدواناً وبهتاً
ظنوتهم وعاد الذم نغماً
محللك أو يحوموا حيث حمتا
حويت من المعارف حيث شئتنا
وأنت أجلهم حظاً وبختاً^(٢)
إليه ومن برى قلماً وأفتى
بما ناده ذو الثون بن متى^(٣)
وتضحبك السلامة حيث كنتنا
تزل فوقاً ومن عاداك تختنا
تمت بضخبة الأباء متنا
بالثغ لا يبين ولا ارتنا^(٤)
وقومت القوافي فيك نختنا
يكون لها أخاً والشمس أختنا

(١) الزركشي: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، بدر الدين المصري الشافعي، ولد سنة: ٧٤٥، وتوفي سنة: ٧٩٤، له من الكتب إعلام الساجد بأحكام المساجد، والبحر المحيط في الأصول، والبرهان في علوم القرآن، ولقطة العجلان وبلّة الظمان، وغيرها كثير. هدية العارفين: ١٧٤/٢.

(٢) البخت: الحظ.

(٣) يعني به: يونس عليه السلام وقوله: ﴿فَكَادَىٰ بِي الظُّلُمَاتُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

(٤) الأرت: الأثغ، ومن كان في لسانه زنة أي: غجمة.

٢٦٠ القسم الثاني / إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل بن عبد الله بن عبد الرحمن . . .

وقد حاز قدراً عالياً ووجاهة، ونشر من الفضل ما أيد الله به عزه وجاهه .
مع زهد ليس طرفه لزخرف الدنيا براني، ولا بدع فالحكمة يمانية والإيمان يماني .
روح الله روحه، وزاد من نعيم الجنان فتوحه .

آخر الجزء الأول، ويليه الجزء الثاني، وأوله :

القسم الثالث

في مصر وأحوالها، وسبب العود لرسومها وأطلالها

فهرس محتويات الجزء الأول

فائدة مهمة ٩٥	ترجمة المصنف ٣
١٩- محمد بن الرُّومِي، المعروف	المقدمة ٥
بمَامَاي ابن أخت الخَيْثَالِي ٩٧	القِسْم الأول ١٢
٢٠- زَيْن الدين الإسْعَاقِي ١٠٠	١- أحمد العِنَايَاتِي ١٢
٢١- أبو بكر الجَوْهَرِي الشَّامِي ١٠١	تممة ١٣
٢٢- شمس الدين محمد بن إبراهيم	٢- محمد الصَّالِحِي الهَلَالِي ١٩
الْحَلَبِي، المعروف بابن الْحَبَلِي ١٠٢	سانحة ٢٢
٢٣- أبو الفتح بن عبد السلام المَالِكِي	فصل ٢٦
المَغْرِبِي ١٠٤	٣- حسن بن محمد البُورِينِي ٢٩
تكملة ١٠٩	٤- أبو المعالي فَرْوِش محمد الطَّالُوبِي ... ٣٦
٢٤- علاء الدين بن مَلِيك الْحَمَوِي ١١٣	٥- محمد بن قاسم الْحَلَبِي ٥٢
٢٥- القاضي مُجَبُّ الدين بن تَقِي الدين	فصل ٥٦
الْحَمَوِي ١١٦	فائدة ٥٩
٢٦- شهاب الدين الكَنْعَانِي الشَّامِي ١١٧	فصل ٥٩
٢٧- معروف الشَّامِي ١١٧	٦- الأمير أبو بكر الْحَلَبِي ٦٣
٢٨- نجم الدين بن معروف ١١٩	٧و٨- إبراهيم، ومحمد ابنا أحمد
٢٩- محمد بن محمد الحكيم المعروف	الْحَلَبِي، المعروف بالْمَلَأ ٦٤
بابن المَشْتُوق ١٢٠	٩- يوسف بن هِرْمَان الْحَلَبِي ٦٧
٣٠- فتح الله بن بدر الدين محمود	١٠- سُورر بن سنين الْحَلَبِي ٧١
البَيْلُونِي الْحَلَبِي ١٢٠	١١- حُسَيْن بن أحمد الجَزْرِي الْحَلَبِي ٧٢
٣١- القاضي ظهير الدين الْحَلَبِي ١٢١	١٢- أبو بكر تَقِي الدين التاجر،
٣٢- بهاء الدين محمد بن الحسين	المعروف بابن الجَوْهَرِي ٨٠
القَامِلِي الْحَارِثِي ١٢٢	١٣- شمس الدين محمد، المعروف بابن
٣٣- خَضِر المَوْصِلِي ١٢٦	الْمِنْقَار ٨١
فصل ١٢٧	١٤- ابنه عبد اللطيف ٨٢
٣٤- المولى عبد الرحمن بن حماد الدين	١٥- شيخ الإسلام حماد الدين الْحَنْفِي
الشَّامِي الْحَنْفِي ١٣٠	الشَّامِي ٨٣
٣٥- أحمد بن شاهين الشَّامِي ١٣٣	١٦- بدر الدين بن رَضِي الدين الْغَزْزِي،
٣٦- الأمير منجك ابن الأمير محمد بن	الغَامِرِي، الشَّامِي ٨٦
منجك ١٣٥	١٧- أبو الصَّفَاء مصطفى بن الْعَبَّاسِي
٣٧- الفاضل أبو الطَّيِّب بن رَضِي الدين	الْحَلَبِي ٩٠
الْغَزْزِي، ١٥٠	١٨- تَقِي الدين بن معروف ٩٣

- ٢١٧..... ٥٥- أبو نَمِي بن بَرَكَات
- ٢١٨..... ٥٦- شهاب الدين أحمد الفَيومِي
- ٢١٩..... ٥٧- السيد حسن بن أبي نَمِي
- ٢٢٢..... ٥٨- أخوه السيد الأجل ثَقَبَة
- ٢٢٢..... ٥٩- حسين
- ٢٢٣..... ٦٠- مسعود
- ٢٢٤..... ٦١- أبو طالب
- ٢٢٤..... ٦٢- قطب الدين المَكِّي النُّهروانِي أصلاً
ومَحْتَدًا
- ٢٣٠..... ٦٣- جمال الدين بن صدر الدين بن
عصام الدين
- ٢٣٦..... ٦٤- أخوه علي العِصامي
- ٢٣٩..... ٦٥- أحمد المدني، المعروف باليَتِيم،
مصفراً
- ٢٤١..... ٦٦- سراج الدين بن عمر الأشهل المدني
- ٢٤٢..... ٦٧، ٦٨- عبد الرحمن، وعلي ابنا كثير
المَكِّيَّان
- ٢٤٣..... ٦٩- محمد بن أبي الخَيْر ابن العلامة ابن
حَجَر الهَيْتَمِي المَكِّي منشأ وموطنا
- ٢٤٥..... ٧٠- العلامة شهاب الدين أحمد بن حَجَر
الهَيْتَمِي
- ٢٤٥..... ٧١- علاء الدين بن عبد الباقي
- ٢٤٦..... ٧٢- القاضي حسين المالِكِي المَكِّي
- ٢٤٦..... ٧٣- شيخنا العلامة علي بن جَار الله
المَكِّي، الحنَفِي، الخطيب، مفتي
الحرمين الشَّرِيفِين
- ٢٤٧..... ٧٤- علي الكيزواني المغربي
- ٢٤٨..... ٧٥- معين الدين بن البكاء
- ٢٤٩..... ٧٦- العلامة عبد الرحمن الخِيَارِي
- ٢٥٠..... ٧٧- عبد الله بن شمس الدين بن مُطَهَّر
اليَمَنِي
- ٢٥٢..... لطيفة
- ٢٥٥..... ٧٨- السيد حسين بن مُطَهَّر اليَمَنِي
- ٢٥٦..... ٧٩- عبد الهادي السوداني
- ٢٥٧..... ٨٠- إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل
ابن عبد الله بن عبد الرحمن

- ٣٨- عبد الحق الشَّامِي، المعروف
بالحِجَازِي
- ١٥٢..... ٣٩- أبو الوفاء بن عمر بن عبد الوهَّاب
الشَّافِعِي العُرْضِي الحَلَبِي
- ١٥٦..... ٤٠- أخوه محمد بن عمر العُرْضِي
- ١٥٨..... ٤١- عمر بن عبد الوهَّاب العُرْضِي
- ١٦١..... ٤٢- صلاح الدين الكُورَانِي الحَلَبِي
- ١٦٢..... ٤٣- السيد أحمد بن الثَّقِيب الحَلَبِي
- ١٦٣..... القسم الثاني
- ١٦٥..... ٤٤- مولاي أحمد أبو العباس المنصور
بالله
- ١٦٥..... فصل
- ١٧١..... ٤٥- أبو بكر بن إسماعيل بن شهاب
الدين
- ١٧١..... ٤٦- محمد الفِشْتَالِي
- ١٧٦..... فصل
- ١٨٢..... تِمَّة
- ١٨٥..... فصل
- ١٨٩..... ٤٧- محمد بن إبراهيم الفَاسِي
- ١٩٠..... فصل
- ٢٠٢..... ٤٨- الوزير عبد العزيز الثَّعالِي الأديب
- ٢٠١..... ٤٩- العلامة محمد ذكروك المَغْرِبِي
- ٢٠٥..... تِمَّة وفائدة مهمَّة
- ٢٠٧..... خاتمة
- ٢٠٨..... ٥٠- حسام الدين بن أبي القاسم الدُّرُهِي
المَغْرِبِي
- ٢٠٨..... ٥١- عبد العزيز الفِشْتَالِي
- ٢٠٩..... ٥٢- عبد السلام بن سَنُوس المَغْرِبِي
- ٢٠٩..... ٥٣- السيد عبد الخالق الفَاسِي
- ٢١٠..... ٥٤- السيد يحيى القُرْطُبِي
- ٢١١..... فصل
- ٢١٣..... ذكر مكة المشرفة ومن بحماها، صانها
الله وحماها وزادها تشريفاً وتكريماً
وتعظيماً
- ٢١٥..... ذكر الدولة الحسنيَّة ومن بها من بَقِيَّة
العلماء والشعراء والأعيان
- ٢١٧.....

RAYḤĀNATUL-ALIPĀ WA ZAH RATUL-ḤAYATID-DUNYA

(Authors, Writers, and Poets' biographies)

by

Šahābud-Dīn Aḥmad Ben Muḥammad Al-Ḥafāji

Edited by

Aḥmad ^cInāyah

volume I

DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
Beirut-Lebanon

يُحْيِي الْأَمْواتَ وَزَهْرَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد بن عبد الرحمن الخفاجي

المتوفى ١٠٦٩ هـ

وضع حواشيه وفهارسه

أحمد عناية

الجزء الثاني

منشورات مكتبة رجاوي بيروت

دار الكتب العلمية
بيروت
لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القسم الثالث

في مصر واحوالها، وسبب القود لرشومها واطلالها

لما كانت مصر القاهرة، ربوعها بالفضلاء والأدباء عامرة، وهي عشي الذي منه
درجت، ووكرى الذي به ريشت، ومن بيضة بلدته خرجت. [الطويل]
بلاذ بها نيطت عليّ تمائمي وأول أرض مسّ جلدي ثرابها
رأيتُ أهنأ العيش ما كان في الوطن، والنعيم المقيم إنما يكون في الأهل
والسكن.

إلا أنها أبدت العقوق من حين عقت التميمية، وأذاقتني الأذى وجرعتني الدّم في
المشيمة.

وأخرجتني من مضيق لمضيق، وشدت في المهدي قيدي الوثيق.
وما كشفت عن وجهي القناع، حتى فطمنتني قبل الرضاع. [الطويل]
لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والأفما يبكيه منها وإنها لأوسع مما كان فيه وأزعد
إذا أبصر الدنيا استهل كأنه بما سوف يلقي من أذاها يهدد
فنفرت من ظلي، وأسأت الظن بسميري فكري وعقلي، وعادتني نفسي فما ظنك
بأهلي.

وأعدى عدوك بين جنيتك، فما لك بغيرك إن كان لك أو عليك. [السريع]
قلبي إلى ما ضرني داعي يكثر أسقامي وأوجاعي
كيف اختراسي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي
فقلت أهل بأهل ودار بدار، والعمر فرصة فالبدار البدار.
فالدهر عقب والعجز نصب.

وكل ما تنواه حسن، وليس لما قرّت به العين ثمن.
ومن كان من تراب فالناس كلهم أقاربه، وما خاب حرّ رفيقه الرجا والعزم
نجاثه.

وما أحسن الثبّت إن ساعدت الأقدار، وما أجمل الصّبر لو صبرت الأعمار.
 وما قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيَاتِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠] إلا
 إرشاداً لك للرحيل، وأن كلّ دارٍ سقّفها السماء ظلّها ظليل. [الطويل]
 وكم نبت الأوطان يوماً بأهلها فأورثهم عزّ الحياة التّغرّب
 وهذا رسولُ الله فارق مَكَّةَ على جفوةٍ لم ترّضها فيه يثربُ
 ففي كلّ قوم أوْسٌ وخزرج، ومن العمود إلى العمود فرج.
 وكليّم الله أنسَ ناراً ذهب ليأتي منها بقبس، فكلمه الله جلّ جلاله حتى اقتبس
 من نور النبوة ما اقتبس.

ولمّا ارتحلتُ حمّدتُ السرى، ونبّهت عيونَ حظي من سنّة الكرى.
 تركتُ بها من ساداتنا العلماء، والأدباء والرؤساء، عصابةً وأيّ عصابة. [م. الكامل]
 أهل السّماحة والرجا حة والأصالة والإصابة
 كرامٌ إذا أخلفت الأنواء خلفوا سحابةً، وإذا استعبد الكرم الأحرار ملكوا رقابه.
 ففارقتُ من فارقت غير مذمّم، ويَمَمْتُ من يَمَمْتُ غير ميمّم.
 وهكذا الدهرُ موع بالبين، فكأنه خاف اللّحن فلا يجمع بين ساكتين. [المتقارب]
 وممّا أعان عليّ الزّمان عفا يدي وعلو الهِمَم
 فإني من العربِ الأكرمين وفي أول الدهر ضاع الكرم
 فممن كان بها في ذلك الزمان، ثم دخل بعد ذلك في خبرٍ كان:

٨١- محمد بن يس المنوفي

فاضل أديب، وصديق لي صادق الودّ نجيب.
 علم أعلامه نفثات السّخر، وعمّمها بغالية مدادٍ أرخصت مسك السّخر.

٨١- محمد بن يس المنوفي الشافعي العالم الفاضل البارع الكامل، ولد بمصر وبها نشأ واشتغل بالعلوم اشتغالاً تاماً، وأخذ عن جمع منهم أبو بكر الشنواني ومحمد الميموني، ومحمد الخفاجي، وأحمد السهوري وغيرهم وأجازوه. وتعاطى النظم فبلغ فيه الغاية القصوى وارتقى إلى أن زاحم بمنأكبه أكابر الشعراء. ورحل إلى الديار الرومية وتمذهب بمذهب الإمام أبي حنيفة، ومدح من بها من الموالى العظام. وتولى بنواحي مصر المناصب العديدة، ثم ترك القضاء وعكف على عبادة الله تعالى واعتزل عن الناس إلا أفراداً منهم، وترك النظم إلا ما كان استغناء ومدحاً في النبي ﷺ. وكانت وفاته بمصر سنة اثنتين وأربعين وألف، ودفن بالقرافة الكبرى جوار السادة الوفاية. خلاصة الأثر (٤/٢٦٦).

فما مِنْكَ تُبَّتْ، عند نَفْحَةِ رِيَاضٍ لِه لِرِيَاحِينَ الْعُقُولِ تُنْبِتُ.
فَكَمْ حَلَّ عُرَى النُّومِ عَنِ مُقْلَتِهِ، فَاقْتَنَصَ أَوَابِدَ الْمَعَالِي بِنَازِ هِمَّتِهِ.
وَاجْتَنَى ثَمَرَاتِ الْمَعَارِفِ مِنْ جِنَانِ أَمَلِهِ، وَغُضِنُ شَبَابِهِ مُعْتَدِلٌ لَمْ تَطْمَعِ الْحَادِثَاتُ
فِي مَيْلِهِ. [الخفيف]
مَأْمَنُ الظَّرْفِ عِنْدَهُ الدَّهْرُ ثَاوٍ كَمَنْ الظَّرْفِ عِنْدَهُ ابْنُ سَبِيلٍ
وَكَانَتْ لَنَا مَعَهُ أَوْيَاقَاتُ، هِيَ فِي صَحَائِفِ الْعَمْرِ حَسَنَاتُ، وَخَمَائِلُ الشَّبَابِ دَانِيَةٌ
الْقَطَافِ زَاهِيَةِ الزَّهْرَاتِ.

فِي عُنُقُونَ عُمَرِي، وَإِقْبَالِ طَلِيْعَةِ أَمْرِي.
وَمَاءِ الْحَيَاةِ مُغْدِقُ، وَغُضْنِ الشَّبِيْبَةِ مُورِقُ.
مُتَفِيئًا فِي هَاجِرَةِ التَّحْصِيلِ أَفْيَاءَ الصَّبَا، نَازِلًا حَيْثُ لَا عَلِيلُ إِلَّا عِيُونَُ الْغَيْدِ وَنَسِيْمُ
الصَّبَا.

وَلَا بَاكِيٍّ غَيْرُ ظَرْفِ التَّرْجِسِ بَدْمَعِ النَّدَى، وَلَا سَاهِرٍ إِلَّا عِيُونَُ النُّجُومِ الَّتِي هِيَ
لِلسَّارِينِ هُدَى.

وَالدَّهْرُ طَلَّقَ طَيْبَ الْأَخْلَاقِ، وَسُوقَ الْفَضَائِلِ لَا يَنْفِقُ فِيهِ النِّفَاقُ.
لَا كَهَذَا الزَّمَانِ الَّذِي كَسَدَ فِيهِ الْأَدَبُ وَبَارَ، حَتَّى قِيلَ فِيهِ نَفَقُ الْحِمَارِ، وَبَارَتْ
الْأَشْعَارُ.

فَمَمَا جَادَ بِهِ طَبْعُهُ الْمَرِيْعُ، وَزَهَا بِهِ فَكَّرٌ لَهُ فِي كُلِّ زَمَانٍ رَبِيْعُ، قَوْلُهُ مِنْ قَصِيْدَةِ
يَرْثِي بِهَا الْوَالِدَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: [الكامل]

وَتَدِيمِ رَضْفِ الْمَجْدِ وَهُوَ رَصِيْبُ
كُلِّ الْمَصَائِبِ بَعْدَ ذَلِكَ تَهْوُنُ
وَإِذَا وَعَدْتَ بِمَا يَسْرُ تَمِيْنُ
وَمِنْهَا:

لَوْ كَانَ يُجَدِّي التَّوْخُ مِيْتًا قَبْلَهُ
يَا وَاعْظًا بِسُكُونِهِ حَزْنُكُنَا
وَمِنْهَا:

وَعِدَا ضَجِيْعِ الرَّمْسِ إِلَّا أَنَّهُ
حَفَّتْكَ رَحْمَةٌ ذِي الْجَلَالِ وَعَفْوُهُ
وَسَرَتْ مَحَاسِنُ مَا صَنَعْتَ حَوَامِلًا
فِي قَلْبِ كُلِّ مُوَحَّدٍ مَذْفُونُ
وَسَقَى ثَرَى جَدِيْحِ حَوَاكِ هَشْوُنُ (١)
حُسْنِ الثَّنَاءِ يَحْتَشُّهَا الشَّامِيْنُ

(١) الهتون: هتنت السماء تهتن، هتناً، وهتوناً وهتناً وتهانت العبيات، أو هتت وهتنت، أو
الضعيف الدائم. القاموس المحيط، مادة /هتن/.

ومما أنشدنيه قوله من قصيدة أخرى: [المنسرح]

تائهة بالدلال يثنيها
قَرَحَ فيضُ الدُموعِ مُقْلَتَه
وَمَنْ نَمَتْ فِي سوادِ مُهَجَّتِه
يُبَعْدُهَا الصَّدُّ وَالهُوى مِحْنُ
هل بَارِقُ ما أرى أم ابْتَسَمَتْ
عن فَتْكِها قَدُّها يُحَذِّرُها
إن سَفَرَتْ فالهِلالُ طَلَعْتُها
أو نَظَرَتْ فالظباءُ في حَجَلِ
أشْخَطَتْ فِي حُبِّها وَقَلَّ لها
لو سَمَحَتْ بالكِرى لأرْقِنِي
أو بَعَثَتْ طَيْفَها لَعَرَّفَها
شُقَّةُ بَيْنِ لَهْجِرِنا نُشِرَتْ
جَرَّعَنِي الدَهرُ بَعْدَها غُصَصاً
يا بائِعاً نَفْسَه بلا ثَمَنِ
ما بالُ هذا الزمانِ يُثْجِفُنِي
طلائعَ لِلْمَشِيبِ ضاحِكَةٍ
ومنها:

خُذْ رَوْضَةَ فيكَ طابَ مَغْرِسُها
فِي لَهَوَاتِ الرِّوَاةِ أَنْبَتُها
ومن أهاجيه: [البيسط]

مُنْشَبِلِينَ على لُبْسِ الوَقارِ لِحِي
يَشْكُ ناظِرُهُمْ فيهِم إذا رَكِبُوا
وله أيضاً: [الطويل]

وَمَنْ تَمَسَّحَ الأيَّامُ رَأْسَ شَبابِهِ
وَمَنْ يَزَعُ سَمْعاً لِلنَّصِيحَةِ مَن عَدَا
وله أيضاً: [الخفيف]

ساوَمَثْنِي الهمومُ والحزنُ مَمَّنْ
كُنْتُ أبْكي بَعْدَ الدِّيارِ اشْتِياقاً
أَيُّ قَلْبٍ يَقْوَى على فَقْدِ إلـ
منها ثمارُ المديحِ تَجْنِيها
ذِكْرُ عَلاكِ الَّذِي يُروِيها
يَشْكُو ظَلامَتَها صَدْرُ وأكْتافُ
حتى كأنَّ وُجوةَ الخيلِ أزدافُ
براحةً بَلَّواها يَشِبُّ قبلَ مَسْجِها
يجدُ ما تَحامى في أَسْرَةٍ نُضِجَها
كان يَزَعِي على البِعادِ جِواري
فَدَهاني بُكاءِ قُرْبِ الدِّيارِ
فَينِ رَهِينِ الثَّرَى ونائِي الدَّارِ

وله أيضاً: [الكامل]

ما حال من رمّت التوى بعد الجوى
ففؤاده في أرض مصر وجسمه
وله أيضاً: [المتقارب]

صحبّت الليالي فأفنيثها
وخضت البحار وما خفتها
وفصلتها ثم نظمتها

وله من قصيدة: [الخفيف]

ما لعصر الشباب رثت برودة
ولم ياده وما طال عهد
وسواد العذار عاد مريضاً
ما لجب يحنو عليه ولكن
وله أيضاً: [الوافر]

ومن تخطئه نيران القوافي
وأبلغ من مذاق الموت يأس
وله أيضاً: [م. الوافر]

قضيّب للربا وافي
وعين النور شاخصة
وله في رأس على رمح: [الخفيف]

هامة في الحياة طاولت الشهر
أنفت بعد موتها الترت فاختا

وهذا كقول البخري في غريق: [الوافر]

ولما لم يسغه البر قبراً

ومن بدائه الأستاذ البكري البديعة، أنه التمس منه بعض الأدباء شفاعته لبعض الوزراء، فأخذ القلم ليكتب له ما أراد، فسقط القلم من يده، فقال بديهة: [الوافر]
ولما ضاق عنه الطرس ووضفاً جعلت له بسيط الأرض طرساً
وأصل هذا كله قول ابن الأثيري في مرثية الوزير ابن بقية، لما صلب، وهي مشهورة: [الوافر]

يضم غلاك من بعد الممات
عن الأكفان ثوب السافيات

ولما ضاق بطن الأرض عن أن
أنابوا الجو قبرك واشتنبأوا

ومما أنشدني بعضهم للمُنوفِيّ: [م. الكامل]
 حَلَفَ الْمُتَيِّمُ أَنْ يَوَدَّهَ بَلَغَ الْمُنَى أَوْ نَالَ صَدَّهَ
 عَكَفَتْ عَلَيْهِ الْعَاذِلَا تُ يَلْمُنُهُ وَيُرْدَنَ رَدَّهَ
 وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُنَّ بَعَذَلِهِنَّ يَزْدَنَ وَجَدَّهَ
 سَلَبَ الْفِؤَادَ وَلَيْسَ مِنْ شَرَطِ الْمَلَا حَةَ أَنْ يَرُدَّهَ
 وهذا الشعر ليس له، وإنما هو لشاعر مكِّي عَضْرِيّ، إلا أن اسمه نسجت عليه
 العناكب، وهبَّت على رَسْمِهِ الصَّبَا وَالْجَنَائِبَ.

٨٢- عبد الوهاب المحلي الحنفي

شابَّ غَضُّ الشَّبَابِ، كان لي من أَجَلِّ الأَصْدِقَاءِ والأَحْبَابِ، لَمَّا قَدِمَ لِمِصْرَ فِي
 طَلَبِ الْعِلْمِ مُرْتَدِيًّا رَدَاءَ الْإِغْتِرَابِ.

وكان في عُنُقُوَانِ شَبِيْبَةِ الأَمَلِ بِالمَحَلَّةِ، إِذَا رَجَا مِنَ الدَّهْرِ أَمَلًا رآه أَهْلُهُ وَمَجَلَّهُ.
 وَقَدْ نُسِجَتْ بِيَدِ المَحَاسِنِ شَمْلَةٌ شَمَائِلُهُ، وَبُهْتَتْ عِيُونُ الأَزْهَارِ لِرَبِيعِ خَمَائِلِهِ.
 وَقَدْ غَرَّدَتْ فِي رِياضِ المَحَامِدِ بِلَابِلُهُ، وَسَيْفٌ طَبِيعُهُ المَشْحُودُ قَدْ عُلِقَتْ فِي عَاتِقِ
 المَجْدِ حَمَائِلُهُ.

وفصاحتُهُ تَفْعَلُ ما لا يَفْعَلُهُ المُسْكِرَانُ: سُكِرَ الشَّبَابِ، وَسُكِرَ الشَّرَابِ، وَتَخَلَّبَ
 بِما لا يُؤَثِّرُهُ السُّحْرَانُ: سَحِرُ النَّفْثَاتِ، وَسَحِرُ الكَلِمَاتِ العِذابِ. [الخفيف]
 هُوَ شَرَطُ النَّبِيِّ إِذْ قالَ حَقًّا اطلُبُوا الخَيْرَ مِنَ جِسانِ الوُجُوهِ
 وَتَباشِيرُ صُبْحِ نِجَابَتِهِ بِاسْمَةِ الثَّنَايا، تَقولُ إنْ فِي الرِّجالِ بَقايا.
 وَظَلُّ مَجْدِهِ سَجَسَجَ، وَرَوْضُ فَضْلِهِ مُدْبِجَ.

وَجودُهُ سَحَابَةٌ وَطَفَاءُ سَقَّتْ ظَمآنَ القِفارِ، وَأيقِظْ رِشاشُها أَحْداقَ الثُّوارِ.
 بِطَلْعَةِ إِذا لَاحَ سَناها، فَالعيونُ مِنْ بَعْضِ أَسْراها.
 تَفْديهِ إِذا تَقاطَرَ مِنْهُ ماءُ الظَّرْفِ والنَّدَى، وَتَقولُ لَهُ إِما مَنَّا بَعْدُ وَإِما فِدا.
 وَقَدْ جَرى بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي مِضْمارِ الصُّخْبَةِ، بِدُهمِ اللَّياليِ وَالأيامِ طِرادُ خيلِ اللَهِوِ
 فِي حَلْبَةِ المَحَبَّةِ.

فحازَ قَصَبَ السَّبْقِ مِنَ الأَقلامِ حَيْثُ النِّسِيمِ عَليْلِ، وَالوَقْتِ سَحَرَ وَأَصِيلِ.
 حَتى قَطَفَتْ يَدُ الأَجَلِ نُوارَهُ، وَأَطْفأتْ رِياحُ المَنِيَّةِ أُنوارَهُ.
 فبينما بَدِيهَتُهُ تُرْشِفُ الأَسْماعَ عَلى ظَمًا زُلالًا، فَجاءَ الأَجَلُ فَخَلَّنا موْتَهُ كانَ
 ارْتِجالًا.

فمما أملاه، وطرز بُزده ووشاه، قوله من قصيدة أهداها لي: [الطويل]
 أَغْرَبَ بَدَا يَفْتَرِ أَمْ شَنَّبُ الزُّهْرِ
 أم القُضْبُ فِي خَضِرِ البُرُودِ رَوَاقِصُ
 فَأَرْخِينِ مِنْ تَلِكِ الكِمَامِ مُعْضَفَرَا
 وَدَبَّجَ وَشِي الرُّوضِ مِنْهَا مَطَارِفَا
 وَوَلَّى هَزِيمُ اللَّيْلِ مُدَّ سَلَّ صَارِمَا
 وَبَاتَ يُعَاطِينِي الغَزَالُ مُشْنَفَا
 رَجِيمٌ مِنَ الأَثْرَاكِ هِنْدِي لَحِظَه
 إِذَا رُمْتُ ضَمَامًا مِنْهُ يَنْصِبُ عَامِلَا
 وَيَبْعَثُ خَلْفَا مِنْهُ شَعْرَا مُنْشَرَا
 وَتَحْسَدُ رَبَّاتُ الشُّنُوفِ وَشَاخَه
 يُرَاضِعُنِي ثَدِي اللَّمَى مِنْ مُدَامَه
 نَعْمَنَا بِهَا كَاسَا إِذَا مَا تَشْغَشَعَتْ
 كَأَنَّ نِشَارَ الدُّرِّ فَوْقَ كُوُوسِهَا

وكان ذهب في يوم نام فيه الجذثان، وغفل عن صفوه رقيب الزمان.
 إلى روضة طرزها الربيع ووشاها، وصحيفة نقطها القطر لما رأى النبات حشاها.
 والطيرو يبيدي في قراءة أوراقها ولوعه، وقد أوقد لها الزئبق في حافاتها شموعه.
 وهي شاكرة للديم، محدثة بلسان التسيم عما لها من النعم.

ومطرف الجو ممسك معتبر، والماء فضي القميص وطيلسان الروض أخضر.
 وقد غنت بلايلها، وشفقت طرباً جداولها.

وتضرجت خدود أزهارها الجنية، وتلقفت أرداف ذوائبها بملاءتها السندسية.
 وتعذرت أنهارها بعوارض الریحان، يكاد السحر يعبدها إذا تحير في وصفها
 البيان.

فكتب لي يدعوني إلى التمتع بعبير شميمها، وأن نعود على فرش الرُّيا عنيد
 نسيمها. فقال: [الرجز]

مولاي إن الروض من وشي الشخب
 مُعْتَبِرَا مُمَسِّكَ الأَذْيَالِ
 مُفْوَفَا أذَانَه بِالدُّرِّ
 قَدْ صَافَحَتْ أَزْهَارَه الغَمَامِ
 وَفَرَّكَ الرِّيحُ عَلَيَّ مَشْنِ الثَّهْرِ
 يَخْتَالُ فِي زَهْوِ الخَلَا عَلَيَّ الكُثْبُ
 مُعْطَّرُ الأَزْدَانِ بِالأَوْصَالِ
 مُدَبَّجَا أَكْمَامَه بِالزَّهْرِ
 فَصَاحَكْتَهَا بِالرُّيَا الكَمَانِ
 جَيُوبَه وَفَكَ أَرْزَارَ الزَّهْرِ

وأظهرت حُلا الرُّبا الأمطارُ
وقام يعلو منبَر الأشجارِ
مُنَمَّقَ الدُّيباجِ قد تتَّوجَّجا
مُطرزاً أكمَامَه بالعسجدِ
يدعوك شوقاً مُغرباً بشَجْوِه
وانفِ الهمومَ والغمومَ والتَّرخِ
فهاك أوقات السُّرورِ قد دنث
ودغ مَقال كلِّ واشٍ يغذِلُ
ودمُّ ثكاتبِ برقيقِ الفِكْرِ
قد قيَّدته غُربة الأوطانِ
لا زال مولانا الشُّهابُ الثَّاقِبُ
ما دبَّجت بوشبيها الأقلامُ

ولما فارقت لوطنه، كتب إليّ يشتكي أمراً نزل به، فأجبتُه بقولي:

مولاي يشتكي من الدهرِ وهو أبو العبرِ، وفي المثل من سابق الدهرِ عشر.

فانتظر عُقبَ الزمانِ عليك، وكلِّ إلى الله أمرَ من أساء إليك.

فإن الدهرَ دُول، ولله جنودٌ منها العَسَل.

وكم أغنتِ الوحوشُ، عن صدمات الجيوش.

وما سُميت الحالُ بالحال، إلا لسُرعة التحوُّلِ والانتقالِ، فأيامُه يومٌ بيومٍ وحرُّه

سبجال.

فما عبس مساءً بوجهٍ أفاقه، إلا وبعده صباحٌ يضحك عليه فمٌ شرِّقه.

فأوقد مصباحَ فكرِك إن أظلم الدُّجى، واصبر فإنَّ الصبرَ يفوح منه أريجُ الرِّجا.

وإن جفَّت قُرَيْشٌ فليله أنصار، وإن نبت بك دارٌ فليله ديار.

وإذا كان انتظارُ الفرجِ عبادة، فأوقات الضيقِ كلُّها سعادة.

وقربُ الأشرارِ، أعظمُ مصائبِ الأحرارِ.

ولله دَرُّ القائل: [الطويل]

مرضتُ من الحمقى فلم أدركِ المنى

فإن لم تجدِ الشفاء، فالزَمِ الاختماء. كما قيل: [الطويل]

أرى مرضَ الحمقى بعدواه مُهلكاً

بشئتُ ولم أنظرَ حكيماً فلا شفا

جزى الله عني اليأسَ خيرَ جزائه

تمنيتُ أن أشفى برؤية عاقلٍ

فمن لي بذي لبِّ به يشتفي ياسي

سوى جَميَّتي بالبُعْدِ عن سائرِ النَّاسِ

فإني لم أظفرَ بأعقلٍ من ياسي

(١) الخرود: البكر التي لم تمس، القاموس المحيط، مادة /خرد/.

وقد قلتُ في الفصول القصار:
في التَّركِ غِنَى بلا مَنِّ؛ والحِمِيَّةُ دواءٌ بلا ثَمَنٍ.
والسلام.

٨٣- عبد المنعم المحلي الطريني

أديبٌ اجتمع بي، وأنشدني ما تهزُّ له الفصاحةُ أعطافها، من كلماتٍ إذا انتسبنَ
عَدَدَنَ الدَّرُّ أصدافها.
من كلِّ عِقْدٍ تَبَسَّمُ العقودُ لمحاكاةِ انتظامِهِ، وتَحْيَى النفوسُ بماءِ الحياةِ الذي في
مِدَادِ أقلامِهِ.

والدَّرُّ مُجْتَلِبٌ مِنَ الظُّلُمَاتِ، ولطيفٌ شِيمٌ ليس للرياضِ أخلاقٌ كما لَهُ، ولا
للبدْرِ ولو تكلفَ أن يَحْكِي كمالَهُ.

وقد درَسَ آياتِ الفضلِ وتلاها، واقتنصَ شوارِدَ الآدابِ وما تلاهَى.
والشبابُ لَفَّ شَمْلَهُ بِشَمْلِهِ، ومُرَادُهُ وَسَعْدُهُ أطوعُ من ظِلِّهِ.

حتى اقتنصَهُ في ليلِ شبابهِ صَيَّادُ المنيَّةِ، وضربَ سوراً بينَهُ وبينِ الأُمْنِيَّةِ.

فمن نَفَثَاتِ أسْحَارِهِ، ونَسَمَاتِ أسْحَارِهِ، قوله من قصيدة أنشدنيها: [الطويل]

أمولِي به روضُ الفضائلِ مُزهِرُ
لك اللُّهُ من مولِي به يفخرُ العُلا
بِشاطئِ بحرِ الطُّرسِ منك جواهرُ
وهتَانِ سُحِبِ الفكرِ هل أنت مُنبتُ
رفعتُ إليك الحالَ يا خيرَ سيِّدِ
نظمتُ فخلنَاهُ الدَّراري تَنْظُمَتِ
عَلِقتُ بظنِّي بابلي السُّخْرِ لَحْظُهُ
لئن لاحَ يوماً وجهُهُ مُتَهَلِّلاً
إذا ماسَ قال الغُضُنُ ما أنا قَدُهُ
ويُزري لَعَمري بالغزاةِ في الضُّحَى
تجمَعُ كلُّ الحُسْنِ طُراً بوجهِهِ
وإن لَصُرَ لحِظي رامَ يشرقُ نظرةُ
عَلِقتُ به لا عن مُرادٍ وإنما
سُحرتُ بلحِظِ بابلي ولم أكن
تعدتُ مواضي مُقلتيهِ بمُهَجَّتِي
تنازعَ فيه عاملاً البينِ والقلي

ويانعُ أغصانِ المآثرِ مُثْمِرُ
وتشرقُ شمسُ الفضلِ منه وتظهرُ
ولا عَجَبٌ من ذا ففكرُك أبْحُرُ
به أيُّ معنَى من مَباييه يَسْتُرُ
وإن كانَ رَفَعُ الحالِ لا يُتصَوَّرُ
نَشَرَتِ فقلنا النُّجْمُ في الأفقِ يُنْشُرُ
فأجفانُهُ كالبيضِ والقَدُّ أَسْمُرُ
لَهْلَلُ كلِّ الناسِ من ذا وكَبُرُوا
ويُكسِفُ بدرُ الثَّمِ إذ هو يُسْفِرُ
إذا ما رنا شُزراً فلا لاحَ جُوذُرُ
ألم ترَ نَقَطَ الخالِ خثماً يُخْبِرُ
ففي جنباتِ الخدِّ تبدو وتظهرُ
محاسنُهُ نادَتْ فلبئسَ أغشُرُ
أظنُّ من الأَلحاظِ أني أسْحَرُ
بعامِلٍ قد كسَرَهُ ليس يُخْبِرُ
فأمسى وكلُّ في الضميرِ مُوشِرُ

إذا قلتِ صِلْنِي راحاً بالهجرِ جازماً
أَلَيْنُ لَهُ عِظْفِي فَيَزْدَادُ قَسْوَةً
بذلتُ له رُوحِي ابتِغَاءَ وِصَالِهِ
فهل تَعْلَمُنْ وُقُوتَ كُلِّ كَرِيهَةٍ
فلا بِرِحْتِ هَامِ الْعُلَا لَكَ مَوْطِناً
مدى الدهرِ ما حَنَّ الْمَشُوقُ لِأَهْلِهِ
وقوله: «رفعت إليك الحال» فيه إغرابٌ مَسْبُوقٌ إليه، كقول الصَّفِيِّ الحَلِيِّ:

[البسيط]

رفعتُ حَالِي وَرَفَعُ الْحَالِ مُمْتِنَعٌ
وأحسن منه قولي:

إليكمُ وهو للتمييزِ مُخْتِمَلٌ
بها وهو الغنيُّ عن السؤالِ
وأشكو الحالَ والرِّزَاقُ أذْرَى
وإنِّي مُخْطِئِي إنْ عُدْتُ يَوْمًا
لنحو شِكَايَةٍ وَرَفَعْتُ حَالِي

قوله: «فلا لاحِ جَوْدِر» كقول ابن مَطْرُوحٍ: [الكامل]

وأقولُ يَا أُخْتَ الْغَزَالِ مَلَا حَةً
فتقولُ لا عاشَ الْغَزَالُ ولا بَقِي

وهاهنا نكتة بيانة، لم يتفطنوا لها، وهو أن التشبيه البليغ له أنواع: أدناها، أن يدعى اتحاد ما بينهما، فيحمل أحدهما على الآخر، كزيد بدر، ونحوه. وأعلها التجريد.

وبقي من نوعٍ أبلغ من كل ما ذكره، وهو أن يُنْفَى التشبيه، فيقال: ما هو بحرٌ، فإنه عذب زلال، يقذف الدرُّ في كل حين، والبحرُ إمَّا ماءٌ أجاج، أو عذب ليس فيه دُرٌّ ثمين، ونحوه، مما هو كثير في كلامهم.

والنَّفْيُ بحسب الأصل يدلُّ على أنه في شأنه أن يُنسب له في الجملة، ولذا لا يقال للحائط ليس بعالم من كلام البلغاء إلا لنكتة، فلذا كان تشبيهاً أبلغ مما عداه. فأخفظه. وقوله: [الطويل]

نثرت فقلنا الدرُّ في الأفق يثر

وأحسن منه في مدح كلام مشور: [الطويل]

وفصل من النثر البديع قرأته
أو الطرس رَوْضُ زَهْرِهِ مَتَفْتَحٌ
فقلت حَبَابٌ تحته الخمر مُسْكِرٌ
بلى هو عِقْدُ الزَّهْرِ في الصبح يُنْثَرُ

٨٤ - محمد بن الخياط المحلي

شابُّ أديب نشأ بالمحلة، لم يحلَّ أحدٌ في خِياطة حُللِ السُّخْرِ محلَّه. وكان كعبةً ظرفائها، وقيلةٌ ندمائها. من سابقه في طُرُقِ الرِّقَّةِ، بَعُدَتْ عليه الشُّقَّةُ.

فمن شعره قوله: [الطويل]

لنا صاحب ما زال يُثْبِعُ بِرّه
سَلُونَاهُ لَا بُغْضاً وَلَا عَن مَلَالَةٍ

ومثله قول التلمساني: [الطويل]

هَوَاكُم هُوَ الْمَنُّ الَّذِي مَا لَهُ سَلْوَى

ومن محاسن الأزدي قوله في غلام يهودي: [السريع]

أَوْقَعَنِي بِالصَّدِّ فِي التُّبَيْهِ
وَأُنزِلَ الْمَنُّ عَلَيَّ فِيهِ

ومثله ما قلته: [السريع]

بِالْمَنِّ لَا يُوزَنُ إِخْسَانٌ مَّنْ

أَمَا تَرَى الرَّزَّاقَ جَلَّ اسْمُهُ

وقوله «يسوي» بمعنى يساوي، وقال بعضهم: إنه من خطأ العوام.

وليس كما قالوه، ففي «تهذيب» الأزهرتي بعدما ذكر «لا يساوي» ما نصه: «لم

يعرف الفراء لا يسوي، وقال الليث: هي نادرة، ولا يقال منها سوي ولا سوي، وهي

لغة أهل الحجاز، وأما لا يسوي بالضم فليس بعربي صحيح» انتهى.

وفي «الارتشاف» لأبي حيان: «عدّ البهاري فيما لا يتصرف من الأفعال يسوي

وقال ابن الحاج: بمعنى يساوي» انتهى.

أقول: قد علم مما نقلناه أن يسوي بزنة يرضى لغة صحيحة فصيحة حجازية وما

ضعفها إلا ابتدأها، وهي من الأفعال التي لا تتصرف، أي لم يُسمع منها إلا فعل

واحد، وذلك يكون بالاختصار على الماضي، كعسى، وتبارك، وقد يكون على

المضارع، كيسوي، وينبغي، في قول، وأن ترك لفظ من مادة دون غيره فإماتة

كماضي يدع ويذر، على المشهور. وهذا مما ينبغي حفظه.

٨٥- القاضي تقي الدين التميمي

بحرٌ تدفق منه أدبه الجاري، وتضوع في طي أردان فضله نشره الداري. فسنت

الأيام من أسنة لسانه فولادها، وأطعمته المعالي على خوان الدهر من كبدها أفلاذها.

٨٥- القاضي تقي الدين التميمي الغزي الحنفي، صاحب الطبقات، العالم العلم الفاضل الأديب الجليل
الفائدة المفضي، أخذ عن علماء كثيرين وجال في البلاد ودخل الروم وألف ووصف وأحسن ما
له من التأليف «طبقات الحنفية» وقد جمع فيها جملة من علماء الروم وعلمائها وأخبار ساداتها
ورؤسائها.

وكانت وفاته بمصر سنة عشر وألف. خلاصة الأثر (١/٤٧٩).

ولما آل إليه كتابٌ وَقَفَ جَدُّهُ تَمِيمٌ، انتظم في جِيدِهِ من الفخار عِقْدٌ نَظِيمٌ. ثم اِخْتَلَسَتْهُ منذُ يَدِ الدَّهْرِ، فأذَاقَتْهُ حَنْظَلُ الفَقْرِ والقَهْرِ. حتى أَضْرَمَ في فَوَادِهِ غَلِيلاً، بعد ما ورد من الحياة على ظَمَاءٍ سَلْسِيلاً.

وكان في أول أمره، وإقبال طلائع عُمرِهِ، حِرْفَتُهُ الزَّهَادَةِ، وِحَانُوتُهُ السَّجَّادَةِ. ثم ساقه القدرُ إلى القضا، فَرَضِي بِمَا قَدَّرَهُ اللهُ وَقَضَى.

بعد ما كان يقول: [الخفيف]

مَنْ تَمَنَّى القِضَا فلا تَغْبِطْنَهُ واجعل الموت سابقاً للقضاء

وقد قالوا: مَنْ تَوَلَّى القِضَا ولم يفتقر فهو لصّ والآن قد افتقرت اللصوص، لَمَّا سَرَقَتِ الأُمْرَاءُ من الخواتم الفصوص.

والسَّارِقُ إذا سَرَقَ من سارقٍ فقد عامله برأس ماله، وقالوا: الرِّبْحُ والفائدةُ السَّلَامَةُ من الخُسرانِ ووباله.

وما يسلب قاطعُ الطريق العُزَيانَ، بل يهديه للسَّيْلِ ويُعْطِيهِ الأمانَ.

فكلُّ قاضٍ منقوصٍ أبدي غضبه، وأظهر مع كلِّ عاملٍ نَصْبَهُ.

ورَفَعُهُ وجَرَّهُ لم يزل يُنَوِي، وحاله لم يطب وإن عمّت به البلوى.

ودودُ الخَلِّ يموت إذا رُمِيَ في العسل، وطيبُ الوردِ فيه هلاكُ الجُعلِ.

وله تصانيف سمعناها منه، منها «طبقات الحنفية»، وهي في مجلداتٍ جمع فيها من شقائق النُعمان كلِّ ثمرةٍ جَنِيَّةٍ.

وله نظم ونثر، كقوله وقد لبس من القضاء خُلَعَ المَدْلَةُ، وحاكث له الأطماعُ من

نَصَبِ المناصبِ حُلَّةٍ: [الكامل]

وأمرٌ منها رِفْعَةُ السُّفْهَاءِ

وأرى اليهودَ بذلَّةَ المُفْهَاءِ

أخباَبنا نُوبُ الزَّمانِ كثيرةٌ

فمتى يُفِيقُ الدَّهْرُ من سَكَراتِهِ

وله أيضاً: [م. الكامل]

في الدَّهْرِ يوماً مِثْلَنا

أبدأ ترانا في عَنّا

والسعالُ لا يَرْضَى بِنّا

ما أَبْصَرْتُ عَيْنُ امرئٍ

عَشِقُّ وجرمانَ بِهِ

الدُّونُ لا نَرْضَى بِهِ

«والعال» بمعنى العالي، كقولهم لم نبِل إلا أنها لغة عامية مُبْتَدَلَةٌ.

وقيل لابن المقفع: لِمَ لا تقول الشُّعْرُ؟ فقال: ما يَجِيءُ ما تَرْضاه، وما تَرْضاه ما

يَجِيءُ.

وله أيضاً: [الطويل]

إذا أَكْثَرَ العَبْدُ الذُّنُوبَ ولم يَكُنْ له شافعٌ من حُسنِهِ يُوجِبُ العُذْرَةَ

وأبصرت مولاة مع الذئب مُنعماً
وله في عبد الرحيم القسام: [الكامل]
ففي مصر قسامان كل يدعي
فسئلت أيهما أجل فضيلة
وله أيضاً: [الكامل]

وإذا أساء إليك خادم سيّد
واعلم بأنك قد ثقلت وأنه
وله مُضمناً: [البيط]

لنا صديق له في الغانيات هوى
كأنما هو جزباء الهجير ضحى
وقد سبقه لهذا ابن نباتة المصري، فقال:

لا يشغلنك شيء في زمانك عن
وكن كما قيل في الجرباء من فطن
وهو تضمين من قول بعض شعراء الجاهلية: [البيط]

أنى أتيح له جزباء تنضبة
لا يرسل الساق إلا مُمسكاً ساقاً
والساق فيه: غصن الشجرة، ومن الإنسان معروف، وبه قامت التورية.

وضربه بعض العرب مثلاً لألد الخصام، الذي كلما انقضت له حجة أقام أخرى.
والجرباء دويبة تسمى أم حبين، تتلون ألواناً مع الشمس، وتكنى أبا قرّة.
ويقال: جرباً تنضب، كما قيل: ذئب غصاً، وهو شجر يتخذ منه الشهام جمع
تنضبة.

وفي المثل «أحزم من جزباء»؛ لأنه مع تقلبه مع الشمس لا يرسل يده من غضن
حتى يمسك آخر، وهو الذي عناه الشاعر.

وضربه ابن الرومي مثلاً للقبح، ويضرب به المثل في كثير الثقل أيضاً.
وكان بيني وبينه مودة أكيدة، ومكاتبات ومراسلات بالروم.

فما كتبه له: [البيط]

يا روض مجد بماء المكرّمات سقي
لا أتقي زمناً أضبخت أوحده
وكتبت له مرة استدعيه: [الطويل]
ولما نزلنا منزلاً طله الندى
أجد لنا طيب المكان وحسنه

وجامعاً شمل فضل غير مفترق
فأنت حضن لريب الحادثات تقي
أنيقاً وبُستاناً من الثور حالياً
منى فتمنينا فكنت الأمانياً

يا غاية الأمانى، وسلوة الحزين العانى.

قد دعاني الربيع بلسان التسيم، وصاحت الطيور: هلموا إلى النعيم المقيم.
وعيون الأزهار شاخصة للطريق، وقدود الأغصان واقفة لانتظار الرفيق.
فبالله عليك إلا جعلت يومنا بك عيداً، وجددت لنا بك سروراً جديداً.
والسلام.

ولم يزل كذلك حتى طلع ثنية الوداع وهبط منها لوادي الفناء، وبلغ ساحل الحياة
فركب سفينة نعشه واستراح من العناء.

٨٦- يوسف المغربي

عزيز مضره بناناً وبيانا، ويوسف عصره حسناً وإحساناً.
نشأ بمصر يتعاطى صناعة الأدب، وثبت بأوتاد شجره كل سبب.
يشارك في تجارة الفضل بنصيب، ويزمى لأغراضها كل سهم مصيب.
بطبع أطف من نسمات الشمال، سرت سخرة بليلة الأذيال.
متابعة الأنفاس، فنبهت طرف نور في مهد الرياض نعاس.
وقد خمشت الصبا خد الشقيق، وخاضت بحار الدياجي في كل فج عميق.
مرتدية برداء السحر، معانقة لقدود الشجر.
حتى ألقى هندي العنبر في النار نفسه من حسد عليه، وتفتت سويداء المسك
حيث لم تصل إليه.
وكان سابقاً في ميدان التصابي بين العذيب وبارق، مجر عوالينا ومجرى الجياد
السوابق.

فروينا كل حديث حسن، صحيح يُسنده راوي الزمن.
حيث الدهر غص الشباب، والآمال المورقة فسيحة الرحاب.
وله مورد من الأدب صفي، وديوان سماه «الذهب اليوسفي».
فمما أنشدني منه، قوله من قصيدة له: [الكامل]
هذي كنوز فتحت أم مبسم والبزق لاح أم الغواني تبسم
هذي شمائل قد نزلن جوانحي وجوارحي يبقى التزيل ويسلم
وله أيضاً: [م.الرجز]

٨٦- يوسف بن زكريا المغربي، نزيل مصر. الأديب الشاعر. قرأ بمصر وأخذ عن يحيى الأصيلي
وبه تخرج، والبدر القرافي، وأبي النجا سالم السنهوري، والأستاذ محمد البكري.
وكانت وفاته بمصر سنة تسع عشرة بعد الألف. خلاصة الأثر (٥٠١/٤).

يضحك أن مرَّ بكَا
فإنَّ هذا كَلْبُكَا

في النَّاسِ بِالْجَوْرِ وبِالْبَاطِلِ
فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْعَامِلِيِّ

فَمَثَلُهُ فِي النَّاسِ لَمْ يَعْتَبِ
دُرّاً وَيَأْقُوتاً مِنَ الْمَطْلَبِ
فَخُذْ حَدِيثَ الْكَنْزِ عَنِ مَغْرِبِيِّ

وَالرَّاحَ رَيْقاً وَالشَّقِيقَ خُدوداً
مَ ضَفَائِرَ أَمْ الرَّمَاخَ قُدوداً
وَالشَّمْسَ فِرْقاً وَالغَزَالَهَ جِيداً
فَاقْتِ فَأُضْحِتْ رُكْعاً وَسُجُوداً

[الكامل]

وَتَقَلَّدُوا بِضَوَارِمِ الْأَخْفَانِ
خَلَعَتْ مَلَابِسَهَا عَلَى عَقِيَانِ

بِيَدِي غَصِبْتُ الثَّوْنَ مِنْ رَمَضَانَ

وَهُوَ بَدْرٌ يَفُوقُ كُلَّ الْحَسَانِ
لَا يَجُوزُ الْوَصَالَ فِي رَمَضَانَ

يَجَادُلُ بِالذَّلِيلِ وَبِالذَّلَالِ
فَقَالَ نَهَى الثَّبِيَّ عَنِ الْوَصَالِ

واعلم أن هذا كله ليس بشعرٍ ترتضيه الأدباء، وهو كلُّ شعرٍ أكثر فيه من البديع .
قالوا: وأوّل من أتلف الشعرَ العربيّ بهذا التَّمَطُّ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ، ثم تبعه أبو
تَمَامٍ. وأحسنُ هذه الصنعة التَّجْنِيسُ والثَّوْرِيَّةُ، وهما في الشعرِ كالزَّغْفَرَانِ، قليله
مُفْرِحٌ، وكثيره قَاتِلٌ؛ ولذا لم نجد في أهل مصر من يعرف الشعر ولا ينظمه.
ومنهم من غلط في ذلك فأكثر من اللغات الغربية، وتوهم أنه بذلك يصير بليغاً،

أوصيك إن شخّص غدا
لا تغترز بضخكه
وله في العامليّ: [السريع]

إنَّ الْيَهُودِيَّ غَدَا عَامِلاً
يَعْمَلُ فِي الدِّينِ كَمَا يَشْتَهِي
وله من قصيدة أخرى: [السريع]

اشْرَبْ وَلَا تَغْتِيبْ عَلَى عَادِلٍ
وإن تكن يا سيدي طالباً
فالكأسُ والصَّهْبَاءُ فِيهَا الْغِنَى
وله من قصيدة: [الكامل]

جَعَلُوا الشُّعُورَ عَلَى الْخُصُورِ بُنُوداً
جَعَلُوا الصَّبَاحَ مَبَاسِماً ثُمَّ الظُّلَا
وَالْوَرْدَ خَدّاً وَالْغُصُونَ مَعَاطِفَا
ورأت غُصُونَ الْبَانِ أَنَّ قُدودَهُمْ

وهذا كقول ابن قلايس، من قصيدة له:

عَقَدُوا الشُّعُورَ مَعَاقِدَ التُّيْجَانِ
وَتَوَشَّحُوا زَرْدَاً فَقَلْتُ أَرَايَمُ

ومنها أيضاً: [الكامل]

وَهَلَالُ شَوَالٍ يَقُولُ مُصَدِّقَا
وله في مליح اسمه رمضان: [الخفيف]

رَمَضَانَ قَدْ جِئْتُهُ رَمَضَانَا
قَلْتُ صِلْنِي فَقَالَ وَهُوَ مُجِيبُ

وهذا كقول الآخر: [الوافر]

بَلِيثٌ بِهِ فَقِيهَاذَا جِدَالِ
طَلِبْتُ وَصَالَهُ وَالْوَضْلُ خُلُوْ

على أن باب التورية قفله ابن نباتة والقيراطي، ثم رميا المفتاح في تلك الناحية. وهذا لا يعرفه إلا من له سليقة عربية.

وليوسف المغربي يمدح أستاذه يحيى الأصيلي؛ فإنه تخرج عليه: [الوافر]
مدحت البحر إذا أضحي يحاكي علوم البر ذي الفخر الجليل
وإني إن مدحت البحر يوماً فمدحي فيه للبر الأصيلي
فكتب له مخمساً ومقرظاً:

حَمداً لمن أطلع من الأفق الغربي بدر بلاغته مشرقاً، وشكراً له إذ أبدع جمال
دينه بما أودع فيه من الكمالات التي زينت مغرباً ومشرقاً.

وصلاة وسلاماً لمن أضاء الوجود برسالته متألّفاً، حبيب الله عز وجل، الذي
متعّه بدوام وُضيلته بلقائه فلم يقل متى اللقاء، وأرشد أمته إلى حُسن الأدب بقوله
تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢].

وبعد، فإن الشيخ الأديب، الكامل الأريب، الكاتب الشاعر، الناظم النثر، ذا
النظام الجوهرية، والنثر الذهبي، أبا المحاسن يوسف جمال الدين الأزهرية المغربية،
أدام الله عز وجل محاسنه ومحاسن كماله، وأبد جمال رونقه ورونق جماله، ممن
جمع الله له بين الحُسن والإحسان، وبراعة البنان وبراعة البيان.

فقد أزيى بنضارة كلامه على زهر الخميعة، ورعت دقائق بديعه على درج المعالي
الجليلة الجميلة. حتى صار مع صغر سنه شيخ الآداب، وظهر فضله كالشمس وقت
الظهيرة في عصر الشباب.

وكان كثيراً ما يُجاملني بحُسن المُجالسة، ويعاملني بلطف المُؤانسة. ويُنعِم
باجتلاء جواهر محاضراته، واجتناء زواهر محاوراته. فتفضل بإهداء بيتين مطربين ولا
طرب المثالي والمثاني، مُعنيين عن أجمل العواني.

جلا فيهما عرائس صفاته في مرآتي، وأشرق مضباح ذاته في مشكاتي.
فأوسعني، أوسع الله من فضله المزيد مُجابهة وتأنيساً، والتمس مني، حرسه الله بسِرِّ
التوحيد، أن أجعل له تخميساً، قاصداً بذلك، أنجح الله مقاصده وكثر فوائده، تنويه
ذكرِي.

فأجبتُه لذلك مُطيعاً لأمره، حافظاً - ولا أقول مُضيعاً - لطيب ما انطوى فيهما
من عاطر نشره، مُعترفاً بأن نظمه ثوب لم أكن من بزّه، ووشِي فكري مقصور على
رُخيم خزّه. فأبقاه الله عز وجل لإغلاء أعلام العلوم، وتخليه أجياد الآداب بجواهر
المشور والمنظوم.

والبيتان العامران، بل الرُوضان الزاهران، والكوكبان الزاهران، قد تقدما.

والتخميس المذكور هو قولي: [الوافر]

رَأَيْتُ الشَّيْءَ يُمَدِّحُ بِاشْتِرَاكِ
أَلَمْ تَرَني بَعَزْمٍ وَأَنَّهُمَا كِ
لَاخِرَ فِي صِفَاتِ الْفَضْلِ زَاكِي
مَدَّخْتُ الْبَحْرَ إِذْ أَضْحَى يُحَاكِي

عُلُومَ الْبَرِّ ذِي الْفَخْرِ الْجَلِيلِ

أَصِيلِي جَفَا فِي الْعِلْمِ نَوْمًا
وَلَجَجَ فِي بَحَارِ الْفَضْلِ عَوْمًا
وَبَرٌّ قَدْ عَلَا فِي الْمَجْدِ سَوْمًا
وَإِنِّي إِنْ مَدَّخْتُ الْبَحْرَ يَوْمًا

فَمَدَّجِي فِيهِ لِلْبَرِّ الْأَصِيلِي

أهل مصر تقول لما بلغ الغاية: راح للبر الأصيل، وهو مشهور، ومعناه ظاهر.
ولما خمس قصيدة البردة بعض المتشاعرين من أهل الروم، قلت: فتح الله عين بصيرته، أتى في تخميس البردة بما يدل على جمود قريحته، فخمس بل خمس، ودلس بغموض معانيه بل دس.

والبردة بُرْدٌ لا يحتاج جديده لتزقيع، بمثل كلمات هذا الأحمق الرقيع.
وبالجملة فالأصل دُرٌّ ثمين، بل جوهر نفيس يجل عن الثمين. لما فيه من عظيم التوحيد، والتشبيه بمدح النبي المجيد.

فهو روض في شباب الربيع، لا يحتاج لينة غيث مريع، وأما الفرع فشوك في رياضها أو دس يحتاج للتشبيح. [الطويل]

إِذَا خَمَّسَ النَّاسُ الْقَصِيدَ لِحُسْنِهِ
فَحَقُّ لِشَعْرِ قَالِهِ أَنْ يُسَبَّعَا

٨٧- يحيى الأصيلي

أديب ماهر، وشاعر ساحر، عبقث بالديار المصرية، أنفاسه الثدية الثدية، بطنع يعير عيون الحور سحره، ويفضح رقة الصبا إذا نبتت جفون الأتوار سحرة.
نشأ بدمياط وقد ابتسم بمحياها ثغرها، ودزت عليه سحائب نعيمها فله دُرٌّ ثم هاجر لمصر وعود شبابه خضر، وروض محاسنه بماء الصبا بهج نصر. فتخرج بالشور العسيلي حتى حلا في ذوقه شهد آدابه، وتزينت حقايق أفكاره بفرائد خطابه.
وكان يتغنى بالقرآن، ويقري بصوته الحسن الأذان. وله أنفاس في الغناء تميمت

٨٧- يحيى بن محمد بن محمد بن أحمد الأصيلي المصري، الأديب الشاعر. ولد بدمياط ونشأ بها، ثم هاجر إلى مصر فتخرج بالنور العسيلي حتى حلا في ذوقه شهد آدابه وتزينت حقايق أفكاره بفرائد خطابه، وكان يتغنى بالقرآن ويقري بصوته الحسن الأذان، وكان فرداً في فنون الغناء والطرب.

وكانت وفاته سنة عشر بعد الألف بمكة. والأصيلي نسبة لأصيل الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن عثمان بن أبوب. خلاصة الأثر (٤/٤٨٠).

الهموم وتُحني الطَّرب، وترشُف منها الآذانُ ما تُسُكر منه ابنةُ العُنب، فإذا ترنَّم في نادي سادةِ أغيان، فكأنه نسيَمُ الصِّبا والقومِ أغصان، فأنفاسُه أطربُ من عُود، وذكره الجميل أطيَّبُ من عُود. [الهزج]

فإنَّ العُودَ مُشْتَقٌّ من العُودِ بإيقانٍ
فهذا طيبُ أنافٍ وهذا طيبُ آذانٍ
ولم يزل بعد العُسيلى يدير سُلَاقَةَ اللُّطافة، وما برح بديوانٍ في محلِّ خِلافةٍ لا يرضى خِلافه.

يقطف ثمراتِ المُنَى، ويَقِيل تحت ظلالِ الهَنا، حتى مَدَّ الغناءَ له في الغنى، مع ما له في فنون العلم والآداب من المآرب. [الطويل]
فلله مِنْهُ جانبٌ لا يُضِيعُه وللهو مِنْهُ والخِلاعةُ جانبٌ
مع أنه خفيفُ الرُّوح، خفيفُ الشُّقَّةِ على سائر الناس، فمحبتهُ لذلك تجري مع الأنفاس. [الكامل]

وإذا أحبَّ الله يوماً عبده ألقى عليه مَحَبَّةً للناسِ
ولم يزل كذلك حتى قصد الحجَّ يطلب من شريفِ مَكَّة أمله وتثويله، ولم يذر ما أضرَّتْ له سُودُ الليالي وما تُثوي له. فلما ألقى العصا بها واستقرَّت الثوى، قضى مناسِكَ حُجَّه وأخلص لله ما نوى. ودعاه الكريمُ إلى داره، فحلَّ مُمتعاً بالرحمةِ في جواره. واقفاً في عَرَفاتِ إحصانه، مُحرماً في إزارِ أكفانه. وكان بيني وبينه وُدٌّ جميل، إلا أنه لضيقِ وقتِه كشمسِ الشُّتاء عند الأصيل، فمما نطق به لسانِ قلمه، وأودَّعه من نورِ معانيه في كِمامِ كلمه، قوله: [الكامل]

مَنْ مُنْصَفِي مَنْ ظالمٍ بِنِيتِ المِظالمِ بِنِيتِه
أخْفِيه خَشِيَّةً بِأَسِه وَأودُّ لَو سَمَّيْتِه

وهذا كقول السَّراجِ الورَّاق: [السريع]

رُزِقْتُ بِنْتاً لَيْتَهَا لَمْ تَكُنْ فِي لَيْلَةٍ كَالدَّهْرِ قَضَيْتُهَا
فَقِيلَ مَا سَمَّيْتَهَا قَلْتُ لَو مُكُنْتُ مِنْهَا كُنْتُ سَمَّيْتُهَا

وقد قيل عليه: إن التُّورية لم تُعقد له؛ لأنه إنما يقال من السُّم سَمَّيْتُهَا.

وقيل: مثله يُسمَّى إيهامُ التُّورية. والصَّحيح أنه من بابِ تَقْضَى البازِي، بمعنى

تَقْضُض. وفي كلام بعضهم ما يقتضي أطْراده.

وله أيضاً: [الطويل]

أَلَا إِنَّ لِي يَا آلَ صِدِّيقِ أَحْمَدٍ
فَلِي مِنْهُ أَسْتَاذٌ وَلِي مِنْهُ مُرْشِدٌ

لَشَمْسُ هَدَى مِنْكُمْ بِهِ الْكَرْبُ يَنْجَلِي
وَلِي مِنْهُ قُطْبٌ ذُو اتِّصَالٍ وَلِي وَلِي

وهذا نوع من البديع، زعم ابن الورددي أنه اخترعه، وسماه إيهام التأكيد. وهو في القرآن، كقوله تعالى: ﴿رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. ومثله قول ابن مكنس: [م.الرجز]

نَعَمْ نَعَمْ مَحْضُثُهُمْ
وَمَا رَعَوْا عَهْدًا وَلَا
وَلَهُ أَيْضًا: [م.الكامل]

صِدْقُ الْوَلَا تَطْوُلًا
مَسْوَدَّةٌ وَلَا وَلَا

لِي صَاحِبٌ مُتَمَرِّضٌ
يَا رَبُّ صَبْرِي عَسَى
وَلَهُ مُمَاجِنًا: [م.الكامل]

مَقْتَلِقٌ فِي ذَاتِهِ
أَقْوَى عَلَى مَرْضَاتِهِ

لَا بُدَّ يَا مَوْلَايَ أَنْ
إِنِّي رَأَيْتُكَ كَاشِفًا
وَلَهُ أَيْضًا: [م.الرجز]

تَسْمُو لَدَيْكَ مَوَاكِبُ
وَأَنَا وَرَاءَكَ رَاكِبُ

وَلِي عَرُوضِي إِذَا
أَعْطَاهُ لِيَصْبُهُ
وَلَهُ أَيْضًا: [م.الكامل]

أَبْصَرَهُ الْبَدْرُ اخْتَجِبَ
فَاصِلَةٌ بِهَا سَبَبُ

يَا ذَا الْعَرُوضِي الَّذِي
وَعَنْ ابْنِ قَطَّاعٍ رَوَى
وَلَهُ أَيْضًا: [السريع]

أَضْحَى بِسَيْطِ الْخُسْنِ كَامِلُ
هَلَّا رَوَيْتَ عَنْ ابْنِ وَاصِلِ

يَا حُسْنَ جَنَّانٍ لَهُ وَجْنَةٌ
أَتَحْفَنِي يَوْمًا بِمَا رَاقِنِي
وَلَهُ: [المتقارب]

مَنْ وَزِدَهَا بِاللُّثْمِ حَيَانِي
مَنْ رُطِبَ حُلُوِّ وَحَيَانِي

أَتَيْتُ جُنَيْنَةَ أَسْتَاذِنَا
بِهَا أَيُّ وَرِدٍ وَأَسٍ بِهِ

وَقَدْ جَمَعْتَ كُلَّ مَعْنَى كَمَلِ
تَفَرَّقَ شَمْلُ عِدَاةٍ وَقَلِ

والقُل نوع من الياسمين، بلغة أهل اليمن، ذكي الرائحة.

ولم يذكره أهل اللغة فهو لغة مولدة، وسماه ابن البيطار في «مفرداته» بالثمارق.

وكتب لخاله بثغر الإسكندرية: [الطويل]

وَمَنْ بَعْدَهُ قَدْ حَالَ لِي فِي الْهَوَى حَالَ
فِيَا حَبْدًا فِي ذَلِكَ الثُّغْرِ لِي خَالَ

لِخَالِي فِي الْإِسْكَندَرِيَّةِ رَغْبَةً
فَإِنْ يَكُ أَضْحَى ثَغْرَهَا مَوْطِنًا لَهُ

وكتب لشيخنا الصَّالِحِي، يستأذنه في الدخول إليه، لما قَدِمَ مصر: [المتقارب]
 على الباب مَنْ كَادَ مِنْ شَوْقِهِ
 أتى يتَغَنَّى بأوصافِكُمْ
 فأجابه رحمه الله، بقوله: [المتقارب]
 لمولاي يحيى رقيقُ الطُّبَاعِ
 أمولاي هل خارجٌ ضَرْبُكُمْ
 والدُّخُولُ: مصدرٌ معروف، ويستعمله المَوْلُدُونَ بمعنى آخر، وهو حُسْنُ الصَّوْتِ
 الجاري على قانون الموسيقى، وضده خُرُوجٌ.

والضَّرْبُ: النَّقْرَاتُ التي تُوزَنُ بها النَّعْمَاتُ، ويُسمونها أضولاً.

ومنه عَلِمَ حُسْنُ الإِيهَامِ هنا، كما في قول أبي الحسين الجزار: [المتقارب]
 ولكنَّ تعلَّمْتُهُ في حُمُولِي
 فأخرجني الضَّرْبُ عند الدُّخُولِ
 وللأصيلي أيضاً: [م. الرمل]

قيل لي إن فلاناً
 ولمن قد ساء رأْسٌ
 وله أيضاً: [م. الرمل]

شَفَّنِي فَاجِمُ شَغِيرِ
 شَجَنِي يُمْلِي عَلَيْهِ
 وهو كقول مَهْيَار: [الوافر]

بعيدة مَسْقِطِ القُرْطِينِ تُقْرَأُ
 ولابن سناء المُلْك: [الطويل]
 وأشكو إلى ليلِ الغدائرِ غَدْرَهَا
 وله أيضاً: [م. الرجز]

مُدَّ بَانَ مَنْ أهْوَى هَمَّتْ
 فقلتُ لقلبي إذا
 وله أيضاً: [م. الرمل]

رُبُّ قَاضٍ قَبْلِ الرُّشْوَةِ لَمَّا أَنْ تَمَلَّكَ
 قال لِلظَّالِمِ إني
 وله أيضاً: [السريع]

رسالة من لطفها أشبهت
 ريح الصَّبا مرَّت بزهر الرِّبَا

ولم يزل ما بين أهل الهوى
وقريب منه قولي: [السريع]
يا يوسف الحسني الذي لم يزل
سرى نسيماً منك في طيِّه
لو لم أكن يعقوب حزين لما
وله من قصيدة يرثي بها العلامة النحريري البصير، خاتمة المفسرين: [الخفيف]
إن عصاني شغري لفقد شعوري
يا إماماً لما سكنت جناناً
وبكى الأزهر المعمّر بحراً
فمصابيحُه بأخشائها النّاء
ومحاريبه لفرقة ذاك الصّد
وهذا معنى حسن، سبقه إليه بلدينا ابن نباتة، في قوله من قصيدة، مطلعها:
[الطويل]

على مثل ذا قلتك أعيننا العبري
فقدنا بني الدنيا فلما تلفتت
سيعلم كل من ذوي المال في غد
كان المحاريب القيام بصدّره
وله أيضاً: [المنسرح]
لا يُهدين الفتى لصاحبه
إلا ومع ذاك إبرة لتكن

وتطلق في ميدانها الشهب والحمرا
وجوه أمانينا فقدنا بني الأخرى
إذا نصب الميزان من يشتكي الفقرا
لفرقة ذاك الصدر قد قوست ظهرا

آلة قطع كالسيف والنضل
مع آلة القطع آلة الوضل

٨٨- شمس الدين محمد النحريري الحنفي البصير

خاتمة المفسرين والقراء، والمحدثين والفقهاء.
علم فضله مشهور، على عاتقي الخافقين منشور.
ذو بيان عذب طليق، وروض فضل هو للثغمان شقيق.
تفجر منه ينبوع الحكمة معيناً، فنادى لسان حاله لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا.
فله في كل لفظ بزة ساعة، وفي قلب كل عبارة براعة.
عليه حلل الفضل سوابغ، وبجيد الدهر قلاند من كلمه الثوابغ.
وكان في إبان أمره، وإقبال طلائع عمره، سغده في كمين الخمول، يراقب فرصة
يطلع منها له القبول.

إن غرس غراس المنى، جنى منه ثمر العنا لا الغنى. [الكامل]

ومع العفافة ثروة لو أنها نَوْمٌ لما شُعِرت به الأخداق
وله أخ شقيق، وصنو عريق، مُتَسَرِّبٌ بسزبال الثروة، شارب من كلِّ وِزْدٍ صَفْوَه.
فاتفق أن زاره الحمام، وحيّاه طارقُه بالسَّلام. فقرب رُوْحَه لِقَرَاه، ولم يكن له
وارثٌ سواه. فبدل فقره بالغنَى، ونور له رياضُ الآمالِ والمُنَى. [الطويل]
بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد
وقد حضرت ناديه وهو يُملي «التفسير» ويُقري المسامع بالمواعظ والتذكير.
ثم يكسو الوفود ديباج الحقيقة، ويحلّي واديه بتور كلماته الأنيقة.
ويجري أمطارَ عبْرته حتى تعشب ذلك الوادي، ويرعى بريعه المُخْصِب سرح كلِّ
حاضرٍ وبادي.

فتود الأعضاء لو أنها كلها مسامع، والأذهان لِمَا يُمليه عليها لو أنها كلها دفاتر
ومجامع.

وبالجملة، فهو فذلِكَةُ كتاب الدهر، ومنطقه نتيجة مُقدّمات السُخر.
ممن تنقش بذكره سحائب النُمة، وتنبع منه ينبع الحكمة.
لا زالت هتانة على جدث حواه هواطلُ الرّحمة، ولداته وأثرابه، وأقرانه
وأصحابه.

٨٩ - محمد الحنفي المفتي

المعروف بالذنب

وما هو ذنب بل أسد، له رأي في مذهب النعمان أسد.
وحبرٌ تكحلت بحبره عيون الفتوى، وبحر تُروى المسامع بما عنه يُروى.
ارتفع من حضيض التقليد إلى ذرا الفضائل، وسابق في حلبة^(١) العلوم فحاز
قصب الفواضيل.

فبحره لا تكدره الدلاء، ومورده العذب لا تترحه الرّكاء.
ونجمله سرى في ليل المجد فباكره فلاحاً، وخط رحله في نادي الكرم فما ترك
من أبيه مغدى ولا مراحاً. [الرجز]

ومن يشابهه أبه فما ظلم

فأفتى ودرّس، ونزل في ساحة الفضل وعرس.

(١) الحلبس: الشجاع. القاموس المحيط، مادة /حلبس/.

وكنتُ قلت فيه في زمن الشباب، وقد اجتنيتُ من ثمره المُستطاب: [م.الرجز]
 للذئبِ نجلٌ فضله
 حاكى أباه في العلاء
 وهو كقول ابن لؤلؤ: [م.الرجز]
 وذو قوام أهيف
 قام يقطُ شمعاً
 وللشهاب الحجازي: [م.الرجز]
 وبدرٍ تمّ قد سعى
 حياً وقطُ كأسه
 وقلت أنا: [م.الرجز]
 وكاتبٍ كأنه
 يقطُ أقلاماً له
 غصنُ الثقا إذا نشط
 فهل رأيتَ الغصنَ قطُ
 بكأسِ راحٍ وأنبسطُ
 فهل رأيتَ البدرَ قطُ
 غصنُ الثقا إذا نشط
 فهل رأيتَ الغصنَ قطُ

فائدة: القُدُّ والقَطُّ متقاربان معنى، وهما نوعان من القطع. وفيه لطيفة اتفافية، لأن القُدَّ قطع الشيء من نصفه، أو قطعه نصفين، والقَطُّ قطع الطرف كما في الشمع والقلم؛ فكأنه لكونه قليلاً من القطع نقص منه العين. ثم إن هذا النوع من التشبيه غريب بديع، تعرّض له المبرّد في «الكامل»، ونقله الإمام المرزوقي في «شرح ديوان أبي تمام». وأهل المعاني لم يتعرّضوا له. وسماه المرزوقي بالإيماء، وهو غريب في بابه. ومنه قول المَنَازي، في وصف نهر: [الوافر]
 تروغُ حصاهُ حالية العذارى
 فتلمسُ جانبَ العقْدِ التّظيمِ
 وقد بسطنا الكلامَ عليه في كتابنا «طراز المجالس». وفيه فوائد لا توجد في غيره. والشيء بالشيء يذكر، فلندكرُ هنا بعضَ من أدركناه من العلماء الأعلام، الذين هم مسك الختام. ولله دُرٌّ من قال: [الكامل]

يا دهرُ بَغِ رُتبِ المعالي بعدهم
 قدّم وأخرَ من تشاء وتشتهي
 فمَنهم:
 بئعُ الشّماحِ ربحت أم لم تبيع
 مات الذي قد كنت منه تسنحي

٩٠- شيخ الإسلام علي بن غانم المقدسي

إمام اقتدّت به علماء الأمصار.

٩٠- علي بن محمد بن علي بن خليل بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن غانم بن علي بن حسن بن إبراهيم بن عبد العزيز بن سعيد بن سعد بن عبادة سيد الخوارج. نشأ بدمشق وحفظ القرآن وتلاه بالسبع على الشيخ الفقيه الورع الزاهد شهاب الدين أحمد بن الفصه

وتنزهت من فضائله في حدائق ذات بهجة وأنوار.

أثمرت أغصان الأقلام في رياض فضائله، وسالت في بطاح المكارم بحار فواضله. [الكامل]

فالناس كلهم لسان واحد يتلو الثناء عليه والدنيا قم فاعلم مدينة وعلي بابها، وكعبة حج حجت إليها آمال الفضلا وألبابها. لو مسّت راحته السحاب أمطر كرماً ومجداً، أو النجوم السيارة جرّين في الربيع سغداً.

لو رآه النعمان لقال هذا أخي وشقيقي، أو الصاحب لقال له أنت في طريق المعالي رفيقي: [المنسرح]

صفائه لم تزد معرفته وإنما لذة ذكرناها وله في كل فن كعب علي، وفكر بتقد جواهره جلي. مع نباهة تحلت بها الأشعار، وصيت طار بأجنحة الثناء في الأقطار. وقطع كل سهل وجبل، كأنه بكر معنى سار في مثل.

كما قال من قصيدة: [البيسط]

لله درك يامن نظمه درر
أو روض فضل نصير لا نظير له
مسك الفصاحة من فخواه منتشق
واللؤلؤ الرطب من معناه منتشر
وكنت في زمن الصبا، وأنا مسنون الأسته حاد الشبا، دخلت ناديه والكون متعطر
بشره، والدهر مبتسم للقياه بثمر سروره وبشره.
وقرأت عليه طرفاً من العلوم وحديث الرسول، فأمدني بدعاء لا أشك أنه على
أكف القبول محمول.

حتى كان ينوه باسمي، ويفتح جريدته برسمي.

= علي بن حسن المقدسي الحنبلي، وأخذ عن قاضي القضاة محب الدين أبي الجود السديسي، ومن مشايخه: المحقق شهاب الدين أحمد بن يونس الحلبي الشهير بابن الشلبي، والشيخ الشهاب الرملي، وغيرهم. وتفوق على أهل عصره في كل علم، وأفتى مدة حياته وانتفع به العجم الغفير من كبار أهل زمانه. وولي المناصب الجليلة كإمامة الأشرفية ومشيختها، وحج مرتين، ورحل إلى القدس ثلاث مرات. وألف التأليف النافعة في الفقه وغيره، منها: شرح نظم الكنز، سماه الرمز، وشرح الأشباه والنظائر.

وكانت ولادته سنة عشرين وتسعمائة، وتوفي سنة أربع بعد الألف، وصلي عليه بجامع الأزهر في محفل حافل، ودفن بين القصرين بترية المجاورين قبلي مدفن السراج الهندي. خلاصة الأثر (١٨٠/٣).

وأنا أجتني باكورة التَّحصيل، فكتبت له عند ورودِ البَشائرِ بوفاء النِّيل، بيتين،
هما: [الخفيف]

قَسَمًا ليس نَيْلُ كَفْكَ كالنَّيْلِ لي إذا راية المكارم تُنَشَّرُ
أنت عند الوفاءِ طَلَقُ الْمُحَيَّا وأرى النَيْلَ في الوفا يتكدَّرُ
فثر عليهما نثارَ الاستحسان، وقال: هكذا ينبغي أن تُنظَمَ عقودُ الجُمان.
وله شعر كان ينظمه لرياضة الخاطر، ولا يرتضي أن يُلصَقَ باسمه سِمةُ الشاعر.
فلذا لم يَغتنَ بتشييد أركانه، ولا تمييز ياقوته من مَرْجانِه، لاشتغاله بالتأليف
والفَتوى وتهذيب نفسه القُدسية اللابسة حُللَ التَّقوى.

وله «شرح نظم الكنز» المسمى «بالرمز». ورسائل كثيرة منها: «الشمعة، في
أحكام الجمعة». التي يقول فيها شيخ الإسلام علي بن أمر الله الحنَّائي: [الطويل]
لقد آنستُ عَيْنايَ لمعةَ شمعةٍ توقدُ من مِشكاةِ علمٍ وإتقانِ
جلا نورها البادي بصبح كماله غياهبَ شكِّ كان في ليلِ نُقصانِ
وكتبت عليها أنا، لما طالعتها: [الرمل]
شمعةٌ تقطع رأسَ الشمعِ إذ سرق الأنوارَ منها والتَّقَطُ
ضوءها من غيرِ قَطْ ساطِعُ ما رأى شَبهاً لها ذا الدهرُ قَطْ
واعلم أن ابنَ بَسَّام قال في «الذخيرة»: أشعار العلماء على قديم الدهر وحديثه
بَيِّنَةُ التَّكليف، وشعرهم الذي رُوِيَ لهم ضعيف، حاشا طائفةً كخلف الأحمر
وقَطْرُب.

وليس كما قال، وعندني أنه كدعوة البخيلِ وحملة الجبان، على ما يعرفه من له
أدنى إدعان.

٩١- محمد الدمياطي الحنفي

تلميذ شيخنا المقدسي، المفتي بمصر بعده.
فاضل مقدّم في نتائج الفضل وغيره التالي، ومشيّد بيان المكارم بطبعه العالي.
بوقار تزلُّ عنده الرّاسياتُ الشوامخ، ومحكم مجدٍ لا يردُّ على آياته البيّنة نواسخ.
إن خطَّ فما خطَّ الربيعِ والعذار، أو تكلمَ فما مطرِبات الأطيّار والأوتار.

٩١- محمد بن يوسف بن عبد القادر الدمياطي المصري الحنفي، المفتي، الإمام. لازم شيوخ
الحنفية من المصريين؛ كالشيخ الإمام زين بن نجيم وأخيه الشيخ عمر وشيخ الفقهاء في وقته
الشيخ علي بن غانم المقدسي، وغيرهم وأجازوه. وتصدر للتدريس ونفع الناس.
وكانت وفاته بمصر سنة أربع عشرة وألف. خلاصة الأثر (٢٧٠/٤).

ورد عليّ بالروم إذ جاب الفيافي والبوادي، وعزمه لعنان مطايا الهمة ثانٍ وحزمه لها حادي. وأنابها عديم الأيس، حتى اليعافير وحتى العيس.

وشوقي إلى الكرام، كما قال أبو تمام: [الخفيف]

واجدٌ بالخليل من بُرحاءِ الشِّ وقٍ وجدانٍ غيره بالحبيبِ

فأنعم برقيق المكاتبه، وجاد عليّ بالمؤانسة والمصاحبة.

ففرزت منه بأوفى نصيب، وكلُّ غريب للغريب نسيب.

فمما كتبه لاستجلاء أنواره، واقتطافٍ جنِّي ثماره: [الطويل]

ومَن ذكره أزكى من العنبرِ الوردِ
نفائسُ عزّت أن تقابل بالنقدِ
ومدٍ سرت أمسى عابساً وهو ذو وجدٍ
بمقدمه قد بدل النحاسَ بالسعدِ
غدواً في أمانٍ من عدوٍّ ومن ضدِّ
يفوخُ ثنائِي فيك كالعودِ والنَّدِ
يجاور فيه خالصَ الحبِّ والودِّ
على أن قرب الدارِ خيرٌ من البعدِ
ويظهرُ في جيدِ المكارمِ كالعقدِ

أيا روض مجدٍ مُنبتاً زهرَ الحمدِ
ومعدنٍ فضلٍ منه تبدو جواهرُ
أرى ثغرَ دميّاطٍ بكم كان باسماً
وكم شرفٍ في الرومِ من شمسٍ ذاته
أحبُّك حبّاً لو تقسّم في الوردِ
وفي القلبِ جمرٌ من بعادك فوقه
ومَن كان في القلبِ المتيّم حاضراً
فسيان منه القربُ عندي والنوى
فلا زلتَ ذا فضلٍ يُخلدُ ذكره

فأجاب: [الطويل]

وأوحدَ هذا الدهرِ في الحَلِّ والعقدِ
ومَن نظمه المشهورُ بالجواهرِ الفردِ
وفي الصوغِ أزرى بالثباتي والوردِ
لإذراك شأوٍ منه يُخطئ في القصدِ
فأنتَ بإزشادٍ إلى طرقيها تهدي
وفي الرومِ قد أصبحت واسطةَ العقدِ
حريّاً بأن يرقى إلى غايةِ البغدِ
من العجزِ والتقصيرِ قابله بالسدِّ
وشائئك الممقوتُ في العكسِ والطردِ
وأبياتٍ من عاداك في الدكِّ والهدِّ
مناهلٍ فضلٍ منهلاً طيبَ الوردِ

أفائقَ أهلِ العصرِ في كلِّ ما تُبدي
ومَن فاق سخباناً وقساً فصاحةً
نظمتَ قريضاً في حلاوة لفظه
وضمّنته معنى بديعاً فمن يرمُ
ملككت أساليبَ الكلامِ بأشرها
لقد كنتَ في مصرٍ خلاصةً أهلها
وحقُّ شهابٍ أصله الشمسُ أن يرى
فمعدرةً منّي إليك وما ترى
فلا زلتَ في أوجِ العُلا مُتنقلاً
ولا برحتَ أبياتك الغرُّ في الذرا
ودمتَ فريداً للفرائدِ رائقاً

فقلتُ لما ورد هذا الجواب: [الطويل]

لقد خيموا في روضةِ المجدِ والسعدِ
بهم أملي الظمانُ يُزوي من الوردِ

رعى الله إخواناً لنا من ذوي الودِّ
أناسٌ كماءِ النيلِ صافٍ ودادهم

لقد شرب الدهر الخؤون صفاهم
 غسلنا بماء النيل ما دئس الوفا
 وأبقى وجوهاً كدثت مورد الحمدي
 وقد صبغوا من مثلهم أزرق الحقد
 وعهدي بهم وزد إذا ما تكدرت
 مشاربه فيها وقى لذوي المد
 وقالوا لنا حد به يذهب الجفا
 جفاء فتم الحد بالعكس والطرد

٩٢- شيخ الإسلام سراج الدين الحانوتي الحنفي المفتي

السراج الوهاج، والبحر المتلاطم بالأمواج. من حاكته الشمس نوراً فكانت
 سراجاً، وفاخرت البدور فزادت ابتهاجاً.
 روض نصير، ما له في سائر العلوم نظير، وهو في فقه أبي حنيفة «الجامع
 الكبير».

وقور حلیم لا يعرف الطيش والخفة، وله ثروة عظيمة وعفة. حسن اللباس،
 منقطعاً عن سائر الناس، قائلاً لطارق الوسواس: [الطويل]

ونفسك أكرم عن أمور كثيرة
 فما لك نفس غيرها تستعيرها
 ولم أر في عصره من يضاهيه، إلا الشمس وهيئات لها نيل معاليه، وإن لم يكن
 لها ثانياً، ولا سميراً في السماء مدانياً. فله ذره ما أعرفه بالزمان، وأقدره على الأثر
 بالوحدة وتترك الإخوان. كما قلت: [الخفيف]

لا تلمني على انفرادي وحببي
 علمتني الأيام مذ كنت حملاً
 وخذتي واعتزال أطماع وهمي
 خلوة الأزيعين في بطن أمي
 لا زالت سحب الرحمة تخذوها له الصبا والجنوب، حتى تشق على ثرى جدته
 غر السحاب الجيوب. أمين.

٩٣- عبد الرحيم العباسي

أنا وإن لم أره، فهو لقرب عهده سمعت خبره.
 حسيب طرز كم المجد، وأعار رقة شمانله نسمات نجد.
 أنجبته أم الفضل كريم الحسب سعيداً، فأبى أن يكون على الفضائل إلا مأموناً
 ورشيداً.

وله رايات فضل عليّة، تعممت الأقلام بسواد أنقاسها العباسيّة، وكتائب ثناء
 تعطرت الكتب بنفحاته القدسيّة.

طفع سُكراً بشمولها فم الكاس، وابتسم فرحاً بها كل زمان عباس. [الكامل]

وإذا أردت مديح قوم لم تَمِنُ في مدحهم فامدح بني العباس
فنسبه ناهيك به من نسب، وعزف معارفه إذا رآه الروض نادى عليه: أصبح
الورد عجب.

ابن عم النبي واللابس الفخرين من ثوره ومن بزهايه. ولما ارتحل إلى الروم وبها
بقية من الأعيان، أجله علماؤها لِمَا رواه به من نوادر الزمان. وكان المولى عبد الباقي
عينة لطفه، وظرفاً ترشح منه رشحات ظرفه. فإنه ممن قد من بُرد الشمال شماله،
وارتضعت أخلاف المزن مع طفل النور خلاله. يقطر منه ماء البراعة، وتثمر بمآثره
أغصان البراعة.

وله تاليف وآثار سطورها سبج إذا رآتها سبحت الأقلام، وكبرت عجباً بها السنة
الخاص والعام. إذا قدم معناها على الأسماع، برزت لاستقباله طلائع الأفهام. وتسجد
الأبصار لروائه، وتخضع الرقاب لزهوه وحسن بهائه. ولم أر من آثاره غير «معاهد
التنصيص»، في شرح «شواهد التلخيص»، وسمعت له «شرحاً على البخاري». ورأيت
له شعراً وإنشاء ومدائح في المولى المحقق سعدي. فمما روينا من شعره قوله:
[مخلع البسيط]

أزغشني الدهر أي رَغَشِ
قد كنت أمشي ولست أعينى
وقوله أيضاً: [الكامل]

وكنت ذا قوّة وبَطَشِ
فصرت أعينى ولست أمشي
صاروا كمثل حبابنا في الكاس
كاللؤلؤ المتناسق الأجناس
شيئاً وصار رجاؤهم كالياس
وقوله أيضاً: [السريع]

جوعاً وإن كان بديع الزمان
يا قلما تجتمع الضرتان
من ينبغ بالفضل معاشاً يمت
تبغي الحجى ثم تروم الغنى
وله أيضاً: [البسيط]

وقرقت طعم ذاك الريق أم ضرب
أو وجنة بدم العشاق تختضب
ألؤلؤ نظم هذا الثغر أم حَبَب
وما أراه بصحن الخد وردها
وله أيضاً: [الرملي]

غير قلبي فهو يدري ودّه
فكذا أعلم ما عندي له
لست عن ود صديقي سائلاً
فكما أعلم ما عندي له
وله أيضاً: [السريع]

لم يستطع يومضني ومضاً
وكان لي من ذلك أرضاً

يل فيه السيوف أضحت نجومًا
ن بُغاة الحروب عادت رجومًا

وبين يديه أشخاص لئام
فقلت له متى كسد السلام

عمّا خفي من عينيه
فلا تسأل عن ثوبه

ولا تسأل الشهد عن نخله

ولا تسألن عن المبقلة

وأمثاله كثيرة، كما بيّناها في غير هذا الكتاب.

فعاملهم بفعل يستطاب
غريب الدار تنبّحه الكلاب

وهذا إشارة إلى ما جرّت به العادة من نبح الكلاب على من لم تعرف، وكذلك أيضاً تنبح على الفقراء.

وفي «أنس الحكمة» للزندوسي: الكلب ينبع على الفقير دون الغني، لأنه من جنسه، ولأنه يرجو منه المواساة، بخلاف الفقير، ولذا قال الشاعر: [الكامل]

ذلت لديه وحزكت أذناها
هزّت عليه وكشرت أنيابها

وأعظم قذراً به الجاهل
أحسبني أنني فاضل

ولما سمعه البدر الغزّي أجابه بقوله: [المتقارب]

ويا فاضلاً دونه الفاضل

لو كان ذا الكاشح في بلدتي
وكنت في العز سماء له
وله أيضاً: [الخفيف]

يعقد النّقع فوقها سحبا كالد
ومتى ما رأث سواد شياطين
وله أيضاً: [الوافر]

رأيت لئيم قوم في ممر
فسلم من جهالته ابتداء
وله أيضاً: [م.الرجز]

حال المقل ناطق
فإن رأيت عارياً
وهذا كقول الحريري: [المتقارب]

فكل ما خلا حين تؤتى به
وقول الآخر: [المتقارب]

كل البقل من حيث تؤتى به
وأمثاله كثيرة، كما بيّناها في غير هذا الكتاب.

وله أيضاً: [الوافر]

إذا ما كنت في قوم غريباً
ولا تحزن إذا فاهوا بفخس

وهذا إشارة إلى ما جرّت به العادة من نبح الكلاب على من لم تعرف، وكذلك أيضاً تنبح على الفقراء.

وفي «أنس الحكمة» للزندوسي: الكلب ينبع على الفقير دون الغني، لأنه من جنسه، ولأنه يرجو منه المواساة، بخلاف الفقير، ولذا قال الشاعر: [الكامل]

حتى الكلاب إذا رأث ذا بزة
وإذا رأث يوماً فقيراً عارياً
وقوله أيضاً: [المتقارب]

أرى الدهر يكرم جهاله
وأنظر حظي به ناقصاً

ولما سمعه البدر الغزّي أجابه بقوله: [المتقارب]

أعبد الرحيم سليل الملا

أَتَغْتِيبُ دَهْرًا غَدًا مُوقِنًا بأنك في أهله الفاضل
 وقرأت في ديوان الزمخشري: [الطويل]
 فلا تَرَضْ يا صدرَ الكفاةِ بأن ترى
 وإلا فوَقَّعْ للزمانِ فإنه
 وللدَّبَّاسِي البغدادي: [السريع]
 إني رأيتُ الدهرَ في صَرَفِهِ
 فما رأيتُ نائلاً ثروةً
 ولمَجِيرِ الدين بن تميم: [الكامل]
 الدهرُ عندي لا محالةٌ أحولُ
 يرنو ليلحظَ فاضلاً فيرُدُّه
 وللباخريزي: [الرملي]
 كيف لا يمسِكُ عني بَرَقَهُ
 ساءني الدهرُ لأنني عاقلُ
 وأجاد القائل: [الطويل]
 وما لي لدى دَهْرِي ذنوبٌ أَعُدُّها
 وإنني منه تُبِتُ توبَةَ نادِمِ
 وفي معناه قول المَنجَنِيقي: [السريع]
 إن كان ذنبي أنني شاعرُ
 وقال أبو تمام: [الطويل]
 ينالُ الفتى من دهرِه وهو جاهلُ
 ولو كانت الأرزاقُ تأتي على الحِجِّي
 وما أَلطف قول الوزير ابن زَيْدون، وقد سُجِنَ: [البيسط]
 لم تَطوِ بُرْدَ شِبابِي كَبْرَةً وأرى
 قبلَ الثلاثين إذ عهدُ الصِّبا كَثَبُ
 أيهنيءُ الشامِتِ المرتاحِ خاطِرُه
 هل الرياحُ بنجمِ الأرضِ عاصِفَةٌ
 إن طال في السجنِ إيداعي فلا عجبُ
 وله أيضاً: [الخفيف]
 أما ترى البدرَ إن تأملتِ والشمسَ هـما يُكسِفانِ دونِ النجومِ
 وهو الدهرُ ليس ينفكُ ينحوُ بالمُصابِ العظيمِ نحوَ العظيمِ

٩٤- سراج الدين عمر الفارسكوري

فاضل قلّد جيد دهره من فضائله بحليّتها، ونظم عقد محاسنه في صدر نديّها. جنى من ثمرات العلوم الرياضيّة فواكه ذاقتهما الأفهام، واجتنى من رياضها أنواراً لم تبرز من الأكمام، واجتلى أبقارها وعرفها وهي حور مقصورات في الخيام. فملك من ذلك الفن خمائله ورياضه، وراض في مضمارها جواد فكره أحسن رياضة. وكثيراً ما كنت أستشيق عرّف خبره، وأتحلى من الشقة الفارسكورية رقيق خبره. فتكرّر من كماله ما ثنى الإعجاب وعطفه، وحقّق أنّ عمر علم في العدل والمعرفة. وأنه مفرد لا يُثنى، وقد نال من الفضل ما تمّنى. ورأيت له من الآثار، ما لم يسمح به الفلك الدوار. فكم دار عليه، فما رأى له مثلاً لديه. ككتابه «ناشئة الليل»، و«نظم

الارتشاف»، وغيره مما قطعت دونه توابع الأوصاف. وله شعر، منه قوله: [الرجز]

شكل اشتياقي ما له من حد
وامتد خط الدمع من محاجري
وهيئة الجسم اضمحلت منذ نأى
وضاق صدري خرجاً لما اشتدا
وأصبحت كرات حظي مركزاً
ومن قسي الهجر كم من أسهم
والزمن القطاع قد ألف ما

ونقطة الصبر محاها وجددي
بلا تناء فوق سطح الخد
وانحصرت حباتها بالبغد
رث حركاتي حول قطب الضد
مُسكناً في وسط جزم الجهد
نخوي ما شقت جيوب وجددي
بين محاجري وبين الشهد

واعلم أن استعمال ألفاظ اصطلاح عليها أرباب العلوم كما هنا، قالوا: إنه مما يُخل بالفصاحة، لأنها كالغريب بالنسب، أو ضعيف التأليف. ولعلهم أرادوا الإكثار منها، كقول الجاحظ على لسان طيب: [الخفيف]

شرب الوصل دسّيج الهجر فاستطلق بطن الوصال بالإسهال^(١)
ورماني جبّي بقولنج بين جالشوش منه بأكسف بن^(٢)
وابن هذا بيني وبينه مودة وصدقة. وهو:

٩٤- عمر بن محمد بن أبي بكر المصري الشهير بالفارسكوري العلامة الأديب المفسر. كان شافعي المذهب، وله من التأليف ما لم يسمع بمثله الفلك الدوار، منها كتاب ناشئة الليل، ونظم الارتشاف، ورسائل شتى في علم الهيئة، ونظم القطر في علم النحو وسماه بالنبات وجعل أبياته على عدد لفظه، وله كتاب جوامع الإعراب وهوامع الآداب في العربية أيضاً نظم فيه جمع الجوامع وشرحه مع الهوامع للسيوطي، وله غير ذلك. وكانت وفاته سنة ثمان عشرة وألف بدمياط، وحمل إلى بلده فارسكور فدفن بها. خلاصة الأثر (٢٢١/٣).

(١) الدسّيج: إناه يحمل باليد. معجم المعربات الفارسية، مادة /دست/.
(٢) القولنج: مرض معوي مؤلم يعسر معه خروج شيء. القاموس المحيط، مادة /القولنج/.

٩٥- تقي الدين بن عمر الفارسكوري

فاضلٌ عريق، وأديبٌ في بحار آدابه حاسدهُ غريق. له خُلُقٌ خَلِيقٌ بالألطف، وفضلٌ تُقَطَعُ دونه التُّعوثُ والأوصاف. [الخفيف] ونُهَيَّ غادرت ضمير القراطيد س مُصِيخاً لألسن الأقاليم وهو بالروم صديقي، وفي العُرْبَةِ القَارِظِيَّةِ رفيقي. فكم دار بيني وبينه رَجِيقٌ مُدَامَةٌ من الكدَرِ صَفَا. [الكامل]

فحكى النَّسِيمَ لَطَافَةً لَمَّا سَرَى

وحدِيث: [الكامل]

كتحدُّثِ المَاءِ الزُّلَالِ إِذَا صَفَا فَجَرَى النَّسِيمُ عَلَيْهِ يَسْمَعُ مَا جَرَى
وللأَمَلِ فِيهِ عِدَاتٌ يُرْجَى وَفَاؤُهَا، وَلَهُ عَلَى الدَّهْرِ دِيُونٌ بَيِّنَةٌ يَحِقُّ أَدَاؤُهَا. وَمِمَّا
أَنشَدَنِي لَوَالِدِهِ قَوْلَهُ: [الطويل]

إِذَا كَانَتِ الْأَفْلَاكُ وَهِيَ مُجِيطَةٌ عَلَيْنَا قِسِيًّا وَالسُّهَامُ الْمَصَائِبُ
وَرَامِيهَا الْبَارِي فَأَيْنَ فِرَازُنَا وَسَهْمٌ رَمَاهُ اللَّهُ لَا شَكَّ صَائِبُ
وَكَانَ إِنْشَادُهُ لِي لَمَّا تَذَاكُرْنَا أُمُورَ الدَّهْرِ وَتَصَدَّرَهُ الْجَهْلَةُ. وَأَنشَدْتُهُ قَوْلَ الشَّرِيفِ
الرَّضِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: [البيسط]

أَمَّا تُحَرِّكُ لِلْأَقْدَارِ نَابِضَةً أَمَّا يُغَيِّرُ سُلْطَانَ وَلَا مَلِكُ
قَدْ هَادَنَ الدَّهْرُ حَتَّى لَا قِرَاعَ لَهُ وَأَطْرَقَ الْخَطْبُ حَتَّى مَا بِهِ حَرَكُ
كُلُّ يَفُوتُ الرَّزَايَا أَنْ يَقَعْنَ بِهِ أَمَّا لِأَيْدِي الْمَنَائِيَا فِيهِمْ دَرَكُ
أَقْصَرَ الدَّهْرُ عَجْزاً عَنْ لِحَاقِهِمْ وَأَيْنَ أَيْنَ ذَمِيلُ الدَّهْرِ وَالرَّتْكَ
أَخَلَّتِ السَّبْعَةُ الْعَلِيَا طَرَائِقَهَا أَمِ أَخْطَأَتْ نَهَجَهَا أَمْ سُمِّرَ الْفَلَكُ
وَقَلْتُ أَنَا فِي ذَلِكَ: [الوافر]

مُدَافِعُ بِالنَّجُومِ وَبِالصَّوَاعِقِ بُرُوجٌ أُرْسِلَتْ مِنْهَا شَوَاهِقُ
مُصِيبَاتٍ تَخِرُّ عَلَى الْأَعَادِي تُزْمَجِرُ بِالرُّعُودِ وَبِالْبُورِقِ

٩٥- محمد بن عمر بن محمد بن أبي بكر الملقب تقي الدين قاضي القضاة. الفارسكوري، المصري المولد، نزيل قسطنطينية. وكان وهو بمصر اتصل بخدمة قاضيها شيخ الإسلام يحيى ابن زكريا، وتوجه بخدمته إلى الديار الرومية وأقام بها ولازم على قاعدتهم ودرس. وكان عارفاً بكثير من الفنون كثير الاطلاع، وجمع مدائح أستاذه هذا التي مدح بها في بلاد العرب أيام قضااته بحلب ودمشق ومصر.

وكانت وفاته بدمشق وهو مار إلى القدس سنة سبع وخمسين وألف، ودفن بمقبرة باب الصغير بالقرب من بلال الحبشي رضي الله تعالى عنه. خلاصة الأثر (٨٢/٤).

من الأفلاك ما عنهن عائق
قسي قرطست هدف الخلائق
أصابها تُشير إلى البوائق
قلوباً قد غدت في فتر خافق
حصون ذال الرجاء لهن طارق
وإن أمسى من الظلمات غاسق

وعدله كاد يُنسى عنده عمر

إني على الحالين العنبر العطر
به حياتي إذا ما شابه كدر
لظاه هل أنا ياقوت أم الحجر

حتى نراك ومن أنصارك القدر

وما نسيم الصبا والتد إن نسما

حاشا شقائقها أن لا تكون جمى
عن ساجتي لو يكون الشيب والنهرما

هواي وعن ذي الخال لست بتائب
وتجفوبلا ذنب ذوات الذوائب
عضاض الأفاعي نام فوق العقارب

ودارت دائرات قد أحاطت
ومن كل الجوانب راميات
قسي في الركوع له سهام
ستدرك هذه الأوتار منها
فلا تينأس ستفتح عن قريب
وسهم الله لا يُخطي بليل
وأشدني له قصيدة، مطلعها: [البيط]

يامن محياء يستسقى به المطر
ومنها:

إن كنت تبغي بنار الهجر تجربتي
وأهجر الماء إن كانت معلقة
وسوف يُنيك عن صبري جفاك على
ومنها:

أراك دهري ما منه تؤمله
وأشدني له من أخرى: [البيط]
ما الدر في حقة الياقوت إن بسما
ومنها:

ما شق سرح عذار روض وجنته
فلو سواك غزاني كنت تمنعه
ومما أنشدني قوله مضمناً: [الطويل]

تقول سليمان بعد ما بنت ثبت عن
تواصل واوات بخد معذر
إليك فإني لست ممن إذا اتقى

٩٦ - محمد بن أحمد الحتاتي

ريحانة النذمان، وفاكهة الخلطاء والإخوان، وفاكهة الظرفاء وهدية الزمان.

٩٦- محمد بن أحمد المعروف بالحتاتي المصري، الأديب، الشاعر، الكاتب، المشهور. كان من أعيان الفضلاء وبلغاه الشعراء، وله شعر رقيق في نهاية الحسن والجودة، وكان طريف الطبع، خليعاً، طروباً، وله في الطب باع طويل أخذ عن علماء مصر ثم دخل الروم، وأقام بها مدة طويلة، وولي قضاء أسيوط والجيزة في نواحي مصر. وكانت وفاته بالجيزة وهو قاض بها في سنة إحدى وخمسين وألف. خلاصة الأثر (٣/٣٦٦).

مَهْرٌ فِي الْفُنُونِ، فَأَتَى بِمَا تَلَدُّ بِهِ الْأَسْمَاعُ وَتَقَرُّ بِهِ الْعْيُونُ .
لَا سِيَّامًا فِي الطَّبِّ وَالْحِكْمَةِ، فَإِنَّهُ كَانَ فِيهِمَا ذَا هِمَّةٍ .
وَلَمَّا غَلَبَ عَلَيْهِ الْهَوَى، سَقَطَ نَجْمُهُ مِنْ أَفْقِ السَّعَادَةِ وَهَوَى .
فَلَمْ يَتَنَّبَهُ حَظُّهُ بِغَيْرِ قَهْقَهَةِ الْقَنَانِيِّ، وَدَغْدَغَةِ الْمَثَالِثِ وَالْمَثَانِيِّ .
إِلَّا أَنْ لَهُ شِعْرًا يُحِطُّ قَدْرَ الْحُطَيْثَةِ، وَيَبْلُدُ لَيْدًا .

وَذَهْنًا يَدَعُ إِيَّاسَ، مِنْ الذِّكَاةِ فِي إِيَّاسِ .
وَبَدِيهَةً بَدِيْعَةً، كَأَنَّ لَهَا عَلَى كَمِيْنِ الْغَيْبِ طَلِيْعَةً .
وَقَدْ كَانَ كَثِيْرًا مَا يَسَامِرُنِي فَيُنْشِدُنِي مِنْ أَشْعَارِهِ، وَيُنْثِرُ فِي نَادِي الْأَدَبِ فِرَائِدَ نِثَارِهِ .

فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ مِنْ قَصِيْدَةٍ: [الكامل]

نَعْمَ أَتَيْتَكَ فَلَا خِضَابَ الْمَوْعِدِ
جَاءَتْكَ تَدْرَعُ السُّعُودِ كَأَنَّهَا
وَقَوْلُهُ أَيْضًا: [البيسط]

فَكَمْ لِيَالٍ كَسَتْ بَدْرَ الدُّجَى شَرْفًا
أَبْدَى لَنَا ضَوْءَهُ لُحْفًا بَطَائِنُهَا
وَيَقْرُبُ مِنْ هَذَا قَوْلُ بَعْضِ الْمَغَارِبَةِ: [الطويل]

وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا الْهَنَاءُ فِرَاشُ
مِصَابِيْحٍ يَهْوِي نَحْوَهُنَّ فِرَاشُ
وَقَوْلُهُ أَيْضًا: [الوافر]

أَجَلَّ اللَّهُ أَعْطَافَ الْحَبِيْبِ
وَأَنْبَتَ وَزَدَهَا غَضًّا طَرِيًّا
وَلَا زَالَتْ شَمَائِلُهُ نَشَاوَى
وَعَطَفَهَا نَسِيْمُ الشُّوقِ حَتَّى
وَرَوَى أَرْضَهَا سَحْرًا مَطِيْرًا
وَقَوْلُهُ: [السريع]

عُمُرُ الْفَتَى قَالُوا زَمَانُ الرُّضَى
صَدَّقْتُ مَا قَالُوهُ كِي يُقْبِلُوا
وَهَذَا كَقَوْلِ الْأَمِيرِ أَسَامَةَ بْنِ مُنْقِذٍ: [الكامل]

وَأَخُو الْمَشِيْبِ يَحَارُ تُمَّتَ يَهْتَدِي
صَبْحُ الْمَشِيْبِ عَلَى الطَّرِيْقِ الْأَقْصَدِ
زَمَنَ الْهَمُومِ فِتْلِكَ سَاعَةً مَوْلِدِي
وَأِذَا عَدَدْتَ سِنِيَّ ثُمَّ نَقَضْتَهَا

وللأمير أبي فراس الحمداني: [الرجز]
 ما العمرُ ما طالت به الدهورُ
 أيامُ عِزِّي ونَفْذُ أمْري
 لو شئتُ ممَّا قد قَلَلنَ جدًّا
 وفي هذا أقول: [الطويل]
 يقولون أوقاتُ السرورِ قصيرةٌ
 فمن كان بالهمِّ المُبرِحِ لأبشاً
 وللأمير أسامة بن مُنقذ أيضاً: [الكامل]
 لا تحسِدنَّ على البقاءِ مُعمراً
 وإذا دعوتُ بطولِ عمرٍ لأمرئٍ
 ومن بيوت العلم بالقاهرة العَلاقِمَةُ. فمنهم:
 وأوقاتُ عمرِ الغمِّ قد رُزقتُ طولاً
 يظنُّ بأن العمرَ صار طويلاً
 فالموتُ أيسرُ ما يؤولُ إليه
 فاعلمُ بأنك قد دعوتُ عليه

٩٧ ، ٩٨ - شيخنا العلامة إبراهيم العلقمي

وأخوه شمس الملة والدين

أما الشمسُ صاحب «الكوكب المنير في شرح الجامع الصغير» فشيخ الحديث في القديم والحديث .
 لم تزلْ سحبُ إفادته في رياض الفضل ذوارف، حتى صار وهو العنم المفرد من أعراف المعارف. فهو هُضبة مجد، وفي الثقي جوهراً فزود.
 قد تحلّى بخدمة الجلال الشيوطي كمالاً، ورقى إلى سماء المعالي فازداد جلالاً.
 وأما إبراهيم فللفضل خليل، وطبعه لطفاً يخكيه النسيم لولا أنه عنيل. لارمت القراءة عليه في إبان الطلب، واجتثيت ثمراته الجنية من كذب. فتبرجت لي عرائس معانيه، وتحلّت لي على منضة الكرم معاليه.
 ولعُمري إنه زوخ فضل حلت في جثمان غلاه، وسماء منقبت تربت بكونك هدايته وخلاه. لا زالت تهمني على جدته عيون الغمام، كما حيتته حسن الحور ضاحكة المباسم. ومما مدحته به، لما حضرت عنده وهو يقني: التوافراً
 أنادرة الزمان بقيت أنعم
 زمانك كله أمسى ربيعاً
 فما بال الفتاوى في انتشار
 وله كتاب «تهذيب الروضة للنووي»، سمعته منه بقراءة الفاضل الشيخ منصور الطبلاوي.
 بإصفاء إلى العبد الضعيف
 خصيب الفضل ذا ظل وريف
 ببابك نشر أوراق الخريف

٩٩ - أحمد بن علي العلقمي

نزيلُ الخانقاه السُّرياقوسية.

شمسٌ تنجلي به الأبصارُ والبصائرُ، وإن كان وجهُ الشمسِ يُغشي ناظرَ الناظر.
وروضُ فضله نُضيرُ، وما له في سعةِ الحفظِ نظيرُ.
ومع ذلك لم يُعرفِ أستاذُه، ولم يَخْتِجِ سيفُ ذهنه إلى أن يشخذ فُولادُه.
وله طبعٌ بالصلاحِ زاهٍ زاهدٌ، ونقْدُ فكرٍ لم يصرفِ نُضارَه نقْدُ ناقدِ.
وشعرُه مُدامُ الطلِّ في كأسِ الزَّهرِ، وحُلُلُ الرِّبيعِ المنسوجةُ بأناملِ المطرِ. [الطويل]
يُمَدُّ على الآفاقِ بيضَ خيوطِه فينسيجُ منها للثَّرى حُلَّةَ خَضْرَا
وكان في إقبالِ عُمرِه لمعرفتِه بمكرِ دهرِه - فإن الشَّهواتِ أجرة تُستخدمُ بها
النفوسُ في عِمارةِ عالمِ الطبيعة لتذهلَ عما يلزمها من التَّعبِ ويلحقها من الكلامِ كما
قال ابن التُّلميذ الحكيم - اعتزلَ الناسِ، وارْتضى من سفرِ الحياةِ بَعْنيمَةَ اليأسِ.
فلذا جعل الخانقاه السُّرياقوسيةَ مَألفَ سكنه، ومراتعَ آماله ومرابعَ وطره ووطنه.
ثم انتقل إلى مصر فدرَّس بها وأفاد، وترنَّمتُ وُزُقُ فصاحتِه بدوِّجها الميالِ الميَّادِ.
ثم اختار جوارَ بيتِ الله المُعظَّمِ، وظفرَ من كيمياءِ السعادةِ بالحجرِ المُكرَّمِ.
وقد طُفَّتْ بكعبةِ فضله في ذلك المقامِ، ووردتْ صفاءَ موارده بالصِّفا والمقامِ.

[الرملي]

وملأْتُ السَّمعَ منه كلما يحسِدُ القلبُ عليه الأذنا
وعَقيبُ ذلك الاجتماعِ، طافت به المنيَّةُ طوافِ الوداعِ.
فانتقل لجوارِ الرحمنِ، واستوطن قُصورَ الجنانِ.
فجرَّعنا فراقه غُصصاً علقَمِيَّةً، وما جُرِّدَ من لبائِه حتى تردَّى حُلَلُ المغفرةِ
السُّندسيةِ.

لا زال يسقى رَبَّعَه، ويزوي مَضَجَعَه: [الطويل]


سحابٌ حكى ثُكَلَى أُصِيبَتْ بواحدٍ فعاجتْ له نحو الرِّياضِ على قَبْرِ
ومما أنشدنيهِ من شعره قوله من قصيدة: [المتقارب]
بأبصارنا وجهك المذهبُ يكاد سنا بزقه يذهبُ
وأشواقنا فيك لا تنقضي وشمسُ جمالك لا تغربُ
وحُبُّك في الماءِ مُستودعٌ وأشربُه كلُّ مَنْ يشربُ
وفي كلِّ قلبٍ وعَيْنٍ به مُشيراً لك المنزلُ الأزحَبُ
وذاتك جنةُ أهلِ النُّهى ونفسك عُصْرها طيبُ
فمن غيرِ نطقك لا نُشتفي ومن غيرِ ذاتك لا نُطربُ

وكم لك من رُتَبٍ في العِلا
وله من أخرى: [الرمل]
مُدَّ نَسِيمُ الصَّبَا عَلَى الرَّئِدِ هَبًّا
هَزَّ غُضْنَ القَوَامِ فَاهْتَزَّتْ حَتَّى
وَرَوَى عَنْ عَرِيبٍ نَجْدٍ حَدِيثًا
وَرَكِبْنَا سَفِينَةَ الصَّبْرِ لَمَّا
وَقَتَلْنَا غَلَامًا مَن عَاقَنَا عَنْ
وَأَقَمْنَا جِدَارًا وَجَدِ قَدِيمٍ
تَعَالَى العُلَا إِذْ لَهَا يُنْسَبُ
سَحْرًا نَبَّهَ الفَوَادَ وَنَبًّا
مَالِ شَوْقًا إِلَيْهِ شَرْقًا وَغَرْبًا
فَدَعَا قَلْبَ مَنْ يَحِبُّ قَلْبِي
حَالِ وَجْهَ دُونَ السَّفِينَةِ غَضْبًا
سَيَّرْنَا نَحْوَهُمْ فَأُورِثَ قُرْبًا
بَعْدَ مَا انْقَضَ أَوْ أَرَادَ فَأَزْبَى

١٠٠ - شمس الدين البصير

ضريّر كأنّ الله أراد ألا ينظر إلا إلى جنانه، فأغمد صارم طرّفه في قراب أجفانه:
[مخلع البسيط]

والله ما في الزمان شيء
تأسى على فقده العيون
ذكيّ لوذعني، فطنّ ألمعي.

عُجِنَتْ طَبِئْتُهُ بِمَاءِ المَعَارِفِ، وَتَاخَتْ طَبِيعَتُهُ مَعَ العَوَارِفِ.
وَكَانَ فِي غِرَّةِ العَمْرِ رَفِيقِي، وَفِي رَوْضِ التَّخْصِيلِ شَقِيقِي.
إِلَى أَنْ اخْتَرَمْتَهُ فِي شِبَابِهِ يَدُ الأَجْلِ، فَقَطَعْتَ شَمْسُ عَمْرِهِ مَنطِقَةَ الأَمَلِ.
وَغَابَتْ فِي عَيْنِ حَمِيَّةٍ مِنْ قَبْرِهِ، حَتَّى بَكَى الأفقُ دَمًا عَلَى أثرِهِ.
فَكَانَ الدَّهْرُ الحَسُودَ لَمَّا رَأَاهُ جَمَعَ الكَمَالَ جَمْعًا جَمًّا ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾  أَنْ جَاءَهُ
الأَعْمَى ﴿[عبس: ١-٢].

وكان يسكن الخانقاه وللفضل فيه أمانى، وطرف الكمال إليه يراني.
إلى أن آذنت شمسُه بالزوال وغربت بعد ما طلعت من مشرق الإقبال.
فمن شمس معانيه، المشرقة من منازل مبانيه، قوله: [المنسرح]

بين حروب العيون والمُهَجِ
لا حُلْتُ وَاللَّهِ أَوْ أَقْطَعُ عَنْ
مُكْحَلِ النَّاظِرِينَ ذِي حَوْرِ
أَمْسَيْتُ مِنْ مَحْنَتِي عَلَيْهِ وَمِنْ
لَا أَنْتَهِيَ عَنْ تَهْتِكِي أَبَدًا
دَمْعِي جَرَى عِنْدَمَا مِنَ الوَهَجِ
رِيمٍ مِنَ الشَّرْكَ كَيْسٍ غَنَجِ
مُضْرَجِ الوَجْنَتَيْنِ ذِي بَلَجِ
دَمْعِي بَيْنَ اللُّجَاجِ وَاللُّجَجِ
لَيْسَ عَلَى المُسْتَهَامِ مِنْ حَرَجِ

قلت: ولا على الأعمى حرج.
وأنشدني له أيضاً: [الرمل]

قلتُ لما أراد مسكاً وخبراً
لك والله نكهة في رُضابٍ
وهذا كقول ابن نباتة المصري: [الرملي]
لا تخف عيلة ولا تخش فقراً
لك عين وقامة في البرايا
ومما أنشدنيه أيضاً قوله: [البيسط]
أحبب به قارئاً أمسى له نغم
يا حسنة من مليح راق مبسمه
وهو كقول الفيومي: [البيسط]
نسيم من ديار الخيل هب على
يزوي أطيب نشر من دياركم

ذو دلالٍ وأغيين سحارة
تلك عطاره وذي خمارة
يا كثير المحاسن المختالة
تلك غزالة وذي فتالة
أحلى وأملح من ضرب النواقيس
لكنه قارئ يزوي عن السوسي
موتى الفراق يحاكي التفخ في الصور
ما أحسن النشر إذ يزوي عن الدوري

١٠١ - عبد الله الدنوشري

جامع التقرير والتحرير، الرافي إلى ربوة المجد الخطير.
تأليفه عقائل أصبح الدهر من خطابها، وآثاره تشوق الأسماع إلى فواكه آدابها.
طالما جلاها علي، وأهدى باكورتها إلي
إلا أنه كان يعد الشعر سهلاً، ويمزج بالجد منه هزلاً.
فهو في سماء الفضائل تحسد النجوم سناه، وأنى لها أن تُشايه علو مجده وعلياه.
وهي تخفى عند الصباح وهذا ظاهر في صباحه والمساء
وكان بيني وبينه مودة وصدقة، وعلاقة محبة حقيقة لا تحتاج لعلاقة.
كثيراً ما يُجاملني بالمطايبة، ويُخفني بالمكاتبه.
وهو جوهر نفيس في خزائن القبول، وسر مكتوم مستتر في ضمائر الخمول.
ويعرض علي تأليف له مفيدة، ويُشدني من أشعاره ما عنه القرائح بعيدة.
كقوله: [الوافر]

أرى في مصر أقواماً لئاماً وهُم ما بين ذي جهل ونذل

١٠١ - عبد الله بن عبد الرحمن بن علي بن محمد الدنوشري الشافعي، كان لغويًا نحويًا حسن التقرير باهر التحرير. ولد بمصر وبها نشأ وأخذ عن الشمس الرملي والشهاب بن قاسم العبادي والشمس محمد العلقمي وغيرهم. وتصدر بجامع الأزهر وأقرأ العربية وغيرها من العلوم وانتفع به جماعة أجلاء منهم: الشمس البابلي والنور الشبياملسي وغيرهما. وألف تأليف كثيرة في النحو منها: حاشية على شرح التوضيح للشيخ خالد، وله رسائل وتعليقات. ورحل إلى الروم وأقام بها مدة ثم عاد إلى القاهرة ورأس بها وبلغت شهرته حد التواتر. وكانت وفاته بمصر سنة خمس وعشرين وألف. خلاصة الأثر (٥٣/٣).

وعيشهم بجبن وهو مقلبي

شجاعتهم بألسنة جداد

وفي معناه قول الآخر: [الطويل]

دعوني فإني أكل الخبز بالجبن

أقول وقد شئوا إلى الحرب غارة

ومما كتبه إليّ، بعد المهجرة من مصر: [الوافر]

وبحر تذاك يا مولاي زابذ

نوالك يا شهاب الدين زائد

وقد عودته أسنى العوائد

تركت العبد لم تنظر إليه

وتأتيه الصلات مع العوائد

متى يأتيه منك جواب كُتب

ويغمد سيف هجرك عنه غامد

ويكحل جفنه ميل التلاقي

نضيد النظم في جيد المحامد

فلا برح الثناء عليك عقداً

وله في موسى قاضي مصر: [الطويل]

تسمى فرعون وكان لنا موسى

لقد كان في مصر الأمينة حاكم

لنا ألف فرعون وليس لنا موسى

وفي عصرنا هذا لقلّة قسمنا

ومما اتفق لي في نظيره قولي: [السريع]

جرحك بالمزهم لا يوسى

يا من أذل النفس من جرّصه

أعطيت فرعون عصا موسى

لا تلم الناس فأنت الذي

وركب ثوراً بعض الشهود تشهيراً له، فكتب له: [السريع]

جرّست بالظلم وبالجزر

إن ركبوك الثور في مصر إذ

فالناس والدنيا على ثور

فاصبر ولا تحزن لِمَا قد جرى

قلت: وعلى ذكر فرعون، فقد ورد في

فرعون، وقد كفر بك؟ فقال: إنه كان سهل

مناجاة موسى أنه قال: يا رب لم أمهنت

الحجاب، فأحييت أن أكافئه على ذلك

في الدنيا. وقد قلت أنا: [السريع]

حكّم فينا بخلاف الصواب

في مصر جبار علينا اغتدى

لم يخكه إذ كان سهل الحجاب

إن كان فرعون فما باله

وله شعر كثير، لم يعلق بسّمي منه إلا اليسير، وقد عرفت أن خير الكلام ما

دعا بلفظه الأسماع إلى حفظه.

أرجأ ويؤكل في الضمير ويشرب

يستبسط الروح اللطيف نسيمة

١٠٢ - عبد الواحد الرشيدي

شيخ عده بعضهم حسنة بها ذنب الزمان غفر، وأصبح به الدهر عما قدم من

إساءته يعتذر.

وعندي أن عذره أقبح من ذنبه، وتوبته لا أراها مقبولة عند ربه. [الكامل]
والشوك يعمل في ثيابي مثلما عمل الهجاء بعرض عبد الواحد

فمن لؤلؤه الرطب، ورشح قلمه العذب، قوله: [م. الخفيف]
قلت للنائب الذي لست عندي بنائب
وهذا كقول الآخر: [المتقارب]

وقاض لنا حكمه باطل فياليت له لم يكن قاضياً
وأحكام زوجته ماضية وباليته كانت القاضية
ولالأرجاني: [م. الكامل]

ومن الثوائب أنني ومن العجائب أن لي
في مثل هذا الأمر نائب صبراً على هذي العجائب
وأشدني له بعضهم: [البيط]

لا تحسبن أن هجوي فيك مكرمة لكن أجرب طبعي فيك فهو كما
شغري بهجو لئيم قط ما سمحا جرئت في الكلب سيفاً عندما تبحا
وهو كقول الآخر: [الوافر]

هجوئك لا لأنك أهل هجو وليس يضر شفرة لهذمي
ولكن كي أجرب فيك سبي إذا ما جرئت في جلد كلب
وكان مع أنه بزّي أهل الصلاح، تصدر عنه كلمات سخيفة قباح.

كما أشدني له بعضهم في رشيد وكثرة أمطارها: [الرمل]
كل قطر عند من يدري محاذ فلئن صح مقال الناس ذا
فرشيد تحت سنداس الفلك وسنداس: لفظة عامية، معناها بيت الخلاء.

وهذا: مع سخافته، وما فيه من رائحة الكفر الكريهة لما سمعته قلت: لله ذره،
ما أعرفه، لو لم يصدق فيما جرى، لم يخرج منها مثل هذا الخرا.
وأين هذا من قول ابن لؤلؤ الذهبي لما توالث الأمطار: [الرمل]

= عارفاً بعلوم شتى، وكان يستحضر أشياء كثيرة من النوادر. وله من المؤلفات كتاب: نزهة
السامرة في أخبار مصر والقاهرة، ذكر فيه الوزراء الذين تولوا مصر إلى الوزير الأعظم محمد
باشا.

وكانت وفاته بمصر سنة ثلاث وعشرين وألف، ودفن بترية الجلال السيوطي، وبلغ من العمر
مائة فأكثر، والبرجي تبين أنها نسبة لبرج مغيزل. خلاصة الأثر (٩٩/٣).

إن أقام الغيثُ شهراً هكذا جاء بالطوفان والبحر المُحيط
ما هم من قوم نوحٍ يا سَمَا أقلّعي عنهم فهُم من قوم لوط

١٠٣ - رمضان الهويّ

شيخ مهوي أقبح وأخمق من الشيخ المهوي .
طال عمره على الأيام وثقل حتى أقلقها، وليس حُللَ الجديدين حتى أخلقها.
[الخفيف]

وسِخُ الثوبِ والعمامةِ والبرز ذُونِ والوجهِ والقفا والغلام
ذو أخلاقٍ مُجعّدة، وألفاظٍ مخلولةٍ مُبدّدة .
أثقلُ من القهر، وأكثر ذنوباً من الدهر .
وأشأم من طويس^(١)، وأثقلُ على الرّاجي من لا وليس .
يغتني كثيراً بغريب الكلام، والتّصرّف في أنواع الالتزام .
حتى عارض «المقامات الحريّة»، فأضمت الأسماع كلماته الحوشية .
ولم يزل مُبتلى بالفقر لِمَا له من بداءة لسانٍ وقُبْح كلمات، ولقد أنصف الدهرُ في
مقته وللبله إصابات .

فهو على ما به من مكرٍ وكَيْد، كما قال الصاحبُ في أبي زيد: [السريع]
انظر إلى وجه أبي زيد أوحش من حبس ومن قيد
وحوشه ترتع في ثوبه وظفره يركب للصيد
وهو: بلدة بالصعيد، لم يخرج منها نجيب ولا سعيد، وما يسوء الفؤاد إلا هو .

١٠٤ - أحمد بن عبد السلام

رأيتُ والدته وقد أحالت الأيام سبجَه فضة^(٢)، وقد ذبلت بعواصف الهزم رهرة
حياته الغضة .

مُتسماً بسمة الصلاح، قد لبس حُللَ الخلاعة واشترح .
وأما ولده فكان في زرعانِ عمره، يتجر في بضائع شغره .

(١) أشأم من طويس: طويس كزبير، مخنث، كان يسمى طاووساً فلما تحنث تسمى بطويس،
واسمه عيسى بن عبد الله، وكني بأبي عبد المنعم، أول من غنى في الإسلام، ويقال: «أشأم
من طويس» وكان يقول: إن أمي كانت تمشي بالنمائم بين نساء الأنصار، ثم ولدتني في الليلة
التي مات فيها رسول الله ﷺ، وفطمتني يوم مات أبو بكر، وبلغت الحلم يوم مات عمر،
وتزوجت يوم قتل عثمان، وولد لي يوم قتل علي، فمن مثلي؟

(٢) أي تغير لون شعره من السواد إلى البياض .

ثم ارتحل إلى الروم فلبس حِدادَ فقرٍ كاد لابسَه، وابتسمت في وُجوهِ آمالِه ثغورُ
حظّه العابِسة.

إلا أنه مكثار، مُتشدِّق متفهِق ثرثار.

ولعدم تهذيبه، لا تزال أفكاره تهذي به.

وربما عزّت عليه مطالبه، حتى نظم الجزع ثاقبه.

ولم يزل كذلك حتى اجثت دوحته بعد ما سقاها ماء الشباب، وقطعت يدُ

المنون ثمراتها العذاب.

ومن شعره قوله من قصيدة له: [الكامل]

في كل حين يطلعون على ذرا فلك المعالي طالعا مسعودا

لم يمض دون الملك أن ملكوا به ملكا على مرّ الجديد جديدا

تجنى لهم ثمرات هذا الملك إذ غرسوا به لذن القنا أملودا

وثمرات هذه الأغصان، من بدائع المعاني الحسان.

ومما يضاھيه قولُ البُخترِي في السيف: [الكامل]

حملت حمائله القديمة بقله من عهد تبّع غضة لم تذبل

إلا أن هذه بقله حمقاء. والأحسن فيه قول ابن هانئ الأندلسي: [الكامل]

وجنيتم ثمر الوقائع يانعا بالنضير من ورق الحديد الأخضر

ولقد أخذ منه عباءه، وردّ ديباجه.

ومن شعره أيضاً: [الخفيف]

قيل شبه لنا الشقيق وقد كنا نساوى جميعنا بالرحيق

قلت قضب من الزبرجد يحمى بن على الهام أكوساً من عقيق

وهذا من قول غيره في الترجس: [م.الرجز]

أنامل من فضة يخلن كأساً من ذهب

ومن المعاني الغربية فيه أن العجم والروم في ليالي الزينة يصبون في طشت ذهباً،

ويدور به إنسان في الأسواق، يعلنون به الأمان، ويشهرون به عدل السلطان في ذلك

الزمان.

فقال عليّ الباخري في قصيدة له: [الرجز]

إن شئت أن تعرف أن عدله قد فرش الأمن فلاق الترجسا

إذ حمل الطشت من التبر على الر أس فلولا أمنه لاخرسا

والمشهور هنا قول الصنوبري، في قصيدة له: [م.الكامل]

وكان مَحمر الشقيق قِ إذا تصوّب أو تصعد

أغلامٌ ياقوتٌ نُشِيزُ نَ على رِمَاحٍ من زَبَرَجَدِ
وله: [الوافر]

وجوهٌ شقائقِ تَبْدُو وتُخْفِي على قَضْبٍ تَمِيسُ بِهِنَّ ضَعْفًا
إذا طَلَعَتْ أَرْتَكُ الشَّمْسَ تَذُكُو وإنْ غَرِبَتْ أَرْتَكُ الشُّرْحَ تُطْفِي
وللقاضي عياض: [السريع]

انظُرْ إلى الزَّرْعِ وخاماتِهِ تحكي وقد ماسَتْ أمامَ الرِّياحِ
كثيْبَةٌ خَضْرَاءُ مَهْزُومَةٌ شقائقُ النُّعمانِ فيها جِراحِ

ونحوه قول ابن الزُّقاق: [الخفيف]
نُثِرَ الوردُ في الغديرِ وقد درَّجَه بالهُبُوبِ نُشِرَ الرِّياحِ
مثلَ دِرْعِ الكَمِيٍّ مَزَّقَه الطَّفِغُ ن فسالتُ به دماءُ الجِراحِ
ومما قلته هنا: [م.الرجز]

كأسُ الشَّقِيقِ امْتَلأتْ خمرَ نَدَى لِم يُغْضِرِ
كَمِجْمَرٍ من ذهبِ فيه بقايا عُنْبِرِ
أو مِشْعَلٍ يُهْدِي به لِلْهُبُوبِ مَنْ لِم يَشْعُرِ

وهذا أمرٌ استطرذناه قضاءً لحقَّ الآداب، ولولا خوف المثل أريناك هنا من الشجر
الحلال من ثمرات الألباب، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، لتعلم ما من الله به
علينا من الوقوف على كنوز مطالب لم يقف عليها غيرنا.

١٠٥ - محمد بن بدر الدين الزيات

شاعر كان في عُنفوان شبابه، قبل أن تجب عليه زكاة نصابه، يحترف بالزيت
والأسمان من قوم سمنهم في أديمهم، جفانهم مملوءة للوافدين لحريمهم.
من أولاد جفنة، أترع فيها زيتته وسمنه.

حتى ترغت به همته عن ميزان السغر، إلى ميزان الشعر.

والدهر كالميزان يخفض ويرفع، ويعطي من يريد ويمنع.

إلا أنه كان مولعاً بالشرقة ولبص البيت لا يؤمن، فإذا أنشد شعراً قيل له: أحسن
الناس، ولله درُّ من أحسن. [الكامل]

ومن العجائب أنه لا يشتري ويخاف فيه مع الكساد ويُسرقُ

فراقت آدابه، وإن لم تساعد أحسابه.

فكان كما قيل في المثل، كل العسل ولا تسل.

فمما أنشدني قوله في الفاضل العزى: [الطويل]
إلى الفاضل العزى وجّهت مَطْلَبِي لأظفر منه بالذخيرة والكنز
وقالوا تذللّ تبلغ المجد والعلا فقلت لهم قد نلت ذلك بالعزى
وهذا العزى ممن له بيت شرف وفضل بالقاهرة. فمنهم:

١٠٦ - صفى الدين بن محمد العزى

ماجد إذا تليت آيات أوصافه ركع لها القلم وسجد، تفرّد بعُلوّ سنّده في الحديث
فأصبح دار علم بين العلياء والسند.
فحديثه في الفضل مرفوع، وأثر سواه ضعيف ومقطوع.
فلفظه ممّا يستحقّ أن يُرسم بنور البصر، في عنوان صحائف الأذهان والفكر.
وسُكر طبعه المصري مما يحلو مُكرّره ومُعاده، ولم يزل بالقاهرة وثناؤه يتلوه
لسان الدهر ويحفظه فؤاده. وهو أحد شيوخى الذين رويت عنهم «السنن»، وتشرّفت
بلقائه ورويت حديثه الحسن.

فمما أنشدني له في مريح نحاس: [البيسط]
عليّ رفقا بمن ذابت حشاه ضنني صبّ أزال الكرى من مقلتيه وصبّ
حديد قلبك يا نحاس يمنعهُ لَجِينُ جَسْمِكَ والنوم المصون ذهب
وله في صديقه الصّحافيّ: [المجث]
يا عاذلي في هواه تلاف قبل تلافى
وهات لي الدنّ واجمع بيني وبين الصّحافي

١٠٧ - أحمد بن علي العزى

أحد أترابي ولداتي، ورفيقي في اجتناء لذاتي
وهو شاب رقيق الجلباب، يقطر من إهابه ماء اللطف والشباب.
تأدب وبرع، ووعى ما جمع.
معتكفاً في زوايا الخمول، قانعا بشقاشق آبائه الفحول.
وكان في إبان الطلب خذني، يجني من خمائله كما أجنبي.
حتى قطع عليه الطريق الأجل، وناداه عجلأ فقال: أجل.
فمما سمعته من شعره قوله: [الكامل]
لا زال هذا الجمع جمع سلامة لا نقص يغروه ولا تغيير

والجمعُ من أعدائِكُم في قِلَّةٍ ونقيضُ تلك القِلَّةِ التُّكثيرُ
ووالده من شيوخ العربية، وصدور أُنديتها التَّدية.

١٠٨ - عمر العزّي

أديبٌ نظم ونثر، وشعرَ بعد ما شعر.

في حالةٍ أضيّقَ من فم الحبيب، وصدريّ العاشقِ إذا حضر الرّقيب.
كمصحفٍ في بيت زنديق، أو سرٌّ في صدرٍ أحرق غير صديق.
ومن شعره قوله: [مخلع البسيط]

رُبَّ ثَقِيلٍ إِمَامٍ قَوْمٍ يَأْتُمُّ بِالنَّاسِ ثُمَّ يَجْحَفُ
خَالَفَ فِي الْفِعْلِ قَوْلَ طَهٍ مَنْ أُمَّ بِالنَّاسِ فَلْيُخَفَّفْ

١٠٩ - رجب السنّواني

ناظمٌ قلائدِ المِدْحِ، وخاطبٌ خرائدِ المَلْحِ. مضى له بمصر زمنٌ وهو يُهْدِي نِشَارَ
كلماته، ويُطَلَعُ في رياضِها التَّنْصِرةَ غَضَّ نَبَاتِهِ. ويأتي العلوم من أبوابها، ويجرّد
مُرَهَفَاتِ لَسَانِهِ من قِرَابِهَا. ومولده بَشَنَوَانٍ، وهي بلدةٌ بالمُنَوَفِيَّةِ صُوِّرَتْ بِهَا الْجَنَانُ.
كانت مُخَيِّمٌ لِدَّائِهِ، ومُنْبِتٌ أَثْرَابِهِ وِلْدَاتِهِ. ثم ارتحل إلى الجامع الأزهر، فأثمر به
غصنه الرّطيبُ وأزهر. ولم يزل به معانقاً للخمول، وروضه بطلّ آدابه مَطْلُولٌ. وكنت
كثيراً ما أجتلي وجهَ وِدَادِهِ، وأوقد نارَ الفِكرِ بِقَدْحِ وَارِي زِنَادِهِ.

وأستظلّ بدَوْجِهِ المَرِيحِ، وأستمدُّ من بحرِ فِكرِهِ الشَّرِيحِ. وأسامره بما يُذَكِّرُنَا عَهْدَ
الرَّقْمَتَيْنِ وَأَتْنَزَّهُ من صفاتِ رَجَبِ وَذَاتِهِ في الرُّبِيعَيْنِ. كما قيل: [الوافر]

وكانتُ بِالعِراقِ لِنَا لِيَالٍ سَرَقْنَا هُنَّ مِنْ رَيْبِ الرِّمَانِ
جَعَلْنَا هُنَّ تَارِيخَ اللَّيَالِي وَغَنَوَانَ المَسِيرَةِ وَالْأَمَانِي
وكانت مفاكهةً أسماره، ألدُّ عندي من فواكه أشعاره. وأخلاقه ونقود آدابه نضّة
أطوع من الكأسِ للثديم، ومن قُدودِ القُضْبِ لِأَيَادِي التَّسِيمِ. فمن رأى رجباً، فقد
رأى عجباً، وبدا عيد السرور والطرب.

وقال من شاهدته: من رأى عيداً في غرّة رجب. [البسيط]

يا ليت أن شهوري كلها رجب

لا زال ضجيج الغفران، وجليس ملائكة الرضوان. فمن حباب مدامه، الرائق في

انتظامه، قوله: [الوافر]

من الرِّيحانِ في روضِ الدَّلَالِ
وعنوانِ المَسْرَةِ والوِصالِ

وبالقرب لا بالبُغْدِ من حَيِّكُمْ أَرْضِي
وحنَّتْ لكم من بعدكم سائرُ الأَعْضَا
جعلت على طول المدى حُبَّكُمْ فَرْضَا
جفاها الكرى عمداً فليست ترى غَمْضَا
فأزواحننا حتى جوارحننا مَرْضِي

ءِ وَغَيْرِهَا مَأْسَفَتَكَ
كالرَّمْحِ إن ماسَ فَتَكَ

وأشرق روضُ الزَّهْرِ بالقَطْرِ والندَى
من الطَّلِّ خدُّ الوردِ منه تورِّدَا
ومن عَظَمِ غَيْظِ البحرِ أرغَى وأزْبَدَا
أجاصحٌ وهذا طاب للناسِ مورِّدَا

عِذارُ مُعَذِّبِي قد خطَّ خَطَا
كتابٌ بالأمانِ له أتانا

ومما كتبه إليَّ وأنا بالرومِ: [الطويل]
أقبِلْ بالأجفانِ يا سادتي أرضا
وإن سار نجمٌ في السماءِ ذكرْتُكُمْ
وإن جعل الناسُ المحبَّةَ سُنَّةً
ووالله إن العينَ من بعدِ بُغْدِكُمْ
وإن لم تُفَزْ منكم برؤيةِ وجهكم
وأنشدني له أيضاً: [م.الرجز]

لا تجعلَنَّ على اللَّحَا
واعشَّقْ مَليحاً أهيفاً
وله من قصيدة: [الطويل]

تهلَّلْ وجهُ الدهرِ بالنُّورِ والهدى
وفتَّحْ أخداقَ الحدائقِ هاطلُ
ومن لطفِ خُلُقِ النَّيلِ جاء مُخلَقاً
وما يستوي البحرانِ هناك مالِحُ

١١٠ - القاضي بدر الدين القرافي المالكي

القاضي الفاضل، والحاكم العادل الفاضل. بدر كماله من أفق المعالي مُشرق
وغصنُ دَوْجِه من سحائب الفضل مُورِق. .
رأيتُه ولياليه مُحَمَّرَةٌ خدودِ الشَّفَقِ، وعيون النجم في خدمةِ سَعْدِه لا تكتجِل بغير
الأرق. وقد طلَع بدرُه في هالةِ التَّدريس، وأحاطتْ به منطِقَةٌ نادٍ له المجدُّ جليس.

١١٠ - محمد بن يحيى بن عمر بن يونس الملقب ببدر الدين القرافي المصري المالكي القاضي
بالباب المصري رئيس العلماء في عصره وشيخ المالكية. أخذ المختصر عن الشيخ الفقيه القدوة
عبد الرحمن بن علي الأجهوري وعن الشيخ زين بن أحمد الجيزي وعن والده، ومن مشايخه
أيضاً: التاجوري، وسمع الحديث عن الجمال يوسف بن القاضي زكريا والنجم الغيطي والصالح
أبي عبد الله بن أبي الصفا البكري الحنفي. وولي قضاء المالكية، وألف كتباً منها: شرح ابن
الحاجب، وذييل الديباج لابن فرحون، وشرح الموطأ، وشرح التهذيب.
وقد ولد سنة تسع وثلاثين وتسعمائة، وتوفي سنة ثمان بعد الألف، وصلي عليه بجامع
الأزهر، ودفن بترتبه التي أنشأها مع الضريح بجوار القبة المعلقة المدفون بها بالقاهرة فيما يقال
بالقرب من البيت الذي ينزل به قضاة العساكر. خلاصة الأثر (٤/٢٥٨).

وأقلام الفتاوى تسعى لخدمته على رأسها، وتجعل وجه الطرس كعبة مستورة بسواد أنقاسها.

فتحج لها الأبصار والبصائر، وتعتكف في حرم إفادتها الأسماع والضمائر. وآثاره في فقه مالك «مدونة»، وفواضله «بموطأ» أخلاقه معنونة. وشرح «مختصر خليل»، شرحاً شفى به الغليل. وله «القول المأنوس»، في حل مشكلات القاموس». كادت له «الصحاح» الجوهريّة، تغوص في البحار خجلاً من اتساق عقوده الدرّية.

ولم يزل في القضاء على سنن السنّة سالكاً، ولمحرّر رقها الموشى بالكتابة مالكاً. فهو ثالث العمرين، ونديم القمرين. أظهر فيه اليد البيضاء، ولم يلتفت بهمته المسودة إلى الصفراء والبيضاء. [السريع]

وما سمعنا قط أن امراً أهدى له شيئاً ولا قد رشاة

والآن، قد قام من غلظ الدهر بوجوده فاحتاج للحك، وجهل الحكم والتسجيل فاحتاج للصك. ولم يزل طالعاً في أفق العز حتى غرب بدره، وانمحق بسرار الضعف فكيف عمره. فبدأ زواله، وتمّ كماله. [مخلع البسيط]

إن فراق الكمال صعب حتى على البدر في السماء

وله شعر العلماء، ونثر طار مع العناء.

تأنق فيه وتصلف، ولا عجب للبدر أن يتكلف. كقوله: [البسيط]

منك البداءة بالإحسان حاصلة
ألهمتني بعده عتقاً لكرمني
ملكنتني الرق فضلاً منك لي ساري
فاختبم بخير به عتقي من النار

وفي معناه قول النور بن حجر العسقلاني: [الكامل]

يا رب أعضاء السجود عتقتها
والعتق يسري بالعتى يا ذا العنى
من فضلك الوافي وأنت الوافي
فامتن على الفاني بعثق الباقي

ولغيره في معناه: [البسيط]

إن الكرام إذا شابت عبيدهم
وأنت يا خالقي أولى بذا كرمأ
في رقهم عتقوهن عن نور
قد شبت في الرق وعتقي من النار

وهو ممن يروي عن خاتمة المحدثين الديمي، وفيه يقول: [الطويل]

وشيوخ حديث طبق الأرض علمه
هو الديمي كالغيث منهل فضله
وصار بعلم في الأنام كما العلم
فلا تعجبين فالغيث تأتي به الديم

وأحسن منه قولي مضمناً، وكتبته على «شرحه للبخاري»: [البسيط]

فاق الورى الديمي الحبر حين أتى
وكلهم من رسول الله ملتمس
في خدمة السنّة الغراء كالعلم
غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم

١١١ - أحمد بن عواد

أديب استمرى أخلاف الصناعات، وجلب إلى مدينة العلم المعمورة متاعه. إلا أنه جعل الشعر له سلاحاً، وسطاً، وجاء شعره في أمته أمة وسطاً.

فمما أورد له صاحبنا علاء الدين المكي في كتابه «الطراز المنقوش»، قوله في

بعض الحُبوش: [الكامل]

تهتز كالغصن الرطيب المثمر
قالت فما تبغيه جنسي أم حري

حبشيّة حسنيّة أبصرتها
فسألتها عن جنسها مع ما خفي

وهذا كقول الآخر: [الكامل]

شَرتين فعلهما كفعل السّمهري
وردّ زهيّ أم خديد أم حري

بي أمحريّ ناعم الخدين ذو
لم أدر إذ صافحت صفحة خده

وللتّواجي: [البسيط]

عذاره فوق ورد الوجدتين طري
وخصّ عارضه بالمدح فهو حري

رمت التّغزل في أجفانه فبدا
وقال قلبي لا تحفل بغزلهما

وهاهنا أمر لا بدّ من التّثنية عليه، وهو أنهم عدّوا من أنواع البديع الاكتفاء.

وقد أُلّف فيه التّواجي كتاباً سماه «الشفاف في بديع الاكتفا». وقد طالعت، وهو

كتاب لطيف، كما قال هو فيه: [البسيط]

فهم السّقيم ولو في نومه شفيّاً
إلا وراح بذاك البرّ مكتفيّاً

من كلّ معنى بديع لو يمرّ على
وقلّما أبصرته عينٌ ذي أدبٍ

ومما أفاده فيه، أن ابن رشيّق حدّاه بقوله: «وهو أن يدلّ موجود الكلام على

محدوفه».

واعترض عليه بدر الدين بن الصّاحب، بأنه يدخل فيه كلّ حذف وتقدير. وقال:

إنه لم يجد له حدّاً سالماً من الاعتراض.

ألا ترى أنه دخل فيه نحو: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] وليس منه.

والمشهور من شواهد قوله تعالى: ﴿سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]. وهو

على أنواع: فمنه، ما يكون بجُملة. ومنه ما يكون بكلمة. ومنه ما يكون بكلمتين

فأكثر. ومنه ما يكون ببعض كلمة، حرف، أو نحوه.

وهذا إما أن يخرجها إلحاقها عن الوزن، أو لا. وكل منهما إمّا مع التّورية، أو

بدونها.

واعلم أنه في الآية المُستشّهد بها نكتة لطيفة، لم ينبّها عليها، وهو أنه إنما

اقتصر على الحرّ لأنه أهمُّ هنا، لما عُرف من غلبة الحرّ على ديار العرب، ثم إن ما يقي الحرّ يحصل به برودةٌ في الهواء، في الجملة، فوقاية الحرّ إنما هي لتحصيل البرد، وهذا فيه من اللطف ما هو أطف من النسيم، فلهذا دُرّ التنزيل، فكم فيه من أسرار لا تتناهى!

بقي هاهنا بحثٌ جليل، وهو أن المتأخرين من أصحاب البديعيّات لمّا أكثروا من أنواع البديع، وفيهم بعضٌ من لا خبرة له بدقائق المعاني والعلوم، زادوا فيها أنواعاً مدخولة.

فمنها: الاكتفاء ببعض الكلمات، وتبعهم من بعدهم كالدمامينيّ في «شرح الخزرجيّة» حيث ذكره، وأنشد عليه قول ابن نباتة المضرّي: [الطويل]

بروحي أمرُ الناس نأياً وجفوةً يقولون في الأحلام يوجد شخصه
وأخلاقهم ثغراً وأملحهم شكلاً فقلتُ ومن ذا بعده يجد الأحلام
ولا بن مكانس: [السريع]

لم أنس بدرأ زارني ليلة فلم يقم إلا بمقدار أن
وللبدر الدمامينيّ: [الكامل]

الدمع قاضٍ بافتضاجي في هوى وغدا بوجدني شاهداً ووشى بما
وله أيضاً: [الوافر]

يقولُ مُصاحبي والروضُ زاهٍ تعالُ نُباكرُ الروض المُفدى
وقال ابن جنّي في كتاب «التعاقب» باب الإيماء، وهو الاكتفاء عن الكلمة بحرف من أولها، كقوله: [الرجز]

قد وعدتني أم عمرو أن ت
أي: أن تسمح. وليس منه: [الرجز]

قلنا لها قفي قالت قاف

لأنه اسمٌ لا حرف. ومنه قول النبي ﷺ: «كفى بالسيف شاً»^(١).
يريد شاهداً. وقول علقمة: [البيسط]

مُفدّمٌ بسبا الكشان مختوم

أي: بسباب. وقول لبيد: [الكامل]

دُرس المنّا بمُثالب فابان

(١) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (١/٢٥٧).

أراد: المنازل. اهـ.

وذكر الحديث، وذكر أنه اكتفاء عن شاهد، كقول ابن الرومي: [المنسرح]

والدَّمُ في النَّصْلِ شاهدٌ عَجَبُ

وهو ثقة. وقال غيره: إنه مكتفى به عن شافى، وله وجه.

مع أنهم ذكروا أيضاً من الاكتفاء ما اكتفى فيه بحرف الجر عن مجروره، كقوله:

[الكامل]

إن غاب عن إنسانٍ عيني فهو في

وما حذف منه شرطٌ ومجزوم، وصلة موصول، ونحوه. ويرد عليهم قاطبة أن

المُحَسَّنات البديعية إنما تُعدُّ مُحَسَّنَةً بعد مراعاة الفصاحة، فما خالفها يُعدُّ قبيحاً ممنوعاً عند أهل العربية.

وقد صرَّحوا بأنه لا يجوز حذف بعض الكلمة إلا في ترخيم المُنادَى على اللغتين

بشروطه، وما عداه وإن سُمِع من العرب شاذُّ، مُنافٍ للفصاحة، فعُدُّهم له مُحَسَّنًا لا

يصحُّ وكونه مع التورية كما مرَّ لا يُسوِّغه، ولو صحَّ كان المحسن له التورية، لا هذا

الاكتفاء، فعُدُّهم له منها وهم على وهم.

نعم، لو جرى هذا على وفق العربية كان حسناً؛ وقد نظمت له مثلاً لم أسبق

إليه، فقلت: [الكامل]

رمتُ النَّداءَ لمالكٍ وفراً لكى يُولي الجميلَ لِرِقَّةٍ في الحالِ

فنهاني الصبرُ الجميلُ وقال لي للكيس نادِ وقل له يا مالِ ك

ففيه اكتفاء وتورية مستوفية لشروط الترخيم، وهذا من السحر الحلال، الذي

يعرفه من له ذوق.

فإن قلت: ما وقع في الحديث من قوله: «كفى بالسيف شا» إن كان صحيحاً

فصيحاً نقض ما قلته، وإلا يلزمك أن يصدر من النبي ﷺ كلامٌ غير فصيح، وهو

أفصح الفصحاء.

قلت: أفعاله وأقواله لا يُقاس عليها غيرها، وكما كان يتكلم مع كل قوم بلغتهم

حتى صدر منه أحياناً ألفاظٌ فارسيةٌ وخشبيةٌ وغيرها، مما لا يُوصف بالفصاحة، فعُدَّت

من معجزاته ﷺ، جاز صدور مثل هذا عنه، لسرٍّ، ظاهرٍ أو خفيٍّ.

وأما ما قاله شارح البزدة السيد الغبريني المقرئ من قوله: إن كونه أمياً معجزةً

له، كما قرروه، حتى لا يرتاب أحدٌ في كلام الله.

يرد عليه أنه لو تمَّ قيل عليه: لم خلق أفصح الناس، ولم يُخلق غير فصيح؟

حتى يعلم أن ما يتلوه من الكلام المعجز ببلاغته ليس كلامه.

فليس بشيء، لأن الأمية شائعة في أكثر فصحاء العرب، وهم في غناء عن الكتابة.

وأما عدم الفصاحة فلكنة وعيب عظيم، مُنزه عنه عالي مقامه، وطاهر فطرته، وجوهر جليلته.

ومن هذا علم أن الحروف المُقطّعة في أوائل السور ليست من حذف بعض الكلمات المخظور.

وهذا البحث ممّا لا تراه في غير كتابنا هذا.

وممّن صنّف في جمع أنواع البديع في عصرنا، ولم يُهدّبه حتى كان بيني وبينه منافاة ومنافسة لأجل هذا:

١١٢ - عبد الرحمن بن محمد الحميدي

شيخ أهل الوراق، بالقاهرة

الأديب الذي تفتّحت بصبا اللطف أنوار شمائله، ورقّت على منابر الآداب خطبه بلايله. إذا صدحت بلايل معانيه، وتبرّجت حدائق معاليه. [الطويل]

جلبن الهوى من حيث أذري ولا أذري

نظم في جيد الدهر جمائه، وسلّم إلى يد الشرف عنائه، خاطراً في رداء مجد ذي حواش وبطانة.

ناثراً فرائد بيان ينثرها اللسان، فتودع حقائق الآذان.

وله في الطب يد مسيحية تحيي ميّت الأمراض، وتبذل جواهر الجواهر بالأغراض: [السريع]

مبارك الطلعة ميمونها لكن على الحفار والغاسل

«وديون شعره» شائع وذائع، إلا أني استودعته النسيان. [الطويل]

ولا بد يوماً أن تُردّ الودائع

ولمّا نظم بديعته أرسلها إليّ، فنظرت فيها في الأوائل والضبا تنافس على أرجه وقد فاح، منك الليل وكافور الصباح: [الطويل]

ولا عقرب إلا بضدغ مليحة ولا جور إلا في ولاية ساقبي

ومما اغترضت عليه فيه، تشابه الأطراف، فإنه أخطأ في حده ومثاله. فلما كتبت له، ووافقتني فيه بعض الأصحاب، لم يعترف بخطئه، وكتب أبياتاً، منها: [الكامل]

بكما علمت تشابه الأطراف من فن البديع ببخسه وجداله
فكتبت له فتهكماً:

مولاي أسرفت في الامتتان، وأسأت لنا قبل الإحسان.
وعاقبت من غير جناية سابقة، وحرمت من ليس له فيك آمال راقية.
فكانت حالي معك كما قيل: إنه هبَّت ريحٌ شديدةٌ فصاح الناسُ: القيامةُ القيامةُ.
فقال بعضُ المُجَّان: ما هذه القيامة على الرِّيق! وأين الدَّجال والمَهدي
وأشراطها؟

وفي ذلك أقول: [السريع]
أسرفت في الصدِّ فخفَّ خالقاً لا يرتضي إشراف مخلوق
يا هاجراً من لم يذُق وصله جرَّعته الصبر على الرِّيق

١١٣ - الرئيس داود الحكيم

ضريزٌ بالفضل بصير، كأنما ينظر ما خلف ستارة الغيب بعين فكرٍ خبير. لم ترَ
العين بل لم تسمع الأذان، ولم تحدث بأعجب منه مُساءلةُ الرُّكبان. إذا جسَّ نبضاً
لتشخيص مرضٍ عرض، أظهر من أغراضِ الجواهر كلَّ عَرَض.

فيفتن الأسماع والأبصار، ويُطرب بجسِّ النبض ما لا يطربه جسُّ الأوتار: [السريع]
يكاد من رقة أفكاره . يجولُ بين الدَّم واللحم
لو غضبت روح على جسمها ألفاً بين الروح والجسم
فسبحان من أطفأ نورَ بصره وجعل صدره مشكاة نور: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ
وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

وله في كلِّ علم سهمٌ مُصيب، ومنطقٌ مُحلَّى بتهديب التهذيب.
وكنتُ قرأتُ عليه الطَّبَّ وغيره في سنِّ الصُّغر، فسمعتُ منه ما يغار له نسيمُ
السَّحر، ويطرَب من لطفه نغماتُ الوتر. ينثر فيه نثارَ العلوم، على عرائسِ المنشورِ
والمنظوم. وكان يقول: لو رأني ابنُ سينا لوقف بيابي، أو ابن دانيال لاكتحل بثراب
أعتابي.

١١٣ - هو الحكيم داود بن عمر البصير الأنطاكي نزيل القاهرة، الحكيم والطبيب المشهور، رأس
الأطباء في زمانه، وشيخ العلوم الحكمية، وأعجوبة الدهر، ذكره أبو المعالي الطالوي في
سانحانه، ثم قال وقد سألته عن مسقط رأسه، ومشتعل نبراسه فأخبر أنه ولد بأنطاكية بهذا
العارض، ولم يكن له بعد الولادة تعارض، قال: ثم إنني بلغت من السن عدد سياراة النجوم،
وكان والدي رئيس قرية سيدي حبيب النجار. حفظ القرآن وهو صغير، ولقن مقدمات تثقيف
اللسان، وتعلم اللغة اليونانية، وهاجر من مصر إلى بعض مدن سواحل الشام، ودخل دمشق
المحمية، فاجتمع ببعض علمائها من مشايخ الإسلام، كأبي الفتح محمد بن محمد بن عبد
السلام، وكشمس علومها البدر الغزي، والشيخ علاء الدين العمادي وبعدها عاد إلى مصر.
انظر ترجمته في خلاصة الأثر (٢/١٤٠ - ١٤٩).

إلا أنه على مذهب الحكماء، ومَشَرَبِ النَّدْمَاءِ. ولذا كثر كلامُ الناس في اعتقاده،
ونُقِلَ عنه رَشْحُ قَطْرَاتٍ من خَفِيِّ إلْحَادِهِ. ثم لما كثر اللَّغَطُ فيه ارتحل للبيتِ العتيق،
فطافت به المنيَّةُ من كلِّ فجٍّ عميق. فقضى نَحْبَهُ، ولَقِيَ رَبَّهُ.

ومما سمعته من شعره قوله: [الكامل]

من طولِ إبعادِ ودهرِ جائرٍ
ومَغِيبِ إلفِ لا اغْتِيَاضٍ بغيره
أَوَاهُ لو حَلَّتْ لِي الصَّهْبَاءُ كني
وهو كقول شيخ المَعْرَةَ: [الطويل]

تمنَّيتُ أنَّ الخمرَ حَلَّتْ لِنَشْوَةِ
فأذْهَلُ إنِّي بالعراقِ على شَفَا
ومَسِيسِ حاجاتِ وقلةِ مُنْصِفِ
شَطَّ الزمانُ به فليس بمُنْصِفِ
أنشَى فأذْهَلَ عن غرامِ مُثْلِفِ

وله تأليف، منها: «شرح قصيدة ابن سينا في الروح»، و«التذكرة الكبرى»،
و«الصغرى» في الطب، وغير ذلك، رحمه الله تعالى.

١١٤ - محمد بن بدر الدين القوصوني الطبيب

سماءِ مجدٍ أشرق بدرُها، ودرَّتْ سحائبها كمالاً فلله دَرُها. فيا له من بدرٍ في
سماءِ الكمالِ وَجِيدٍ، صبُّ بعقائلِ المجدِ المخدَّرةِ عميد. قَلِيبِ كرمٍ لا يرُدُّ رشا
ماتح، فهو لَعْمَرِي عَفْلَةٌ المُستوفِرِ وعَفْلَةٌ لِسَانِ المادِح.

وهو في الطبِّ رَئِيسٌ لم يخرج عن القانون، وفارسٌ في حَلِيبَتِهِ لا تدركه سوابقُ
الظُّنون. فلو راجعه الهلالُ لأبراه من المِحاقِ والدَّنْفِ، بلا تكلفٍ من وِضْمَةِ البرصِ
والكَلْفِ. ارتحل إلى فخر آل عثمان، المرحوم السلطان سليمان، فاعتكف عنده في
حرم الإحسان. فاضطاد في حَرَمِهِ أوابد الكرم، فوا عَجَباً حلَّ له الصنيدُ في الحرمِ.
فداوى سِقَامَهُ، وقد قبِلَ الثُّقْرُسُ أقدامه. وله مآثر لها الدهرُ مُستزِيد، والمجدُ سامعٌ له
مُستفيد.

منها ما كتبه لفضلِ الله الرُّومي، وقد أهدى له «شرح الموجز» للتفيسي: [الوافر]
سُطُورٌ أودِعَتْ بطنَ الطُّروسِ
ومكتوبٌ بديعِ اللفظِ وافي
قرآنُه فأنشأنا كأننا
فقبلناهُ تعظيماً وشوقاً
تفضلَ ثم كاتب عبد رُقٍ
ولم يُقْنِغْهُ إهداءُ القوافي
أم السَّحَرِ المؤثرِ في النفوسِ
أم الصَّهْبَاءِ تُجلى في الكؤوسِ
طربنا باختساء الخندريسِ
لمُنشئهِ الرئيسِ ابن الرئيسِ
فاغتنق رِقْمَهُ من كلِّ بُوسِ
تحلَّتْ بالجواهرِ كالمروسِ

وسهلاً بالنَّفيسِ من النَّفيسِ
به نسباً يضيءُ ضياءَ الشُّموسِ
أجبتُكَ عن جليلِكَ بالخسيسِ
تُقَابِلُ بالعجوزِ الدُّزْدَبيسِ
وشانِيكَ المُعَنَّى في عُبوسِ

فزاد هديَّةً أُخرى فأهلاً
أبا الفضلِ ابنِ إدريسِ فأكْرَمِ
قبولُ العذرِ مأمولٌ فإني
وهل أبكارُ فكرِكَ لائقٌ أن
بقيتَ الدهرَ مسروراً مُهنأ

١١٥ - إبراهيم بن المبلط

أديبٌ أدار على الألبابِ رحيقَه المُصَفَّى، إن قَصَّرَ سواه فإبراهيمَ الذي وَفَى. ملأ
بيوته جواهرَ وياقوتاً، وغيرُه من الشعراءِ ينجحون من الجبالِ بيوتاً. حتى هدم بما بناه
من الأشعارِ، ما شئده من قصوره المعمارِ.

فالتحق بصناعة الشعر بالأشرافِ، فغاص في بحوره واستخرج منها لآلئَ لها
الأذانُ أصداًف. وكان شيخ سوق الوراقة بالقاهرة، وثمرات آدابه في رياضها زاهية
الأوراق زاهرة.

إلا أنه كان يجيد نسج مُقطَّعات الأبيات، ويُقَصِّرُ إذا نظم المُطوَّلات. وقد
طالعتُ «ديوانه» فمن معمور أبياته، ومباني كلماته، قوله من قصيدة له: [الخفيف]

عن ثنِيَّاتِ مَكَّةِ عن صفاها
وزمانَ النَّوى انقضى وتناهى
تِ إلى أهلِها كما قد رواها
شَفَّها البعدُ والنَّوى فشفاها
تُ وهم يعرفونها بشذاها
في القضايا فحسبها وكفاها
وقليلٌ قولي على البعدِ آها
ساعةٍ إن نسيْتُ ما أنساها
ضلُّ في ركبها الفؤادُ وتاها
طال في ظلمةِ الدِّياجي سَراها
فإذا بالظُّباءِ وَسَطُ فلاها
قد حَلَا تمرُّها ومَرَّ نواها
ساعةُ المُلتقى وما أخلاها
ظاهرٌ حزنها وبادٍ جَواها
ما هواي المصونُ مثلَ هواها
وهي لم تَبِكْ مَرَّةً عيناها

حدَّثتُ بانهُ الجَمَى عن صباها
إنَّ عَصَرَ اللقَاءِ آن ووَافى
ونسيمَ الصِّبَا يُوْدِي الأمانا
كما نسيمِ سرى فسَرَّ قلوباً
تعرفُ العاشقين منها نَسِيماً
إنَّ أيدي الفِراقِ جارث علينا
آه وا وَخشتي لأحشاءِ قلبي
كان للبين ساعةٌ يالها من
حمَلوا العيسَ بالهوادج حتى
واستقلَّتْ ظهورُها ببدورِ
وظباءِ عهدِي بها في قصورِ
ولكم في غصونِها من غصونِ
ما أمرُ الفِراقِ طغماً وأهنى
وقسيمِي في الشوقِ ذاتُ جناح
فَارَقْتُ من تُجِبُّ مثلي ولكن
فعيونِي على الدَّوامِ دَوامِ

وكتمتُ الهوى عن الناس طراً
وهجرتُ الرِّياضَ وهي ثوثها
فاجتمعتنا في صورةٍ من بعيدٍ
وهذا كقول ابن لؤلؤ الذهبي من قصيدة له: [الكامل]

وتنبهت ذاتُ الجناح بسُخره
وزقاءً قد أخذت فنونَ الحزنِ عن
قامت على ساقٍ تطارحني الجوى
أنى تُباريني جوىً وصبابه
وأنا الذي أملي الهوى من خاطري
ونظائره كثيرة لا تُحصى. ولصاحب الترجمة: [الكامل]

يا عائباً لسوادِ قهوتنا التي
أفلا تراها وهي في فنجانها
فيها شفاء النفس من أمراضها
تخكي سوادَ العينِ وَسَطَ بياضها

١١٦ - بدر الدين الأزهري

شاعرٌ عصري

طلع في هالة الكمالِ بدرأ، وسابق في خلية الآداب نظماً ونثراً. فصحت معنيه،
وقويت مبانيه. ولذت بأقواه القائلين، وساغت بأسماع السامعين. فحلاوتها على
اللسان، وموقعها في الآذان، مواقع ماء المُرز في البلد القفر. أورد له بعض أدباء
عصرنا شعراً، فاخترت منه قوله: [الرجز]

شكا إليّ من أحبِّ دُملاً
يطلع في كلِّ مكانٍ ضيقٍ
وفيه كناية فيها نكايه، مع تلميح له لمثل العوام، لمن يجيء في غير محله.
«كالدُّمل يطلع في أضيِّقِ المواضع». وقوله أيضاً: [الوافر]

لقد عثرتُ بجَنحِ الليلِ رجلي
فقال مُجازياً لي أنتَ أغمى
وله: [م.الرجز]

هذا حشيشٌ أخضر
يقول من يبلغه
وله: [الرجز]

أمنتُ من خوفِ العدا وشُرهم
مذ جاءني بخاتم الأمان

وله:

لا تُرْجِي الشفاءَ إلا من اللّٰهِ فإن الحكيمَ ربُّ الوجودِ
وعجيبٌ في ذا الزمانِ غريبٌ مُسَلِّمٌ يَرْتَجِي الشُّفا من يهودي
إشارةً إلى ما عرف من غشِّ اليهود للمسلمين، وإلى «ما خلا يهوديٍّ بمسلمٍ إلا
همَّ بقتله»^(١).

ومما قلته في معناه: [الطويل]

أَيْمَرُضُنِي الدَّهْرُ الخَوْوُنُ بما دهى
فإن رُمْتُ من يشفي الفؤادَ بِطِبِّهِ
ويُخْلِيفُ في وقتِ المَضِيْقِ وعودي
فيَوْمِي سَبَتُ والطبيبُ يهودي

وله أيضاً في شَبَابَةٍ: [الكامل]

يا حُسْنَهَا شَبَابَةٌ لم ينقطع
بالرَّمْزِ تُفهِمُنِي إشاراتِ الهوى
مَوْصُولُهَا لما غدت تترنمُ
أو ما تراها بالعيونِ تَكَلِّمُ

وهذا كقولِي مُضْمِنًا: [الطويل]

لنا مجلسٌ فيه من اللّٰهِ مُطْرِبٌ
ونائيٌ يُناجِينا بأسرارِ رَبِّهِ
وآدابنا ما بيننا تترنمُ
فنحنُ سكوتٌ والهوى يتكلمُ

ومثله قول مُجِيرِ الدِّينِ بنِ تَمِيمٍ، مُضْمِنًا: [الطويل]

وناطقةٌ بالروحِ عن أمرِ رَبِّهَا
سكثنا وقالت للقلوبِ فأطربت
ثَعْبَرُ عَمَّا عندها وتترجمُ
ونحنُ سكوتٌ والهوى يتكلمُ

وله أيضاً: [م.الرجز]

مُماطلي رجلي شكث
وكان لي سسرْموزةٌ
تَرْدُدِي إِلَيْهِ
قَطَعْتُهَا عَلَيْهِ

«وسرْموزة»: لفظ فارسي عربوه، وهي النعل المعروف. والعامّة تقول له:

«سرْموجة» على قاعدة التّعريب، فإنه يُبدل فيه الزّاي جيماً.

١١٧ - محمد الأبياري القباني

لبيبٌ إن ذكر الحساب فهو أولٌ من يسجد له البيان، أو الشعر تلا لسائه:
﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩].

إهابه ظرفٌ مليءٌ بالظرف، وبوارقٌ فكره أسرعٌ من لَمحةِ الظرف. فما نسيمُ
الصِّبَا، وما عَثْبُ صَبِّ صَبَا.

ومع ذلك فكوكبٌ سغديه لم يزل ساقطاً، وعائِرٌ جدّه لم يترخ في ظلماتِ
الخُمولِ هابطاً. [الكامل]

(١) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (٦٣٤٠). وابن حبان في المجروحين (١٢٢/٣).

والدهرُ كالميزانٍ يرفعُ ناقصاً
فإذا انتحى الإنصافَ عادِلَ عدله
إن أنشد الشعرَ أقام أوزانه، وأهدى
المكنون، وتبره الموزون، قوله: [الطويل]
وهينفاء تهوى الراح قالت لصبها
إذا لم تدر لي الكاس ملاءي فإنني
وهو كقول البدر الدماميني: [الطويل]
يقول لها هلاً حكيت بناظري
وأعرض عني ثم وجه عثبه
وقول ابن مكنس: [الطويل]
أقول لجبي قم ومن يا معدبي
ولا تسه عن شيء إذا ما حكيتها
وله: [الرملي]
رؤنق البدر في صفا الماء لماً
شبهه جام من لؤلؤ يتللاً
وله من قصيدة: [الطويل]
لقد حل في مصر بلاء من البرش
وكان بها حرث وتسل فمزقوا
«والبرش»: اسم معجون معروف، وأصله برشعنا، ومعناه: براء ساعة باليونانية،
فعرّب. وهو نوع من الحراثة عند أهل مصر، وبه يتم التلفيق والتورية. والله أعلم.

١١٨ - يحيى بن الخطيب القباني

غلامٌ هذا الأديبُ المُقَدَّم، وممن صحبه فأصبح طراز مجده به مُعلِّم. ففتح
صبا اللطف نور شمائله، وسقي رُبْع كماله بطل أدبه ووابله. وضخبة الألباء صيقل
الألباب، كما أن الشجاعة صيقل الأخساب.
وكان كثيراً ما يخصني بأحسن مذكرته، ويثحنني بهدايا مفاكحته. فكتب إلي مرة
يدعوني لبيت له على الخليج: [الوافر]
نحيط علوم مولانا بأننا
فإن شئتم تفضلتم وجنتم
وكتب له بعض أدباء الشام يفاكهه: [البيسط]
ما قولكم سادتي في أهيف خطراً
غضبتة قبله مذ صرت في خطر

فَرَامَ قَتَلِي بِلِحْظٍ لِلنُّهَى سَحْرًا
هَلْ جَائِزٌ قَتَلْتِي أَفْتُوا لِمَنْ حَضْرًا
فَأَجَابَ بِقَوْلِهِ: [البسيط]

يَا سَائِلًا عَنْ حَبِيبِ بَدْرِهِ سَفْرًا
فِرَاحٌ يَغْصِبُ لثَمًا عِنْدَمَا نَظَرَا
وَعَايَةُ الْغَاصِبِ اسْتِرْجَاعُ مَا صَدْرَا
وَفِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ لِلَّذِي ظَفِرَا
وَاللَّهُ يَغْفِرُ لِلْجَانِي الَّذِي شَجِرَا
عَنْ بَرْقِ ثَغْرِ هَدَى الرُّكْبَانَ فِي السَّفْرِ
فِي عَاقِبَاتِ مَرَامِي ذَلِكَ النَّظْرِ
مِنْهُ بَعْدَ اللَّمَى فِي الْوِزْدِ وَالصَّدْرِ
بِلَثْمِهِ وَمَا الصَّبْرُ لِلظَّفْرِ
بِمَنْ إِلَيْهِ سَعَى جِدْعٌ مِنَ الشَّجْرِ

وفي «ذخيرة» ابن بسام: روي أن رجلاً قبل امرأة فشكته إلى النبي ﷺ. فقال له: «ما تقول؟» فقال: صدقت يا رسول الله، فافتصها مني. فتبسم النبي ﷺ، وقال له: «لا تعد». فقال: لا أعود.

وإلى هذا نظر ابن نباتة في قوله: [المجث]

لئن لثمتك يوماً
فهاك فاقصص مني
وللسرور اقتصناص
إن الجروح قصاص

وللقاضي أبي عامر الجرجاني: [الطويل]

ومؤنتقب بالوزد قبلت خده
فأعرض عني مغضباً قلت لا تجز
وما لفؤادي من هواه خلاص
وقبل فمي إن الجروح قصاص

وللقاضي عبد الوهاب المالكي البغدادي: [الطويل]

ونائمة قبلتها فتنبّهت
فقلت لها إني وحقك غاصب
وما حكّموا في غاصب بسوى الرد
وقالت تعالوا فاطلبوا اللص بالحد

وتلطف من قال: [المجث]

بالرذف قد قتلثني
قالت فنعمان خدي
وقاتل النفس يقتل
نفسى قصاص المثل

١١٩ - شهاب الدين أحمد السنفي المعروف بقعود

بليغ سحب ذيل بلاغته على سخبان، وروض أدب في كل ورقة خطها بستان.

١١٩- ذكره الإمام المحبي في خلاصة الأثر (١/١٥٩)، فقال: هو أحمد بن أبي بكر النسفي الخزرجي المالكي، كان أحد العلماء المشاهير بمصر حسن النظم والنثر، أخذ عن النجم الغيطي والناصر اللقاني، ومن في طبقتهما، وألف مؤلفات كثيرة، نظماً ونثراً، منها: منظومة في النحو، ومنظومة في الزحافات والعلل العروضية، وتذكرة جمع فيها من لقيه من الشيوخ ومن عاصره، وأخذ عنه جماعة من العلماء، وانتفعوا به منهم: ولده أبو بكر، والشهاب أحمد الخفاجي، وكانت وفاته =

ألفاظه أرق من دمع السحاب، وأطرب من كأس يضحك بثغر الحباب. سطور شغره
قُضِبَ عليها من قوافيه حمام، وعصره وإن تأخر لمدام الأدب مسك ختام. إن ورى
فالكلمات لحيايتها ذات توارى، أو زف أبقار أفكاره فالكس لثهبها جوارى.
وهو من أعيان مصرنا فضلاً وأدباً، وممن مال لرقته كل نسيم وصبا. وربما جعل
الشعر لكسبه سبباً، واتخذ سبيله في البحر عجباً.

وله مكارم أخلاق، تجدد مآثر الجود الأخلاق. كما قال فيه صاحبنا الأصيلي:

[البيط]

لله ذر شهاب الدين مُرتقياً في الجود والنسب السامي على السلف
من رام ينبغي وفأ أو مُنتقى نسب قالت فضائله في ذا وذا سنفي
ومع كون طبعه يهزأ بالشمال والشمول، أدركته حرفة الأدب فاعتكف في زوايا
الخمول. ومن شعره قوله: [مخلع البسيط]

يا صاحبي اترك ما معني أو فاغذلاه وعارضاه
فما تطيقان رُشد غاو بما يُلاقني وعي رضاه
سبا حشاه والعقل منه عيننا غزال وعارضاه
يا جمع من صيروا التصابي في الحسن عاراً بالعار ضاهوا
وله: [الخفيف]

لي حبيب من هجره زاد سُكري وسُلوي هواه أقبح ذنب
جاءني داعياً وقال اثت إني أولم اليوم قلت قلب المُجب
ولا بن مكائس: [الخفيف]

قال خلي لحبيبي صل فتى فيك قد أضحى معني مُغرماً
قال هل يولم إن واصلته قال إن فاز بثغر أولما
سمى

وله: [الطويل]

وحقك لو أتلفت مالي جميعه لما رضي الواشون فيك مكارمي
ولو أنني أولمت ألف وليمة لأجلك لم يشكر عدولي ولا نمي

= سنة سبع بعد الألف، وسبب شهرته بقعود: أنه جمع مع الأستاذ محمد بن أبي الحسن المكني، فأركبه قعوداً كان هو يركبه لأجل المنام في الطريق، فاتفق لما وصلا إلى المدينة بعد تمام الحج أن الجمال جاءهما وأخبرهما أن القعود مات، فاغتم صاحب الترجمة حينئذ، فقال له الشيخ: لا تبعه نركبك أحسن منه، فلم يفده فذهب وهو متغير الحال إلى النبي ﷺ ودر ذلك نجاه الصريح، وإد بالجمال رجع متعجباً إلى الشيخ يخبره إن القعود حي فاشتهر من ذلك الحين بقعوده هكذا. بخط بعض المصريين.

وللصَّلاح الصَّفدي: [المجتث]

يا مَنْ إذا ما أتاه
أنا محبُّك حقًّا

وله من قصيدة: [الوافر]

أهل المحبَّة أو لم
إن كنت في القوم أو لم

وتنحَّت جسمك الساعات نحنا
ألا يا صاح أنت أريد أننا
وتدعوك المئون دعاء صدق
ومنها في العلم: [الوافر]

وتنحَّت جسمك الساعات نحنا
ألا يا صاح أنت أريد أننا
وتدعوك المئون دعاء صدق
ومنها في العلم: [الوافر]

وله: [السريع]

وكنز لا تخاف عليه لصاً
ستجني من ثمار الجهل عجزاً

خفيف الحمل يوجد حيث كُننا
وتصغر في العيون إذا كبرنا

ونحوه قول القيراطي: [السريع]

هم بائنة البن فقد ودها
مد سادت العنبر لونا شدا

لا تدعني إلا بيا عبدها
لا تدعني إلا بيا عبدها

وهو تضمين لقول الشاعر: [السريع]

لا تدعني إلا بيا عبدها

فإنه أشرف أسمائيا

١٢٠ - محمد البليني

فاضل شافعي المذهب، وليب طراز فضله بالآداب مذهب، وشمال لطفه سلسل ماء براعته رائق المشرب. من القوم الذين هم في طرق الخيرات ساعون، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

إلا أنه تجاوز عن رقة النسيب، إلى كثرة التجنيس والوحشي الغريب. فلذا لم أثبت من شعره إلا التزر القليل. فمنه قوله من قصيدة، أولها: [البيسط]

أهلاً به ملكاً في زي إنسان
أهلاً بدر أتى في شهر نيسان
ومنها أيضاً: [البيسط]

وانتاشني باليد البيضاء سؤدده
قد كنت غصان بالماء الزلال وهل
من أسود الخطب لما أن تخطاني
يجري سوى الماء في ثغر لغصان

١٢٠- هو محمد بن ناصر الدين بن علي البليني المصري الأديب الشاعر، والبليني بضم أوله ثم لام ساكنة بعدها تحتية مفتوحة نسبة لبلينة بحري هو بلد من الصعيد، وكانت وفاته بمصر يوم الخميس حادي وعشرين من شوال سنة تسع عشرة وألف. خلاصة الأثر (٤/٢٣٦ - ٢٣٨).

ومنها:

حجبت غيرك عما ظلت تملكه
وهذا على ما تراه معنى مبذول، كقول الشاعر: [البيسط]
من غصّ داوى بشرب الماء غصته
وهو في معنى قوله: [الخفيف]
كنت من مخنتي أفر إليهم
ولأبي فراس: [البيسط]
غصصت منك بما لا يدفع الماء
وله: [الكامل]
قد كنت عُدتي التي أسطو بها
فرميت منك بضد ما أملت
والأصل فيه قول عدي بن زيد: [الرملة]
لو بغير الماء خلقي شرق
ومن كلام ابن المعتز: ربما شرب الماء قبل ربه.
ومن فصولي القصار: واعجباً لمن اكتحل بالعمى وغصّ بالظما.
وقلت مضمناً: [البيسط]
قد كنت أرجوك للجلى إذا طرقت
من غصّ داوى بشرب الماء غصته
ومن البديع هنا قولي: [البيسط]
يا من أطال مطالي في مضايقتي
إذا المياة أطالت مظل ذي غصص

١٢١ - محمد الأسيوطي التاجر

تاجر ربحت بالآداب منه التجارة، وبدت وجوه كماله وعليها من رونقه نصارة.
فشيرت بين يديه بضائع الأدب الزاهر، وقالت للطف طبعه النقاد على عينك يا تاجر.
وكان بينه وبين والدي عهد مؤدّة، وعروة ميثاقٍ أحكمت يد الأيام عقده، وله
شعرٌ مخته من صحف الفكر السنون، ولم يعلق به إلا قوله في المجون، والهزل
أحياناً جلاء العقول: [البيسط]

لنا صديق له في الصلج معرفة
تفضي إلى أنه يُمني بغير تغب
إذا رأى أمرداً كالورد وجنته
تذكر الشام ممّا قد رأى وحلب
و«الصلج» بصاد مهملة وجيم: لغة عامية رديئة، معناها: النظر بشهوة.

١٢٢ - القاضي أحمد المحلي المالكي

فاضل فضائله مُدَوَّنة، ومآثره بأنوار فواضله مُلَوَّنة. لم يزل فيما مضى مرفوعاً بنصب القضاء مع قطع وقته النفيس، في أنواع الإفادة والتدريس. وكان جمعي وإياه نطاق الزمان، في هالة نادٍ طلعت فيه بدور الإخوان. فرأيتُه يظنُّ النملة جملاً، ويرى مشهور المسائل مُشكِلاً. [البسيط]

إذا رأى غير شيءٍ ظنَّه رجلاً

فقال لي: لم منع صرّف أشياء مع صرّف أسماء؟ فقلت له مُلاطفاً: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ [المائدة: ١٠١]. ثم كتبتُ له مضمناً: [البسيط]

أشياء لفعاء في وزنٍ وقد قلبوا	لاماً لها وهي قبل القلب شيئاً
وقيل أفعال لم تضرّف بلا سبب	منهم وهذا لوجه الضعف إيماء
أو أشياء وحذف اللام عن ثقل	وشينئى أصل شيءٍ وهي آراء
وأصل أسماء أسماو كباب كسا	فاصرّفه حتماً ولا يغرّزك أسماء
ومنع صرفٍ إذا ما كان في علم	لأجل تأنيثه والأصل وسما
فقل لمن يدعي في العلم توسعة	حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

١٢٣ - سري الدين بن الصائغ الحنفي

سري طابق اسمه مُسمّاه، وكاد أن ينطق بلفظه معناه. تدققتُ جداول علمه، ونبئتُ في شاطئها حدائق نثره ونظمه. ترفع عن صناعة الصياغة، لَمَّا وصبل إلى معدن جواهر البلاغة. فأصبحتُ ذاته للمعالي إلقا، وليس حُلل الكمال فأين منه السري الرفا.

أبرز في الطب نفيس جواهر لم يدركها ابنُ النفيس، وجرى في الشفاء على قانون الصناعة حتى لُقّب بالرئيس.

١٢٣- محمد بن إبراهيم الملقب بسري الدين الدروري المصري الحنفي المعروف بابن الصائغ السري كان والده من أكابر التجار المياسير خلف له أموالاً كثيرة، ثم اشتغل بقراءة العلوم فقرأ على أبي بكر الشنواني، ثم لزم المولى حسين المعروف بباشا زاده نزيل مصر، واختص به وبه تفوق على نظرائه، وكان يعرف اللغة الفارسية والتركية حق المعرفة، ودرس بمصر في المدرسة السليمانية والمدرسة الصرغتمشية، وكان يكتب الخط المدهش، وألف حاشية على شرح الهداية للأكمل وحاشية على شرح المفتاح الشريف، وحاشية على البيضاوي، ورسالة في المشاكلة وسافر إلى الروم بطلب من شيخ الإسلام أحمد بن يوسف المعيد مفتي السلطنة ورزق من قبولاً تاماً ووجه إليه رتبة قضاء القدس، ودخل دمشق ذهاباً وإياباً. وكانت وفاته في سنة ست وستين وألف ودفن بمقبرة المجاورين. خلاصة الأثر (٣/٣١٦).

فأصبح به وَشِي صنَاعَتِهِ مُطَرِّزًا، وَعَدَّ الكَلَامُ المُسْنَهَبُ فِي إحصَاءِ أوصافِهِ مُوجِزًا.
 وله فرائدُ أخلاق، فِي سِلكِ الأيامِ ذاتِ اتِّساقِ.
 حكَّتِ الرُوضَةُ الغنَّاءَ، إِذَا وَقَعَ قَطْرُهَا بِلَلا وَبُلْبُلُهَا غَنَّى.
 فِي مَعَالِ لو رآها ابنُ جَلا، سترَ وَجْهَهُ ورأسَهُ خَجَلا.
 كأنما الصبْحُ تنفَّسَ عن مُحيَّاه، والعنبرُ الرطْبُ فاحَ منه رِيَّاه.
 صاغَ بفضيلته حُلَى المكارِمِ، فمِنها فِي سِوَاعِدِ المجدِ أساورُ وَفِي أَكْفُها خواتِمِ.
 سَمَّحُ البديهةِ لَيْسَ يملكُ لفظَه فَكأنما أَلْفاظُه مِن مالِهِ
 وَجَرَّتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابنِ نُجيمِ مَكاتِباتٌ مَعسولةُ الألفاظِ مُدَنِّسةُ المعاني، أَكثَرُها مِن
 رسالةِ ابنِ زَيْدونِ منحوَلَةِ المَباني.

ومما صاغه من تَبْرِهِ، وَصَبَّه فِي قَالبِ شِعْرِهِ، قولُه: [المجتث]
 ما النَّاسُ إِلاَّ حَبابٌ وَالسُّدُورُ لُجَّةٌ ماءٍ
 فَعالِمٌ فِي طُفُوِّ وَعالمٌ فِي انْطِفاءِ
 وَمِنهُ قولِي: [م. الرمل]
 إِنما الدُّنيا ظِلالٌ فِي أَوَيْقاتِ قَليلَةٍ
 أو رَإِذاذٌ مُتَّوالٍ فَوَق كُثبانٍ مَهِيلَةٍ

١٢٤ - منصور البليسي

نَدَّبَ أَتَجَرَ فِي جِرْفَةِ الأَدبِ، واقتطفَ بِيَدِ فِكرِهِ فِواكِه الفِضَّةِ مِن كُتُبِ.
 ثم غلبتُ عَلَيْهِ السُّوداءُ، وَلعبتُ بِهِ الصُّفراءُ وَالبِيضاءُ.
 فانعَكَستِ تلكَ الفنونُ بِالجَنونِ، وَالجَنونُ كما يُقالُ فُنونِ.
 فَجَعَلَ دسائِرِ^(١) القَهوَةِ رِخلةَ صِيفِهِ وَشِتابِهِ، وَهُوَ الأَحِبَّةُ مِنْهُ فِي سُويَدائِهِ.
 فمما أَنشَدنيهِ قولُهُ فِي التَّاجِ بنِ الجِيعانِ، حَيْثُ رَماهُ بِمَرَضِ أَكابرِ الزَّمانِ. [الخميني]
 قَلتُ لِتاجِ الدِّينِ فِي خَلوَةٍ وَقَدِ عَلاهَ عِبدُهُ لِأَكْبَرِ
 التَّاجُ يعلوُ فِوقَهُ غَيرُهُ قالَ نَعَمِ يا قَوتُ أو جِوهرُ

١٢٥ - عبد النافع الطرابلسي

نزِيلُ مِصرَ

فاضِلٌ تَوَدَّ العِيونَ قُرْبَهُ، وَتَرى القُلُوبَ وَذَهَ أَعظَمَ قُرْبَةٍ.

(١) الدسائر: بيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي. القاموس المحيط، مادة /دسر/.
 ١٢٥- عبد النافع بن عمر الحموي، نزيل طرابلس الشام، الحنفي، الفاضل، الأديب. كان في عاينه

وأديبٌ هو بديعُ زمانه، وتاجُ مرصّعٍ بجواهرِ المناقبِ على رؤوسِ أقرانه.
يستعيرُ المجدُ مقامه الرفيع، ولا تُنكرُ الاستعارةُ من صاحبِ البيانِ البديع.
درّس وأفتى، وصنّف في فنون شتى.

إلاّ أنه اقتدى في شعره بابن حجّاج، كقوله في هجاء من لُقّب بالتّاج: [السريع]
أقبحُ خلقَ الله في خلقه وخُلِقَ وهو خسيسٌ وضيعٌ
لُقّب بالتّاج ولكنّه تاجُ الخصى ومجازٌ وسيغ

١٢٦ - صاحبنا عبد المنعم الماطي

أديبٌ أسكرنا بلفظه العذب الانسجام، وأدار علينا من مُدام لطفه في مجالس
الأُنس جّام.

وكان في شَرخِ الشباب، والعيشِ غَضُّ أغصانه الرطاب.

زمانني به كالوردِ طيباً وبَهجَةً فياليتَ ذاك الوردَ كان نصيبي

ونشرُ أفكاره دَارِي، ومن مواردِ أنسه لنا رِي، وإنه مع ذلك توقّد ذكائه لناري.

وله أخلاق، ذاتُ حَواشٍ رِقاق. إلا أنه على الشعرِ مقصور وليس له من

الإعرابِ نصيب، فطبعه على عامّيته يخطئ عوقد لا يصيب. وأكثرُ شعره نُتفٌ وهَجْوُ

وهزل، وقلّما يقع فيها المطبوعُ الجَزَل.

كقوله: [الطويل]

إذا رام محفوظٌ يريني للشرا من الدفن قطراً لا نظير لحسنيه

فقولا له إني وحقّ حياتيه مُرادِي أرى تعليقه قبل دفنيه

وقوله: [الوافر]

وعن كبشِ الذبيح سألتُ يوماً خبيراً بالعلوم أتى إليّ

أيحيا الكبشُ بعدَ البعثِ أيضاً فأخبرني بأن الكبشِ يحيى

وهاهنا أمر نفيس، نمحو به السيئات، وبحث عظيم، نُحيي به عظام الرُفات.

= من الذكاء والفطنة والتضلع من أنواع الفنون، وكان في أول أمره ساقط الرتبة فخدم القاضي محمد بن الأعوج بإقراء أولاده القرآن فجعله كاتباً بمحكمة حماة ثم أنه ترقى إلى أن أفتى وانفرد بالفتوى من حمص إلى معرة النعمان. وألف، ومن تأليفه: منظومة في العقائد سماها الرسالة الهادية إلى اعتقاد الفرقة الناجية، وتفسير سورة الإخلاص في مجلد. وكان على شهادته بذي اللسان مغرى بالهجاء حتى هجا بني الأعوج وأطلق فيهم لسانه فضاق عليه حتى حمى حماة فأقلع إلى طرابلس الشام وسكنها، ثم هرب بعد حين إلى حلب بسبب هجائه لأمير طرابلس الشام، وكان يتردد من حلب إلى البلدان التي بقربها، ومنها إدلب الصغرى التي توفي بها في سنة ست عشرة وألف. خلاصة الأثر (٣/٩٠).

وهو أن الحيوانات هل يُحييها الله تعالى وتُحشَر ويُقتَصَر لبعضها من بعض؟ فأكثر أهل الحديث والسنة والأصول على أنه كذلك، لوروده في القرآن، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]، ولقول سيد المرسلين ﷺ، في خبر القصاص يوم القيامة: «يُؤْخَذُ لِلْجَمَاءِ^(١) مِنَ الْقَرْنَائِ».

وخالفهم الإمام أبو الحسن الأشعري، فقال في كتاب «الإيجاز» ما نصه: لا يجب على الله تعالى أن يعوّض البهائم والأطفال والمجانين وجميع الخلق الذين خلق فيهم الألم، خلافاً للقدرة حيث قالوا: إن الله تعالى إذا ألم الحيوان لا على سبيل الاستحقاق وجب عليه أن يعوّضهم، وألا يكون ظالماً.

ودليلنا أن العقل لا يُوجب على الله شيئاً، وإذا ثبت أن البهائم وغيرها من الحيوان الذي خلق فيه الألم من غير جُرم ولا ذنب لا يستحقون ذلك، لم تجب إعادتهم ولا نشرهم ولا حشرهم يوم القيامة.

وقالت القدريّة: إن لم يعوّضهم في الدنيا فإنه يجب عليه حشرهم في الآخرة، وبعثهم كبعث المكلفين.

فإن قالوا: قد قال النبي في خبر القصاص: «حَتَّى يُؤْخَذَ لِلْجَمَاءِ مِنَ الْقَرْنَائِ». قلنا: «المراد به حتى يؤخذ للضعيف من القوي فكفى بذلك عنهم، لأن الدليل قد قام على أنهم غير مكلفين، ومن لا تكليف عليه لا يعاقب، ولا يُقتَصَر منه» انتهى.

وفي «سراج الملوك»: اختلف السلف في هذا: فقال ابن عباس رضي الله عنهما: حشرها موتها، وهو تأويل بعيد؛ لأن الحشر الجمع، وليس في موتها جمعها، بل تفريقها بتمزيقها. ومعظم المفسرين على أنها تُحشَر كلها حتى الذباب يقتصر منها، ثم يقال لها: كوني تراباً.

وقال بعضهم: لا يُقطع بإعادتها كالمجانين، ومن لم تبلغه الدعوة وتوقف بعضهم في ذلك.

والدليل عليه الآية: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]، والحديث الصحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه: «لَتُؤَدَّنَ الْحَقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ^(٢) مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَائِ».

وأنكره الأشعري لأنها غير مكلفة، والخبر تمثيل لشدة التقصي في الحساب. وقال الإسفرايني: يقتصر منها بما فعله في الدنيا.

(١) الجلحاء: التي لا قرن لها. القاموس المحيط، مادة / جلع / .

ورُدَّ بأنها ليست مكلفة، فهي في المشيئة يفعلُ الله بها ما أراد. انتهى.
أقول: قد حصل بهذا التفصيل الوقوفُ على الأقوال الأربعة، وأدلتها، والحق
الذي تشتفي به الصدورُ، ألا تؤوّل الآية والحديث بما هو خلاف الظاهر، والشبهة
الدّاعية له من أنها غيرُ عاقلة ولا مكلفة، والحشرُ والحساب مبنِيّ على ذلك، فإذا
سقط الأساس سقط ما بُني عليه.

فالجواب عنها أن نسلم أنها غيرُ مكلفة؛ لأنها لا تعقل، والنزاع فيه مُكابرة.
إلا أنها لما كانت في المشيئة يفعل الله بها ما يُريد، وهو لا يُسأل عما يفعل
باتفاق أهل السنة، بل العقلاء، فنقول إن الله تعالى يعيدها، وينصف بعضها من
بعض، بما فعلته بإرادتها، لإدراكها للجزئيات، وليس هذا بتكليف، ولا مبنِيّ عليه،
لأن جزاء التكليف إنما يكون في داري الخلود؛ الجنة والنار، وهي تعود تراباً قبل
دخول أهليهما فيهما.

وأما فعلُ الحكيم القدير لذلك: فليعرف أهلُ المحشر أنه عز وجل لا يترك مثقالَ
ذرة من العدل؛ ليتحقق أهلُ النعيم ما لهم من النعيم المقيم، وأهلُ الجحيم ما أعدَّ
لهم من العذاب الأليم، تنويراً لهم وإرشاداً، لأن يعلموا عظمة كبريائه وتساوي جميع
مخلوقاته عنده بالنسبة لذلك.

ولك أن تقول: قولُ ابن عباس: «حشره موثها» معناه أن حشرها لأجل أن
يُفنيها، ويقول لها: كوني تراباً.

ولولا بُعدُ كلام الأشعري بتصريحه بما يُنافيه حملنا أنه تمثيلٌ على ما ذُكر، أو
قلنا: إنه إنما أنكر الوجوب، ولكن الحقُّ أحقُّ أن يُتبع.

وهذا مما ينبغي أن يكتب بالنور على صحف خدود الحُور. وإنما ذكرنا هذا مع
طوله وعدم مناسبته لموضوع الكتاب، تصدقاً على من طالعه بجواهر الفرائد. ومما
يُنبغي إيرادُه هنا، ما قلته في عتاب بعض الناس، وهو: [الرمل]

قل للذي لام ولم يختشم لخبث لؤم حشو طبع دني
هب أنك الثور تغيرن على جم له مزعئ فلم يذعن
أما تخافن غداً مالِكاً يقتص للجم من الأقرن

١٢٧ - حسن بن الشامي

ماجد صبيغ من معدن السّماح، وابتسمت في جبينه غرة الصّباح. اللطف حشوّ
إهابه، والفضل لا يلبس غير جلبابه. [المجتث]

لو مُثّل اللطفُ جسماً لكان للطف روحاً

١٢٧ - حسن بن زين الدين الشهيد، العاملي، الشهير بالشامي، نزيل مصر. من مصنفاته: كتاب

إذا نزل بناذ ارتحلت الهموم، وارتضع من أخلاقه أخلاق بنت الكروم. فمما
أنشدنيه من أبياته، ونزّه سمعي في ربا مقطعاته، قوله: [الكامل]
مصرٌ تفوق على البلاد بحسنها وبني لها العالي ورقّة ناسها
من كان يُنكر فالتحاكم بيننا في روضة والجمع في مقياسها

١٢٨ - إسماعيل بن الحسين

كاتب السرّ الخُزرجي

تاج مفرق عصره، وعقد ترايب نحره.
اشتعلت فحمة الليل بأسماره، وسال نهرُ الصبح في أخباره. فتخمّرت طينته
بالندى، وأفرغت في قالب الهدى. وسقى عصره صيبُ الأفضال، حتى أورقت به
رياضُ الكمال.

وهو قريبُ العهدِ فمن لم يره، فقد سمع في بديع الآثار خبره. وقد طالعت
«ديوانه» فلم أر فيه ما يلدُّ به الذوقُ السليم، ويعترف به الطبعُ المستقيم. كقوله في
سطل^(١): [المتقارب]

ضربتُ وأدخلتُ نارَ الجحيم فنلتُ بصبري نعيماً مقيماً
وضيّرتُ بينكم عبرةً لمن شاء منكم أن يستقيماً
يستقي م

ومثله قولِي مضمناً: [الوافر]
يقول مؤاجرٌ غضباً لماذا أيوزُ الناس أمستُ لن تقوما
وكنتُ إذا غمزتُ قناة قوم كسرتُ كعوبها أو تستقيماً
تستقي م

ومن البيوت بمصر بيوت الغزّيّة:

١٢٩ - فمنهم محيي الدين الغزّي

بدرُ سماءِ الكمال، كوكبُ غرّة الإقبال.

= منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان، وكتاب المعالم، والانسى عشرية، ومسك
الحج وغير ذلك.

وكانت ولادته في سنة أربع وخمسين وتسعمائة، وتوفي في سنة إحدى عشرة بعد الألف
خلاصة الأثر (٢/٢١).

(١) السطل: طسيمة لها عروة، جمع سطل. القاموس المحيط، مادة /سطل/.

فاح من أخلاقه رَوْحُ الْجِنَانِ، وَفَضَّحَتْ كَلِمَاتُهُ عَقُودَ الدَّرِّ وَالْمَرْجَانِ.
رَأَيْتَهُ بِمِصْرَ وَمُورِدُ عَيْشِهِ صَافِي، وَبُرْدُ نَعِيمِهِ عَلَى مِعَاطِفِ النُّعْمَةِ صَافِي.
وَلَهُ شَعْرٌ رِدِّي، وَرَبِمَا وَرَدَ فِيهِ مَا هُوَ نَدِّي نَدِّي.

فمنه قوله يداعب صديقاً له يُسَمَّى الْخُصُوصِي: [مخلع البسيط]

يا رَاكِبَ الْبِغْلَةِ الشَّمُوصِ وقائد المَهْرَةِ وَالْقَلُوصِ
بِسَاحِلِ الْمَرْجِ لَا تُعْرَجُ وانزل على ساحل الْخُصُوصِ
أَحِبُّ مِصْرَ الَّتِي تَسَامَتْ ففضلها جاء بالْخُصُوصِ
لَأَنَّ مَفَّتَ الْإِلَهَ رَبِّي قد حل في الروم بِالْخُصُوصِ

١٣٠ - أحمد الغزي

ابنه

شهابٌ طلع في أفق الكمال غرة، وجرّ أذيال همته على ساحل جدول المجرة.
فنثر ونظم، ومن يشابه أبه فما ظلم. فمن لمعات ذلك الشهاب، وقطراته
العذاب. قوله من قصيدة: [البسيط]

الجوهرُ الفَرْدُ من مَعْنَاكَ مَنْتَشِرٌ والمَمْنَدُلُ الرَّطْبُ من رَبَّكَ مَنْتَشِرٌ
ومنها:

كلُّ الشهورِ ربيعٌ عند مَقْدَمِهِ وكلُّ شهرٍ سوى أيامه صَفْرٌ
يا مَنْ أَيْادِيهِ أَبْكَارٌ أَفُوزُ بِهَا ومَنْ زَمَانِي لَدَيْهِ كُلُّهُ بُكْرٌ
ومن بيوتها بيوت الطورية، ومنهم:

١٣١ - عبد القادر الطوري

﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكُنْتُ مَسْطُورِ﴾ [الطور: ١-٢]، لهُو صديقٌ لي تجرُّ به المودة حُلَّ
الحُبُورِ. وروضٌ مجدٍ ناضر، وبحرٌ أدبٍ وافر. لكن طبعه أم الصقور، مقلاتٌ نزور.
ولم يُورِقْ حتى احتضِر، ومضى بأمر عزيزٍ مُقْتَدِر.

١٣١ - عبد القادر بن عثمان القاهري الحنفي الشهير بالطوري. مفتي الحنفية بمصر من بيت أئمة
الحنفي، وكان عالماً فاضلاً، فقيهاً، أديباً، وله وجاهة ونباهة في أنواع العلوم، وكان ملازماً
على الإفتاء والتدريس بجامعة الأزهر. وله تصانيف منها: شرح على الكنز في الفقه، وتكملة
البحر الرائق، وله كتاب في الأدب جمعه من نظمه ونثره سماه: الفواكه الطورية.
قال المحبي: «وقد تفحصت عن وفاة الطوري كثيراً فلم أظفر بها سوى أنني رأيت في مجموع
بخط بعض الأفاضل الأدباء وكان ممن قرأ على الطوري أنه كان موجوداً في سنة ست وعشرين
وألف». خلاصة الأثر (٤٤٢/٢).

فمما أنشدني قوله: [الوافر]

تنور بُغيتي ببديع صنع
له قد رشيق ثم جسم

وفي «تحرير التحريف»: يقولون: تنور الرجل من الثورة، والصواب انتور وانتار، ولا يقال تنور من الثورة، بل إذا أبصر النار.

قال امرؤ القيس: [الطويل]

تنوزتها من أذرعَاتِ وأهلها
بيثرب أدنى دارها نظر عالي

انتهى.

وقد صرح بعض أهل اللغة بخلافه.

وكنا يوماً في جمع جم، بسفح الجبل المقطم، وبعض المشايخ يدعو بالاستسقا والسحاب قد تمطى على وسادة الجو واستلقى. فلما دعا ارتفعت حجب السماء بدعائه، حتى لا تحول بينه وبين سمائه. فأنشدني قول الشاعر، وهو لبعض شعراء الأندلس: [الكامل]

غزبية غدق بها السخ
وجرى لبعض دموعهم سفح
فكأنما خرجوا ليستضحوا

خرجوا ليستسقوا وقد نشأت
حتى إذا اصطفوا لدعوتهم
كشفت السحاب إجابة لهم
فأنشدته قول التَّوخي: [الطويل]

وقد كاد هذب الغيم أن يبلغ الأرضا
فما تم إلا والغمام قد انفضا

خرجنا لنستسقي بيمن دعائه
فلما ابتدا يدعو تقشعت السما
ثم قلت أنا: [الخفيف]

أسرع الصخو إذ دعا بالماء
عن رعود مُتهللة الأتواء
فاشتفى صدره ببرد الدعاء
مات لما دعا بالاستسقاء

وولي قطب لرب السماء
في صراخ وأذمع وهو يغني
كان في الجو للغمام ازدحام
فكان السحاب كان مريضاً

وكان رجل منحوس له قميص واحد، إذا غسله يجلس في بيته حتى يُشفيه، كما

قيل: [الكامل]

لبسوا البيوت وزرّوا الأبواب

قوم إذا غسلوا الثياب رأيتهم

فإذا نشره لم تزل السماء مُغيمة ماطرة، فرأى الناس منصرفين من الاستسقاء،

وقد أُجيب دعاؤهم لما غسل ثوبه، فقال: [الطويل]

بكل كريم للدعاء مجاب

غدا الناس يستسقون من كل وجهة

فوافاهم الغيث الذي سمحت به
وفي ظنهم أن قد أجيب دعاؤهم
وما أحسن قول القائل: [الخفيف]
قام قوم بسنة الرّي حتى
فكان الغمام لما أتاهم
ومما كتبه له مضمناً: [الرجز]
أيا صديقاً عرفه ندي
لم يخل من بعدك لي ندي
يد المزن هطالاً بكل سحاب
وما علموا أنني غسلت ثيابي
غلب النجح بالإجابة ياسا
ضاحكاً ظن في الوري عباسا
وكفه من الندي ندي
وبلدة ليس بها طوري

١٣٢ - علي بن الخزرجي شيخ الشيوخ بالسّيوفية، الضرير

فاضل مكفوف، وأديب بالمعروف معروف، له شعرٌ وسَط، وأثر عن علو مرتبته
مُنحَط.

كقوله فيمن عابه بالعمى: [السريع]
ليس العمى داءً ولكنه
ما الهم والداء وكلّ البلا
فالحمد لله الذي صاننا
أنشده في كتاب له سماه «نيل المني في الكلام على أولاد الزنا»، وذكر فيه
حديثاً: «لا يدخل الجنة ابن زانية».
وقال فيه: إن ولد الزنا في أصله خبيث، وهو في نفسه خبيث، وذلك الخبث
يدل على سلب الإيمان منه، وكذا الملوّط، وذو الأئنة المستمر على ذلك.
أقول: في «اللألي المصنوعة» للسّيوطي، عن أبي هريرة، قال: قال
رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة ولد زني ولا ولده، ولا ولد ولده».
وفي رواية: «فرخ الزنا لا يدخل الجنة».
وفي رواية: «لا يدخل الجنة ولا شيء من نسليه إلى سبعة آباء».
قيل: هذا لا يصح.
وفي «الجلية» له رواية.

وقال عبد الرزاق، عن ابن التيمي، قال: حدثني أبو بكر، وكان عندنا مثل وهب
عندكم: أنه قرأ في بعض الكتب أن ولد الزنا لا يدخل الجنة، إلى سبعة آباء،
فخفف الله عن هذه الأمة فجعلها إلى خمسة آباء.

وسأل بعضهم أبا الخير الطالقاني عن هذا في جمع من الفقهاء، فقال بعضهم: هذا لا يصح، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [فاطر: ١٨]. وذكر بعضهم، قال في معناه: إنه إذا عمل عمل أضلّيه، وارتكب الفاحشة لا يدخل الجنة.

وزيفه بأنه لا يختص بولد الزنا، بل حال ولد الرّشدة مثله. ثم فتح الله عليّ جواباً شافياً، لا أدري هل سبقْتُ إليه أو لا، فقلت: إنه لا يدخل الجنة بعمل أضلّيه، بخلاف ولد الرّشدة، فإنه إذا مات طفلاً وأبواه مؤمنان ألحق بهما، وبلغ درجتَهُما بصلاحيهما؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَبْغَضَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ يَأْتِيَنَّ﴾ [الطور: ٢١].

فولد الزنا لا يدخل الجنة بعمل أبويه. أما الزاني فنسبه منقطع، وأما الزانية فشؤم فعلها منع من وصول بركة علمها إليه، انتهى.

وقد يقال: إنه لخبث طينته ونُطفته، وفساد بذره يُقدر الله ويكتب شقاوته في الأزل، بخلاف ولد الرّشدة، ولا بُعد في هذا وكونه من الإخبار بالمغيبات. ومن كُفريات أبي العلاء المعري قوله في «لزوم ما لا يلزم»: [الطويل] إذا ما ذكرنا آدمياً وفعاله وتزويجه لابنيه بنتيه في الحنا علمنا بأن الخلق من نسل فاجر وأن جميع الناس من عنصِر الزنا وأجابه الحسن بن أبي عقامة اليميني، بقوله: [الطويل] لعمرك أما فيك فالقول صادق وتكذب في الباقي من شط أو دنا كذلك إقرار الفتى لازم له وفي غيره لغو كذا جاء شزعنا وفي الحديث نكته، وهي: أنه سُمي ولد الزنا فرخاً، وهو استعارة بديعة، وعيها استعمال أهل الحجاز، فيقولون في الشتم: هو فرخ، بمعنى ولد زناً؛ لأن الفرخ لا يُعرف له أب، وإنما تُعرف الدجاجة التي باضته، ففيه لطف لا يخفى. ومما قلته: [المنسرح]

كم من كريم قد بات في دعة أتاه سئل الصبح بالنكد
ورب فرخ أراشه زمن فصار بالعز بيضة البلد

١٣٣ - زين الدين محمد الأنصاري الخزرجي الحنبلي

زين زمانه، وعين أعيانه. ذرة تاجه، عقيلة نتاجه. كان في عصره بيت القصيدة، وعنوان الأدب وأول الجريدة. لم تُفقد على مثله الخناصر، ولم تحمِل بتوهم له بطون الدفاتر. ولم يذر على نظيره نطاق نادي، ولم

تحميل كتحف أخباره الركبان من حاضرٍ وبادي. تفقه على مذهب أحمد بن حنبل، فكان لطلابِه سهلَ الموردِ عذبَ المنهل. [الطويل]

وللناسِ فيما يعشقون مذاهبُ

وهم في كلِّ عصرٍ أقلُّ من القليل، وهكذا الكرامُ كما قيل: [الطويل]

يقولون لي قد قلَّ مذهبُ أحمدٍ وكلُّ قليلٍ في الأنامِ ضئيلٌ

فقلتُ لهم مهلاً غلِطتم بزعمكم ألم تعلموا أن الكرامَ قليلٌ

وما ضرَّنا أنا قليلٌ وجارُّنا عزيزٌ وجارُّ الأكثرينِ ذليلٌ

وهو جوادٌ لم يهَبْ أن وهب، فالذهبُ عنده كاسمه ذهب.

وكان له بالقطبِ المكيِّ صحبةٌ واجتماع، حتى كأنه نديمٌ جديمةً وجارُّ القعقاع.

ولم يزل كذلك حتى أغار عليه الدهرُ وانتَهَب، ورآه هبةً نفيسةً فرجع فيما وهب.

فمما كتبه للقطبِ المكيِّ: [الطويل]

يقبَلُ أرضاً أشرقَتْ شمسُ علمها به شرفتُ أصلاً وفرعاً ومختِداً

محبُّ يرى بذلَ الدعاءِ فريضةً لمأوى العلاءِ والشوقِ قد زاد واغتدى

ترنُّحه ذكراكم كلَّ ساعةٍ على ما به من حرٍّ وجدٍ توقِّداً

يهيمُ إلى مغناكم وفؤاده أقام وبُعِدَ الجسمُ قد زاد في المدى

فيا آل ليلي هل أبيتُ بحيكم وطائرٌ ليل الوصلِ يمسي مغرداً

وهل تسمح الأقدار يوماً بعودة فأطرب في تلك المعالم منشداً

أعيناي نأما طالما قد سهرتُما فهذا زمانُ الوصلِ أصبح مُسعداً

لكم من محبِّ ألف ألف تحيةٍ لها المسكُ يغتو بالخضوع تعبداً

فأجابه: [الطويل]

إذا كتبتُ كفي كتاباً إليكم منحتُهُ دموعٌ طول أوقاتها تجري

وإن سطرْتُ سطرًا تمنيتُ أنني أكون من الأشواقِ في ذلك السطرِ

عليكم سلامُ الله ما لاح بارقٌ وما سارتِ الركبانُ في البرِّ والبحرِ

وإني مُحبٌّ مستمرٌّ على الدعاءِ لحضرتكم في الصبحِ والليلِ إذ يسري

وأسألُكم ردَّ الجوابِ فما عسى يفرِّجُ مما قد تمكَّن في صدري

فأوراقُكم عندي أجلُّ من الرضى وأحلى من الإيسارِ عند ذوي العسرِ

١٣٤ - نور الدين بن الجزار الشافعي

بدرٌ أشرقَتْ من أفق الكمالِ أنوارُه، وخُطَّت في صحائف المحاسنِ آثارُه. جُنيتُ

إليه ثمراتُ الألبابِ، فجبى زكاتها لفقراءِ الطلابِ. عذبُ المشربِ، واسعُ المذهبِ.

ضاعف الله حُبورَه، ويأبى الله إلا أن يتم نُورَه. دعاه الندى فأجاب، ورمى حدق المعاني فقرطس وأصاب. فلم تكن الآراء في فواضله تختلف، فابن الجزار يعرف من أين تؤكل الكتيف. إذا طبَّق مفاصل الأشعار، أنسى محاسن الشواء والجزار. نحرَ الأمور نَحراً، وقتل الدهرَ حُبراً.

فمن محاسنِه قوله في الوجِه، وهو منهل معروف بطريق مكة، شرفها الله تعالى،
أمين: [الطويل]

وقد طاب فيه للحجيج مقام
وقد ضربت في جانبِه خيام
فجاد عليهم بالعطاء غمام
من الله ما سَحَّ الحيا وسلام

ولم أذر أن القرب يؤذن بالبعد
وخلقتُم في الوجِه دمعي على خذي

وقد طاب فيه للحجيج مقام
مباركة من ربنا وسلام

تبدي وجهه لي وارتويت
ولكن مثل وجهك ما رأيت

عطاشاً وكلُّ خاب فيه رجاؤه
ولا خير في وجهه إذا قلَّ ماءؤه

وللفارضي في بعض مناهله أيضاً: [م. الرمل]

لو يكن في العمر مرة^(١)
أبغض الحورا وأكسرة^(٢)

غريب اليف الحزن مقلته عبري
فلم يبق سن في العهود ولا أنكري

ولما رأيت الوجِه سال من الحيا
وعاينت ركب الحج حل بسفجه
ومدوا إلى الغيث الهطول أكفهم
فقلت على الوجِه المليح تحية
ومثله لابن أبي حجلة: [الطويل]

أيا سادة في الوجه فزت بقربهم
سريتُم إلى أنكري فشردتُم الكرى
ومثله للقطب المكي أيضاً: [الطويل]

أقول ووادي الوجه سال من الحيا
على ذلك الوجه المليح تحية
وللقيراطي أيضاً: [الوافر]

أتيت إلى الحجاز فقلت لَمَّا
وكم في الأرض من وجه مليح
وقلت فيه عند قلة مائه: [الطويل]

أقول وقد جئنا إلى الوجه مرة
إذا قل ماء الوجه قل حياؤه
وللفارضي في بعض مناهله أيضاً: [م. الرمل]

رؤني من ماء نبط
ودع الحوزا فإني
ولابن حجر العسقلاني: [الطويل]

أجبتنا لا تنسوا العهد من فتى
تذكرت في درب الحجاز عهدكم

(١) النبط: واد بناحية المدينة. القاموس المحيط، مادة / نبط / .

(٢) الحورا: موضع قرب المدينة، وهو مرفأ سفن مصر. القاموس المحيط، مادة / حورا / .

وقد جعل أكرى مقصوراً، وغيره جعله بالهاء، فكأنه منقول من الفعل، وهو الجاري على الألسنة.

١٣٥ - محمد الفارضي

فاضلٌ جرث في مضممار الأدب سوابقه، وتألّق في سماء الفضل من خلال سحائبها بوارقه. حتى ترنمت بمآثره وُزق الحمائم، ومزقت طرباً لها جيوب الغمام، وطال عمره حتى لفّ الدهر على هامته ثلاث عمائم. وصفا ماؤه فتلون بلون إنائه، ونفض الزمان عليه صبغ صباحه ومسائه.

وله سهم عائل في العربية والفرائض، وبديهة في ارتجالها تسبق لما يعجز عنه ألف راض. فإذا خاطب بالخطابة تهتز له أعواد المنابر، ويورق بفضل فضائله روضها الناضر. وإذا ارتجز فلا يشق روبة غباره العجاج، وإذا أحمض بهزله ذهب مجاناً لطائف ابن حجّاج. وربما مال إلى جعله مقرّاض الأعراض منهجاً، سالكاً بحروف الهجاء مسلك من هجاء.

وشعره بديارنا يتلوه فم الدهر، وتتفكّه الأسماع منه بغض الثمر والزهر.

فمنه قوله في قصيدة يهنئ بوفاء النيل: [الطويل]

أناسٌ بهذا البحر قاسوا نوالكم
ففي العام جبر النيل يحصل مرّة
وقوله مضمناً: [الكامل]

وبعيناكما فرق يحقّقه الخبر
وفي كل يوم من نداكم لنا جبر
قد كنت ألبسها بغير تكلف
قلبي يحدثني بأنك مثلي

وهذه الجوخة لو ركب عليها فزوة ابن نباتة وابن سارة، وأسدل عليها طيلسان ابن حرب، كانت أفخر لباس يهدي لملوك الإفلاس. كما قال ابن سارة: [الكامل]

أودت بذات يدي فروة أزنّب
لو أن ما أنفقت في إصلاحها
إن قلت بسم الله عند لباسها
ومما أنشدت له أيضاً قوله: [الدوبيت]

كفؤاد عزوة في الضنى والرقة
يخصي لزد على رمال الرقة
قرأت عليّ إذا السماء أنشقت
في مصر من القضاة قاض ولّه
إن رمت عدالة فقم عدلّه
وله أيضاً: [الوافر]

لأمرك واحترز من تزجماتك
ألا يا أيها القاضي تيقظ

ألم تنظر يدها كل حين
وهذا مأخوذ من قول الميكالي: [الخفيف]

بمكروه وشوء تزجمانك
صل محبباً أغياه وصف هواه
فصناه ينوب عن تزجمانه
كلما رافه سواك تصدث
مقلته بدمعه تزجمانه
وله أيضاً: [السريع]

من مغرم يذهب بالمال
لو سلك الناس سبيل الثقى
ما استفتح القاضي ولا الوالي
وله: [م. الوافر]

وخل القليل والقالاً
تزوّد حكمة مني
قبول الحاكم المالا
فساد الدين والدنيا
وله: [السريع]

وذاك في الأحكام مما يجب
يصلح للحكام في عصرنا
والضرب بالذرة للمخسب
الصلب للوالي على شعبة
وله في العلامة منوش التونسي: [الوافر]

يؤرق كل ذي شجن ويونس
أثوجشنا وتونس بطن أرض
ولكن مثلما أوحشت تونس
ونحوه قول الشهاب المنصوري في مليح

لأن حبي قده أميس
لست لأغصان الثقا مادحاً
لأن عندي قمري يونس
ولست بالأقمار مستأنساً
ومن هزلياته قوله: [الطويل]

معاشر جمع الناس ينصت من حضر
إذا قام في سوق مناد لحاكم
مقدم باب اللوق إلا أبو عكر
فغاية ما يأتي به أن يقول ما
وله قصيدة مقصورة عارض بها مقصورة ابن ذريد، وهي: [الرجز]

بغيسجور ألفت جذب البرا^(١)
أو الذميل ما تحريت الوحا^(٢)
ورد بها ماء نميراً بالنقا
وقيل جدوا تخمدوا غب الشرى
إن قصارى العزم حمد وغنى

(١) العيسجور: الناقة الصلبة، والسريعة. القاموس المحيط، مادة /العيسجور/.

(٢) الوخذ: السير السريع. القاموس المحيط، مادة /وخذ/.

الذميل: السير البطيء. القاموس المحيط، مادة /ذمل/.

مَنْ طَلَبَ الْعَلِيَاءَ يَشْقَى دُونَهَا
مَنْ قَعَدَ الْجَبِينَ وَأَثَرَ الثُّرَا
فَلَا يَهْوُلَنَّكَ بُقْعٌ بُنْتُكَ
يَا رَبِّ خَبِتِ جُبْتُهُ فِي حَالِكِ
يَمُورُ مَوْرًا كظَلِيمِ نَافِرِ
ثُمَّ انْبَرَى يَخْبُ فِي حَزْنٍ وَمَا
أَطْلَبُ نَجْدًا وَبِنَجْدِ شَجِنِي
لَلَّهِ حِينَ سَمِحَ الدَّهْرُ بِهِ
كُنْتُ بِهَا لَمْ أَخْشَ بَيْنَنَا آمِنًا
بِهَا وَقَوْدِي فَاحِمٌ هِمْتُ فَمَا
لَمْ يُثْبِتْهُ الْعَدْلُ وَلَا يَعْطِفُهُ
أَقْصَرَ أَخَا اللُّومِ مَلَامًا أَوْ أَطْلُ
لَوْ جُرْعَ الصَّابِ كَوْوَسًا مَا سَلَا
لَا يَطْبِيهِ دُونَ سَلْعٍ مَرْبَعٍ
ومنها:

أَيْنَ الْجَهَامُ الْخَلْبُ الْبَرْقُ مِنَ الْ
وهي طويلة، عديمة الطول، والبغرة تدل على البعير.
ومن الوافدين عليها من الفضلاء الأعلام، وكرام مشايخ الإسلام:

١٣٦ - العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ المغربي

المالكي نزيل مصر

فاضل لغر المناقب مشرق، ويدرر لعلو همته سار من المغرب للمشرق. وهو رفيق السداد، وبيت مجده منتظم الأسباب ثابت الأوتاد. وهو كما قيل فيه دميث من

(١) البقع: ما فيه سواد وبياض، والأدبة: السيف. القاموس المحيط، مادة /بقع/.
البتك: القطع. القاموس المحيط، مادة /بتك/.

١٣٦ - أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد أبو العباس المقرئ التلمساني المولد، والمالكي المذهب، نزيل فاس ثم القاهرة، حافظ المغرب. كان آية باهرة في علم الكلام والتفسير والحديث ومعجزاً باهراً في الأدب والمحاضرات، وله المؤلفات الشائعة منها: عرف الطيب في أخبار ابن الخطيب، وإضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة، وغيرها.

ولد بتلمسان ونشأ بها وحفظ القرآن، وقرأ وحصل بها على عمه الشيخ الجليل العالم أبي =

غير خَفَر، وليُّنْ جانب من غير خَوَر. ذو رأي يردُّ اللبن في الضَّرْع والنار في الزُّنْد، وله آثار يُثْنَى عليها ثناء النسيم على النَّد. وأدب امتزج باللفظ امتزاج الماء بالخمير، وقِيصل حُكْم رفع به التنازع بين زيد وعمر. وهو لِفقه مالك، أكرمُ سيِّدِ مالِك. وقد بوَّأه الله في الحديث تَكْرِمَةً بين العُلَيَّا والسَّنَد، وجدَّ في إرث المجد بغير كَلالَةٍ عن أكرم أب وجد. [الكامل]

مضتِ الدهورُ وما أتتْ بمثله ولقد أتى فعجزنَ عن نُظرائه
أما الشعر فهو أضْمَعِي باديته، وسلْمان بيته، وحسَّان فصاحته.

فما مَسَّ قُضِبَ الأقلام إلا سجدتْ شكراً إذ رأته قَبيلة الآمال، وأقسمتْ إن من البيان لسحراً لكنَّه السحرُ الحلال. وهو من قوم تعاوَيْدُهم الصَّوارم، وآثارُهم في كلِّ جيد تمائم. أنفقَ عمره في كسْبِ الخير الرَّابح، لَمَّا علم أن مآلَ المال غاد ورائح. ولمَّا رأى ما بمصر من الحسد والنِّفاق، وتجارة الآداب ليس لها بسوقها نفاق. ولم يرضَ بالكساد، ومسابقة الحمير للجواد. ارتحل للشَّام ذاتِ العماد، فقال له رائدُ السَّداد: [الرجز]

من سابِق الجواد بالحمارِ جَنَّتْ يدهُ ثمر الغُبارِ
وقد كنتُ أستقِطِرُ خبره وأستودِقه^(١)، وأؤمِّل أن ربيع التلاقي يخضُرُ ورقه.

ويرد عليٌّ منه ما يسرُّ الثكالي، وينسيها صِعب الآفات والرِّزايا. مما يستنزُّ العصمَ للوهاد، وتُضغِي له أوابدُ الأيام حتى تُصاد. وعصرُ اللثيم لثيم، وزمان لكريم كريم. [الطويل]

والوردُ في زمنِ الربيعِ طلوعه والعِقدُ ليس يزِين غيرَ الجيدِ

فضنَّ عليٌّ بالأثر والعين، ولم يرضَ أن يجمع بين ساكنين. فسبقت المذيا الأمانِي، وجاءني بنعيه من كنتُ أرجوه بشيرِ التَّهاني. [م. الكامل]

فبكيثُ للظِّل الذي لم يثبسط حتى انطوى

= عثمان سويد بن أحمد المقرئ مفتي تلمسان ستين سنة. ورحل إلى فاس مرتين، وكان بها الملك الأعظم مولاي أحمد المنصور المشهور بالفضل والأدب، وإن الفتوى صارت إليه في زمنه ومن بعده لما اختلت أحوال المملكة ارتحل تاركاً للمنصب والوطن قاصداً حج بيت الله الحرام، ثم ورد إلى مصر وتزوج بها وسكنها، وظل ينتقل بين مصر، ودمشق، ومكة، وبيت المقدس، يفيد بعلمه أينما حل، وفي دمشق حضره غالب أعيان علمائها، وأما الطلعة فلم يتخلف منهم أحد. وفي نهاية مطافه دخل مصر واستقر بها مدة يسيرة ثم طلق زوجته وأراد العود إلى دمشق للتوطن بها ففاجأه الحمام قبل نيل الحرام، وكانت وفاته سنة إحدى وأربعين وألف، ودفن بمقبرة المجاورين. والمقرئ نسبة إلى قرية من قرى تلمسان وإليها نسبة ابنته خلاصة الأثر (١/٣٠٢).

(١) استودقه: طلب المطر الغزير. القاموس المحيط، مادة /ودق/.

وعلى إناء شبيبة في وقت ما امتلاً انكفاً
وقد نزهت طرقي في رياض آثاره، وملأت أزدان المسامع بجني أخباره. فرأيت
له نظماً ونثراً، ومحاسن تملأ الأفواه والأسماع دُرّاً.
ومن تأليفه: «أزهار الرياض، في أخبار عياض». و«فتح المتعال، في وصف
النعال». وغير ذلك.

ولما مرّ في طريقه بمحمد بن يوسف التاولي المغربي، كتب له يستدعي منه
الإجازة: [الطويل]

أموقظ جفن العلم من بعد ما أغفى
ومحبي رسوم الأكرمين التي عفت
أجزني بما قد قلته ورويته
فأجابه بقوله، سقى الله ثراه، وعطر مثواه: [الطويل]

أيا فاضلاً أعيت محاسنه الوصفاً
ومشكاة أنوار القراء والأدا
وحائز أشتات الفضائل إذ غدت
بعثتم بطرس بل بروض بلاغة
وأملت أعلى الإله مقامكم
من القاصر الباع الضعيف إجازة
ولست بأهل أن أجاز فكيف أن
فأضواء فكري أظلمتها حوادث
ولولا رجائي منكم صالح الدعا
فأرجو من الرحمن جلّ جلاله
وها أناذا أشهدت أنني أجزتكم
جميع تألوفي ونظمي وإن وهى
وكل الذي أزيه عن لقيته
كسيدنا شيخ الأئمة عمنا
عن أشياخهم من أهل فاس وغيرهم
وهذا هو الشيخ ابن غازي ووصفه
رعى الله عهداً كان فيه إمامنا
ولا تغفلوني من دعائكم إذا
وعند ضريح الأولياء وذكرهم

وباسط كف البذل من بعد ما كفا
ومجري معين الفضل من بعد ما جفا
ففضلك يا ذا الفضل قد حير الوضفا

وإنسان عين الود والمنهل الأضفى
وساحب أذيال الكمال على الأكفا
مفاخرة في أذن مغربنا شنفاً
تعطرت الأرجاء من نشره عرفا
والبسكم من عزه المطرف الأضفى
ألم تعلموا أن الصواب هو الإغفا
أجيز على أن الحقائق قد تخفى
فأونة تبدو وأونة تطفى
لما سطرث يمني في مثل ذا حزفا
ومن فضله أن يقبل العدل والصرفا
على سنن المألوف والمقصد الأوفى
ونثري وإن حاز الركاكة والضعفا
من السادة العرّ الألى أحسنوا الوضفا
سعيد فكم نلنا معارفه قطفاً
كمثل ابن هارون فأعظم بهم كهفا
شهير فلم يخبج لتشهيره كشفاً
ووالى على مثواه رحمة عطفاً
مددتم بباب الله سبحانه الكفا
عسى نرتوي من بحر غفرانهم رشفاً

وإن جهل الناس الحقوق بعضنا
وكأثبه المقرئ أحمد مُرتج
بجاه شفيح الخلق مأمِلنا الذي
عليه من الرحمن ألف تحية

وله في مثال نعل النبي ﷺ: [الطويل]
لك الله من تمثال نعل كريمة
يجق لذي داء يلازم وضعه
وذاك قليل في مآثر من علا
ومن ذا الذي يُخصي فضائل أحمد
عليه من الرحمن أزكى تحية
وله: [الجوييت]

يا مثل نعال خير فخر العزب
كم رمت مديحه بقصد القرب
وله: [الدوييت]

أعظم بمثال نعل عز العرب
قبله وكن بحقه معتنياً
وله: [الكامل]

ومثال نعل عزفه متارج
حاكي نعال أجل من وطئ الثرى
فاجعله خير وسيلة ترجو بها
صلى الإله على مشرفه الذي

ولما وقفت على كتابه «فتح المتعال» قلت مضمناً لبني المعري: [الوافر]
حكى المحراب تمثال ففيه
أقول لنعل خير الخلق طراً
وعز به الثراب فكل منك
ليهنك في المكارم والمعالي
وأنت لو تعلقت الثريا

وكتب له صاحبنا عبد العزيز الفشتالي،
يا نسمة عطست بها ريح الضبا
هبي إلى ساحات أحمد وشرحي

فمثلك من راعى الحقوق ومن وفى
من الله جلّ العون والبرّ والعطفاً
نؤمل يوم الدين من حوضه رشفاً
ننال بها حسن الختام مع الزلفى

بخير الورى فاقت سناً وسناء
على جرحه منه ينال شفاء
على كل أوج إذ أجاب نداء
وقد جود القرآن فيه ثناء
تؤسس للمدح الشريف بناء

يس أجل واطي للثرب
والعذر أجل والمعاني تربي

من أزشدنا إلى أجل الثرب
واجعله وسيلة لدفع الكرب

في الخافقين ونوزه متبلخ
وبدت كواعب مجده تتبرج
دفع المكاره حين ضاق المخرج
أشكال منطلقه الهداية تنتج

لنا سجدات تقبيل تواسى
وقد حاز السهابة والجلالا
لرياء لقد هجر الغزالا
كمال علم القمر الكمالا
بششعك ما قطغت له قبالا

بارك الله فيه: [الكامل]

فتضمخت بعبيرها خلل الربا
شوقي إلى لثياه شرحاً مطلباً

وصيفي له بالْمُنْحَنَى مِنْ أَضْلَعِي
بَانَ الْأَحْبَبَةُ عَنْهُ حَيٌّ قَدْ تَوَى
فَعَسَاكَ تُسْعِدُ يَا زَمَانَ بِقُرْبِهِمْ
أقول: استعارة العُطَاسِ لِلنَّسِيمِ غيرُ مستحسنة، والمعروف في كلام فصحاء العرب عطس الصبح والفجر.

وفي «شرح الفصيح» للمرزوقي: يُقال: عطس إذا فجأته صيحة من غير إرادة، ومصدره العَطَسُ، والعُطَاسُ الاسم، جُعِلَ كالأذواء.

ويقال: أرغم الله مَعْطَسَه، أي أنفه.

وعطس الصبح: انفجر على التشبيه.

ولأبي إسحاق الغزوي، في قصيدته المشهورة، التي أولها: [البيط]

أَمْطَ عَنْ الدُّرِّ الزُّهْرَ اليَواقِيَتَا
كَمْ مِنْ بُكُورٍ إِلَى إِخْرَازٍ مَنقَبَةٍ

وَمِنْ لَطَائِفِ بَعْضِ المَتَأَخِرِينَ قَوْلُهُ: [مخلع البيط]

قَلْتُ لَهُ وَالدُّجَى مُوَلٌّ
قَدْ عَطَسَ الصَّبْحُ يَا حَبِيبِي

وكتب أبو عبد الله محمد بن أحمد المكلاتي على كتابه «زهر الرياض، في أخبار

عياض»: [السريع]

أَهْذِهِ أَزْهَارُ هَذِي الرِّيَاضِ
يَبِيْتُ مَعْتَلُّ الصَّبَا عِنْدَهَا
فَيَا إِمَاماً جَامِعاً لِلْعُلَا
أَبْكَارُ فِكْرِي بَيْنَ أَبْوَابِكُمْ
إِلَيْكُمْ قَدْ رَفَعْتُ أَمْرَهَا
قَدْ بَايَعْتُ بِالْحَقِّ سُلْطَانَكُمْ

ومن البيوت بمصر، بيت الجيعان وأولاده، وآثارهم تدل عليهم.

وممن أدركناه منهم، وهو آخرهم:

١٣٧ - القاضي أحمد بن الجيعان

شقيق النسيم، ربيب النعيم. ربحانة الأدب، شمامة الطرب. طراز كم المكارم، خليفة هطال الغمائم. جواد طليق، غصن في ساحة المجد عريق. ملكي الصفات، ملكي السمات، بسام العشيات. راحته سحابة نداها يزوي الأقطار، وبزقها اللامع في

أياديهِ النَّضَار. إِذَا قَدِمْتُ وَفَوْدُ الْحَاجَاتِ كَانَ رَحِيبَ النَّادِي، وَإِذَا ضَاقَ صَدْرُ الدَّهْرِ
فَتَدِيهُ وَاسِعُ الصَّدْرِ لِلْحَاضِرِ وَالْبَادِي. غَضَّ الْأَدَبُ، مُورِقَ الْحَسَبِ.
لَمْ يَزَلْ يَجْنِي زَهْرَةَ الْحَيَاةِ مِنْ حَدَائِقِ الْأَيَّامِ، وَيَخْسُو صَفْوَهَا مِنْ مَنَاهِلِ اللَّذَّةِ
وَالنَّاسُ صِيَامٍ. حَتَّى كَدَّرَ الْمَوْتُ وَزَدَهُ، وَبَدَّدَ الدَّهْرُ الْحَسُودَ بِنَوَائِبِهِ عِقْدَهُ.
وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُذَكِّرُنِي الْأَدَابَ وَالْمَعَارِفَ، وَيَأْخُذُ مِنِّي عَلَى رَغْمِ الزَّمَنِ تُحَفَّ
اللُّطَائِفِ. فِي أَوْثِقَاتٍ كَانَتْ لَعَيْنِ الْفَضْلِ قُرَّةً، وَعَلَى مَكْتُوبِ الْعَمْرِ عِنْوَانُ الْمَسْرَّةِ.
[الطويل]

إِذَا مَا مَضَى يَوْمٌ وَلَمْ أَضْطَنِغْ يَدًا وَلَمْ أَقْتَبِسْ عِلْمًا فَمَا ذَاكَ مِنْ عُمْرِي
وَالدَّهْرُ يَهُمُّ بِالْإِحْسَانِ، وَيُلْفُ بُرْدَ الشَّمْلِ عَلَى أَعْطَافِهِ الْحَسَانَ. وَهُوَ لَا يَحْسِبُ
مِنْ عَمْرِهِ غَيْرَ أَوْقَاتِ صَفْوِهِ، وَلَا يَسْطُرُ فِي صَحْفِ أَعْمَالِهِ غَيْرَ لَذَّتِهِ وَلَهْوِهِ.
كَمَا قَلَّتْ لَهُ مَخَاطِبًا، وَأَنْشَدْتُهُ مَدَاعِبًا: [البيسط]

لَا تَبِكِ هِنْدًا وَلَا تَعْتِبِ بِأَسْمَاءِ وَاصْرِفِ زَمَانِكَ فِي لَهْوٍ وَأَهْوَاءِ
يَوْمًا بِبَرِّشٍ وَيَوْمًا بِالْحَشِيشِ وَبِأَلِ أَفْيُونٍ يَوْمًا وَيَوْمًا كَأَسِ صَهْبَاءِ
وَسَأَلَنِي يَوْمًا أَنْ أَصِفَ لَهُ الشَّمْعَةَ، وَأَذْكَرُ مِنَ السَّمَاتِ عَلَى لِسَانِهَا لُئِمَةَ.
فَقُلْتُ لَهُ: لَمْ يَتْرِكِ الْأَرْجَانِي فِي قَوْسِ الْوَصْفِ لَهَا مَنَزَعًا، وَلَا لِأَهْلِ الْبَيَانِ
لِمَعَانِيهَا مَطْمَعًا. ثُمَّ بَدَأَ لِي امْتِثَالَ أَمْرِهِ، لِمَا كَانَ لَهُ مِنْ حَقُوقِ الْطَافَةِ وَبِرِّهِ.
فَقُلْتُ: [الوافر]

لَعَسَالِ الشَّمْعِ سِنَانُ نَارٍ إِذَا مَا لَاحَ يَنْهَزِمُ الظَّلَامُ
أَقُولُ لَهُ وَقَدْ وَافَى بِبَشِيرٍ كَأَنَّكَ فِي فَمِ الدُّنْيَا ابْتِسَامُ
لَمَّا لَاحَتِ الشَّمْعَةُ وَهِيَ صَاحِبُ مَسْتَقِيمٍ، وَلَطْفَتْ حَتَّى ضَرَّهَا مَرُورُ النَّسِيمِ.
مُسَامِرٍ أَيْنَمَا طَلَبْتَ كَانَ مَعَكَ، وَصَاحِبٍ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ.
يَقِفُ طَوْلَ لَيْلِهِ فِي خِدْمَةِ الْأَصْحَابِ، وَيُؤْتِمِنُ عَلَى الْخَلْوَةِ بِالْحَرِيمِ وَالْأَحْبَابِ:
[الكامل]

لَمَّا رَأَتْ أَنْ الظَّلَامَ يَكِيدُهَا وَيَكَادُ يُؤْذِنُ شَمْلَهَا بِشَتَاتِ
أَكَلَتْ مِنَ الْغَيْظِ الْمَبْرُوحِ نَفْسَهَا وَتَلَمَّظَتْ كَتَلَمَّظَ الْحَيَاتِ
فَقَامَتْ عَلَى الْكُرْسِيِّ تَجَلُّو نَفْسَهَا فِي الظُّلُمَاتِ، ذَاتَ غُرَّةٍ تَشُقُّ قَنَائِهَا جِيُوبَ
الدِّيَاجِي عَنِ صَدْرِ الْخَلَوَاتِ.

لَا يَرْضِي ثَالِثَ سَوَاهَا، إِذَا اخْتَلَى الْمُحِبُّ بِحَبِيبِهِ فِي دُجَاهَا: [الكامل]
فَلَسْتُ قَضَيْتُ لَنَا بِصُحْبَةِ ثَالِثٍ يَا رَبِّ فَلْتِكَ شَمْعَةٌ فِي الْمَجْلِسِ
أَحْبَبْتُ أَنْ أَلْذُذَ السَّمْعِ، بِوَصْفِ مَحَاسِنِ الشَّمْعِ.
فَأَقُولُ:

هي غصن فضة مُثْمِر بالنُّضار، أو هندية تحرق نفسها بالنار. بأنفاس النسيم يدنو مماتها، ويقطع رأسها تزداد حياتها.

تدبُّ النار في جسمها كما دبَّ في العمر الأجل، وتبكي فما ندري أذلك لحرقة النار أم لفرقة العسل.

ويقول لسائها للحوادث لما أذنت بينه، وفرقت بيد الدهر بينها وبينه: [الكامل]
بالنار فرقت الحوادث بيننا وبها نذرت أعود أقتل روجي
تساقط على مغمصمها من الدمع، سلاسل فضة أو شماريخ طلع. كأنها عاشق
ناجل، ملتهب الأحشاء ذو مدمع سائل. وموتها من قلبها وهو عجيب، فإن القلوب
تُحيي أجسامها وهذه لها تذيب.

إذا جنَّ الظلامُ زادت أشواقها، وظهر اشتعالها واحتراقها.
وكيف تُحاكيه وهي تنعمُ بالنهار وتعذب بالليل، وذلك في كل حين حريق بشجن
كالنار وغريق بدمم كالسَّيل. [البيسط]

هيئات ما أنت مثلي أنت في دعة طول النهار ويومي كله حرق
لا يرجع عن معشوقه ولو بقطع رأسه، ويُشدد إذا رفع صدر أمه براحة يأسه:
علقتُ به كالنار في الشمع فهي لا تفكُّ يداً عنه ولو جزَّ رأسها
وفي معناه قولِي: [المجتث]

ويلاهُ مما أقاسي إذ صرت في الناس سُمعة
قد أحرق القلب مئي حتى كأتني شمعة

وأني يستوي من عذابه في عذباته، بمن ناره في أحشائه بعد ما أحاطت بسائر جهاته.

غصن أثماره تجني على من يخنيها، تُميتها الليالي وهي تبيت تحيها.

طرة صبح تحت أذيال الدجا

غرة في وجه أدهم الليل إذا دجا.

سحارة إذا أخذ منها المقصُ وردة ردها عنبرا، وإذا بدت في محل مظلم جعلته

مُقمرًا. [المتقارب]

ويُقطف من من رأسها الجُلنار فيرجع إهليلجاً أسوداً

أظهرت قيسها ناراً على علم، ونضدت بمغمصمها ذراً ما ثقب فكيف انتظم.

فتاة اشتعل بالشيب رأسها، وجميث من حرارة القلب أنفاسها. [البيسط]

أو ضرة خلقت للشمس حاسدة فكلماً حجبت قامت تُحاكيها

أم يتولد منها سنا لطف، فإياك أن تقول لها أف.

فهي على ما تريد من طرب واقتراح، في وقت عبادة أو وقت راح.
تارة في مجلس شراب، وطوراً في وسط مخراب.
فلله منها جانب لا تضيّعه وللله منها والخلاعة جانب
تبكي في حالة التداني، قائلة: [الطويل]
من عظم ما قد سرّني أبكاني فقد تدمع العينان من شدة الضحك
ومن غريب أمورها، حرارة دمعها في وقت سرورها.
ألف عليها همزة من النضار، همزة قطع لا تزال تستفهم عما خفي من الأسرار.
شجرة تُسقى أسافلها من أعاليها، أطلعت وردة لا شوك لها تجني على يد
جانيها.
قامة هيفاء لو لمحت صبغ الدجى لمحت، ولولا خوف نارها لغنت الوزق عليها
وصدحت.
فالوجنة الورد إلا في تناولها والقامة الغصن إلا في تشيها
ظلت على مشابهة الخدود تجتري، فقطع لسانها وهذا جزاء المفترى.
إذا أشارت إلى الظلام بلسان أفعى شمّر ذيله وهرب، وإذا واقت النار حاسرة
رأسها أعادته بتاج من ذهب.
وإذا أرخت الليالي أستارها السود أمست بنورها مطرزة، ولو رام المتنبّي وصفها
بكاפורياته كانت له معجزة.
صدقت رأي الماثوية المشهور، في القول بأن الخير مخلوق من الثور.
وأظنها لما تلهّب قلبها حسداً أسالت دمعها مذرّازا
وغدت لفرط الغيظ تُعطي كل من وافى ليقطع رأسها دينازا
سرقث ما في وجنات الغيد من الإشراق، وما في قلب الصبّ الكثيب من
الاختراق، فلزمها بحكم الهوى جناية الشراق.
فانتدب المقصّ ونشط. وقام لقطع رأسها فقط.
فواعجبا والسارق يُقطع منه اليد والبنان، فلم قطعوا منها الرأس واللسان.
فكان ذلك الجلم، رأس غراب أسحم، أو فراش رفرف على اللظى، أو طائر
يلتذ بقطف شقيق السنّا. [م.الرجز]
كانه نمامة يقطف منها الهبا
وما قصها عند ظهور لهيها، إلا لظنه أنها ذوانب اشتعلت بمشيها.
فزاد ذلك القطع في الأنوار، كما تنمو بالثقليم الغصون ذات الأنوار.
فمحيّاها مبتسم مسرور، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠].

كما قلت: [الرمل]

وترى الشمع إذا زاد السننا ضاحكاً مبتسماً من بشره
كالفتى قد سره أوقائه وهي نقص زائد من عمره
تُغني الندامى عن الفلق أضواؤها، وإن مرضت فضرب العنق شفاؤها.
فطرؤها من اللهب، قطعة سبج ملبسة بذهب.
أو بنفسج تحت ورد، أو كافور على جنّي ند.
أو إصبع يشير إلى الصباح، أو لسان أخرس يتحرك ولا يقدر على الصياح.
مشعبذة تلعب بالريح فتصيره أنملة، ثم تسيله على يديها فتبدي منه سلسلة.
وتارة تجوفه فتصيره مذهنة، وطوراً تنشره فتراه أوراق سوسنة.
وأونة تنشره منديلا، وترفعه فوق رأسها إكليلا.
وطوراً تسدده سيناناً، ثم تحركه فتراه لساناً، وتارة تطويه ثعباناً.
ثم تدقه إبرة ذهب، أو تجعله حمة عقرب.
فإذا طلع الصباح، انظفأ منها المضباح.
فهي صبّ أظهر ما في سويدائه، وأفناه ما تقطر من دموع بكائه.
وليس معدّب بنار عذباته كمعدّب ناره في أحشائه. [الطويل]
يقول لسان الشمع للنار عندما بكى بدموع عقدها ظلّ ينثر
ترفق فما هذي دموعي التي ترى ولكنها نفس تذوب فتقطر
في أول عمرها ترى فزقها شاب، ثم إذا طفئت يرجع إليها سواد الشباب.
وإذا أسبل الليل أذياه، تراها واقفة كأنها تريد صيد الغزاة.
لكنها إذا دنت تهرب، فكأنها خافت من الصبح إذ خرج خائفاً يترقب.
وإذا أوقدت بجانب الغدران، تخالها بانعكاسها خياماً على عمد من المرجان.
وكانما الخليج وسناها التهاب، صرخ زجاج على عمد من ذهب. [الكامل]
والشمع فوق البحر تحسب أنه من لجة قد أطلع المرجان
والماء دزغ والشموع أسنة ولها إذا خفق النسيم طعان
تارة تبدو سافرة كالعروس، وتارة تحتجب في خدر الفانوس.
فتراه حانياً ضلوعه على الثيران، متنفساً من حرارة الأشجان.
متصبراً على الأوصاب، تعدّ ضلوعه من تحت الثياب.
في حالة ليست تُنكر، لكنه لكتمانه يتستر. [الكامل]
انظر إلى الفانوس تلقّ متيماً ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يندو تلهب قلبه لنحوه وتعدّ من تحت القميص ضلوعه
فهو رواق النور، ونديم السرور.

والشمعةُ منه في حجاب، كنجم خلف رقيق سحاب .
 كليّم لا يخاف الرّدى، إذا وجدَ على النار هدى .
 ويستر نورَ الشمع بكمامه، ويُفني قلبه فيجد قلباً آخر من مُنادمه .
 وقد جُنّت القناديلُ لغيرتها منه فهي مُسلسلة، وصارت بنار الهوى مشتغلة
 مشتعلة .

فاشتعلت النارُ على رأسها مُعلنة بالشكوى، متظلمةً إلى عالم السّرّ والنجوى .
 وقال لسانها وهي بخضاب السنّا مُخلّقة، ولا تميلوا كلّ الميّل فتذروها كالمعلّقة .
 وكيف لا وقد أفنّت نفسها في خدمةٍ من أشرقت بهجةً ذاته، واشتعل رأسُ
 الشمس وحاجبُ الهلال شيئاً وما أبصرا نظيراً لِسنا صِفاته .
 وإني لأعجبُ كيف لُقّب بالجيعان، والدهر من موائد كرمه يذوق ألوان
 الإحسان .

وكلُّ سمع ظمآن، من موارد نداءه رِيان . ومَن سمع قام في مجلسه منتصباً، لم لا
 يشني من سروره برؤياه طريباً! [المتقارب]

كان الشموعُ وقد أظهرت من النار في كلّ رأس سنانا
 أصابعُ أعدائك الخائفين تضرّعُ تطلبُ منك الأمانا

كما أعجبُ من قلم مسّه بأنامله، كيف لا يُورق وقد سقته بحور فضائله .
 وأظن الشموعَ ما أذرت دموعها، وأطالت ولّوها وولوعها .
 إلا لأنها علمت فراقها رؤياه، وبُعدها عن وجهٍ تستمدُّ من سناه، ويعوض انبيل
 عن الشمسِ مُحيّاه . [الخفيف]

ليس فيه عيبٌ يُعدُّ سوى أن م أياديه تجعلُ الحرَّ عبداً
 فهل ناديه سماءٌ طلعت فيها الدراري، أم النجومُ هوت ترجو سفد إقباله الساري .
 أم أنت يوسفُ موعوداً وقد سجدت لك النجومُ وهذا كلُّه خلنُ

ولو كان الشمعُ استجار، ما قديرث تسطو عليه يد النار .

فإن جماه جنةٌ من الجنان، فكيف يُعذب فيه بالنيران .

كما أنني لَمَّا لُدْتُ بجنايه، وانتظمتُ في سلك أخابه .

اعتذر إليّ الزمانُ عمّا جنى، ولم أعرف من أحواله إلا الغنى .

فخلّص روعي من يد الأجل، وتركني أضحِبُ الدنيا بلا أمل .

وقد اهتديت لسُدّته بأضوائه، ولولا نداءه جفّت عليه نار ذكائه . [الكامل]

كن محسناً مهما استطعت فهذه الدُّ
 نيا وإن طالّت قصيرُ عمرها
 إن المائرَ في الورى ذرّيةً
 يفنى مؤثرها ويبقى ذكرها
 فترى الكريمَ كشمعةٍ من عنبرٍ
 ضاءت فإن طُفئت تضرعُ نشرها

لا زال حماه روضاً تُقَطَف منه زَهْرَاتُ الأمانِي، ولا تُصِلُ إلى سِيَاجِ حِمَايَتِهِ يَدُ الجَانِي.

ما تلا لسانَ الشمعِ سُورَةَ الثُّورِ، ونَسَخَ سُورَةَ اللَّيْلِ من صحائفِ الدَّيْجُورِ.
وجَلَى كَفُّ الصَّبَاحِ نورَ النُّجُومِ، وانْحَلَّ من جِيدِ الدُّجَى عِقْدُهَا المَنْظُومِ.
وأراها ما أَهْلَكَتْ نَفْسَهَا بالنَّارِ، إلاَّ لِأَنَّهَا لم تَقِفْ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ المَخْتَارِ.
حتَّى تَقْتَبِسَ من أنوارِهِ، وتَقَطِفَ من رَوْضَتِهِ مُعَطَّرَ أنوارِهِ.
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، ما دامتِ الشَّمُوعُ مَعْتَكِفَةً بَيْنَ مَرْقَدِهِ
ومخْرَابِهِ.

قولي: «إنها لم تقف بين يدي النبي المختار» إشارة إلى أن النبي ﷺ لم يُوقَد في مجلسه شمع أصلاً، وإن كان الشمع موجوداً في عصره، وقبله.
وقد سُئِلَ خاتمة الحفظ الجلال السيوطي عن ذلك.
فأجاب: بأنه كان في القديم، وقبل عصر النبوة، وأوّل من أوقده من العرب جَذِيمَةُ الأَبْرَشِ، وكان موجوداً في زمنه ﷺ، ولم ينه عنه، فهو مُباح.
وقد رُوي في حديث أنه أُوقِدَ للنبي ﷺ عند دفنِه عبد الله ذا البجادين.
وله فيه مؤلف سماه «مسامرة السموع في ضوء الشموع».
وقد نحونا في هذه الشمعة نحو القاضي ناصح الدين الأرجاني في قصيدته
الشَّمْعِيَّةِ.

وهي من بدائعه. وهي هذه: [البيسط]

وأطلعت قلبها للناس من فيها	نمّت بأسرار ليل كان يخفيها
إلا ترقّيه ناراً من تراقبها	قلب لها لم يرغنا وهو مكتّم
في الحيّ يجنى عليها ضرب هاديها	سفيهة لم يزل طول اللسان لها
أنفاسها بدوام من تلظيها	غريقة في دموع وهي تحرقها
عهد الخليط فبات الوجد يبغيها	تنقست نفس المهجور إذ ذكرت
نسيم ريح إذا وافى يحييها	يخشى عليها الردى مهما ألم بها
في الأرض فاشتعلت منه نواصيها ^(١)	بدت كنجم هوى في إثر عفرية
من السماء فأمسى طوع أهليها	نجم رأى الأرض أولى أن ينورها
في وجه دهماء يزهيها تجليها	كانها غرة قد سال شادخها
فكلما حجبث قامت تحاكيها	أو ضرة خلقت للشمس حاسدة
عساكر الليل إذ حلت بواديها	وحيدة بسنان الرمح هازمة

(١) العفرية: الخيث. لسان العرب، مادة / عفر/.

إلا وأقمر للأبصار داجيها
 إذا تفكرت يوماً في معانيها
 والقامة الغصن إلا في ثنيها
 تجني على الكف إن أهويت تجنيها
 وما على غصنها شوك يوقئها
 سود ذوائبها بيض لياليها
 تسقي أسافلها غيثاً أعاليها
 أمست لها لحظة للصبح تذكيا
 إن أنت لم تكسها تاجاً يحنيها
 والقدر واللين إن أتممت تشبيها
 وعندها أن ذاك القتل يحييها
 وما بها علة في الصدر تلهيها
 بئس الجزاء لعمر الله تجزيها
 ولم يقدر عليه الثوب كاسيها
 تقص لمتها طوراً وثقلها
 ليل الشبابة إلا حين تبليها
 سناها طول طعن إذ يشظيها
 نعم وإفناؤها إياه يفنيها
 لم يشف منه بغير القطع شافيها
 إذا الهموم دعت قلبي ذواعيها
 وللطباع اختلاف في مبانيها
 تلك التي في سواد القلب أخيب
 غيظتها خوف واش وهي تجزيها
 ولا عدتها العوادي في مباغيها
 كما رمثني بقرب من أعاديها
 ولا تداجي بني دهر أداجيها
 وغرني أن مخض الحزن يُمريها
 ونحن في حضرة جلت أياديها
 من الوري لثنت أعطافها تبيها
 وقد جلا صفحة الغبراء ذاكياها

ما طئبت قط في أرض مخيمة
 لها غرائب تبدو من محاسنها
 فالوجنة الوزد إلا في تناولها
 قد أثمرت وردة حمراء طالعة
 ورد تشاك به الأيدي إذ قطفث
 صفر غلائلها حمر عمائمها
 كصعدة في حشا الظلماء طاعنة
 كلوة الليل مهما أقبلت ظلم
 وصيفة لست منها قاضياً وطراً
 صفراء هندية في اللون إن نعتت
 فالهند تقتل بالنيران أنفسها
 ما إن تزال تبيت الليل لاهية
 تحيي الليالي نوراً وهي تقتلها
 قدت على قدر ثوب قد تبطنها
 غراء فرعاء ما تنفك فالية
 شيباء شغناء لا تكسى غدائرها
 قنأة ظلماء ما تنفك يأكلها
 مفتوحة العين تُفني ليلاً سهراً
 وربما نال من أطرافها مرض
 أهلاً بها في سواد الليل مُسعدة
 لولا اختلاف طبائعنا بواحدة
 بأنها في سواد الليل مُظهرة
 وبيننا عبرات إن هم نظروا
 ما عاندتها الليالي في مطالبها
 ولا رمثها ببغد من أحببها
 ولا تكابد حساداً أكابدها
 أبدت إلي ابتساماً في خلال بكى
 فقلت في جنح ليالي وهي واقفة
 لو أنها علمت في قرب من نصبت
 ترى المصابيح زهراً من جوانبها

كأنهنَّ نجومُ الأفقِ نازلةً
وللصابيِّ فيها أيضاً: [السيط]
غصنٌ من الذهبِ الإبريزِ أثمرَ في
ترنو بعينٍ لها نورٌ تقلُّبه
حتى إذا قذيتُ كان الجلاءُ لها
تأتيك ليلاً كما يأتي المريبُ فإن
جاءت تُقبِّلُ أرضاً أنتَ واطيها
أعلاه ياقوتةٌ حمراءُ تستعيرُ
ليلاً وتغمضه والصبحُ ينفجرُ
قلعَ السوادِ فعاد النورُ ينتشرُ
لاح الصباحُ طواها دونك الحذرُ

١٣٨ - نور الدين علي العسيلي

نورٌ حدقةِ الزمانِ، ونورٌ حديقةِ الحسنِ والإحسانِ، وكحلُّ عيونِ الفضلاءِ
والأعيانِ.

وإنسانَ طَرْفِ الظرفِ، وعارضِ وِجَناتِ اللطفِ.
وقبلةً وفودِ الفضلاءِ، وفاكهةً تتنقلُ بحديثه الندماءِ.
ألفاظه ريحانةُ الأدبِ، وشمامةُ الطربِ.
وكان في عُنفوانِ عمره، يقطفُ بالجامعِ الأزهرِ من رياضِ العلمِ غصنَ زهره.
في رُبوةِ ذاتِ قرارِ، وجنَّةِ تجري من تحتها الأنهارِ.
حتى عبقثُ من شمائله نسماثُ النَّدِّ، وقطرتُ من سلسيلِ أوصافه مياهُ المجدِ.
وما زال يشتري متاعَ الحياةِ بجوهرِ عمره النفيسِ، معتكفاً في حرمِ التأليفِ
والتدريسِ.

حتى جذبته ساعدُ الافتقارِ، إلى مخالطةِ دَهْماءِ الأمصارِ.
فاندرج في مقولةِ الكيفِ، وحاكت ذاته بالتحولِ ضيفَ الطيفِ.
حتى قاسى الأمرينِ: الفقرَ والهَرَمَ، وهما أسوأ من الفضيحتينِ:
المعصيةِ والنَّدَمِ: [الطويل]

وما كلُّ إفضالٍ وإن جَلَّ قدره
وأكثرُ مَنْ تلقى يسركُ قوله
وقد كان حسنُ الظنِّ بعضَ مذاهبي
فما كلُّ ثمرةٍ تخلو على نَمائها، ولا كلُّ بارقةٍ تجود بمائها.
فلما يئس من الدهرِ والكرمِ، حَطَّ رَحْلَ أمله عند الأستاذِ البكريِّ في أجلِّ حرمِ.
وصيته لركابِ أمله حادي، ونورُ غرته في ظلمِ الخطوبِ له هادي.
ففتح عاديَّ الكنوزِ برقةِ أسمائه، ومندلِ ذكره وعطرِ آلائه.
فحلَّ منه محلُّ النومِ من الأخداقِ والمُدَامِ من الأقداحِ، وتوجَّه وجهه أمله بعد ما
أخرم من الرجاءِ إلى كعبةِ المجدِ والسَّماحِ.

وَلَهْ بِهِ وَلَهْ الْمَحَبُّ بِالْحَبِيبِ، وَنظَرْتُ إِلَيْهِ عَيُونَ أَمَانِيهِ نَظَرَ الْمَرِيضِ لِلطَّيِّبِ.

فَقَابَلَهُ الدَّهْرُ بِوَجْهِ طَلِيقٍ، وَاهْتَزَّ فِي رَوْضِ كَرَمِهِ غَضْنُهُ الْوَرِيقِ.

فَكَانَتْ غُرُورُ أَرْزَامِهِ، تَحْتَ طِرَازِ حُلَيْلِهِ وَإِحْسَانِهِ: [الوافر]

عَقُوداً فِي طُلَا الْأَيَّامِ تُجَلِّي وَطَرَزاً فَوْقَ أَكْمَامِ اللَّيَالِي

حَتَّى نَمَّ عَلَيْهِ الْكَمَالُ نَمِيمَ ثَغْرِ النُّورِ بِلِسَانِ النَّسِيمِ، وَنَثَرَ كَفُّ الدَّهْرِ حَسِداً عَقْدَ

ذَلِكَ الْاجْتِمَاعِ النَّظِيمِ.

فَأَطْفَأَ صِرْصِرُ الْمَوْتِ أَنْوَارَهُ، وَمَحَى عَيْنَهُ وَمَا قَدِرَ أَنْ يَمْحُوَ آثَارَهُ.

وَلَهُ شَعْرٌ رَائِقٌ، وَنَثْرٌ فَائِقٌ. فَمِنْهُ قَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ: [البسيط]

أَمْ فِي خِلَالِ بِيوتِ الْحَيِّ غِزْلَانُ

أَمْ الشَّمُوسُ أَقْلَتْهُنَّ أَغْصَانُ

مَنْ أَدْمَعِي وَمَنْ الْوَشْمِي هَتَّانُ

وَالْحَبُّ ذُو كَرَمٍ وَالْوَقْتُ إِمْكَانُ

تَيْكَ الْقَبَابِ وَغَصْنُ الْعَيْشِ زَيَّانُ

فَإِنَّ عَيْشَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ خُسْرَانُ

غِزَالُ حُسْنِ بَدِيعِ الْخَلْقِ فَتَّانُ

أَمَا لِهَجْرِكَ يَا لَمِيَاءِ هِجْرَانُ

فَكَانَ يَشْفَعُ مِنْكَ الْحَسَنُ إِحْسَانُ

لَوْ لَمْ تَمْجُ أَجَاغِ اللَّوْمِ آدُنُ

وَالْوَجْهُ لِلْقَلْبِ فِيمَا قِيلَ غُنْوَانُ

هَلْ بِالْحَمَى مِنْ بَدْوَرِ التَّمِّ إِمْكَانُ

أَمْ الْغَوَائِي تَهَادَى وَهِيَ سَافِرَةٌ

سَقَى الْحَمَى وَلِيَالِيهِ الَّتِي سَلَفَتْ

حَيْثُ الرَّقِيبُ عَمَّ وَالضُّدُّ ذُو صَمَمٍ

وَحَيْثُ نَزْفُلٌ فِي بُرْدِ الشَّبَابِ إِلَى

يَا صَاحِ إِنْ لَمْ تُمْتْ مِنْ بَعْدِهَا أَسْفَا

لِي فِي الدِّيَارِ سَقَاهَا الْمَزْنُ صَيِّبُهُ

يَا رَبِّ رَبِّ الْحَسَنِ قَدْ بَالِغَتْ فِي تَلْفِي

هَلَّا نَظَرْتِ إِلَى مُضْنَاكِ رَاحِمَةً

وَلَا تَمِ ظِلُّ يُبْدِي لِي نَصِيحَتَهُ

وَكَانَ ظَاهِرُهُ عُنْوَانٌ بَاطِنُهُ

وَمِنْهَا:

لَعَلَّ جَائِزَتِي عَفْوٌ وَغُفْرَانُ

يُقَالُ إِنِّي عَلَى الْحَالِيْنَ حَسَانُ

كَسَانِي الشَّيْبَ قَبْلَ أَوَانِ شَيْبِي

تَرُومُ الْوَزْدِ مِنْ مَاءِ الْعُذَيْبِ

وَإِنْ تَجَافَى وَتَجَنَّى وَتَاهُ

وَهَجْرُهُ قَطْعٌ لِقَوْلِ الْوَشَاءِ

كَحَيَّةٍ مِنْ خَلْفِهِ

مَنْ خَارِجِي رَدْفِهِ

إِنِّي أَمْرٌ مَا حَبِيتُ الدَّهْرَ أَمْدُحُكُمْ

حَسَنْتُ ظَنِّي وَمَدَجِي فِيكُمْ فَعَسَى

وَمِنْ مَقْطَعَاتِهِ قَوْلُهُ: [الوافر]

كَأَنَّ الْخَالَ فِي شَفَةِ الَّذِي قَدْ

قَطَاةٌ أَفْرَدَتْ مِنْ بَيْنِ سِرْبِ

وَقَوْلُهُ: [السريع]

كُلُّ فِعَالِ الْحَبِّ مَحْمُودَةٌ

فَوَضَّلَهُ قَطْعٌ لِدَاءِ الْأَسَى

وَقَوْلُهُ: [م.الرجز]

دَبَّثَ لِسَهُ ذَوَابَّةُ

تَحْمِي ضَعِيفِ خَضْرِهِ

وقوله: [الطويل]

فمال على تلك المحاسن بالفثك
وأوقع في الظلماء ناظره التركي
من المسك مطبوع فناديت يا مسكي
وها خضره من ثقل أزدافه يشكي

كأن الذي أهوى على نفسه جنى
فأغرق خدي به ماء جماله
وألقى بنار الخد خالاً كأنه
وها جفته يبكي عليه من الضنى

وقوله: [م.الرجز]

للحسني فيها سُورُ
لم يبقَ فيها نظرُ

صحيفة الخد التي
مُد حشيت بعارض
وفيه توجيه وجيه.

وفي معناه قول ابن النبيه: [المنسرح]

خرَّجها كاتب لنسيانها

كأن ذاك العذار حاشية

ومما قلته من الرُّبَاعِيَّات في معناه: [الدوبيت]

يجنى فيظل دائماً يعتذر
إلا المرأ صفت وفيها نظروا

غصن غض له المعاني ثمر
لم ألق شبيه وجهه في أحد

وقوله: [السريع]

عوهو لرقبي في الهوى مالكي
من صنع هذا الفاعل التارك

وفاعل يتركني عامداً
أقول للناس ألا فاعجبوا

الفاعل: بلغة أهل مصر، خادم البناء، ويقال: الفاعل التارك عندهم كناية عن

القبائح، ففيه إيهام ظاهر. وله: [الطويل]

وعهدي بالطوفان يأتي بتنكيد
ببابك يا مولى الثوال على الجودي

بكفك طوفان تروى به الورى
ولا غرو أن أرسث بنا سفن الرجاء

وله في عبد له يسمى فرجاً: [البيسط]

ليست تعد على ما فيه من عوج
إلا أموري إذا ضاقت فمن فرج

إني ابتليت بزنجي قبائحه
كل الأمور إذا ضاقت لها فرج

وله: [المجتث]

نداه للناس مطمغ
إن انحدرك يقلغ

يا بحر جود نوال
لا تخش في الدهر سوءاً

وفيه تورية على متعارف أهل مصر، يعرفها من له خبرة باللسان.

وله في دولاب: [الوافر]

يثن كائنة الصب المروع

ودولاب مرزت به سحيراً

ويُفني جسمه صبّ الدموع
 وذاق تشئت الشمل الجميع
 كساة الهمم أثواب الخشوع
 وتهتف في المنازل والرُبوع
 ونحاني نواحك عن هجوعي
 خليق بالصبابة والولوع
 أبيت من الأزاهر في جموع
 أصول أنجبت أركى فروع
 تضرّج وخنّاه بالنّجيع
 كصفرة عاشق صبّ مروع
 أجود من النّثار على الجميع
 شديد البطش جبار قطوع
 وأنت مُشاهد حال الصّريع
 وصار يدقّ عظمي في ضلوعي
 أناف وصار ذا شأو رفيع
 عليه أسى كمقلات هلع
 وجذت بمذمّع الطرف الهموع
 فلا تعند بالجدع المنيع
 وأسباب القضا شرك الوقوع

غدث أضلاعه تنعد سُقماً
 يدور كمن أضلّ الألف منه
 فقلت له فديتُك من كئيب
 علام أراك تبكي كلّ وقت
 فقد قرّبت لي حزناً بعيداً
 فقال أما علمت بأن مثلي
 فإني كنت في روض رفيعاً
 ولي في المنتمى أعراق صدق
 إذا ما الورد قابلني وحيّاً
 ويصفّر البهار لديّ خوفاً
 وإن قصدت بنو الآداب ربّعي
 فقيّضني الشقاء إلى غبي
 فألقاني على رأسي صريعاً
 وقطع لطف أوصالي بعنف
 فصرت أرى الذي قد كان دوني
 على قلبي أدورُ عناً وأبكي
 فكيف ألام إن أدمنت نوجي
 وحالي ناصح أبناء جنّسي
 فإن الدهر كالصّياد كئيداً

والدولاب: لفظة معرّبة، لها معان، منها الساقية، وهو المراد. وللشعراء فيه

معان كثيرة، من بديعها قول الأمير مجير الدين بن تميم، رحمه الله تعالى:

تميس فلما فرقتها يد الدهر
 عيون على أيام عهد الضب بجري

وله مضمناً: [الطويل]

إذا حمل الشيخ الكبير له عصا
 وعممه الدهر اللثيم عمامة
 وجاءت له الأحزان من كلّ جانب

فقد رحلت عنه اللذّاذة والهوى
 ثلاثة ألوان بها تكسف القوى
 وألقت عصاها واستقرّ بها الثوى

والمصراع الأخير مضمّن من قصيدة معقر بن الحارث البارقي. وقوله: [الطويل]

تهيبك الأسفار من خشية الرّدى
 وألقت عصاها واستقرّ بها الثوى

وكم قد رأينا من ردى لا يسافر
 كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

والقاء العصا تجعله العرب كناية عن الإقامة، وقد يُجعل عبارة عن الظفر
والمسرة. ولقد أجاد البخازي في قوله: [م. الكامل]

حملُ العصا للمبتلى
وُصِفَ المسافرُ أنه
فعلَى القياس سبيلُ مَنْ

ولعمر بن أبي جبلة الدمشقي وينسب لغيره: [البيسط]

ولي عصا من جريد النخل أحملها
ولي مآربُ أخرى أن أهشَّ بها
كأنني قوسُ رام وهي لي وترٌ
ولأبي العلاء المعري: [الطويل]

وإني بلذن السّمهريّ لرامحُ
رُميح أبي سعد حملتُ وقد أرى

أبو سعد: كنية الهَرَم. ورُميح أبي سعد: عصا الشيخ الهَرَم.

وقال صدر الأفاضل: هو أبو سعد بن عاد، وكان من المعمرين، وهو أول من
اتكأ على العصا. وقال بعض المعمرين: [الطويل]

أعار أبو زيد يميني سلاحه
وأيضاً: كنية الدهر.

ويقال له: أبو سعد أيضاً، وسلاحه العصا التي يتوكأ عليها الشيخ.
وقيل: إنه كنية الهَرَم.

وقال ذو الإضبع العذواني المعمر: [الخفيف]

أما ترى شيكّتي رُميحَ أبي سَعْد
وفي «شرح أبيات الكتاب»: أبو سَعْد، لُقِيم بن لقمان، وكان كبير حتى مشى
على العصا.

وقال الجاحظ: رُميحه، عصاه، ولذا صُغرت.

وقلت أنا: [الطويل]

رُميحُ أبي سعدٍ إذا حملت يدُ
وفي السنن طعنٌ ليس عنه يحولُ
فقد حارب الأيام في حومةِ الفنا
ومن نازل الأيام فهو قَتِيلُ

وقلت أيضاً: [الوافر]

إذا حمل العصا شيخُ فأمسى
ولا يكفيه رجلانِ اثنتانِ
فسوف يزيدها حتى تراها
وقد تمّت ثلاثها ثمانِ

كناية عن الموت؛ فإن تابوته يُرْفَع بأربعة رجال. ومما قيل فيها: [م. الخفيف]

قوس الدهرُ قامتي
فأخذتُ العصا وترُ

وقال أسامة بن مُنقذ: [م.الرجز]

جفانِي الدَّهْرُ وأبـ
فصرتُ كالقوسِ ومِن
أهدِجُ في مَشِيبي وفي
وقال الشَّريشي: [البيسط]

لَمَثني اللَّيالي والعَبَز
عصايَ للقوسِ وتَر
خَطوي فُتورٌ وقَصْر
لما تقوَسَ منِّي الظهرُ من كِبَرِ
جعلتُ أمشي كأني نصفُ دائرةٍ
وقوله: «وعَمَّه الدهر ثلاث عمائم وثلاثة ألوان»، هي عبارة عن ألوان الشعر،
فإنه يكون أسود، ثم يصير أشمط، ثم يصير أبيض.

وهذا معنى وقع في كلام العرب قديماً، كما قال بعض العرب: [الكامل]
قصر الليالي خَطوَه فتدائى
يا مَنْ لشيخٍ قد تخذَدَ لحمه
سوداءَ حالكةً وسَخَقَ مَفوفٍ
والموتُ يأتي بعد ذلك كله
وله تأليف كثيرة، أجلها: «شرح المغني»، وهو تأليف جليل عما سواه مُغني.
وقال فيه: إنه هذب معانيه، وأودع فيه حُوراً عِيناً في جنةِ أبوابها ثمانية، يشير
إلى قول البدر الدَّميني: [الطويل]

الأ إنما مُغني اللبيب مُصنَّف
فما هو إلا جنةٌ قد تزخرِفَتْ
وهو من قول الحسين بن مُصدق الواسِطي، من شعراء «الخريدة»:
جئةٌ خُلدِ راضية
قد جُعِلتْ ثمانية
وقلت أنا: [م.الرجز]

مُغني اللبيب جئةٌ
أما تراها وهي لا
ومن البيوت العامرة بمصر، بيت السادة الوفايئة: فمنهم:

(١) سحق الثوب: أبله، القاموس المحيط، مادة /سحق/.
ثوب مفوف: ضرب من برود اليمن، أو ما فيه خطوط بيض. القاموس المحيط، مادة /فوف/
الهجان من الإبل: البيض. القاموس المحيط، مادة /هجن/.

١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ - السيد علي وفاء ، وأولاده

المُعَلَّقُ عَلَى عَاتِقِ السِّيَادَةِ نِجَادُهُ

سادات السادات، لهم المجدُّ والزهدُ عادات .
 لهم أنفُسٌ قُدْسِيَّةٌ، أفيضت عليها العلومُ اللدُنِيَّةُ .
 لم يخالف أحدٌ منهم مِلَّةَ جدِّه المختار، إلا أنه نظم جواهر الأشعار .
 ولهم شوارِدُ مَقَالٍ، لها السمعُ مُنَاخٌ والعقلُ عِقَالٌ، تخالها تربتٌ في سُويداءِ
 البِطَاحِ وَأَباطِ الجبال .
 بحارٌ طَمَّتْ وَعَلَّتْ رُبَا المعالي والقُلل، فتواتر البحارُ في منخَفَضِ الوهاد من
 الخَجَلِ .

وبيئهم الآن معمور، ولواء فضلهم على كاهل الدهر منشور .

ولهم مَسَاعٍ ومآثر، ورثوها كإبراً عن كابر .

وَرِيٌّ زَنْدِهِمْ وَلَمْ يَقْدَحْ فِيهِ قَادِحٌ، فَضْرِبَتْ لَهُمْ أَباطُ المفاوز . [الطويل]

وسالت بأعناقِ المَطِيِّ الأباطحُ

وتوقدت من مشكاةِ الحقيقة مصابيحُهم ذاتُ اللآلئ، ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ

لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥] .

ما منهم إلا صاحبُ ديوان، نافذ في سبيلِ البلاغةِ بسُلطان .

ألطف من الأمطار، إذا وَسَمَتْ بالثَّبْتِ شِفَاهَ الأنهار .

فمن «ديوان السيد علي وفا» قوله: [الطويل]

ووجهك مشهودي وما عنك عائقُ

وإن لُحِتَ فالأزواحُ مني مشارقُ

فحيثما دُرَتْ دارثُ نحوهِ الصُّورُ

ليس فيه يا نورَ عيني قبيحُ

مذهبٌ صادقٌ قويمٌ صحيحُ

كلُّ ما يفعل المليحُ مليحُ

ولسيدي محمد بن أبي الفضل الوفايي، من قصيدة له: [الطويل]

يسأئلني عن فتنتي وأسائله

أواخره عادت علينا أوائله

تغيبت عن عيني فغيبك شاهدي

فإن غبت فالأشباحُ مني مغاربُ

ولأبي اليقظان الوفايي: [البيسط]

كأن وجهك مغناطيسُ أنفسنا

ولأبي التّداني الوفايي: [الخفيف]

كلُّ ما في الوجودِ منك مَليحُ

مذهبي فيك يا وُجودي وعيني

لم تزل قائلاً لكلِّ مُجِبِّ

ألا صاحبُ كالسيفِ حُلُوِّ شمائله

يدورُ غرامٌ بيننا كلما انقضت

إلَيْهِنَّ رَوْضٌ قَدْ تَنَاجَتْ بِبَلَابِلُهُ
وَلَا شَاقِنِي فِي الْغُضَنِ إِلَّا تَمَائِلُهُ
رَسُولٌ وَأُورَاقُ الْغُصُونِ رَسَائِلُهُ
إِذَا أَنْفَذْتَ لِي مَا حَوَّثَهُ حَوَاصِلُهُ

مُغَالِطَةٌ حَتَّى كَأَنِّي نَائِلُهُ
تَصِحُّ إِذَا بِالْجَبْرِ مِنْهُ يُقَابِلُهُ

تَرَى لَعْيُونَ النَّاسِ فِيهَا تَزَاحِمًا
فِيَا حَسَنَ رَيْحَانِ الْعِذَارِ حَمَاجِمًا
حَمَى حَمَى

رَعَى اللَّهَ أَيَّامًا أَهَاجَ بِبَلَابِلِي
فَمَا رَاقِنِي فِي الْمَاءِ إِلَّا صَفَاؤُهُ
كَأَنَّ بِهِ الْقُمْرِيَّ صَبَّ لَه الصَّبَا
مَصَارِفُ هَمِّي فِي مُنَاجَاةِ طَيْرِهِ
مِنْهَا:

رَشَأَ فِيهِ قَدْ أَمَلْتُ مَا لَا أَنَالُهُ
وَكَانَ حِسَابِي أَنَّ غَلَطَاتِ خَاطِرِي
وَلَهُ أَيْضًا: [الطويل]

عَلَى وَجَنَّتِيهِ جَنَّةٌ ذَاتُ بَهْجَةٍ
حَمَى وَزَدَ خَدَّيْهِ حُمَاةَ عِذَارِهِ

والحماحم: نوع من الرِّيحان معروف في اللغة والعرف.

وله أيضاً، قدس الله سره: [الكامل]

مَاءَ الْحَيَا وَلِذَلِكَ قِيلَ مُورَدٌ
سَكِرْتُ لِحَاطُوكَ فَهِيَ فِي تَعَزُّبِ
وَالْيَوْمَ خَدُّكَ بِالْعِذَارِ مُسْوَدٌ
قَلَمٌ بِسَعْدِكَ لَا يَزَالُ يُجْوَدُ
فِي مَا يُؤَمَّلُ مِنْ وَرَائِكَ مُسْعَدٌ
فَلَأَنْتَ لِلطَّرْبِ الْمَحْرُوكِ مُبْعَدٌ
بِالْتَّفَسِيرِ بَلْ بِالْعَيْنِ فَهُوَ مُؤَكَّدٌ
مَا طَارَ نَحْوَ رَبَا الرِّيَاضِ مُفْرَدٌ

يَا مَنْ يَبَالِغُ فِي سَقِيَّةِ خَدِّهِ
فِي خَدِّكَ الرَّاحُ الَّتِي بِكُؤُوسِهَا
سُدَّتْ الْأَنَامَ غَدَاةَ خَدِّكَ أَبْيَضٌ
نَسَخَ الْعِذَارُ مَلَاحَةَ بِمَلَاحَةِ
قَلْبٍ يَمِيلُ إِلَى حَدِيثِكَ هَلْ لَه
عَكَفْتُ عَلَى مُضْنَاكَ أَرْوَاحُ الضَّنَا
فَعَلَى مُحَيَّاكَ السَّلَامُ قَدِيثُهُ
وَعَلَى فَوَادِي الْمُسْتَجِيرِ تَحِيَّةٌ

وفيه مع التورية مُراعاة التظير، التي ليس لها في الحسن نظير.

لما فيه من الجمع بين التبييض والتشويد، المعروف بين المصنِّفين.

وكذا التجويد؛ فإن معناه التَّحْسِينُ، ويُطلق في العرف العام على تحسين الخط،

وفي عرف أهل الأداء على تحسين مخارج الحروف وهيناتها.

ومما يعجبني هنا قول القاضي الفاضل في وصف المسودات:

«المسودات للأقوال، كالأخشاء للأجثة والحجور للأطفال.

إن خرج منها ما لم تُنضِجْهُ الأزحام، لم يبلغ الثمام.

وإن قُطِمَ قَبْلَ بَلُوغِ أَشَدِّ الْفِطَامِ، فربما كان عُرضَةً لِلسَّقَامِ.

وما جعلت إلا لِيَسْتَنِدَ لَهَا صَاحِبُهَا، لِأَنَّهَا بِذَلِكَ الْخَاطِرِ تَارَةٌ يَخْلَعُ الثِّيَابَ فَيَكُونُ

عَرِيَانًا، وَتَارَةٌ يَأْخُذُ مِغْوَلَ قَلْمِهِ فَيَنْقُبُ مِنَ النَّاسِ جَدْرَانًا».

ومنهم الآن شيخ السالكين، ورأس العلماء العاملين:

١٤٣ - شيخنا أبو المكارم، وأبو الإسعاد

قدس الله سره

ولما عاد من الحج أدركه الأجل، فقلتُ أزيه: [الطويل]
 قَضَى نَحْبَهُ وَالْحَجَّ قَطْبَ لِرُوحِهِ دَعَا رَبَّهُ نَحْوَ الْجِنَانِ فَلَبَّتِ
 فَمَنْ حَجَّ لِلْبَيْتِ الْعَتِيقِ عَلَى تَقَى فَرُوحُ أَبِي الْإِسْعَادِ لِلَّهِ حَجَّتِ
 وَمَنْ حَجَّ لِلرَّحْمَنِ إِحْرَامَ حِجَّةِ مَجْرَدَةً عَنِ جَسْمِهِ دُونَ مَوْقِيتِ
 فَلَا بَرَحَتْ سُحْبُ الرُّضَى فَوْقَ قَبْرِهِ مُظَلَّلَةً هَطَّالَةً سُحْبَ رَحْمَةِ
 ومن البيوت التي كانت بالفضائل أهلة، ومن مياه النعيم المقيم ناهلة، بيث
 الطُّبْلَاوِي. فمنهم:

١٤٤ - العلامة ناصر الدين

وقد أدركته في زمن الطفولية، فرأيت به رتبة عليّة، وآثاراً في التحقيق والتدقيق
 جليّة. وحفيده صديقي وفي زمن التّحصيل رفيقي وهو:

١٤٥ - العلامة منصور

حاملُ عِلْمِ الْمَجْدِ وَنَاشِرُهُ، وَجَالِبُ مَتَاعِ الْفَضْلِ وَتَاجِرُهُ.

١٤٣- يوسف بن عبد الرزاق الأستاذ أبو الإسعاد بن أبي العطاء بن وفاء المالكي المصري. كان
 علامة زمانه في التحقيق، وله الشهرة التامة بالمعرفة التامة، وله الشعر الحسن، والنثر الذي
 يعجز عن محاكاته أرباب الفصاحة. أخذ العلوم عن أبي النجاء السنهوري، وأبي بكر الشنواني،
 والدنوشرى، والشيخ فايد الأزهرى والأجهوري، ولبس الخرقة وتلقى طريقتهم الوفاية الشاذلية
 عن عمه الأستاذ محمد. وحج مرات وأتى البيت المقدس.
 وكانت وفاته في مرجعه من الحج سنة إحدى وخمسين وألف، وصلي عليه بالجامع الأزهر،
 ودفن في زاوية سلفه السادات بني الوفاء. خلاصة الأثر (٥٠٣/٤).

١٤٥- منصور سبط شيخ الإسلام ناصر الدين الطبلاوي، نسبة لبلدة بالمنوفية من أقاليم مصر،
 الشافعي الشيخ العالم المحقق. برع في التفسير والفقهاء والحديث والنحو والتصريف والمعاني
 والبيان والكلام والمنطق والأصول وغيرها من العلوم. ولد بمصر وبها نشأ وحفظ القرآن
 بالروايات واشتغل بعلوم الشرع والمعقولات، وأخذ الفقه عن الشمس الرملي والعربية عن أبي
 النصر بن ناصر الدين الطبلاوي، ولازم في العلوم النظرية المحقق الشهاب أحمد بن قاسم
 العبادي، وبه تخرج. وحصل وجمع وأفتى ودرس ولازمه بعده جل تلامذته. وألف المؤلفات=

وكان ممن شدت إليه مُسائلَةُ الفضلِ رِحالَها، إذ وَرِثَ من سماءِ المعاليِ بَدْرَها وهِلالَها.

وحوى طارِقَها وتليدَها، وأرضع من دَرِّ العلومِ كهلَها ووليدَها.
 ووضع الهناءَ مواضعِ النَّقْبِ^(١)، وسفرت له خرائدُ العلومِ رافعةَ النَّقْبِ^(٢)،
 وتزيّنت بمنظومِهِ ومثوره صدورُ المجالسِ والكتبِ.
 مع رياضِ مكارمِ عَطِرٍ نَفَحَاتُها، عليلٌ من فزِطِ الدُّلِّ نَسَمَاتُها.
 وكانت تَهْبُّ عَلَيَّ بالمكاتبةِ نَسَمَاتُ أسحاره، ولم أزلُ أتلقَى الرُّكبانَ لاشترَاءِ
 أخبارِهِ.

حتى طَنَّ نَعْيُهُ على آذاني، فكَدَّرَ عَلَيَّ مَشْرَبَ الحياةِ وآذاني.
 ومن أتباعِهِ ومواليهِ، الواردينِ لماءِ الحياةِ بِنَادِيهِ:

١٤٦ ، ١٤٧ - السيد محمد، وأخوه عبد الله

هما رؤُضا فضلِ وبيان، فيهما من الفضلِ عَيْنانِ تجزيان.
 ويَخرا مجدِ يحفُّهما مَرْجان، ويَخْرُجُ منهما اللُّؤلؤُ والمَرْجان.
 وهما زَهْرَتانِ من شجرةِ الثُّبوةِ، ونَبْعَتانِ من وَشِيحِ الفُتوةِ.
 سُقيا بماءِ المكارمِ، وسَحَّتْ على رياضِ سَجِيَّتِهِمَا غُرُّ العَمائمِ.
 حتى تدفَّقَتْ جنباُتُهُما، واخضرتْ بالندى عَدْبَاتُهُما.

= السننية، ومن مؤلفاته: شرح على الأزهرية، ونظم عقيدة النسفي، ونظم الاستعارات وشرحها، وغير ذلك من كتب ورسائل.

وكانت وفاته بمصر في سنة أربع عشرة بعد الألف. خلاصة الأثر (٤/٤٢٨).

(١) النَّقْبُ: القطع المتفرقة من الجرب. القاموس المحيط، مادة /نقْب/.

(٢) النقب: ما تنقب به المرأة. القاموس المحيط، مادة /نقْب/.

١٤٧- السيد عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسيني المغربي الأصل، ثم القاهري الشافعي المعروف بالطبلاوي لنزوله بمصر عند الشيخ العلامة ناصر الدين الطبلاوي الشافعي، وكان أعظم شيوخه، وأخذ عنه عدة علوم منها: علم القراءات وساد فيها سيادة عظيمة بحيث أنه كتب فيها حواشي على شرح الشاطبية للجعبري. وانفرد بعلم اللغة في رمنه على جميع أقرانه بحيث أنه كتب نسخاً متعددة من القاموس واختصر لسان العرب وسماه «رشف الضرب من لسان العرب» لم يكمل، وكان عارفاً بارعاً بعلم العروض، وله شرح على تائيس المعروف في علم العروض، وله شرح على عقود الجمان في المعاني والبيان تأليف الجلال السيوطي، وله حاشية على حاشية العلامة البدر الدماميني على مغني اللبيب لابن هشام. كان من المشتغلين بالعلم فقهاً وأصولاً، ومن أعيان الأدباء نثراً ونظماً، وكان خطه يضرب به المثل في الحسن والصحة.

وكانت وفاته في سنة سبع وعشرين وألف، وصلي عليه بالأزهر، ودفن بالقرب من العارف بالله تعالى سيدي عمر بن العارف، وقد ناهز السبعين، وكان مولده بقرية يقال لها أبو الريش بالقرب من دمنهور الوحش بالبحيرة. خلاصة الأثر (٣/٦٦).

وكُسيَا من سُندُسِ الجَنَّاتِ، ونشرا بخصيب أوبتيهما الحسنات.
 فاخضَلَّ بهما وادي الهدى، حتى أثقلته ثمارُ المكارم والندى. [الطويل]
 تكاد يدي تندی إذا ما لمسته وينبت في أطرافها الورق الخضر
 مصابيح فكرهما مشارق الأنوار، وأحاديث كمالهما صحيحة الآثار.
 ومطارف ناديمها موشاة بالحبور، ورياض ندهما مُبتسمة الثغور.
 وطرّف همتاهما في مضمار العلياء سابق، ومخيم غلاهما له على الأثير سُرّادق.
 ولسان براعتيهما بالبلاغة ناطق، وجعفر فضلهما إذا وعدّ وارداً عليه فيا له من
 جعفر صادق.

وشعرهما ونثرهما مأثور، ولواء حمديهما على كاهل الدهر منشور.
 وقصيدة السيد عبد الله التي مدح بها أستاذه ناصر الدين، والتزم في قوافيهما
 تجنيس الخال التي مطلعها: [السلسلة]

يا سِلْسِلَةَ الصُّدُغِ من لَوَاكٍ على الخال

مشهورة.

ومما رويناه للسيد محمد قوله: [المنسرح]

لم أنس يا روضة المحاسن إذ
 ونحن في روضة مُمنّغة
 وخلا بك الصبّ والخلي جمعاً
 يروقنا البحرُ والخليجُ معاً
 وقوله: [البيسط]

لم أذر أيهما أحرى بمرحمة
 حتى أنار فؤادي صبح حجبته
 قلبي وعيني على الإخراقِ والسهرِ
 وقال إني على طول الزمانِ حري ق
 وقوله: [المجتث]

يا ربّة الخال كُفّي
 قد سلّبت البرايا
 وقوله رحمه الله تعالى: [الكامل]

يا ربّ أطلُبها وتنفر دائماً
 إن رُمْتُ أنظرها تقول عواذلي
 عبيدك عمّا أمرت
 بأفحري وسخرت
 وقوله: [مخلع البسيط]

سرفت نومي بالبغد عني
 وسرّ ضدي بطولِ صدي
 فعزّ صبري وقد تعسّر
 فكنت في ذاك رأس منسّر
 وهذا كقول صاحبنا يحيى الأصيلي: [م. الرمل]

قسيل لي إن فلاناً
 ولمن قد ساء رأس
 قد تعالي وتكبّر
 قلت لا بل رأس منسّر

والمُنَسَّر: قوم من المكابرين السَّرَاقِين معروفون.
ومن البيوت بمصر بيت السادة البُكرِيَّة، وهو البيت المعمور: [الكامل]
إن الذي سَمَك السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بيتاً دعائمهُ أعزُّ وأطولُ

١٤٨ - الأستاذ أبو الحسن البُكرِي

وهو جامع الفضائل والمحاسن، ومُظهر اسم الظاهر والباطن.
الذي شَيَّد لهم مَنَارَ الطريقة، وجاز من قنطرة المجازِ إلى الحقيقة.
وتأليفه وآثاره، وكلماته التامة وأخباره.
غنيَّة عن البيان، مُسطَّرة في صحفِ الإمكان.
ثم خلفه من بعده، ونشر في الخافقين لواء حمده:

١٤٩ - الأستاذ محمد بن أبي الحسن

وله فروع بسقت من دَوْحة المجد، ورَبَتْ في رُباه بين تِهامة ونجد.
من كل من لبس رداء النجابة في صباه، ولاح عنوان المكارم على صحائف
عُلاه.

ولم تقصُر عليه أثوابُ مجده، التي ورثها عن أبيه وجدّه.
فعلى جبينه نورُ نسب، يُخبر أن خلف الدخان لَهَب.
وتحت الرَغوة الفصيح، من اللبن الصريح.
غادة دَوْلته سابعة المِرْط، بعيدة مَهوى القُرْط.
يُصغي له الدهرُ إذا نهى وأمر، إصغاء نَشوان إلى صوت وتر. [البسيط]
مُستيقظ الحزم واري العزم ثاقبه همومه حين تبلوهن هَمَات
صافي الطويَّة من غلُّ يكدرها وأول المجد أن تَضْفُو الضوِّت
ولقد جرث بينهم منافسات، وأمور تُسكب عندها العبرات.
فلم يزل كل منهم ينقص أخاه ويغض منه، ويقول لسان حاله: أخوك البُكرِي فلا
تأمّنه.

كما قال الصنوبري: [الخفيف]
أحمدُ الله قد ألاحث بروق حسن قولٍ وسوء فعل كما سمّ
ومنه أخذ ابنُ الوزدي قوله: [م. الرمل]
قد بُلينا بأمير فهو كالجزار فيهم
منك بالوذ لا تزال مليحة
س المسمى في وقت ذبح الذبيحة
فلسم الناس وسبخ
يذكر الله ويسبخ

١٥٠ - والأستاذ زين العابدين

زَيْنُهُمْ وَنُورُ غُرَّتِهِمْ، وَقَائِدُ جَيْشِ أُسْرَتِهِمْ، وَحَامِلُ لُؤَاءِ عَزَّتِهِمْ.
 لَمْ يَزَلْ سَمَّحَ السَّجِيَّةَ، بِسَّامِ الْعِشِيَّةِ.
 لَمْ يَلْنُ لَغَامِزِ قَنَاتِهِ، وَلَمْ تَغْصَّ بِمَاءِ بَشْرِهِ عِدَاتُهُ.
 إِلَى أَنْ أَصَابَتْهُ الرَّزَايَا، وَرَمَتْ فَوَادِهِ بِسَهَامِ الْمَنَايَا.
 فَضَبَّتْ جِدَاوِلَهُ، وَاسْتَرَاحَتْ حُسَادُهُ وَعَوَاذِلُهُ.
 وَصَمَّ صَدَاهُ، وَسُرَّتْ عِدَاهُ.
 وَهُوَ نَظْمٌ وَنَثْرٌ، وَفَضْلٌ طَيِّبٌ النَّثْرُ. وَخَلْفُهُ:

١٥١ - الأستاذ الإمام أبو المواهب البكري

بَدْرٌ لَاحَ فِي سَمَاءِ الْمَنَاقِبِ، وَسَمَا شَرَفًا عَلَى الْكَوَاكِبِ.
 فَأُورِقَ رَوْضُ نَدَاهُ وَأَثْمَرَ، وَنَادَمَ الْعَيْشَ وَالْعَيْشُ أَخْضَرَ.
 وَهُوَ شَعْرٌ، مِنْهُ قَوْلُهُ: [م. الرجز]
 عَبْدُ النَّبِيِّ قَاتِلِي بَعِينُهُ وَحَاجِبِي
 وَاعْجَبًا لَعَبِيدِهِ يَقْتُلُ نَجْلَ صَاحِبِي
 أَمَا أَصْلُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَهُوَ نَادِرَةٌ الدَّهْرُ، وَغَرَّةٌ وَجْهَ الْعُضْرِ.
 إِنْسَانٌ عَيْنِ الْأَقَالِيمِ، فَرِيدٌ عِقْدِ الْمَجْدِ النَّظِيمِ.
 مَوْرِدٌ فَضْلٍ عَذْبَتْ مَنَاهِلُ وَزِدِهِ، وَرَبِيعُ كَرَمٍ تَقَطَّفَ أَيْدِي الْأَمَالِ غُضَّ وَرَدِهِ.
 سَائِلُهُ يَرْفُلُ فِي بُرُودِ الْغِنَى حَالِيًا، وَيَكْفِيهِ تَسْلِيمُهُ عَلَيْهِ تَقَاضِيًا.
 فَالْتَّيْلُ يُشِيرُ بِالْأَصَابِعِ إِلَى وَفَائِهِ، وَالعَنْبَرُ الرَّطْبُ عَبْدٌ لِحَرِّ جُودِهِ وَثَنَائِهِ. [م. الكامل]
 مَنْ لَيْسَ يَشْرُقُ بِالسُّوَا لِ وَلَا يَغْصُ مِنَ النَّدَامَةِ
 جَامِعٌ مَا تَفَرَّقَ مِنْ شَمَلِ الْفَضَائِلِ، تَهْزُهُ الْأَرِيحِيَّةُ بِشَمَائِلِ الشَّمَائِلِ.
 مَالِكُ أَرْمَةِ الْبَيَانِ، سَابِقٌ لِمَنْ يُجَارِيهِ فِي مِضْمَارِهِ مِنَ الْفُرْسَانِ.

١٥١- أبو المواهب بن محمد بن علي البكري الصديقي المصري الشافعي. ولد في حياة أبيه ونشأ في عزة وافية، وكان في بداية أمره مائلاً إلى الخلاعة وكانت مجالسه مشحونة بأنواع الطرب من المسمعين وحنوف الملاهي، وكان لما مات والده جرى بينه وبين إخوته منافسات وأمور تسكب عندها العبرات حتى استقر الأمر لزين العابدين إلى أن وقع قلبه وكان أبو السرور مات قبله فسمت الرتبة إلى أبي المواهب. وتصدر للتدريس وإملاء التفسير ودرس بالمدرسة الشريفة المشروطة لأعلم علماء الشافعية تلقاها عن والد زوجته الشمس محمد الرملي، وكان ينظم الشعر، وله ديوان يشتمل على دقائق ورفائق.
 وكانت ولادته في سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة، وتوفي في سنة سبع وثلاثين وألف، ودفن بترية آبائه بالقرافة. خلاصة الأثر (١/١٤٥).

أوحد الفضلاء مجدداً، وأضفاهم من قذى الرياء وزدأ.
حديث أخلاقه الغرّ، وغرر سيماته الزهر، عنوان كتاب المكارم.
ورياض فضائله الخضر، ورقيق نائله الحرّ، لمآثر حاتم خاتم.
ناظم ما انتثر من المآثر، فذلّة دفتر كمال الأوائل والأواخر.
تربّ الحدائق جرّ عليها النسيم أذياله، فتنبّهت عيون أزهارها وتشتت قدودها
الميّادة الميالة.

﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا﴾ [الشمس: ١-٢] للأرض بمسّ نعاله يفاخر
العنبر الرطب ثراها.

فعلّمه حدث عن البحر ولا حرج، وبراعة منطقته تتج سلب الألباب والمهج.
مع حسن منظر تتزاحم عليه وفود الأبصار، وفيض نوال تضطرب لغيرتها منه
البحار.

كم سارت الصبا معطرة بنشره، ونشرت له صيت كرم طوى ذكر حاتم طي
بنشره.

سار سيرة الملوك، ونثر فرائد النصائح من أسلاك السلوك.
ليحسن نظمها في عقد العلم والعمل، وتُصان في حقايق الآذان ذخيرة للأمل.
فلو فهمت الوزق سجنه في الخطب، خلعت عليه أطواقها من الطرب.
وقد اجتمع فيه من الكمال، ما تُضرب به الأمثال.
إن ذكر جوده فما الطائي، أو فصاحته فما أبو تمام الطائي.
أو جدّة ذكائه فما إياس، أو همته الهاشمية فما أبو فراس.
وزمانه كان عرس الفلك، فكم قال له الدهر أما الكمال فلك. [الكامل]
بحرّ من الفضل الغزير خضمه طامي العباب وما له من ساحل
ولم يزل كذلك حتى غربت شمسُه، وواراها في عين حميّة رمسه.
وقد رأته وقد شدّت بالصبا أمراسي، وطيلسان الذوائب عبّاسي.
وتمائم الصبا في جيد عمري، وما شبّ عن طوق الصبا عمري.
ودخلت في إجازته العاقّة، مع جملة الخاصة والعاقّة.

فمما رويته من آثاره، وخبّأت في حقيية الفكر من متاع أشعاره، قوله: [السريع]
يا يوم بولاقٍ وأنسي به
وأقبل النيل جنوباً وما
يا عارضاً أوجب للنيل ما
وقهوة تنضح مسكاً ولا
خبابها من فوقها مانع
حكاك من شوال يوم الهلال
من عارض إلا نسيم الشمال
سلسلة وهو طليق المجال
يدع ففي الفنجان شكل الغزال
نفازه فهو شبّاك اللال

تديرها هيفاء ممشوقة
كاد حجي من أقبلت نحوه
بغرة أو طرة وزعت
تقول للشمس وقد أقبلت

خود تثنت في برود الدلال
يذهب من رنات تلك الججال
أفكارنا بين الهدى والضلال
تلثمى ما أنت إلا خيال

و«بيت الغزال» من السحر الحلال، وهو بيت القصيد. وقد قلت في معناه: [الطويل]
أقول وقد دارت بنادي قهوة
أصورة غزلان بفنجان قهوتي
أم الظبي حقاً قد تردى به فمن
وقوله «حبابها» إلى آخره، كقول ابن حمديس: [البيسط]

أبدت لنا زيدا من شدة الغضب
لولا الشباك التي صيغت من الحب

بكر حصان إذا ما الماء واقعها
كادت تطير وقد طرنا بها فرحاً
ومنه أخذ القيراطي قوله: [الرملة]

وطفا الدر عليه فطفخ
شباك الفضة فاضطاد الفرخ

صب في الكأس عقيق فجرى
نصب الساقى على حافاته
وله أيضاً: [السريع]

من رحمة تصعد أو تنزل
من كل ما يختص أو يشمل
نبيته مختاره المرسل
يعلم هذا كل من يعقل
فهو شفيع دائماً يقبل
فإنه السمرجع والموئل
فإنه المأمل والمعقل
أظفارها واستحك المفضل
وخير من فيهم به يسأل
فرجت كرباً بعضه يذهل
لشدة أقوى ولا أحمل
برتبة عنها العلاء ينزل
وإن توقفت فمن أسأل
ولست أدري ما الذي أفعل
أتاه من غيرك لا يدخل

ما أرسل الرحمن أو يزيل
في ملكوت الله أو ملكه
إلا وطه المصطفى عبده
واسطة فيها وأضل لها
فلذ به في كل ما ترتجي
وعذ به في كل ما تختشي
وخط أحمال الرجا عنده
وناده إن أزمة أنشبت
يا أكرم الخلق على ربه
قد مسني الكرب وكم مرة
ولن ترى أعجز مني فما
فبالذي خصك بين الورى
عجل بإذهب الذي أشتكي
فجيلتي ضاقت وصبري انقضى
فأنت باب الله أي امرئ

صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا صَافَحَتْ
مُسْلِمًا مَا فَاحَ عِطْرُ الْحَمَى
وَالْآلِ وَالْأَصْحَابِ مَا غَرَّرَتْ
وَمَا يَقَطُرُ مِنْهُ مَاءُ الْفَصَاحَةِ، وَتَمَسَّحَ وَجَهَ جَوَادِهِ رَاحَةَ الْمَلَا حَةَ .

من السهل الممتنع، والعذب السائغ في مذاق كل مُستمع .
قوله في مناجاته، وظهر أنوار التجلي بمشكاته: [الخفيف]

إِنْ يَوْمًا يَمُرُّ ذِكْرُكَ فِيهِ
رَبِّ إِنْ بَدَّ ذَلِيلٌ ضَعِيفٌ
كُلُّ قَطْرٍ أَصَابَنِي مِنْكَ بِحَرِّ
كُلِّ جِزْءٍ مِنْ نِي لَسْرُكَ دَارٌ
مَنْ رَأَى رَأَى مِنْ غَيْرِ شَكِّ
وَقَوْلُهُ: [السريع]

أَقُولُ وَقَدْ قِيلَ لِي كَمْ مَضَى
دَعَا كِلْ ذِي أَدَبٍ يَنْقُضِي
وَكَانَ يَوْمًا فِي مُنْتَرَهٍ نَضْرٍ، تَلَاقَى فِي شَاطِئِهِ مَاءُ الْحَيَاةِ وَالْخَضِرِ .

فِي مَنَازِهِ مَنَازِلٌ انْتَضَمَتْ انْتِظَامَ النُّجُومِ فِي نَهْرِ الْمَجْرَةِ، وَالنَّيْلِ يَجْرِي مَضْطْرِبًا
لِمَفَارِقَةٍ مَا فِي أَوْطَانِهِ مِنَ الْمَسْرَةِ .

وَلِسَانُ النَّسِيمِ يَصِفُ نَشْرَهُ، وَيَعْطُرُ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بَرَّهُ وَبِخْرَهُ .

وَخَضْبَاؤُهُ تَفُوقُ الْجَوْهَرَ، وَمُسْوَدُّ طِينِهِ يَفَاخِرُ الْمَسْكَ وَالْعَنْبِرَ .

فَكَتَبَ إِلَى الثَّوْرِ الْعُسَيْلِيِّ لِيَتَحَلَّى بِمِفَاكِهِتِهِ، وَيَجْتَنِّيَ مِنْ أَدْبِهِ غَضْرَ فَاكِهِتِهِ .

يَسْتَدْعِيهِ إِلَى أَنْ يَنْزِلَ بَدْرُهُ فِي بُرُوجِ تِلْكَ الْمَنَازِلِ، وَيَسْئَلِيهِ عَنِ عَرْضِ أَلَمِ الْجَوْهَرِ
ذَاتِهِ مِنَ الدَّمَائِلِ . رَقْعَةٌ صَوَّرْتُهَا:

سَيِّدِنَا الْبُرِّ الَّذِي يَجْرِي بِحَرِّ الْفَضَائِلِ مِنْ بَرِّهِ، وَيَعْدُبُ الْوَزْدَ وَالضُّدْرَ بِمَا يَصْدُرُ
مِنْ صَدْرِهِ .

وَيَفِيضُ إِحْسَانَهُ نَهْرًا لِرَاجِيهِ وَأَمَلِهِ، وَتَبْتَدِرُ الْأَنَامُ لِتَلْقَى تِنَارَ أَنَامَلِهِ .

وَتَتَزَاخَمُ عَلَى سَيْفِ زَخَارِ عُلُومِهِ، تَتَزَاخَمُ رِقَابُ أَعْدَانِهِ عَلَى سَيْفِهِ وَخُصُومِهِ .

وَيَخْضَرُّ خَضَارَةَ الدَّوَى، وَقَدْ أَسْبَلَ عَلَيْهَا مِنْ صَوْبِ مَدَدِهِ بَرْدُ الْجَوَى .

وَلِيَنَامِ الْأَنَامُ مِنْ ظِلِّهِ بَوْرِيْفِهِ، وَتَأْمَنَ مِنْ ضُرُوفِ الدَّهْرِ وَحَيْفِهِ .

أَبْقَاكَ اللَّهُ وَبِحَرِّ أَفْضَالِكَ فِي مَزِيدٍ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَصْبَاعِ، وَالْوَفَاءِ طِبَاعِ، وَغَيْرِ
الْمُخْلَقِ بُرْذُهُ إِذَا تَخَلَّقَ بِمُقْيَاسِكَ لِكُلِّ أَضْفَرٍ فَاقِعِ .

والحبر يمتاح من كسرِ عدوك بعاملِ الجرّ من الرفع إلى الخفض، فالمدُّ والإطناب والوصل بهمز القطع بالطول والعرض.

مما لم يُذكره فلَكِيٌّ ولو طرَح في نهر المجرّة شباك الجداول، ولا رَضِيٌّ ولو تجاوز السّرطان والسّماك من المنازل.

علم سيدنا لا زالت أمواج فضله تنثر لآلئ الإحسان وتثّل، ولا فتى نهر الله إذا كان غيره نهر مَعْقِل.

أنّ مدينة بولاق هي مجتمع البحور، ومدارُ فلَك السرور بفلك الحبور. طَفَحَت بالنيل لا جُزِر عن الجزر مدّه المديد، واستلّت سيف النهر لقطع حروف الجُروف من أقصى الصّعيد، والمُنتهى سعيد رَشِيد.

غير أنها على طموح بحارها اشتاقت إلى مدد تلك العين، وقالت استفت قلبك هل مدّ يشغل عن هذا البحر الذي تقصر عنه الأنهار من أين وإلى أين. على أني أقسم بالفجر إن الفرج لحاصل، وإن مُعدّل السطح لا يظهر فيه للكرة أثر هائل.

والله جلّ كبرياؤه مُصغّر الكبير بفضله، فلا حاجة للمعونة بعضه وأهله. وعلينا أن نُلقي دلو الطلب ولو إلى ما تحت الخوت، عسى يفيض فتجري البحور في البيوت.

ويحصل توشيح هذا البيت بكلّ خزجة داخلية في الطرب، نادرة على لزومها المقيس ولا يُقاس عليها وهذا من العجب. والسلام. وهذا تسليّة له عن دُملة أصابته، وإليه أشار بقلب «هل مدّ» و«بالفجر». ومثله في التورية قول ابن نباتة: [الكامل]

لا تخش من همّ كغيم عارض
فلسوف يُسفر عن إضاءة بذره
إن تُمس عن عبّاس حالك راوياً
فكأنني بك راوياً عن بشره
ولقد تمرّ الحادثات على الفتى
وتزول حتى ما تمرّ بفكره
ولربّ ليل في الهموم كدُمّل
صابرته حتى ظفرت بفجره
«ونهر مَعْقِل» الذي ذكره، بالبصرة، وهو مَعْقِل بن يسار المُزنيّ، البصريّ، الصحابي.

وإليه ينسب التمر المَعْقِلِيّ.

وفي المثل: إذا جاء نهرُ الله بطل نهر مَعْقِل.

والمراد بنهر الله المطر والسيّل؛ فإنه يغلب سائر المياه، ويطم على الأنهار كلها. وله أيضاً، سقى الله ثراه: [الخفيف]

يا ظباء بقاعة الوغساء
نزلوا بالعقيق أنضر روض
باكرته هواطل المزين فافتراً
ما خيام على النقا والمضلى
ما ارتقاء من الغلا لمقام
ما سلمي وزينب وسعاد
ومنها:

إنه العبد لو تملك روحاً
وله من أخرى: [الكامل]

لا يُعجبك منه زخرف لهوه
فبعزتي آليت ما بعد امرؤ
وله من أخرى: [الطويل]

ولي رتبة تقضي بأن مشاهدي
فأيان يمتت المعاهد يلقني
تفاوحت الأزهار من روض وضله
وله أيضاً: [الخفيف]

يا نسيم الصبا ويا عبقة الزهر
كيف قالت حمامة الأيك لما
هل ترى بلغت حديث غرامي
أو تراها تخوفت من عدول
لست أخشى إذا ذكرت لدى الجد
أنا في خطة السقام ولكن
عمرك الله يا حمامة جزعي
ذاب من لوعة وفرط غرام
عل ليلى تمئن بعد الشجافي
ليس والله بالعجيب انعطاف
لا ولا بالعجيب أيضاً تلظي
وله من أخرى: [المتقارب]

حبيبك دان رقيب قريب

وملاحاً بأيمن الجزعاء^(١)
نسجت بزرده يد الأنواء
يرينا لالسي الأنداء
وقباب بالجللة الفحاء
دون علياه أنجم الجوزاء
الغواني عن الحلا بالبهاء

كان أعطى هدية الفقراء

أحواله أين الهبات من الهبا
عن نفسه إلا وكان مقرباً

جميعاً بها قلبي إليه منيب
حبيب إلى كل القلوب حبيب
فرق نسيم بينها ونسب

أفاحت لنا شميم الحبيب
غردت فوق بانه بالكثيب
واشتياقي لمثيتي ونصيبي
وعدو وحاسد ورقيب
ب مقالاً للائم ومريب
عرض حالي على الحبيب ضيبي
إن يقل كيف حاله فأجيبني
واشتياقي وأتة ووجيب
ببلوغ المنى وفتح قريب
من حبيب قوامه كالقضب
مهجتي والخدود نار النهيب

فماذا البكاء وماذا التحيب

(١) الوغساء: ما سهل من الرمل. القاموس المحيط، مادة /وعس/.

بعيدٌ فقيدٌ طريدٌ غريبٌ
بداءِ الصُّدودِ وَعَزَّ الطَّبِيبُ
به كلُّ وقتٍ لديهمِ يطيبُ
بقائِي في النِّقْصِ أمرٌ عجيبُ
يزولُ الصُّدودُ ويرضى الحبيبُ
بأوفرِ حظٍّ وأوفى نصيبِ
به مزتَعٌ للأمانِ خصيبُ
وجسُّ رَبابِ الغزالِ الرِّيبِ
بنخْمِرِ يروقُ وساقِ أريبِ
فتحسبه بانه في كتيبِ
وليس سوى القبضِ عتًا يغيبُ

وله استغاثات، يعجبني منها قوله: [م. الهزج]

وهذا المئهل الأغدبُ
وهذا المورِدُ الأطيِبُ
وهذا بميئته الأغجبُ
وهذا فثحُه الأقرَبُ
لُ والمقصودُ والمأربُ
ر كثرُ السرِّ والمطلبُ
بدائعُ سيره تُكْتَبُ
مَراماتُ النهى تُخْطَبُ
الكرامِ طرازها المذهبُ
له مَولاهُ قد قرَّبُ
فَعنه قَطُّ لا يُخْجَبُ
بِمِذْحِيته ولو أطنبُ
فإني ضاقُ بي المذهبُ
بسِرُّ منه لا أسْلَبُ
والأَمَنُ له أذهبُ
فلا تخش ولا تشعبُ
فمن تنصُرُه لا يغلبُ
فمن دُئبي لك المهربُ

نعم هو دَانٍ ولكنيني
بُكائي عليّ لأنني بليثُ
وفازَ المحبُّونَ دوني بما
فَهَمِّي وفَهَمِي زادَا فما
فيا هل ترى بعد هذا البعادِ
نعم هو ذاك ستُغَطِّي مُنَاكَ
وتهتَزُّ بالبَسْطِ في مَرَبَعِ
وحبسِ الكواعبِ عيدانها
وتقضى حقوقَ الفؤادِ المَشُوقِ
يَهْزُ من التَّيِّهِ أَعْطافه
ونحنُ عُكوفٌ على لَهونَا

إلى كم نحنُ في ظَمَأِ
وهذا المَشْرَعُ الأخلى
وهذا بابُ مولانا
وهذا سرُّه الأعلَى
وهذا السُّؤْلُ والمأمو
حبيبُ الله نور النُّو
ومَن في لُوحِ حضرتِه
ومَن في تاءِ غُرَّتِه
جَمالُ عصابةِ الرُّسْلِ الكرامِ
ألا يا خيرَ مَبْعوثِ
ومَن بالعينِ أَبْصَرَه
ويا مَن لا يَفِي شَخْصُ
أَقْلَنِي عَثْرَةَ عَظْمَتِ
وخلُّضني وخصُّضني
أغثُ يا سيدي لَهْفِي
وقل لي أنت في جاهي
بك استنصرتُ فانصُرني
بك استشفعتُ فاشفَع لي

ومن إشارات قوله :

فيه تجرّدتُ عن وَهْمٍ وعن شَبَهٍ
وله أيضاً: [الخفيف]

لستُ أنسى يومَ اللّقا خُذْ وهاتِ
فاجلّها الشمسَ في بُروجِ زُجاجِ
واشقنيها فداً لِنَفْسِكَ نَفْسِي
لا تُبالي بعاذليكَ عليها
كيف أنسى وكيف تُنسى حياةُ
يومٍ لُقياكَ عيدُ رُوحِي ومغنى
فبحقّ الجمالِ إقسامُ صَبِّ
أرسل الدمعَ من جفونِ فما المُرُ
وبكى مُدُّ بكي الحَمَامِ عليه
فكأنّي مع الحمامِ ثكالي
لا أذوق الكرى وسلّ أنجم اللذِ
فأغثنني فهل أتى خبرُ العَيدِ
أو أتاك النّبا بأن فؤادي
لم تزل من كِنانةِ الجفنِ ترمي
أنا إيّاه فازبح الأجرَ في نفِ
وتداركُ فدثك رُوحِي برُوحِي
إن لي في الغرامِ خيرَ خلالِ
أنا فيه من الطّفِ الناسِ طبعاً
بني يفتّرُ ثغرُ وقتي سروراً
فم فهذا الشّمالُ هبّ بشيراً
ثمّ من بعد لَمحةِ شمتِ بزقاً
قلتُ ما البارِقُ المُضيءُ وما نفِ
قيل سلّمى أتتُ وهذا بشيرُ
وابتدرتُ الطريقَ أسعى وأذغو
أدركتُني عنايةُ الله حتى
وله أيضاً: [الطويل]

أما ونسيمُ الروضِ ينفخُ عن نَدِّ

لله أحرمتُ والتوحيدُ ميقاتي

وأدزها بأكؤُس اللّذاتِ
من سناها تألقُ المزهراتِ
بين صَحبي وفثيتي ولِداتي
وأدزها رَغماً لأنفِ الصّحاةِ
فتدانيك يا حبيبي حياتي
فيه ألقاك أشرفُ الجنّاتِ
أخرقته لواعجُ الرّفّراتِ
نُ استهلّتُ بهاطلِ المنشآتِ
نائحاتٍ من تواتر الأثباتِ
نائحاتٍ لِمَا دها نائباتِ
بل وهذا السّقامُ من بيناتي
ن أفاضتُ سحائبِ المُرسلاتِ
لم يزل في اللهبِ والتنازعتِ
قرشياً بأسهمِ صانباتِ
س نفيسِ الآباءِ والأمهاتِ
أني شيءٌ تناله من مماتي
باقياتِ من الهوى صالحاتِ
وصفاتي به أجلّ الضففاتِ
ونسيمُ الضبا شقيقُ لذي
بتداني اللّقا وجمعُ نشتاتِ
لاح للعين من جميع الجهاتِ
حده هذا العبيرُ في النسماتِ
بالتداني فقلتُ طابث حياتي
يا صحابي ليهنكُم لِداتي
وصلتني سلّمى وتمت هباتي

وريح الضبا تهفو بأعطافه المند

فحدّث بما تختارُ عن زمنِ السَّعدِ
 حديثاً كما هبَّ النسيمُ من الوزدِ
 وأثني رشيقَ الخيزُرانيةِ من قدِّ
 فوسَّدتها زندي وألحفثها بُزدي
 فعانقتُ منها السَّيفَ جُردَ من غمدي
 ولم يُلهني هزلٌ عن الجدِّ في المجدِ
 وبأسي كما أُبئتُ عن أسدِ وزدِ
 شدوا للوغى من فوقِ صاهلةِ جُردِ
 بسيفي كما طار الشَّرازُ من الزندِ
 وناهيك من نظم وناهيك من عقدي
 إذا ما لقيتُ الجيشَ أهرمه وحدي
 وطالعُ من أهواه في فلک السَّعدِ

رُبَّ وَزْدٍ قَطْفَتُهُ بِيَدِ اللَّثْمِ
 وقضيبِ عطفته بيدِ الضَّمِّ
 يا سقى الله يومنا والأمانِ
 إذ بدت أنجُم السَّعادةِ تزهُو
 حيث كنّا ولا رقيبَ ونلنا
 برياضِ مكلّلاتِ بدرِ الد
 كم بناتِ الدنانِ زُوجنَ بالما
 وأقمنا لهنَّ عرسَ التهانِ
 وله أيضاً: [المجتث]

يا أهيفَ القدِّ جاوِزُ
 كم ذا تتيه على من
 والله مُذ مال قلبي
 كم نمتَ عندي أجني
 وبيتُ شربِ نفسي
 وله أيضاً: [الخفيف]

وغيصونِ القدودِ تشمر بدرًا
 فهي سكرى به وليست بسكرى

لقد نِعمتُ نفسي بعِزَّةِ ليلةِ
 وباتت تُعاطيني المُدامَ وتارةِ
 وأجني مُذابَ الأفحوانةِ من فمِ
 وقد مالتِ الصَّهباءُ سُكرًا بها وبِي
 وألقتُ ذارعَينها عليَّ حمائلًا
 وما صدني طيبُ الوصالِ عن العُلا
 فعزمني كما زاحمت منكبَ يذبلُ
 أنازلُ بالعَضْبِ الصَّقِيلِ بواسِلًا
 وليتكَ شاهدتِ الرُّقابَ تطايرتُ
 ونظمي في رُمحِ الرؤوسِ قلائدًا
 فكُن واثقًا أني وإن كنتُ مفردًا
 وأنني فتى الحيِّ العزيزِ صحابهُ
 وله من أخرى: [الخفيف]

يا سقى الله يومنا والأمانِ
 إذ بدت أنجُم السَّعادةِ تزهُو
 حيث كنّا ولا رقيبَ ونلنا
 برياضِ مكلّلاتِ بدرِ الد
 كم بناتِ الدنانِ زُوجنَ بالما
 وأقمنا لهنَّ عرسَ التهانِ
 وله أيضاً: [المجتث]

يا أهيفَ القدِّ جاوِزُ
 كم ذا تتيه على من
 والله مُذ مال قلبي
 كم نمتَ عندي أجني
 وبيتُ شربِ نفسي
 وله أيضاً: [الخفيف]

وحياةِ العيونِ تنفثُ سحرًا
 وجمالِ سبى عيونِ البَرايا

رَّ عَلَى مَفْرَقِ الْبِلاغَةِ نَشْرًا
مِلْتُ أَشْهَدْتَنِي جَمَالَكَ جَهْرًا
يَا حَبِيبِي فَصَاحِبُ الدَّارِ أَذْرَى
وَمَلِيكَ الْجَمَالِ نَهْيًا وَأَمْرًا
نَ بِهِ فِي الْغَرَامِ أَشْعَلْتَ جَمْرًا
بِتَّصَابِيهِ عَزَّ قَدْرًا وَصَبْرًا
أَعْظَمَ اللَّهَ فِيهِ عِنْدَكَ أَجْرًا

تَطَّاطَأَ رَضْوَى دُونَهَا وَثَبِيرُ
بِهِ رُتَبٌ عَنْهَا السُّمَّاكُ قَصِيرُ
تَرَى الْهَامَ فَوْقَ الْهَامِ مِنْهُ يَطِيرُ
تَرَى ذِلَّةَ الشُّجْعَانِ كَيْفَ تَصِيرُ
الْخَلِيقُ بِهَا وَالْمُدَّعُونَ كَثِيرُ
وَنَحْوِ سِوَاهِ الْمَجْدُ لَيْسَ يَسِيرُ
لَهُ النَّصْرُ جُنْدٌ وَالْفَخَارُ وَزِيرُ

لِذَوِي الْأَلْبَابِ عِبْرَةٌ
أَوْ تَدَلِّي فَهُوَ كَثْرَةٌ

قلت: والشاروخ لفظة مصرية، وهي نوع من ملاعب الثيران معروف.
وله أيضاً:

فَقُولَا لَهُ مُضْنَاكَ مَلْتَمِسٌ نَظْرَةٌ
فَإِنِّي لَا أَخْشَى خَلِيلِي مَا أُنْرَةٌ

كَالغَيْدِ تَخْطُرُ فِي قَبَاءِ أَخْضَرِ
لِلرَّقِصِ فِي رَوْضِ الْجَنَانِ الْمُزْهَرِ

وقال، من قصيدة يتشوق بها إلى الكعبة المشرفة: [السريع]

وَجْهٍ سَلِيمِي أَيُّهَا الْبُرْقُعُ
عَنْهَا مَزَارِي لِلدُّعَا تَسْمَعُ
بِمَا أَرْجِيهِ وَمَا أَطْمَعُ
حِمَائِمٌ فِي حَيْثُهَا تَسْجَعُ

وَيَمِينًا بِمَنْطِقِي يَنْثُرُ الدُّ
مَا أَرَى فِي الْوَرَى سِوَاكَ وَإِنِّي
لَا وَلَا فِي الْفَوَادِ غَيْرُكَ فَاشْهَدُ
أَنْتَ رَبُّ الْجَمَالِ حِسًّا وَمَعْنَى
رُبُّ صَبُّ يَبِيثٌ حَيْرَانٌ حَرًّا
ذَلُّ فِي وَجْدِهِ لَدَيْكَ وَلَكِنْ
فَتَدَارِكُهُ وَازْبِحِ الْأَجْرَ أَوْلَا
وقال أيضاً: [الطويل]

هَلِ الْمَجْدُ إِلَّا عَزْمَةٌ قُرْشِيَّةٌ
وَصَوْلَةٌ فَتَاكٍ هِزْبٍ تَطَاوَلَتْ
إِذَا اسْتَلَّ مَا بَيْنَ السُّمَاطِينَ سَيْفَهُ
وَإِنْ هَزَّ أَعْطَافَ الْقَنَاةِ بِكُفِّهِ
حَلِيفُ الْمَعَالِي رَبُّهَا وَإِمَامُهَا أَلْ
فَتَى لَا يَوْمُ الْمَجْدُ غَيْرَ جَنَابِهِ
مَلِيكَ سَرِيرِ الْعِزِّ حَاكِمِهِ الَّذِي
وله أيضاً: [م. الرمل]

إِنْ فِي الشَّارُوخِ مَعْنَى
إِنْ تَعَالَى فَهُوَ فَرْدٌ

قلت: والشاروخ لفظة مصرية، وهي نوع من ملاعب الثيران معروف.
وله أيضاً:

خَلِيلِي إِمَّا جِثْمًا حَيٌّ قَاتِلِي
فَإِنْ تَرِيَا فِي الْوَجْهِ مَاءٌ بِشَاشَةٍ
وله أيضاً: [الكامل]

انْظُرْ إِلَى ثَمَرِ الْخِيَارِ الشَّنْبَرِ
أَكْمَامُهُنَّ مُعْضَفَرَاتٌ أُسْدِلَتْ

وقال، من قصيدة يتشوق بها إلى الكعبة المشرفة: [السريع]

أَوْدَعْتُكَ اللَّهُ سَلَامًا عَلَيَّ
فَلَيْتَ إِذْ أَدْعُو وَقَدْ شَطُّ بِي
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَقَدْ أَنْعَمْتَ
حَتَّى بِذِكْرِي حَوْلَهَا دَائِمًا

وقال، من قصيدة أخرى: [الكامل]
 إن قلت فالدُّرُّ الثمينُ قلائدي
 أو قلتُ في شرح الغُيوبِ فإتني
 هذا لسانُ محمَّدِ الحمدِ الذي
 وله أيضاً: [م. الكامل]

أأكونُ وافدٌ ساحتِكُ
 ويُصيبُني أذنى أذى
 وقال أيضاً: [م. الخفيف]

صَوَّحَ النَّبْتُ فاشقَّه
 وأغثنا فإننا
 وله أيضاً: [الخفيف]

بين أهلِ القلوبِ والحقِّ حالُ
 ما لشخصِ إلى غلاهم طريقُ
 اخذِرِ اخذِرِ أهلَ القلوبِ وسلِّمْ
 لا يَكُنْ مِنْكَ ذَرَّةٌ بنكيرِ
 فإذا ما رأيتَ نُكْرًا فأولُ
 لا تُردِ وَسْعَةَ المَقالِ بحالِ
 لو ترى القومَ في الدِّياحِ سُكاري
 كلُّ بسطٍ من بسطِهم مُستَفادُ
 شاهدُوا الحقَّ من مَرايا نُفوسِ
 إنما العيُنُ بالحقيقةِ للعيُنِ
 تحستِ أَسْتارِ عِزَّةٍ وجمالِ
 يا لِقَومِ من سَكْرَةِ بِمُدامِ
 هاتِها هاتِها على كلِّ حالِ
 كلُّ ذنِبٍ لشاربيها مُباحُ
 لا تُبالي بعاذِلِ في هواها
 فِشمالِ والكأسُ فيها يمينِ
 وله أيضاً: [مخلع البسيط]

سِرْ بي إلى حِيَّهم ودغني
 فإن مولى الكرامِ منهم

شُرُفَتْ به الأَعناقُ والأَطواقُ
 ثَمَرُ القلوبِ وغِيري الأوراقُ
 مِنْ وَضْفِهِ تُتَعَلَّمُ الأخلاقُ

ونزِيلُ دارِ كَرامَتِكَ
 كِلا وَحَقُّ سِياَدَتِكَ

قَطْرَةٌ مِنْ سَحائِبِكَ
 فِي تَرْجِي مَواهِبِكَ

وهو سرُّ يدقُّ عنه المَقالُ
 بل ولا في مَيندائِهِمْ ذا مَجالُ
 أمرَهُمْ إنهم فحولُ رِجالُ
 فسُيوفُ الأَحوالِ فيها صِقالُ
 لِيَعزولَ الإنكارُ والإشكالُ
 رَبُّ حالِ يَضيقُ عنها المَقالُ
 وعليهِمْ أُديرتِ الجِزِيا
 كلُّ عِظفِ بِسُكْرِهِمْ مَيَّالُ
 جَلَّ عن كَشْفِها الرَفِيعِ المَنالُ
 نِ تجلَّتْ فما هناكَ خِيا
 ما سِواها جَميعُها أَسْمالُ
 ما لعِقلِ التُّدْمانِ منها خِبالُ
 اسقِنِها فما عليكِ وِبالُ
 وعِشارِ لِمُخْتَسِياها يُقالُ
 لِمِ يذُقُها فقولُه بَطالُ
 ويمينُ لِمِ يخلُ منها شِمالُ

في أيِّ طَورِ فلا أبالي
 فأبشروا أيها المَوالِ

وله أيضاً: [السريع]

عن وَجْنَةِ الوَزْدَةِ ذاتِ الكِمَامِ
عن قامَةِ الغِصَنِ رَشِيقِ القَمَاطِ
عن ضاحِكِ الزَّهْرِ بدمعِ العَمَامِ
بدَوِّجِها الأَمَلِدِ غَنَى الحَمَامِ
فنادتِ الشَّمْسُ هَبُونِي لِثامِ
عن لُعسِ فوقِ حَبابِ المِدامِ
وأسعدتَنِي ببلوغِ المَرَامِ

حدَّثنا نَفْحُ عبيرِ الخُزامِ
عن عذِّباتِ الرَّنْدِ مشدولةً
عن ناظِرِ الأَغِينِ من نَرْجِسِ
عن سائِلِ الجَدُولِ في روضةِ
عن فتياتِ لُحْنِ وقتِ الضحى
عن نُعسِ الأَغِينِ مكحولَةً
أنَّ سَلِيمِي أسعفتُ بالمُنَى
وله أيضاً: [الطويل]

عقائلِ خِدرِ الحَيِّ من آلِ هاشمِ
هواكُنَّ جِزْرِي في الوَرى وثمانِي
ولا خِتمتُ إلا بَكُنَّ خواتِمِي

ألا قُلْ لربِّاتِ الرُّبى والمعالمِ
أيا ساكناتِ المُنحَنى من أضالِعِي
فلا افتتِحَتْ إلا بَكُنَّ فواتِحِي
وله أيضاً من قصيدة: [البيط]

من بعد ما ذُبْتُ من ذاكِ الجِفا وجِلا
وما دَرى أني لِمَ أسمعُ العذلا
أعيدُ باللهِ قلبِي أن يُقالَ سِلا
سقيتهُ الدمعِ حتى أثمرَ القَبلا
وكيفِ والعزُّ يهوى من بهِ اشتغلا

أزال من نورِهِ حُجَبَ الجِفا وجِلا
كم عاذِلِ قد لَحاني في محبَّتِهِ
تاللهِ ما خَطَرَ السُّلوانُ في خَلدي
وبي مَليحِ كغُضنِ البانِ ذو هَيَفِ
أهوى هَواهُ ولو ذُقْتُ الهوانُ بهِ
وله من أخرى: [الطويل]

طعينُ قنا تلكِ القُدودِ الموانِسِ
فصيرُ قيساً ضحكةً في المِجانِسِ
شموساً تجلَّتْ في زواقِ الحنادِسِ
بُرودِ جمالٍ من أرقِ المِلابِسِ

جريحُ ظبا تلكِ العيونِ التواعِسِ
تزايد في لُبْنى هَواهُ وبِئْسَ
رأى والهوى يولى الفتى كلَّ مِحنةِ
دُمى صانها عزُّ الجلالِ توشِحتُ

القسم الرابع

في ذكر الرُّوم، وما اتَّفَقَ لي فيها، وذكر مَنْ
لقيته بها من رؤسائها، وعلمائها، وبقية دَهْمَائِهَا

لَمَّا رَأَيْتُ الدُّنْيَا مَيْدَانًا وَالْأَجْسَادُ فِيهَا خَيْلٌ عِتَاقُ، وَالْمَسَابِقَةُ فِيهَا إِلَى الْخَيْرَاتِ مِنْ
أَجْلِ السَّبَاقِ.

وَاللَّهُ الْمَلِكُ الْجَوَادُ الْمُجَازِي، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي
الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وَنَبَتْ بِي الْأَوْطَانُ، وَعَادَانِي الزَّمَانُ.

وَالْأَرْضُ وَاسِعَةٌ إِنْ ضَاقَتْ صُدُورُ الرِّجَالِ، وَلَا يُضْلِحُ النَّفْسَ إِنْ كَانَتْ مَصْرُفَةً إِلَّا
التَّنْقُلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ.

وَأَقْسَمُ إِنْ لَمْ يُحْظِنِي الدَّهْرُ بِالْغِنَى لَأُمْتَطِينَ الصَّبْرَ إِذْ حَرَنَ الدَّهْرُ

قَمْتُ لِعِنَانِ الْعِزْمِ ثَانِيًا وَالْأَمَلُ حَادِي، وَارْتَحَلْتُ لِلرُّومِ وَالْقَضَاءِ وَالْقَدْرُ سَائِقٌ لِي
وَهَادِي، وَقَلْتُ إِذَا كَانَ أَصْلِي مِنْ تُرَابٍ فَكُلُّ الْأَنَامِ أَقَارِبِي وَكُلُّ الْبِلَادِ بِلَادِي.

فَإِنْ ضَاقَ عَلَيَّ نَاقِيِي مَرَعَى الْغَضَا، فزَمَامُهَا بِيَدِي وَمَا ضَاقَ الْفَضَا.

وَإِنْ ضَاقَ الْفَضَا عَلَى الرُّكَّابِ، فَلِلَّهِ سَفْنٌ تَجْرِي وَبِحَرِّ عُبَابٍ، فَلَمْ يَكْفِنِي الْبَيْنُ

حَتَّى ابْتَلَيْتُ بِالْبَيْنِ وَالْغُرَابِ. [الطويل]

وَقَالُوا رَكِبْتَ الْبَحْرَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَبَقَسَيْتَ فِي الْأَسْفَارِ هَوْلَ قِيَامَةٍ

فَحَدَّثْتَ بِمَا لَاقَيْتَهُ مِنْ عَجَائِبِ وَأَغْرَبِ مَا لَاقَيْتَ قَلْتُ سَلَامَتِي

وَهُوَ مَرْكَبُ كَثِيرِ الْمَعَابِطِ، وَالْإِنْسَانُ مَخْلُوقٌ مِنْ طِينٍ وَالطِّينُ فِي الْمَاءِ ذَائِبٌ.

وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَنْ عَلَيْنَا بِالسَّلَامَةِ، وَأَنْعَمَ بِلَا كَدْرٍ لِلْوَصُولِ لِدَارِ الْإِقَامَةِ.

فَرَأَيْتُ فِيهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْأَشْرَافِ، مَا تَنْقَطِعُ دُونَ بَيَانِهِ التُّعُوثُ وَالْأَوْصَافُ.

فَنَاقَشْتُهُمْ فِي مُدَارَسَةِ الْعُلُومِ، وَاسْتَفَدْتُ مِنْهُمْ مَا تَشْهَرُ لِمُسَامَرَتِهِ عَيُونَ النُّجُومِ.

لَا سِيَّامَا الْعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالرِّيَاضِيَّةِ، وَمَقَاطِعِ الْأَنْظَارِ الْمُنْطَقِيَّةِ وَالْكَلَامِيَّةِ.

فَظَفِرْتُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ بِمَا حَمَدْتُ بِهِ عُقْبَى السَّرِيِّ، وَرَبِحْتُ فِيمَا أَنْفَقْتُهُ مِنْ رَأْسِ

مَالِ الْعَمْرِ أَنْفَسَ مُشْتَرِي.

وَقَلْتُ نَوْرٌ عَلَى نَوْرٍ، وَتِجَارَةٌ لَنْ تَبُورَ.

فَكَانَ مَمَّنْ لَاقَيْتَهُ، وَأَدْرْتُ مَعَهُ كَوْوَسَ الْمَذَاكِرَةِ فِعَاطَانِي وَعَاطِيَتَهُ عَلَيَّ بِنِ

الحنائي، وهم بيت علم وأدب، فيه شرف نسب علي وحسب. وعماد ذلك البيت، الذي ليس فيه لو وليت:

١٥٢ - علي بن الحنائي بن أمر الله الحميدي

كامل أخلاقه توأم نسيم السحر، وعيون آثاره منازل عيون الثوار غب المطر.
فهو في مذاق النهى ألد من الأمل، وأخلى من الحياة المقتنضة من يد الأجل.
وأشعاره بالألسنة الثلاثة في وجوه الطروس تفضح اللمي والحور، وتجذب
بأيادي لطفها عنان الفؤاد والبصر.

تشابهت معانيه الدقيقة، بكاسات كلماته الرقيقة.

فسر الدهر ذكره، وعطر بزود الوجود نشره. [الكامل]

وأرى الحجيج إذا أرادوا ليلة ذكراه أخرج فذية من أحرما
أدار في الروم من الأدب كأس حمياه، ونشر بأرجائها أرج أنفاسه حتى تعطرت
بريائه.

ببراعة يصف لسان يراعها نقات السحر، وفضائل أزخست صنائعها بضائع
الشحر.

وعلو قدر يعمم هامة الراسيات، وسوابق عزم تقف دون مداه أصناف
الصفات.

تشرف قضاء العسكرين بمحكم أحكامه، ونشرت على أعلام تلك الأقطار
خافات أعلامه.

وله رحلة لمصر ألبس فيها أعطاف مجده برودا، ونظم بها من الشعر العربي في
جيد الدهر عقودا.

فمما صدحت به حمائم فصاحته على قضب اليراع، وتلت ألسن براعته ما شئ
إليه أعنة الأبصار والأسماع.

قوله: [الوافر]

أرى في صدغك المفعوج دالاً عليها نقطة من مسك خالك
فصارت داله بالنقط دالاً لها أنا هائم من أجل ذلك

وهو أحسن من قول الخوارزمي: [الكامل]

وأراك خديبه ولاح عليهما صدغان ذو خالٍ وآخر خالي
فكان ذا دالٍ خلت من نقطة وكان ذا دالٍ ونقطة خال

ومن قول أبي بكر الزورني: [المجتث]

نَقَطْتَ صُدْغَكَ ذَالاً
لَوْ أَنَّ ذَلِكْ ذَالِي

وله أيضاً: [الكامل]

أَسْرُوهُ مِنْ ثَغْرِ الْعَدُوِّ فَأُضْبَحُوا
أَسْرُوهُ كِي يُنْسِي أَمِيرَ جَمَالِهِ

وله أيضاً: [الكامل]

قَالُوا تَبَدَّى وَجْهُ مِنْ أُخْبِبْتَهُ
شَمْسُ الْجَمَالِ تَسْتَرُّ فِي عَارِضِ
فَأَجَبْتُهُمْ يَا قَوْمَ إِنْ مَحَبَّتِي

وهو كقول أبي حيان: [السريع]

رَاضٍ حَبِيبِي عَارِضٌ قَدْ بَدَا
فَظَنَّ قَوْمٌ أَنَّ قَلْبِي سَلَا

وله أيضاً: [البيسط]

وَلَا تَمَّ لَامٌ فِي حُبِّي لَدَى غَنَجٍ
فَقُلْتُ ذِي لَامٍ تَعْلِيلُ بَوْجِنْتِهِ

هو كقول ابن نباتة: [البيسط]

لَامُ الْعِذَارِ أَطَالَتْ فِيكَ تَسْهِيدِي
وقول ابن رشيقي: [البيسط]

يَا رَبِّ أَخْوَرَ أَخْوَى فِي مَرَاشِفِهِ
خَطَّ الْعِذَارُ لَهُ لَاماً بَعَارِضِهِ

وله، وإن لم يكن ممّا نحن فيه: [م. الرمل]

لَكَ تَذْرِيسٌ وَلَكِنْ

ولصاحب الترجمة: [الطويل]

وَافِي وَأَنْفَاسِي تَصَعَّدُ مِنْ جَوِي
وَهَلْ تَحْتَ رِقِّ الْحَبِّ قَلْبُكَ فِي لَظِي

ونحوه لابن المبلط: [م. الرجز]

يَا نَائِماً وَقَيْئُهُ
يَخْفِيئُهُ بِمَائِهِ

وللشهاب المنصوري: [م. الكامل]

قَلْبِي بِحُبِّكَ قَدْ عَلِقُ

فَالْوَيْلُ مِنْ شَكْلِ ذَلِكَ
سَجَدْتُ شُكْرًا لِذَلِكَ

أَسْرَى بِمَنْسَمَةِ الشَّهْيِ وَثَغْرِهِ
فَهُوَ الَّذِي مَلَكَ الْفَوَادَ بِأَسْرِهِ

فِي عَارِضٍ لَخِيَالٍ وَجْهَكَ فَارِضِي
دَعَّ عَنْكَ دَمْعاً مِثْلَ بَحْرِ فَائِضِ
ذَاتِيَّةً لَيْسَتْ تَزُولُ بَعَارِضِ

يَا حُسْنَهُ مِنْ عَارِضٍ رَائِضِ
وَالْأَضْلُ لَا يُفْقَدُ بِالْعَارِضِ

لَمَّا رَأَى فِي حَوَاشِي خَدِّهِ لَامًا
تُبَيِّنُ عِلَّةً مِنْ فِي حُبِّهِ لَامًا

ع

كَأَنَّهَا لَغْرَامِي لَامٌ تَوَكِيدِ

لَوْ جَادَ لِي بَارْتِشَافٍ بُرْؤُ أَسْقَامِي
مِنْ أَجْلِهَا يَسْتَغِيثُ النَّاسُ بِاللَّامِ

وله، وإن لم يكن ممّا نحن فيه: [م. الرمل]

عَيْنُ تَذْرِيسِكَ لَامٌ

فَقَالَ أَمِنْ كَأْسِ الصَّبَابَةِ تَغْتَبِقُ
فَقُلْتُ أَجَلُ إِنْ الْقُلُوبَ لِتَخْتَرِقُ

مِنْ فَوْقِهِ كَفَخَلِ جِنِّ
مَا لِي أَرَاكَ تَحْتَقِرُنْ

فَأَمْنُنْ لَهُ وَضَلَا وَرِقُّ

يا مَنْ يُحْمَلُ مُهْجَتِي ها قد ملكت جوانحي
 في حُبِّه ما لم تُطِقْ عيناك تستترق الحشا
 فانظر تجذها تحت رِقْ ولكل حُرٍّ تَسْتَرِقْ

ولعليّ الحنائي في «شرح الكشاف للسعد»: [الطويل]

لقد قلتُ لَمَّا أن تملكْتُ نُسخةً لفاضلٍ تفتازان من شرح كشاف
 عليك سلامُ الله يا سعدُ إننا نداوي عليلَ الجهلِ من شرحك الشافي
 وله من قصيدة أخرى: [الطويل]

سقى الله عيشاً في ظلالِ رُبوعِهِم حلا ذكره في الذوق وهو مُدام
 ليالٍ لنا في مصرَ وضلُّ كأنها على وَجْنةِ الدهرِ المُمْتَعِ شامُ
 يحينُ حمامي من حنيني ولوعتي إذا ناح فوق الأيكتين حمامُ
 وتشبيه الليالي بالشامات هنا لا بأس به، ولكن أين هذا من قولي، لمن لا داء به
 وله أذن واعية: [البيسط]

سقى الغمامُ وحياً صَفْوُ مُزِنْتِه عصراً تقضى مع الأخبابِ ألوانا
 سُودُ الليالي به شاماتُ لو ظَهَرَتْ في حُسنِ وجهِ زماي كُنَّ خيلانا
 وله رسالة قلمية، منها: [الطويل]

لك الحمد يا مَنْ أكرمَ الناسَ بعدما هداهم إلى التقوى وعلمَ بالقلمِ
 يُؤلفُ بين الكافِ والنونِ أمراً وينقشُ لوحَ الكونِ من ذلك الرِّقْمِ
 وسُخِبَ من التَّسليمِ يُسكبُ ونبْها على مَرْقِدِ فيه المروءةُ والكرمِ
 تجافى عن الأقلامِ طَرْفُ بنائه وقد نُسخَتْ من دونه كُتُبُ الأممِ
 صلاتُ الصلاة والسلام، عليه وعلى آله الكرام، وصحبه العظام.

ما لاحت علائم الأعلام في وجوه الأماثل، وناحت حمائم الأقلام من عُصون
 الأنامل.

وبعد، فإن بعض الموصوفين بالبراعة، اغتنى بوصف البراعة. وأحرز قصبات
 السبق في مضماره، وحرّم على مُصلِّيه أن يؤمَّ شقَّ غباره. ورسم بدائع المعاني على
 لوح البيان، فصار ما سطرته أنامله يُشار إليه بالبنان. وهذا نسخ على مثاله، ونسخ
 على مثاله. وشتان بين من إذا ركب القلم أنامله، خضعت رقاب الأنام له. وبين من
 يكتب فيلغي، ويقول فلا يُضغي. والله المستعان، وعليه التكلان. يا سائلي عن صفة
 القلم، إنه في العلم علم. علم يترأى في بيدااء الثور ﴿وَالطُّورِ﴾ ﴿١﴾ وكتب مَسْطُورِ ﴿٢﴾
 في رَقِّ مَسْطُورِ ﴿٣﴾ [الطور: ١-٣].

يعجز عن بيان عُزْرٍ وصفه بنان الأفهام، ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام.
 ذو اللسانين واللسن، والبيان العذب الحسن.

فقيه فائق سرح في رياض الهممة، فاقتطف شقائق النعمان، حكيم حاذق جلس على خوان الحكمة، فالتقم حقائق لقمان.

درس العلوم الرسمية فهو المعلم الأول، وجدد ما درس منها وما على رسم دارس من معول.

مد باعه في العلوم وقده قيد شبر، خبر ماهر إذا رأيت أثره تقول ما أحسن هذا الجبر.

قادر على تحرير العلم وتخبيره، يتكلم فيذر على الكافور عنبراً فيا حسن تغييره. إذا أنشأ أغرب، وإذا أنشد أطرب، وإذا أعجم أغرب.

وإذا أشكل رفع الإشكال، وإذا قيد أطلق العقول من العقال.

يترجم عن الوحي والإلهام، وإذا رفعه الإبهام رفع الإبهام.

مزن منه شايب العلوم واكفة، غصن عليه طيور النهى عاكفة.

طالما جال وجاب، وسأل وأجاب، فأبدي العجب العجاب.

طوراً يشرب من كؤوس المحابر، فيتمايل كشارب ثمل، وطوراً يخطب على

رؤس المنابر، فتراه كشيخ عبراته تنهمل.

وتارة يجلس في الدست مثل الكرام الصيد، ويبيت على كهف المخبرة باسط

كفيه بالوصيد.

متجرد خلى نفسه للترهد، متعبد رافع أضبعه للتشهد.

يحدث بأحاديث الليالي للأنام، ويظهر ما جرى على لسانه في صفحات الأيام.

كانما يتنزّه في مراتع الطرب، ويتبختر في ملايس القصب.

إذا شط داره، فشط عنه مزاره.

فهو ينيكي كالعمامة، وينوح كالحمامة.

يتذكر لداته وأثرابه، ويحن إلى أول أرض مس جلدته ثرابه. [الوافر]

يئوح على رسوم دارسات كنوح حمامة بالرقمئين

وقد ينعى إلى أهل التصابي نوى الأخباب مثل غراب بين

ضربوا عنقه فطال عناؤه، وشجوا رأسه فسال دماؤه.

أولج نفسه في المهالك، وأدلج في ظلام حالك، فازتعد من خوف ذلك.

صب ناجل مني بليل الفراق فترنج ولها، أو كريم اجتداه مغدّم ماجل فهو يهتز

لها.

على منبر الأصابع خطيب مضقع، ألف تراه تارة في الدواة وأخرى على

الإضبع.

بث مصونات السرائر فأشير إليه بالسيف والنطع، وسرق مخزونات الضمائر

فحكّم عليه بالقطع.

يصبر مثل أيوب على البُوسَى، ويصير كليلماً إذا مرَّ على رأسه مُوسَى .
 غريبٌ هجرَ هنده وواسطه، وصار بين الهند والروم واسطة .
 يقوم في خِدمةِ الناس، فإذا قلتَ له: اجر، يقول على الرأس .
 يتعیش بكسبِ يمينه، يفتاتُ من عرقِ جبينه: [السريع]
 أرضعه الجدولُ من بعد ما رَبَّاه في منزلةِ شطئه
 ما ظهر الشعرُ على وجهه فأعجبَ له كيف بدا وخطه
 يُوسِع كالأخرازِ جوداً وطولاً، ورقبته كالعبيد في يدِ المولى .
 فهو على ما يُقاسيه من الحُزن والكآبة، لا يطلبُ من مولاه إلا الكِتابة .
 مدّاح لكنه لا يفارق الهجاء، يسترُ طرّة الصبح تحت أذيال الدجى .
 مُعدّل معروف بالاستقامة أمين، مجرّد لا يميلُ إلى اليسار فهو من أصحاب اليمين .
 بطلٌ يطأ في الطعان على الرؤوس، علمُ يأتيه الفتحُ والظفرُ وهو منكوس .
 رمحٌ من رماح الخطّ، مارَس الطعن وما انفك عنه قط .
 طُرف يجري في الميدان وهو مَعقود، إذا قصدته لا يحصل المقصود .
 وسهمٌ في الأغراض مُصيب، وليس له منها سهمٌ ولا نصيب .
 ثعبان لا يزال يحرق ما مرَّ عليه بأنفاسه، تمشي الثعابينُ على بطونها وهذا يمشي
 على رأسه .

أزقم يبلع الأسود، أدهم تُقيد به الأوابد .
 حية تنغمس في بحر رنقِ الماء، وتخرج منها وفي فمها دودة سوداء .
 يلدغ الأتباد كأنه عسال ذابل، ويشفي الفؤاد كأن فيه أزياء اشتارته أيد عواسيل .
 أكمل أمره في السباحة، وأفتى عمره في السياحة .
 يقطع الفيافي، وهو رَجلان حافي .
 تارة يُخرج الفرائد من البحور، ويجعلها قلائد بيض النحور .
 سفاح ذو خلاعة ومجون، رشيدٌ أمينٌ إلا أن طغيانه غيرُ مأمون .
 يجرُّ من الهنود جحفاً كالبحر ماجت راياته، ولا تنقطع عن ممالك الروم دقائقه
 وما جزياته .

يرتبُ الكتاب في المصاف، ويصدر عنه بالرمح الرعاف .
 شاد إذا غنى شفى المفقود، كأنه أوتي مزمراً من مزامير آل داود .
 أشقرُ يحب أن يخب في المزج، ألف القطع إلا أنه لا يثبت في الذرج .
 ألف إذا فارق النون فهو صاد، حرفٌ نفى كل ذالٍ عن عينه الرقاد .
 مُطلق لا يعتريه الأسر، مرفوعٌ إلا أنه يدخل عليه الكسر .
 يستعمل مفرداً ويُجمع ويكسر على قلة، أجوفٌ ويُعد ناقصاً إذا كان في حرفه علة .
 ثلاثي عينه لام، صحيحٌ إلا أن فاءه عينُ السقام .

مشتقٌ يصدر من حرفه الأفعال، عاملٌ إذا كُسِرَ يبطل عن العمل في الحال.
لسانه ذلق، وقلبه مَلِق.

لَفْظُوا باسمه فصيحاً وهو محرّف، وأراد أن يصحّفوه فلم يُصحّف.
مِيزَابُ عين الحكمة منه نابع، مقياسٌ يُبصر العلم عليه بالأصابع.
لسانه قاري، يتكلم بعد ما حَزَّ رأسه وهذه حكمة الباري.

تتعجب من أمره العقول، ويسأل عنه المُلغِز ويقول: [الكامل]

ما أمرّد منه القَوامُ مُقوّمٌ والرأسُ منكوسٌ كشيخ فاني
أبصرته فرأيت منه عجائباً حَدَثَ ترغرع سنّه إثنان

كفى من رُتبه أن الله أقسم به جَلّ، لو لم يكن قدره أَجَلّ.

لَمَّا قَبَلَ يدَ المولى الهمام، ولما طَوّقت أيديه رقبة الحمام.

مولى عيون ذوي الأنظار إلى مزود قلمه ميل، وذُرورُ تُربة قدمه يجلو جفون

أولي الأبصار من رأس ميل.

إذا سَحَّ سحابُ كماله ترى سَحبانَ في روض الفصاحة باقلا، وإذا فاض مَعِين

أفضاله ترى مَعنأ لحوض السماحة مادراً باخلا.

إذا نثر نثر الدرر، وإذا نظم نظم الغرر.

حرفٌ من ذلك البنان، وطَرْفٌ من سِخر البيان؛

سَطْرٌ من تلك الأنامل، وشِطْرٌ من حقائق المسائل. [البسيط]

في طَرْفه أدهمٌ يجري على سننٍ من رأسِ أضبُعه الغراءِ غرتهُ

أبو العلاء إذا أضْحَى يعارضه يَبِينُ عنه وقد بانَتْ مَعْرتهُ

إذا ألقى الدروس، يُخبي رباع العلوم بعد الدروس.

وإذا تعب براحته قلمُ الفُتيا، تصل إلى كلِّ راحة الدنيا، وتعلو كلمة الله العُليا.

قلمه في بنانه المِدرار، كأنه قضيبٌ نبت في الأثهار.

يسعى قدم العلم في مدار محاسنه وهو كسير، وينقلب بصر البصيرة خاسئاً وهو

حَسِير.

واني وإن أُعمل صوارم اليراعة ومضاها، وأبلغ من مسالك البراعة مداها.

وَألمَحُ من غَرْفِ الإبداع غواني المغاني، أضْمِي بظبي الأقلام ظباء المعاني.

لو رُمت تعديد نجوم بروج فضائله التي تتنافس بها الأمائل وتتباهى، وتتناهى

الأيام وهي لا تتناهى.

لعرفتُ أني مخصورٌ في غير مخصور، ولا عترفتُ بأني من جنان مدائح في

قصور.

لقد غدا سابقاً في حلبة العُليا أمثاله، إذا تناولت الأقلام راحته تقول ما قصبأت

السُّبق إلا له.

القسم الرابع/ علي بن الحنائي بن أمر الله الحميدي ١٢١

لا زالت خمائل الفضائل برشحات أقلامه مُخضّلة، ونسائم الأصائل بنسّمات أنفاسه مُعتّلة.

ولا برحت تضحكُ ببيكاءٍ أقلامه الطرُوس، ويُرَى في صورةِ خُطوطه حُطوطُ النفوس.

ما تغنّت الأقلامُ بصريرها، والأنهارُ بخريرها.

وضحكت الأنهارُ بشروقه، والأمطارُ ببروقه.

بحُرمةٍ من لولاه لم يُخلَق اللوحُ والقلمُ، ولم يُعلَم الإنسان ما لم يُعلَم.

وله رسالة سيفيّة. منها:

وبعد، فإن السيف في حنادس الوقائع شهابٌ ساطع، وإلى ممالك المعالي صراطٌ واسع، وعلى مسائل العزائم بيانٌ قاطع، وإن كان في أواسط الناس بالتقليد مشهوراً، فأردت أن أرصّعه بجواهر التّوصيف، وأحليه بعلائق التّغريف. ومنها:

يعرف ضرورياً من فنون الحرب، وهو مُجدّد في كلِّ كَرٍّ وكَرْب.

إذا شهِر يُشرق النورُ من غزبه فهو المشهور بالشرق والغرب.

ذو علائق لكن إذا جُرّد يكون من أصحاب اليمين، وقد يعتكف في خلوة القربا فيكون من المقرّبين.

جدولٌ ربما يشقُّ من الدروع بحراً مَواجاً، يفتح باب النصر فترى الناس يدخلون في دين الله أفواجاً.

ذو وجهين له طبعٌ حديد، وبأسٌ شديد.

جدولٌ ما هبّ عليه نسيمُ النصر، شعله نارٍ ترمي بشرير كالفضر.

نارٌ يُوجّحه ضاربه، ماء يغصُّ به شاربه.

نهر مَلآن، تُسقى به جمى الأبدان.

فيجعلها حدائق، ذات وزد وشقائق.

عالم لا ينظر إلى مَثَنٍ إلا ويشرّحه، حاكمٌ لا يحضره شاهد إلا ويُجرّحه.

شارح له مَثَنٌ متين، يُملي في صحائفه سورة الفتح المُبين.

حده ذاتي وقوله قول شارح، يُبين بدقائق فزقه وجلّي شرحه مشكلات المضارح.

عالم في الضرب والتفريق، ماهر في العلوم القطعية على التحقيق. إذا طلب منه

شرح الخفايا ينشرح لها ويهتّز، طالما طبق المفصل في الإبانة وأصاب المحرّ.

مرآة ينطبع عليها صورة الحثف.

ومنها: شروق غزبه يُسفر عن فجر يوم الحرب. كأنه جدول ماء جرى في ساحة

روض فظهر منه رؤوس نباته، أو لمعة ضياء دخلت من كوة بيت فبدت على صورة

ذاته. النبل له كالخدم، والرمح يقوم في خدمته على القدم. بل الرمح من حبه ذابل،

فهو كالميك الجليل والرمح له عامل. إذا رآه القوس يقول ما لي من جنس بسائك

سهم، وإذا لاقاه الدُّرْعُ يُدْخِلُ حَلْقَهُ بَعْضَهَا فِي بَعْضٍ مِنَ الْوَهْمِ. نَهْرٌ مِنْ بَحْرِ الْحَرْبِ تُسْقَى بِهِ قِصَبَاتُ الرَّمَاكِ، لَمْ تَبْدُ عَلَى غَدِيرِ الدُّرْعِ أَمْوَاجُهُ حَتَّى هَبَّتْ مِنْ شَطْئِهِ لِلنَّصْرِ رِيَّاحٌ. ذَكَرَ لَهُ حَيْضَةُ طَائِرٍ يَقَعُ عَلَى الْبَيْضَةِ. أَغْرَقَ أَطْلَالَ وَجُودِ الْعِدَى بِسَيْلِ أَقْطَارِ السِّهَامِ وَأَنْهَارِ الصَّفْحِ، وَنَزَحَ حَمَاءَهُ أَرْوَاجِهِمْ بِدِلَاءِ الْمَغَاغِرِ وَأَرْشَاءِ الرَّمَاكِ. يُجْرِي بِحَاراً مِنَ الْعَسَاكِ، فِيهَا أَمْوَاجُ الدَّرُوعِ وَفَوَاقِعُ الْمَغَاغِرِ. وَمِنْهَا: لَا زَالَتِ أَلْفُ سَهْمِهِ مَعَ نُونِ قَوْسِهِ الْمَشْدَدَةِ، لَجْمَلَةٍ خَبِرَ بِسَالَتِهِ وَإِيَالَتِهِ مُؤَكَّدَةٌ.

وَلَا بَرِحَ شَكْلُ دُبُوسِهِ هَمْزَةً لِقَطْعِ الْأَجَالِ، وَسِينُ سَيْفِهِ مُقَرَّبَةٌ عُمَرَ الْعَدُوِّ مِنَ الْإِسْتِقْبَالِ إِلَى الْحَالِ. وَمِنْهَا: هَذِهِ جَوَاهِرُ مَدْحٍ تُرْصَعُ بِهَا هَذِهِ السِّيفِيَّةُ، وَحَمَائِلُ تُشَدُّ فِي جِيدِ الْحَمِيَّةِ الْأَدْبِيَّةِ.

وَمِمَّا يَحْسُنُ هُنَا إِيرَادُهُ «الرِّسَالَةَ السُّكْنِيَّةَ»، وَهِيَ لِابْنِ حِجَّةٍ: يُقْبَلُ الْأَرْضُ الَّتِي قَامَتْ حُدُودُ مَكَارِمِهَا، وَقَطَعَتْ عَنَا مَكْرُوهَ الْفَقْرِ بِمَسْنُونِ عَزَائِمِهَا.

وَيُنْتَهَى وَصُولُ السُّكْنِيِّ الَّتِي قَطَعَ الْمَمْلُوكُ بِهَا أَوْصَالَ الْجَفَا، وَأَضَافَهَا إِلَى الْأَدْوِيَةِ فَحَصَلَ بِهَا الْبُرْءُ وَالشِّفَا. زَرْقَاءُ كَمْ شَاهَدَتْ الْبَيْضُ مِنْهَا أَلْوَانَ، خَرَسَاءُ وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّهَا لِسَانٌ لِكُلِّ عِنْوَانٍ.

مَا شَاهَدَهَا مُوسَى إِلَّا سَجْدَ فِي مِخْرَابِ النَّصَابِ، وَذَلَّ بَعْدَ مَا خَضَعَتْ لَهُ الرَّؤُوسُ وَالرَّقَابُ.

كَمْ أَيْقَظَتْ طَرْفَ الْقَلَمِ بَعْدَ مَا خَطَّ، وَعَلَى الْحَقِيقَةِ مَا رُئِيَ مِثْلَهَا قَطُّ. كَمْ وَجَدَ بِهَا الصَّاحِبُ فِي الْمَضَائِقِ نَفْعاً، وَحَكَمَ بِحُسْنِ صُخْبَتِهَا قَطْعاً. مَاضِيَةُ الْعَزْمِ قَاطِعَةُ السِّنِّ فِيهَا حِدَّةُ الشَّبَابِ مِنْ وَجْهَيْنِ، لِأَنَّهَا بِالنَّابِ وَالنَّصَابِ مُعَلِّمَةُ الطَّرْفَيْنِ.

أَنْمَلَةٌ صُبْحُ تَقَنَّعَتْ بِسَوَادِ الدَّجِيِّ، فَعَوَّذَتْهَا بِالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَا. وَلِسَانٌ بَرَزَ أَمْتَدَّ فِي لَهَوَاتِ اللَّيْلِ، فَتَنَكَّرَتْ أَشِعَّةُ الْأَنْجُمِ حَتَّى مَا عَرِفَ مِنْهَا سُهَيْلٌ.

هَذَا وَتَقَطِيعُهَا مَوْزُونٌ إِذَا لَمْ يَتَجَاوَزْ فِي عَرُوضِ ضَرْبِهَا الْحَدَّ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ السِّيفَ وَالرَّمْحَ لَمْ يَعْرِفَا غَيْرَ الْجُزْرِ وَالْمَدِّ. [الرَّجْزُ] مِنْ أَجْلِنَا تَدْخُلُ فِي مَضَائِقِ لَيْسَ لِسَيْفٍ قَطُّ فِيهَا مَدْخَلٌ وَكُلُّ مَا تَفْعَلُهُ تَوْجِيزُهُ وَالرَّمْحُ فِي تَعْقِيدِهِ يُطَوَّلُ

القسم الرابع/ علي بن الحنائي بن أمر الله الحميدي ١٢٣

إن هجعت بجفنها كانت أمضى من الطيف، وكم لها من خاصّة جازت بها الحدّ على السيف.

تُسي حلاوة العسال فلا يظهر لطوله طائل، وتُغني عن آلة الحرب بإيقاع ضربها الدّاخل.

إن مرّت بشكلها المَحَلّي تركت المعادن عاطلة، ولم يُسمع للحديد في هذه الواقعة مُجادلة.

شهد الرمح بعدالته أنها أقرب منه إلى الصواب، وحكم بصحّة ذلك قبل أن يتكمل لها النّصاب.

ما طال في رأس القلم شعرة إلا سرّحتها بإحسان، ولا طالعت كتاباً إلا أزال غلظه بالكشط من رأس اللسان.

تُعقد عليها الخناصرُ لأنها عدةٌ وعُدّة، وتالله ما وقعت في قبضة إلا أطالت لسانها وكلمت بحده.

إن دخلت إلى القراب كانت قد سُبكت على الدّخول، أو أُبرزت من عثمة كان على طلعتها الهلالية قبول.

تطرف بأشعتها الباهرة عين الشمس، وبإقامتها الحدّ حافظت الأقلام على الخمس.

وكم لها من عجائب تركت جذول السيف في بحر الغمد وهو غريق، ولو سمع بها من قبل ضربه ما حُمّل التطريق.

فلو عاصرها الكمال لعرك من قوسه الأذنين، وقال له جحدت رسالتك يا ذا القرنين.

فإن جذبت إلى مقاومتها وكان لك يدٌ تمتد، وصلت السكين إلى العظم وصار عليك قطع وانتهى أمرك إلى هذا الحدّ.

وهل تُعاند السكين صورةً ليس لها من تركيب النّظم، إلا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم.

ولو لمحها الفاضل لحقق قوله أن خاطر سكينه كل، أو أدركها ابن نباتة لما أقرّ برسالة السيف وفلّ.

وقال لقلم رسالته: أطلق لسانك بشكر مواليك، وأخلص الطاعة لباريك. ولم يقصد المملوك الإيجاز في رسالة السكين ونظّمها، إلا لتكون مختصرة كحجمها.

لا زالت صدقاتٌ مُهدّية تُتجف بما يذبح نحر فقري، وتأتي في كل حين بما يشفي داء الفقر ويبري، بمنه وكرمه.

تتمة

قوله: «بنان الأفهام» استعارة ركيكة، فيها لُكْنَة روميّة، والطبع نزاع.

ولما قال الشاعر: [الطويل]

نوائبُ غالثني فأبدت فضائلي فكانت وكنت النار والعنبر الوردًا
فلولا علاه عشتُ دهرِي كلّه وكيسُ كلامي لا أحلُّ له عقداً

قال ابن بسّام: كيسُ الكلام يُضحك من بزده ماء الملام.

وقد قال الصاحب: كنا نعجب من ماء الملام في بيت أبي تمام، حتى عذب

عندنا بحلواء البنين في قول المُتنبّي: [الطويل]

وقد ذقت حلواء البنين على الصبا فلا تحسبني قلتُ ما قلتُ عن جهل

فكيف لو سمع استعارات هذا العصر، كقوله: [البيسط]

بُقراطُ حسنك لا يزنو إلى عليّ

وقول المصيصيّ: [الوافر]

إذا كانت جفانك من لجين فلا شك الغنى فيها تُريدُ

وقول ابن بُرد: [مخلع البسيط]

يا شاعرَ الحُسنِ بي ترفق لا عقثُ لئي كذا بديها

وابن عمّار، وإن تبعه فقد ضعّفه في قوله: [الكامل]

رؤى ليضرب وابتدّهت بضربة إن الطعانُ بدايةُ الفُرسان

انتهى.

وقوله: «حتى يتوارى بعضها في بعض» هو كقول الآخر في كُرسِي المصحف:

[الطويل]

حملتُ على ضغفي الذي كلماته لهيبتها يتصدّعُ الجبل الراسي

تداخل مني البعض في البعض هنيّةً لأن كتاب الله أضحى على راسي

ولظافر الحدّاد: [الكامل]

انظر بعينك في بديع صنائعي وعجيب تركيب وِحْمةِ صانعي

فكأنما كفاً مُجِبُّ شَبْكث يومَ الفراق أصابعاً بأصابع

ونحوه قول ابن رَشِيْق في الدُّرْع: [الرمل]

كلّما دارت بها أبصارنا صوّرت فيها مثالَ الحدقِ

أوجست في الحرب من وخز القنا فتوارت حلّقاً في خلقِ

وعكسه قوله في سُبْحَة: [المتقارب]

ومنظومة الشَّمْل يخلُو بها الد
إذا ذَكَرَ اللّٰهَ جَلَّ أَسْمَهُ
ولا بن عبد الظاهر فيها: [م.الرجز]
وَسُبْحَةَ أَنَامِلِي
مثل مناقير غدت
بَيْبٌ فَيَجْمَعُ مِنْ هِمَّتِهِ
عليها تفرَّق من هَيْبَتِهِ
قد شَغِفْتُ بِحُبِّهَا
مُلْتَقِطَاتِ حُبِّهَا
وأما ذكره الحيض مع الذكورة فمعنى مشهور قديم، كقوله: [الكامل]
ومن العجائب أن بيضُ سُيوفهم
وممن تشرَّفْتُ به مُتَنَبِّيَ ذلك اللسان.

١٥٣ - عبد الباقي

ربيع مجدٍ هطلت سحائب فضله، وبحر شِعْرٍ استخرَجَ جواهره غواصُ ذكائه
ونُبِّله.

مشحودٌ أسل العزمات، مصقولٌ حدُّ هَمَّةٍ تِكَلُّ عندها ألسنة المُرَهَفَاتِ.
تضييق عن جيد معاليه عقود التَّفَاصِيلِ والجُمَلِ، ويلقى ظامئُ المسامع منه وزداً
عذبا لا يسأله العَلَلُ والنَّهْلُ.

وهو معجزةٌ تحدى بها آل يافث، وساحرٌ ألقى العصا لكل من كان في عقد البيان
نافث.

أخلاقه تفضح نسيم الصُّبَا في الصباح، وتُسكِرُ بنشأة شمولها أزواج الأقداح،
فيضحك حبابها على ثغور الكؤوس المملوءة برُضاب الرِّاحِ.
وهمته لم تغمد صوارمها إلا في أجياد المطالب، ولم تطأ أقدامه وعزائمه
إلا على هامات المناصب. [الخفيف]

قد حكى الصارم المحلي سوى أن حُلاه جواهرُ الآداب
وكان في عُنفوان عمره يحسن صناعة السروج وهو رخي اللَّبِيبِ، طنق العنان لا
يمسه في مضمارها لَغَبِ.

١٥٣ - عبد الباقي شاعر الروم وحسانها، الأديب الشاعر الفائق، الشهير بابي. كان أواخر أيامه في عصره
في الفضل والأدب، وله الشهرة الطنانة في الشعر البليغ، وأهل الروم يطلقون عليه سلطان
الشعراء فيما بينهم. وذكر مبدئه أنه كان يتعاني حرقة السروج ثم تركها وتشبث بأديال العنوم،
واشتغل على كثير من علماء وقته، ووصل أخيراً إلى شيخ الإسلام أبي السعود العمادي فوافقت
على درسه وفاز منه بالملازمة العرفية، وما زال صيته يسمو بحسن الشعر حتى وصل إلى
مسامع السلطان سليمان فالتفت إليه وصيره مدرسا، ولم يزل يترقى في المدارس إلى أن وصل
إلى إحدى المدارس السلمانية، ثم بعد مدة ولي المدرسة السليمانية بدار السلطنة، وولي منها
قضاء مكة المشرفة، ثم نقل إلى قضاء المدينة المنورة، ثم استقصى بدار السلطنة وقال بعد
ذلك قضاء العسكريين مرة بعد مرة.

وكانت وفاته في سنة ثمان بعد الألف. خلاصة الأثر (٢/٢٨٧).

حتى رَمَقَهُ ناظِرُ السعد، وابتسَمَت له مباسمُ المعالي والمجد.
فتشرفَ بخدمة خاتمة المفسرين أبي السعد، فرنا إليه الدهر بعين الرضى وعيون
الخطب رُقود.

فانتبه طَرْفُ سعده من نومة الخمول وتيقظ، وقال الدهرُ انظر إلى البخت
والحظ.

في قصة شرحها مطول، وعلى الجَدُّ بعد معونة الله المعول، فأظهرت ضمائرُ
الأيام ما كانت تنويه، وصرفت له الجدودُ العائرة كل رفعة وتنويه.

حتى تولى قضاء العساكر، وراقت له من مشاربِ آماله الموارد والمصادر.

ولله في تصريف الدهر ما يجعل الآمال أموالاً، ويقليب الأمورَ حالاً وحالاً.

وكنتُ لَمَّا أَلْقَيْتُ بسُدَّةِ الملك عصا التسيار، ونفضت عن وجه الهمة قَتِيرَ

الأسفار.

رأيتُه وقد أحالت الليالي بنفسجه ياسميناً، وبدلت سَبَجَ شعره المسودَّ لَجِيناً.

[الرمل]

صِبْغَةُ اللّهِ الَّذِي جَلَّ وَمَنْ يَضْبُغُ الْمَسْوَدَّ مَبِيضًا سِوَاهُ

وَأَنَا بِالرُّومِ أُسِيرُ، وَفِي قِيُودِ الْغُرْبَةِ أَمْرِحُ وَأُسِيرُ. [الوافر]

مَلَاعِبُ جِنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا سَطِيمَانٌ لَسَارَ بِتَرْجُمَانٍ

وَبِهَا مِنَ الشُّعْرَاءِ كُلِّ مَضْقُولِ أَطْرَافِ الْحَدِيثِ مَشْحُودِ شَبَا اللِّسَانِ، إِذَا تَلَيْتَ

لَطَائِفَهُ سَجَدَ لَهَا التِّرَاعُ وَرَكَعَ الْبَنَانُ.

مما هو أشهرُ من الأمثال السائرة، وأزهى من عيون أنوارِ الرياض الساهرة، عيونُ

ناضرة إلى ربها ناظرة.

ممن لبستُ بمسامرته حلالَ المسرة، وأخرجتُ مُفَاكِهِةَ العشرة من العسرة.

ثم انقشعت تلك الغمامة وانجلت، وتلا لسانُ الدهر: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾

[البقرة: ١٣٤]. [م. الكامل]

إِن الْكِرَامَ قَصِيرَةً أَعْمَارُهُمْ مِثْلَ الشُّبَابِ

وَأَرَى اللَّئِمَّ تَجَاوَزَتْ أَعْمَارُهُمْ حَدَّ الْحَسَابِ

يَا لَيْتَهُمْ إِذْ يَمْرَضُوا شَمْعٌ تَجَسَّدَ فِي الْتِهَابِ

فَإِذَا عَرَّتْهُمْ مَرَضَةٌ فَشَفَاؤُهَا ضَرْبُ الرِّقَابِ

والديارُ مملوءةٌ بالفضلاء والأشراف، معمورة الأقطار بالأعيان والأطراف.

ومن أجلهم أستاذي زُبْدَةُ المحققين، ونتيجة مقدمات البراهين:

١٥٤ - فخر الزمان سعد الدين بن حسن جان

كانت أيامه ربيع الأفاضل، وسُدَّتْهُ محطَّ رحالِ الآمالِ وسابِلةِ المسائلِ .
 تُلقَى عنده عصا التَّسيارِ، وتنزل بحرمِ سعادته قوافلُ الأسفارِ والأسفارِ .
 فهي قرارةٌ ماءٍ سالت به الأباطِيحُ، وميعادُ تلاقي كلِّ سانِحٍ وبارِحِ .
 وقد جُمِعَ فيه من الكمالِ ما ليس له مِثالُ، وإن ضُربت به الأمثالُ .
 أما خطُّه فابنُ مَقْلَةٍ بعينه، وأما فصاحتهُ لُغَاتِهِ فما لابنِ دُرَيْدٍ بـ «جَمْهَرِيَّتِهِ» والخليلِ
 بـ «عينه» .

فلو رآه قُسُ بن ساعِدة، والأسودُ رابضةٌ لديه ألقى له يدَ التسليمِ وساعِدهُ .
 أيامه تواريخُ النِّعمِ، ومواسمُ الفضلِ والكرمِ .
 فهو مجموعةٌ عَطاردِ، ونُسخةٌ محاسنِ التي قيَّدَ فيها غُررُ الأوابِدِ .
 جُمِعَ له من زهرةِ الدنيا من المالِ والبَنينِ ما ملأ المِلا ﴿وَالْبَقِيَّتُ الصَّلِحَتُ خَيْرُ
 عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرُ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦] .

فاجتمع فيه وفي نسله ما لم تكتحل بمثله العيون، حتى تلا ﴿الْم ﴿١﴾ عَلِيَّتِ الرُّومِ
 ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ١-٣] .
 فهم ختامُ مسكِ العلومِ والآدابِ . [الخفيف]

ربِّ خيرٍ يجيء في الخاتماتِ

ومُقَدِّماتِ هي نتائجُ العقولِ والألبابِ .

فهو مثل السلام في الصَّلواتِ

فتمَّ به وببنيه السعدُ حتى أصابتهم عينُ الكمالِ، ونزلت نجومُ سعدهم من سماءِ
 المعالي إلى حَضِيضِ الرُّوالِ .

ففاجأتهم أمُّ قَشَعَمِ بَغْتَةً بلا اعتدالِ .

فقلتُ في ذلك، وهو معنى لم أَسْبِقُ إليه: [الخفيف]

مات مَنْ كان يَسْتَحْيِ الدهرُ منه وله السعدُ خادِمٌ في المنازلِ

١٥٤ - محمد بن حسن جان، المدعو سعد الدين بن حسن جان التبريزي الأصل، القسطنطيني المولد والمنشأ والوفاء مفتي الدولة ومعلم السلطان مراد بن سليم. ولد بالروم، وقرأ ودأب ولزم درس المولى شيخ الإسلام أبي السعود العمادي، وأخذ عنه وانتفع به ولازم فيه، ثم ترقى في المدارس وطنت حصة فضله فنصبه السلطان مراد معلماً لنفسه، ولما توفي السلطان مراد تسلطن بعده ابنه السلطان محمد فأبقاه معلماً لنفسه أيضاً، ثم ولاه الإفتاء. وكانت وفاته وهو مفت فجأة في سنة ثمان بعد الألف، ودفن بالقرب من أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه. خلاصة الأثر (٤١٨/٣).

والمنايا تهابه فلهاذا جاءه الموت فجأة وهو غافل
وكان ممن أخذ عن المولى أبي السعود بن محمد بن مصطفى العمادي
الإسكيني.

ولد بقرية قرب القسطنطينية، سنة ثمان وتسعين. ودفن بجوار أبي أيوب
الأنصاري. وكان طويل القامة، خفيف العارضين.
وتربى في حجر والده يرضعه دُرَّ فضله، ويسقيه من منهل كماله حتى علا فرعه
على أصله.

حتى رقي لمرتبة الإفتاء بعد قضاء العسكرين فتزين الدهر برشحات أقلامه،
وأثمرت رياض الفضل بثمرات أرقامه.
وعيون سعيه ناظرة، ورياض مجده ناضرة.

إلا أنه أفرط في محبة المال والجاه، قائلاً في ظل الملك وبارد هواه.

يهز نخلات تساقطت عليه رطبا جنيًا، وتناثر نصير نضار مليًا.

وهو أول من جعل تقديم الأطفال سنة، فبقيت تلك السيرة كما سنه.

فصارت سبباً لانطفاء نبراس العلم ودروسه، وتعطيل أطلال رسومه ودروسه.

مع افتتانه بآثاره، وروائع كتبه وأشعاره: [الكامل]

والمرء يفتن بابنه وبشعره لكن ذلك فتنة العقلاء

على أنه لو قيل: إنه أشعر أهل جلدته، فالرائد لا يكذب أهله فإنه أدري بشعاب

جلته.

فمن جزر مده، الذي رواه طالع سغده، قصيدته الميمية التي عارض بها

المعري: [الطويل]

وأين الثريا من يد المتناول

وهيئات هيئات العقيق من صم الجنادل. وأولها: [الطويل]

أبعد سليمى مطلب ومرام

وستأتي إن شاء الله تعالى بتمامها.

وممن صحبته بالروم إبان الشباب، فكان عوناً لي على الزمان:

١٥٥ - عبد الكريم بن سنان

فكنا نتراضع تدي الكؤوس، ونتجادب أهداب الأئس في الدروس.

وهو إذ ذاك ناشر أزدية الفضل والكرم، وعامر أبنية الآداب والحكم.

فكان كما قلت في خطابه، مثنياً على غرر آدابه: [الطويل]

وأنت الذي عرفتني طرق العلا وأنت الذي أهديتني كل مقصدي

وأنت الذي بلّغتنني كلّ رتبة مشيت إليها فوق أعناق حُسيدي
 وكان ينظم وينثر بالألسنة، ويكتب من الخطّ المنسوب أحسنه.
 وله رسائل مشهورة، وكلمات على لسان الدهر ماثورة.
 منها قوله في ذي بطنّة، أخدمت نارَ الفطنة:
 فلان ضاعت أوقاته، وغلبت على حسناته سيئاته.
 متمحصاً للفحص عن أحوال الناس وأخبارهم، متفرغاً لنُبش خبايا أسرارهم.
 يسأل كلّ داخل عن الحوادث، ويكثر من البحث عن الناس وفيه مباحث.
 فليته يعرف أن من غزبل الناس نخلوه، وأن من أظهر لهم الصعوبة دَلّوه.
 فلَهفي على إضاعة أوقاته في حديث غث، وكلام بارد رث.
 تمجّه نفس السامع، وتتلوّث به المسامع.
 ولو أكل لقمان عاد نجساً من الثّم، وألقاه إلى حيث ألقته رَحَلها أم قشعم.
 وله إخوان تخالهم كلاب، أو ذئاب عليها ثياب.
 وكان يتحرّش بي حين سخنت عينه، وحن حينه.
 وقد قيل: إذا جاء أجل البعير، حام حول البير: [الكامل]
 يا سالكاً بين الأسيئة والطّبا إني أشم عليك رائحة الدّم.
 وممن صحبته بالروم:

١٥٦ - السيد محمد بن برهان الحميدي

كان أخي شقيقي، وصنو روعي ورفيقي.
 فاضل جماه للمجد حرم، وكريم يجلّي بغرته صدأ الخطوب وتكشف الظلم.
 وكان يوماً بمنزلي مع الإخوان، فأرادوا الجزّي على العادة في الدخان، فأبى
 ذلك لأنه يراه من منكرات الزمان.
 فقلت له بديهاً: [الوافر]
 فديتُك جُد بإذن للندامى
 ليأتوا بالدخان بلا تواني

١٥٦ - السيد محمد بن محمد بن برهان الحسيني، الشهير بشيخي وبالعلامة، الحميدي الأصل، القسطنطيني المولد، نقيب الأشراف بممالك الروم المحروسة. كان عالماً بارعاً، سيها نبلاً، صاحب أخلاق حميدة ومكارم جزيلة ومعرفة تامة بلسان العرب. لازم من شيخ الإسلام يحيى ابن زكريا، ودرس ثم تنقل في المدارس إلى أن وصل إلى المدرسة السليمانية ثم ولي منها قضاء حلب ثم صار قاضياً بالقدس، ثم قضاء الفلطة، ثم صار نقيب الأشراف مكان ابن عمه السيد محمد بن برهان الشهير بشريف، ووجه إليه رتبة قضاء العسكر بأنطولي، ثم عزل عن النقابة وأعطى قضاء مكة المشرفة فسافر بحراً على طبق ما أمر به من السلطان، فلما وصل إلى نهر جدة أدركه بريد الحمام وذلك في سنة ثلاث وأربعين وألف. خلاصة الأثر (١٧٧/٤).

تُرِيدُ مُهْدَبًا لَا عَيْبَ فِيهِ وَهَلْ عُوْدٌ يَفْوَخُ بِلَا دُخَانٍ
فَقَالَ بِدِيهَا، وَأَجَاد: [الوافر]
إِذَا شَرِبَ الدُّخَانَ فَلَا تَلْمَنِي عَلَى لَوْمِي لِأَبْنَاءِ الزَّمَانِ
مِنَ الْإِخْوَانِ أَهْوَى طَيِّبَ خُلُقٍ كَمَثَلِ الْمَسْكِ فَاحَ بِلَا دُخَانٍ

بيان أحوال الروم، وانقراض علمائها

ونشر الظلم والعدوان بين أمرائها

لَمَّا انهدم من الفضل بنيانه، وانقضت عمده وأركانه.

وقوّضت خيامه، واندرست رسومه وأعلامه.

وصار أمر الفتوى والقضاء والمناصب العلمية، بعد العلامة شيخ الإسلام أسعد

ملعبة وشعبذة وسخرية.

والمدارس مأوى الحمير، وقُلد القضاء من ليس في العير ولا في النفير.

ظهرت أشراط القيامة، ولبس لباس الجهل من النعل إلى العمامة.

ووليّ الإمارة الفجار الأشرار، فصاروا أقسى من الحجارة ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا

يَنْفَجِرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٧٤]، وقد قال أفلاطون: إذا تسامح في القضاة والأطباء

دولة فقد أدبرت وقرب انحلالها.

قلت: وكذا كثرة العزل والنصب، وقد قيل: آخر الدور سماعي.

فمما حدث بها لما سجد الزمان فارتفع كل أسفل، وأتبعنت نتيجة هذه الدولة

الأخس الأزدل.

أن فوّضت صدارة العلماء، ووُجّهت قيادة الفضلاء.

لشخص ملقب بأسود الخصى، يفنى دون عدد معائبه الرمل والحصي.

فجرت بيني وبينه مخاصمة، أدت إلى المكابرة والمحاكمة.

فقلت في وصفه مقامة، هذه صورتها:

اللهم إني أعوذ بك من الخُبث والخبائث، وألوذ بك يا نورَ النور إذا دجّت

ظلمات الحوادث.

يوم تبيضُ وجوهٌ وتسودُ وجوهٌ، ويبين كلُّ منقوص حتى يفرّ منه أبوه وأخوه.

فإنه مما صبّ من المصائب، أن حُمِلَ على كاهل الدهر غيبةُ المعائب.

نسخة القبائح، مسودة الفحش والفضائح.

جريدة العيوب، تمثال السيئات والذنوب.

إكسيير الفساد، وشماتة الأعداء والחסاد.

القسم الرابع/ بيان أحوال الروم وانقراض علمائها ونشر الظلم والعدوان بين أمرائها ١٣١

أُتموذج الهموم، أظلم من ليل المرض والغموم.
قَحَط الرجال، قائد جيش الدَّجَال.

قبيح الفعل والقول، إذا اعتذر عن إساءته غسل الغائط بالبول.
لثيمٌ غيرٌ مَلوم، أجورٌ من قاضي سدوم^(١) فصدارته هَجُو الزمان، وإظهارٌ لعداوة الأحرار والأعيان.

فلو لم يُخسَف بأهاليه، لما ارتفعت أسافله على أعاليه. [الكامل]
كالبحر ترسب في أسافله دُرٌّ وتعلو فوقه جيفه
جُعَل في بستان مُزبَل، إذا أثمرت البساتين حنظل.

إن لاح إنسانٌ جهلٍ فهو لعينه، أو إبليسٌ تلبسٍ فذاك أستاذه وقريته.

فلو عاين أحمد خداعه لحيّاه وأنشد: [المتقارب]

فلما نظرتُ إلى عقله رأيتُ الثهي كلّها في الخصى
ريقه الزقوم، وأنفاسه السموم.

فهو لعين الدهر قذّي، لا ينطق بغير فحش وأذى.

الجهل رداؤه، والجذام جليته وبهاؤه.

والجنون مِجَنة له من الأعداء، فذاته المكروهة عينُ السوداء.

ليس في خلقه من الحكم والأغراض، إلا أن تقف الأطباء على ما جهل من الأمراض.

وتتضح به دقائق التشريح، ويكثر رائيه من الاستعاذة والتسبيح.

تخرق منه الجسد، فكله عيونٌ تنظر من الحسد.

عرضه دَنَسٌ مُشَقَّق، ووجهه كقِرطاس الرُّماة مُخرق.

أقبح من عُسر بعد يُسر، لا يُعرف أنه إنسان إلا أنه في خسر.

كله مُتِنٌ إلا فاه فاستثنه بخلا، وكله بلاءٌ لو سئل عنه إبليس لقال بلى.

يغلب بسلاح الوقاحة في المبارزة، ويظن أن الرشوة مباحة لأنها تُسمى جائزة.

ويزعم لنفوذ أمره في الأنام، أن القول ما قالت جذام لا ما قالت خدام.

أشام من طويس، وأثقل في السمع من ليس، ومعنى يحمل لخية الثيس.

يا عين الشوم، وحليقة البوم.

وسلحة الزمان، ونجاسة الديوان.

ألم يذر من صدرك، ولم يخش عُجرك وبُجرك.

أن زوال الدول، باضطناع السفل. [الوافر]

ومن يكن الغراب له دليلاً يمرُّ به على جيف الكلاب

(١) السدوم: قرية من قرى قوم لوط. القاموس المحيط، مادة /سدم/.

يا خيبة الأمل، ومجمع السفل.

ونتيجة السقم، وضمنء اليثم والعقم.

وعدو الأدب، وأسود اللقب.

أما استحي زمان حل في صدره الخصى، وأصبح لقدر العلم والمعالي مَرخصاً.

ما دِرْ لديه حاتم، والحججاجُ أعدل حاكم. [السريع]

لو كان يدري جدُّه أنه يخرج من إخليله لاختصى

قُزبه أقبح من الحرمان، وبعده ألدُّ من وصلِ الحُورِ الحسان. قد نجس الأرض

نجاسة لا يطهرها الطوفان، قرّة عين أبي جهل فهو ينشد له بكل لسان: [المجتث]

نغلاي أطهرُ منه والكلبُ أطهرُ مني

لا يهتدي إلى صواب، حتى يشيب الغراب، أو يستضيئ شيطاناً بشهاب.

سفيه الدّمِ جليّة فيه، وكل إناء يرشح بما فيه.

أسجد من هُذُود في خلوته، خبيرٌ بأن يجني العصا لسائر خدمته.

نحويّ كم نصب وجرّ، وداوم على مذاكرة مشتقة من الذكر.

رئيس ليس له صيت وسُمعة، لم يبت إلا وفي دهليزه شمعة.

أنف بالعُجب في السماء، واشت من الأُبنة في الماء. [الكامل]

كانه فرعونُ إلا أنه من جانب الوجعاء ذو الأوتاد

كذاب فانظر وجهه وسواده، كأنما ألبس الدين به حداده.

عارٌ على السلف والخلف، أكذب ما يكون إذا حلف.

حرّاقة فساد، قدح شررٍ شره فساد، فإن كان أصله النار فهذا الخلف رَماد.

مفلس من دينه وعقله، يقول إبليس: إنما تركت السجود لآدم؛ لأنه من نسله.

أقبح من النقم، وأسوأ من زوال النعم.

أزنى من ظلمة^(١) وأمرٌ من غمة على غمة.

لم يزل يُبدي بانتقاصه الأفاضلَ غرضاً، لأنه من قوم ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ

اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠].

لا خير فيه إلا أنه لا يَأثم له مُغتاب، بل يُحمد ويجازى بجزيل الثواب.

لم يثلب وهو بهجر القول مُغرم صَب، ومن ذا يعضُّ الكلب إذا عضه الكلب.

[البسيط]

إن تهجّه تهجُّ من في الأرض قاطبةً لأنه من مياه الخلق قد جُمعاً

فإن كان ذمُّ الناس جُلُّ مناه، فما الناس إلا هو لا سواه.

(١) ظلمة: فاجرة هذلية، أسئت وفينيت، فاشترت تيساً، وكانت تقول: «ارتاح لنيبه»، فقيل: أقود

من ظلمة. القاموس المحيط، مادة /ظلم/.

القسم الرابع/ بيان أحوال الروم وانقراض علمائها ونشر الظلم والعدوان بين أمرائها ١٣٣

لم تُبْقِه لصحة مزاجه السُّنون، وإنما ذلك لأنه عاقته المنون.
وقد رُفِعَ عن هذه الأمة المسخُ فما باله عاد ممسوخاً، وتناهى النسخُ للشرع فما
بale عاد بصدارته مسوخاً.

قاضي لم يذر حجةً فما أحوجه إلى الصِّك، وُجوده غلَطَ في صُحف الدهر مفتقر
إلى المنحو والحك.

نور به المانويّة الكلام، على أن مُوجد الشر هو الظلام.
والتناسخيّ البيان على أن روح الحيوان تحلّ في الإنسان.
فلو لم ينقرض نسل آدم، لما حُكِمَ هذا القرْدُ في العالم. [الطويل]
فإن لُقّبوه بالرئيس سفاهةً فإن الخصى تدعى رئيساً من الأعضا
وإذا كان من الدين، إعلان النصيحة لعامة المسلمين.
فعليك بالرأي الأسد: فرّ من المجدوم فرارك من الأسد.
لأنه محرومٌ مَجْدوم، ليس فيه من صفات العلماء إلا أن لحمه مسموم.
حمى الله مزاج العصر من ساري مرضه، وصان جوهراً هذا الدهر عن عرضه.
وأنا بالزوال كسوفه، وصرف بيد نقاد المنيّة زيوفه. والسلام.

فصل

وقد أدى تصدُّر هذا وأمثاله إلى اختلالٍ في المُلك وفتن، وكان ما كان حتى
تضعف الزمان ووهن.

وآل ذلك إلى حصاد العلم والدين، وإن ورد في الحديث: «لا تكْرهُوا الفتن فإن
فيها حصادُ المُنافقين».

فظهرت أشراط الساعة، وصارت كلمة الفحش والشخ مطاوعة.
وفشا العُجب والغرور، وتقدّمت أطفال صدرتهم أعجازهم في الضدور.
واختلطت الأحساب والأنساب، وعمّر ربوع المعالي ذوو العقول الخراب.
وؤسدت تكريمه الشرع للأطباء وأهل النجوم، وصاد الصقور الضارية الغرب
والبوم.

وصار شيخ السلوك طبيباً يخقن من أتاه، والطبيب شيخاً يقرب من أتاه إلى الله.
وعلت الجندُ المنابر والكراسي، وقال العبد للخمر: رأسك كراسي.
وولدت الأمة ربّتها، وحاضت الدولة بعد اليأس فقضت عدتها.
وصار من فدى دينه، يعبد العجل الذي حرث فدادينه.
واستترت الأقطاب والأبدال والثجبا، واغترب أرباب العلياء واتخذوا سبيلهم في
البحر عجباً.

واعتمد بقية منهم إلى ركن شديد إليه آوى، وزكّت القروذُ الشهودَ لما تولّى القضاء ابنُ آوى. [البسيط]

إذا ابتليتَ بسُلطانٍ يرى حسناً عبادة العجلِ قدّم نحوه العلفاً .

عجبية

لما نام الرأي والهوى يقظان، ووُسّد الأمر لغير أهله تصدّر امرؤ رطب العجان.

[الكامل]

كالأفحوان غداة غبّ سمائه جفّت أعاليه وأسفله ندي
فولّى ابنه قضاء التّخت وإذا انفتح الحانوت بان العطار من البيطار، وقال للملك
إذا سأله عنه: نعم القاضي قاضي جبّول فإنه من السادة الأخيار.
وقد كانوا يشددون على القضاة في إثبات غرة رمضان، ولا يُيالون في غيره بزيادة
ولا نقصان.

فلما هلّ شغبان وانقضى رجب، خالف المثل وقال: في شعبان ترى العجب.
فأمر الناس بالإمساك والصيام، وقدّم الغرة على المستهلّ بأيام.
ولم يكتف بذلك حتى أثبت غرة رمضان، بشهود زور وبهتان.
فحار الناس في أمره، وسكتوا لخوفهم من شرّ أبيه ومكره.
فكتبت في ذلك قصة رُفعت للملك في قصره، وهي على لسان شهر شوال:

[الخفيف]

قصتي قد أتت إماماً هماماً
رقعة في يد الهلال طواها
أنا شوال الفقير الذي قد
بعد شهر الصيام قد زرت قوماً
ولي العيد حلة وهلال
رمضان اغتدى عليّ وأمسي
أتقاضى ما كان شعبان منه
أختشي ذبحه بنصل هلال
إن دُعوا الطول قيل ذا بركات
غرّقوا زورق الهلال بشهري
لا تُضيق حقي بشاهد زور
جبهة الشاهد اكوها فهو وشم
إن كيّ الخسوف للشمس ظلم

تشتكي الظلم حين صرت مضاماً
ليراها المليك في العزّ داماً
خصّ بالعيد والصلاة مداماً
جائعاً أبتغي لهم إكراماً
لي طوق من فوق جيدي تسامى
سارقاً ذاك لا يخاف ملاماً
سارقاً فاغتدى عليّ انتقاماً
ثم سلخاً له وتركى المقاماً
أنا شهر مبارك صرت عاماً
وببحر الدجا لقد كان عاماً
هو أغمى بصيرة أو تعامى
لكذوب عن زوره ما تحامى
وكذا الدهر لم يزل ظلاماً

دُمْتَ فِي مَطْلَعِ السَّعَادَةِ بَدْرًا يَمْحَقُ الظُّلْمَ نَوْرُهُ وَالظُّلَامَا
وَكُتِبَتْ بَعْدَ هَذَا: [م. الكامل]
يَا سَيِّدًا أَضْحَى الزُّمَّا نِ بَأَنْسِيهِ مِنْهُ رِبِيْعَا
أَيَّامُ دَهْرِكَ لَمْ تَنْزَلْ لِلنَّاسِ أَعْيَادًا جَمِيْعَا
حَتَّى لِأَوْشَكَ بَعْدَهَا عِيْدُ الْحَقِيْقَةِ أَنْ يَضِيْعَا
أَسْبَغَ اللَّهُ ظِلَّ الْخِلَافَةِ حَتَّى يَأْوِيَ إِلَيْهَا كُلُّ مَظْلُومٍ، وَيَنْتَصِفُ هَلَالُ شَوَّالٍ مِنْ
رَمَضَانَ فَيُعْطِيهِ حَقَّهُ وَيَنْقُدُ لَهُ دَنَائِرَ النُّجُومِ.

فإن ما جرى عليه في هذا العام، ما سمعت بمثله الليالي والأيام.
ولكنه ما جار واعتدى، وإنما القاضي المنقوص أتى ببدل غلط ظنه بدل بدا.
وقد أساء عليه كما أساء ابن الرومي في قوله لما ضل وما اهتدى: [البيسط]
شهرُ الصيام وإن عظمت حُزْمَتُهُ شَهْرٌ طَوِيْلٌ ثَقِيْلُ الظِّلِّ وَالْحَرَكَةِ
يَمْشِي الْهُوَيْنَا فَمَا حِينَ يَطْلُبُنَا فَلَا السُّلَيْكُ يُدَانِيهِ وَلَا السُّلْكَةَ
كَأَنَّهُ طَالِبٌ ثَارًا عَلَى فَرَسٍ أَجَدَّ فِي إِثْرِ مَطْلُوبٍ عَلَى رَمَكِهِ
أَذْمُهُ غَيْرَ وَقْتٍ فِيهِ أَحْمَدُهُ مِنْ الْعِشَاءِ إِلَى أَنْ تَصْدَحَ الدِّيْكَةُ
يَا صِدْقَ مَنْ قَالَ أَيَّامٌ مُبَارَكَةٌ إِنْ كَانَ يُكْنَى عَنْ اسْمِ الطَّوْلِ بِالْبَرَكَةِ
لَوْ كَانَ مَوْلَى وَكُنَّا كَالْعَبِيدِ لَهُ لَكَانَ مَوْلَى بِخِيْلًا سَيِّئِ الْمَلِكَةِ
ولبعض الظرفاء: [م. الرمل]

أترى القضاة أعمى أم تراه يتعامى
سرق العبيد كأن الـ عيّد أموال البيتامى
وقلت: [الخفيف]
سرق النجم والهلال أناس أم تراه يتعامى
رب سلم شمس النهار فإن هم عيّد أموال البيتامى
وكانت هذه سبباً لهلاكه وهلاك أبيه، ووقع بعدها حريق اشتعل به الدهر وشابث
نواصيه.

وعم ذلك بيوت علمائها، فلم يشبهوا من نوم الغفلة في ظلمة بلانها.
وكم قرع لهم الدهر العصا، وأمطرت السماء عليهم حجارة البلا.
وصب عليهم ربهم سوط عذاب، فما رجع أحد منهم ولا تاب.
كما قلت: [الطويل]

لعمرك قد عم الحريق ببلدة بها علماء السوء والجهل أظلموا
ومن مالك وافى رسول حريقهم دعاهم إلى نار الجحيم جهنما

فقال أقفلوها واقبضوا أجره لها
فطالبهم خزائنها بوقودها
فقال لهم رأس الضلال ضمانه
ومن كثرة الدين المحيط بمالهم
فإن هدمت يبنى الذي قد تهدمًا
وما صرفوه في زمانٍ تقدّمًا
عليهم وأن العزم قد صار مغنمًا
أباح رشاً قد كان ربّي حرماً

فصل

من طرف الأخبار، وتحف هذه الديار، التي لم ير مثلها أبو العجب وهو الفلك الدوّار.

ما جرى على النسب العلوي من البليّة، وما عمّ من دخول أولاد النصارى في فروع هذه الشجرة العليّة.

من كل مكروه غير مكروه، أمه معرفة وأبوه نكره.

غرابٌ خرج من عشّ بلبل، علويّ صحّ نسبه عن الدلدل^(١).

على أنه وحزمة البيت لو صحّ هذا الشرف، لم يمت سرور قلبي على هذا النسب الطاهر من الأسف.

وكنت أتجاوز عن قولهم: مولى القوم منهم، فأقول: حمار القوم منهم.

ولله درّ بشار فما أبصره مع عماه، إذ قال في دعويّ نسب ادّعاء:

إن عمّسراً فاعرفوه
مظلم النسبة لا يغ
وله أيضاً: [البيسط]

أرفق بنسبة عمرو حين تنسبه
ما زال في كير حداد يردّده
وله أيضاً: [المنسرح]

هم قعدوا فانتقوا لهم حسباً
حتى إذا ما الصباح لاح لهم
والناس قد أصبحوا صيارفةً
وأغرب ما في هذا أن هذه الأنساب المجهولة، والدعاوى التي لا تقوم عليها أدلة

مقبولة.

كان منشؤها من القرى، وقد قيل لأهلها: أطرق كرا.

ووظفت عليهم الوظائف السلطانية، وقد عمّ هذا سائر الناس إلا العصابة العليّة العلوية.

(١) الدلدل: بغلة النبي ﷺ. القاموس المحيط، مادة /دلدل/.

القسم الرابع/ بيان أحوال الروم وانقراض علمائها ونشر الظلم والعدوان بين أمرائها ١٣٧

فللهرب من هذه الغرامة، تعصبوا بهذه العصابة والعلامة.
والعلامة شأن من لم يُشهر، ونور النبوة يُغني الشريف عن الطراز الأخضر.
وأكثر هؤلاء الأتراك لو طلب منهم الحسن والحسين درهماً ما أعطوه وتبرؤوا
من نسبه، وقطعوا سببهم من سببه: [الطويل]
وحق لمن قد صحَّ تمييزُ عقله إذا ما رأى الدينار أن يترك الفلّسا
وقد جعلوا خصرة العمامة، علامة للسيادة المستلزمة للتقدم والإمامة.
وربما جعلوا فيها شطفة، تدلّ على أن فيهم من النبوة والرسالة نُطفة.
وقد يفرقون بين أولاد البنين والبنات، ولم يفهموا مشاركة حطب الأغصان لهم
والنّبات.

ولم يذروا أنه حجة للتواصب، وعدة لمصائب الدهر والنوائب. [الوافر]
كأنّ الله لم يخلقه إلا لثنعطف القلوب على يزيد
وقد قال أصحاب التواريخ: إن أول حدوث هذه العلامة كان في سنة ثلاث
وسبعين وسبعمائة، لما أمر الملك الأشرف بمصر أن يميّز الأشراف عن الناس
بعضائب خضر في العمامة، فقال فيه أبو عبد الله بن جابر الأندلسي: [الكامل]
جعلوا لأبناء الرسول علامة
نور النبوة في كريم وجوههم
وقال شمس الدين بن المزيّن: [الكامل]
أطراف تيجان أتت من سندس
والأشرف السلطان خصهم بها
خضر بأعلام على الأشراف
شرفاً ليمتازوا من الأطراف

وفي «الطبقات الكبرى» للإمام الشبكي، أن من أئمة الشافعية أحمد بن عيسى
شارح «التنبيه» استنبط من قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ
يُدِينِك عَلَيْنَ مِنْ جَلِيْبِيَهِنَّ ذَلِكَ أَدْفَى أَنْ يُعْرَفَنَّ فَلَا يُؤْذِنَنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، أن ما ينعته
علماء هذا الزمان في ملابسهم من سعة الأكمام والعمّة، ولبس الطينلسا حسن، وإن
لم يفعله السلف؛ لأن فيه تمييزاً لهم، وبذلك يُعرفون، فيلتفت إلى فتاويهم
وأقوالهم. ١ هـ.

ومنه يعلم أن تمييز الأشراف بعلامة أمر مشروع أيضاً؛ لما سمعته انفاً.
أقول: فيه أمران:

الأول: أن قولهم إن أول ما جعل لباس الأخضر شعاراً للعلويين في زمن الملك
الأشرف يرد عليه ما نقله السخاوي، في كتابه «مناقب العباس» من أن علياً الرضوي بن
موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي

١٣٨ القسم الرابع/ بيان أحوال الروم وانقراض علمائها ونشر الظلم والعدوان بين أمرائها

ابن أبي طالب رضي الله عنه، عهد له الخليفة العباسي، وجعله ولي عهد بعدة، وبُويع فغير لباس العباسيين، وهو السواد بلبس الأخضر، فساء ذلك العباسيين، ولكنه عُوجل؛ فإنه مات سنة ثلاث ومائتين، في حياة المأمون، وعَدَّ ذلك من الألطاف؛ لما فيه من سدِّ باب الفتنة. انتهى

والثاني: ما نُقِلَ من أن زي العلماء والأشراف سُنَّة، رده ابن الحاج في «المدخل» بأنه مخالف لزيهم في زمن النبي ﷺ، وزمن الخلفاء الراشدين، ومن بعدهم من خير القرون.

فإن قيل: إنهم به يُعرفون.

قيل: إنهم لو بقوا على الزي الأول عُرفوا به أيضاً؛ لمخالفته لما عليه غيرهم الآن.

وأطال في إنكار ما قولوه.

وقد يجاب عنه، فتأمل فيه.

تنبيه

العلامة التي توضع في العمامة تسمى شُطْفَة، وهو لفظ محدث، لم يذكره أهل اللغة، وكأنه بمعنى خِرْقَة صغيرة، من قولهم في شطف من العيش، أي في قلة وضيق، فاعرفه فإني لم أر من تعرّض له.

فصل

في أمراء الدولة وحكامها، وما انتهى إليه حالها في عهد السلطان مراد. فاعلم أن قُسطنطينية بها حصون عالية البنيان، محفوفة بالبساتين الزاهية والجنان، والحب ذو العصف والريحان، والأوصاف التي تُمزق بُرود الإمكان.

وقصور عالية البناء، فيها أناس على مراتب الهَمِّ مُضْمَخَةٌ بعبير الشاء، يفيض منها مياه الكرم، وتجعل بشائر البشر للجود أتم سلم.

وحولها أنهارٌ جارية، ومعادن بأنواع الجواهر حالية.

ذات غور وأخاديد، وأرحام حاملة أطفال الفلزات والمواليد.

تُثبت اللجين والنضار، وتبعث خواتيم الله في أرضه لأخذ كل درهم ودينار.

إلا أن بها أسداً ضارياً غير مقلّم الأظفار، يمنع يد كل جان من قطف تلك

الأزهار، والتفكّه بما في جناها من لذيذ الثمار.

ويحمي من بتلك المساكن، من أن يحوم حول جواهر المعادن.

القسم الرابع/ بيان أحوال الروم وانقراض علمائها ونشر الظلم والعدوان بين أمرائها ١٣٩

إلا إذا عَنَّتْ فرصةٌ لبعضِ شُطَّارِها، على حين غفلةٍ من الأسد إذا ذهب لبعضِ أقطارِها، إذا رام اقتناصَ الصيدِ أو ورد نَمِيرَ أنهارِها.

فيختلس من تلك الجواهر، ويقتطف من أيادي الروضِ غَضَّ الثمرِ والأزاهر. فيبينما هم على تلك الحال، واقفين بين الآمال والأهوال.

رجفتِ الرَّاجِفةُ، وجاءت سحابةٌ تسوقها ريحٌ عاصفة.

فيها وعيدٌ ووُعود، غامرةٌ بالبُروقِ مناديةٌ بالرعود.

فمدت ستائرَ السحاب، وصبَّتْ على الأرضِ سَوَاطِ عذاب.

وظلَّتْ بالرعْدِ صاعقة، ورمَتْ ذلك الضَّيغمَ بأعظمِ صاعقة.

فأنشبتِ المنيةُ فيه أظفارَها، وأخذت الأيامُ منه ثارَها.

فلم يزل جاثماً بِفِنائِها، باركاً في حَوْمَةِ فَنائِها.

والناسُ تهابُهُ كلما عاينتُ جُثَّتَهُ، وتهرب منه وتخاف سَطْوَتَهُ.

فلما رأوه وقد طال جُثومُهُ وقعوده، طال انتظارُهُم لمُضِيِّه لصيده وما كان يَرُوده.

فدنوا منه قليلاً قليلاً، فلم يروا له حركةً تُنفِزُهُم فدنوا منه فرأوه قتيلاً.

فجاسوا خلالَ الديار، ووردوا الأنهار.

واقطفوا الزهورَ والثمار، وأخذوا نَفيسَ الجواهر والأحجار.

ومكث شُطَّارُهُم زمناً طويلاً يأخذون تلك المغانم، آمنين من بطشِ الأسود

الضراغم.

فلما علم ذلك مَنْ بالحصن من دَهْماء الأراذل؛ لكثرة تَرْدَادِهِم آمنين في هاتيك

المنازل.

خرجوا جميعاً لتلك الرياض، واستولوا على البساتين والمعادن والغياض.

فاقتطفوا جميعَ أزهارِها، وتجاوزوا عن اجْتِناء ثمارِها لقطع أشجارِها.

وكان ما كان، إن لم يدلَّ على الحوادثِ فيها النقصان.

ولله الأمرُ من قبلُ ومن بعد.

وإذا استولى النُحسُ على قُطرِ نَفِي السعد.

فما قام للدينِ عمود، ولا أخضرٌ للإيمانِ عُود.

فبَدت أهوالُ المَحْشَرِ، وقال قائلُهُم: إنما أَكَلْتُ يومَ أَكَلِ الثورِ الأحمرِ. [السريع]

مَنْ حُلِقَتْ لحيَةٌ جارٍ له فليسكبِ الماءَ على لحيته

ولما مرضَ البَختُ، وكان الطيبُ يهودياً واليومُ يومَ سبت. قلت: [المنسرح]

عَنكَ فؤادي وحقُّك ارتحلا وكان بالقصرِ قبلَ ذا نزلا

يا عادلاً عن رضاءِ خالِقِه صدقتُ إن قلتُ إنه عدلا

لستُ لعدُلٍ أصيخَ مرتقباً أن يسبقَ السيفُ عنده العدلا

فإنه قد أتى به مثلٌ ولستُ ممن يكذبُ المثلا

سُرِرْتُ مِنْ دَوْلَةٍ ظَفِرْتُ بِهَا
مَاتَ مُرَادُ الْوَرَى وَمَالِكُهُمْ
أَبْعَدَهُ زَهْرَةُ الْحَيَاةِ زَهَتْ
قَالُوا اللَّيَالِي حُبْلَى فَقُلْتُ لَهُمْ
مَا بَالُ مَوْلَايَ فِي وَزَارَتِهِ
يَأْذُنُ لِي حَاجِبٌ بِسُدَّتِهِ
وَلِي انْصِرَافٌ عَنْهُ بِلَا سَبَبٍ
مَوْدَةٌ تُشْتَهَى مُزَوَّرَةٌ
كَمْ جُنُبٍ كُنْتُ قَبْلُ تَخْدُمُهُ
إِنْ أَجْنَبَ الْمَلِكُ إِذْ دَعَاكَ إِلَى

وَمِنْ سُرُورِ النُّفُوسِ مَا قَتَلَا
تَبَّأَ لِدَهْرٍ بِمِثْلِهِ بِخِلَا
أَوْ أَثْمَرْتُ فِي رِيَاضِهَا أَمَلَا
قَدْ وَضَعْتُ بُومَةً بِبَيْتِ خِلَا
يَرْفَعُ فَوْقَ الْأَفَاضِلِ السَّفَلَا
وَهُوَ لِبَابِ الدِّخُولِ قَدْ قَفَلَا
فَمَا لَهُ قَدْ تَكَلَّفَ الْعِلَلَا
عَنْهَا احْتَمَى ذَا الْمَرِيضِ حِينَ قَلَى
عَادِيَّتَهُ الْيَوْمَ مَا الَّذِي فَعَلَا
خِدْمَتِهِ هَلْ أَرَاهُ مُغْتَسِلَا

ولما انتهت الرحلة، وساق الأمل إلى الوطن رَحَلَهُ .
غفرت ما جناه عليّ الزمان، وعلمت أن الدهر قد همّ بالإحسان .
وعملت بقول أبي العلاء المعرّي: أما فساد الزمان والناس فأحلف ما حلّم
الأديم^(١)، وإن ذلك لداة قديم .
والهرة بنت النمرة، والسّمرة أخت السّمرة .
وبقول البديع لما شكى له ابن فارس في رسالة له: الأستاذ يقول فسد الزمان .
أقول: متى كان صالحاً؟
في الدولة العباسية وقد رأينا آخرها، وسمعنا أولها! أم في الدولة المزوانية وفي
أخبارها: [السريع]

لَا تَكْسَعُ الشُّؤْلَ بِأَغْبَارِهَا
أَمْ فِي السُّنَيْنِ الْحَرِيَّةِ . [م. الكامل]
وَالسِّيفُ يُغْمَدُ فِي الطُّلَى وَالرَّمْحُ يُرَكِّزُ فِي الْكُلَى
وَالْحَرَّتَانِ وَكَرْبَلَا

أَمْ فِي الْهَاشِمِيَّةِ وَالْعَشْرَةَ بِرَاسٍ، مِنْ بَنِي فِرَاسٍ!
أَمْ الْأَيَّامُ الْأُمُويَّةُ، وَالْإِمَامُ وَالْبَعِيرُ فِي الْحِجَازِ، وَالْبَعُوثُ عَلَى الْأَعْجَازِ!
أَمْ فِي الْإِمَارَةِ الْعَدَوِيَّةِ، وَصَاحِبِهَا يَقُولُ: هَلْ بَعْدَ الرُّكُوبِ إِلَّا النُّزُولُ!
أَمْ فِي الْخِلَافَةِ التَّيْمِيَّةِ، وَهُوَ يَقُولُ: طُوبَى لِمَنْ بَاتَ فِي نَأْنَاءِ^(٢) الْإِسْلَامِ!

(١) حلم الأديم: أي وقع فيه الحلم، والأديم، دودة تقع في الجلد فتأكله. القاموس المحيط، مادة /حَلَمَ/ .

(٢) النأنة: الضعف والقصر والعجز، فأراد، أول الإسلام. القاموس المحيط، مادة /حَلَمَ/ .

أم على عهد الرّسالة، ويومَ الفتح قيل: اسْكُنِي يا فلانة، فقد ذهبَت الأمانة!
 أم في الجاهلية، وليد يقول: [الكامل]
 ذهب الذين يُعاش في أكنافهم وبقيتُ في خلفِ كجلد الأجرِبِ
 أم قبل ذلك، وأخو عاد يقول: [الطويل]
 بلادٌ بها كنا ونحن من أهلها إذ الناسُ ناسٌ والزمانُ زمانُ
 أم قبل ذلك وقد يُروى عن آدم: [الوافر]
 تغيّرتِ البلادُ ومن عليها فوجهُ الأرض مُغبرٌ قبيحُ
 أم قبل ذلك، وقد قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ﴾
 [البقرة: ٣٠]!
 ما فسد الناس، وإنما اطرد القياس.
 وما أظلمت الأيام، وإنما امتد الظلام.
 وهل يفسد الشيء إلا بعد الصلاح، ويمسي المرء إلا عند الإضباح.
 وهذا مأخوذ من قول عليّ كرم الله وجهه، في بعض خطبه: أيها الدائمُ للدينِ
 المغترُّ بغرورها تدمُّها وأنت المتجرّم عليها، أم هي المتجرّمة عليك.
 متى استهوتك، أم متى غرّتك.
 أبمصارع آبائك من البلى، أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى.
 كم عللت بكفئك، ومرضت بيديك.
 إن الدنيا دارٌ صدق لمن صدّقها ودارٌ عافية لمن فهم عنها، ودارٌ غنى لمن تزود
 منها، ودار موعظة لمن اتعظ بها.
 مسجدُ عبادِ الله، ومهبط ملائكة الله، ومثجر أولياء الله.
 اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا بها الجنة.
 فمن ذا يذمُّها وقد آذنت بينها، ونادت لفراقها، ونعت نفسها وأهلها.
 فمثلت لهم بيلانها البلى، وشوقتهم بسرورها إلى السرور.
 وهي خطبة طويلة.
 وقد حدّا هذا الحدو صاحبنا الفاضل الكامل، جامع شمل المضائل، القاضي
 أويس الرومي.
 فإنه لما ظهر الخوارج في زمن السلطان أحمد، سلاه وكتب له رؤيا واقعة باللغة
 التركية، ولكونها ليست على شرطنا تركناها.

تنبيه

قولي «مزورة» هي اسم طعام يطبخ من غير لحم، للمريض الذي يحتمى.

ولهذا تظرف كُشاجم في هَجْو من ادعى الشرف، فقال: [المنسرح]
 شيخ لنا من مشايخ الكوفة نَسِبْتُهُ للمريض موصوفة
 لو مسخ الله قَمَلَهُ غنماً لم يُغَطِّ منها لسائلِ صوفة
 فقوله: «نسبته» إلخ، كناية فيها نكايه.

سانحة

سميت هذه الرحلة ريحانة الندماء، وشمّامة الأدباء الظرفاء، وفاكهة الأعيان والفضلاء.

لأنني ذكرت فيها الأحباب ممّن هو موجود، فكأنني بذكره أستنشق بالأذان طيب عطره، وممن هو مفقود، فبالثناء عليه والدعاء كأني أهدي له ريحاناً، وأضع في القلوب من طيب أحواله طيباً.

لأن قلوب الأحرار، قبور الأسرار، بل قبور الأخيار، لأنهم سرّ من أسرار الله. وفي كلام بعض الكبار: إذا تحيرتُم في الأمور، فاستعينوا بأصحاب القبور. وليس بحديث كما زعمه ابن كمال باشا في «أربعينياته» وفيها موضوعات أخر، فلا تغفل عنه كجهلة الأزوام.

وقد قال لي بعض من رأيت من أرباب الأحوال: المراد بالقبور فيه القلوب؛ لما مرّ.

وإنما خصّضتها بالريحانة لأنها يُشبه بها المحبوب، وقد قال النبي في الحسن والحسين: «هُمَا رِيحَانَتَايَ».

وسأل أبو ريز بعض ندمائه عن روائح الرياحين، فقال:

رائحة التّرجس كرائحة الشباب، ورائحة الورد كرائحة الأخباب، ورائحة الرّيحان كرائحة الأولاد، ورائحة المثور كرائحة الأصدقاء.

وإنما خصّ هؤلاء بالريحان؛ لأن الله أنبت نباتاً حسناً، غضاً، طرياً سريع الزوال ولا يتمتع به كغيره، فإذن أقول: [الوافر]

أمن ريحانة الداعي السميع

أو أقول قول محمد بن المعدل: [الرجز]

مَنْ يُهْدِي ريحاناً فإني مُهْدِي ريحانة الحمد لأهل الحمد

أو كقوله: [الوافر]

وريحانُ النبات يعيش يوماً وليس يموثُ ریحانُ المقال

فلا تكِ موثراً ریحانَ شمِّ على ريحانِ أسمع الرجال

تمة

لم يزل الناس على وَضْع الریحان ونحوه من الخُضْر على القبور، وقد ورد هذا في الحديث، وفي الأشعار.

كقول العُتْبِي في مرثية ابن له:

كان رِيحاني فأمسى وَهُوَ رِيحانُ القَبورِ
غَرَسَتْهُ فـي بساتين البلى أيدي الدهورِ
وعليه عملُ الناسِ إلى الآن، حتى وقفوا لذلك أوقافاً.

وأنكره ابن الحاج في «المدخل» والخطابي، فقال: شق النبي ﷺ له وإلقاؤه على القبر، وقوله: «لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا ما لَمْ يَبْسُا» كما في البخاري وغيره، إنما هو بركة مسَّ يده له.

وجعل بقاء الرطوبة حدًا لما وقع به المسألة، من تخفيف العذاب؛ لأن في الجريد الرطب معنى ليس في اليابس.

والعامة يفرشون الخوص على القبور، فكانهم ذهبوا إلى هذا، وليس له وجه. انتهى.

وردَّ العلامة ابن حجر في «شرح البخاري»، فقال: إنه عليه الصلاة والسلام أخذ جريدة رطبة فشققها نصفين، فغرز في كل قبر واحدة، إلى آخره.

وأنكره الخطابي وغيره، وقال: إنما هو بركة يده، أو لأمرٍ مُعْتَبَر، غُلل في قوله «لِيُعَذِّبَانِ» إلى آخره. ولا يلزم من كوننا لا نعلم تعذيبه وغيره، أنا لا نتسبب في أمرٍ يخفف عذابه، كما ندعوا له بالرحمة. ولم يصرح في الحديث بمسَّه له.

وقد تأسَى به بُرَيْدة الصُّحَابِي، فأوصى بوضع الجريد على قبره، وهو أولى أن يتأسَى به. انتهى. ولك أن تقول: إنه معقول المعنى أيضاً.

ومما قلت في هذا: [السريع]

عَاشَتْهُ حُرَّتْ نَعِيمِ الصِّفا
مَرُّ لَأَضْحَى قَانِماً وَاشْتَفَى
يُرَى عَذَابِ القَبْرِ قَدْ خُفِّفا
كَذَا رَطِيبُ الغَصْنِ مِنْ غَرَسِيه

وأنشد ابن عَرَبِي في «المسامرة» ما يدلُّ لما قلناه، وهو قوله: [السريع]

عنه غِطاءُ الحِسنِ مَكشُوفُ
كان لهم نَقْصٌ وَتَطْفِيفُ
بِقَبْرِهم إِذ فيه تخفيفُ
فِي القَبْرِ أسرارُ يراها الذي
عَاشَتْ قوماً عُدْبُوا فِي الصُّدى
فهل لَغْصَنِ البانِ مِنْ غارسِ

ما دام رطباً يانعاً أخضراً ولم يعم الغصن تخفيفاً
وفي تأسينا به عضمة منجية منه وتشريفاً
وفي هذا تأييد لما قاله ابن حجر، تغمده الله برحمته.

فصل

عزم عزمي على شد الرّحال، وزمّ مطي الأمانى والآمال، والهجرة عن مصر لما
فقد فيها الدين والدنيا والكمال.

فبطني قول عبد المحسن الصوري لأحمد الفخري لما كتب إليه: [الوافر]
أعبد المحسن المرجو لِمَ قد جئمت جثوم منهاض كسير
فإن قلت العباله أقعدتني على مَضضٍ وعاقث عن مسيري
فهذا البحرُ يحمل هَضْبَ رَضوى ويستثنى بُرُكنٍ من ثبير
إذا استخيا أخوك ولاك ظلماً فمثل أخيك موجود النظر
ففارقه لكي تلقى كريماً تزول بقربه إحن الضمير
فما كل البرية من تراه وما كل البلاد بلاد صور
فأجابه: [الوافر]

جزاك الله عن ذا النضح خيراً ولكن جاء في الزمن الأخير
وقد حدثت لي السبعون حِداً نهى عما أمرت من الأمور
ومذ صارت نفوسُ الناس حولي قصاراً عذت بالأمل القصير
فقلت: لما حلّ العقل مُبرم عقاله، وقطع العزم شكال أشكاله.
لست برجل قضة وثريد، ولا جلساً^(١) يمهّد للعجائز والعبيد.
وهذا رأي فطير، والأرض واسعة ولست بعاجز ولا كسير.
ومن النواسخ ليت ولعل، وكل كُتّي يمل.

وقد قلت: [الطويل]

ترحلتُ عن أرض يهأن بها العلا فقالت أبعده الشيب تنأى عن الأهل
فقلت مشيبي موقدٌ فوق هامتي مشاعل أسفاري وقد قربت رخلي
فإن خفت طعن السن فالطعن قاتل لفقرى مخي للمآثر الفضل
فستعلم النجائب أنى على طي آفاته لجسور، وسيذري الدهر أنى على كثرة
مكائده صبور. ألم تسمع قول البرقعي: [المتقارب]
رأت عزماتي وطول انكماشى وطول التملُّل فوق الفراش

(١) الحلس: كساء يوضع على ظهر البعير. القاموس المحيط، مادة /حلس/.

وقالت أراك أخا همة ستبلغها فتري ذا أنتعاش
فهلاً أقمت ولم تغترب فقلت القناعة طبع المواشي

فصل

لما بُنيَ بهذه الدولة المدارسُ الجليلة، ورُتبتِ الوظائفُ والعوائدُ الجميلة .
ليرتفع منارُ العلم والدين، وتُشرق شمسُ الفضل من مطالع اليقين .
قالت الدنيا الدنيّة: عكسُ القضيةِ قضية .
فكان ذلك سببَ اندراسِ معالمِ العلوم، ومخو آثارِ أطلالها والرُسوم .
ودُروسِ الدُروس، وتقدّمِ الجهلةِ بشفاعةِ الرُهبانِ والقُسوس .
حتى آلت إلى الأطفالِ والعبيد، لَمَّا انتصب للتمييزِ كلُّ جبارٍ عَينيد .
حتى تولّى قضاءَ العسكرينِ بعضُ العُلوج، وقام على رؤوسِ الرؤوسِ الموالي
والزنوج . [الطويل]

ولو كان عبدُ الله مولى هجوته ولكنَّ عبدَ الله مولى مواليا
فكان إذا مرَّ في الطرقات قالوا: عبدٌ لبس ثيابَ مولاه، فلو رآه مولاه أوجعه سباً ونفاه .
فتذكّرتُ بهذا قولَ عليّ بن محمد، يهجو العباس بن الحسن، لما تولّى الوزارة:
[السريع]

وزارةُ العباس من نحسها تستقلعُ الدونة من أسهـ
شبّهتُه حين بدا مقبلاً في خلع تخجل من لبسها
جاريةُ الكُشوة قد قدّرت ثيابَ مولاها على نفسها

وفي تاريخ الأندلس، في اختلال دولة المنصور بن أبي عامر، وقد تربص أعداؤه
في كلِّ مركز أن تدور عليه الدوائر، وظلَّ سعده مُتعدداً بعد ما كان المثل السائر، أن
بعض الشعراء هجا دولته وجدّها المدبر عاثر . فقال: [السريع]

اقترب الوعدُ وحان الهلاك وكلُّ ما تحذره قد أتاك
خليفةٌ يلعب في مكتب وأمه خبلى وقاضٍ ينك

حتى آلت الخلافةُ إلى بيغاء في قفص، إذا رأى نقد الرشا نهق ورقص .
ولم يذر أنه من بني من أساس داره أعلاه، قُصارى قصره أن يهوي به في الهاوية
ما بناه . حتى تجبر وطفى، وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ١٢٤].

فأهلكه الله أشدَّ الهلاك، وأنزله حضيض المذلة بعد ما سما السماك .
وردَّ غزبته في دنياه، إلى الهاوية التي هي مقرّه ومأواه، وخذل من كان أغواه .
كما قلت: [السريع]

يا علماء السوء لي مُشكلٌ بقادِح الأُخزانِ يُزديني
 ما لذَّة الكفر فترضونهُ لأجل شهواتِ الشياطينِ
 وغُربةُ الدين كما قد بدا وفَقْدُهُ الآن يُعنيني
 ومُدَّةُ المفقود قد كُملت فرحمةُ اللّهِ على الدينِ
 ونقلتُ من خطِّ خاتمة العلماء الأعلام، نور الدين العسيليّ، مما أنشدنيهِ غيرُ
 واحد من أعيان الفضلاء وفضلاء الأعيان، قصيدةٌ واحد الزمانِ إنسانِ العين وعينِ
 الإنسان.

خاتمة المحققين، ومسك ختام المدققين.

مولانا خوجا جلبي أفندي مفتي الممالك الرومية، وقاضي العساكر الإسلامية،
 المترجم من قبل، أستاذنا جوهر الكمال المكنون، وعالم الرُّبُع المسكون. العلامة
 شمس الدين محمد المغوشي الثونسيّ بسماعي منه غير مرة بما لفظه:
 ما أحسب أن يُعد السيد الجُزجانيّ مثله.

وناهيك بمثل هذا التَّقريظ الغالي، من مثل هذا الجَناب العالي.

ولعَمري إنه بمثل ذلك لجدير، وإنه على ذلك لقدير.

وهذه الميمية من أدل دليل على صحة هذا المدعى، وأوضح سبيل لسلوك هذا
 المبتغى.

إذ مثل هذا النَّفس الذي لو وقع لمثل المُتنبّي لأقرّ الناسُ بمعجزته، أو لأبي تمام
 ما أمكن لحاسديه إلحاقِ النقصِ بِمرتبته.

أو للبختريّ لتبصّر الأعمى خطأه من وشم شعره بعبث الوليد، ولما عدّه غير
 لبيد، أو لو أخطأه عبيد لما عدّ مع حُرّ الكلام إلا مع العبيد.

خصوصاً من لم يسلك ديار العرب، ولا أظله بيت شعر ولا شرق ولا غرب.
 ولا مضغ شيخها وقبضومها، ولا اجتنى أراكها وتثومها^(١).

أوضح برهان على رسوخ القدم في فنون الأدب، وأبين تبيان على بذل الجِدِّ
 والدَّاب.

حتى انقاد الأبيّ، ودنا القصي، وأطاع العصي. [السريع]

وليس على اللّهِ بمسْتَنكِرٍ أن يجمع العالم في واحدٍ

وهذه الميمية المشار إليها: [الطويل]

أبعد سُلَيْمَى مطلبٌ ومَرامٌ وغيرُ هواها لوعةٌ وغَرامٌ

وفوق جِماها مَلجأٌ ومَثابَةٌ ودون ذُراها موقِفٌ ومَقامٌ

وهيهات أن يُثنى إلى غيرِ بابها عِنانُ المطايا أو يُشدَّ حزامٌ

(١) التثوم: شجر له ثمر، شربه مع الماء يخرج الدود. القاموس المحيط، مادة /تثم/.

هي الغاية القصوى فإن فات نيلها
 سلا النفس عنها واطمأنت لنأيها
 وصب سقاه الدهر سلوان رُشده
 صحا عن سلاف الغي بعد انهماكه
 محوت نقوش الجاه عن لوح خاطري
 كدأب ديار قد عفثها يد البلى
 نسيت أساطير الفخار كأنها
 أنست بالأواء الزمان وذله
 إلى كم أعاني تيهها ودلالها
 وقد أخلق الأيام خلعة حسنها
 على حين شيب قد ألم بمفرقي
 طلائع ضعف قد أغارث على القوى
 فلا هي في بزج الجمال مقيمة
 تقطعت الأسباب بيني وبينها
 وعادت قلوب العزم عنها كليلة
 كاني بها والقلب زمت ركابه
 وسيقت إلى دار الخمول حموله
 حين عجل غرها البؤ فانشنت
 وما مستهام تاه في تيه حيرة
 غريب عن الأوطان ناء عن الورى
 يروح ويغدو في دموع وغصة
 بأقطع حالاً منه إن بلاءه
 يسبح بتيماء التحير مفرداً
 أعاشرهم والقلب ليس بحاضر
 فكم عشرة ما أورثت غير عشرة
 لقد تمت أزمان المسرة وانقضت
 فسرعان ما زالت وولت وليتها
 عصور وأحقاب تمر وتنقضي

فكل من الدنيا علي حرام
 سلو رضيع قد عراه فطام
 فأمسى وما في القلب منه هيام
 عليه فبان الكأس عنه وجام
 فأضحى كأن لم يجر فيه قلام
 فلم يبق فيها أزمم وعلام
 حديث ليال قد محاه عيام
 فيا عزة الدنيا عليك سلام
 ألم بأن عنها سلوة وسام
 فأضحى وديباج البهاء رمام
 وعاد دهام الشعر وهو ثغام
 وثار بميدان المزاج قتام
 ولا أنا في عهد المجون مدام
 ولم يبق فينا نسبة ولاثام
 وقد جب منها غارب وسانام
 وقوض أبيات له وخيام
 يحن إليها والدموع رهام^(١)
 إليه وفيها أنة وبغام^(٢)
 فلم يستبين خلف له وأمام
 مباءته عرض الفلا وأكام
 وليس سواها مشرب وطعام
 عظيم جسيم لا يطاق عفة
 ولي مع صحبي عشرة وندام
 وهل هو إلا مخنة وغرام
 ورب كلام في القلوب كلام
 لكل زمان غاية وتمام
 تدوم ولكن ما لهن دوام
 وليس لها في الانقضاء نظام

(١) الرهام: الكثير. القاموس المحيط، مادة /رهم/ .

(٢) البغام: صوت الظبية. القاموس المحيط، مادة /بغم/ .

وإن تتولّى بالمساءة عام
 بطول حياتي والغموم سمام
 وما حامّ حامّ حول ذاك وسام
 وهيهات أن ينسى لديّ ذمام
 عليه فئامٍ إثرَ ذاك فئام
 وزال عن أذوار الزمانِ نظام
 وطبّق أكناف البلادِ ظلام
 وشبّ لنيران الضلالِ ضرام
 يُناغي القباب السبع وهي عظام
 عزيزاً منيعاً لا يكاد يُرام
 أعزّة أهل العالمين فخام
 لكلّ إمامٍ يقتديه إمام
 فمنهم جثومٌ حوله وقيام
 كبرقٍ بدا بين السحاب يُشام
 غوائلُ أيدي الحادثات قدام
 فخرّت عروشٌ منه ثم دعام
 فلم يبقَ منها آيةٌ ووسام
 مساقٍ أسيرٍ لا يزال يُضام
 طرائقٌ منها جائرٌ وقوام
 وما كلُّ أفراد الحديدِ حسام
 نعيمٌ وبؤسٌ صحّةٌ وسقام
 فليس عليها مغتّبٌ وملام
 وماذا الذي تبغيه وهو خطام
 ولم يُرَ فيها راحةٌ وجمام
 يُعائده والناسُ عنه نيام
 تنبّه فهاتيك الحياة منام
 وأيقن بأن الرّيّ منه أوام
 على رأس ربّات الحجالِ عمّام
 لديهم كنورٌ أبرزته كمام
 على ما مضى والغافلون ندام

دهورٌ تقضت بالمسرة ساعة
 فله دُرّ الغمّ حيث أمّدي
 أرى عمرَ نوح كلّ أن يمرّ بي
 فما عشتُ لا أنسى حقوق صنيعة
 كما اعتاد أبناء الزمان وأجمعت
 تبدلت الأوطارُ وأنحلّ عقدها
 وراح عن الأيام نورٌ ورؤنق
 خبت نارُ أعلام المعارف والهدى
 وكان سريرُ العلم صرحاً مُمرّداً
 متيناً رفيعاً لا يُطارُ غرابه
 مهيباً ومخميّ الحريم وأهله
 مخطّ رحالٍ للأجلة قبلة
 مطافاً لأرباب الفضائل والعلما
 يلوح سنا بزق الهدى من بروج
 له شرفٌ قد جلّ عن أن يناله
 فخرّت عليه الرامسات ذبولها
 مَحَا الذاريات الهوج آياتِ حسنه
 وسيق إلى دار المَهانة أهله
 كذا تحكّم الأيام بين الورى على
 فما كلُّ قيلٍ قيلُ علمٌ وحكمة
 فللدهر تاراتٍ تمرُّ على الورى
 ومن يك في الدنيا فلا يغتبتّها
 أجدك ما الدنيا وماذا متاعها
 وما هي إلا زحمةٌ ومشقة
 تشكّل فيها كل شيءٍ بشكّل ما
 فعزّ بهونٍ والهوان بعزّة
 وجانب عن اللذاتِ واهجر زلالها
 يُرى النقص في زيّ الكمال كأنما
 ولو زاحت استار الحقائق لانجلت
 وظلّوا حيارى قارعي سنّ نادم

خُلومٌ أراها للنَّيامِ نيامٌ
 حقيقاً بأن يُلَوَى إليه زمامٌ
 ولا يكُ فيها رغبةً وسَوامٌ
 إذا ما تصدَّى للطعامِ طغامٌ
 لما ليس فيها عُزوةٌ وعِصامٌ
 وقد جاوز الطُّبَّيِّينِ منك حِزامٌ
 بخُفِّي حُنينٍ لا تزال تُلامٌ
 ودانت لك الدنيا وأنت همامٌ
 وفُزْتَ بما لم يستطِعه إمامٌ
 أليس بحِثْمٍ بعد ذاك جِمامٌ
 وبين المُنايا والنَّفوسِ لِزامٌ
 وما حاد عنها سيِّدٌ وُعْلامٌ
 سلِّ أن كان فيها مِزيةٌ وخصامٌ
 لهم فوق فِرْقِ الفِرْقَدَيْنِ مُقامٌ
 صناديدُ عزِّ حاكِمونَ كرامٌ
 يُشير إليهم حاجِبٌ وبنامٌ
 بأغتابِهم للعاكفين زحامٌ
 له شوكةٌ تنسبي الثَّهَى وِعِرامٌ
 وإن كان فيها حدَّةٌ ورعامٌ
 من العزِّ جُنْدٌ مُخضرونَ لهامٌ
 وما صنعت عادٌ وأبن إرامٌ
 بجثِّته والعيش منه مُدَّةٌ
 فأوطنها بومٌ يصيح وهامٌ
 كأن بقايا رشمهن رجامٌ
 عليهم جواباً ليس فيه كلامٌ
 وما طاش مزمياً لهنَّ سهامٌ
 فأقفر عنهم منزلٌ ومقامٌ
 وليس لهم حتى القيام قيامٌ
 فهم تحت أظباق الرِّغامِ رغامٌ
 هبابةٌ وباد التناجِ ثم وهامٌ

فما كان فيها غِبٌّ ما مرَّ وانقضى
 وما هو عند السَّالِكينِ إلى الهدى
 فدغها وما فيها هنيئاً لأهلها
 يعاف العرائنُ السُّمَاطَ على الخوى
 على أنها لا يُستطاعُ منالها
 ولو أنت تسعى إثرها ألفَ حِجَّةٍ
 رجعتَ وقد ضلَّتَ مساعيك كلُّها
 هَبْ إنَّ مقاليدَ الأمور ملكتها
 جَبَّيتَ خراجَ الخافقين بسَطْوَةِ
 ومُتَّعتَ باللذاتِ دهرأً بِغِبْطَةِ
 فبين البرايا والخلودِ تبايُنٌ
 قضيةٌ انقِدادَ الأنامِ لحكمِها
 ضروريةٌ تقضي العقولُ بصدقِها
 سلِّ الأرضَ عن حالِ الملوك التي خلت
 أساطينُ معروفون في كلِّ مشهدٍ
 مشاهيرُ في الآفاقِ شرقاً ومغرباً
 بأبوابهم للوافدين تراكُمُ
 لديهم ألوفٌ من خميسِ عَرَمَرَمِ
 تردُّ عيونَ الناظرين كليلَةَ
 فهل هم على ما هم عليه وحولهم
 وما بال ذي الأوتادِ ما خطبُ قومه
 وما شاد شدَّادٌ فهل هو خالدٌ
 وطُفَّ ببلادٍ خَفَّ عنها قَطِينُها
 ونادٍ قصوراً قد عفتْ عُرفانُها
 تُجَبِّك عن اشرارِ الشؤونِ التي جرت
 بأنَّ المُنايا أقصدتهم نبالُها
 فسيقوا مساقَ الغابرين إلى الرَّذى
 وحلُّوا مَحَلًّا غيرَ ما يفهدونه
 ألمَ بهم زِنْبُ المَثُونِ فغالهم
 وأمسوا أحاديثاً وأصبح ملكهم

فسبحان ربّ العرش ليس لمُلكِه تَنَاهٍ وَحَدُّ مَبْدَأٍ وَخِتَامٍ

بيان حالي في خبر المبتدأ، وسبب

اقتدائي بالهجرة النبوية وما عدا فيما بدا

سألّني أعزّك الله عن ابتداء حالي، وما آل إليه أمري ممّا لم يجرّ على أمثالي.
ولولا الإلحاح في طلب الجواب، لما كان لهذه الجملة محلّ من الإعراب.
فها أنا رافع إليك القِصّة، مُسيغ بماء البِشْر هذه الغُصّة. [الطويل]
ولا بدّ من شكوى إلى ذي مرؤةٍ يُواسيك أو يُسليك أو يتوجّع
فقد كنت بعد سنّ التمييز، في مَغْرَس طيّب النبات عزيز.

في حجر والدي، ممتّعاً بذخائر طريفي وتالدي.

مُرَبّي بغذاء علمي الظاهر والباطن، في التّعيم المقيم بأرفع المساكن.

ومقام والدي غنيّ عن المدح، والورق بأوكارها لا تُعلم الصّدح.

فلما درجت من عُشي قرأت على خالي، سيّبويه زمانه علوم العربية فجثوث بين

يديه على الرّكب، ونافست إخواني في الجدّ والطلب.

ثم ترقّيت فقرأت المعاني والمنطق. وبقية علوم الأدب الاثني عشر.

ونظرت كتب المذهبين، مذهب أبي حنيفة والشافعي مؤسساً على الأضلين من

مشايخ العصر، متنزهاً في حدائق السحر، موشحاً لأدبي بحلّ النظم والنثر: [الوافر]

فلولا الشعرُ بالعلماء يُزري لكنّ الآن أشعر من لبيد

ومن أجلّ من أخذت عنه شيخ الإسلام ابن شيخ الإسلام الشمس الرّمليّ.

حضرت دروسه الفرعية، وقرأت عليه شيئاً من «مسلم» فأجازني بذلك، وبجميع

مؤلفاته ومروياته، بروايته عن شيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاريّ، وعن والده.

وجلالة قدره أشهر من الشمس، كما قلت فيه: [الطويل]

فضائله عدّ الرّمال ومَن يكن ليخضّر معشّار الذي فيه من فضل

فقلّ لفتى قد رام إحصاء مجده تربت استرخ من جهدك للرملي

ومنهم: شافعيّ زمانه، القطب العارف بالله تعالى، الشيخ نور الدين الزيّاديّ،

زاد الله حسناته. حضرت دروسه زماناً طويلاً.

وهو كما قلت فيه: [الوافر]

لنور الدين فضلّ ليس يخفي تُضيء به الليالي المُدلهمة

يريد الحاسدون ليظفئوه ويأبى الله إلا أن يُتممه

القسم الرابع/ بيان حالي في خبر المبتدأ وسبب اقتدائي بالهجرة النبوية وما عدا فيما بدا ١٥١

ومنهم: العلامة في سائر الفنون، علي بن غانم المقدسي، الحنفي. حضرت دروسه، وقرأت عليه الحديث، وكتب لي إجازة بخطه.

ومنهم: العلامة، الفهامة، خاتمة خُفاظ المحدثين، إبراهيم العلقمي. قرأت عليه «الشفاء» بتمامه، وأجازني به وبغيره، وشملني نظره، وبركة دعائه لي، وغير ذلك مما لا يُعد.

وممن أخذتُ عنه الأدب والشعر: شيخنا العلامة، أحمد العلقمي، والعلامة محمد الصالحي الشامي، والعناياتي.

وممن أخذتُ عنه العروض: الشيخ محمد المغربي، المعروف بركوك.

وممن أخذتُ عنه الطب: الشيخ داود البصير.

ثم ارتحلت مع والدي للحرمين الشريفين، وقرأت ثمة على الشيخ علي بن جار الله. وعلى حفيد العصام وغيره.

ثم ارتحلتُ إلى القسطنطينية، فتشرفتُ بمن فيها من الفضلاء، والمصنفين، واستفدت منهم، وتخرجت عليهم. وهي إذ ذاك مشحونة بالفضلاء الأذكياء، كابن عبد الغني، ومصطفى بن عزمي، والحبر داود، وهو ممن أخذتُ عنه الرياضات، وقرأت عليه أقليدس وغيره.

وأجلهم إذ ذاك: أستاذي سعد الملة والدين ابن حسن جان. ولما توفني قام مقامه صنع الله، ثم ولداه. ثم انقضوا في مدة يسيرة، فلم يبقَ بها عين ولا أثر، وصار الدين ملعبة وسخرية، وآل الأمر إلى اجترأ السلاطين والوزراء بقتل العلماء وإهانتهم. ولما عدتُ إليها ثانياً بعد ما توليت قضاء العساكر بمصر، رأيت تفاقم الأمر، وغلبة الجهل، فذكرت ذلك للوزير ظناً بأن النصح يفيد، فإذا هو كما قيل: [البيسط]

هو الوزير ولا أزر يُشدُّ به مثل العروض له بحر بلا ماء

فكان ذلك سبباً لعزلي وأمري بالخروج من تلك المدينة، وإظهار العداوة ممن هو في زي العلماء، مع أنه لم يبقَ بها أحد يُحسِن قراءة الفاتحة. وفي أثناء ذلك عد أن من الله تعالى عليّ بالسلامة من كيدهم ومكرهم، كتبت رسالة لبعض رؤسائهم.

وهذه صورتها: [الوافر]

رأيتُ الدهر يرفع كلَّ وغدٍ ويخفض كلَّ ذي شيم شريفة

كمثل البحر يفرق فيه حيٍّ ولا ينفك تطفو فيه جيفة

أو الميزان يخفض كلَّ وافٍ ويرفع كلَّ ذي زنة خفيفة

الحمد لله الذي جعل الدنيا الخافضة الرافعة للشفل الأثقال، لا تستقرُّ على حالٍ

فتسلم من الفناء والزوال. والصلاة والسلام على من لم يرض بشيءٍ منها يضاعف فيه،

وعلى آله وصحبه الذين اقتدوا به في كلِّ ما يرتضيه.

وقد قيل: إن الدهر مُعلمٌ إذا لم يتعلم منه عاقب، وإذا تُعلم أذب وهذب.

ولم ترَ معلماً أحسنَ تعليماً من زمان، ولا مُتعلماً أسوأَ تعلماً من إنسان.
 وكم أدبني وقرع لي العصا، فغشني رائدُ الأمل وعصى.
 وأنساني عِظته أمراضٌ لا تُحس، وعِللٌ نبضها بينان البيان لا يُجس.
 حتى لزمْتُ حِمِيَةَ الحِمِيَّة، ولازمتُ الأزْمَ عن ذَوْقِ نَعْمِهَا الشهِيَّة.
 ولكلِّ شيءٍ حِمِيَّة، فحُسنُ الاعتقادِ حِمِيَةُ الجَنان، ولزومُ الصمتِ حِمِيَةُ اللسان.
 كما أن التَّوَقِّيَ من الطعامِ والشرابِ حِمِيَةُ الأبدان. فإن أكثرَ العِللِ والأوصابِ،
 يكون من الطعامِ والشرابِ. [الطويل]

ومن يلقَ ما لا قِيْتُ في كلِّ مُجْتَنِيٍ من الشُّوكِ يزهدُ في الثمارِ الأطائبِ
 والأخذانِ والخِلاَّن، وإن كانوا فاكهةَ الزمان. فهي سريعةُ الاستِحالة، شديدةُ
 الضَّررِ لا مَحالة. ومما يُعين على الداءِ، الذي لا ينفع معه الدواء، البعدُ عن الأرضِ
 الوَخِيمةِ الهواءِ، كالمدينةِ البَحْراءِ، مَعْدِنِ البلاءِ والأَسْواءِ. وكم كنتُ أتمنَّى البعدَ
 عنها، وأودُّ الخلاصَ من أهلها ومنها. حتى اتَّصلتُ بمولِيٍّ امتنَّ بالجرمانِ، وقد كان
 الناسُ يمتنون بروضِ الإحسانِ. فعاقبني بالبُعدِ عن سُدَّتِهِ، ولم يذرْ أن من أعظمِ المننِ
 عدمُ رؤيته. ولم أر مثلي ومثله إلا مثلَ أعرابيٍّ بوَاسِطِ بالِ فيها، فحبسه لذلك الحجاجُ
 مع مُجرِمِها، فلَمَّا انطلقَ خرجَ منها وقال بديهاً: [الطويل]

إذا نحن جاوزنا مدينةً واسطِ خرئنا ويُلنا لا نخافُ عقاباً
 ومؤمِّلُ النفعِ من اللئامِ، كزارعِ السَّمْسِمِ فيهِ الحَمَّامِ. وكنت منتفعاً من دولته
 انتفاعَ ناكحِ عروسٍ في الأحلامِ، هَبَّ من نومِهِ بجَنابَةٍ وأجرةَ الحَمَّامِ. فكأنِّي لم أسمع
 قولَ القائلِ: [الطويل]

إذا ما الليالي جاورتك بناقصِ وقَدْرُكَ مرفوعٌ فعنه تحوّلِ
 ألم تر ما لاقاه في جنبِ جارِهِ كَبِيرُ أناسٍ في بجادٍ مُزْمَلِ
 فكما أن الكاملِ بضحبةِ الناقصِ ينقُصُ. [الكامل]

بجيرانها تغلو الديارُ وترخُصُ

ولكن الذي غرَّ آمالي، في الترقِّي والصعودِ لرُتبِ المعالي، ما عهدناه من الشرفِ
 الباذخِ في صميمِ الموالِي. من كلِّ صحيحِ النَّسبِ، فسيحِ الأدبِ. من أيِّ أقطاره أتيَتْ
 اثنتي إليك بكرمِ المقالِ، وحسنِ الفِعالِ. [الطويل]

جميلُ المحيِّا والفيعالِ كأنما تمنَّته أمُّ المجدِ لما تمَّتِ
 من ركبِ مطايا الأملِ لشكرِهِ، رأى وراءه حادياً من برِّه. ظاهرُ الفضلِ والآدابِ،
 سالمٌ من دَنسِ الجهلِ ووسخِ الأحسابِ. وقد كان هذا إذا أوعِد، وقَعَقَعِ سِنُّهُ وأبرقِ
 وأزعد، أقول بَرِّقِ خُلْبِ، وسحابةُ صَيْفِ عن قريبِ تقشَع. وما كلُّ ذنبٍ تُسمع
 أَعذارُهُ، ولا كلُّ مجنونٍ تصيبُ أحجارُهُ. وإن كان قيل: [الخفيف]

القسم الرابع/ بيان حالي في خبر المبتدأ وسبب اقتدائي بالهجرة النبوية وما عدا فيما بدا ١٥٣

وإذا ما المجنونُ قال سأرمي ك فهِئِي للرأسِ منك عصابة
وقد سُمِعَ النحاةُ الأوائل يقولون: إذا اجتمع في لفظٍ عاقلٌ وغيرُ عاقلٍ غُلِبَ
العاقل. فانتَقَضَتِ الأحكام، حتى في الكلام. فغُلِبَ غيرُ العقلاء من الجهلة، وارتفع
العدلُ مع السُّلْسِلة. وعلا قُطَاعُ الطريق، وملك السيدُ الرقيق. وصار الرُّعاة ذئاباً،
والغنمُ والشيأه كلاباً.

وقد كان بعضُ الحكماء قال لسُلطانٍ: لو جعلتُ حكماءك وزراءك، ووزراءك
حكماءك أصبتَ؛ لأن حكماءك يُحكِّمون الفتل، ووزراءك لا يقدرُون على ذلك.
وبرأي هذا الحكيم عمل الناس الآن، فجعل المنجِّمون والحكماء حكامَ شريعة
المصطفى، وطرد رئيسهم العلماء ونفى. [الكامل]

انْفُوا المَوْذَنَ من بلادكم إن كان ينفى كلُّ من صدقاً
فصار المدعي يُنظر في قارورته فإن صفت قِبَلِ قوله، وقيل: إن القول الأصح في
مسألة الخُثي أن يُحكَمَ بولُه. وكان الشاهدُ يسأل عن الصلاة والقنوت والواجبات،
فصار يسأل عن القضايا والمُختلطات. فإذا زكى امرؤ بدعوة الجن، سئل عنه من
الجن^(١) والبن. وكان الامتحانُ من كتب التفسير وشروح «الهداية»، فصار بالزَّايِرِجَة
السَّبْتِيَة ونقاية الحكيم الكِندي للغواية. وكان القانون يُرجع فيه إلى الطُّغرائي مُفتيه،
فصار أمره لكل بئاءٍ وغواص سفيه.

وقيل لمن قرأ عيون الحقائق، في صنعة الدك والطرائق، محقق أدرك السلف،
ومسخ الله به علم الخلف. ونقّب له سدّاً يأجوج ومأجوج، فقرأ في داخله على
الأكراد والزنوج. فنقض القواعد، وجدّد رُسوم الأوابد. وكذب أهل المعاني في أن
الصدق مُطابِقة الاعتقاد أو الواقع، وقال: هو مُطابِقة النفاق ورأي الأمر القاطع.
وعاب قصائد امرئ القيس، وجهل في النجوم بطليموس، وفي مُجربات الطب
جالينوس.

وقال بالشعوبية، وفضل اللغة الثبُطية على العربية. وزهد في الحسن البصري
والأبدال السائحين بالبادية، وقال: لو كانت رابعة زوجتي طلقته ثلاثاً ولم أرضه
جارية. وجدّد رَضد الطعام بالديوان، وبنى مدرسة يُنكح فيها الغلمان.

وقال: الدرُس العام لا يعرفه غيرُ العوام، وشرح «ديوان المتنبي» بإعجاز اللغة
الكَردِيَّة، وشرح لطافة اللغة الفارسية بالثُوبية. وزاد في أشكال أقليدس على الشكل
الحمارتي الشكل البغلي، وصحح نسب السادات بالانتهاء للذئذ لا لعلّي. وزاد في
براهين المِجسِطِي وعلم المناظر والمرايا، وزاد زاوية رابعة وكم خبايا في الزوايا.

(١) الجن: نَفْلَة الجن وضعفاؤهم. القاموس المحيط، مادة / جن / .

١٥٤القسم الرابع/ بيان حالي في خبر المبتدأ وسبب اقتدائي بالهجرة النبوية وما عدا فيما بدا

وإدعى أن الجذر الأصم منطوق، وقال الأرتماطقي ومساحة جغرافيا حساب يستخرج من الزئبق.

وحكمة الإشراف وهيئات أفلاطون والمريخ، تؤخذ من «كتاب سيبويه»، و«خاطريات ابن جيبى»، و«مقتضب المبرد».

وزاد في العروض ضرورياً وأعارىض لم يعرفها الخليل.

وحكم في المسألة الزنبورية بين سيبويه والكسائي فطرد نحلها، وفرق على الأكراد عسلها. وسأل عن مسألة الكحل العميان، وسأل عن المناسبة وطرقها الثلاث حسان. وفضل الصحابة بقول الحجاج، وقرأ «تهذيب المنطق» على العجاج.

وخطأ الأطباء فقال: إذا مرضت الأمعاء السبعة يُخَقَّن الغلام، كما أنه إذا ضُرط المقتدي فسدت صلاة الإمام.

وقال: ما يسر الله هذا كله إلا ببقاء المولى أطال الله عمره، وبنى نهيته وأعرب أمره. وطلب من عزرائيل حجة شرعية، على طول الأجل وذئب المنية.

فعجز عن الإثبات وقال له: إنك من المنظرين، فعمل له دعوة وضيافة قرب له فيها أرواح الضعفاء والمساكين.

فحمده على ما أولاه، ومدحه على أن خلصه من تعبته وعنايه. وأنشده:

[المنسرح]

قد شاب رأس الزمان واكتهل الند
فقل له إن رأيت طلعتته
يا بكر حواء كم تعيش وكم
قد أصبحت دار آدم خربة
تسأل غريبتها إذا لعبت
وجاءته ملائكة العذاب، وقالت له: استرخنا وأغلقتنا الأبواب. وأنشدته:

[م.الرجز]

معمر كأنه
قد انقضى الدهر وما
صالح صرّف الثوب
كان به من عجب
وأنت عجب الذنب

ثم جاءه الملكان، وقالوا له: أنت دليل من قال بقدم الزمان.

وقالا: لا كور بعد الحور، يحكم بصحة التسلسل والدور.

فالحمد لله الذي حمانا من سؤالك، وأقر أعيننا بسماع شعرك وضروب أمثالك.

وأنشده قول الخوارزمي: [السريع]

لم أزه إلا خشيت الردى
وقلت يا روح عليك السلام

القسم الرابع/ بيان حالي في خبر المبتدأ وسبب اقتدائي بالهجرة النبوية وما عدا فيما بدا ... ١٥٥

يَبْقَى وَيَفْنَى النَّاسُ مِنْ شُؤْمِهِ قَوْمُوا انظُرُوا كَيْفَ تَمُوتُ الْكِرَامُ
كَيْفَ نَرَاهُ سَالِمًا بَيْنَنَا يَا مَلِكَ الْمَوْتِ إِلَى كَمْ تَنَامُ
فقلت له: ليس بطول الأعمار، يتمُّ الشرفُ والافتخار.
فقد سمعنا عن سادة الناس وأوائلها: نجاحُ الأمور وسعادتها بأوائلها.
وفي أمثال العامة: «ليلةُ العيد من العصر ما تخفى». «واليوم المبارك من أوله
يَبِين». «والديكُ الفصيح، من البيضةِ يصيح». وقال باهل: [الوافر]

إذا بلغ الفتى عشرين عاماً ولم يفخر فليس له افتخارُ
فدع الجدال، وكثرة القيل والقال.
فإن حياة الفاجر فضيحةُ الدهر، وعلوُ الغناء غيرُ ضائرٍ للنهر.
ولكلِّ حزنٍ سهل، ولكلِّ أحمدٍ أبو جهل.
وما كنت أظن الشمس تخفى، وأن مثلي يُنقى، ويهان ويُجفى.
حتى تجاوز الدهرُ الحدَّ، وتَمَّ تعريفي بالعكس والطرد.
فبُعْدًا وسُخْقًا لدار لا أجد فيها للمعالي طُرْقًا، ولا يلمع فيها جوها للفضل بَرْقًا.
[الطويل]

وكل امرئٍ يُولي الجميل محبَّبٌ وكلُّ مكانٍ يُنبثُ العزَّ طيبٌ
وقدماً قيل: الرفيقُ قبل الطريق، والجارُ ثم الدار.
ولذا قالت آسية: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحریم: ١١]، فقدمت
عندك لهذه المِنَّة.

وقال ﷺ: إذ رأى الدار الآخرة به أولى: «اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى».
فطلب الرفيق في الجنان؛ فإنما الدارُ بالسُّكان ثم بعد السُّكان بالجيران. [الطويل]
وليس بعارٍ أن أهانَ وإنما على الدهر عاري والغلا والمناصب
ولا خيرَ في دارٍ مُهانٍ كريمُها ولم يرَ عَوْنًا من خليلٍ وصاحب
بها الأسدُ الضُرغامُ في غابهِ اختشى كلاباً قد اغتادت بصيدِ الثعالب
تمت الرسالة.

وها أنا أتمُّ الجواب. فإن أردت ما لي من المآثر، فمن تألّفي:
«الرسائل الأربعون»، و«حاشية تفسير القاضي» في مجلدات، و«حاشية شرح
الفرائض»، و«شرح الدرّة»، و«المقامة طراز المجالس»، و«حديقة السحر»، و«كتاب
السوانح»، و«الرجلة»، و«حواشي الرضوي والجامي»، و«شرح الشفاء»، وغير ذلك.
ولي من النظم ما هو مسطور في «ديواني» فلا حاجة لذكره، وقد مرّ منه كثيرٌ في
هذا الكتاب. ومن المنشور «رسائل ومكاتيب» لم أجمعها.

وها أنا أذكر لك منها هنا «الفصول القصار» و«المقامة الرومية» التي ذكرت فيها أحوال أهل الروم وعلمائها. وهي هذه:

المقامة الرومية

أنبأنا النعمانُ بن ماء السماء عن شقيق، وقد نظمني وإياه سلك المَحَجَّة بوادي العقيق.

قال: خرجت مُخْتَبِطاً ورق الكرم، وقد صَوَّح ربيعُ الآمال والهَمَم.

حتى عَزَّ الحطيم، ورُعِيَ الهشيم.

فطَوَّحْتَنِي الطوائِحُ بأزجوحة الأمانِي، وهزَّتَنِي الأشعبيَّة إلى ماجدِ يبارز الزمنَ

الجاني.

سَمَّح السجِيَّة بسَّام العشيَّات، رَحِب النادي إذا ضاق لَبُّ العيش والتقت حلقتا

المُلَمَّات.

جناه ليد الأمل داني، إذا اقتطف ثمرُ اللهو ورِيحان التهاني.

نزهة النفس، وشَمَّامة الأنس.

تُعَصِر من شمائله شَمولُ الفرح، على رغم أنفِ لإبريق والقَدَح.

فما روضُ الجمال الرائع، وما وردُ الخُدودِ في أكمام البراقع.

وما جاذِرُ الأعراب، وشمسُ الحسن في سُحُب الجلابيب. [الكامل]

ولقد دعوتُ ندى الكرام فلم يجب فـلأشكرنُ ندى أجاب وما دُعي

فلم أزل أذأب في الإسَّاد والإغناق، وأقلِّد خلافة الخَضِر ومِساحة الآفاق.

ولا أبرح في ملاعبِ الفضاء، كُرَّة لَصولجانِ القدر والقضاء. [الطويل]

يخيلُ لي أن البلادَ مَسامِعُ وأُنِّي فيها ما تقول العواذلُ

أقدح بيدِ الجياد زَند عزم واري، وأذرع شُقَّة المهامِه بأيدي المَهاري.

أتلَفَع بُرودَ الأسحار والأصائل، وأشمرُ عن ساقِ الجِدِّ لَخوضِ بحر دُجى ما له

غيرُ الفجر ساحل.

عَلَّ أن يفتح عينه عما تُثني عليه الحقائق، ويبتَسِم فمُ الأفق عن صبح وعِدِ

صادِقٍ أو كاذب. [الرملي]

قيل لي ترضى بوعدي كاذبٍ قلتُ إن لم يك شحم فَمَرِق

ولما بَعُدت شُقَّة الالتماس، وعميت عيونُ الأخبار تابعتُ جواسيسَ الحواس.

تقفوا أثر بريد الانتظار فأتى جُهينتهُ خبرها بعد حين، من سبياً بنياً يقين.

رافعاً عَقيرة نذيرِ عُريان، ساحباً ذيلني بزِدِ وحِزمان.

صائحاً: ارتحلت الأظعان، وأقفرتِ الديارُ من السُّكَّان والجيران.

والكرمُ أفلَ نجمه، وركدت ربحه وقلَّ عزمه، وتضعضع ركته.
فما ثمَّ أنيس، ولا اليعافيرُ ولا العيس.

لم يبق فيها من أثافِها، إلا ثلاثُ نُقْطِ يشكُّ الشكُّ فيها. [الكامل]
خلت الديارُ فلا كريمٌ يُرتجى منه السَّوالُ ولا ملبحٌ يُعشَقُ
فحللنا عقدة الحزم بأضراس النَّدَم وأيدي الجياد، وامتطينا غارب العزم وما لنا
غيرُ المُنَى ماءً وزاد.

ما بين ثَمَلٍ من خمر السَّرى، وراوع وساجد في تهجد الكرى.
مُختبرٍ بِمِسْبَارِ عصا التَّسيارِ غَوْرَ الأطلال والرسوم، حتى حطَّطت رحال الترحال
بِقُسْطَنْطِينِيَّةِ الروم.

لما قالوا: جاوز ملكاً أو بحراً، وهماماً خبراً وخبراً.
والبحرُ قد مدَّ لعناقها ساعديه، والأمواجُ تقبل الأرض بين يديه.
فأسمتُ في رياضها سوامي النَّظر، وأجلت في حلبة الذهن قِداحَ الفكر.
فإذا هي جنةٌ ملئت بالحُور والولدان، وحُفَّت بالشَّهوات إذ حُفَّت بالمكاره
الجنان.

من كلِّ شادينِ سرق التَّفاتة الغزال، وتسَلَّلت لثرى لُطفه الصِّبا والشَّمال.
لولا خوفُ الوُشاة والعدي، تساقطت القُبُلُ على وردِ خده سقوطَ الندى.
جرى فيه ماءُ النعيم والهِيف، وحرار فيه الرأي فلو رآه سَيْلُ تلعةٍ لوقف.
فاق ذكاءُ سناً وسناء، فلو حاكته حازت الشرفَ صيفاً وشتاء.

إذا جاده صيبُ الحياء والخجل، أنبت ورداً يُجتنى بأناملِ أهدابِ المُقل.
في كتيبةٍ حُسنٍ إن غزا القلوبَ كميئها: [الكامل]

هزُّوا القدودَ وأزهفوا الأجنانا

وإن هجمت على الصَّبِّ عيونها: [الكامل]

فاطلبْ لنفسيك إن قديرت أمانا

يوسفُ حُسنٍ ودلال، ليس له أخٌ يحسده على الجمال: [المنسرح]

ما قُدَّ فيه القميصُ من ذبُر بل قُدَّ فيه الفؤادُ من قُبُل

إن قطعَ النسوةُ الأكفَ فقد قطعَ قلبي بطرفه الكحل

يستعير منه الوردُ خدّاً استعارةً مُرشحةً بالندى، والسيفُ منه فتكاً استعارةً مُجرّدةً

للرّدى.

ومن وراء تلك الظباء العين، ملائكة من الكرام الكاتبين.

غاليّتهم المِداد، وعيبرُ نشرهم يفوح على جمر الذكاء الوقاد.

إذا راشوا بالبنان سِهَامَ البراعة، أصابت قراطيس البلاغة والبراعة.

وإذا افتخرت الرماحُ السُّمهرية، انتسبت إلى أقلامهم السُّمَر فكانت خطية.

وفرسانٌ هم أخلصُ الجياد، وغصونٌ رباها إذا حميَ وطيسُ الجِلاَدِ.
كم ولجوا لَجَجِ الغمراتِ على زوارقِ سُروجِ السَّوابِحِ، التي هي قيدُ أوابِدِ البوارحِ
والسَّوانِحِ.

سِيلٌ يَنْحَطُّ من صَبَبٍ، سَيْفُهُ العِنانِ وَقُورِ اللَّبِّبِ.

إِنْ صَعِدَ فمُسْتَجَابٌ دُعَاءِ، أَوْ هَبَطَ فمُبْرَمٌ قَضَاءِ.

يَسْبِقُ لَمَحَ البَصْرِ، وَيَكُلُّ دُونَهُ حديدُ النَّظَرِ.

إِذَا جَرَى عَلَى مَهَلِهِ، لَمْ يَسَابِقْهُ غَيْرُ ظَلَمِهِ. [الكامل]

ويكاد يخرج سُزْعَةً من ظَلَمِهِ لو كان يَرِغِبُ في فِرَاقِ رَفِيقِ

أَسْوَدُ غَابِ الرِّمَاحِ، بَدورُ غَمَامِ القَتَامِ وَبُرُوقِ الصِّفَاحِ.

مَا تَرَفَّعَ بَطْلٌ عَن لَثْمِ أَعْتَابِهِمْ، إِلَّا بَادَرَ رَأْسُهُ لَتَقِيلُ تُرَابِهِمْ.

نَبَلُهُمْ رُسُلُ المَنُونِ، وَبِيضُهُمْ بِأَيْدِي النَصْرِ مَفَاتِيحُ الحِصُونِ.

وَسَمَرُ الرِمَاحِ أَرْشِيَّةٌ لَا تَمْتَاخُ، مَن قَلْبِ الأَبْدَانِ غَيْرِ الأَرْوَاحِ.

وَسَادَةٌ مُتَصَوِّفَةٌ، عَن الصَّدَقِ مُتَعَفِّفَةٌ.

حِرْفَتُهُمْ بَيْعُ الزَّهَادَةِ، وَحَانُوتُ تِجَارَتِهِمُ السَّجَّادَةِ.

مَن كُلُّ مَتَكَبَّرٍ كَأَنَّ يَدَ الثُّرَيَّا لَهُ تُشِيرُ، فِيهِ شَرٌّ طَوِيلٌ تَحْتَ ذَيْلِ قَاصِرِ.

لَا يَمَسُّ زَهْدًا أَوْانِي الفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، وَلَوْ وَجَدَهَا فِي خَلْوَةٍ بَلَعَهَا وَكَم مَضَعَهَا مِنْهُ

فَمُ الطَّلَبِ.

لَهُ جُنْدٌ كَالْبِرَاغِيثِ أَكَلُ وَرَقِصٌ وَدَبَّ. [السريع]

مَشَوْا عَلَى الخَبِيزِ وَمِنْ عَادَةِ الزُّرِّ هَادٍ أَنْ يَمَشُوا عَلَى المَاءِ

ثُمَّ عَجَّتْ عَلَى مَعَاهِدِ ذَلِكَ الحَمِي، فَإِذَا دَسَاكِرُ وَقُصُورٌ هِيَ سُلْمُ السَّمَاءِ.

وَقِيَابٌ قَنَادِيلُهَا الزُّهُرُ الدَّرَارِي، فَقَلَبْتُ: لَعَلَّ هُنَا بَدورًا يُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلْمِ

الخطوبِ السَّارِي.

فَإِذَا فِي تِلْكَ المَعَالِمِ بُرُودٌ وَعَمَائِمٌ وَأَذْيَالٌ تُقْبَلُ التَّرَابِ، بَيْنَ لِدَاتِ جَهْلِ وَأَثْرَابِ.

وَالدَّهْرُ قَدْ أَزْخَصَ كُلَّ غَالِي، وَقَالَ كُلُّ مَن ضَرَبَ العَيْرِ: لَنَا مَوَالِي.

فَقَلْتُ: فَتَى وَلَا كَمَالِكَ، وَمَاءٌ وَلَا كَصَدَاءِ، وَمَرْعَى وَلَا كَالسَّعْدَانِ، وَفَيَافٍ نَادَتْ

كُلَّ رَائِدٍ: لَا قَرْيَةَ وَرَاءَ عِبَادَانِ.

فَالشَّاشِيَّةُ قَبَّةٌ عَلَى قَبْرِ مَاتِمٍ، وَالْحُلَّةُ غَطَاءٌ مِيتِ جَهْلٍ خَلْفَهُ مَاتِمٌ.

مَن كُلُّ سَفِلةٍ لَوْ بَاتَ جَلَسَ دَارَهُ أَقْفَرُ مِنْهُ المَنْزَلُ وَالجَوْفُ، وَأَذَاقَهُ اللّهُ لِبَاسِ

الجُوعِ وَالخَوْفِ.

لَا يَخْشَى لَوْمَةَ نَصِيحٍ وَلَا تَمِّمَ، ضَحُكَةُ أَغْرَاسٍ وَقَطْرِبُ وَلَا تَمِّمَ.

كَأَمْرِ اللّهِ يَدْخُلُ كُلُّ دَارٍ حَتَّى يَصِيرَ قَتِيلٌ أَضْرَاسِهِ، شَهِيدٌ قَضَعَتْهُ وَكَاسِيَهُ.

وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ مِنْهُ الخَبْرُ اليَقِينِ، وَفِي الصَّخْنِ لَهُ أَيَادٍ عِنْدَ القُدُورِ تَسْتَبِينِ.

يسرُّنا منه الفراق، سرورَ زُورَةٍ صَبَّ على يأسٍ من التَّلَاقِ .
 إذ هو أمرٌ من البين، وفي ثِقَلِ الرُّوحِ ثاني اثْنين .
 يَهْـوِدِيٌّ بلا مالٍ وأغْمَى ماله صَوْتُ
 إذا سلَّم على أهلِ نادٍ رفيع، فتحبَّته ضَرْبٌ وَجِيع .
 تستعذِب الأيدي مذاقَةَ صَفْعِهِ المُكْرَّرِ، حتى كأن قَدَّالَه من سُكَّرِ .
 غضِبُ اللّهِ على المشاهِد والمجالس، لا مُشَخَّص له غيرُ جنسِ البُرودِ وفضلُ
 القلائس .

حمارٌ على فرَس، له من تَقْعِيرِ المَخارجِ جرس .
 كأنما كلامُه دعوةُ الكواكب، أو رُقيَّةُ الحياتِ والعقارب . [المنسرح]
 بِرَدَّوْنَه صائِمٌ حكى فرَسَ الشِّـطْرِ طَرَنَجٍ والصدقُ غيرُ مُلتَبِسِ
 فكلُّ يومٍ عليه يدرُس من صوبَةِ عَدِّ البيوتِ بالفرسِ
 وأطفالٌ كأنما زِينُوا لِلجنانِ، أو لاسْتِقبالِ دَهقانِ سَدُومِ إذ كان له مع الملائكة ما
 كان .

مولود تقول قَوائِلُه: هذا ما لم يُسَمِّ فاعلُه .
 لو درَى الحكماءُ أن ماهيَّتَهُم على ذاكِ مجبولة، ما وقع بينهم اختلافٌ في أن
 الماهيَّاتِ مجعولة .

وقالوا: إن الهَيُولَى والصورة يتبادلان، وإن العناصرَ مُتناكِحةٌ قبلَ حلولِ الأبدان .
 وإن الكيفيَّاتِ ما بين فاعلٍ ومفعول، ولولاه كان تركيبُ الأمزجة غيرَ معقول .
 ولذا كان ميزانُ الخليل، بين فاعلٍ ومفاعيل . [الوافر]
 فإنَّ زماننا من قومِ لُوطٍ له وَلَعٌ بتقْدِيمِ الصُّغارِ
 وشُبَّانِ وكُهولِ، فيهم بلا فضلٍ فُضولِ .
 جُفأةٌ أجلاف، بَنُو عَلاَتِ وأخْياف^(١) .
 ورثوا علمَ السُّلْفِ والخلف، فأوصى لهم بثراثِ العربيَّةِ سيبويه وخلف:
 [الخفيف]

خاطرٌ يَضْفَعُ الفَرَزْدَقَ في الشعـ ر ونَحْوُ يَنِيكَ أم الكساني
 ومشايخ في الطرازِ الآخرِ من السُّفْلِ، كم فيهم من نادرةِ المَرِيخِ وزُحْلِ .
 كأنما يحمل غاشيَّتَه دارًا، وزُحْلُ أشرفِ الكواكبِ دارًا .
 لو قارَنه السُّعدُ الأكبرِ في أعلى عِلِّيِّين، حملته بناتُ نَعَشٍ إلى أسفلِ سافلين .
 أعمى البصيرةَ والبصر، عازٌّ على آدمِ أبي البشرِ .
 إنما خُلِقَ اعتذاراً لإبليس في تركِ السجودِ، وأنى يُقْبَلُ له عذرٌ وهو كفورِ جحودِ .

(١) الأخياف: من أهم واحدة وأباؤهم شتى . القاموس المحيط، مادة /خيف/ .

وهو أول من حسد، والحسد أدوأ داء في الجسد.
 داحس والبسوس إن نسبا لشومه، براق يُتبرك بسعادة قدمه وقدومه.
 والبوم وابن دأية الأعور، يُتيمن بسوانجها ولا يُتطير، والزقوم عنده يهزأ بالسكر
 المكرر. [المنسرح]

قلت له لِمَ هواك في سفلِ الناسِ وشراً الأمور سافلها
 قال وجدت الكعوب من قصب السدِّ كَرِّمُختارها أسافلها
 فريثما يضيء لَمَحُ البصر، إذا دارَّ قوراء يسافر فيها النظر.
 يردها الناس أفواجاً أفواجاً، هي برج ثور لا يرضى الشمس والقمر سراجاً.
 في جنّة عالية، قُطوفها غير دانية.
 جرى فيها سلسبيل معين، كدموع اليتامى في عهدِه والمساكين.
 تفتحت عيون أنوارها وهي إلى ربها ناظرة، وامتدت أوراق أشجارها داعية على
 من أعاد بها صفة الدين خاسرة.

يمرض في كل يوم سنة، ويرجو عيادة مُزمنة.
 مُقعدٌ أعدى زمانه بالزمانه، وسطيح نام في عهده شق عن السحر والكهانة.
 مشؤوم منحوس، إذا علا نسبه انتهى للمجوس.
 فبيته بيت نار، تعبده الفجار والأشرار. [الطويل]،
 غدا عالماً يُؤتى فيأتي بحجة على ذلك من أخبار علم وآيات
 تقول له الإسلام يعلو ولم يكن ليُغلى فقال العلم يُؤتى ولا يأتي
 فلما من الله على شمسِه بالزوال، عاد لِمَحَلِّه من هو أسوأ منه في الأقوال
 والأفعال.

في قوم يُعرف ما لهم موصول من الفضول، بما على رؤوس الحُمُرِ وأعجاز
 الخيول.

كما يعرف الطبيبُ صحة الأبدان، بما في قارورة البول من الألوان.
 لو بال هذا الدهر في قارورة بان الذي يشكوه للمتطبب
 كأنما أوحى الله إليه وإلى ذويه: تمتعوا بأيامكم، فإنما خلقت متاعاً لكم
 ولأنعامكم.

فاجتث عروق النسب مبدأ ومُنتهى، فالطُخْلُبُ عنده سِدْرَةُ المنتهى.
 فرفعته بلا طائل، وعلو قدره له قائل: [الوافر]
 لقد خري الزمان عليك حتى علوت وكنت أسفل سافلينا
 كرقم كان في الأعداد فرداً بذرق ذبابة أضحى مئينا
 فلو درى الكافر إذ حلت به الندامة وقد سيرت الجبال فكانت سرايا، أنه خلق
 من ترابٍ لاستحي أن يقول لأهل القيامة: يا ليتني كنت تراباً.

فما أحسنه في زوال النعم، وأقبحه إذا قضى له الدهرُ بدولةٍ وحكم.
فكم سعدٍ له رفيق، حُجَّةٌ وبرهانٌ لزنديق.

إن ذُكر له الفقه والحديث وما فيه من الغريب، اهتزَّ عجباً وأجاب بغزلٍ رائق
ونسيب.

أو أنشد له حَوْلِيَّاتٍ زهير، وقلائد المتنبِّي، وزهدِيَّاتِ أبي العتاهية، نظر في
«خزانة الفتوى» و«الخلاصة»، وقال: تلك أُمَّةٌ خالية. [الخفيف]

فهو في الفقه شاعرٌ لا يُبارَى وهو في الشعرٍ أوحَدُ الفقهاءِ
لا إلى هؤلاء إن نسَّبوه وجَدوه ولا إلى هؤلاء
فكأنَّ الله أمره بتقديم الأجهل فالأجهل إذ قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ
إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] وكأنَّ الرسولَ وَكَلَهُ أَنْ جَعَلَ الدِّينَ مَلْعَبَةً بِنَسْخِ الشَّرِيعَةِ فَرَعِيهَا
وأصلها: [السريع]

قل لي أما ترهبُ ربَّ الوري ولست تستحيي من المصطفى
«إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ».

قد مات من كنت منه تستحي وأهيل عليه التراب، ليجد الدهرُ ما ضاع من من
جواهره في غابر الأحقاب. [السريع]

ومات من لا عمره ماتا

وقد سئمت عتاب الدهر والشكوى، ونفضت جراب الطمع عما جف من زاد
المن والسلوى.

فلا يلام من أودع كيسه عند طرار، ولا يركب من سأل عن البراق الحمار.
فانصح السائل بعشه، واجعله دارجاً في عشه.

وبدّل شعوده بالثحوس، فإن نقشه نقش الفصوص صحيحها المعكوس.

وقد أخرسني العجزُ فما أفتح فما؛ ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا﴾ [الأنعام: ١١٤].

[الطويل]

إذا كان خضمي حاكمي كيف أضنع

وقد قنعت من صبغ الإدام، بغض السلامي والسلام.

فحتى متى أنا من سكرة الخيرة لا أستفيق، كأنني فصحف في بيت زنديق.

فإن تسألاني ما دوائي فإئني بمنزلة أغيب الطبيب سقامها

كجزد بسني يوسف في دار ذي مثربة، يأكل بالقرض لازماً ربه، فإذا نفذ

القرض وسد اليأس مذهبه. [المنسرح]

أكلت كتبي كأنني أرضه

رضيتُ من الغنيمة بالإياب، وعُذت إلى طلب توائم لي ضيِّعها الشباب. بين
العُذيب وبارق. [المتقارب]

مَجْرُ العوالي وَمَجْرَى السوابق

وقلتُ تعلُّلاً: إذا سئمتُ الشِّيم وترفَعْتُ من حضيضِ المذلةِ إلى أوجِ الشَّمَم:
إن جيداً سقطتُ من عِقْدِهِ دُرَّةٌ مثلي حَقِيقٌ بِالْعَطَلِ
وعقدتُ أهدابَ النِّيةِ بأهدابِ الظَّنِّ، إذ هتفَ بي شِقُّ الكهانةِ.

أصمُّ أم يَسمعُ غَطْرِيفُ اليمينِ

لما تجاذبتِ الآمالُ الداعيةَ للنفسِ إلى حُبِّ الوطنِ.

قانعاً بأحسنِ الراحتينِ، وإن عدتُ بخُفِّي حُنَيْنِ.

وإن مِن أضعفِ ما مرَّ بي شَماتةُ الحاسدِ والجاهلِ

فقلتُ لأملٍ غيرِ مستريحٍ: أنا بأنبائكِ شِقِّ وسَطِيحِ.

فدغ كلُّ لَوٍّ وعسى وليت، وتمسَّكُ بأذيالِ الهِمِّ تمسُّكُ الزَّوارِ بأستارِ البيتِ.

ولا تكن كمن أراق عَذْبَ الشرابِ، لَمَّا تراءى له لَمْعُ السَّرابِ.

فقال: شكر الله مسعاك، وجعل أبي وأمي فِداك.

الكرِيمُ يُعَرِّ وَيُخَدِّعُ، ولستُ بأوَّلِ ذي حِلْمٍ له العصا تُقَرِّعُ.

وتنْفِيسُ الأعمارِ ثمين، فإنه قد يَهْدِي لِعِلْمِ اليَمِينِ.

فمن انغمس في ماءِ حياته، طَهَّرَ من أحوادثِ شُبُهاتِهِ.

والعلمُ نعمةٌ من نشرها شكرها، ومن كتمها عن أهلها كفرها.

وكم من ذنبِ عقابِهِ فيه، وكم عبدٍ أبقَ من مَوالِيهِ.

ثم أب ملتفتاً بمُسْتَتِرِ ضميره، من غِيابَةِ غِيْبَتِهِ لحضورِهِ.

فُعْجٌ على سُدَّةِ مُخَصِّبَةِ للرُّوَادِ، وانزِلُ في ظلِّ كَرَمِها تظفِرُ بكلِّ مراد. [البسيط]

وقلِّمًا أمَلتُ عيناك من رجلٍ إلا ومعناه إن فَتَّشْتَ في لَقْبِهِ

فناهيك به من ملكٍ ينقاد له السعدُ والإسعاد، وتهوي الأفتدةُ طائعةً خاضعةً له

قبل الأجساد.

فَسُدَّتْهُ كعبَةُ الآمالِ ومَقْصِدُ الهِمِّ، فإذا حَجَّتْ لها الأمانِي تلاقَتْ في آمِنِ حَرَمِ.

عُمَرِيُّ الذَّاتِ والصفاتِ، فاروقِ حُكْمِهِ دِزْيَاقِ السُّمومِ والآفاتِ. [الطويل]

أرى الدهرَ إن يَنْبِطِشَ فَمِنْكَ يَمِينُهُ وإن تَبَسَّمَ الدُّنيا فأنْتَ لها تُغَرُّ

عَطَاءً ولا مَنْ وحكْمٌ ولا هوى وجِلْمٌ ولا عَجْزٌ وعِزٌّ ولا كِبَرُ

فمورده عذبٌ نَمِيرٌ، ونشره ونداه روضةٌ وغدير.

بشاشته الروضُ الأنيقُ، ورفيفُ الغصنِ الوريقُ.

وكم له سَجِيَّةٌ، وهِزَّةٌ أزيحيَّةٌ.

وثبات وقار خيم فيه الجلم والسداد، توذ الرأسيات أنها لخيامه أوتاد.
ومساواة أحساب وأنساب، تتحير فيها المعاني لمساواة الإيجاز والإطناب.
وطيب أصول وفروع زكي طيها ونشرها، قد فطمت عن النقائص بعد رضاع لبيان
المعالي فله ذرها.

رقيق حواشيه نسيج وخده، من الطراز الأول معلّم بزده.
نسخة مجده مقابلة الأصول، مئمنة الطراز بنتائج العقول.
فذلكة مناقب السلاطين، حامي حمى الحرمين جامع شمل الدين.
فإذا نزلت بي كربة سئمها القلب وملها، قلت: إن الذي عقد عُقدة المكاره
يُحسِن حلها، ولعلها أن تنجلي بهبوب رياح إقباله ولعلها. [الكامل]
ما قد قضي سيكون فاضطبرن له ولك الأمان من الذي لم يُقدر
وها أنا ذا أحمد في صباح الظفر السرى، وأنبه حظي من رقة الخمول لا سنة
الكرى.

بعد ما وقفت على حبه فوادي، ورثت في جامع أمانيه وظائف ودادي.
ولست لندى مُستميحاً، ولا لنيل نوال أهدي مديحاً.
فسكاب طبعي لا يُباع ولا يُعار، ولو نقدت له دراهم النجوم بكف الثريا فهو
خسر وبوار.

على مذهب أبي الطيب، في قوله: [الطويل]
وما رغبتني في عسجد أستفيده ولكنها في مفخر أستجده
ومذهب الطائي، حيث قال: [الطويل]
ومن خدّم الأقوام يرجو نوالهم فإني لم أخدّمك إلا لأخدّم
فالحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، بمن أقر لنا عين المني وأخذ لنا الثار من
الزمن.

تمت المقامة المسماة بعتاب الزمان، في سبب حجب بني الأعيان، حجب
جرمان ونقصان واستفتاء الكرام، في مشكل الليالي والأيام.

الفصول القصار

وهذه فصول فيها حكم ونصائح سميتها بالفصول القصار، في نتائج الأعمار.
منسوجة على منوال ابن المعتز في فصوله. وهي هذه:
إقدار الله العبد على حمده وشكر إحسانه، من جملة إنعامه على عبده وامتنانه.
شكر المنعم من الكرم، لأنه قري لضيف النعم.
ساعد زينته بسوار المنائح، حري بأن يمرر لك ضروع الشاء والمدائح.

من كان وارفَ الظلال، تَقِيلُ عنده القلوبُ والآمالُ .
 نِعْمَ بها الألسنُ تُقَرِّ، بها العيونُ والقلوبُ تُقَرِّ .
 رَبُّ مُوقِدِ نارٍ بها يحترق، ومحسِنِ للسَّبْحِ في اللُّجَّةِ غَرِقُ .
 خَلَّكَ أحلى من عسل غيرك .
 كم طَرِقَ دون هضاب، بلغت السماءَ وارتدَّتْ حُلَلُ السحاب .
 إذا ملكَ زار البلادَ ألبسها بُروداً من القَتامِ مَزْرُورَةً بالجِيادِ، مشدودةَ العُرَى بيدِ
 الحزْمِ والسَّدادِ .
 طَلَعَ البدرُ من إزارِهِ، ولم يعلَقِ الوِزرَ بأزرارِهِ .
 كيف ينجو من ظلمةِ الجهلِ المدلهمةِ، ويبغي نيلَ الفضلِ والحكمةِ، مَنْ كان
 مُقَعَدَ العزمِ عقيمَ الطَّلَبِ عَيْنِ الهِمَّةِ .
 فلانَ أخلَقَ الدهرُ قشيبَ ديباجتِهِ، وشربَ اليأسُ من ماءِ بشاشتِهِ .
 شجاعةُ الملوكِ الثَّباتِ، وشجاعةُ الجندِ إقدامٌ وثبات .
 أخلاقُ الخُلطاءِ، والعادةُ طبيعةٌ ثانية .
 الكَيْسُ يفتحُ الكَيْسَ، كما يكسرُ الدِّينُ الدِّينَ .
 في إغماضِ العينِ وإغمادِ اللسانِ عقابُ العقلاءِ، وبلسانِ السوطِ والسيفِ عتابُ
 السفهاءِ .

سَلْوَةُ الأَحزانِ، تسليماً مقاليدِ الأمورِ للدَّيَّانِ .
 وقد رَوينا في حديثِ حسنٍ: «الإيمانُ بالقَدْرِ يُذهِبُ الهَمَّ والحَزْنَ» .
 الشروعُ مُلْزِمٌ، ومن تطوَّعَ لزمه أن يُتَمَّ .
 المعالي تُملي المعاني بأفصحِ لسانِ، والنَّدَى يُنبِتُ الشكرَ في حدائقِ الأذهانِ .
 ذنُبُ الحرِّ إلى لِيالٍ مدَّتْ إليه يَدَها وساعَدَها، ذنُبُ صِدَارِ ثكلىٍ فقدتْ واحداً .
 كيف لا يَشُقُّ مطرٌ في سَفَرٍ، والسفرُ بنقطةِ سَفَرٍ .
 هل أنا في الأعمالِ السلطانيةِ الدَّارسِ رَسْمُها، إلا كالخمرِ نُسِختْ منافعُها وبقيَ
 خمارُها وإثمُها .
 أو الحالمِ رأى أنه خَرِيٌّ لثقلِ ما حملَ من العَيْنِ، فلما انتبَهَ وجدَ رَوْثَهُ ولم يجد
 لسواه أثراً ولا عَيْنَ .
 أو كداخِلِ بَعْرُوسٍ في المنامِ، لزمته في السَّحَرِ جَنابَةٌ وأجرةُ الحَمَّامِ .
 ما الربيعُ إلا حسناءٌ في حُلَّةِ خضراءِ فتحت يدُ الشَّمالِ أزرارَ زهورِها، لتشاهد
 عيونُ الأنوارِ من الغُدرانِ حُسْنَ ترائبِها وبياضَ صدورِها .
 الصديقُ والسَّكَنُ، من تأنَسَ به أنَسَ العَيْنُ بالوسنِ .
 شَتانَ بين من عنوانِ أخلاقِهِ يُصدِّقُ مخائِلَهُ، وصحيفةُ أحسابِهِ الصحيحةُ مُقابِلَةٌ،
 وبين لثيمٍ إذا نظرتَ إلى أحسابِهِ، فالطُّخْلُبُ أعرقُ من أنسابِهِ .

من أمثال العامة: حمار نزلت عنه لا تُبالِ بمن يركبه، وشهر لا خير لك فيه لا تعدّ أيامه.

قلت: [مخلع البسيط]

وكلُّ شهرٍ لا خيرَ فيه عدُّك أيامه جنونٌ
فلان لو تغنى لأهل الجحيم، لصارت نار إبراهيم.
كثرة الأتباع عزٌّ ومن يكن مفرداً يحقر، ولذا قال النحاة: إن الجمع لا يصغر.
ما كلُّ جُنْدَبٍ يُدعى لِحَيْسٍ، ولا كلُّ مُهاجرٍ مهاجر أم قيس.
إياك أن تطلب عزيز الوجود، فإن الجود بذل الموجود.
وضيفُ السقاء، إنما يُكرم بالماء.

وقد قيل: إن حمار القصار إن جاع شرب، وإن عطش شرب.
قال خليل لي: خليل قبيح مؤاجر، خير من مليح خلف الستائر.
وشتان بين درهم النقد، ودينار الوعد.

إذا اضطربت أمواج المقادير، لم تنفع سباحة رأي وتدبير.
فمن عارض تيارها بالسباحة، لم يصل لساحل سلامة ولا قرار راحة.
في الأثر: مداومة أكل اللحم عشيّة وغدوة، تُورث القلب غلظة وقسوة.
وفلان يأكل ليلاً من أيور الغلمان، ونهاراً بغيبة الإخوان.
انطلاق السن البرايا، جاسوس النوائب والمنايا.
احذر أيدي الدعاء، إذا قرغت أبواب السماء.

فلان مع بُخله شقيق إبليس اللعين، ﴿إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾ [الإسراء: ٢٧].

لكل قلب هوى، كما أن لكل داء دواء.

فما اعتلال نسيم الصبا، إلا لحب زهور الرّبا.
الغنى مسك لا يكتّم شذاه.

فلان اختضر، وأمسى له مع الملائكة شأن مستمر.
أسلمته ملائكة الموت لمنكر ونكير، وهما أديا أمانتهما إلى مائت خزان لسعير.
كتاب تنفس خطه عن بنفَسج البطاح، ولفظه عن رياحين الأرواح، ومعناه عن سرّ
الرّاح، في ضمائر الأقداح.

فلولا ذبوله بجس يد الدهر، وحلاوة ذوقه خلّتي منه نشوان بين روض ونهر.
إن دعت الضرورة إلى مدح غير ذي شرف، فللشعر بحور لا تكدرها الجيف.
إذا خلّت ضمائر الأكياس، خلّت من المسرة قلوب الأكياس.

إذا رفّت أهداب النبات واختلجت عيون الأزهار، بشرتنا بقدم نسمات الأسحار.
إن كان الإبط مزبلة الباطن، فاللسان مزبلة القلب.

كم أخليتُ فؤادَ القناني، فأخلتُ فؤادي من إخواني.
 لله كرمُ زمانٍ أقرضت أسحاره والآصال، هواجزه برّد النسيم على يد الشمال.
 إذا جُرّ ذيلُ الفناء على عالي القباب والبيوت، تساوت قصورُ الجنان وبيوتُ
 العنكبوت.

أنا في مفارقة من أريد وضحبة من لم أريد، كواجدٍ ما لا يشتهي ومُشتهٍ ما لم
 يجد.

أنعمُ ببارقِ رُعود، يتلوه وإبلُ جُود.
 فما لَمَع وأشرق، حتى اخضرَّ الأملُ وأوزق.
 كريم جعل الله طولَ عمره، كحياة ذكّره وشكره.
 وعُمَرَ أعاديته، كعمر مواعيدِ أياديه.

رطب عودَ الدهر بما له من الآثار، حتى كادت تجري الصخورُ والأحجار.
 لو همَّ الفلكُ برفعةٍ ماجدٍ في الأبد، ما قدّم الثورَ في منازلِهِ على الأسد.
 مَنْ باع الجزعَ بالاضطبار، فله على الزمن الاختيار.
 نُضحُ البليد، عناءً لا يُفيد. [المتقارب]

وصقلُ السيوفِ بلا جوهري يُبينُ من عَيْبِها ما خفي
 مَنْ قال: الشرُّ بالشرِّ يُطفأ، فكأنه عطرُ النارِ بالحلْفِ.

لا بد لكلِّ امرئٍ من صديق، وسالكُ باديةِ العمرِ لا يستغني عن الرفيق.
 الصديقُ شريكُ عِنان، في حالي السرورِ والأحزان. [المتقارب]

بقدرِ المَثوبة عند الرضا تكون العقوبة عند السخط
 من لم يعرف زمانه، عدّ الخمول زمانه.

ما سُمِّيَ الزمنُ زماناً إلا لأنه يقول لك أقعد، كم فرخ من بيضه يلد، وزماد بان
 خلف الجمرِ وقد وقَد.

ما أنصف الشيب من ستر وقاره، فسود وجهه وأطفأ أنواره.
 الدهرُ خضمُّ الدّ، وبلوغُ الأشدِّ البلاءُ الأشدّ.

أتبني بالأساسِ علوَّ الدار، وترقع الجيبُ بأذيال الإزار.
 الفحلُ البازل، لا يفزع من صوتِ الجلاجل.

والحوثُ لا يُهدد بالغرَق، والبحر لا يخاف من الشرق.
 ظنَّ المرءِ قطعةً من عقله، ومُخسِن الرّمي أدري بمواقع نبله.

السعدُ من غير دَوام نُحوس والضحكُ من غير سرورِ عُبوس.
 الشهمُ لا يجود للتقيّة، وقطعُ سهمِ المؤلفةِ شهرةٌ عمريّة.

من سلّم عِنانَ اختياره للتقدير، انقاد له الدهرُ بزمام التقدير، وصرف الدهر قد
 يُبدل الباء ميماً فيتحد التدبير والتدمير.

أنا في شَرَطِ الوفاء للإخوان، وهم في جَزْمِ جزائه بالهوان .
 كالواو والنون صانتا الاسمَ عن التكسير، فخصَّهما من بين حروفه بالنقص والتغيير .
 هدايا اللثام تجارة، وقبولها منهم خسارة .
 المعروف والصنعة، عند الأحرار وديعة .
 أولُ هِرَاشِ الخيل شمام، وأولُ الحربِ كلام .
 كما أن وُدَّ اللثام، مقدِّمةُ الخصام .
 أيادي الإحسان، تحلُّ عُقْدَ الأضغان .
 من الشَّمِثِ نُضْحُ غيرِ الأَكْفَاءِ، وربما كان أمرٌ من الداءِ الدواء .
 من الأمراضِ روائِحُ العقاقير لا شُرْبُ الدواء، وطولُ جلوسِ العُوَادِ والثَّقْلَاءِ .
 الحكماءُ الجُهَّال، رسلُ عَزْرَائِيلَ للاشتعجال .
 المَطْلُ طليعةُ جيشِ الحرمان، وسوءُ التدبيرِ كَمِينِ الخُسران .
 وسَّعَ اللُّهُ على الأيامِ حتى تقضيَ دينَ المكارمِ، وتنجزَ عِدَاتِ تكفُّلِ بها الدهرُ
 والكفيلُ غارِمِ .

الحرَّ إذا استدان جميلاً قضاها، فالسهمُ طار بَرِيشِ الطيورِ فأطعمها قَتْلَاهُ .
 ليس الصديقُ مَنْ إذا رآكَ قام، بل من إذا أَعَدَّكَ الحَظُّ أقام .
 مَنْ كان فصيحَ الشِّيمِ، بليغَ الكرمِ، أوجَزَ مقالَه، وأطنَّبَ أفعاله .
 طرفا البحرِ بَرٌّ، فهو كاسمِه بَرٌّ .

أنا من قوارِضِ اللومِ سليم، ولولا الصبرِ أخلَقَ الأديم .
 إذا فَرَّتِ الغزاةُ إلى كِنَاسِ المغارِبِ، ألقَتْ في سُرورِ البِطَاحِ مسكَ الغياهِبِ .
 مَنْ كان بغيرِ نفعِ في نفيسِ الملابسِ، كان كالصُّورِ المنقوشةِ في الكنائسِ .
 تُسَرُّ الفُجَّارُ، وتُسوءُ عقلاءُ الأبرارِ . [المنسرح]
 يا ساتراً للمشيبي إذ خَضِبَهُ هلا خَضِبَتِ الذُّبُولُ والخَدْبَةُ
 المحجوبُ مسجونٌ ذنبه وجوده، فحاجبه يأذن لمن يُريده ويحجُبُ من لا يُريده .
 ليس باتِّحادِ الاسماءِ، تتحد ذاتُ المُسمَى .
 فحمرَةُ الخدِّ جَمال، وحمرةُ العينِ اغتلال .
 قد يحتجِبُ الحُرُّ لِقَلَّةِ اليَسارِ، كما احتجِبَ البدرُ عند السُّرارِ . [المتقارب]
 وقد يُكْرَهُ الضيفُ لا ضِئَّةُ ولكن مخافةُ سوءِ القرى
 مَنْ كان دليله الغراب، رضيَ بالمنزلِ الخراب .
 ومن كان طبَّاحه الجعل، فلا يُسألُ عما أكل .
 من كان خيَّاطه الخنافس، كيف يكون حالُ الملابسِ .
 اعتبرِ باسمِ البشرِ، فإن أكثره شرٌّ .
 في التُّركِ غِنَى بلا مَنْ، والحِمِيَّةُ دواءُ بلا ثمن .

فصل

أتحفتني بثُحفةِ ابنِ جُرمُوزٍ وبثستِ التحفة، فهو أهون من صُرْطَةِ عَنزٍ بِالْجُحْفَةِ.
 فلو طحنتَ لي حبوبَ النجومِ الزاهرة، بِرَحا الأفلakِ الدائرة.
 وخبزتَ منها قرصَ الشمسِ وشويتَ لي جَدْيَ البرُوجِ وحَمَلَهَا، وقَرنتَ ثُوزَهَا،
 وفرشتَ ببساطِ كسرى منزلَهَا.
 لم أَجِبْ دعوتَكَ، ولم أَتَحَمَّلْ ثِقَلَكَ ورؤيتَكَ.
 الاغترارُ بفاكهةِ الحياةِ جَهالةٌ، وشبُّمُ زهرةِ الدنيا ضلالةٌ، فإن الزهرةَ سريعةُ
 الذُبُولِ، والفواكهةُ سريعةُ الاستحالةِ.

إذا تَمَشَّيخُ الصبِيِّ ضاع، واستعجَلَ الفِطامِ قبلَ الرِّضاعِ.
 لا يقومُ مُقَعَدُ الأيامِ، إلا بمساعدةِ أيادي الكرامِ.
 عنوانُ اللثيمِ خادمُه وصاحبُه، والعقربُ بوابُ الضَّبِّ وحاجبُه. [السريع]
 اعتبرِ الأرضَ بأسمائها واختبرِ الصاحبَ بالصاحبِ
 تعريفُ البخلِ عينُ اللثيمِ الواضعِ، لأنه الجامعُ المانعِ.
 مَنْ لي بجليلِ هَمَّةٍ أتركُ له كلَّ حقيرِ، وأصرفُ الناسَ به صَرْفَ الفلوسِ بالدنانيرِ.
 مضى السابقونَ إلى منازلِ العدمِ، فظن المتخلفونَ أن السَّبْقَ في مِضمارِ الكرمِ.
 ومن جرى وحده مغرورٌ، وكلَّ مَنْ يجري بالخلاءِ مَشْرورٌ.
 نَسَمَاتِ اللطفِ تفتحُ أبوابَ المُنَى بأيادي إحسانها، كما تفتحُ عيونَ الأزهارِ بلُطفِ
 الشمائلِ قبلَ أوانها.

الإلحاحُ في الأمورِ، ربحُ تجارةٍ لن تُبورِ.
 تَرَكَ الجماعةُ عُقوقٌ للمؤمنينِ، وقَطَعَ لرحمِ وصلةِ الدينِ.
 إذا نزلتَ أرضاً فلا تمدحُ زهرها، حتى تشمَّ رائحتها وعطرها.
 أنا في زمانِي يتيمٌ، حضر مائدةَ جَبَّارٍ لثيمِ.
 الجاهُ زكاةُ الشرفِ، ومَنْ أحسنَ لمن أساءَ إليه فقد انْتَصَفَ.
 مُقابلةٌ من لا تقاومه خَرَفٌ، ولولا مُقابلةُ القمرِ للشمسِ ما انكسَفَ.
 إذا جُنَّ أميرُكَ فتذكيره بالحجارةِ عَطَبٌ، وإن عبدَ النارِ فقدَّمْ له الحطبِ.

فصل

قالوا: الحركةُ بركةٌ، وهذا إذا رافقها السعدُ، وهداها رائدُ الجَدِّ.
 وإلا فهي حركةُ النشوانِ، وفَتَّالِ الحبالِ، وبني إسرائيلِ في التَّيِّهِ. [السريع]
 قالوا ارتحلُ تظفرُ بفضلِ المُنَى وأينما سافرتُ حَظِّي معي
 الكرمُ حبلُه رخيمٌ، والظلمُ مرتعُه وخيمٌ.

فصل

ماذا أقول لقوم اجتنوا مني ثمارَ مقالِ دانية القطاف، وقالوا في ظلالِ الرأفة والألطف.

فإذا عطف الدهرُ وهو لهم مُساعد، كنت لديهم ككفٍ بغير ساعد.

فحالي معهم في المَبَرَّة، كحال الناس والإبَرَّة. [الطويل]

كسَتْ قيصراً ثوبَ الجمالِ وتُبَّعاً وكسرى وباتت وهي عاريةً الجسمِ

وكنْتُ أعيبُ على الخُوَازِمِي قوله: [الطويل]

كفى حَزناً أن لا صديقٌ ولا أخٌ يُفيدُ غنىً إلا تداخَلَه كِبَرُ

فما نال فوق الثُوبِ مِثقالَ ذرَّةٍ صديقٌ ولا وافيٌ على عُشرِهِ اليُسْرُ

وما ذاك إلا رغبةٌ في وصالِهِ وإلا حِذارٌ أن يميلَ به الدهرُ

ظناً مني أنه يدل على خُبثِ الطَّويَّة، وفسادِ العقيدة والنِيَّة.

فإذا هو قد حلب الدهرَ أشطَرَه، وذاق بلسانِ التجربة حلوَه ومُرَّه، فله درُّه ما

أخبره.

فصل

رُبَّ معنى سارٍ، بلباسٍ آخر ضارٍ.

فهذا الرشيد رأى في منامه أنه قَلِعت جميعُ أسنانه فطلب لها مُعبراً. فقال: ترى

مصيبةً في جميعِ أهلك وموتِ أحبابك. فأمر بتزَعِ جميعِ أسنانه. واستدعى آخر، وقصَّ ذلك عليه، فقال:

عُمُرُ الخليفةِ أطالَ الله بقاءه، أطولُ من عمرِ كلِّ من يلوذُ به ويهواه.

فقال: املؤوا فاه ذُرّاً، وخلع عليه خلعاً أكسبته فخراً.

ولما جعلَ أحدَ أبنائه وهو طفلٌ وليَّ عهده، وفوضَ إليه الخلافةَ من بعده.

جلس للتهنئة، فقال له رجلٌ مهناً: أقر الله عين كلِّ عزيزٍ، بخلافه من لم يباغ

سَنَ التمييز.

فساءه ذلك. فقام أبو يوسف بعده مهناً وقال: الحمد لله الذي شرفنا بخليفة له

يُكْتَبُ عليه شيءٌ من الأوزار، ولم يتعبْ كُتَّابُ أعماله بليل ولا نهار.

فاكرمه وأدناه، وتهلَّلَ بالبشرِ مُخَيَّاه. وقال: هلا أحسنت إذا خاطبتني العبارة،

واحترست عما يكدر مشرب الشيارة. ألا ترى أن من قال لآخر: أطال الله عُمرَه،

أعجبه ذلك وسره.

ولو قال له: أذهب الله شبابك، وجعلك شيخاً متغير الهيئة والقوى، ساء ذلك.

وقال أبو الغيناء: لم أر أحسن أدباً من ابن أبي ذؤاد، كنت إذا انصرفت من عند

غيره، يقول: يا غلام، خُذ بيده. فإذا قمتُ من مجلسه، يقول: يا فتى، امضِ معه. فكان مما يعجبني من حُسن أدبه. وهكذا يحسن المعنى ويقبح كثيراً في المركبات والمفردات، كما ستراه إن شاء الله تعالى.

وقد اقتديتُ في ذكر أحوالي بابن الخطيب في «الإحاطة»، إذ ترجم نفسه في آخره. وقد أعجبني قوله في ذلك: لما فرغتُ من تأليفه التفتُّ إليه، فراقني منه صنوان دُرر، ومطلعُ غرر.

خلد مآثرهم بعد ذهاب أعيانهم، ونشر مفاخرهم بعد انطواء زمانهم. فنافستهم في افتتاح تلك الأبواب، وقنعت باجتماع الشمل معهم ولو في الكتاب، وحرصتُ على ألا أنال منهم قُرباً فجريت على عقبهم أدباً وحباً. كما قيل: ساقى القوم آخرهم شرباً. انتهى.

قوله: «قنعت باجتماع الشمل معهم ولو في الكتاب» معنى لطيف، قريب من قول الآخر: [الخفيف]

فاتني أن أرى الديار بطرفي فلعلي أرى الديار بسمعي

وقلت أنا في معناه: [الكامل]

ذهب الكرام وجلدتي الحزب الألى من قبل عهد القارظين تغبراً
فإذا دعا داعي الغرام لقربهم في ظل أنسٍ بالسرور تازراً
أرضى تلاقي ذكرنا مع ذكرهم في روض طرسٍ بالمعاني أثمرا

فصل

هذه ورقة من رياحين الألباب، طارت بأجنحة النسيم من وكر رياض الآداب. فأهدت لنا سنا نفحة ذكية، عرفتها من بين أصحابي وهزت معاطف الأريحية. فأعادت عليّ غصن شبابي فما كان أعطر تلك الصبا، وأندى معاطف قُضب تلك الرُّبَا.

فذكرنا بقديم العهود، من قديم علينا من الوفود. فأتى من سبأ اليأس نبأ، وحديث يحل بيد النشاط الحُبا. ونُقِّد بين يدي هذه الهمة السنية، مقامات نُسجت على منوال المقامات الحريرية. فمنها: مقامة الغربة، المُسماة بدفع الكربة، بسلوة الغربة.

مقامة الغربة

حدثنا الربيع بن زيّان، عن شقيق بن النعمان. قال: لما هزئتني أريحية الشباب، إلى اقتعاد سنام الأرض على غارب الاغتراب.

وقد أجدبت الأرض من كل ماجد، يجتني جنى المجد وتُجنى له ثمار المحامد.
وتعطلت من كريم تلتف عليه المحافل، وتسير في ظلال أعلامه الجحافل.
وتبدلت بأنسها وخشا، فلا ترى غير جائع يتجشأ.
أقسمت ببيت سالت ببطحائه أعناق المطايا، وثمل ركبائه بكأس السرى في
الغدايا والعشايا.
لأعتربن غربة قارظية يخفق منها قلب الخافقين، وتدبغ أديم الجسد على مر
الجديدين، وتُنسي صخرة السؤال عن حصين. وتُنسي غطفان، غربة سنان.
فقال لي خبير الأيام، الهجرة من سنن الكرام، كما فر موسى حين هم به القبط.
وقد كنت قرأت في بعض الأسفار، إذا أراد الله سعة رزق عبده حب له
الأسفار.

ورويت في حديث حسن، أنه ﷺ كان يحب الفأل الحسن.
فجزت السانح والبارح، والطائر الغادي والرائح.
حتى رأيت الصبح ائبلج، ومر بي طائر أغر من البلج.
فتمسكت بذيل الحزم، وصممت على العزم.

وقلت: [الطويل]

بقولك طه سافروا تغنموا لقد بدا لي فال في المطالب رابع
فما خط في رمل ولا طرق الحصا كأيدي جياذ في السراب سوابح
وجنبت الجياذ إلى المهاري، ولبست حلة دجا مزررة بالدراري.
مع صقور على متون أغوجيات وركاب، بأقدام أقدام ترف بين غرز وركاب.
على سفن ذؤود وزوارق، وسروج سوابح في بحار السراب غوارق.
فلم يزل يرفعنا الآل، بين رفاق صحب وآل.
على عيس ما لها غير النصب عقال، وظهور سوابح ما لها غير الكلال شكال.
حتى نزلنا على الخوزنق والسدير، وأنخنا مطايا العزم بين روضة وغدير.
فسألنا عن بيضة البلد، وطودها الذي له بسفحها أرفع سند.
فقالوا: هو النضر بن كنانة، المقرطس سهام آرائه من أعز كنانة.
شيخ لبس عمائم دهره الثلاث، فهي على هامة همته ثلاث.
من شجرة مورقة النسب، ثمرة بيانع ثمار الحسب.
جاهه عريض طويل، فائض على العدو والخليل.
وطيب شمائله في كل ناد انتشر، فغمة^(١) روضات تزدري الزهر، هينجها نضح
من نضح السحر.

(١) الفغمة: العبق. القاموس المحيط، مادة /فغم/.

فقلت: بَخَ بَخَ الجاهُ زكاة الشرف، ومن أحسن إلى من أساء إليه فقد انتصف.
ومن تردى بساطع الأنوار، واختبى بحياء الوقار، ولم يبق له ليل يصيح بجانبه
نهار، فالسعادة له شعارٌ ودثار.

فقالوا: إن فيه عينة أعرابية، ولوقة^(١) عنجوية، قد تُعزِد نفسه الأبيّة.
فقلت: مقاومة من لا تقدر عليه خرف، ولولا مقابلة البدر للشمس ما انكسف.
وإذا جنَّ أميرك فتذكيره بالحجارة عطب، وإن عبد النار فقدّم له الحطب.
وسأفيض له وعليّ أجمل رداً، وأذهب إليه في رُفقتي غداً.
فلما عطس الصباح، وشمته كل ذات جناح.
ورفعت ذكاء رأسها من مشرق الأنوار، فأشرق على عالم الكون والفساد لنشاهد
ما فيه من الأسرار.

أتيت داره، فرأيت بدوراً لها المنازل دارة.
دارٌ يسافر بها النظر، ويتسابق في محاسنها السمع والبصر.
داخلها بهوٌ وقصور، وسرادق لا يعرف كماله القصور.
في صدرها همام خلفه وسادة، أحدق به وجوه أعيان وسادة.
يتنفسون بأنفاس النعامي، بين أوراق ريحان وخزامي. [الخفيف]
قطفوا الحلم من شماریخ رضوى . وجنوا اللين من قنا الخيزران
حذاء بركة صفت كأخلاق أودائه، وعذبت عذوبة خدمه وندمائه.
لو أنصفوه لقاموا في مجالسه على الرؤوس قيام الظل في الماء
فقلت له: حياك الله وبياك، ولا زالت مشكاة أنسك مشرقة بمحياك.
فردّ التحية بأحسن منها وما ردّها، وأمدّها بطلاقة بشر كانت سلماً لكرامة أعدّها.
وحوله من حواشيه فئام، وأغصان غلمان يناديه قيام.
كأن على رؤوسهم الطير، يتهلل بشرهم بكل خير ومير.
في روض نادٍ مثير مورق، عليه مخائل جود جود مغدق.
فتجاذبنا أهداب الحديث، وأتى بنوادر حازت من كل تليد وحديث.
حتى فاض المقال إلى السؤال، عن الداعي لشد رحال الترحال.
فقلت: قحط الديار من الأغيان، وغتو الدهر وكلب الزمان.
وفقد كل جمل رقت شمائله، إن سألته تهلل حتى: [الطويل]
كأنك تُعطيه الذي أنت سائله

[البسيط]

إننا لفي زمن ترك القبيح به من أكثر الناس إحسان وإقبال

(١) اللوقة: المرة من لاق، ولاق عينه: ضربها. القاموس المحيط، مادة /لوق/.

[الطويل]

فلما صحَّ القلبُ وأقصر باطله وعُرِّيَ أفراسُ الصُّبا ورواجله
وقوَّضَ بنيانُ المكارمِ، وقَعَّقَ منه العُمْدُ والدَّعائمُ.
قلت: لم يقل الله: ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، إلا لنسير في مناكبها
إلى حَرَمِ الدِّينِ والدَّعَةِ.

وفي المثل: إذا ضربتم في الأرضِ أميالاً، وجدتم بِلالاً.
فدعا بالدواةِ والقلمِ، وأنعم بجزيل النعم.
حتى سدَّ طرقَ الآمالِ والمطالبِ، وملاً المنازلِ والحقائبِ. [الهزج]
فلو كانت له الدنيا لأعطاهما وما بآلى
فأغنى عن السؤالِ، وأراح الأمانِي والآمالِ.
ثم تأوَّه آهةَ الحزينِ، وأجاب نَفْثَةَ المصدورِ منه الحنينِ.
وقال: هذه نائبةٌ نابت، ومصيبةٌ عمَّت وما طابت.
وسيوفُ الله ما أزمَّت أفواهُ أعمادها، وخيلُ الله إذا قيل لها ازكبي يُركبُ سابقُ
جياذها.

وكم بين عُودين كَمِينُ نار، يُوري بالقذح ويبدو له أوار.
وقد يأتي من الأحرار، مَنْ يقول النار ولا العار.
إلا أن خوفَ المنيةِ، قد يدفع صدرَ الأمانةِ، وربما أطفأ نارَ الحميةِ.
أما ترى عمراً لما بارز علياً وجدلته شعوب، كشف سوءته ولبس عاراً شق عليه
الجيوب.

كما قال أبو فراس: [الطويل]

ولا خيرَ في ردِّ الردى بمساةٍ كما ردها يوماً بسوءته عنرو
وأصابه مرَّةً داءُ الدَّربِ، فاستناب عنه خارجه ففاجأته المنية لفضاءٍ وجب. كما
قال: [البيط]

وليتها إذ فدت عمراً بخارجةٍ فدت علياً بما شاءت من لبشر
وثالثة الأثافي ما في «الاستيعاب»، من أن بشر بن أظطة، وهو من أبطال لأصحاب.
كان مع معاوية بصفين، وعليه تدور رحا حربها كل حين.
فقال له: لو بارزت علياً، وسقيته كأس الحمام نلت مقاماً علياً.
وصار يعده ويُمنيه، ويدليه بحبل الغرور في قليب أمانيه.
حتى صرعه أبو تراب في تراب تزيته، ولم ينج منه إلا كما نجا عمرو بكشف
سوءته، فأعرض ضاحكاً من فضيحه.

وقال فيه الحارث بن النضر الشهمي: [الطويل]

أفي كل يوم فارسٍ ليس ينتهي وعورته وشط العجاجة بادية

يَكْفُ بِهَا عَنْهُ عَلِيٌّ سِنَانَهُ
 بَدَتْ أَمْسَ مِنْ عَمْرٍو فَقَتَعَ رَأْسَهُ
 فَقَوْلًا لِعَمْرٍو ثُمَّ بُسِرَ أَلَا انْظُرَا
 وَلَا تَحْمَدَا إِلَّا الْحَيَا وَخُصَاكُمَا
 وَلَوْلَاهُمَا لَمْ تَنْجُوا مِنْ سِنَانِهِ
 مَتَى تَلْقَيَا الْخَيْلَ الْمُشِيحَةَ صُبْحَةً
 وَكُونَا بَعِيدًا حَيْثُ لَا تَبْلُغَ الْقَنَا

فلما قصصت عليه القصص، سقاه ماءً بشرٍ يسبيج جريض^(١) الغصص.

ثم قال لي: لو حدثني بحديثك مع الشيخ النجدي بدار الندوة، وصعوده متوكتاً على عصا رأيه كل ربوة.

فقلت: هذا وقع فلتة وقانا الله خوف شرها، وقضى بليل من كيد طائفة وقع كيدها في نحرها.

رأي ظن أنه جديله المحكك، وعذيقه المرجب.

فلم يتيج له صواباً، فتصعد فيه وتصوب.

فسوّلت له نفسه كل أمر غريب، تارة يخطئ وتارة لا يصيب.

وغره سن علا، فنزل أسفل سافلين ولم يقل أنا ابن جلا.

فلما عزت منه الحيل، قلت: لله جنود منها العسل.

وهو إن أظهر العداوة فالقلب مع هواه، وهو حبيب تشفع له الود حتى ترضاه.

فلما خضنا لجة الحديث ووقفت الأقلام، على ساحل التمام.

قال لي: هات من هناتك، وأنشد لي ما قلته من أبياتك.

فأنشدته منها: [الطويل]

تدب ولا تدري بأني بها أذري

على نارٍ حقدٍ لا تنفي بها قدري

تعاهدتها أن لا تدب إلى الحشر

بكشفي سؤاتي لخلٍ سوى صبري

سبيل إلى غير السبيلين من شكر

أبو حسن والخارجيون من مصر

تري غصناً لذنأ على شاطئ النهر

بمعترك حامي الوطيس على بدر

رضيعاً بدر الوحي من محكم الذكر

عقارب منكم لا تزال لنا تسري

وتأكل لحماً لم يكن تم نضجه

وعندي نعل قد أعدت لمثلها

ولي همة لا ترتضي دفع شدة

كعمرو طليق السوءتين وما له

وما أزمته منه سيوف بها ارتدى

إذا اغتقلوا الخطي من فوق لامهم

أو الحية الرقشاء ألقث قشيبها

وما طلقاء الفتح مثل الذي اغتدى

(١) الجريض: الريق. القاموس المحيط، مادة / حرض /.

وليس يطيب العَرْفُ من ظَرْبانه
أبا حسن قد طَبَّتْ حَيًّا وميتاً
فما جدتْ طافتْ ملائكة الرُّضا
كمثلِ ضريحِ ليس يعرفه امرؤُ
فيا صاح لا تذكرْ أوابدَ معشرِ
وقل لابنِ هِنْدٍ من لسانِ مُهنِّدِ
ورِيحانةُ الزُّهراءِ قد فاح عَرْفُها
عليهم سلامُ الله ما طَبَّتْ على
فحبُّهم في منزلِ القلبِ جارُهم
ومن كان خيراً الخلقِ في مَلْجأ المُنَى
فلما ازتوى الحديثُ من أعذب المواردِ والمصادرِ، ورجع الحوارُ حارًّا الثَّوادرِ
باردَ البوادرِ.

قال: لا فضَّ الله فاك، ولا أقضُ في مهدِ الهنا مَثواك.
فقد تركتْ بُنيَّاتِ الطريقِ، وجلوتْ خرائدِ فكركِ في معرضِ أنيقِ.
ولم تنثرْ دُررَ المدامِ، إلا من دُرِّ مُودِعِ في صَدَفِ المسامِعِ.
وما أقصرَ الليلَ على الراقدِ، وأهونَ السُّقمِ على العائدِ.
وقد أصبتْ دارَ المُقامةِ، فأنتِ جارُ أبي دُوادِ بدارِ الكرامةِ.
فألزَمه لزومَ الطُّوقِ جيدِ الحمامةِ.
فأمالكُ لا تظماً بهذا المُقامِ، وكيف يظماً من كان جارَ الغمامِ. [الكامل]
ما بين عصرِ سابقِ مُتلفَتِ شوقاً إليك ولاحقِ يتطلع

فصل

في فوائد تتعلق بهذه المقامة

قوله: «سنام الأرض» هو خصيها، كما في «أساس البلاغة».
قوله: «غربة قارظية» إلى آخره.
كان ناس في الجاهلية تغربوا فققدوا، ولم يُسمع لهم بخبرِ.
منهم القارظي، خرج ليأتي بقرظِ الدباغة، فققد، وضرب به المثلِ.
ومنهم سنان بن حارثة العُظفاني، من بني مُرةِ.
وفي المثل: أضلُّ من سنان، ولا أفعل كذا حتى ترجع ضالَّة غطفانِ.
ولياه عني زهير بقوله: [الكامل]
إن الرزينة لا رزية مثلها ما تبتغي غطفان يوم أضلت

قوله: «أغرّ من البلج»، هو طائر يُتَيَّمَن به، يقال له بالفارسية هماي، وتمثاله: ظلّه، كذا في «الأساس».

قوله: «غرز» بغير معجمة وراء مهملة وزاي معجمة، هو للإبل كالركاب للخيل. قوله: «بيضة البلد» رئيسها.

قوله: «عمائم دهره الثلاث»: هي سواد شعر اللّمة والرأس، ثم اختلاطه بالبياض ثم بياضه كله.

قال: [الكامل]

يا مَنْ لشيخٍ قد تجرّد لحمه
سوداء حالكّة وسحقّ مفوفٍ
والموتُ يأتي بعد ذلك كله
وأفنى ثلاث عمائم ألوانا
وأجدّ لونا بعد ذاك هجانا
وكأنّما يعني بذاك سوانا

قوله: «ولم يبق له ليل يصيح» إلى آخره، هو حلّ لقول الفرزدق: [الكامل]

والشيبُ ينهضُ في السوادِ كأنه
ليلٌ يصيحُ بجانبيه نهارُ

قال ابن السّيد في «شرح أدب الكاتب»: الليلُ هنا بمعناه المعروف.

وقيل: الليل فرخ الكروان، والنهار: الحبارى، وهو وإن كان صحيحاً لغةً غير

مناسب هنا.

وهو مجاز؛ لأنه جعل الليل كمنهزم يضح خلفه من يهزمه، كما جعله الممتنبي

قتيلاً في قوله: [الطويل]

لقيتُ بدرِ القلّةِ الليلَ لقيّةً
شفّت كبدِي والليلُ فيه قتيلُ

وأحسن من قول ابن هانئ المغربي: [الطويل]

خليليُّ هُبّا فأنصراها على الدجى
كتائب حتى يهزمَ الليلَ هازمُ

وحتى نرى الجوزاء تنثر عقدها
وتسقط من كف الثريا الخواتمُ

وسهله سبق الشماخ في قوله: [الطويل]

ولاقت بأرجاء البسيطة أبلقاً
من الصبح لماً صاح بالليل نقرًا

قوله: «كأنما على رؤوسهم الطير»، تمثيل لسكونهم بمن على رأسه طائر يريد أن

يأخذه.

وقيل: إنهم شبّهوا بأصحاب نبيّ الله سليمان الذين كانوا معه يظلمهم الطير.

قوله: «لو أنصفوه لقاموا» إلى آخره، هو معنى بديع، من قول البخترى: [الكامل]

قل للإمام أبي محمد الرضا
قول امرئ أبلاء حُسن بلاء

من حول بزكتك الشهية سادة ال
علماء والفضلاء والرؤساء

لو أنصفوك وهم قيام أشبهت
أشخاصهم أمثالها في الماء

ومنه أخذ الأرجاني قوله:

هذا الزمانُ على ما فيه من كَدَرٍ
غديرَ ماءٍ تراءى في أسافله
فالرجلُ ينظرُ مرفوعاً أسافلها
قوله: «ولم تنثر دُرر المدامع، إلا من دُرّ مودع في صدف المسامع»، معنى
بديع، أصله قول الزمخشري يرثي شيخه أبا مَضَرَ: [الطويل]

وقائلة ما هذه الدرُّ التي
فقلتُ لها: الدرُّ الذي كان قد حشا
وتواردَ معه الأزرَّجاني في قوله: [الكامل]

لم يُبكِني إلا حديثُ فراقهم
هو ذلك الدرُّ الذي أودعتم
ومما قلته مما نسجته على هذا الميثال: [البيط]

لما أسرَّ به إليّ مُودعي
في مَسْمعي ألقيته من مَدْمعي
فمن حديثي به سل نَسمة السحر
أمن حياءٍ لما في الحي من غرر
حتى طلعتْ بزوض الأُسر في الزهر
ولما قلتُ هذا رأيتُ في شعر ابن اللَّبانة

أديراها على الروض المُندي
وكأسُ الراح تنظرُ عن حباب
وما غربتْ نجومُ الأفقِ لكن

وقد وقع مثله في الشعر الفارسي، إلا أنني لم أر أحداً من علماء الأدب بين وجه
لطافته، مع أنه من المعاني البديعة.

فلما أمنتُ النظر فيه رأيتُه مبنياً على تشبيه بليغ، أو استعارة؛ لأنه جعل ما سمعه
من أبي مَضَرَ دُرراً ذات نظمٍ فائق، وجعل ما جرى من دموعه أيضاً دُرّاً في نسقٍ
رائق.

وهو كثير في كلامهم، مشهور، إلا أنه بنى عليه ما صيره بديعاً مستغرباً، حيث
صير الدرُّ الذي كان مُودعاً في صدف الأذان، لرقته دمعاً جرى من العيون والأجفان،
وتصرف فيه تصرفاً آخر أخرجته من باب آخر، وهذا هو المحتاج للبيان.

فالظاهر أنه من قلب الأعيان الجوهريّة، كقلب عصا موسى حية، فلنسمه سحر
الشعراء وقلب أعيان المعاني.
ومنه قولِي في بعض الفتوحات العُمريّة:

فصل

لما أتى عمرَ كنوزِ كسرى وجواهر النوبهار، لم يَغْبَأُ بما فيها من زخارف الكفار، فكأن دُرَّها حَنٌّ لأوطانه فأتاه لأنه أعظمُ البحار، بل مدائحُه والثناء عليه في سائر الأقطار، صارت مُجَسِّمَةً فصيرَها نِثَاراً على خرائد الحصون والأمنصار، فتمثلت لتُقبَل تُرى أقدامه بتلك الديار: [البسيط]

مُخَلِّدٌ فخرها إذ تلك قد فنيث لا الدُرُّ درٌّ ولا الأحجار أحجارٌ
وفي معناه، ما قلت فيمن أهدى له سُبْحَةُ مَرْجَانٍ ودُرٌّ: [البسيط]
أخِيبٌ بسُبْحَةِ مَرْجَانٍ مُفْصَلَةٍ بالدُرِّ تَلِثُمُ بحرَ الجود أحياناً
كانت جواهرَ مدح فيك قد نُظِمَتْ والآن قد جُسِّمَتْ دُرّاً ومَرْجَاناً
كَيْما تُقبَلُ كَفّاً فيه بحرٌ ندى والحرُّ يشتاقُ بعد النأي أوطاناً
ومثله وقع في شعر فارسيّ.

المقامة الساسانية

حدَّثنا مالك بن دينار، عن مسافر بن يسار. قال: كنت والشباب غرابه لا يُطار، وثمراته الجنيّة تُجنى من رياض الأخبار، أهوى السّياحة والناسُ ناسٌ والديارُ ديار، والدهرُ غرٌّ لم يفطن لتلّون الليل والنهار. [الطويل]

ولم أر يوماً في ظلام مفارقي شهابَ مَسِيبٍ لاح في الإثر مُنْقَضاً
لقول الله: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١١]، أنظر آثارَ رحمته، وأرى مآثر
الطراز الأول في أعلام جلته.

فإن من جدّ وجد، ومن توائى فقد فقد.

رافعاً عصا التّسيار، على كاهل الاعتبار.

رافض الاستراحة في مهدي الدّعة، مُشيعاً قلباً فارق حبيباً ودّعه، فاطماً أملاً عن
دُرٍّ أنس ارتضعه. [م. الرمل]

طالما التفت إلى الضّب

ح له ساق بساق

ففي نِقابٍ ورداء

من لثامٍ وعناق

أضرب كُرّة الأرض بصولجان الهمة، لا أعباً بقامة غير قائمة وهمة همة.

أندرع بُردَ الليل، لأنه أخفى للويل.

وأشق أديمَ النهار للسير، ولم أقل ليس للعصا سير.

كهشيم ترفعه أعاصيرُ ريح تدور، وورق جفّ فآلوت به الصّبا والدّبور.

كأنني على غصنٍ بانهٍ خَصِلَ تُثْنِيهِ رِيحُ الصَّبَا هُنَا وَهُنَا .
أَوْ قَدَى فِي عِيُونِ الْبِلَادِ، أَوْ عَيْرٌ شَرُودَ تَزْمِيهِ الرَّوَابِي لِلوَهَادِ، أَوْ عَذْلٌ وَامِقٍ فِي
مَسَامِعِ صَبٍّ شَرِقَتْ بِمَاءِ الْوِدَادِ . [الطويل]

كأنني من الوَجْنَاءِ فِي مَتْنِ مَوْجَةٍ رَمَثْنِي بِحَارِّ مَا لَهْنٌ سَوَاحِلُ
حَتَّى أَتَيْتُ كُورَةَ خُرَاسَانَ، فَإِذَا بِهَا قَيْلٌ نَصَبَ عِرْضَهُ لِسَهَامِ الْهُوَانِ .
مَقْلُدًا فِي تَرْجِيحِ الْبَخْلِ مَذْهَبِ سَهْلِ بْنِ هَارُونَ، كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَهُ: ﴿وَمَنْ يُوقِ
شُحَّ نَفْسِهِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦] .

فَطَوَيْتُ حَدِيثَهُ عَلَى غَرِّهِ، وَأَتَيْتُهُ لِأَقْفِ عَلَى جَلِيَّةٍ أَمْرِهِ .
فَلَمَّا جُسْتُ خِلَالَ إِيوَانِهِ، قَرَأْتُ عَنَوَانَ حَالِهِ عَلَى وَجْهِهِ غُلْمَانِهِ .
وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لِمَنْ امْتَرَى أَخْلَافَ دَرَّتِهِ، وَشَبِعَ مِنْ خَلَّتِهِ وَحَمَضِهِ بِرُؤْيَا جَرَّتِهِ .
يَا هَذَا، صِنَاعَتُنَا وَاحِدَةٌ، لَوْ لَمْ تَدْرُجْ مِنْ عُشْكَ كَانَتْ الرَّاحَةُ فَائِدَةٌ .

أَلَمْ تَسْمَعْ نُضْحَ نَاصِحٍ، وَلَمْ تَرَّ زَجَرَ سَانِحٍ وَبَارِحٍ . [السريع]
قَالَ الْحَكِيمُ فِي قَدِيمِ الْعَهْدِ سَوَاءَ السُّلْطَانِ ثُمَّ الْمُكْدِي
كِلَاهِمَا يَطْلُبُ أَمْوَالَ الْوَرَى لَكِنْ ذَا بَقْهَرِهِ وَالْجُنْدِ
وَذَا بِالطَّافِ الدُّعَاءِ ضَارِعًا لِمَا يُرْجِيهِ بِمَخْضِ الزَّبْدِ
فَلَمَّا رَأَى الْيَأْسَ أَغْلَقَ بَابَ الرَّجَاءِ، وَسَدَّهُ سَدًّا ابْنَ بَيْضٍ بِنَاقَتِهِ مَسَالِكَ الْأَرْجَاءِ .
[الوافر]

أَتَى بِجُفَيْنَةٍ لَا خَيْرَ فِيهَا فَأَجْلَسَهَا بِمَائِدَةِ الْكَلَامِ
ثُمَّ قَالَ لِي: أَيُّ الْبِلَادِ تُهْدِي سَلَامَهَا، وَأَيُّ زَهْرَةٍ تَحِيَّةٍ فَتَحَتْ لَكَ النِّسْمَاتُ
أَكْمَامَهَا .

قُلْتُ: الْكِنَانَةُ الْمُعْزِيَّةُ، وَالخَطَّةُ الَّتِي هِيَ فِي حَضَانَةِ نَيْلِهَا مَحْمِيَّةُ .
رِيَاضُهَا تَحِيًّا بِأَنْهَارِهِ، وَأَصَابِعُهُ تَشِيرُ لِكُنُوزِ خِضْبٍ تُسْتَخْرَجُ مِنْ مَعَادِنِ أَقْطَارِهِ .
إِلَّا أَنَّ أَصَابِعَ النَّاسِ فِي الرَّاحَةِ وَالْأَيْدِي، وَفِي أَصَابِعِهِ أَيْدٍ وَرَاحَةٌ لِكُلِّ حَاضِرٍ
وَبَادِي .

فَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ حَالِي، فَفُؤَادِي بِهَا فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارَغَ مِنْ آمَالِي .
وَمَا حَالٌ وَرَدَّةٌ فَارَقَتْ نِسْمَاتِ الْقُبُولِ، فَحَدَاهَا الشُّمُومُ وَقَادَهَا الذَّبُولُ: [م. الرمل]
فَتَأْمَلُ كَيْفَ يَفْشَى مُقْلَةَ الْمَجْدِ نِعَاسُ

فَأَمَّا حَالُ سُكَّانِهَا، وَمَنْ أَلْقَى جِرَانَهُ بِأَغْطَانِهَا
فَقَدْ ذَهَبَ أَرْبَابُ الْهَمِّ الْعَالِيَةِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ يَفْتَخِرُ بِالرَّمَمِ الْبَالِيَةِ .
رُوحُ الشُّومِ، وَنَتِيجَةُ اللُّومِ، وَخَلِيفَةُ البُومِ .

وَبَعِينِ اللَّهِ مَا يَصْنَعُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَيَسْتُرُ الثَّوْبُ وَالْجِدَارُ .
وَمَا يَسْتَتِرُ فِي ضَمَانِ الْبُيُوتِ، وَإِنْ طَالَ التَّحْمُلُ وَالسُّكُوتُ .

فكم بكت السماء أرضاً فقدت حبيباً، وساعدتها سحبٌ انتحبت بها نحبياً.

[الوافر]

ولطمت الخدودَ بها برُوقٌ وشققت الرعودُ بها جيوباً

فقل لمن افتخر بالعظام: ما وراءك يا عصام؟ [المتقارب]

إذا ما افتخرت بفضل الجدودِ وما فيك شيءٌ يسرُّ النفوساً

فكل ما حواه كنيف الكرامِ فقد كان أمس طعاماً نفيساً

ولتغطف على هذا النسق، لبيان من بقي منهم طبق على طبق.

من أصناف لا تعد، وأجناس لا ترسم ولا تُحد.

كرعاع بني دززة بن ساسان، كلاب سلوقية تصيد منح كل جعد البنان.

من كل سائل بالإلحاح التحف، أو دار بمزمار ودف.

أو تغنى بأنكر الأصوات، فتهق إذ رأى شيطاناً يدعي الكرامات.

يقيم به المعتزلي، دليل إنكار الكرامة، ويقول: هل علي بعد هذا ملامة.

أو حامل راية وعلم، جعل القناعة علماً لسقوط الهمم.

ومنهم من كبر وتكسرت قواريره، وخبا نوره حين هبت أعاصيره.

وأعظمهم جزماً، وأقلهم ديناً وحزماً.

حُمُرٌ مُستنفرة، يقرؤون القرآن في بقاع مُستفدرة.

بين رهط لا يتدبرون ولا يستمعون، ولا يمثلون قول الله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ

فَأَسْتَمِعُوا لَهُمْ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

وتُجار رأس مالهم الإفلاس، يضربون الأحماس في الأسداس.

يُزكون كذبهم بالأيمان الفاجرة، فيربحون خسارة الدنيا والآخرة.

إن خاشنت أحدهم في تقاضيه، بادر بالحلف على دينه فيفضيه: [المتقارب]

يقول استمع حلفتي كاذباً إذا ما اضطررت وفي الحال ضيق

وهل من جناح على مسلم يُدافع بالله ما لا يُطيق

ورؤساء الفقهاء والكتّاب، الراضين من الغنيمة بالإياب.

وسعوا الأكمام وطولوا الذيول، ومشوا في ظلمات الجهل والعلم مصباح

العقول.

قباب عمائمهم على قبور الأجسام، دنيات منكوسة أهرقت الألباب والأفهام.

أثقل من الأمانة التي أبي حملها الجبال، من خوف سقوطها لم يذن منهم كاتب

الشمال.

حتى كاد لا يجد لإحصاء عمله سبيلاً، ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾

[الأحزاب: ٧٢].

اتخذوا سعة الأكمام، زنبيلاً للخزى والملام، وطول الذيول، مكانس لطرق الغلول.

إذا جلسوا يُلقون دروساً، رأيتَ عَنزَ الأخفش تُقابلُ ثيوساً.
 فيئدي ويُعيد ثم يقول: مَنْ يحلبُ التيسَ عليه يَبُولُ.
 فإذا كبر وتكسرت قواريرُهُ، هبَّت لتخريبِ الأوقافِ دَبورُهُ وأعاصيرُهُ.
 إذا صام عن الخبزِ أظَرَ بأكلِ أموالِها، وتهجَّدَ ببيعِ أحجارِها واستبَدَّ إليها.
 ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٨]، لا مَنْ كان
 ضَبَّ العَشِيَّاتِ وجِرْبَاءِ الظهائرِ.

وقُضَاةٌ بلغَ سَيْلُ الظلمِ بهم الزبى، وشرقت أفواهُ التلاعِ والرُّبا.
 من كلِّ منقوصٍ لا يظهرُ رفعُهُ، إذ رَقَّ دينُهُ وجفا طبعُهُ.
 أخولَ عقلُهُ يرى الواحدَ مع الرُّشا اثنين، ويبيعُ دينَهُ نسيئَةً بالدَّينِ.
 ويستفتي فرعونَ في قِسْمَةِ الأحياءِ قبلِ الأمواتِ، يحكي أبا جهلٍ علماً لو كان له
 بقليبِ بدرٍ عظامُ رُفاتِ.
 ويفوق قاضيَ مُعزِّ الدولة الملقبِ بفسوةِ الكلبِ في الهوانِ، وقد أحسن ابنُ
 شرفٍ في هجوهِ غايةِ الإحسانِ.

فقال: [المنسرح]

إنَّا إلى الله راجعون فقد هان على الله أهلُ ذا البلدِ
 وفسوةُ الكلبِ صار قاضيَنا فكيف لو كان ضُرْطَةُ الأسدِ
 فكم ركبَ بحرَ الأهوالِ، حتى وصل إلى ساحلِ الضلالِ.
 وأمعن السيرَ في تيهه فلم يجد للهداية طُرُقاً، والمُنْبِتُ لا أرضاً قطع ولا ظهراً
 أبقي.

وفقيهٍ تحت إبطه أجزاء رثَّةٌ بها أظفر الجُرذَانِ، وتغشَّت العُثَّةُ أعمى العينِ
 والجَنانِ، وأبازيرُ^(١) العمى شَمُّ الصَّنَانِ.

له أوراقٌ تفرقت أيدي سِبا برأً وبحراً، ومُتِنٌ صُنانه سَمَاه تَأبَطُ شراً.

لثيمٌ إذا شبع من النعمِ، بات غرثاناً من الكرمِ.

فهو ينادي، بكل حيٍ ونادي: [الخفيف]

هي كُتبي فليس تصلح من بغدي لغير العطار والإشكاف

هي إما مزاودٌ للعقاييرِ وإما بطائنٌ للخفاف

وقد فقد العلمُ لولا نفحةُ أنسٍ من نقرِ بقايا، فتح الله بهم خزائنَ كنوزِ هي خبايا
 في الزوايا.

من كلِّ نفيِّ العِرضِ أبيضِ السجايا، إذا تدنست الأعراضُ فأعراضهم من العارِ
 عرايا. [البسيط]

(١) الأبازير: توابل لتطيب الطعام. القاموس المحيط، مادة /برز/.

أبدت مآثرهم نَقَصَ الزمان ففي خد الربيع طلوع الورد من خجل
حمت شوكتهم رياضاً في ربا الدين العوالي، وأحيا الله بأنفاسهم العيسوية موات
المعالي.

ولما شرح الله بهم صدر الدين، وفتح ببصائرهم عين اليقين، أيدهم بأبناء
الأعيان من أمرائها، فقالت الخلافة تحت أفياء لوائها.
حتى حمّوهم من نوائب الحتوف، وزهت جنة مئواهم تحت ظلال السيوف.
فصارت بهم الأطراف، من منازله منازل الأشراف.

ولهذا يشير البديع، بقوله في معنى بديع: [الخفيف]

قيل لي لِمَ جلست في طرف القو م وأنت البديع رب القوافي
قلت أترته لأن المناديل ل يرى طرزها على الأطراف
وكفاني من المفاجر أني نازل في منازل الأشراف
فأووا من ذلك الظل لركن مُعتمداً، ونزلوا فيه بين العلياء والسند.
متعنا الله بهذه الدولة وجعلها أطول الدول عمراً، وأرفعها مناراً وأعظمها قدراً.
سماء مجدهم مكللة بنجوم تهتدي بها الأمانى، ويستقر رجاء كل قلب عاني.
والدهر لسعدهم من الخدم، وقيض أياديهم يُغني عن الدائم، وسخبهم مُغدقة
على الرّاجين بالكرم. [الخفيف]

قلت للبرق إذ تآلق فيها يا زناد السماء من أوراكا
إن تشبّهت بالكرام وما قد كان من جودهم فليست هناكا
ومذ عبي لسان بزقهم الخلب وقال: لا خلافة، وكلت ذهم الأقلام من المشي
في الكتابة.

شكرت مشيها على الرؤوس، وقلت: لا عطر بعد عروس.
فقد جف القلم، وكل شيء بلغ الحد انتهى وتم.

مقامة عارضت بها مقامة الوطواط

وهي هذه:

حدثنا مبارك بن سعد العشيرة، وكان حسن السيرة سليم السريرة.
قال: لما هزئتني الأريحية، ودعتني دواعي الهمم والحمية.
إلى تقلد صوارم الأعمال، وجّهت وجه الطلب إلى قبلة الآمال.
سدة الوزارة، ومسنّد ظهور الصدارة.
فأتيت المآرب من بابها، وقبّلت الحجر المكرّم من أعتابها.
فلم أجد المقاليد، بيد حرّ رشيد.

فزاغ البصر، وقال: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ [القيامة: ١١]. [البسيط]

من آلة الدَّسْتِ ما عند الوزير سَوَى تخريك لِخَيْتِه في حال إيماءٍ
فهو الوزيرُ ولا أزرُّ يُشَدُّ به مثل العروضِ له بحرٌ بلا ماءٍ
ثم حَلَّت عُقْدَةٌ من لساني، ومددتُ جبلَ بياني.

قائلاً: لِمَ لم تُؤدِّ الأماناتِ إلى أهاليها، وتزِمِ سهامِ الأغراضِ نحو مراميها.
ألم تدرِ أن زوالَ الدُّولِ، باضطِناحِ السُّفْلِ.
هلاً ولَّيت قارَّها، من تولى حازها.

فاعتذر بإبرامِ الشفيع، ودَعَوَى استحقاقِ من قلده الصَّنيع.

وإن كانوا أنعاماً بلا أذنان، لم يُعرف أنهم من الناسِ حتى علاهم الثَّراب.

[الخفيف]

وَمِنَ الجَدِّ كيمياءٍ إذا ما مَسَّ كلباً أحالَه إنسانا
ثم احتجَّ في المحافلِ لمن قدَّمه من الأراذلِ، بأن قَصَبَ السُّكَّرَ أحلاه كعوبِ
الأسافلِ.

وما على المُخسِنين من سَبِيلِ، قلت: لابسُ ثوبي زورٍ مكشوفِ السبيلِ.
وما مثلي ومثلك إلا كمثلِ فاتكِ أميرِ الحَرَمِ، والنعمانِ هاتكِ الحَرَمِ.
لجمعه بين الرجالِ والنساءِ، في عكاظِ الفجورِ صباحاً ومساءً.
فلما سمع ما وشوا به أحضره، ونفاه بعد ما هدده وزجره.
فذهب لوادي الأراكِ، وأقام ملياً هناك.

ثم أتى لزيارةِ البيتِ والمَقامِ، فلقِيَ من كان يرضع معه ثدي المُدَّامِ.
فتذاكر مع ذلك النديمِ، عهدَ أنسِهِ القديمِ.

ثم قال: إن أردتَ أعدتُها جَدَعَةٌ بدرهمينِ، في أحسنِ نزهةٍ وقرّةِ عينِ.
كما قلت: [الكامل]

يا صاحِ قد زار الربيعُ فقمِ إلى صَفِّو المُدَّامِ ونزهةِ الأَبصارِ
فلقد دَعَاكَ إلى الرياضِ وطيبها سَجَعُ البلابِلِ دَعْوَةَ الأسحارِ

فاستحسن ذلك المَقالِ، وأجاب دعوةَ اللهِ في الحالِ.

مُقيماً لسوقِ الفُسوقِ، قائلاً: من فُرِصِ اللصوصِ ضجَّةُ السوقِ.

فأعلِم به الأميرُ ثانياً، فحملَه على الأذمِ بخلاخيلِ الرجالِ حالياً.
وأبرق له وأزعد، وأنذرَه صواعقَ عقابه الأشدِّ.

فأنكر وطلب منه بيّنة، أو حُجَّةَ على ما قالوا بيّنة.

وقال: الإنكارِ، من حُصونِ الفُجَّارِ.

ثم قال قائلٌ للأميرِ: أرسِلِ بواديه الحميرِ.

فإن أتت داره، لم تسمع إنكاره.

فلما أسمعوا ذلك فاتكأ، تبسم ثغر القبول ضاحكاً.
فقلت للوزير: قبول هذه الشفاعة كقبول الأمير شهادة الحمير، فترك دقيق الآراء
لرأي فطير.

وأراق ماء سيقائه لما رأى السراب، وأطفأ السراج لما رأى بوارق السحاب.
ومن كان كذلك لا أقبل له عملاً، ولا أوجه نحو سُدَّته أملاً.
فقد استراح الأمل، وملّ اليأس من الممل.
ونام العمل في مهدي البطالة، واهتدى ساري الطلب بالضلالة. [البسيط]
لا خيل عندك تُهديها ولا مال . فليُسعدِ النطق إن لم يُسعدِ الحال
وهذا مما نسجته على منوال رسالة رشيد الدين محمد بن محمد العمري،
المعروف بالوطواط التي عملها لكاتب كان يزاحمه في أدائه ودوائه. وهي هذه:
عدلتني أدام الله بهجتك، وحرس مهجتك.
على اعتكافي في الزاوية، والتحافي بالعافية.
وقلت: لم تركت الأعمال وفوائدها، والأشغال وعوائدها.
فاعلم أدام الله سعادتك، وزين بالكرم عادتك، أني ما طلقت منافع الديوان، ولا
ودعت مجامع الإخوان.

إلا هرباً من إلحافك في الاستماحة، وضجراً من إشرافك في الوقاحة.
كم أصبر على نهيك دواتي وقلمي، واستهزائك بحاشيتي وخدمتي.
أيها الكاتب، أين دواتك وقلمك، بل أيها الغاصب أين حياؤك وكرمك.
لا شيء أقبح من ذي صناعة لا تكون معه أداته، ولا خزي أفضح من ذي كتابة
لا يصحبه قلمه ودوائه.

سمعت فيما بلغني من النوادر المطربة، والحكايات المضحكة.
أنه كان بنيسابور مكار يعرف بأبي سعيد المعتوه، كثير الجنون، قليل السكون.
يغضب من الذباب إذ يطير، ويضجر من الشرار المستطير.
وله حمار كحمار قبان بل أضعف قوة، وأنحف بنية.
أضناه مس الآفات، وأفناه قطع المسافات.
لم يبق من لحمه إلا اليسير، ومن عظمه إلا الكسير.
فاتفق أنه أكثرى حماره هذا بعض التجار القاسية قلوبهم، والفاشية عيوبهم إلى
بغداد.

وحمله من أصناف بضائعه، وأنواع بدائعه.
جملًا ثقیلاً تفرق الجمال من ثقله، وتشفق الجبال من حمليه.
ثم علق على أحد جانبيه مطهرة مملوءة بالماء، ومن الجانب الآخر سفرة محشوة
بالخبز والحلواء.

وألقى عليه فزوة ولبادة، وحشيئة ووسادة.
ولا تسأل عن القدر والمعرفة، والفأس والمجرقة.
والنخ الذي يفرشه إذا نام، والخف الذي يلبسه إذا قام.
وغير ذلك مما يحتاج إليه التاجر لمرمة أحواله، ويفتقر إليه المسافر في جلّه
وترحاله.

ثم بعد هذا كله استوى التاجر عليه، وأدلى منه رجله.
كأنه أصاب ملك تفلّيس، أو استوى على عرش بلقيس.
والحمار تحت هذه الأثقال لا يمكنه السير، ولا يُزجى منه الخير.
إذا ضرب ضرط، وإذا حرك سقط.
والمكاريبي يبكي طول الطريق دما، ويتنفس الصعداء ندما.
ويقاسي من وغاء السفر، ولأواء الخطر.
وجور المكثري وجفائه، وتكدر العيش بعد صفائه.
ما يطيل العنا، ويزيل الهنا.
إلى أن وصل بمهجة الحزينة، وحشاشته المسكينة.
بعد اللتيا والتي إلى بغداد، دخلها وقت السحر.
وطلب محلة يسكنها طوائف التجار، وينزلها الواردون من الأقطار.
تخط فيها الرّحال، وتطرح الأحمال.
وشدّ الحمار، ونفض عن عطفه الغبار.
وتوضأ في الساعة، وصلى مع الجماعة.
وما أزعج المهوف في الصلوات، وأحرص المظلوم على الدعوات.
فلما فرغ من صلاته ودعائه، وهدأ من تضرّعه وبكائه.
وهم بالخروج من المسجد سمع صيحة هائلة من ناحية درب المحلة كادت تشعّط
لهولها الجيوب، وتنشق من فزعها القلوب.
فعمد إلى الدرب ليسأل عن المهم، والأمر المليم.
فإذا المحتسب عند باب الدرب بدريته، وصاحب الشرطة لايس ثوب شرته.
والعامة أكثر من أن يحصى عددهم، والنظارة أزيد من أن يستقصى مددهم.
فقال المكاريبي: ماذا حدث؟ فقالوا: في هذه المحلة تاجر قد أخذ البارحة مع
غلام للخطيب، كالغصن الرطيب.
يشرب المدام، وينيك الغلام.
وانتزعوا التاجر من داره، واستخرجوه من وجاره^(١).

(١) الوجار: جحر الضبع. القاموس المحيط، مادة /وجر/.

وتضاعفت عليه الصفعات المعمية، والجلدات المذمية.
 وسوداً مَحْيَاه، وطلبوا حماراً يُركبونه إِيَّاه.
 لِيُطَاف به حول البلدة، للنكال والعبرة.
 وكان حِمار المُكَارِي بِمَرَأَى من عيون العامة فتعادوا إليه، وأجلسوا التاجر عليه.
 والمُكَارِي يَغْدُو ويصيح حيث لا ينفع الصياح.
 وقامت القيامة في السوق، واللعن على أهل الفسوق.
 والعامة يزُمون التاجر بالبغرة، وَيُشِيعُونه بالثغرة.
 إلى أن طيف به في جميع محال البلد، والبلد بلد بغداد.
 فلما حان وقت المساء، وأنسدل سُجْفُ الظلماء.
 خُلِّي عن التاجر ورُدَّ الحِمار إلى المُكَارِي، ساغِباً لاغِباً، جائعاً.
 يكاد يُسَلِّمه الطوى، إلى التوى.
 ويسوقه الصدى، إلى الردى.
 فأخذه المُكَارِي أَخَذَ المُتَرَحِّمَ ومدَّ أذنيه، ومسح عينيه، وقرأ فاتحة الكتاب وتفل عليه.

وزاد في علفه، خوفاً من تلفه.
 وبات تلك الليلة كما قال النابغة: [الطويل]
 فبثُّ كَأَنِّي ساورثني ضئيلةً من الرُقشِ في أنيابها السَّمِّ نافع
 فلم يفرغ سحابة الليل، من الحَرَبِ والويل.
 فلما نعر ديك الصباح وصاح، وزهر كوكب الصباح ولاح.
 قام المُكَارِي من مَهَجِهِ، ووثب من مَضَجِهِ.
 وكاد يشتغل بالوضوء، إذ قرعت سمعه صيحة أشد من الصيحة الأمسية.
 فترك الوضوء وأسرع إلى الدرب ليُفتش عن الأمر الحادث، والخطب الكارث.
 فإذا المحتسب بالباب، وصاحب الشرطة كاشر الأنياب.
 والعامة أشد هجمة وأكثر وجمة، مما كانوا بالأمس.
 فقال المُكَارِي: ماذا وقع؟ قالوا: ذلك التاجر أخذ كَرَّةً أخرى مع غلامٍ للقاضي،
 كالسيف الماضي. يشرب القهوة، ويصعد الجهوة.
 فقال المُكَارِي: إنا لله وإنا إليه راجعون قطع الله أثره، وأزال خيرَه، ورزقنا جاراً
 غيره.

ثم عدا إلى حماره، ليواريه في بيت جاره.
 فسبقه بعض العامة إليه، وأجلسوا التاجر عليه.
 فسق المُكَارِي جيبه، ولطم وجهه، وشج رأسه.
 وتمرغ في التراب، من فرط الحزن والاكتئاب.

وقال: لا مرحباً بهذه السفرة المنحوسة، والحركة المعكوسة.
 فما أشدَّ عَجْمَهَا للعود، وأبعد نَجْمَهَا عن السُّعود.
 وكان على هذه الصفة إلى أن مدَّ الليل رُواقه، وضرب الظلام طراقه.
 فخلَّى عن التاجر، ورُدَّ الحمار إلى المُكاري.
 وقد تمزَّق إهابه، واسترخت أعصابه.
 وصار لا يقدر على الجراك، وأنى وقد أنشبت به أظفار الهلاك.
 فأخذهُ المُكاري كالمجنون، ونَحَى بَرْدَعَتَهُ وإكافه، ومرَّخ أعضاءه وأطرافه.
 وسقاه الماء، وترك بين يديه الإناء.
 وكان من صدر الليل إلى عَجْزِهِ مُسْتَلَب القَرار، في مُداوِة الحمار.
 فلما انتشرت أعلامُ الضوء في أقطارِ الجوّ، أصاب أذنه صيحةٌ أهولُ من
 الصيحتين الأوليين.
 فوثب من مَرَقِدِهِ ليتفحص عن الحال، والداءِ العُضال.
 فإذا المحتسب عند الدَّزب، وصاحبُ الشرطة مُشْمِر للضرب.
 والعامّة مجتمعة، والأصوات مرتفعة.
 فقال المُكاري: ماذا طرى؟ قالوا: ذلك التاجر أخذ كَرَّةً ثالثة مع غلام للرئيس،
 كالذُّرِّ النفيس. يشرب الخمر، ويفعل ذلك الأمر.
 فقال المُكاري: استأصل الله شأفته، ودفع عنا آفته.
 وقفز إليه، وعضَّ الأثملة عليه.
 وأخذ بإحدى يديه قلبه، ولكمه بالأخرى لكمةً ضغضعت أركانه، وقَعَقَعَت أسنانه.
 وقال بقلب حنق، وصوتٍ مختنق:
 يا خبيثَ الفرج، إن كنت لا تتوب من هذه الحالة القبيحة، ولا ترجع عن هذه
 الخصلة الشنيعة الفضيحة.
 فاشتر حماراً تركبه أوقات النكال، وساعة الوبال، في هذه الأفعال.
 فقد أهلكت حماري، وأزلت قراري.
 فها أنا أقول لسيدنا قولَ المُكاري للتاجر الفاجر:
 إن كنت كاتبَ المُلك فهنيء الطرس والنفس، وإلا فالزم البيت والغرس.
 فقد أفسدت دواتي وقلمي، وأطلت عنائي واليمي.

المتامة المغربية

حدثنا مؤنس عن زعيم ثونس، بأحاديث تُسلي الكئيب وتونس.
 وتهزأ بالمقامة المغربية، وتدعها لا شرقية ولا غربية.

لركاكة مَبَانِيهَا، وَغُؤُورٍ مَعِينٍ مَعَانِيهَا.
 فمنها قوله: تعاطينا كأس المُنَافِثَةِ، وَقَدَخْنَا زَنْدَ المُبَاحِثَةِ.
 كقولِي: نازغناه كأسَ الحِوَارِ، فأسكرتنا بلا صُداغٍ ولا خُمَارِ، وَقَدَخْنَا زَنْدَ
 الأفكارِ، فأضاءت أنوارها بغير نار.
 وظننا أن الفضلَ والأدبَ المُعْجِبَ، شالَتْ نَعَامَتُهُ وطارت به عَنقَاءُ مُغْرِبِ،
 وَحَنَظَلَةُ بنِ صَفْوَانَ لم يُرَ له عِقَابٌ عَزَمَ مُنْجِبِ.
 وشمسُ الهدى طَلَعَتْ من مغَارِبِهَا، وِبَابِ التُّوبَةِ أُغْلِقُ وَقَدْ ضَاعَتْ مَفَاتِيحُ
 مَطَالِبِهَا.

حتى لاحت من جانب الغرب قافلة، وفيها فتية لباب التوبة غير قافلة.
 صدقت حديث: لا تزال طائفة من أهل الغرب، تُصَدِّرُ الرِّعَاءَ بعد ما اسْتَقَوْا بكل
 سِجَالٍ وَغَزْبِ.

وفيهم عيسى الجزري، أتى بكل وشي عبقري.
 إلا أنه لما أطال توهم الملل، فإنه كان كما يقال: [م. الرمل]
 كَلِمَا نَذَكَرُ شَيْئَا قَالِ أَمْلُوه عَلَيَا
 فلما بلغه تلك الأخبار، بادر إلى الاستعطاف والاعتذار.
 وكتب: دام سعد المولى في صعوده، وَجَدَّهُ في شَرْفِ سُعودِهِ.
 وشهابه في إشراق أضوائه، وَسَحَابُهُ في إِغْزَارِ أُنْوَانِهِ.
 وإن مما روى أبو سعيد الخُدري في الوصية بطالب العلم حديثه المشهور في
 بابِه، وأنتم أهله وأولى به.

ثم قال: [الطويل]
 عِيَاذًا بِصَفْوِ الحِلْمِ من كَدْرِ العَثْبِ
 لَقَدْ قَرَعَ الأَذَانَ مِنَا مُلِيمَةً
 مَقَالَةً أن العبد فرَّق جمعه
 فيا أيها البحر الخضمُّ ومَن غدا
 حَنَانًا ورفقاً بالخويدم إنه
 فإن أك قد قارفت ذنباً فذمتي
 فما زال ضوءً للشهاب مجلياً
 وحديث: «نضر الله امرء» لا يعزب عن ذكر المولى، وهو بتبليغ الواقد الغريب
 أحق وأولى.

ففهمت مقالة وقبلت عذره، وقلت: لله دره: [البسيط]
 تلك المكارم لاقعبان من لبنٍ شيبا بماء فصارا بعد أبوالا

ولو سمع الحريري قول شامة الشام، فيما أتى به في الغزب من الجنس التام.
ما حوِّقِل واستزَّج، وأنشد من قلبٍ مَوْجَعٍ : [م. الكامل]

سَلَّ الزمانُ عليَّ عَضْبَهُ لِيَرُوعَنِي وأَحَدُ غَزْبَهُ
: حذّه

واشْتَلَّ من جَفْنِي كِرا هُ مُراغِما وأَسال غَزْبَهُ
: مجرى الدَّمع

وأجالِني في الأفقِ أط وي شَرْقَه وأجوبُ غَزْبَهُ
: مغربه

فبكلِّ جَوْ طُلْعَةٍ في كلِّ يومٍ لي وغَزْبَهُ
: غروب

وكذا المُغْرَبُ شَخْصُهُ مُتَغْرَبٌ ونَواه غَزْبَهُ
: بَعِيدَة

وسياتي من معاني الغزب، ما تعلم أن بينه وبين هذا كما بين الشرق والغرب.

وأنه قنع من الكثير بقليل ما قلله، عملاً بالمثل: لم يحرم من فزْد له.

ولولا أن الحظَّ لَبى دعاءه، ومَرِي من أخلاف المُرَن أنواءه.

ما تهادته الرُّكبان، ولا شكر صنيعة صنَّعته الزمان.

ولكنَّ النظم والنثر توءمان، قد تراضعا بلبان، وتربَّيا في حضانة الحُسن والإحسان.

فإنهما ديوانُ العرب، الذي لم يزل يحفظ به الحسب والنسب.

وتؤثر به القبائح والمحاسن، وتُزفِر أهداب زِيحانه على ماءٍ غير آسن.

وله طبقاتٌ على مرِّ السنين، جاهلية ومُخضرمين وإسلاميين، وموثدين،

ومُحدثين متأخرين، لحقوا حَلَبَة المُجَلِّين والمُصلِّين، وكلهم استقوا بماء الكرم المعين.

ممن المكارم ضالته التي تُشَدُّ، والمحامد غنيمة تُجَبى له ممن أتهم وتجد، وله

يُكثُر بِنكها ذى قربى ولا بِحَقْلَد.

والآن قد اندرس النسب، وذبحت الدجاجة التي كانت تبيض الذهب.

والليالي التي كانت حبالى تُزجى ولادتها عقيم، ولا أرض مُنبته حتى يُزعى

الهشيم.

وقد صَمَّ النَّدا، وخرس الصدى.

ومن عرف ما بين الصحابة جزى، وذهب به دم الفاروق هدرًا.

ولم ير تناطح عُنزَيْن، إذ طُلَّ دمُ ذِي التُوَزين.

فمن يسمع شِكَاية الزمان، وقول بديع الزمان:

الخلقُ النَفِيسُ، لا يساعده الكيسُ.
 ولا قرابةً بين الذهبِ والأدبِ، وقد قامت الأيامُ بين جُمادَى ورجَبِ، فصارت
 كلها عجائبَ فلا يُسمَعُ من يقول لها عَجَبُ، وقالوا: إذا ظهر السببُ بطل العَجَبُ.
 وأنا أقول: إذا دام العَجَبُ، صار عينَ السَّببِ.
 ومن أتى بعد الطبقةِ العاليةِ، شربَ من عَيْنِ صافيةِ.
 واستعار منهم حُلَّ المَباني، والحَلِي شغَلُ أهله أن يُعار، وصاغ من نضارهم
 زُخْرُفَ المعاني فصار عِجْلاً له خُوار.
 وأغار عليهم فسبوا ما سبوا، وساق سائمةً قالت في كِناسِ الظُّبَا.
 ألم تسمع بقِصَّةِ الحاتِمِي مع أبي الطَّيِّبِ، وظلامَةِ أبي تمام التي تُمِيزُ الخبيثَ من
 الطَّيِّبِ.

ولله دَرُّ أبي إسحاق، فيما شَنَعَ به على السُّراقِ: [الكامل]
 قالوا تركتَ الشعرَ قلتُ ضرورةً بابُ الدواعي والبواعثِ مُغْلَقُ
 خلَّتِ الديارُ فلا كريمٌ يُرتجى منه النُّوالُ ولا مَليحٌ يُعشَقُ
 ومن العجائبِ أنه لا يُشترى ويُخانُ فيه مع الكسادِ ويُسرقُ
 على أنا نقول: إن خابتِ الظُّنونُ، ففي المثل: الحديثُ شُجونُ، والمطامعُ لا
 تَمَلُّ خائنةُ العيونُ.
 ولنا في الغيبِ آمالُ، لا تَمَلُّ الانتظارُ والسؤالُ.
 والسلام.

فصل

في بيان ما في هذه المقامة من الفوائد

قوله: «حنظلة بن صفوان» هو نبي الرُّسِّ، الذي أهلك عَنقَاءَ مُغْرِبِ، لما
 اختطفت الصُّبيانُ.
 قوله: «روى أبو سعيد الخُدْرِي» هو الصحابي المشهور، وما ذكر إشارةً إلى
 الحديث الذي رواه السُّلْفِي في «معجمه» مُسْنِداً لأبي سعيد الخُدْرِي، أنه قال: قال لنا
 رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ النَّاسَ لَكُمْ تَبَعٌ وَإِنَّهُ سَيَأْتِيكُمْ رِجَالٌ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ يَتَفَقَّهُونَ
 فَإِذَا أَتَوْكُمْ فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْراً». رواه عنه أبو هارون العَبْدِي، وقال: كنا إذا أتينا أبا
 سعيد الخُدْرِي، يقول لنا مرحباً بوصيةِ رسولِ اللهِ ﷺ، سَلُوا ما شئتم، انتهى.
 قوله: «شامة الشام»، هو صاحبنا أبو المعالي درويش محمد الطَّالُوتِي، أديب الشامِ.
 والأبيات المذكورة هي للحريري في «مقاماته»، أتى فيها بمعاني الغُربِ، وأظهر
 فيها اطلاعَهُ على اللغةِ، وهي قطرة من غَدِيرِ، وزهرة من روضِ نُضِيرِ.

عارضها صاحبنا الطَّالُوتِي بقصيدة أبدع فيها، وهي قوله: [الطويل]
 أمن رَسْمِ دَارِ كَادِ يُشْجِيكَ غَرْبُهُ
 نَزَحْتَ زَكِيَّ الدَّمْعِ إِذْ فَاضَ غَرْبُهُ
 عفا آيةُ نَسْجِ الشَّمَائِلِ وَالصَّبَا
 : مُوقِ العَيْنِ
 وَكُلُّ هَزِيمِ الوَدْقِ إِذْ فَاضَ غَرْبُهُ
 : ذَهَابُهُ وَمَجِيئُهُ
 به التَّوَهُُّ عَفَى شِطْرَهُ فَكَأَنَّهُ
 : مَحَلَّ الغُرُوبِ
 وَقَفْتُ بِهَا صَخْبِي أُسَائِلُ رَسْمَهُ
 بِحَاجَةِ صَبِّ طَالٍ بِالدَّارِ غَرْبُهُ
 : التَّمَادِي
 عَلَى طَلَلٍ يَحْكِي وَقُوفاً بِرَسْمِهِ
 عَلَى مِثْلِهَا وَالجَفْنُ يَذْرُفُ غَرْبُهُ
 : الدَّمْعِ
 أَقُولُ وَقَدْ أَرْسَى الفَنَا بِعِرَاصِهِ
 وَأَنْزَفَ أَهْلِيهِ البِعَادُ وَغَرْبُهُ
 : التَّوَى
 سَقَى رِبْعَكَ المَعْهُودَ رَيْعَانُ عَارِضِ
 يَسِيحُ عَلَى سُخْمِ الأَثَافِي غَرْبُهُ
 : دَرَرِهِ
 وَلَيْلِ كَيَوْمِ البَيْنِ مُلْقَى رُوقِهِ
 عَلِيٌّ وَقَدْ جَلَى الكَوَاكِبَ غَرْبُهُ
 : أَوَّلِهِ
 أُرَاعِي بِهِ زُهْرَ النُّجُومِ سَوَابِحاً
 بِبَحْرِ مِنَ الظُّلْمَاءِ قَدْ جَاشَ غَرْبُهُ
 : أَعَالِي المَاءِ
 يَرَاقِبُ طَرْفِي السَّائِرَاتِ كَأَنَّمَا
 لَطُولِ دَوَامِ نَيْطٍ بِالشُّهْبِ غَرْبُهُ
 : مَقْدَمِ العَيْنِ
 كَأَنَّ جَنَاحِي نَشْرَهُ قُصْرُ مَنَّهُمَا
 قَوَادِمُ حَتَّى مَا تَزَايِلُ غَرْبُهُ
 : التَّنْحِي
 ذَكَرْتُ بِهِ لُقْيَا الحَبِيبِ وَبَيْنَنَا
 أَهَاضِيبُ أَعْلَامِ الحِجَارِ وَغَرْبُهُ
 : شَجَرِهِ
 فَهَاجَ لِي التُّذْكَارُ نَارَ صَبَابَةٍ
 لَهَا الجَفْنُ أَضْحَى يَقْدِفُ الدَّمْعَ غَرْبُهُ
 : مَسِيلِ الدَّمْعِ
 إِلَى أَنْ نَضَا كَفُّ الصَّبَاحِ حُسَامَهُ
 وَأَغْمِدَ مِنْ سَيْفِ المَجْرَةِ غَرْبُهُ
 : حَذَهُ
 وَوَلَّتْ نَجُومُ اللَّيْلِ صَزَعَى كَأَنَّمَا
 أَرِيقُ عَلَيْهَا مِنْ فَمِ الكَاسِ غَرْبُهُ
 : خَمْرِهِ

وأقبل جيشُ الليلِ يغمد سيفه	بَنَحِرِ الدجى والليلُ يركُضُ غزْبُهُ
وزَمَزَمَ فوق الأيِّكِ قُمْرِيٌّ بَانَةٌ	: الفرس الكثير الجزي
فَهَبَّ يُدير الراحَ بدرٌ يزيِّنه	بروضِ كَفَاهِ عن ندى السُّحْبِ غزْبُهُ
من الرومِ خُوْطِيُّ القَوامِ بثَغْرِهِ	: يوم السَّقي
بخذُ أسيلٍ يجرح اللبَّ طرفه	إذا قام يجلوها على الشَّربِ غزْبُهُ
يُريك نَظِيمَ الدُّرِّ منه مُنضدا	: ساقه
فتى قد كساه الفضلُ ثوبَ بهائه	سلاسلُ راحِ يُبرئ السَّقْمَ غزْبُهُ
فيا مَنْ رقى هامَ المعالي وفكره	: سُلَاقَةُ الرِّيقِ
إليك أتتْ تَفْلِي الفِلا بدويَّةُ	وطرفِ كحِيلِ ينفثُ السحرَ غزْبُهُ
أرقُّ من الصهباءِ فاعجبْ بسببها	: عينه
إذا ما جرث في حَلْبَةِ الشعر لم يكُ الـ	كمنطقِ داودِ إذا صال غزْبُهُ
ولو عرضت يوماً لغَيْلانَ لم يكن	: الزُّبور
فدونكها لا زلتَ تسمو إلى العلا	إذا خَضَمَهُ قد شَنَّ بالفمِ غزْبُهُ ^(١)
وما غرَّدتْ وُزُقُ الحمائمِ بالضحي	: كثرة الرِّيقِ
	لدى البَحْثِ أمضى من شبا الليثِ غزْبُهُ
	: المدى
	ولم يُنضِبها طولُ المِسيرِ وغزْبُهُ
	: بَعْدَهُ
	وأعدبُ من ثَغْرِ حوى الشَّهدِ غزْبُهُ
	: منقَع الرِّيقِ
	كَمَيْتُ يُدانِيها وإن زاد غزْبُهُ
	: حِدَّة الجزي
	بأطلالِ مَيِّ يُغْرِقُ الجَفْنَ غزْبُهُ
	: أنْهالِ الدمعِ
	مدى الدهرِ ما صبَّ سقى الدارِ غزْبُهُ
	: الفَيْضَةُ من الدمعِ
	وأشرق وجهُ الكونِ وأنجابَ غزْبُهُ
	: المغرب

(١) شَنَّ: صبَّ الماء متفرقاً. القاموس المحيط، مادة /شئن/.

قوله: «لم يُحَرِّمَ من فُزِدَلَهُ»، هذا مثل يُضْرَبُ لمن طلب شيئاً لم يتيسَّر له، وقيل له: اقْتَع بما تيسَّر من القليل.

وأصله أن الضيفَ في زمن القَحْطِ يُؤْمَلُ أن مَنْ نزل عليه ينحرَ له، فيفصد ربُّ الدار راحلته، ويجعل الدمَ في المصارين، وتُشَوَى، وتُقَدَّم للضيف، ويقال: اقْتَع بهذا؛ فإني لا أقدر على أكثر منه.

وأصله فُصِدَ بضمِّ الفاء وكسر الصاد، فسُكُنَت للتخفيف، وحينئذ يجوز إبقاؤه على أصله، وإبدال صاده زايًا، أو يُشَم، وهي لغة فصيحة في الصاد، بشرط سكونها سكوناً أصلياً، أو عارضاً، كما هنا.

وفي كتب العربية أن هناك شرطاً ثانياً، وهو أن يكون بعدها دال، وبه قرئ في نحو: ﴿فَأَصْدَع﴾ [الحجر: ٩٤].

وفيه نظراً؛ لأنه قرئ به في ﴿صِرَاطٌ﴾ [الفاتحة: ٧]، ﴿بِمُصَيِّطٍ﴾ [الغاشية: ٢٢]، ولا دال فيه، فلعله شرط لما هو مُطْرَد مَقِيس.

قوله: «بنهكة ذي قربي ولا بحقلد»، هذا إشارة إلى قول زهير، في قصيدة له، أولها:

غَشِيَتْ الدِيَارَ بِالْبَقِيعِ فَتَهَمَدِ
ومنها: [الطويل]

إِذَا ابْتَدَرْتُ قَيْسُ بْنُ عَيْنَانَ غَايَةَ
سَبَقَتْ إِلَيْهَا كُلَّ طَلْقٍ مُبْرَزِ
كَفْضَلِ جَوَادِ الْخَيْلِ يَسْبِقُ عَفْوَهُ السُّدَّ
تَقِيٌّ نَقِيٌّ لَمْ يُكْثِرْ غَنِيمَةَ
سَيَوى رِبْعٍ لَمْ يَأْتِ فِيهَا مَخَانَةَ
دَوَارِسَ قَدْ أَقْوَيْنَ مِنْ أُمِّ مَغْبَدِ

ومعنى قوله: «تقي نقي» إلى آخره، أنه تقيٌّ في ذاته نقيٌّ في عرضه، لم يكثر مال الغنائم بجور وغارة على من يقرب منه من القبائل.

وقوله: «حقلد» بفتح الحاء المهملة والقاف وفتح اللام الشددة، ورواه أبو غبيدة بفاء بدل القاف، والمشهور الأول.

ومعناه: السئى الخلق، لا يؤمن شره.

والطُّلُق: السخي المطلق كفه بالعطايا.

وغير مُجَلَّد، أي يسبق من غير جلد بسوط، ولا زجر.

والتهكة: الجوز بما ينهك ويضعف.

والرَّبْع: جمع ربيعة، وهو من يُعْطَى ربع الغنيمة، كما كانوا يعطون الرئيس

الربع، أو هو مفرد بزنة خمس.

ومُتَهوِّد، بمعنى متخشع.

والمخانة: الخيانة، والظلم.

وبحَقْلَد، عطف على مُتَوَهَّم، أي ليس بمتكثِّر ولا بحَقْلَد، فهو معطوف على مجرور بباء زائدة متوَهَّم، كما ذهبوا إليه.

والمعنى أنه براء من النقص، ولم يكتفِ بما يغنمه ممن يُغير عليه، وينهكه، ويضعفه بأخذ ماله، وإنما يأخذ ما كانت الملوك تأخذه في الجاهلية.

ولك أن تقول: إنه معطوف على بنهكة، من غير تأويل بما قالوه، والمعنى أنه لم يكثر مال غنائه بجوره على أقربائه، ومن بجواره، ولا بأخلاقه السيئة من الشخ، وجوره على من بجواره.

فتدبَّر واختر لنفسك ما يحلو.

قوله: «الدجاجة التي كانت تبيض الذهب» تلميح لمثل عامي في قصة، وهو أن بعضهم كان يرسل لإنسان في كل سنة ذهباً، على هيئة بيضة، ثم قطعه عنه، فلما طلبه منه، قال له: الدجاجة التي كانت تبيض الذهب بغناها.

يُضْرَب لكل من طلب شيئاً بعد فوات زمنه.

ونظمه الثعالبي بقوله: [م. الكامل]

مَنْ كَانَ يَنْفَعُهُ الْأَدَبُ . . . وَيُجِئُهُ أَغْلَى الرُّتَبِ
فَلَقَدْ خَسِرْتُ عَلَيْهِ مَا . . . وَرُتَبٌ مِّنْ أُمَّ وَأَبِ
كَمْ ضَيْعَةٌ كَانَتْ تَصَوُّ . . . ن الْوَجْهَ عَنِ ذُلِّ الطَّلَبِ
أَثْلَفْتُهَا لَا فِي الْقِيَا . . . ن وَلَا هَوَى بِنْتِ الْعِنَبِ
بَلْ فِي الْحَوَادِثِ وَالْحَوَا . . . نَجِ وَالشَّوَائِبِ وَالنُّوَبِ
كَمْ قَلْتُ لِمَا بَغْتُهَا . . . وَخَصُلْتُ فِي أَسْرِ الْكُرْبِ
ذَهَبْتُ دَجَاغِثُنَا التَّنِي . . . كَانَتْ تَبِيضُ لَنَا الذَّهَبِ

قوله: «بين جمادى ورجب» إشارة إلى الكلام المشهور، وهو «بين جمادى ورجب ترى العجب». وهذا مثل ذكره الجاحظ في كتاب «الأضداد».

فقال: أول من قال: كل العجب بين جمادى ورجب، عاصم بن المُشَعِرِ الضَّبِّي. وذلك أن الخنيفة بن الخشرم كان أغير أهل زمانه، وأشجعهم، وكان لعاصم أخ اسمه عبيدة، عزيز في قومه، فهوي امرأة عند الخنيفة، فلما بلغه ذلك ركب إليه، فرآه راجعاً من عندها، فقتله.

فلما بلغ أخاه عاصماً خرج إليه في أواخر جمادى، قبيل رجب؛ لأنهم كانوا لا يقاتلون فيه، فانطلق حتى أتى باب خنيفة ليلاً، وناداه: أجب المرهوق.

فقال: لماذا؟ فقال: إني دخيل من ضبة، والعجب كل العجب بين جمادى ورجب، غصب أخ لي امرأة فذهبت أستنقدها، فقتل، وقد عجزت عن قاتله. فخرج

الخُنَيْفِس له راكباً فرسه، مُعْتَقِلاً رَمَحَهُ، وهو مغضِب. فلما دنا منه قَتَعَهُ السيفَ، فأبان رأسه. وفي معناه المثل الآخر، وهو «سَبَقُ السيفِ العَدْلُ»، وقائله ضَمُضَم بن عمرو اللُّخَمِي، انتهى.

قوله: «بقصة الحاتمي مع أبي الطيب» إلى آخره، أما قصة الحاتمي فهو كما قال: إن المتنبّي لما دخل بغداد صَعَّرَ خَدَّهُ، ونأى بجانبه يرفل في بُزْد التيه، ولا يلقى أحداً إلا يزدريه.

يخيّل له أن العلم مقصور عليه، والشعر بحرٌ لا يغترف إلا منه، وتوّرّ روض لم يجنيه غيره.

فتوخّيت أن يجمعني وإياه مجلس، يعرّف فيه منا السابق من المسبوق، فلما لم يتفق لي ذلك قصدته، فإذ هو على فُرْش بالية، قد أكلها الدهرُ فهي رسوم خافية.

فلما رأني نهض إلى بيت بإزائه، حتى جلست، فأقبل وعليه سبعة أقيّة، كلٌ منها بلون في أشد ما يكون من الحُسن، يحفّها فضل اللباس.

فوقّيته حقّ السلام غير مُشأخ له في القيام، مع علمي أنه لم يدخل المُخدع إلا لثلا ينهض عند موافاتي.

فلما جلس أعرض عني ساعة طويلة، لا يُعيرني طَرْفه، ولا يسألني عما قصدت له فكدت أحمّر من الغيظ، ولُمت نفسي على قُضده، واستخفّيت رأبي في زيارة مثله.

وهو مقبل على جماعة يقرؤون عليه شيئاً من شعره، وكلّ منهم يُوقظه ويغمزه، ويؤمي إليه بما يجب عليه أن يفعله، ويعرفه مكاني، وهو لا يزداد إلا ازوراراً وتثاراً.

ثم ثنى بصره إليّ وقال: أي شيء خبرك؟ فقلت: خير، لولا ما جنيته من قُضد مثلك، وكلفّت قدمي في المشي إليك.

ثم تحدّرت عليه تحدّر السئيل، وقلت: أين لي، عافاك الله، ما الذي أوجب ما أنت عليه؟ هل لك نسب في الأبطح تبخّبت به بنخبوحة الشرف، وتوسطت به واسطة السلف.

أو علم أصبحت به علماً يؤمى إليه، وتقف الهمم عليه؟

هل أنت إلا وتد بقاع، وإني لأسمع جفجفة ولا أرى طخناً.

فسقط في يديه، وقال لي: لم أعرفك. فقلت له: هب الأمر كذلك، أما رأيت تحتي بغلة رائعة، وبين يدي غلمان عدّة أما شممت نشري؟ أما شاهدت لباسي؟ أما راعك من أمري ما أتميز به عندك عن غيري؟ فقال لي: خفض عليك. فأعرضت عنه ساعة ثم قلت له: عندي أشياء تختلج في صدري من شعرك، أحببت أن أراجعك فيها. فقال: ما هي؟ قلت أخبرني عن قولك: [الطويل]

إذا كان بعض الناس سيفاً لدولةٍ ففي الناس بوقات لها وطبوع

أهكذا تمدح الملوك؟ وأخبرني عن قولك: [الوافر]

ولا مَنْ في جنازتها تَجَارُ يكون وداعها نَفْضَ النُّعَالِ
أهكذا ترثي أمّ ملك؟ أما والله لو قلت هذا في أذني عبديها لكان قبيحاً!
وأخبرني عن قولك، في صفة كلب: [الرجز]

فصارتا في جلده للمِرْجَلِ ولم يضرنا بعدُ قصدُ الأجدلِ
أترى أعجبك من هذا عُذوبَةٌ لفظه، أم لطفُ معناه. وأخبرني عن قولك في هجاء
ابن كَيْغَلَعِ: [الكامل]

وإذا أشارَ محدثاً فكأنه قِرْدٌ يُقَهِّقه أو عَجُوزٌ تَلْطِمُ
أما في أفانين الهجاء التي أبدعها الشعراءُ مَندوحةً عن هذا الكلام الرَّذَلِ، الذي
يُمُجِّه كلُّ سَمْعٍ وَيَعَافِه كلُّ طَبْعِ؟

أما قرأتُ رَجَزِ الحِسنِ بنِ هانئٍ، وطَرْدِياتِ ابنِ المَعْتَزِ؟

أما في غَرَرِ الألفاظِ ما تتشاغل به عن بُنَيَاتِ صَدْرِكَ؟

فأقبل عليّ، وقال: أين أنت من قولي في وصف جيش: [البسيط]

في فَيْلَقٍ من حديدٍ لو قذفت به صَرَفَ الزمانِ لما دارت دوائِرُهُ
ومن قولي: [الوافر]

كأنَّ الهَامَ في الهَيْجَا عِيونٌ وقد صُغِتْ الأسيئةُ من هُمومٍ
وقد طُهِعَتْ سِيوفُكَ من رُقَادٍ فمها يَخْطُرُنْ إلا في فُؤادٍ
وقولي: [الكامل]

ما كنتُ آمِلُ قبل نَعْشِكَ أن أرى رَضَوَى على أيدي الرجالِ تَسِيرُ
أما يكفيك إحساني في هذه عن إساءتي في تلك؟

فقلت: ما أعرفُ لك إحساناً فيما ذكرتَ، وإنما أنت سارقٌ مُتَّبِعٌ، وآخذٌ مُقَصِّرٌ.

أما قولك: «كأن الهام» إلخ، فمأخوذ من قول منصور التَّمَرِيِّ: [الكامل]

وكانَ موقعه بجمجمة الفتى حَذْرُ المنيّةِ أو نُعاسُ الهاجعِ
وأما قولك: «في فيلق من حديد»، فمأخوذ من قول أرسطو في آخر مقالته: قد
تكلمتُ بكلامٍ لو مدحتُ به الدهر لما دارت عليّ صُروفه.

وأما قولك: «ما كنت آمِلُ» البيت، فمأخوذ من قول ابن المَعْتَزِ: [السريع]

قد ذهب الناسُ ومات الكمالُ وصاح صَرَفُ الدهرِ أين الرجالُ
هذا أبو العباسِ في نَعْشِهِ قوموا انظروا كيف تسيرُ الجبالُ
فقال أحدُ من حضر: ما أحسن قوله: «قوموا انظروا» إلخ! فقال المُتَنَبِّيُّ: اسكُتْ

ما فيه حُسنٌ، إنما أخذَه من قول النابغة الذُبْيَانِيَّةِ: [الطويل]

يقولون حِضْنٌ ثم تابى نفوسُهُم فكيف بحِضْنِ والجبالُ جُنُوحُ

فقلت: إن أخذَه فقد أحسن المأخذ وأخفاه، وأما قولك أنتَ فمأخوذٌ من قول أبي تمام. فقال: من أبو تمام؟ فقلت: الذي سرقت منه، ونجسته بقولك: [الخفيف] شَرَفٌ يَنْطِخُ السَّمَاءَ بِرُوقِيهِ ه وَعِزُّ يُقَلِّقُ الْأَجْبَالَ فجعلت شرفه قرنه، لأن الروق: القرن.

فقال: إنها استعارة. فقلت: لكنها خبيثة. فقال: أقسم بالله ما رأيت شعره، اليس هو القائل: [البسيط]

سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْأَثْرَاكِ قَدْ نَضِجَتْ جَلُودُهُمْ قَبْلَ نُضْجِ الثُّيْنِ وَالْعِنَبِ
والقائل: [الكامل]

كانوا رداءً زمانهم فتصدعوا فكأنما لبس الزمان الصوفاً
فقلت له: من الدليل على قراءتك شعره تتبعك مساويه. فقال: أكثرت علي من ذكر أبي تمام، لا قدس الله روحه. فقلت: لا قدس الله روح السارق منه، والواقع فيه، ولكن ما الفرق في كلام العرب بين التقدّيس، والقُدّاس، والقادِس؟ فقال: وأي شيء غرضك؟ فقلت: المذاكرة. فقال: لا، بل المهاترة.

ثم فكر ساعة، وقال: التقديس: التطهير، وكل هذه الألفاظ تؤول إليه. فقلت له: ما أحسبك أمعنت النظر في اللغة، ولو عرفتها ما جمعت بين هذه المعاني مع بُعد ما بينها.

القُدّاس: حَجَرٌ يُلْقَى فِي الْبَيْرِ؛ لِيَعْلَمَ كَثْرَةُ مَائِهَا مِنْ قِلَّتِهِ.
والقادِس: السفينة.

فلما علوته بالكلام، قال: يا هذا أنا أسلم لك أمر اللغة. فقلت: أتسلمها وأنت ابن بجدتها. ثم سكت عنه لما علمت أن الزيادة على هذا ضرب من الأشر. وكان في نفسي شيء بلغته. ثم قمت فقام معي مشيعاً، فأقسمت عليه حتى رجع. ثم وفدت عليه بعد ذلك، فرأيت من فصاحته، وحسن عبارته ما حداني على عمل «الحاتمية».

وأما «ظلامه أبي تمام» التي صنّفها الخالدي، فهي:

قال: إني مُخْبِرُكُمْ عَنْ سُرى سَرِيَّتِهَا وَمَنَامِ رَأْيَتِهَا، وَكَلَامِ حَفِظْتِهَا فِيهِ فَحَضْرَتِهَا.

طال به الليل حتى تجانف عن قصره، ومال به القول عن مواقف حصره.

فبت في عثاره غالياً، وقد تغتري الأحلام من كان نائياً.

ومن حق تأويله أن يقال: خيراً رأيت، وخيراً يكون.

وهو أني رأيت فيما يراه الحالم الزاني، أبا تمام بن أوس الطائي.

في صورة رجل كهل كاس من الفضل، عارٍ عن الجهل.

العربية تُعَرِّبُ عَنْ شَمَائِلِهِ، وَالْأَلْمَعِيَّةُ تَلْمَعُ مِنْ مَخَانِلِهِ.

فجعل يرمقني في إغراض، ويستتب لمفتي عن اعتراض.

ثم سعى إليّ بأقدام الإقدام على معرفتي بنفسه، بعد أن عرفني بثاقب حديثه.

[البيط]

فقمْتُ للزور مُرتاعاً فأزقني حقاً أرى شخصه أم عادني حُلْمٌ

فلما سلّم عليّ وحيّاً، وجاورتُ منه كريمَ المُحيّاً.

قال: ألسْتَ ابنَ نَصْر، شاعرَ العَصْر؟

وغار ماءً وجهه ونَضِب، وأثارَ جِغْدَه عليّ الغضب.

وقال: يا معشر الأدياء، الفضلاء الألباء.

متى أهملتُ بينكم الحقوق، وحدثتُ فيكم هذا العُقوق!

وأضِيعتُ عندكم حُرْمَةَ السلف، وخلفتُ فيكم هذا الخلف!

أنهَب وتغضُّون، ويُغار عليّ وترضون!

ألسْتُ أول من شرع لكم البديع، وأتبع لكم عيونَ التَّقْسيم والتَّصريح والتَّرضيع!

وعلمكم شَنَّ الغارات، على ما سنَّ من سُنن عجائب الاستعارات!

وأراكم دون الناس، غرائب أنواع الجناس!

وكلُّ شاعرٍ بعدي وإن أغرب، وزين أبكاره فأعرب.

فلا بُدَّ له من الاعتراف بأساليبي، والاعتراف من يَنابيع قَلبي.

وهذا حقٌّ لي على مَنْ بعدي، لا يُسقطه مَوْتِي ولا بُعدي. [الكامل]

وَمِنَ الحَزَامَةِ لو تكونُ حَزَامَةً أن لا تُؤخَّر مَنْ به تتقدَّم

قال: فلما ملكتني سَوْرَةٌ دَعَوَاه، وحرَّكتني فَوْرَةٌ شَكُوَاه.

قلت: أيها الشيخ الأجل، سَلِبَت المَهَل وألْبَسَت الخجل. فما ذاك، ومَنْ ذاك؟

قال: كنت بحضرة القدس، ومستقرّ الأنس.

إذ جاءني عبْدان، لم يكن لي بهما يدان.

فأزَلَفاني إلى مقرِّ الخلفاء، وأوقَفاني بين يدي الأئمة الأكفاء.

فإذا لديهم جماعةُ الوزراء والقضاة، ومَنْ كُنْتُ أمتدحهم أيام الحياة.

فأؤفوا بالدعوى عليّ إلى ابن أبي دُوَاد وكان عليّ شديد الأثقاد، سَدِيد سِهَام

الأثقاد.

فحكّم عليّ برَدَ صِلاتي، والفِذِيَّة لجميع صَوْمِي وصلاتي.

فقلت قول المُدِلِّ الواثق، عائداً بالمأمون والمعتمِصم والواثق:

يا أمير المؤمنين، ما هذه المؤاخَذة بعد الرضا، وقد مضى لي في خِدمتكم ما مضى؟

فقال المأمون، وقد صمت الباقون:

يا ابن أوس، إنك مدحتنا والناس بأشعارٍ منحولة، وقصائدٍ مَقُولَة منقولة.

وكلامٍ مُختلق، سرقتَه من قائله قبل أن يُخلَق.

فلما آن أوانه، وانتسَق زمانه.

استردّ ودائعَه منك، وهو غيرُ راضٍ عنك .
 فقلت: ومن الذي أَعَدَمَني بعد الوجود، وعاضني العدمَ بالوجود؟
 ومَلِكٌ عليّ فَنِي، وأصبحَ أحقُّ به مِنِّي؟
 فقال: كأنك لا تعرف الواعظَ المَوْصِلِيَّ البلاد، الحَوْصِلِيَّ الولاد!
 الغريبَ العِمَّةَ، القريبَ الهِمَّةَ!
 البَغْبَعِيَّ الإيراد، اللُّؤذَعِيَّ الإنشاد! [السريع]
 كأنما بين خياشيمه مُفكَّرٌ يضربُ بالطَّبَلِ
 الذي انتزعك مدائحَه، وازتجَعك مَنائِحَه!
 واستقبلك بقلائدِه، واجتلبك بقصائده!
 بعد ما كنت تُغَيِّرُ أسماها، وتُحَلِّي بِغيرِ نجومِها سَماها .
 فأصبحَ يتقرَّبُ إلى ملوكِ عصرِه بما كنتَ تَدْعِيه، وَيَعِي منك ما لم تكن تَعِيه .
 نازعاً عن وجهها سُتورَ الثُّقْبِ، واضعاً هناها مواضِعَ الثُّقْبِ .
 قد جعلَ إليه عَقْدَها وحَلَّها، وكانَ أحقُّ بها وأهلها .
 فقلت: خاب السَّاعون، إنا لله وإنا إليه راجعون .
 قد كانَ عهدي بهذا الرجلِ فارِضاً، فمتي أصبحَ قارِضاً .
 وأعرفه يتسَتَّرُ بالحشويَّةَ، فمتي ازتبتك بين البديهة والرؤيَّة .
 وكانَ ذا طبعِ جافي، عن التعرُّضِ لنظمِ القوافي .
 وقد كانَ أخرجَ من المَوْصِلِ، وليسَ معه قُوَّةٌ يُوصِلُ .
 فاشتغلَ بثرَّهاتِ القُصَّاصِ، نَضْباً على ذواتِ الأَعْيُنِ من وراءِ الخِصاصِ . [الوافر]
 وعاشَ يظُنُّ نَشْرَ الإفكِ وَغَظاً وينصبُ مُحَرِّماً شَرَّ الشِّبَاكِ
 وأين مُنابذةُ الوُعَاظِ، من جَهَابِذَةِ الألفاظِ!
 بل أين أشعارُ الكُرَّاسِ، من قولِي: [الكامل]
 ما في وقوفك ساعةً من ناس!
 والعبُدُ يسألُ الأمراءَ عنه، ليتلَطَّفوا في ازتِجَاعِ ما انتزعَ منه .
 فقال: اذهبِ واثنِي بيِّقين، وادفعْ عنك بوادرَ الظُّنونِ .
 وبأدزِ في النُّضرةِ وانتصِحْ، واستعنْ بقومك وصِخ: [الكامل]
 يا آلَ جُلُهَمَةِ تداركُ إنما أشعارُ عَشِيكَ ذابلٌ ومُهَنَّدُ
 قلت: قد بدتُ بيني وبين قومي جراح، فأتيتهم شاكي السلاح .
 جادِّين في إلحاقِ الحُكَيْكِ، بصاحبِ الشُّونِكِ^(١) .
 وقد بدؤوا بكسْرِ رِجْلِهِ . [الطويل]

(١) الشويكة: نوع من الإبل. القاموس المحيط، مادة /شوك/ .

وكنت إذا قومي غزوني غزوتهم فهل أنا في ذا آل همدان ظالم

وقد كان بلغني أنه امتدح في ذا العام، شكراً لبعض سوابغ الإنعام.

بعض الرؤساء بقصيدة تليق بالحال، وتأنف من تليفق المَحَال.

أنشدت من امتداحها، بعد الثناء على افتتاحها: [الخفيف]

كيف لا آمنُ العدا وكريمُ المُـلـك لي من نوائبِ الدهرِ جارُ

ماجد حل في سماء المعالي

فاذا رامت الجياد مَداهُ

أزِيحي إذا اجتداه الأمانِي

تتغادي من فيضِ راحتِهِ السُخـ

ويرى ما له بعينِ جوادِ

عجب الناس إذا رأوا لك صدراً

أي دار تغتز فيهما المعالي

كل يوم بحافتيها من العُلـم بحارُ لفيضها تيارُ

وربيع من ربِعه زهرات الرِّ

ولآي القرآن فيها مجالُ

والتقى والأناة والمجد والسؤ

مجلس فيه من مناقبكَ العُرُ

منزل الفضل منك منزلة الأهل تحامى بربِعه وتغارُ

قد غرست المعروف في كل كَفُ

ومن بنى بهذه الأبنكار، مل سمعه غيرها من الأذكار. [البسيط]

والحمد لا يشتري إلا له ثمنُ . مما يضمن به الأقسام معلوم

فقلت: يا أبا تمام، إن سيدنا الرئيس قد أصبح له محاسن جعلها مؤسماً لأعلاق

الثنا، وميسماً له بأعناق المني.

وسوقاً لكل شاكر وحامد، محفوقاً ببيع المناقب فيه والمحامد.

مجلوباً إليه نفائس الأفهام، مجلوباً عليه عرائس الأقلام.

وليس بهذا المجلس ولا فيه، إلا من أوجب الشكر لصاحبه على فيه.

فكلهم قد أغناه عن الدهر، وأفقره إلى الشكر.

وما كان المنظوم أنبه ذكراً، والموزون أنبل شكراً.

وما كل أحد يسلك النظر سبيله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس: ٦٩].

عدل المقل إلى المكثير، وعول المحتاج على الموسر.

ورجع إليك في النفقة، وما ينقص مال من صدقة. [الذويل]

وإن امرء قد ضن عني بمنطقي يسد به فقر امري لضنين

فقال: اسمع، ما لا يُدفع.

إذا كان الأمرُ على ما ذكرت، ووقع اعترافُك على ما أنكرت.

فلمَ وقع هذا الذنبُ على بختي؟ وكيف لم يسكن غيرَ ملابس تختي؟

ولم خصني بإزالة مَصُونِي؟ وحفني بنحيف غصوني؟

وهلا قصد في النهب، لمدائح ابني وهب!

وهما غمّاما الزمن الجديب، وهما ما اليوم العصيب.

وما هذا الاثفراد بيناتي، والانخضاد لناصر حياتي؟

والانقضاض على قصائدي، والاقتناص من حبات مَصَائِدِي: [الخفيف]

سَرِقَاتٌ مني خصوصاً فهلاً من عدو أو صاحب أو جارٍ

ولم لم يعدل عن شعري، إلى شعر ابن الرومي؟

وهلاً كان يجتري، في مثل هذا على البُخْتري!

وكيف أثر قُربِي، على قرب المُتنبِّي؟

وليته قنع ورَضِي، بشعر الشريف الرضِي!

أو استدرك ما فاته من شعر أبي تمام، أو انتحل المُختار، من شعر مِهْيَار.

على أن مثل هؤلاء الفضلاء لا تجبُ عليهم الزكاة، وليس في الشعر نصاب،

حتى تجب فيه الزكاة، وليس على فكرتي اغتصاب: [المتقارب]

وإن أتصدَّق به حَسْبُهُ فإن المساكين أولى به

فقلت له: إن هذا الرجل لم يكن للقريض بأصر، ولكنه قريب عهد بحمص.

وكان أقام بها جامع العنان، طامح العنان.

ولو أضاف قلائد الثُحُور إليه، لم يجد من يُنكر عليه.

فهو يقول ما شاء، من غير أن يتحاشى. [البيسط]

لأنهم أهل حمص لا عقول لهم بهائم أفرغوا في قالب الناس

ولم يزل حتى انتدب له من سُراة جُنْدِهَا من بحث عنه ونقب، فخرج منه خائف

يترقب. ولما ورد دمشق، رمى في أغراضها بذلك الرشق. [الطويل]

وما يستوي المضران حمص وجلق ولا حصن جيرون بها والخوزنق

وكانت قادة حمص وسادة دمشق تزوعه حتى كوشف وقوشف^(١)، وزجع به

القَهْقَرَى، ودفع في صدره إلى ورا.

وقيل: أين يذهب بك، وما هذه الشقشقة في محبك.

أفي مجلس هذا الشريف، المُنيف قدزه، العالي ذكره، الغالي شكره.

تُبهرج لباس الأيام، وتُبرج عوانيس الغلام.

(١) القشف: ضيق المعيشة. القاموس المحيط، مادة / قشف /.

وتطوي من القوافي ما خلق ورث، وتورّي فيما أنهكه العث.
ولم تزل تضطره كثرة التوبيخ، وقلّة الناصر والصريخ.
إلى أن أشهد على نفسه منذ ليالي، بالبراءة من أناشيد الخوالي والتوالي.
وأذعن بالإقرار، بما دافعت عنه يد الإنكار: [السريع]
ومذهب ما زال مُستهجنا في الحرب أن يُقتل مُستسلم
وأزيدك، فيما أفيدك.
إن هذا الرجل من الانحراف عن شِعرك على شفا، وكأنك به عنك قد انكفا.
لِعلمه أنه أخلق منه ما جد، وإلى متى يتحل هذا اللُكع المُردّد.
وقد كان طالبني منذ أيام بإعارة شعر ابن المُعترّ، مطالبة مُضطرّ إليه مُلتز.
وقد استرحت من شرّه وضميره، والسعيد من كُفي بغيره: [الخفيف]
رُبّ أمرٍ أتاك لا تخمد الـ فِعال فيه وتخمّد الأفعالا
فقال: إن كان الأمرُ على ما شرحت، فقد أشرت بالرأي ونصحت.
ولكن متى إنجاز هذا الوعد، والخلف منوطُ بخلق هذا الوعد.
فإنه يقول ويحوّل، وأنت تعرف ما تلي: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].
ولو أمكن إقامة هذا الأمر المُناد، بخضرة ابن أبي دؤاد.
أبرأت عند الجمهور ساحتي، وعدت من أمر الله تعالى إلى مستقرّ باحتي.
ولكن دون الوصول إلى الحاكم عقبة كؤود، ولا حاجة بنا إلى الإضرار بالشهود.
وإذ قد ضمنت عنه ما ضمنت، وأمّنت منه على ما أمّنت.
فلا حاجة إليك، ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ [القصص: ٢٧].
وهو أن تعدل بيننا في القضية، والحالة المرضية.
وتفضل عليّ، بيد تُسديها إليّ.
وتأذن لي في إنشاد أبيات مدحت بها هذا الرئيس قلتها خدمة له وقربة إليه، لعل
أن تكون الجائزة خروج الأمر العالي بإخراج الخصم، إلى مجلس الحكم.
وأن يوكل به من أجلاّد الساهرة، من يُسيّره معي إلى الدار الآخرة.
لأبرأ بإقراره لي عند قاضي القضاة، بما شهدت به هذه المقاضاة.
وليسلم عند الخلفاء الراشدين عرّضي، ويحسن على الرّب الكريم عرّضي.
﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥].
فضمنت له عن سيدنا ما اشتهى، وانتهيت من اقتراحه إلى حيث انتهى، ولم يزل
يكرّر عليّ أبياته حتى وعيتها.

فربّ قائل ما هي؟ وقائل ها هي: [المنسرح]

يا مُغِمْلَ اليَعْمَلاتِ في ظَعِنِهِ سُرِيَّ وَسَيِّراً مُقَارِنِي قَرْنِهِ

جافى جُفونَ الوَسنانِ عن وَسْنِه^(١)
 يبيتُ طَيْفُ الخيالِ من سَكْنِه
 عاد بفيضِ النَّدى على سَنْنِه
 أمسى صباحُ النَّجاحِ من جَنْنِه^(٢)
 يُنسيه عَرَفَ الجَنانِ في أذْنِه
 جودُ ابنِ عبدِ الرزاقِ من سُنْنِه
 ففَزَ بَنخلِ العِلا وقل كَرَمَ المُملِكِ مقالَ البديعِ في لَسْنِه
 يا مشترِي الفاخِرِ النَّفيسِ من أَلْحَمِدِ بأغلى العِطاءِ من ثَمْنِه
 بعد وَقوفِ الرجاءِ في دِمْنِه
 أُخَيِّتَ من قَرَضِه ومن سُنْنِه
 ما بين إْحسانِه إلى حَسْنِه
 لا يُخوِجُ المُستَقِي إلى شَطْنِه
 تلوحُ لَوخُ الثمارِ في غُضْنِه
 أقربَ من ظِلِّه إلى فَنْنِه
 منه ثيابُ الثَّقَى على بَدْنِه
 مُستَقْبِلِ الكائِناتِ في زَمْنِه
 ما تعب الأَلْمَعِيُّ من فِطْنِه
 ميلادِه والصَّريحِ من لَبْنِه
 أفصحَ فيه القريضُ عن لِقْنِه
 تُغنيك عن لَهوِه وعن وِدْنِه
 يسحبُ من ذيلِه ومن رُدْنِه
 صَناعُ صَنعائِه ولا عدْنِه
 أرضِ وإن كان من ذوي يَمْنِه
 نية صافي الأديمِ من درنِه
 ما حنَّ ذو غُزْبِه إلى وطنِه

يجوز جوزَ الفِلا به أَمَلْ
 لا يمثِطِي ساكنَ المَطيِّ ولا
 إذا اشتَكَنَ السَّرابُ خادَعَه
 وإن أجنَّ الظلامُ مُقلَّتَه
 يبيتُ عَرَفُ الكرامِ في يدِه
 إن باعدتَه الأرزاقُ قَرَبَه
 ففَزَ بَنخلِ العِلا وقل كَرَمَ المُملِكِ مقالَ البديعِ في لَسْنِه
 يا مشترِي الفاخِرِ النَّفيسِ من أَلْحَمِدِ بأغلى العِطاءِ من ثَمْنِه
 عمِرتَ رَبْعَ النَّدى لرائدِه
 يُثني لسانُ الثَّناءِ نحوك ما
 خَلَقاً وخُلُقاً قد أتعَبَا فِكْرِي
 يحكي مَعَدَّ النَّدى لواردِه
 فرغَ سماءِ تبيتُ أنجمُها
 إذا جَنَّتْه أيدي العُفاةِ رأَتْ
 ينافِسُ الوَشْيَ في جلالَتِه
 يرى بعيني قلبٍ له يقِظِ
 أزوعُ بِيدِ منه مُهذَّبِه
 مُقتبِلُ الوالدينِ بُوركِ في
 فاحتلَّ هذَّه الرياستين وقد
 واستغفِرَ من لُبِّه بغانيةِ
 وألبَسَ لباسَ الثَّناءِ مقتبلاً
 بُزَدَ عِلاً ليس من مَعادِنِه
 تأثفَ أن تُتَمي إلى يَمَنِ الـ
 وافاك ضاحي الجَلبابِ من دَنَسِ الظُّ
 فاسلمَ لدارِ العِلاءِ تَعمرُها

وشعر الغزّي في معنى المذكور في «الأغاني»، قال: لما أسير الشنفرى، قالوا له: أنشدنا. فقال: إنما النشيد على المسرة. فذهبت مثلاً. انتهى.

(١) الجوز: وسط الشيء. القاموس المحيط، مادة / جوز/.

(٢) الجنن: القبر، أو الميت. القاموس المحيط، مادة / جنن/.

خاتمة

لما تمسكت بذيل التمام، أردت أن أعطره بمسك الختام.
من فوائد سنّية، ومسائل علمية وأدبية.
منها أنا تجاذبنا في بعض الأيام أزدان المذاكرة، وتنازعنا قُضِبَ رِيحَانِ الْمُحَاوَرَةِ.
في اختلاف وجوه القراءات، وما وقع فيها من محاسن التوجيهات.
فذكر لنا أن قالون همز النبي حيث وقع، إلا في موضعين من سورة الأحزاب:
في قوله عز وجل: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣]،
وقوله: ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠] فأبدلها ياءً في الوصل،
وهمزها في الوقف، كما ذكره الشاطبي، إلا أن الشاطبي لم يصرح باختصاصه بحال
الوصل، وكان عليه أن يذكره، وبذلك اعترض عليه التويري، في شرحه للطّيبة.
وسلم له جماعة، فظنوه وارداً عليه.

فقلت: إنه لم يهمله، إلا أن المعترض لم ينتبه له؛ فإنه يُعلم من قوله: «مبدلاً»،
فإن إبدال الهمزة إما لسكونها وتحرك ما قبلها، فتبدل من جنس حركة ما قبلها لزوماً،
كما في آدم، أو جوازاً كما في «يوميئون» ونحوه، أو لاجتماع همزتين كما في «أيمّة»
على الأصح.

ففهم من ذكره الإبدال أنه اجتمع فيه همزتان، وذلك لا يكون إلا في الوصل،
فلذلك رجع إلى أصله في الوقف، لعدم السبب فيه، وهو أظهر من الشمس.

فإن قلت: فلم لم يسهلها كما سهل غيرها؟

قلت: لما رأى الإبدال هنا جارياً على القياس فيه رجّحه لموافقته لغيره؛ ولأنه
أفصح من التسهيل، ولذلك أنكّر على من قال: يا نبي الله بالهمزة، وهذا مما لا
غبار عليه.

وقد نظمت ذلك، فقلت: [البيسط]

همز النبي لقالون كما نُقِلَا
لا الوقف إذ لم يكن فيه له سبب
مُوافِقاً لسواه فهو أرجح من
تسهيلها ولهذا عنه قد عدلاً

فله دُرُّ التنزيل، وما فيه من دقائق التأويل.

فإن الحسن وَقَفَّ عليها، والسحر إذا شاهدها آمن بها ورمى جباله لديها.
فنادته: حَيَّ على الفلاح، فما لساحرٍ لَدَيَّ فلاح ولا نجاح.

فإن كل رسول أرسل إلى قومه بما له في سوقهم رواج، ورعى سائمتهم ليظفر منها بالتاج.

ألا ترى أن عيسى لما بُعث لقوم فيهم الحكمة، أحيى الموتى وأبرأ الأبرص والأكمه.

ونبينا ﷺ لما ظهر من العرب، وهم فازوا من البسالة والبلاغة بأعلى الرتب، وقاموا بين أظهرهم بالشعر والخطب.

كان أعظم معجزاته الفرقان، الذي أخرس شقاشق البيان.

فتحداهم بإعجازه، فضلوا في تيه الحيرة ولم يهتدوا لحقيقة مجازه.

فراؤا حنين الجذع وهم خشب مُسنّدة، لم تُورق ولم تُثمر فهم خطب النار الموقدة.

فُسْحَقاً لأصحاب السعير، الذين رجع بصرُ بصيرتهم خاسئاً وهو حسير.

فصل

اعلم أن البلغاء طبقاتهم العلية، الجاهلية الأولون، ثم المُخضرمون، ثم الإسلاميون، ثم المولدون، ثم المُحدثون، ثم المتأخرون والعصريون.

فهذه الطبقات الست، ثلاث منها حازوا قصب السبق في حلبة الرهان.

معرفة كلامهم فرض كفاية في الإسلام، لأنه يُستدل به على الكلام العربي، الذي يُستنبط منه أحكام الحلال والحرام.

والحق به بعضهم ما بعده كإثبات لطائف المعاني، دون الألفاظ المحكمة المباني.

ومن حقه، لم يكن منه على ثقة.

وإذ أصححت لما تلوناه عليك، فاعلم أن في الشعر دقائق لم يكشف عنها العطف، وها أنا ألقى إليك ما لم تهتد له لها القطا.

مقلداً جيد الذهن منها فرائد توأما: [الوافر]

ولو ترك القطا ليلاً لناما

فمنها أن أهل المعاني قالوا: إن التعقيد المعنوي واللفظي يُنافي الفصاحة، فقال بعض المتأخرين: إن الألفاظ كلها غير صحيحة، لما فيها من التعقيد المعنوي.

وليس كما قال، لأن أبا هلال العسكري قال في «كتاب الصناعتين»: إنها فصيحة، وإن التعقيد إنما يكره إذا لم يقصد، فإن قصد فهو فصيح.

ومما يؤيده أن الإسنوي قال في كتابه «طراز المحافل»: إن من السنة أن يُنقى الألفاظ على من في مجلسه لتشحيذ الأذهان، لما رواه البخاري، عن ابن عمر عن

رسول الله ﷺ، قال: «إِنَّ مِنَ الْأَشْجَارِ شَجْرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا صِنُّو الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟»

فوق الناس في شجر البوادي.

قال ابن عمر: فوق في نفسي أنها النخلة، واستحييت. فقالوا: ما هي يا رسول الله؟ قال: «النَّخْلَةُ» انتهى.

قال أبو هلال: ومنه نوع بديع سمَّيته شَبَّةَ الإلغاز، وهو أن يُوصَفَ شيءٌ بصفاتٍ تُساق على نهج اللغز، وليس المقصود الإلغاز، كقول القاضي ناصح الدين الأرجاني لبعض الوزراء يطلب منه خيمة: [الطويل]

فيا شمسُ بل يا وبلُّ هل أنت منقذي
بحدباء إن نوزتُ خرت لوجهها
من البلق يعلو ظهرها هام أهلها
وتصلح عند الناس للضرب وحده
ومن عجب أن لم تقم قط قومة

وهذا وإن كان فارسي الأصل له طبيعة عربية، وروية من ماء الفصاحة روية. وورد من الفصاحة عذب المشرب، ومذهب بزخرف البراعة مذهب.

كقوله من قصيدة، أولها: [المتقارب]

رأيتُ الطريقَ إلى الوصلِ وعرًا
ومنها:
فقدمتُ رجلاً وأخرتُ أخرى

عليك بتفريغ قلب الودود
وسر غير ملتفت إنما
لك الشهبُ والدهم مخلوقة
وله أيضاً: [الطويل]

تذمُّ زمانَ السوءِ يا صدرَ أهله
ولو زمانَ السوءِ لم تتصدّر

طبقات الشعراء

اعلم أن معجزة كل نبي على وفق زمانه وقومه، ولما كان أشرف الخلق العرب، وأعظم ما عندهم الشجاعة والفصاحة والكرم، كان أعظم معجزات نبينا القرآن المعجز بفصاحته وبلاغته.

ولما كان خاتم الرسل ولا نبي بعده جعل له معجزة باقية إلى القيامة، لا تزال تتلى، وجديدة على كثرة الترداد لا تخلق ولا تبلى.

وقال ابن دريد: بينما رسول الله ﷺ جالس مع الصحابة، إذ نشأت سحابة،

فقالوا: يا رسول الله هذه سحابة.

فقال: «كَيْفَ تَرَوْنَ قَوَاعِدَهَا». قالوا: ما أحسنها، وأشدَّ تمكُّنها!

قال: «كَيْفَ تَرَوْنَ رَحَاهَا». قالوا: ما أحسنها وأشدَّ استدارتها!

قال: «كَيْفَ تَرَوْنَ بَوَاسِقَهَا»؟ قالوا: ما أحسنها وأشدَّ استقامتها!

قال: «كَيْفَ تَرَوْنَ بَرْقَهَا أَوْ مِيضًا، أَمْ خَفِيًّا أَمْ يَشُقُّ شَقًّا». قالوا: بل يشقُّ شَقًّا.

قال: «كَيْفَ تَرَوْنَ جَوْنَهَا»؟ قالوا: ما أحسنه وأشدَّ سواده!

فقال: «الْحَيَا». فقالوا: يا رسول الله، ما رأينا أفصح منك.

قال: «ما يَمْنَعُنِي، وَإِنَّمَا أَنْزَلَ الْقُرْآنُ عَلَيَّ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ»!

قال القائل: القواعد: الأسافل، جمع قاعدة، والقواعد من النساء: التي لا تلد

جمع قاعدة.

ورحاهها: وسطها، ومعظمها، كرحا الحرب.

وبواسقها: ما علا وارتفع، ومنه بَسَقَ إِذَا شَرَفَ وَكُرُمَ.

ووميض البرق: لَمَعَهُ الْخَفِيُّ، ومنه أَوْمَضَ، إِذَا غَمَزَ.

وَالْخَفِيُّ: البرق الضعيف.

وَالجَوْنُ: الأسود والأبيض، وهو من الأضداد.

وَالْحَيَا، بالقصر: الغيث، وجمعه أحياء بالمد.

وبلغاء العرب في الشعر والخطب على سِتِّ طبقات:

الجاهلية الأولى من قوم عاد وقحطان.

والمُخَضَّرَمُونَ، وهم من أدرك الجاهلية والإسلام.

وَالإِسْلَامِيُونَ، والمُؤَلَّدُونَ، والمُحَدَّثُونَ والمتأخرون، ومن ألحق بهم من

العصريين.

وَالثَلَاثُ الْأَوَّلُ هم ما هم في البلاغة والجزالة، ومعرفة شعرهم رواية ودرية عند

فقهاء الإسلام فرض كفاية؛ لأنه به تثبت قواعد العربية، التي بها يُعلم الكتاب والسنة

المتوقف على معرفتهما الأحكام، التي يتميز بها الحلال والحرام.

وكلامهم وإن جاز فيه الخطأ في المعاني، لا يجوز فيه الخطأ في الألفاظ،

وتركيب المباني.

إِذَا عَرَفْتَ هَذَا، فاعلم أن الطبقات الثلاث الأولى جمعوا أشعارهم في كتب

كثيرة، غير الدواوين، «كالحماسة» و«المفضليات» و«أشعار هذيل»، وغيرها من الكتب

المفيدة.

وها أنا أورد منها ما تقر به عيون الأدب، وتشرح به صدور العُلماء، من كل ما

يدخل الأذن بغير إذن.

وأورد من نثرهم ما يكون نثاراً على عرائس الأفكار، وعقداً في جيد البصائر والأبصار.

من عهد عادٍ وقحطان وملوكِ حميرٍ وعبدِ مدان، إلى فوارس الأرباع، إلى ذي فائش الحميري.

قال القالي: كان ذو فائش يحب اضطناع سادات العرب، ويقرب مجالسهم، ويكرم مجالسهم.

فجاءه غلبة، وكان شاعراً حدثاً، فقال له: ألا تحدثني عن أبيك وأعمامك؟ فقال: بلى، أيها الملك، هم أربعة: زياد، ومالك، وعمرو، ومُسهر، ولذلك قيل لهم الأرباع.

فأما زياد فما استل سيفه مذ ملكت يده قائمه إلا أغمده في جثمان بطل، أو شوامت جمل.

وكان إذا حَمَلَق^(١) التَّجِيد، وصلَّصل الحديد، وبلغت النفسُ الوريْد.

اعتصمت بحقوقه الأبطال، اغتصام العُصم بذرا القلال، قد ذادتهم الأبطال، زياد القروم عن الأشوال.

وأما مالك، فكان عزيمة الهوايك، إذا شُبَّهت الأعجاز بالحواريك.

يَفْرِي الرَّعِيل، فَرِي الأديم بالإزميل.

ويَخْبِطُ البُهْمَ خَبَطَ الذئب نِقَادَ الغنم.

وأما عمرو، فكان إذا عَصَبت الأفواه، وذبلت الشِّفاه، وتفادت الكُماة.

خاض ظلام العجاج، وأطفأ نارَ الهياج، وألوى بالأعراج، وأزْدَفَ كلَّ طفلةٍ مَغْناج، ذاتِ بَدَن رَجْرَاج.

ثم قال لأصحابه: عليكم النهاب، والأموال. الرُّغاب.

مِعْطاء لا ضيقُ شَكِس، ولا حَقْلَدٌ عَكِس.

وأما مُسْهَر فكان الدُّعاف المُمقِر، والليثُ المُمخِر، يجيء الحربُ فيُسْعِر، ويبيح التَّهَبَ فيكثير، ولا يختجز فيستأثر.

فقال له: لله أبوك، مثلك من يصف أسرته!

وهنا فوائد:

قال أبو علي: الحَدَث، بالضم: الحَسَنُ الحديث.

والحَدِيث: بكسر فتشديد: الكثير الحديث.

والحدَث: الشاب.

والجُثمان: الشخص.

(١) الحَمَلَق: باطن الجفن. القاموس المحيط، مادة / حَمَلَق.

والجُثمان: جماعة الجسم.
 والتَّجِيد: الحمائل.
 وصلَّصل: بمعنى صوت.
 والورِيد: حبل العاتق.
 والأشوال: جمع شؤل، وهو جمع شائلة، بمعنى ناقة ارتفع لبثها.
 والرَّعِيل: جماعة الخيل.
 والإزميل: بزاي معجمة: الشفرة.
 والعَيْهَمَة: التامة الخلق، أو السريعة.
 ويشتحي: بمعنى يعتمد.
 والضَّرْف: صبغ أحمر.
 والبُهم: جمع بُهْمَة، وهو الشجاع الذي لا يُدْرَى من أين يُؤتى، والمُضْمَت الذي لا صدع فيه.
 والنَّقَاد: جمع نَقْد، وهي صِغَر الغنم.
 وعَصَب: بمعنى غَلْظ ريقه، ولصِق بفيه.
 وتفادت: استتر بعضهم ببعض.
 وألوى: بمعنى ذهب.
 والأعراج: جمع عَرَج، من الإبل نحو خمسمائة.
 والطفلة: الناعمة.
 والحَقْلَد: السبيء الخلق، كما قاله يعقوب.
 والعكس والعكص، بالسین والصاد: العسر الأخلاق.
 والدُعاف: سَمٌّ سريع القتل.
 والمُمْقِر: الشديد المرارة أو الحموضة.
 ويختجز: بمعنى يختفي.
 والحَقْلَد لغة يمانية، وقعت في شعر زهير بن أبي سلمى في قصيدته التي مدح بها هَرَم بن سنان.

أولها: [الطويل]

غشيت الديار بالبقيع فنهمد
 أربث بها الأزواح كل عشية
 ومنها:

دوارس قد أقوين من أم مغبد
 فلم ينبق إلا آل خنيم منقذ
 من المجد لم تشبق إليها بشودد
 شمال اليتامى في السنين محمد
 سبوق إلى الغايات غير مجلد
 إذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية
 أليس بفياض نداء غمامة
 سبقت إليها كل طلق مبرز

ومنها:

تَقِيَّ نَقِيٍّ لَمْ يُكْثِرْ غَنِيمَةً بَنَهَكَ ذِي قُرْبَى وَلَا بِحَقْلِدِ
وهذا مما يُسأل عنه، وعن إعرابه، ومعناه تقدم.

وقد قيل: إنه من عطف التَّوَهُّم، وتقديره ليس بمُكْثِرٍ غَنَائِمَهُ بِالْغَارَةِ عَلَى أَقَارِبِهِ،
أو من هو بجواره، فعطف بِحَقْلِدِ عَلَى بِمُكْثِرِ الْمُتَوَهُّم.

ولو قيل: إنه معطوف على قوله «بَنَهَكَ»، وفسر بِالْخُلُقِ السَّيِّئِ، والمراد: أنه لم
يُكْثِرْ غَنَائِمَهُ بِجَوْرِهِ عَلَى أَقْرَبَائِهِ وَجِيرَانِهِ، وَلَا بِسُوءِ خُلُقِ يَحْمَلُهُ عَلَى التَّعَسُّفِ وَالشُّحِّ
لَمْ يَبْعُدْ، مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ.

وفي «لسان العرب»: بِحَقْلِدِ بِالْفَاءِ، وَالْمَشْهُورُ خِلَافَهُ.

ومن قصيدة لعمر بن عمرو بن حسان، أخي بني الحارث بن هَمَام، ذكر فيها الأكَاسِرَةَ

وآل المنذر: [الوافر]

أَلَا يَا أُمَّ قَيْسٍ لَا تَلُومِي وَأَبْقِي إِنَّمَا ذَا النَّاسِ هَامُ
أَجْدَكَ هَلْ رَأَيْتِ أبا قَبَيْسٍ أَطَالَ حَيَاتَهُ النَّعْمُ الرُّكَامُ
وَكَسْرِي إِذْ تَقَسَّمَهُ بَنُوهُ بِأَسْيَافٍ كَمَا اقْتَسِمَ اللَّحَامُ
تَمَخَّضَتِ الْمَنُونُ لَهُ بِيَوْمِ أَنِّي وَلِكُلِّ حَامِلَةٍ تَمَامُ

قال التبريزي في «تهذيب الإصلاح»: يقول لعاذلته: لا تلومي، فإن المصير إلى

الموت.

وهام بمعنى: موتى، يقال فلان هامة اليوم أو غد.

والرُّكَام: الكثير

وقَبَيْسٍ: تصغير قابوس تصغير ترخيم، وهو النعمان.

وقوله: و«كسرى» إلخ، يشير إلى قتل ابنه شيرويه له.

وقوله: «تمخضت» من المَخَاضِ وهو الطُّلُق، والمَخَاضُ: الحامل.

جعل المَنُونُ حَامِلَةً عَلَى التَّشْبِيهِ، وَجَعَلَ يَوْمَ مَوْتِهِ وَوَلَدَ الْمَنِيَّةِ، وَكُلُّ حَامِلٍ تَنْتَهِي

إِلَى وَقْتٍ تَضَعُ فِيهِ حَمْلَهَا، فَكَذَلِكَ الْمَنِيَّةُ تَنْتَظِرُهُ كَانْتِظَارِ وَضْعِ الْحَامِلِ.

والمَنُونُ: مفرد وجمع.

قال: [الخفيف]

مَنْ رَأَيْتَ الْمَنُونُ غَرَّيْنَ أَمْ مَنْ ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ

وَأَنِّي، وَأَنْ: بمعنى حان.

وقال بعض الأعراب: [م. الكامل]

قَوْمٌ إِذَا اشْتَجَرَ الْقَنَا جَعَلُوا الْقُلُوبَ لَهَا مَسَالِكُ

الْأَبْسِينَ قُلُوبَهُمْ فَوْقَ الدَّرُوعِ لِدَفْعِ ذَلِكَ

انظر لبس القلوب على الدروع، وما فيه من المبالغة التي لا يوجد مثلها.
وفي معناه قلت: [الطويل]

إذا لم تكن فوق الدروع قلوبنا
لها أغين إن حدقت في الوغى ترى

وقال أدباء الكوفة: لا مروءة لمن لم يزو قول الكلابي: [الطويل]

سقى الله دهرأ قد تولت غياطله
ليالي خذني كل أبيض ماجد
وفي دهرنا إذ ذاك والعيش غرة
بما قد غنينا والصبا جل همنا
وجر لنا أذياله الدهر حقة
فسقياً له من صاحب خذلت بنا
أصد عن البيت الذي فيه قاتلي

والغياطل: جمع غيطة، وهي الظلمة، والأصوات المختلطة، والشجر الملتف.

وأشد المبرد في «الكامل»، وثعلب في «أماليه» لسلمي بن غوية: [المقارب]
عريت من الشباب وكان غضاً
ونخت على الشباب بدمع عيني
فيا أسفا أسفت على شباب
فيا ليت الشباب يعود يوماً

وفي الشيب أشعار كثيرة، ومعان بديعة.

وأشعار المولدين فيها عقود دزر، وأوضح غرر.

كقول الأشجع في قصيدة مدح بها الرشيد: [الكامل]

قصر عليه تحية وسلام
قصر سقوف المزن حول سقوفه
منها:

أثت عليه جمالها الأيد
فيه لأعلام الهدى أعلام
والشاهدان الجلل والإخرام
رصدان ضوء الصبح والإظلام
سئت عليه سيوفك الأحلام

وهذا معنى بديع، أخذه من كلام الأخطل مشهور.

ومن فصيح كلامهم قول بعض شعراء المغاربة، يمدح من جاءه من البحر:

[الكامل]

إن امرءً قذفت إليك به
تجري الرياح به فتحمله
ويرى المنيّة كلما عصفت
للمستحق بأن تزوده

ونحوه ما كتبه الحضريّ لابن عبّاد: [البيسط]

أمرتني بركوب البحر مغترباً
ما أنت نوح فتنجيني سفينته
عليك غيري فأمره بذا الداء
ولست عيسى أنا أمشي على الماء
ومن أمثال المؤلّدين: «المورد العذب كثير الزحام».

وهو من قول بعض بني تميم: [الرجز]

إن الندى حيث ترى الضغاطا

ومنه أخذ بشار قوله: [الطويل]

يسقط الطير حيث يلتقط الحب
وفي معناه قولي: [السريع]
وفود الكريم الخيم حجاب بابيه
وليس عليه حاجب يحجب الوري
وقال أبو العتاهية:

من سابق الدهر كبا كنبوة
فاخط مع الدهر إذا ما خطا
ليس لمن ليس له حيلة

ومن شعراء الجاهلية: زياد بن زيد.

فمن شعره قوله من قصيدة: [الطويل]
طبيباً يُداوي ما به فتطبّباً
على نفسه من طول ما كان جرّباً

وقال المُبرّد في الكامل: «كان العباس أجهر الناس وأشدّهم صوتاً، ولذا قال له رسول الله ﷺ يوم حنين لما ولّوا عن القتال: «اضرّخ بالنّاس». وصاح مرّة فأسقطت الحوامل».

وقد طعن الناس في قول النابغة: [المنسرح]

زجر أبي عروة السباع إذا أشفق أن يختلطن بالغنم

بأنه إذا كان هذا في السباع مع شدتها، فما حال الغنم!

وأجيب بأنها أنست بصوته، لكثرة سماعها له، بخلاف السباع.

وقيل: إنه من أكاذيب العرب. انتهى.

قلت: أبو عروة هذا ليس كنية العباس، كما في «شرح الكشاف للطّيبي» فاعرفه.

وقال الجاحظ: إن أبا عطية عُفِيْفًا النَّصْرِيَّ كانت الحبالى تُسْقِط من صوته، وفيه يقول زبيعة: [الطويل]

فَأَسْقَطَ أَخْبَالَ النَّسَاءِ بِصَوْتِهِ عُفَيْفٌ وَقَدْ نَادَى بِصَوْتِ فَطْرَبَا

وكتب الأبيوزدي للطغرائي: [الطويل]

أَلَا يَا صَفِيَّ الْمُلْكِ هَلْ أَنْتَ سَامِعٌ نِدَاءً عَلَيْهِ لِلْحَفِيظَةِ مَيْسَمٌ
أَتَاكَ غَلَامٌ مِنْ أُمِيَّةٍ يَرْتَدِي بِظِلِّكَ فَاَنْظُرْ مَنْ أَتَاكَ وَمَنْ هُمْ
وَقَدْ لَفَّتِ الشُّمُّ الْغَطَارِيْفُ عِرْقَهُ بِعِرْقِكَ فَالْأَرْحَامُ تُرْعَى وَتُكْرَمُ
أَيْنَبْدُ مَثَلِي بِالْعَرَاءِ وَمَارِنِي بِمَا أَتَوَّقَاهُ مِنَ الذُّلِّ يُخْطَمُ
وَمَنْ يَحْتَلِبُ دَرَّ الْغَنَى بِضِرَاعَةٍ فَلِلْمَجْدِ أَسْعَى حَيْثُ يُحْتَلِبُ الدَّمُ
فَهَلْ لَكَ فِي شُكْرِ تُحَدِّثُ مُقْرِفًا بِمَا رَاقَ مِنْ أَلْفَاظِهِ الْغُرِّ يَيْسَمُ
وَلَوْلَا ارْتِفَاعُ الصَّيْتِ لَمْ يُطَلَبِ الْغَنَى وَأَنْتَ بِمَا يُبْقِي لَكَ الذِّكْرَ أَعْلَمُ
فأجابه بقوله: [الطويل]

فَدَيْتُكَ قَدْ أَسْمَعْتَنِي مُتَحَرِّجًا نِدَاءً عَلَيْهِ لِلْحَفِيظَةِ مَيْسَمٌ
وَإِنْ هُمَامًا مِنْ أُمِيَّةٍ ضَامِنِي لِتَعْفُو عَنِ الْجَانِي الْمَسِيءِ وَتَحْلُمُ
فَمَالِي فِي جَوْدٍ بِجُرْمٍ مُحَجَّبٍ عَلَى بَابِهِ الْأَمْلاكُ لَوْلَا التَّجْرُمُ
أَعِدْ نَظْرًا فِيمَا أَقُولُ وَلَمْ أَكُنْ كَذِي الْعُرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ وَهُوَ يَيْسَمُ
أَعِيدُكَ بِالْجَلْمِ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَأَنْتَ أَوْلَى بِالْجَمِيلِ وَأَكْرَمُ
فَهَبْ لِي مَا لَمْ أَجْنِهِ مَتَكْرَمًا فَأَنْتَ بَعْدَرِي إِنْ تَأْمَلْتَ أَعْلَمُ
فَثِقْ فِي اعْتِقَادِي فِي وِلَائِكَ وَارْزَعْ لِي إِمَامَ الْعُلَا إِنْ بَحْبَلْتَ مَغْصَمُ
وَمَنْ الْبَدِيعُ: التَّضْمِينُ.

ولابن تميم فيه طريق لم يسبق إليها، كتضمينه قول المتنبي في الناقة: [الكامل]

وَيُغَيِّرُنِي جَذْبُ الزَّمَامِ لِقَلْبِهَا فَمَهَا إِلَيْكَ كَطَالِبٍ تَقْبِيلًا

فقال: وقد استعارة عباءة فردها ديباجة، في وردة أهديت إليه قبل أوانها: [الكامل]

سَبَقْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْحَدَائِقِ وَرَدَةٌ وَأَتَشُكُّ قَبْلَ أَوَانِهَا تَطْفِيلًا

طَمِعْتُ بِلَثْمِكَ إِذْ رَأَيْتُكَ فَجَمَعْتُ فَمَهَا إِلَيْكَ كَطَالِبٍ تَقْبِيلًا

ولو قال: «طمعت بلثم يديك حتى جمعت»، كما لا يخفى على من له إلمام بالأدب، كان أحسن.

ومما يشبه هذا المعنى ما حكى أن أبا العلاء صاعد بن الحسن، إمام أهل اللغة في عصره، كان ينادم المنصور بن أبي عامر، سلطان المغرب، فجيء إليه بوردة في مجلس من مجالس أنسبه، في أول ظهور الورد، فقال أبو العلاء صاعد بديهته: [المتقارب]

أثك أبا عامر وردة
كعذراء أبصرها مُبْصِرٌ
يُحاكي شذا المسك أنفاسها
فغَطَّتْ بِأَكْمَامِهَا رَأْسَهَا

فاستحسنه المنصور، وكلُّ أهل مجلسه.
فحسده أبو القاسم بن العَرِيف، وكان حاضراً، فقال: إنهما من شعر العباس بن
الأحنف، وقد أنشدنيهما بعضُ البغداديين بمصر، وهما عندي على ظهر كتاب بخطه.
فقال المنصور: أرنيه.

فخرج ابن العَرِيف، وركب، وجعل يَحُثُّ حتى أتى مجلس ابن بَدْر، وكان
أحسنَ أهل وقته بَدِيهة، فوصف له ما جرى، فقال أبياتاً، ودَسَّ فيها بيتي صاعد،
وأتى قبل انقضاء المجلس، وهي: [المتقارب]

عَشَوْتُ إِلَى قِصْرِ عَبَّاسَةٍ
فَأَلْفَيْتُهَا وَهِيَ فِي خَدْرِهَا
فَقَالَتْ أَسَارِ عَلَى هَجْعَةٍ
وَمَدَّتْ إِلَى وَرْدَةٍ كَفَّهَا
كِعِذْرَاءِ أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ
وَقَالَتْ خَفِ اللَّهُ لَا تَفْضَحَنَّ
فَوَلَّيْتُ عَنْهَا عَلَى غَفْلَةٍ
وَمَا خُنْتُ نَاسِي وَلَا نَاسَهَا

فحلف صاعد أنه ما رآها، فلم يصدِّقوه، وانصرفوا وهم على اعتقاد أنه سرقها.
فطار ابنُ العَرِيف، وتحيل على أن علقها على ظهر كتاب بخط مِضْرِي وورَى
وتحيل حتى غير المداد، ودخل بها على المنصور، فلما رآها اشتدَّ غيظه على صاعد،
وقال للحاضرين: غدا أمتحنه، فإن فضحه الامتحان لم يبقَ في موضع لي فيه سلطان.
فلما أصبح وجَّه إليه فحضر، وأحضر جمع الندماء، فدخل بهم وبه إلى مجلس
حَفَل، وقد أعدَّ فيه طبَقاً عظيماً جعل فيه سقائف مصنوعة من جميع النواوير، ووضع
على السقائف لُعبٌ من ياسمين في شكل الجواري وتحت السقائف بركة ماء قد ألقى
فيها لؤلؤاً مثل الحُضباء، وفي البركة حية تسبح.

فلما دخل صاعد، ورأى الطبق، قال له المنصور: هذا يومٌ إما أن تسعد فيه
معنا، وإما أن تشقى بالصدِّ عندنا، لأنه قد زعم قومٌ أن كلما تأتي به دعوى، وقد
وقفتُ على حقيقة من ذلك، وهذا طبق ما توهمتُ أنه حضر بين يدي ملك قبلي
شكُّه، فصِفَّه بجميع ما فيه.

فقال صاعد بديهة: [الطويل]

أبا عامر هل غيرُ جَدْوَاكَ وإِكْفُ
يسوقُ إِلَيْكَ الدهرُ كلَّ غريبةِ
وهل غيرُ من عاداك في الناس خائفُ
وأغربُ ما يَلْقَاهُ عندك واصِفُ
عليها فمِنْهَا عَبَقْرٌ ورفارِفُ
وشايعُ نَورِ صاغها صَيَّبُ الحيا

ولمّا تناهى الحسنُ فيها تقابلت
 كمثلي الظباء المستكينة كُنساً
 وأعجبُ منها أنهنَّ نواظرُ
 حصاها اللآلي سابحٌ في عُبابها
 ترى ما تشاء العينُ في جنباتها
 فاستغرِبت له يومئذ تلك البديهة، في مثل ذلك الموضع، وكتبها المنصور بخطه.
 وكان إلى ناحية تلك السقائف سفينةٌ فيها جارية من النوار، تُجَدِّفُ بمجاديف من
 ذهب، لم يرها صاعد، فقال له المنصور: أجدت، إلا أنك لم تصيف هذه الجارية.
 فقال للوقت: [الطويل]

وأعجبُ منها عادةٌ في سفينةِ
 إذا راعها موجٌ من الماء تتقي
 متى كانت الحسناء ربانَ مركبِ
 ولم ترعيني في البلاد حديقةً
 ولا غرّو أن ساقث معاليك روضةً
 فأنت امرؤٌ لو رُمّت نَقْلَ مُتالِعِ
 إذا قلت قولاً أو بدّدت بديهةً
 فامر له المنصور بألف دينار، ومائة ثوب، وأجرى عليه في كل شهر ثلاثين
 ديناراً، وألحقه بديوان الندماء.

واعلم أن المتأخرين وإن تأخر زمانهم عن المتقدمين فقد زاحموهم بالتركيب،
 وكادوا أن يرقوا إلى أعلى الرُتب.

لا سيّما شعراء المغرب، فقد أتوا بمعانٍ بديعة، وارتقوا إلى مرتبة رفيعة.
 كيزيد بن خالد الإشبيلي، له في وصف السفن معانٍ لم يُسبق إليها.
 كقوله: [الطويل]

إذا نُشِرت في الجوّ أجنحةٌ لها
 وإن لم تهجه الرياحُ جاء مصافحاً
 مجاديفُ كالحياتِ مدّت رؤوسها
 كما أشرعتُ عدداً أناملُ حاسبِ
 هي الهدبُ في أجفانِ أكلِ أوظفِ
 وفي معناه قول أبي الحسن بن خريق: [الكامل]

وكأنما سكن الأراقم جوفها
 من عهد نوح خشية الطوفان

فإذا رأين الماء يطفح نضضت
ومن شعرائهم ابن خفاجة. وقرأت في «ديوانه» قصيدة رائية، لم يطن على آذان
الدهر مثلها، وهي: [الطويل]

أما والتفات الروض عن أزرق النهر
وقى نسمت ريح التعمى فنبهت
وخدر فتاة قد طرقت وإنما
وقد خلعت البرد عنه وإنما
لقد جبت دون الحي كل تنوفة
وخضت ظلام الليل يسود فحمة
وجئت ديار الحي والليل مطرف
أشيم به برق الحديد وربما
فلم ألق إلا صعدة فوق لامة
ولا شمت إلا غرة فوق أشقر
ودون طروق الحي خوضة فتكة
تطلع في فرع من النقع أسود
فسرت وقلب الليل يخفق غيرة
فطار إليها بي جناح صباية
فقلت رويداً لا تراعي فإننا
وسكنت من نفس تجيش مروعة
ومزقت جيب الليل عنها وإنما
وقبلت ما بين المحيا إلى الطلى
وأطرب سجع الحلي من خيزرانية
غزالية الألحاظ ريمية الطلى
ترجح في موشية ذهبية
تلاقي نسيبي في هواها وأدمعي
وقد خلعت ليلاً علينا يد الهوى
ولما تجلى ضوء صبح كأنه
وحط رداء الغيم عن منكب الصبا
صدزت ودون الحي ستر غمامة
ولا ليل إلا بالثوية أقمر

وإشراق جيد الغضن في حلية الزهر
عيون الندامى تحت ريحانة الفجر
أبحث به وكر الحمامة للصقر
نشرت به طي الصحيفة عن سطر
يحوم بها نشر السماء على وكر
ودشت عرين الليث ينظر عن جمر
متمم ثوب الأفق بالأنجم الزهر
عثرت بأطرف الردينية السمر
فقلت قضيب قد أطل على نهر
فقلت حباب يستدير على خمير
مورسة السربال دامية الظفر
وتسفر عن خد من السيف مخمر
هناك وعين النجم تنظر عن سزر
فطار بها عني جناح من الذعر
لنطوي ضلوع الليل منا على سر
ومسخت عن عطف تمايل مزور
رفعت جناح النسر عن بيضة الخدر
وعاقت ما بين التراقي إلى الخضر
تميل بها ريح الشبابة والسكر
مدامية الألمى حبابية الثغر
كما اشتبكت زهر النجوم على البدر
فمن لؤلؤ نظم ومن لؤلؤ نشر
رداء عناق مزقته يد الفجر
مشيب بفود الليل طالع من قطر
ونم على ذيل الدجى نفس الزهر
يشف كما شف الرماد عن الجمر
تنفس فيه السكر عن نفحة السكر

ولا كفَّ إلا للأمير كريمةً تبسّم فيها النصلُ عن مَبَسَمِ النصرِ
ولعمري إن هذا سحر يُصلب له هاروت وماروت، وبلاغة قُسيّة تتبعها الأوصافُ
وتتقطع دونها النعوت.

تهزُّ المرءَ هزّاً أزيحيّة الصّبا، وهزّاً قدود الغصون بيدِ الشّمال والصّبا.
فتتعثّر الأفهام، بأذيال لوعةٍ وغرام.

كما قال: [الطويل]

وعقّد جُمانٍ في حديثِ علاقةٍ يهزُّ إليه الشيخُ عطفَ غلام
إذا ما استحثّثني لها أريحيّةً عشرتُ بذيلي لوعةٍ وغرام
لقد هزّني في رَيْطَةِ الشَّيبِ هَزَّةً أرثني ورائي في الشبابِ أمامي

وفي «تذكرة العلامة أحمد بن مكتوم» تلميذ أبي حيّان، قال:

أنشدني أبو جعفر بن الزبير، قال: أنشدني القاضي الأديب أبو العباس بن خليل،
قال: أنشدني أبو جعفر عمر بن عبد الله الحكمي، قال: أهديت لي جارية، فتبين لي
أني قد ملكت أمها ووطئتها، فرددتها لمن أهداها، وكتبت معها أبياتاً ضمنت فيها بيت
عنترة في معلقته، وهي: [الكامل]

يا مُهْدِي الرِّشَاءِ الَّذِي أَلْحَاظُهُ تركتُ فؤادي نَضْبَ تلك الأسهُمِ
رَيْحَانَةٌ كُلُّ الْمُنَى فِي شَمِّهَا لولا المُهَيِّمُنُ فِي اجْتِنَابِ المَحْرَمِ
ما عن قَلِي صُرفَتْ إِلَيْكَ وَإِنَّمَا ضَيْدُ الغَزَالَةِ لَمْ تُبْحَ لِلْمُخْرَمِ
يا وَيْحَ عَنْتَرَةَ يَقُولُ وَشَفُّهُ ما شَفَّنِي وَجَرَى وَإِنْ لَمْ أَكُنْ
يا شَاءَ ما قَنَصَ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ حُرْمَتُ عَلِيٍّ وَلَيْتَها لَمْ تُخْرَمِ

وعلى ذكر الهدية، نُهدي إليك فائدة سنّية.

كان ﷺ يقبل الهدية، ولا يقبل الصدقة.

وأهدي إليه أعرابي هدية فقبلها، فجاءه وقال: يا رسول الله، إني كنت أهديت
هدية، فأعطاه عطية فذهب. ثم أتاه مرّة، فأعطاه. ثم أتاه مرّة أخرى، فقال رسول الله
ﷺ: «إني عزمْتُ أن لا أقبل هديّة إلا من قُرشي أو ثقفِي».

فقال حسان رضي الله عنه: [البيسط]

إن الهدايا تجارات اللّنام وما يَرجو الكرامُ لَمّا يهدون من ثمن
وكان عمر رضي الله عنه لا يقبل هديّة الغمّال، وإذا قبلها وضعها في بيت
المال. فقيل له: إن رسول الله ﷺ كان يقبل الهدية. فقال: إنها كانت هدية، وهي
الآن رشوة.

ولذا قال الزاهد بن عمران: [الطويل]

توقُّ وحاذرٌ من قبولِ هديّةٍ وإن جاءنا فيها حديثٌ مُرغَبٌ

فقد حدثت بعد الرسولِ حوادثٌ
وكانت هدايا في الأوائِلِ قبلنا
فَعَادَتْ بَلَايَا يُسْرِعُ المَنْ بَعْدَهَا
ولم تزل بحورِ الشعرِ تقذِفُ عَنبراً، وتُعْطِي مَنْ غاص فيها دُرّاً.
ومن كان ذا فطرةٍ سليمة، علم أن أمَّ المعاني غيرُ عقيمة.
ألا ترى قولَ ابنِ الصَّفَّارِ في مَرثِيَّةِ غريقٍ: [البسيط]

يا أيُّها الرِّشَاءُ المكحولُ ناظرُهُ
إنَّ انغماسَكَ في التِّيَّارِ حَقَّقَ أَنَّ
وقوله في غريقٍ أيضاً: [الطويل]

غريقٌ كأنَّ الموتَ رَقٌّ لِحُسْنِهِ
أبى اللّهُ أن يَنْسَاهُ قلبي فإنه
وقال عمران الطُّولَقِيُّ: [الطويل]

ألا أيُّها الشَّخْصُ المُغَيَّبُ شَكْلُهُ
كأنَّ صَفَاءَ المَاءِ شَاكَلَ جَسْمَهُ
نأى عن ترابِ الأرضِ نُورٌ بهائه
ولما أنشد في «الدمية» قول أبي جعفر البَحَّائِيِّ في غريقٍ: [الوافر]

ولما لم يَسْغَهُ البِرُّ قَبْرًا
قال: أما أنا فقد عَجِبْتُ، إذ سمعتُ أن بحراً قد أغرق بحراً، فقلت أنا في
معناه: [المجتث]

لا تَعَجَّبَنَّ لِبَحْرِ
لأنه غَارَ لَمَّأً
ومما أبدع فيه ابنُ تَمِيمٍ قوله في غريقٍ: [الكامل]

قالوا أَيْلِبِسُهُ الغَدِيرُ مُفَاضَةٌ
فأَجَبْتُهُمْ إنَّ الجِمَامَ إذا أتى
وأجاد الوزير أبو القاسم، في قوله في مَليحٍ يَسْبَحُ في الخَلِيجِ: [م. الكامل]

إني رَضِيْتُ مِنَ الحَيَا
وعرَفْتُ أسبابَ التُّعْيِ
ولقد أراه في الخَلِ
والماءِ مثلُ السَّيْفِ وَهوَ
وكأنَّه في المَاءِ قَلْدٌ
منه ويُهْلِكُهُ مَقَالاً باطلاً
طَبَعَ الدُّرُوعَ أَسِنَّةً وَمَنَاصِلًا
بأسرها نَظَرِي إلني
م بَقْبَلَةٍ في عَارِضِيَّةِ
يَجِ يَشُقُّهُ مِنَ جَانِبِيَّةِ
و فِرْنَدُهُ في صَفْحَتِيَّةِ
جِي بَيْنَ أَشْوَاقِ إلنيَّةِ

لا تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهِ أبدأ ولا تَسْرِدُوا عَلَيْنِ
 قد ذاب فيه السُّحْرُ مِنْ حَرَكَاتِهِ أَوْ مُقْلَسِيهِ
 صَبَغَتْ بِيَاضَ الْمَاءِ صَبْ غَةً حُمْرَةً فِي وَجْنَتِيهِ

وقال الأدباء: بُدِئَ الشعرُ بِمَلِكٍ وَخُتِمَ بِمَلِكٍ.

والأول امرؤ القيس، فإنه أول من هلَّل الشعر وهذَّبه، ونسج نسيبه ورثبه.
 والثاني ابن المعتز، فإنه ممن أوتي جوامع الكلم نظماً ونثراً، وإنشاءً وشعراً.
 والعامَّة تقول: كلامُ الملوك ملوكُ الكلام.

وقيل: أبو فراس، والأول أقرب إلى القياس.

أما ابن المعتز فهو كما في كتاب «الورقة» للصولي: شاعرٌ مُفْلِقٌ، واسع الفكر في العلم والنظم والنثر، من شعراء بني هاشم وعلمائهم. وكان إمام العلماء في الأدب، ومعرفة كلام العرب.

وكان المُبرِّد يُجَلِّه، ويسعى إليه، ويستفيد منه، إلا أنه كان له هَنَات في حب بني هاشم، والغلو في تقديمهم على غيرهم، وله في ذلك قصائد، ثم رجع عن ذلك، وقال ما يناقضه. وكان ثعلب يقدمه، ويقول: هو أشعرُ أهل عصره.

وكان يحب لقاء أحمد بن يحيى، فكتب إليه عن ترك إثباته أبياتاً منها: [الكامل]

ما وَجَدُ صَادٍ فِي الْحَبَالِ مُوْتَقٍ بِمَاءٍ مُزِنٍ بَارِدٍ مُصْفَقٍ
 بِالرِّيْحِ لَمْ يَطْرُقْ وَلَمْ يُزَلِّقِ جَادَ بِهِ أَخْلَافُ دَجْنٍ مُطْبِقِ
 صرِيحُ غَيْثٍ خَالِصٍ لَمْ يُمْدَقِ إِلَّا كَوَجْدِي بِكَ لَكِنِ أَتْقِي
 يَا فَاتِحاً لِكُلِّ عِلْمٍ مُغْلَقِ وَصَيْرَفِيّاً نَاقِداً لِلْمَنْطِقِ
 إِنَّا عَلَى الْبِعَادِ وَالتَّفَرُّقِ لَنَلْتَقِي بِالذُّكْرِ إِنْ لَمْ نَلْتَقِ
 وله: [الكامل]

يَا رَبِّ إِخْوَانٍ صَجِبْتُهُمْ لَا يَمْلِكُونَ لَسَلْوَةِ قَلْبَا
 لو تَسْتَطِيعُ نَفُوسُهُمْ فَقدت أَجْسَادَهَا وَتَعَانَقَتْ حُبًّا
 وله: [المديد]

عَرَفَ الدَّارَ فَحِيًّا وَبِأَحَا بَعْدَ مَا كَانَ صَحَا وَاشْتَرَا
 ظَلَّ يَلْحَاهُ العَدُولُ وَيَأْبَى فِي عِنَانِ العَذْلِ إِلَّا جَمَا
 ومنها:

مَنْ رَأَى بَرْقاً يُضِيءُ السَّمَاخَا ثَقَبَ اللَّيْلَ سَنَاهُ فَلَاحَا
 وَكَأَنَّ البَرْقَ مُضْحَفٌ قَارٍ فَانْطَبَافاً مَرَّةً وَانْفِتَاخَا
 وله من أخرى: [البيسط]

قد دُست كيداً له يُخْفِي مَسَالِكَه يَقْظَانُ يَشْرِي إِذَا كَيْدُ العِدَى هَجَمَا

وكتب لابن وهب: [م.الرجز]

يا جـوهـرَ الإخـوانِ
ودؤلة المـمـعـالـي
عش لي كعـمـرِ شـكـري
أريـتَ عـيـنَ وُدِّي

وله: [الطويل]

كماء طريق الحج في كل منهل

وله: [الكامل]

كم حاسد حنيق علي بلا
متضحك نحوي كما ضحكك

وله من معانيه الغربية: [الرملي]

يا بخيلاً ليس يذري ما الكرم
حدثوني عنه في العيد بما
قال لأقرنت إلا بدني
فاستخار الله في كزبته

وله: [السريع]

لي صاحب مختلف الألوان
منقلب الود مع الزمان
حتى إذا لقيته أروضاني

وله من قصيدته المشهورة: [المتقارب]

ألا رب أسنة كالسيوف

ومنها:

وما ينتقص من شباب الرجال

ومنها:

دعوا الأسد تفرس ثم اشبعوا

وله من قصيدة: [الطويل]

شجك لهند دمنة فديار
ولو شئت أوقرت البلاد حوافراً
وعم السماء النقع حتى كأنه

وله من أخرى: [الطويل]

وجليلة السزمان
وروضة الأماني
فيك فقد كفاني
معاتب الإخوان

يذم على ما كان منه ويشرب

جزم وليس يضرني الحنق
نار الذبالة وهي تخرق

حرم اليوم على فيه نعم
سرني من لفظه حين حكتم
ذاك خير من أضحى الغنم
ثم ضحى بفتاه واحتجم

متهم الغيب على الإخوان
يسرق عرضي حيث لا يلقاني
فليتته دام على الهجران

تقطع أعناق أصحابها

يزد في نهاها وألبابها

بما يترك الأسد في غابها

خلاء كما شاء الفراق قفار

وسالت ورائي هاشم ونزار

دخان وأطراف الرماح شرار

سوالف أيام سبقت أواخرًا

فقلت لهم ما عشت إلا لأكبرًا
وما كنت أهوى بعدهم أن أعمراً
جفوني فما أهوى من العين منظرًا

على تزيها مسكاً فتيتاً وعثراً
فجاء كما شاء القطار ونورًا

قطعته والدجى والفجر خيطان
أفضى الشقيق إلى تنبيه وشنان

في السكر كل عشيّة وغداة
وتنفس الریحان في الجنات

ولا شباباً خان وذي وارثحل
ما عابني ولا رأى مني زلل
عصا سليمان وظل منجدل

ياكل أثمار العقول لا أكل

لابس للخشن جلباب
لجنان الحسن عتاب

فاخضبي قلبي فقد شابا

قلت: عدى «أثمرت» وقد أنكره صاحب «الذمية».

وحاكنه الأنامل أتى حوك
كان شطوره أغصان شوك

خانتك بعد لذيذ العيش ذنيك

أيا ويحه ما ذنبه أن تذكرا
ومنها:

وقالوا كبرت وانتضيت من الصبا
لبست أخلاء الهوى فنزغتهم
فأخلوا همومي من سواهم وأطبقوا
ومنها:

كأن الصبا تُهدي إليها إذا سرث
سقتها الغواذي والسواري قطارها
ومن أخرى له: [البسيط]

ومهمه كرداء الوشي مُشْتَبِه
والريح تجذب أطراف الرداء كما
ومن أخرى له: [الكامل]

شَفَع يد الساقبي وطيب زمانه
فالريح قد نمت بأسرار الربا
وله في الأرزفة: [الرجز]

لم أبك زبعا مُقْفِراً ولا طلل
بل دفتراً فيه حديث وغزل
قد دبّ فيهنّ ديباً من أكل

ومن قصيدة له: [المديد]

ومليح الذلّ ذي غنج
أثمرت أغصان راحته
ومنها: [الوافر]

خضبت رأسي فقلت لها

قلت: عدى «أثمرت» وقد أنكره صاحب «الذمية».

ودونك موسى نممته
بشكل يأخذ القذح المغلى
وله: [البسيط]

يا نفس صبراً لعل الخير عُقباك

مرث بنا سحرًا طيرٌ فقلتُ لها طوباك يا ليتنا إياك طوباك
لكن هو الدهرُ فالقيه على حذرٍ فرب مسكٍ به والحب أشراكٍ
ومن نثره قوله: قلبي نجى ذكرك، ولساني خادمٌ شكرك.
وله في مريض: أذن الله في شفائك، وتلقى ذلك ببقائك، ومسحك بيد العافية،
ووجهك إليك وإفد السّلامة، وجعل علتك ماحيةً لذنوبك، ومضاعفةً في ثوابك.
وله في العفو: لا تشنّ حسن الظفر بقبح الانتقام، وتجاوز عن مُذنبٍ لم يسلك
بإقراره طريقًا، حتى اتخذ من رجائك رفيقًا، ولم يسر ميلًا، حتى اتخذ حسن الظن
دليلاً.

ومن فقره: المعروف رِق، والمكافأة عِثق.
الحاسد مُغتاز على من لا ذنب له، بخيل بما لا يملك، طالب لما لا يجد.

خاتمة

تشبيه ابن المعتز السطور بالأغصان، والشكل بالشوك صحيح، لكنه قبيح،
وعجيبٌ من مثله كيف خفي عليه ركاكته، فانظره بعين الإنصاف، مع قولي في معناه:
[البيسط]

بعثتُ كُتبي إلى الأحباب نائبةً عن العيون إذا اشتاقت إلى النظرِ
فألخطُ في الطرس والألحاظ ناظرةً صنواقي في شبه المعنى وفي الصورِ
فإنّ هذا سوادٌ في البياض له شكلٌ كأهداب أجفان من الشعرِ

وانظر موقع الشوك في قولي: [الطويل]

إذا نكبات الدهر واقثك فاصطبِرْ تراها تجلّت فالزمان أبو الغيرِ
إذا مزق الورد النسيم سُخيرةً ترى في أيادي القُضب من شوكة إبرِ

ومما عابوه عليه قوله «طوباك» قالوا: صوابه طوبى لك.

وفيه نظرٌ عندي؛ فإنه إذا استعمل لفظ في كلامهم على وجه من وجوه الكلام،
ثم استعمل على وجه آخر، جارٍ على قواعد العربية، مؤدٌ لذلك المعنى، كيف يُعد
خطأ! فإن اللام هنا مُقدّرة، والمقدّر في حكم الملفوظ، فما الفرق بين طوبى لك،
وطوباك، حتى يُقال إن الثاني لحنٌ؟

وهذا كما قيل إن «كافة» لا تكون إلا نكرة منصوبةً حالاً، كما ذكره الحريري،
وقال: إن غيره لحنٌ، كقول الزمخشري «بكافة الأبواب»، وهو غيرُ مسلم، ولم أر من
تعرّض له من المتقدمين.

وأما الأمير أبو فراس بن حمدان، فهو فارس الهيجاء، وواحد البلغاء والفصحاء.
وهو من الذين هم في الفصاحة والشجاعة والصباحة لا يُدانيهم مداني، ولا يبارزهم
مداني.

ومن طالع «ديوانه»، عرف في البلاغة مكانه.

ألا ترى قوله: [الوافر]

عَلَوْنَا جَوْشَنًا بِأَشَدِّ مِنْهُ
بِحَيْشٍ جَاشٍ بِالْفُرسَانِ حَتَّى
وَأَلْسِنَةٍ مِنَ الْعَذْبَاتِ حُمْرِ
وقوله: [الكامل]

وَأَثَبَتْ عِنْدَ مُشْتَجِرِ الرِّمَاحِ
ظَنَنْتَ الْبِرَّ بِحِرًّا مِنْ سِلَاحِ
تَخَاطَبُنَا بِأَفْوَاهِ الرِّمَاحِ

ويحول عن شيم الكريم الوافي
عند الجفاء وقلة الإنصاف
عوضاً عن الإلحاح والإلحاف
ولو أنه عاري المناكب حافي
وإذا قنعت فكل شيء كافي
ومروءتي وقناعتي وكفافي
مأوى الكرام ومنزل الأضياف
حتى كأن ضروفه أخلافي
ولقد عرفت بمثلها أسلافي

وسمع وهو أسير سجع حمامة، فقال: [الطويل]

أيا جارتني هل بات حالك حالي
ولا خطرت منك الهموم ببالي
على غضن نائي المسافة عالي
تعالني أقاسمك الهموم تعالي
تردد في جسم يعذب بالي
ويسكت محزون ويندب سالي
ولكن دمعي في الحوادث عالي

أقول وقد ناخت بقربي حمامة
معاذ الهوى ما دقت طارقة الثوى
أتحمل مخزون الفؤاد قوادم
أيا جارتني ما أنصف الدهر بيننا
تعالني تربي روحاً لدي ضعيفة
أيضحك مأسور وتبكي طليقة
لقد صرت أولى منك بالدمع مقلّة

وقد لحن في قوله «تعالني» إذ كان حقه فتح اللام، لأن أصله تعالني بيائين: ياء

مفتوحة، وياء ساكنة، فأعلت الأولى، وحذفت لالتقاء الساكنين.

وممن ذكر هذا ابن هشام في «شرح الشذور» من غير خلاف فيه بين أهل العربية.

أقول: هذا هو المعروف بين أهل العربية، وعندني أنه غير مسلم؛ فإن قتادة روى عن الحسن البصري، أنه قرأ: ﴿قُلْ تَمَالَوْا﴾ [الأنعام: ١٥١] بضم اللام، كما ذكره ابن جني في «المحتسب».

وقال: وجهه أنه حذف لام تعاليت استحساناً، وتخفيفاً، فلما زالت لام الكلمة ضُمَّت اللام؛ لوقوع الواو بعدها، كقولك «تقدّموا وتأخروا»، ونظيره: ما باليت به بالة، وأصله بالية، كالعافية والعاقبة، ثم حذف كما تقول: اسعوا، أمراً من سعى. ونظير ما نحن فيه ما قاله الكسائي، في آية على أن أصله أيبة زنة فاعلة. ونظير ما نحن فيه قراءة الحسن أيضاً في قوله عز وجل: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٣]، بضم اللام، حدثنا بذلك أبو علي، وذهب إلى ما ذكرناه من حذف اللام استخفافاً، وإلى أنه يجوز أن يكون أراد «صألون الجحيم» فحذف النون للإضافة، وحذف الواو التي هي علم الجمع لفظاً؛ لالتقاء الساكنين، واستعمل لفظاً حملاً على المعنى، كقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٢]. وأما حديث «تعال»، والقول على ماضيه وتضريفه، ومن أين جاز استعمال لفظ العلو في التقدّم، فأمر يحتاج إلى فضل قول، كما ذكرناه في غير هذا الموضع. إلا أن من جملته أنهم استعملوا لفظ التقدّم والارتفاع، على طريق واحد، من ذلك قولهم: قدّمته إلى الحاكم، وهو كقولك: ترفعنا إلى الحاكم، فكذلك قولك للرجل: تعال. كقولك له: تقدّم، وأصله أن التقدّم تعال، والتأخر انخفاض وتراخ، فافهم.

أقول: إن «تعال» استعملوه على وجهين:

أحدهما: وهو الفصيح المشهور، أن تحذف الياء التي هي لام الكلمة؛ لالتقاء الساكنين، بعد قلبها ألفاً فتبقى اللام التي قبلها على فتحها؛ لأن المحذوف لعلّة كالموجود.

والثاني: أن تحذف ابتداءً، للتخفيف نسياً منسياً، فيبقى ما قبلها آخر الكلمة، فيحرك بحركة تُجانس الضمير المتصل بها، فيقال: «تعال» بكسر اللام كقطام، وبه قرئ في الشواذ، إلا أن الظاهر أنه غير مقيس، فهل يقال إن التكلم بمثله في تركيب آخر لحن وخطأ، أو لا؟ محل نظر.

وهذا جارٍ فيما قاله أبو فراس، ثم إنه أشار إلى أن «تعال» أمر بالعلو، أريد به الحضور والتقدّم، وشاع حتى صار حقيقة فيه.

وهو تحقيق نفيس ينبغي حفظه في خزائن الأذهان.

وفي «الدرّ المصون» استثقلت الضمة على الياء فحذفت، ثم حذفت الياء؛ لالتقاء الساكنين، أو قلبت لتحريكها، وانفتح ما قبلها ألفاً، وحذفت لالتقاء الساكنين، وقرأ الحسن وأبو واقد بضم اللام، ووُجّهت بأن الضمة استثقلت على الياء، فنقلت إلى اللام بعد حذف حركتها.

وعندي أنهم تناسوا المحذوف، حتى توهموا أنها بُنيت كذلك، وأن اللام آخرها حقيقة، حتّ ضُمَّت مع الواو، وكُبرت مع الياء، كما قالوا: «لم أبل».

وقال الزمخشري: وعلى هذا قول الحمداني، وعاب هذا عليه من قال إنه مؤلد، لا يستشهد بكلامه، وليس بعيب؛ فإنه إنما ذكره استثناساً به، ولا يُعاب عليه ما عرفه ونبه عليه. انتهى.

وكان هذا الشعر مما قاله لما أسره الروم، وله في ذلك أشعار كثيرة بليغة، هي في «ديوانه».

وأحسن ما قيل في السجن قول علي بن الجهم: [الكامل]

قالوا حُبِسْتَ فقلت ليس بضائري
أو ما رأيت الليث يألف غيلهُ
والبدرُ يدركهُ السرارُ فينجلي
والشمسُ لولا أنها مخجوبةٌ
والنارُ في أحجارها مخبوءةٌ
والزاعبيّةُ لا يقوم كعوبها
ولكلِّ حالٍ مُغقبٌ ولربّما
والحبسُ إن لم تغشه لِدنيّةِ
بيتٍ يجدد للكريم كرامةً
لو لم يكن في الحبسِ إلاّ أنّه
كم من عليل قد تخطاه الرّدى
وكانوا يقولون: القيودُ خلاجيل الرجال.

ومن بديع قوله في السحاب: [المتقارب]

وسارية لا تملُّ البُكا
سرتْ تقدح الصبح في ليلها
فلما دنّت جَلجلت في السما
ضمّانٌ عليها ارتداغ البقاع
فما زال مدمعها باكياً
فأضححت سِواء وجوه البلادِ
وكأسٍ سبقتُ إلى شربها
يُشير بها غُصنُ ناعمٍ
إذا شئتُ علّمني بالجفرو
له شعْرٌ مثلُ نسجِ الدروعِ
ويضحك عن أقحوانِ الرياضِ

جری دمّعها فی حدود الثرى
ببزق كهنديّة تلتضى
ء رغداً أجش كصوت الرّحى
بأنوائها واغتجاز الرّيا
على الثّرب حتى اكتسى ما اكتسى
وجنّ النبات بها والتقى
عدولي كذوب عقيق جرى
من البان مفرسه في نقا
ن من مقلّة كحلت بالهوى
وجفن سقيم إذا ما رنا
يفسّله بالعشيّ الندى

وَمِضْبَا حُنَا قَمَرٌ مَشْرِقٌ كُتْرَسِ اللَّجَيْنِ يَشْقُ الدُّجَى
وأشعاره كلها أوضاح وُغَرَّرَ، وعقودُ فرائد ودُرَّرَ.

لم نوردُ منها ما فيه إغراق، لأنَّ أكثرها في طُرُق الفصاحة مُهراق.

ألم ترهم عابوا قول أبي نُواس: [الكامل]

لَقَدْ اتَّقَيْتَ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَجَهَدْتَ نَفْسَكَ فَوْقَ جُهْدِ الْمُتَّقِي
وَأَخَفْتَ أَهْلَ الشَّرِكِ حَتَّى إِنَّهُ لَتَخَافُكَ النُّطْفُ التِّي لَمْ تُخْلَقِ

كما ذكره أهل المعاني، وإن اعتذروا عنه بما لا يُجدي؛ لأنه إنما يحسن مثله إذا

اقترن بكاد، كقوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ﴾ [النور: ٣٥] الآية.

ومما عيب منه قول مُهلِهل بن ربيعة، من قصيدة يرثي بها كُليبا: [الوافر]

وَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمَعُ مَنْ بِحَجَرٍ صَلِيلُ البَيْضِ تُقْرَعُ بِالذُّكُورِ
والبيض جمع بَيْضَة، وهي المِغْفَر.

والذكور: السيوف.

وضمنه المهديُّ بن محمد العُكْبَرِيُّ يهجو ابنَ وَهْبٍ، ونقله لمعنى آخر فقال:

[الوافر]

وسائلة عن الحسن بن وَهْبٍ وعمّا فيه من كَرَمٍ وخيرِ
فقلتُ هو المُهذَّبُ غيرَ أُنِّي أراه كَثِيرِ إِسْبَالِ السُّتُورِ
وأكثرُ ما يُغْنِيهِ فَتَاهُ حُسَيْنٌ حِينَ يَخْلُو لِلسُّرُورِ
فلولا الرِّيحُ أَسْمَعُ مَنْ بِحَجَرٍ صَلِيلُ البَيْضِ تُقْرَعُ بِالذُّكُورِ

تَمَّةٌ، وَفَائِدَةٌ مَهْمَةٌ

قد عرفت مما ذكره أهل المعاني أن الإغراق غيرُ مقبول، ما لم يقارن «كاد» ونحوها، وهذا مما شهد به الذوق السليم، وزكى شهادته الطبع المستقيم.

وهذا وإن سلمه علماء المعاني والبيان، إلا أنه محتاج إلى الإيضاح والبيان.

فإنه قد يعترض عليه بما يعارضه، ويكدره وُرُودُ ما يناقضه.

كقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية، فإنه بمعناه، إذ إخراج الذريرة من الظهور، قبل الخلق والظهور، وأخذ الموائيق والعهود مما يقتضي التَّغْيِبَ والتَّهْيِيبَ، وهذا أشدُّ مما في البيت، لأنه على سبيل التَّخْيِيلِ والتَّقْدِيرِ، وهذا على سبيل التَّحْقِيقِ.

وقد ذُكِرَ هذا في حديث «الصحيحين» المعلوم عند علماء الحديث، ولهم فيه

طريقان، مشهوران، وهو مما خفي على كثير من العلماء.

ولهم فيه كلامٌ محتاج للإيضاح، فأقول:
لعلماء التفسير فيه طريقان:

الأول: أنه من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه، وعلى هذا لا يبقى فيه إشكال، ولا للبحث عنه مجال.

الثاني: أن له معنى جليلاً، قام عليه أقوى برهان ودليل.
فمنهم من ذهب إلى أنه استعارة وتمثيل، نُزِلَ فيه وضوح الأدلة القائمة على توحيدِه تعالى، وصحة أحكام الشريعة المزكوزة في الفطرة السليمة، منزلة بُروزهم في الخارج، وأخذ العهود منزلة أتباع ما ذكر وتسليمه، والعمل بمقتضاه، فلا يرد عليه شيء مما ذُكِرَ في الشعر.

ونحن نقول: إن الأمر الذي وَقَعَ فيه المبالغة لا يخلو؛ إما أن يقع بعد زمان بعيد، كالساعة، أو لا يقع، وهو إما مُحال مُتَعَدِّرُ الوقوع، له نظائر ومُشابه أو لا.
الأول: مقبول التنزيل المُتَحَقِّقُ الوقوع منزلة الواقع.
وكذا الثاني؛ لإمكان أن يُراد، مجازاً أو كناية.
والأخير هو محلُّ الكلام.

والذي عليه أهل المعاني أنه مردودٌ ما لم يقترن به مُسَوِّغٌ، مثل «كاد» ونحوها، والآية ليست من هذا القبيل؛ لإسنادها لله الذي أبرز المعدومات من أزحام العدم، ولا يقتضي قدرته شيء في القَدَم، فما علينا إلا الإيمان بذلك، وما لم تصل له أفهامنا نكله إليه، ونسأله أن يهدينا للوقوف عليه.

وكفى هذا الاحتمال في مثل هذه الحال، وما بعد الهدى إلا الضلال.
فإن قلت: كيف أنكروا على أبي نُوَاس هذا، واستحسنوا قوله، وقد عشق بعض أولاد الخليفة: [المنسرح]

إني صَبُّ ولا أقول بَمَنْ أخاف مَنْ لا يخاف من أحد
إذا تفكَّرتُ في هَوَايَ له أجسُّ رأسي هل طار عن جسدي
ومع أنه مثله في المبالغة والإغراق؛ لأن الأمر الذي خطر بباله، ولم يخطر على لسانِ مقالِه.

كيف يخافه ويخشاه، وهو ما تعدى خاطرَه وتخطاه؟

ولا فَرَقَ بين هذا وذاك، لمن له أذنى إدراك.

قلت: الفرق مثلُ الصبحِ ظاهر، لمن نُورُ الله منه البصر والبصائر.

فإن النُظْفَةَ لا إدراك لها أصلاً، وهي قبل خلقها أبعَدُ عقلاً.

فركاكتُه أظهرُ من الشمس، وأبعَدُ من أمس.

أما ما في فكرِه من الأمر المَهُول، فقد تهتدي إليه العقول.

لشدة اضطرابه، وقد يظهرُ على سِحْنَتِه آثارُ أوصابه.

وقد تُدرك الفراسة ما ينطق به لسان الحال، وربما تمّ عليه لسان المقال.

وقد قلتُ في معناه ما هو أحسن منه: [الكامل]

صار الأعادي من مهابة بطشه عقمى بلا نسل ولا أعقاب
فكأنما النطف التي قرث ثوث من خوفها بمفازة الأضلاب

وقد تَلَطَّف وأغرب في قوله: [المنسرح]

أجسّ رأسي، هل طار عن جسدي

لجعله ما يترقبه واقعاً به، حتى فثس عن رأسه، وجسها بيده، ليعلم هل قطعت

أو لا.

وهذا نوعٌ من البديع بديع، كقول المَنَازِي في وصف نهر: [الوافر]

يَرُوعُ حَاصَهُ حَالِيَةَ الْعَذَارَى فَتَلَمَسُ جَانِبَ الْعِقْدِ النَّظِيمِ

وفيه التعبيرُ عن المقال بالفعال، كقوله: [الطويل]

وتشتم بالأفعال قبل الشكلم

ومثله قول ابن رَشِيْق: [السريع]

قَبَلَنِي مُخْتَشِماً شَادِنٌ أَحْوَجَ مَا كُنْتُ لَتَقْبِيلِهِ
أَوْمَأْتُ إِذْ جَاءَ بِأَثْرَجَةٍ عَرَفْتُ فِيهَا كُنْهَ تَأْوِيلِهِ
لَمَّا تَطَيَّرْتُ بِمَغْكَوسِهَا ضَمَمْتُ بَنَاناً نَحْوَ تَقْبِيلِهِ

وقد بسطنا الكلام عليه في كتاب «المجالس»، وهذا لم أر من ذكره، وهو مما

استخرجته، وسميته «نطق الأفعال».

ومنه قولِي: [الكامل]

وَمُعَذِّرِ كَتَبَ الْجَمَالَ بِوَجْهِهِ هَذَا طِرَازُ اللَّهِ لَاحَ بِطَرَّتِهِ
لَمَّا بَدَأَ فِي الْوَرْدِ مِنْهُ بِنَفْسِجٍ فِي الْخَدِّ أَطْرَقَ رَأْسُهُ مِنْ خَجَلْتِهِ

ولما بلغ عبد الملك أن الحجاج لا يُراعي الشعراء نقم ذلك عليه، وكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عبد الملك، إلى الحجاج بن يوسف.

أما بعد، فقد بلغني عنك أمرٌ كذب فراستي فيك، وأخلف ظني بك، عن

إغراضك عن الشعر والشعراء، فكأنك لا تعرف فضيلة الشعر الشعراء، ومواقع
سهامهم.

أو ما علمت يا أبا ثقيف أن بقاء الشعر بقاء الذكر، ونماء الفخر، وأن الشعر

طراز الملك، وخلي الدولة، وعنوان النعم، وتمام المجد، ودلائل الكرم.

وأنهم يخضون على الأفعال الجميلة، وينهون عن الأخلاق الذميمة.

وأنهم سئوا سبل المكارم لطلابها، ودلوا العفاة على أبوابها.

وَأَنَّ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ كَرَمٌ، وَالْإِعْرَاضَ عَنْهُمْ لُؤْمٌ وَنَدَمٌ.
فَاسْتَذْرِكْ فَرَطًا تَفْرِيطُكَ، وَامْنَحْ بِصَوَابِكَ وَخِيَاغَالِيَطُكَ.
وَالسَّلَامُ.

وبهذا علمت وَقَعَ الشعر عند الملوك، وأنه سبيلٌ إلى المكارم مَسْلُوكٌ.
وَأَنَّ الشُّعْرَاءَ قَافِلَةٌ تَحْمِلُ الذُّكْرَ الْجَمِيلَ، وَأَنَّ بَضَائِعَهُمْ نَافِقَةٌ عِنْدَ الْكِرَامِ، كَاسِيدَةٌ
عِنْدَ اللَّثَامِ.

وَالسُّلْطَانَ سُوقٌ تُجَلِّبُ لَهَا الرِّغَائِبَ، وَتُجَبِّئُ لَهَا مَحَامِدَ تَمْتَلِي بِهَا الْحَقَائِبَ.

وَلَأَبِي إِسْحَاقَ الْغَزِّيَّ، مِنْ قَصِيدَةٍ: [الوافر]

جُحُودٌ فَضِيلَةُ الشُّعْرَاءِ غِيٌّ	وَتَفْخِيمٌ الْمَدِيحِ مِنَ الرَّشَادِ
مَحَتْ بِأَنْتَ سَعَادُ ذُنُوبَ كَغِبِ	وَأَعْلَتْ كَعَبَهُ فِي كُلِّ نَادِ
وَمَا افْتَقَرَ النَّبِيُّ إِلَى قَصِيدِ	مُشَبَّهَةٌ بِبَيْنِ مَنْ سَعَادِ
وَلَكِنْ سَنَّ إِسْدَاءَ الْأَيْادِي	وَكَانَ إِلَى الْمَكَارِمِ خَيْرَ هَادِ

هذا تمام ريحانة الألباء، المشتملة على أحاسن الأدباء.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَالْأَصْحَابِ، الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ الْأَنْجَابِ.
مَا هَبَّتْ نَسْمَةٌ وَهْنَانَةٌ، وَفَاحَ شَذَا رِيحَانَةٌ.

أَمِينَ.

فهرس الآيات القرآنية

رقمها الجزء والصفحة

الآية

سورة الفاتحة

٧ ١٩٣/٢

﴿صِرَاطَ﴾

سورة البقرة

١٠ ١٣٢/٢

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾

٣٠ ١٤١/٢

﴿أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾

٧٤ ١٣٠/٢

﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾

١٢٦ ٢٢٨/١

﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾

١٣٤ ١٢٦/٢

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾

سورة النساء

٥٨ ١٦١/٢

﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ أَنَّ تُوَدُّوا الْأَمْنَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾

٥٩ ٢٢٥/١

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾

٥٩ ٢٠٢/٢

﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾

٦٩ ٩٠/١

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾

سورة المائدة

٩٥ ٢٠٢/٢

﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾

١٠١ ٦٤/٢

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾

سورة الأنعام

١١ ١١٨/٢

﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾

١١٤ ١٦١/٢

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا﴾

١٢٤ ٢١/٢

﴿رُسُلُ اللَّهِ أَكْثَرُ﴾

١٥١ ٢٢٣/٢

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنبِئُكُمْ﴾

سورة الأعراف

١٧٢ ٢٢٦/٢

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾

٢٠٤ ١٨٠/٢

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

سورة التوبة

١٨ ١٨١/٢

﴿إِنَّمَا يَعْزُبُ عَنَّا اللَّهُ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

سورة يونس

٢٢٤ / ٢ ٤٢ ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾

سورة هود

٢٢٢ / ١ ٧٩ ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾

سورة يوسف

٥٠ / ٢ ٨٢ ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾

سورة إبراهيم

٢١٦ / ١ ٣٧ ﴿فَجَعَلَ أَفْئِدَةً مِمَّنِ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ﴾

سورة الحجر

١٩٣ / ٢ ٩٤ ﴿فَأَصْدَعُ﴾

سورة النحل

١٠٦ / ١ ٦٢ ﴿وَتَصِيفُ أَلْسِنَتَهُمُ الْكَذِبَ﴾

٥٠ / ٢ ٨١ ﴿سَرِيلَ تَقِيحُكُمْ الْحَرَ﴾

سورة الإسراء

٢١٤ / ١ ١٦ ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيَّهَا الْقَوْلُ فدمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾

١٦٥ / ٢ ٢٧ ﴿إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾

سورة الكهف

١٢٧ / ٢ ٤٦ ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا﴾

سورة مريم

٩٤ / ١ ١٨ ﴿أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾

سورة الأنبياء

١٩٤ / ١ ٦٩ ﴿يَنَارُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾

١١٤ / ٢ ٩٠ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾

٢٢٥ / ١ ١٠٥ ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

سورة الحج

٢٢٨ / ١ ٢٥ ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ يُلْطَمِ نُدْقُهُ مِنْ عَذَابِ إِلِيمٍ﴾

٥٤ / ٢ ٤٦ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾

سورة المؤمنون

٦٢/٢ ٨

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ زَعُونَ ﴿٨﴾﴾

سورة النور

٢٢٦/٢ ٣٥

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾

٩٦/٢ ٣٥

﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾

٨٥/٢ ٤٠

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾

٢٢٧/١ ٥٤

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ﴾

سورة النمل

١٩٥/١ ٢٩

﴿إِنِّي أَلْفَىٰ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾

سورة القصص

٢٠٢/٢ ٢٧

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْسُقَ عَلَيْكَ﴾

سورة العنكبوت

١١٣/٢ ٥٦

﴿إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ﴾

سورة الروم

١٢١ ٢ ٣-١

﴿الْعَمَّ ﴿١﴾ غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي آذَانِ الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَاقِطُونَ ﴿٣﴾﴾

سورة لقمان

١١١ ٢ ٢٧

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾

سورة الأحزاب

٢٠٤ ٢ ٥٠

﴿وَأَمْرًا مُّؤَمَّنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسًا لِلنَّبِيِّ﴾

٢٠٤ ٢ ٥٣

﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾

١٣٧ ٢ ٥٩

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَّازِجِيكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْرِكُنَّ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَنَابِهِنَّ﴾

١١٠ ٢ ١٢

﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾

١٠١ ١ ٢١

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾

سورة فاطر

٢٣ ١ ١١

﴿وَمَا يُعْمَرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِن عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾

١٣ ٢ ١٨

﴿وَلَا تَرُزُّ وَازِرَةً وَرَدَّ أُخْرَىٰ﴾

سورة يس

٢٠٠ ٢ ٦٩

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾

سورة الصافات

٢٢٤/٢ ١٦٣ ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾

سورة الشورى

٢٢٦/١ ٢٣ ﴿قُلْ لَا اسْتَكْبَرُ عَلَيَّ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴿٢٣﴾﴾

١٩٩/١ ٢٨ ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ﴿٢٨﴾﴾

سورة الطور

٧٠/٢ ٢-١ ﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكُتِبَ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾﴾

١١٧/٢ ٣-١ ﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكُتِبَ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍ مَنشُورٍ ﴿٣﴾﴾

٧٣/٢ ٢١ ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ بِإِيمَانٍ ﴿٢١﴾﴾

سورة النجم

١١٩/١ ٢-١ ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾

١٧/٢ ٣٢ ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّفَىٰ ﴿٣٢﴾﴾

سورة الرحمن

٥٨/٢ ٩ ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾

سورة الواقعة

١٥٢/١ ١١ و١٠ ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمَقْرُونُونَ ﴿١١﴾﴾

سورة التغابن

١٧٩/٢ ١٦ ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾

سورة التحريم

١٥٥/٢ ١١ ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴿١١﴾﴾

سورة الجن

٩٤/١ ١٠ ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾

سورة القيامة

١٨٣/٢ ١١ ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾﴾

سورة النازعات

١٤٥/٢ ٢٤ ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾

سورة عبس

٣٩/٢ ٢-١ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾﴾

رقمها الجزء والصفحة

الآية

سورة التكوير

٥ ٦٧/٢

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾﴾

سورة الطارق

٢-١ ١٠٢/١

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾﴾

سورة الغاشية

٢٠-١٧ ٤/٢

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيَاتِ ﴿٧﴾﴾

٢٢ ١٩٣/٢

﴿بِمُصِطَبٍ ﴿٢٢﴾﴾

سورة الشمس

٢-١ ١٠٣/٢

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾﴾

فهرس الأحاديث النبوية

رقم الجزء والصفحة

الحديث

(أ)

- ٥٨/١ «إذا كتب أحدكم كتاباً فلتربه...»
- ١٨٥/١ «أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر...»
- ٩/١ «أمي كالمطر لا يدرى الخير في أوله أم في آخره»
- ٩٠/١ أن رجلاً أتى الرسول ﷺ، فقال: يا رسول الله، أنت أحب إلي من نفسي وأهلي...»
- ٦٠/٢ أن رجلاً قبل امرأة فشكته للنبي ﷺ...»
- ١٤٣/٢ أنه عليه الصلاة والسلام أخذ جريدة رطبة فشققها نصفين فغرز في كل قبر واحدة...»
- ١٧١/٢ أنه ﷺ كان يحب الفأل الحسن
- ٩٧/١ أنه ﷺ كان يحب الفأل ويكره الطيرة
- ٦٢/٢ «إن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة»
- ٢٠٦/٢ «إن من الأشجار شجرة لا يسقط ورقها...»
- ١٩٠/٢ «إن الناس لكم تبع، وإنه سيأتيكم رجال...»
- ٢١٧/٢ «إني عزمت أن لا أقبل هدية إلا من قرشي أو ثقيفي»

(ح)

- ٦٧/٢ «حتى يؤخذ للجماء من القرناء»
- ٢٠٧/٢ «الحَيَا»

(ض)

- ٣٦/١ «ضع قدمك موضع قدمي...»

(ع)

- ٩٥/١ «عليكم بالصدق فإنه يهدي إلى البر...»

(ف)

- ٧٢/٢ «فرخ الزنا لا يدخل الجنة»

(ك)

- ٥١/٢ «كفى بالسيف شا»
- ٢٠٧/٢ «كيف ترون قواعدها...» الحديث

(ل)

- ٩٦/١ «لا تزكوا أنفسكم»

رقم الجزء والصفحة	الحديث
٦٠ / ٢	«لا تعد» نهيا عن قبلة الأجنبية
٧٢ / ٢	«لا يدخل الجنة ابن زانية»
٧٢ / ٢	«لا يدخل الجنة ولد زنا، ولا ولده...»
٧٢ / ٢	«لا يدخل الجنة ولد الزنا...»
٦٧ / ٢	«لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء...»
١٤٣ / ٢	«لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا»
١٤٣ / ٢	«ليعذبان»

(م)

٢٢٦ / ١	«ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»
٦٠ / ٢	«ما تقول؟» في سؤال رجل شكته امرأة قبلها
٥٨ / ٢	«ما خلا يهودي بمسلم إلا هم بقتله»
٢٠٧ / ٢	«ما يمنعني، وإنما أنزل القرآن علي بلسان عربي مبين»
٩٠ / ١	«المرء مع من أحب»
٩٥ / ١	«من ابتلى منكم بشيء من هذه القاذورات فليستتر»

(ن)

٢٣٥ / ١	«الناس مجزيون بأعمالهم...»
٢٠٦ / ٢	«النخلة» في الجواب عن الشجرة التي لا يسقط ورقها

(ي)

٦٧ / ٢	«يؤخذ للجماء من القرناء»
--------	--------------------------

فهرس القوافي وأنصاف الأبيات

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
القوافي				
(ء)				
١٤/١	١	الخفيف	-	ورفاء
٣٥/١	٣	الخفيف	البوصيري	والضياء
٣٥/١	١	الخفيف	البوصيري	الدقاء
٧٧/١	٢	الخفيف	حسين بن أحمد الجزري	الشراء
٧٨/١	٢	الكامل	حسين بن أحمد الجزري	والقرناء
١٤٦/١	٢	الكامل	الأمير منجك الجركسي	صداء
١٦٥/١	١	الكامل	-	بهاء
١٦٥/١	١	الكامل	-	الجوزاء
١٩٨/١	١	الوافر	أبو تمام	اللحاء
٦٣/٢	١	البسيط	أبو فراس	داء
٦٤/٢	٦	البسيط	الشهاب الخفاجي	شيء
٧٥/٢	٢	الطويل	الشهاب الخفاجي	رجاؤه
(ء)				
١١٨/١	٢	الكامل	مهيبار	والبصراء
١١٩/١	٢	الخفيف	الشهاب الخفاجي	الكيمياء
٨١/٢	٥	الطويل	المقري	وسناء
(ء)				
٢٣/١	٢	الكامل	محمد الصالحي الهلالي	حمراء
٣٢/١	٣	الكامل	حسن بن محمد البوريني	والإمساء
٦٣/١	٢	الدوبيت	محمد بن قاسم الحلبي	ناء
٧٩/١	٢	الكامل	حسين بن أحمد الجزري	رقبائي
٧٩/١	٧	الكامل	-	الأبناء
١٠٢/١	٣	البسيط	-	والورقاء
١١٩/١	٢	الكامل	محمد بن الأكفاني	بالشعناء
١٣٨/١	٣١	الكامل	الأمير منجك الجركسي	وعناء

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
١٨٩/١	٢	البيسط	أبو إسحاق الغزي	وإيماء
١٨٩/١	١	البيسط	الشهاب الخفاجي	أحشائي
١٩٩/١	١	البيسط	ابن الخازي، أو عبد الله بن أحمد بن الحارث	بالخليصاء
٢٠١/١	٢	البيسط	الشهاب الخفاجي	بالداء
٢٢١/١	٣	الكامل	أحمد المعري	بلاء
٢٥٣/١	٢	الطويل	-	والخلفاء
١٤/٢	١	الخفيف	-	للقضاء
١٤/٢	٢	الكامل	تقي الدين التميمي	السفهاء
٤٠/٢	١	الخفيف	-	والمساء
٤٩/٢	١	مخلع البيسط	-	السماء
٦٢/٢	١	السريع	-	أسمائي
٦٣/٢	١	البيسط	-	بالماء
٦٣/٢	٢	البيسط	الشهاب الخفاجي	وأعدائي
٦٥/٢	٢	المجثث	سري الدين ابن الصائغ الحنفي	ماء
٧١/٢	٤	الخفيف	الشهاب الخفاجي	بالماء
١٣/٢	٢	البيسط	-	وأهواء
١٠٧/٢	٧	الخفيف	محمد بن أبي الحسن البكري	الجرعاء
١٢٨/٢	١	الكامل	-	العقلاء
١٩٠/١	١	البيسط	أبو إسحاق الغزي	ماء
١٥١/٢ و				
١٨٥/٢	١	السريع	-	الماء
١٥٩/٢	١	الخفيف	-	الكسائي
١٦١/٢	٢	الخفيف	-	الفقهاء
١٧٢/٢	١	البيسط	-	الماء
١٧٦/٢	٣	الكامل	البحثري	بلاء
٢١٢/٢	٢	البيسط	الحصري	الداء
٢١٢/٢	١	الخفيف	بشار بن برد	الكرماء
٢١٨/٢	٢	البيسط	ابن الصفار	أحشائي
٦٣/١	٢	الكامل	بديع الزمان	نعمائه
١٣٦/١	١١	الكامل	الأمير منجك الجركسي	آلايه
١٦٧/١	٢	الرجز	الأرجاني	حوبائه
٧٩/٢	١	الكامل	-	نظرائه

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
				(ب)
٣٠/١	٢	الطويل	ابن شبيب	جنوبُ
٣١/١	٤	الطويل	حسن بن محمد البوريني	قلوبُ
٣٢/١	٢	الطويل	الشهاب الخفاجي	واجبُ
٥٧/١	٢	الخفيف	العماد الأصفهاني	المشيبُ
٥٧/١	١	الطويل	الطغرائي	تريبُ
٦٣/١	٢	م.الكامل	-	ارتيابُ
٦٥/١	٩	الكامل	إبراهيم بن أحمد الحلبي	مذهبُ
٧٥/١	٢	البيسط	حسين بن أحمد الجزري	سغبُ
٨٢/١	٢٠	الوافر	عبد اللطيف بن المنقار	الرحابُ
١٠٦/١	٢	م.الكامل	ابن الرومي	كوكبُ
١٥٣/١	١٩	الطويل	عبد الحق الشامي	السواربُ
١٥٤/١	١	الطويل	ابن نباتة السعدي	حواجبُ
١٥٣/١	١	الطويل	ابن نباتة السعدي	وتجاذبُ
١٥٤/١	١	الطويل	الشهاب الخفاجي	حواجبُ
١٦٠/١	٢	الطويل	محمد بن عمر العرضي	وخلبُ
١٨٩/١	١	الكامل	الأرجاني	هاربُ
٢١٦/١	١	البيسط	-	الطلبُ
٢٢١/١	١	الطويل	-	لقريبُ
٢٣٦/١	٢	البيسط	جمال الدين العصامي	الألبابُ
٢٣٦/١	١	البيسط	الشهاب الخفاجي	ضبابُ
٤/٢	٢	الطويل	-	التغربُ
٢٠/٢	١	الطويل	-	جانبُ
٨٥/٢ و				
٢١/٢	٢	م.الكامل	يحيى الأصيلي	مواكبُ
٢٢/٢	١	الطويل	ابن سناء الملك	يكتبُ
٣٠/٢	٢	البيسط	عبد الرحيم العباسي	ضربُ
٣١/٢	٢	الوافر	-	يُستطابُ
٣٤/٢	٢	الطويل	عمر الفارسكوري	المصائبُ
٣٨/٢	٦	المتقارب	أحمد بن علي العلقمي	يذهبُ
٤١/٢	١	الكامل	-	ويُشربُ

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
١٠٧/٢	٣	الطويل	محمد بن أبي الحسن البكري	منيب
١٠٧/٢	١٢	المتقارب	-	النقيب
١٥٥/٢	١	الطويل	المتنبي	طيب
٢١١/٢	٤	المتقارب	سلمى بن غوية	القضيب
٢٢٠/٢	١	الطويل	ابن المعتز	ويشرب
١٠٧/١	١	الرجز	-	وتشرب
٢٤١/١	٢	الكامل	أحمد المدني اليتيم	شراؤها
٣/٢	١	الطويل	-	تراؤها
٢٢٧/١	١	الطويل	-	غياها
١٩١/٢	٢٩	الطويل	درويش محمد الطالوي	غربة
٢١٨/٢	٢	الطويل	ابن الصفار، أو أبو إسحاق الشيرازي	جانبة
(ب)				
٦/١	١	البيسط	-	الكذبا
١١/١	١	الكامل	-	ومغاربا
١٩/١	٢	الخفيف	بدر الدين الغزي، أو رضى الدين الغزي	قربا
٩٠/١	٢	الوافر	الشهاب الخفاجي	طبنا
٩٩/١	٢	الكامل	العقيلي	ذانا
١١٥/١	١	البيسط	الوليد	وأصلابا
١٣٧/١	١٥	الكامل	الأمير منجك الجركسي	تحجبا
١٥٠/١	٣	الكامل	أبو الطيب الغزي	قلبا
١٥٢/١	٣	البيسط	ابن هاني الأندلسي	يتلهبا
١٥٤/١	١	الطويل	أبو إسحاق الغزي	وحاجبا
١٥٦/١	٢٩	الوافر	أبو الوفاء العرضي	شهابا
١٦٢/١	٢٩	البيسط	صلاح الدين الكوراني الحلبي	الشهابا
١٦٣/١	٩	الطويل	أبو بكر بن إسماعيل الشنواني	الضبا
٢٠١/١	٢	الدهر	الأديب الأصفهاني	تكذبا
٢١٨/١	١	الكامل	شهاب الدين أحمد الفيومي	الضبا
٢١٨/١	١	الكامل	شهاب الدين أحمد الفيومي	مخلبا
٢٢٠/١	١	الطويل	-	المناقبا
٢٢/٢	٢	السريع	يحيى الأصيلي	الربا
٢٣/٢	٣	السريع	الشهاب الخفاجي	مستعدبا
٣٩/٢	٦	الرميل	أحمد بن علي العلقمي	ونبا
٧١/٢	١	الكامل	-	الأبوابا

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٨١/٢	٥	الكامل	عبد العزيز الفشتالي	الرُّبِّي
٨٥/٢	١	م.الرجز	-	الهبأ
١٠٧/٢	٢	الكامل	محمد بن أبي الحسن البكري	الهبأ
١٥٢/٢	١	الطويل	أعرابي	عقابأ
١٨٠/٢	١	الوافر	-	جيوياً
٢١٢/٢	٢	الطويل	يزيد بن الطثرية، أو هدبة بن خشرم	فتطياً
٢١٣/٢	١	الطويل	ربيعة بن مسعود	فطرأ
٢١٩/٢	٢	الكامل	ابن المعتز	قلبا
٢٢١/٢	٣	المديد	-	جلبابا
١١١/١	٢	الرجز	ابن جلنك	أبوأبها
٣١/٢	٢	الكامل	-	أذناها
٦٧/١	١	السريع	-	أذبة
١٨٨/١	٢	البيسط	أبو محمد الحكيم	خربة
٤/٢	١	م.الكامل	ابن الرومي	والإصابة
٤٢/٢	٢	م.الخفيف	عبد الواحد الرشيدى	معائبة
١٥٣/٢	١	الخفيف	-	عصابة
١٦٧/٢	١	المنسرح	-	والحدبة
١٨٩/٢	٥	م.الكامل	الحريري	غربة
(ب)				
٨/١	١	الطويل	-	مغرب
٢٦/١	١	الطويل	-	لوثوب
٢٨/١	٣	الطويل	صالح الشتريني	أديب
٣١/١	٢	السريع	الشهاب الخفاجي	حبي
٣١/١	٢	الطويل	حسن بن محمد البوريني	ورقيب
٣٢/١	١٠	الطويل	حسن بن محمد البوريني	الصب
٥٥/١	١٣	الخفيف	محمد بن قاسم الحلبي	والأحباب
٥٧/١	٢	الكامل	العماد الأصفهاني	المشيب
٧٥/١	٢	الطويل	حسين بن أحمد الجزري	شائب
٧٥/١	١	البيسط	أبو تمام	المتغابي
٧٥/١	٢	الرجز	الشهاب الخفاجي	لغبي
٧٩/١	٢	الوافر	حسين بن أحمد الجزري	مريب
٩٨/١	٢	الطويل	ماماي	الغرب
١٠١/١	١	الطويل	-	واجب

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
١١١/١	٢	البسيط	أبو الفتح المالكي	الأحدب
١١٤/١	٢	البسيط	ابن مليك الحموي	والنصب
١١٤/١	٢	البسيط	-	عجب
١٤٩/١	٢	الوافر	الشهاب الخفاجي	التصايي
١٦٠/١	٢	الخفيف	محمد بن عمر العرضي	العيوب
١٨٥/١	١٦	الطويل	الشهاب الخفاجي	صحبي
١٩٠/١	٢	الوافر	-	كتاب
١٩٣/١	٣	الوافر	محمد بن إبراهيم الفاسي	المشيبي
١٩٣/١	٢	الطويل	الشهاب الخفاجي	صبيبي
١٩٧/١	١	الطويل	المتنبي	بضرب
٢٠٣/١	٣٤	الطويل	الطالوي	الثعالبي
٢١١/١	٢	الوافر	السيد عبد الخالق الفاسي	الإياب
٢٢١/١	٣	الطويل	الشهاب الخفاجي	المناقب
٢٢٤/١	١	الخفيف	-	برقيب
٢٢٥/١	٣	البسيط	-	السحب
٢٣٣/١	٤	المنسرح	قطب الدين المكي النهرواني	حبيب
٢٣٧/١	١	الطويل	ابن سنان الخفاجي	الغياض
٢٣٩/١	٤	الوافر	الشهاب الخفاجي	الرقاب
٢٥٣/١	٢	الطويل	-	العواقب
٢٥٣/١	١٧	الكامل	عبد الله بن شمس الدين بن مطهر اليمني	تحجبي
٢٥٤/١	١	البسيط	ابن النبيه	عجب
٢٥٦/١	٢	السريع	مهيار	بي
٢٥٨/١	١	السريع	الصدر	العرب
٩/٢	١٧	الرجز	عبد الوهاب المحلي المالكي	الكتب
١٧/٢	٣	السريع	يوسف المغربي	يعتب
٢٢/٢	١	الوافر	مهيار	التراب
٢٨/٢	١	الخفيف	أبو تمام	بالحبيب
٣٥/٢	٣	الطويل	تقي الدين الفارسكوري	يتائب
٣٦/٢	٥	الوافر	محمد بن أحمد الحتاتي	الرطيب
٤٢/٢	٢	الوافر	-	سني
٥٧/٢	٢	الوافر	بدر الدين الأزهري	حسابي
٦١/٢	٢	الخفيف	شهاب الدين السنفي	ذنب
٦٦/٢	١	مختل الوزن	-	نصبي

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٧١/٢	٣	الطويل	-	مُجَابٍ
٨١/٢	٢	الدوبيت	شهاب الدين المالكي	للترب
٨١/٢	٢	الدوبيت	شهاب الدين المالكي	القرب
٩١/٢	٢	الوافر	نور الدين العسيلي	شبيبي
١٠٤/٢	٢	البيسط	ابن حمديس	الغضب
١٠٧/٢	١١	الخفيف	محمد أبي الحسن البكري	الحبيب
١٢٥/٢	١	الخفيف	-	الآداب
١٢٦/٢	٤	م.الكامل	-	الشباب
١٣١/٢	١	الوافر	-	الكلاب
١٣٦/٢	٣	المنسرح	بشار بن برد	العرب
١٤١/٢	١	الكامل	ليبد بن ربيعة	الأجرب
١٥٢/٢	١	الطويل	-	الأطائب
١٥٤/٢	٣	م.الرجز	-	الثوب
١٥٥/٢	٣	الطويل	-	والمناصب
١٦٠/٢	١	الطويل	-	للمتطبب
١٦٨/٢	١	السريع	-	بالصاحب
١٨٨/٢	٧	الطويل	-	الجدب
١٩٧/٢	١	البيسط	أبو تمام	والعنب
٢١٢/٢	٢	الطويل	الشهاب الخفاجي	المعائب
٢١٧/٢	٤	الطويل	الزاهد بن عمران	مرغب
٢٢٨/٢	٢	الكامل	الشهاب الخفاجي	أعقاب
٩٨/١	٥	الكامل	ماماي	بها
١٢٥/٢	٢	م.الرجز	ابن عبد الظاهر	بحبها
٢٢٠/٢	٣	المتقارب	ابن المعتز	أصحابها
٩٩/١	٢	البيسط	الثعالبي	جوانبه
٣١/٢	٢	م.الرجز	عبد الرحيم العباسي	عنيه
٢٠١/٢	١	المتقارب	-	أولى به
١٠٢/٢	٢	م.الرجز	أبو المواهب البكري	وحاجبه
١٦٢/٢	١	البيسط	-	لقبه
(ب)				
١٩/١	١	م.الكامل	-	السحاب
٧٠/١	٢	الطويل	الشهاب الخفاجي	لمرتقب
٨٧/١	٢	السريع	بدر الدين الغزي	القرب

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٩٠ / ١	٢	السريع	ابن حجر العسقلاني	الكُرْب
١٢٥ / ١	٢	البسيط	بهاء الدين العاملي	الأعتاب
١٥١ / ١	١٠	م. الكامل	أبو الطيب الغزي	للغروب
٢٤٧ / ١	١	الرجز	-	الذهب
٢١ / ٢	٢	م.الرجز	يحيى الأصيلي	احتجب
٤١ / ٢	٢	السريع	الشهاب الخفاجي	الصواب
٤٢ / ٢	٢	م.الكامل	الأرجاني	نائب
٤٤ / ٢	١	م.الرجز		ذهب
٤٦ / ٢	٢	البسيط	صفي الدين بن محمد الغزي	وَحَب
٦٣ / ٢	٢	البسيط	محمد الأسيوطي	تَعَب
٧٧ / ٢	٢	السريع	محمد الفارضي	يجب
١٠٨ / ٢	١٨	م.الهزج	محمد بن أبي الحسن البكري	الأعذب
١٩٤ / ٢	٧	م.الكامل	الثعالبي	الرُتَب
(ث)				
٢١ / ١	٣٥	البسيط	محمد الصالحي الهلالي	البراعات
٢٤٨ / ١	٢	الكامل	علي الكيزواني	المشكاة
٧٥ / ٢	٢	الوافر	القيراطي	وارتويت
١٠١ / ٢	٢	البسيط	-	هَمَات
٢٠ / ٢	٢	الكامل	يحيى الأصيلي	بيته
١٢٠ / ٢	٢	البسيط	-	غرته
٢٠ / ٢	٢	السريع	السراج الوراق	قضيتها
(ث)				
٢٣ / ١	١	م.الوافر		وطالعة
٢٥٩ / ١	١٣	الوافر	عامر بن هارون الموزعي	وبهتا
٦٢ / ٢	٤	الوافر	شهاب الدين النسفي	نَحْنَا
٨٢ / ٢	٢	البسيط	أبو إسحاق الغزي	مواقينا
(ت)				
٣٦ / ١	٢	الطويل	التقي السبكي	لمزية
٤٩ / ١	٤	الطويل	درويش الطالوي	أحبتني
٦١ / ١	٣	البسيط	محمد بن قاسم الحلبي	أشانت
٧٣ / ١	١	الكامل	البهاء زهير	حسراتي
١٦٤ / ١	٣	الطويل	السيد أحمد بن النقيب الحلبي	ليت

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٧/٢	٢	الوافر	محمد بن عمر بن الأنباري	الممات
٧٦/٢	٣	الكامل	ابن سارة	والرقّة
٨٣/٢	٢	الكامل	-	بشتات
٩٨/٢	٤	الطويل	الشهاب الخفاجي	فلبت
١٠٠/٢	٢	المجث	محمد بن محمد الطبلاوي	أمرت
١٠٩/٢	١	مختل	محمد بن أبي الحسن البكري	ميفاتي
١٠٩/٢	٢٤	الخفيف	-	اللذات
١١٤/٢	٢	الطويل	-	قيامه
١٥٢/٢	١	الطويل	-	تمت
١٦٠/٢	٢	الطويل	-	وآيات
١٧٥/٢	١	الكامل	زهير بن أبي سلمى	أضلت
٢٢١/٢	٢	الكامل	ابن المعتز	وغداة
١١٤/١	٣	المديد	ابن مليك الحموي	نبايتها
٥٥/١	١	المنسرح	محمد بن قاسم الحلبي	وجنته
٧٨/١	٤	السريع	حسين بن أحمد الجزري	شاماته
١١٨/١	٢	م.الكامل	الزغاري	وصفاته
٢١/٢	٢	م.الكامل	يحيى الأصيلي	ذاته
٢٤٤/١	٥	المتقارب	علي بن كثير المكي	شهوته
١٢٤/٢	٢	المتقارب	ابن رشيق	همته
١٣٩/٢	١	السريع	-	لحيته
٢٢٨/٢	٢	الكامل	الشهاب الخفاجي	بطرته
(ث)				
٧٠/١	٢	البسيط	يوسف بن عمران الحلبي	جمعت
٢٥٠/١	٤	المديد	معين الدين بن البكاء	أثمرت
(ث)				
٢٠١/١	٢	الوافر	الشهاب الخفاجي	اكثرات
(ث)				
١٨٥/١	٢	السريع	الشهاب الخفاجي	استغاث
(ج)				
٨١/٢	٤	الكامل	شهاب الدين المغربي	متبلج
١٦٣/١	٢	الطويل	صلاح الدين الكوراني الحلبي	خروجها

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
			(ج)	
٢٤٢ / ١	٢	المتقارب	السراج الوراق	ابتهاجا
١١١ / ١	١	السريع	الباخرزي	أترجة
			(ج)	
١٣٤ / ١	٣٣	الخفيف	أحمد بن شاهين	بانبلج
١٦٠ / ١	٢	البيسط	محمد بن عمر العرضي	لهج
١٨٠ / ١	٢	الوافر	الشهاب الخفاجي	والمداجي
١٩٢ / ١	٣	البيسط	محمد بن إبراهيم الفاسي	مُنشِج
١٩٢ / ١	٢	البيسط	ابن أبي حجلة	بالبلج
٣٩ / ٢	٥	المنسرح	شمس الدين البصير	الوَهج
٥٩ / ٢	٢	الوافر	يحيى بن الخطيب التباني	بالخليج
٩٢ / ٢	٢	البيسط	نور الدين العسيلي	عوج
١٣٦ / ٢	٢	الرمل	بشار بن برد	زجاج
			(ج)	
٧٨ / ١	٢	الوافر	حسين بن أحمد الجزري	وأبهج
١٢٠ / ١	٢	الطويل	فتح الله البيلوني	دَرَج
			(خ)	
٣٠ / ١	٥	الطويل	حسن بن محمد البوريني	صبح
٣٤ / ١	٢	الدوبيت	البوريني	المزح
٥٨ / ١	٢	السريع	الشهاب الخفاجي	الرماح
٨٠ / ١	٢	م. البسيط	حسين بن أحمد الجزري	تروخ
١٢٥ / ١	٧	الخفيف	الأمير منجك الجركسي	سفاخ
١٦٥ / ١	١	الطويل	أشجع السلمي	فارخ
٢٠٦ / ١	١	الكامل	-	فمسخ
٢٣٤ / ١	٢	الطويل	قطب الدين المكي النهرواني	يمزح
٢٣٤ / ١	٢	الطويل	مجير الدين بن تميم	ويمزح
٢٣٤ / ١	٣	الطويل	ابن الصيفي، الحيص بصر	أبطخ
٢٣٥ / ١	٢	الطويل	كشاجم	يَمْدَحُ
٢٣٥ / ١	٢	الطويل	الشهاب الخفاجي	سينطخ
٢٣٧ / ١	٣	الخفيف	العناياتي	مريخ
٧١ / ٢	٣	الكامل	بعض شعراء الأندلس	الشخ

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٩٤/٢	١	الطويل	أبو العلاء المعري	لرامح
٩٦/٢	٣	الخفيف	أبو التّداني الوفائي	قبيح
١٠٤/٢	٣	البيسط	الشهاب الخفاجي	صبوخ
١٤١/٢	١	الوافر	ينسب لآدم عليه السلام	قبيح
١٧١/٢	٢	الطويل	-	رابح
١٩٦/٢	١	الطويل	النابعة الذبياني	جنوخ

(ح)

٣١/١	٢	الطويل	الشهاب الخفاجي	يُلحَى
٣٤/١	٢	الوافر	حسن بن محمد البوريني	السلاخا
٢١٨/٢	١	الوافر	البحتري	ضريخا
٤٢/٢	٢	البيسط	عبد الواحد الرشيدى	سَمَخَا
٦٨/٢	١	المجتث	-	روخا
٧/٢	١	الوافر	أبو جعفر البحائي	ضريخا
٢١٩/٢	٤	المديد	ابن المعتز	واستراخا
١٠١/٢	٢	الخفيف	الصنوبرى	مليخة

(ح)

٢٦/١	١	الكامل	-	الصالح
٢٩/١	٢	الوافر	الشهاب الخفاجي	صلاح
٨٨/١	٢	المنسرح	ابن حيوس	والمذح
١٤٤/١	٦	الكامل	الأمير منجك الجركسي	الأفراج
١٩٢/١	٢	الكامل	ابن الرومي	الزّاج
٢٠٠/١	١	الطويل	أبي محمد بن سفيان	الاقتداح
٢٣٧/١	٣	الطويل	ابن القيم	بالمذح
٧/٢	٢	الخفيف	محمد بن يس المنوفي	الرياح
٢٥/٢	٢	الكامل	-	تريح
٤٥/٢	٢	الخفيف	ابن الزقاق	الرياح
٨٤/٢	١	الكامل	-	روجي
٢٢٣/٢	٣	الوافر	أبو فراس	الرماح
٦/٢	٢	الطويل	محمد بن يس المنوفي	مسجها

(خ)

٤/١	١	السريع	-	الأفاخ
١٥٩/١	٣	السريع	محمد بن عمر العرضي	الملاخ

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٢٠٥/١	٢	السريع	القاضي عياض	الرياح
٤٥/٢				
٢٠٥/١	٢	السريع	ابن الزقاق الأندلسي	الرياح
٢٤٢/١	٢	م. الرمل	سراج الدين الأشهل	يُزاح
١٠١/٢	٢	م. الرمل	ابن الوردي	وسبَّخ
١٠٤/٢	٢	الرمل	القيراطي	فطفخ
			(خ)	
٥٢/١	١	البيسط	-	يُنسَخ
			(د)	
٢٩/١	١	الطويل	-	يلبُد
٨٧/١	٢	مخلع البسيط	بدر الدين الغزي	يُستفاد
١٠١/١	٢	الكامل	ابن لؤلؤ	الغيد
١٠١/١	٢	الكامل	الملك الناصر	والتسفيد
١٠٤/١	٢	الطويل	شمس الدين محمد بن إبراهيم الحلبي	مُورَد
١٦٩/١	١	الطويل	مولاي أحمد بن الرومي	مجند
١٧٣/١	٣	الكامل	الشهاب الخفاجي	العقد
١٨٢/١	١	الطويل	-	قلاند
٢٥٠/١	١	الكامل	ابن نباتة السعدي	واحد
٢٥٦/١	٥	البيسط	السيد حسين بن مطهر اليمني	المرتد
٢٥٧/١	١	الخفيف	-	الوفود
٣/٢	٣	الطويل	ابن الرومي	يُولد
٢٤/٢	١	الطويل	المتنبي	فوائد
٩٧/٢	٨	الكامل	محمد الوفاني	مُورَد
١٢٤/٢	١	الوافر	المصيبي	تريد
١٥٤/٢	٥	المنسرح	-	جدد
١٩٩/٢	١	الكامل	-	ومهند
٢٥/٢	١١	الكامل	علي بن الجهم	يغمد
١٦٣/٢	١	الطويل	المتنبي	أستجده
٥٢/١	٣٠	م. الكامل	الشهاب الخفاجي	جنود
٥٣/١	٢٩	م. الكامل	محمد بن قاسم الحلبي	خدود
٧/٢	٤	الخفيف	محمد بن يس المنوفي	رود

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
			(د)	
١١/١	١	الكامل		الندي
٣٠/١	١	الكامل	البهاء زهير	أرقدا
٣٧/١	١	الكامل	-	مساجدا
٦٠/١	٢	الخفيف	ابن فضل الله	حديدا
٧٨/١	٢	م. الرمل	حسين بن أحمد الجزري	عوذا
٧٩/١	٢	الطويل	-	أسودا
١٠٣/١	٢	الطويل	شمس الدين محمد بن إبراهيم الحلبي	البيدا
١٦٧/١	٣	الكامل	أبو العباس المنصور بالله	عهودا
١٧٦/١	١	البسيط	عبيد الله بن عبد الله بن طاهر	فقدًا
٢٠١/١	١	البسيط	-	موردا
١٧/٢	٤	الكامل	يوسف المغربي	خدودا
٤٤/٢	٣	الكامل	أحمد بن عبد السلام	مسعودا
٤٨/٢	٤	الطويل	رجب الشنواني	والندي
٧٤/٢	٨	الطويل	زين الدين محمد الأنصاري الخزرجي الحنبلي	ومحتدا
٨٤/٢	١	المتقارب	-	أسودا
٨٧/٢	١	الخفيف	-	عبدا
١٢٤/٢	٢	الطويل	-	الوردًا
٣٠/٢	٢	الرمل	عبد الرحيم العباسي	ودة
١٠٧/١	٤	المجثث	ابن خفاجة الأندلسي	قده
١١٠/١	٤	المجثث	الشهاب الخفاجي	المودة
٨/٢	٤	م. الكامل	محمد بن يس المنوفي، أو لشاعر مكي عصري	صدده

(د)

٨/١	١	الخفيف	-	مهادي
٢١/١	١	الطويل	-	يستجدي
٣٠/١	٢	الكامل	الباخرزي	بادي
٣٢/١	١	الكامل	حسن بن محمد البوريني	التوحيد
٣٤/١	٢	الخفيف	البوريني	وبلادي
٥٨/١	٢	الدوبيت	محمد بن قاسم الحلبي	المعتاد
٦١/١	١	الكامل	-	فؤادي
٦٥/١	٢	الدوبيت	محمد بن أحمد الحصكفي	يدي
٦٩/١	٢	الكامل	يوسف بن عمران الحلبي	سهادي

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٦٩ / ١	٢	السريع	الشهاب الخفاجي	بالورد
٧١ / ١	٦	الطويل	سرور بن سنين الحلبي	المقاصد
٧٢ / ١	٢	الطويل	الشهاب الخفاجي	مُسَهَّد
٨٦ / ١	٢	الطويل	بدر الدين الغزي	للعبد
٩٤ / ١	٢	الطويل	تقي الدين بن معروف	والحمد
١٠١ / ١	٢	البسيط	-	ممدود
١٠٩ / ١	١	الكامل	البحثري	بَرُود
١٠٩ / ١	٢	الطويل	أبو الفتح المالكي	والخذ
١١٢ / ١	٢	السريع	أبو العتاهية	المجد
١١٦ / ١	٤	الطويل	الشهاب الخفاجي	المجد
١٢٥ / ١	٢	البسيط	بهاء الدين العاملي	حادي
١٢٧ / ١	١	الكامل	حسن البوريني	التوحيد
١٢٨ / ١	١	الطويل	-	الشُد
١٣٠ / ١	٢	الخفيف	-	العماد
١٣٠ / ١	١٠	الكامل	الشهاب الخفاجي	لودادي
١٣١ / ١	٢	الخفيف	ابن عباد	ونجاد
١٣١ / ١	١١	الخفيف	عبد الرحمن العمادي	الأضداد
١٣٢ / ١	٥	الكامل	-	ميعاد
١٤٣ / ١	٨	الطويل	الأمير منجك الجركسي	المنضد
١٤٩ / ١	٢	م. الرمل	ابن نباتة المصري	بالبلاد
١٤٩ / ١	١	م. الرمل	-	الأعادي
١٤٩ / ١	٣	الوافر	الشهاب الخفاجي	الفؤاد
١٥٢ / ١	٢	الطويل	أبو الطيب الغزي	الوزد
١٥٥ / ١	١	البسيط	الهدلي، أو عبيد بن الأبرص	بفرصاد
١٦٨ / ١	٥	م. الرمل	عبد الله بن المعتز	القدود
١٨٠ / ١	١	الكامل	الأرجاني	بإثم
١٩١ / ١	٢	الطويل	-	جُندي
٢٠٠ / ١	٢	البسيط	ابن عبد ربه	الجسد
٢٠٠ / ١	٢	الخفيف	ابن الفارض	الزناد
٢٠٦ / ١	١	السريع	الشهاب الخفاجي	الواحد
٢٠٩ / ١	٢	الخفيف	عبد العزيز الفشتالي	العوادي
٢٢٠ / ١	٣	الكامل	-	محمد
٢٢٧ / ١	١	الكامل	-	للسود

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٢٤١/١	٢	السريع	الشهاب الخفاجي	باليد
٢٤١/١	٢	البسيط	الشافعي	كمد
٢٤٤/١	١	م. الرمل	أبو تمام	للقرود
٢٨/٢	٩	الطويل	الشهاب الخفاجي	الوزد
٢٨/٢	١١	الطويل	محمد الدمياطي الحنفي	والعقد
٢٨/٢	٦	الطويل	الشهاب الخفاجي	والسغد
٣٣/٢	٧	الرجز	سراج الدين عمر الفارسكوري	وجدي
٣٦/٢	٢	الكامل	محمد بن أحمد الحتاتي	المجتدي
٣٦/٢	٣	الكامل	الأمير أسامة بن منقذ	يهندي
٤٢/٢	١	الكامل	-	الواحد
٤٣/٢	٢	السريع	الصاحب بن عباد	قيد
٥٧/٢	٢	م.الرجز	بدر الدين الأزهري	للجسد
٥٨/٢	٢	الخفيف	-	الوجود
٦٠/٢	٢	الطويل	عبد الوهاب المالكي البغدادي	بالحد
٦٣/٢	٢	الكامل	أبو فراس	وساعدي
٩٣/٢	٢	المنسرح	الشهاب الخفاجي	بالنكد
٧٥/٢	٢	الطويل	ابن أبي حجلة	بالبعد
٧٩/٢	١	الكامل	-	الجيد
٩٢/٢	٢	الطويل	نور الدين العسيلي	بتنكيد
١٠٠/٢	٢	الكامل	محمد بن محمد الطبلاوي	صائدي
١٠٩/٢	١٣	الطويل	محمد بن أبي الحسن البكري	الملد
١١٠/٢	٨	الخفيف	-	الخدود
١١٦/٢	١	البسيط	ابن نباتة المصري	توكيد
١٢٨/٢	٢	الطويل	الشهاب الخفاجي	مقصدي
١٣٢/٢	١	الكامل	-	الأوتاد
١٣٤/٢	١	الكامل	النابعة الذبياني	ندي
١٣٧/٢	١	الوافر	-	يزيد
١٤٢/٢	١	الرجز	محمد بن المعدل	الحمدي
١٤٦/٢	١	السريع	أبو نواس	واحد
١٥٠/٢	١	الوافر	-	لييد
١٧٩/٢	٣	السريع	-	المكدي
١٨١/٢	٢	المنسرح	ابن شرف	البلد
١٩٣/٢	٦	الطويل	زهير بن أبي سلمى	معبد

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٢٠٩ و	٥			
١٩٦/٢	٢	الوافر	المتنبي	رقاد
٢٢٧/٢	٢	المنسرح	أبو نواس	أحد
٢٢٩/٢	٤	الوافر	أبو إسحاق الغزي	الرشاد
١٠٩/١	٢	السريع	ابن نباتة المصري	عقدها
٢٣١/١	١	الطويل	-	بجيدها
٦٩/١	٢	الكامل	الشهاب الخفاجي	عبده
١٠٧/١	٣٣	السريع	أبو الفتح المالكي	رفده
٢٥٦/١	٢	البسيط	ابن الساعاتي	لجزده

(د)

٨٨/١	٢	م.الكامل	بدر الدين الغزي، أو أبو عامر الجرجاني	الشواهد
١١٢/١	٣	الخفيف	أبو الفتح المالكي	أبعده
١١٢/١	٣	الكامل	الشهاب الخفاجي	أبعده
١٦٧/١	٤	السريع	أبو العباس المنصور بالله	ميد
٢٥٤/١	١	الرجز	شيخ الشيوخ الأنصاري	محمد
٤١/٢	٥	الوافر	عبد الله الدنوشي	زابده
٤٤/٢	٢	م.الكامل	الصنوبري	تصعده

(ز)

٦/١	١	الطويل	-	الخضر
٣٠/١	١	الكامل	العرجي	صبر
٥٢/١	١	الطويل	-	الدهر
٥٥/١	٢	م.البسيط	محمد بن قاسم الحلبي	ستر
١٣/١	٢	الكامل	حسين بن أحمد الجزري	الأمير
٧٨/١	٢	الطويل	حسين بن أحمد الجزري	أمور
٩٥/١	٣	الطويل	الفضل بن سهل	نصير
٩٨/١	٢	م.الرجز	الأرجاني	سكز
١٠٠/١	٢	الوافر	ماماي، أو ابن عربي	الغفور
١٠٠/١	٢	الطويل	ابن الوردي	يتبصر
١١٠/١	١	الطويل	أبو فراس	أمر
١١٠/١	١	الطويل	أبو فراس	القطر
١١١/١	٣	البسيط	أبو الفتح المالكي	سهزوا
١١٥/١	١	الطويل	ابن مليك الحموي	قبر

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
١١٥/١	١	الكامل	ابن حجة الحموي	مقابر
١١٥/١	٢	الطويل	ابن نباتة المصري	عصر
١١٥/١	١	الطويل	أبو نواس	عسير
١١٥/١	١	الطويل	-	قبور
١١٨/١	٤	الكامل	ابن عنين	تغور
١٤٣/١	١٥	البيسط	الأمير منجك الجركسي	مدارد
١٧٢/١	١	الكامل	-	أنوار
١٧٥/١	٢	م.الكامل	الصولي	وناظر
١٧٥/١	٣	م.الكامل	-	والسرور
١٨٩/١	١	البيسط	-	السفر
١٨٩/١	١	الطويل	أبو تمام	القفر
١٩٠/١	١	الطويل	الحظيري	أطوار
١٩١/١	٢	الطويل	الباخرزي	أبصر
١٩٨/١	٢	الطويل	-	تدور
٢٢٦/١	١	البيسط	-	الصور
٢٣٣/١	٢	الوافر	قطب الدين المكي النهرواني	نمير
٢٣٦/١	١	الطويل	-	كبير
٢٤٢/١	٣	الطويل	السراج الوراق	تكفر
٢٤٨/١	٢	الكامل	الصاحب بن عباد	الأمر
٢٥٠/١	٥	البيسط	معين الدين بن البكاء	أمطار
٢٥٤/١	١	البيسط	علي بن الجهم	جعفر
١١/٢	٢٢	الطويل	عبد المنعم المحلي الطريني	مشمز
١٢/٢	٢	الطويل	-	مُسكِر
٢٦/٢	٣	البيسط	علي بن غانم المقدسي	تُدخِر
٣٥/٢	٤	البيسط	تقي الدين الفارسكوري	عمر
٣٧/٢	١	الرجز	أبو فراس	السرور
٤٦/٢	٢	الكامل	أحمد بن علي العزي	تغيير
٦٣/٢	١	الخفيف	-	الفراز
٥/٢	٢	الخفيف	منصور البليسي	الأكبر
٧٠/٢	٣	البيسط	أحمد بن محيي الدين الغزي	منتشر
٧٦/٢	٢	الطويل	محمد الفارضي	الخبر
٨٦/٢	٢	الطويل	-	يُنثِر
٩٠/٢	٤	البيسط	الصابي	تستعر

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٩٢ / ٢	٢	م.الرجز	نور الدين العسيلي	سُوْرُ
٩٢ / ٢	٢	الدوبيت	الشهاب الخفاجي	يعتذُرُ
٩٣ / ٢	٢	الطويل	معقُرُ بن الحارث البارقي	يسافرُ
٩٦ / ٢	١	البيسط	أبو اليقظان الوفائي	الصُّورُ
١٠٠ / ٢	١	الطويل	مجنون بني عامر	الخضُرُ
١١١ / ٢	٧	الطويل	محمد بن أبي الحسن البكري	وثبِرُ
١١٤ / ٢	١	الطويل	-	الدهرُ
١٢٥ / ٢	١	الكامل	-	ذكورُ
١٥٥ / ٢	١	الوافر	باهل	افتخارُ
١٦٢ / ٢	٢	الطويل	-	ثغرُ
١٦٩ / ٢	٣	الطويل	الخوارزمي	كِبْرُ
١٧٣ / ٢	١	الطويل	أبو فراس	عمرو
١٧٦ / ٢	١	الكامل	الفرزدق	نهارُ
١٧٨ / ٢	١	البيسط	-	أحجارُ
١٩٦ / ٢	١	الكامل	المتنبي	تسيرُ
٢٠٠ / ٢	١٦	الخفيف	-	جارُ
٢١٠ / ٢	١	الخفيف	عدي بن زيد	خفيرُ
٢٢٠ / ٢	٣	الطويل	ابن المعتز	قفارُ
١٤ / ١	١	البيسط	المتنبي	مآزرُه
٧٦ / ١	١	الطويل	حسين بن أحمد الجزري	نضارُه
٧٦ / ١	٢	الطويل	حسين الجزري	بحورُها
١٥٥ / ١	١	الطويل	أبو تمام	صدورُها
٢٩ / ٢	١	الطويل	-	تستعيرُها
١٧ / ٢	٣	الكامل	-	عمرُها
٢٣٠ / ١	٢	البيسط	الشهاب الخفاجي	كِبْرُه
١٩٦ / ٢	١	البيسط	المتنبي	دوائرُه
(ز)				
١٤ / ١	٢	الكامل	ابن نباتة المصري	فاترًا
٢٤ / ١	٣	الكامل	محمد الصالحي الهلالي	السرى
٣٢ / ١	٩	المتقارب	حسين بن محمد البوريني	أسارى
٤٩ / ١	٢	الكامل	أبو الحكم	جَرى
٥٢ / ١	١	البيسط	-	خضرا
٥٦ / ١	١	الخفيف	الغزي	غبارًا

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٥٧/١	١	الكامل	محمد القيسراني	العثِيرَا
٥٧/١	٢	الكامل	المهذب الموصلي	عسكِرَا
٦٢/١	٣	الطويل	الشهاب الخفاجي	تفجِرَا
٦٢/١	٢	الرملي	محمد بن قاسم الحلبي	الأقمارَا
٧٧/١	٣	الطويل	حسين بن أحمد الجزري	فقِرَا
١٠٢/١	٢	السريع	الشهاب الخفاجي	يَطِرَا
١٠٩/١	٣	الخفيف	أبو الفتح المالكي	شِطِرَا
١١٣/١	٢	الطويل	ابن مليك الحموي	والثَّخِرَا
١٢٧/١	٤	الخفيف	الشهاب الخفاجي	وشكِرَا
١٩٣/١	٨	الكامل	محمد بن إبراهيم الفاسي	وما أرى
١٩٩/١	٣	السريع	أبو فراس	أسرَا
٢٢١/١	٣	الكامل	الشهاب الخفاجي	سرَى
٢٤٣/١	٢	المنسرح	السراج الوراق	الثَّحورَا
٢٤٤/١	٥	الوافر	الثعالبي	احتقارَا
١٤/١	٢	الطويل	تقي الدين التميمي	العدرَا
٢٣/٢	٤	الطويل	ابن نباتة المصري	والحَمَرَا
٣٤/٢	١	الكامل	-	جرَى
٣٨/٢	١	الطويل	-	خَضِرَا
٧٥/٢	٢	الطويل	ابن حجر العسقلاني	عَبْرَى
٨٥/٢	٢	الكامل	-	مدرارَا
١١٠/٢	٩	الخفيف	محمد بن أبي الحسن البكري	بدرَا
١٦٧/٢	١	المتقارب	-	القِرَى
١٧٠/٢	٣	الكامل	الشهاب الخفاجي	تغَبِرَا
١٧٦/٢	١	الطويل	الشماخ	نَقِرَا
٢٠٦/٢	٤	المتقارب	الأرجاني	أخرَى
٢٢١/٢	٦	الطويل	ابن المعتز	أواخرَا
١٣١/١	٢١	الطويل	عبد الرحمن العمادي	غبارَهَا
٩٩/١	٢	الوافر	الشهاب الخفاجي	والمسرَّة
١٢٠/١	٢	الطويل	فتح الله البيلوني	شكْرَة
١٦٠/١	٨	الخفيف	محمد بن عمر العرضي	سَكْرَة
٢٣٦/١	٢	الرجز	الشهاب الخفاجي	معطرَة
٣٩/٢	٢	الرملي	شمس الدين البصير	سَحَارَة
٧١/٢	٢	الوافر	عبد القادر الطوري	غزيرَة

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٧٥ / ٢	٢	م. الرمل	الفارضي	مَرَّة
١١١ / ٢	٢	م. الرمل	محمد بن أبي الحسن البكري	عَبْرَة
١١١ / ٢	٢	الطويل	-	نَظْرَة
(ر)				
٤ / ١	١	الكامل	ابن هانيء الأندلسي	الأخضر
٤٤ / ٢ و	١	الكامل	-	الدهر
٥ / ١	٣	الطويل	-	كالأكر
٢٣ / ١	١	البيسط	محمد الصالحي الهلالي	الضاري
٢٩ / ١	١	البيسط	-	فاستتر
٣٠ / ١	٢	البيسط	ابن أذينة	السرور
٤٤ / ١	٨٧	م. الكامل	درويش الطالوي	الصدور
٤٨ / ١	١	م. الكامل	الشريف الرضي	والصدور
٤٨ / ١	٥	م. الكامل	أبو بكر الخوارزمي	فكري
٤٩ / ١	٧	الكامل	درويش الطالوي	الغدر
٥٧ / ١	٢	الكامل	ابن المعتز	والظفر
٦٠ / ١	١	الطويل	الغزي	سهري
٦٥ / ١	٢	البيسط	الأرجاني	باهر
٦٩ / ١	٣	الكامل	الشهاب الخفاجي	بالتقدير
٧٥ / ١	٢	الرجز	حسين بن أحمد الجزري	دياري
٨٢ / ١	١	الطويل	-	منحدر
٨٣ / ١	٣٢	البيسط	درويش الطالوي	الزهر
٨٥ / ١	٢٩	البيسط	عماد الدين الحنفي الشامي	سار
٩٠ / ١	٢	الدوبيت	الشهاب الخفاجي	أخبار
٩٨ / ١	٣	الطويل	ماماي	ظفر
١٠٢ / ١	٢	الخفيف	أبو نواس	الأخبار
١٠٣ / ١	١	الكامل	الحلي	النظر
١٠٧ / ١	١	البيسط	القاضي الفاضل	شمري
١١٤ / ١	١	الطويل	ابن حجة الحموي	المخبر
١١٧ / ١	٩	الكامل	معروف الشامي	الخضر
١٢٦ / ١	١	الطويل	-	النحور
١٣٤ / ١	٣	الرجز	-	عُفار
١٤٢ / ١	١٤	الطويل	الأمير منجك الجركسي	الصغار
١٤٤ / ١	٢	الوافر	-	

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
١٤٤/١	٩	م.الكامل	-	أسكدار
١٤٥/١	٥	م.الرجز	-	الخطر
١٤٩/١	٢	م.الوافر	-	الغير
١٥٩/١	٣	السريع	محمد بن عمر العرضي	جَمْر
١٦٠/١	٢	الرمل	-	الباري
١٧٢/١	١	الخفيف	-	الآثار
١٧٤/١	١	الوافر	-	شِبْر
١٧٩/١	٢	الخفيف	الشهاب الخفاجي	وقار
١٨٠/١	١	الخفيف	أبو العلاء المعري	الأمر
١٨٠/١	٣	الكامل	-	الحرير
١٨٠/١	٢٠	الخفيف	محمد الفشتالي	الفتور
١٨٢/١	١	البيسط	-	مأجور
١٨٥/١	١	الطويل	أعرابي	وفقير
١٩١/١	١	الوافر	-	غيري
٢١٤/١	٢	البيسط	-	الأثر
٢٢٠/١	١	الطويل	-	جَمْر
٢٢٤/١	٣	السريع	-	البدر
٢٢١/١	١	البيسط	أبو العلاء المعري	الكَدْر
٢٣٢/١	١٣	الطويل	قطب الدين المكي النهرواني	والنصر
٢٣٦/١	١	البيسط	أبو العلاء المعري	والسير
٢٣٩/١	٣	الطويل	دعبل بن علي الخزاعي	بالكفر
٢٣٩/١	٤	الطويل	أبو دلف	بالبشر
٢٣٩/١	١	البيسط	أبو العلاء المعري	الْحَصْر
٢٤٢/١	٢	الخفيف	الشهاب الخفاجي	الطيور
٢٤٣/١	٢	الوافر	عبد الرحمن بن كثير المكي	الكبار
٢٤٩/١	١	الطويل	-	أدري
٢٥٠/١	٢	الطويل	معين الدين بن البكاء	البدر
٢٥١/١	١٤	المديد	الشهاب الخفاجي	والعرار
٢٥٢/١	٨	الخفيف	عبد الرحمن الخياري	الديار
٢٥٣/١	١	السريع	-	الأبرار
٢٥٣/٢	١	السريع	-	السّر
٢٥٧/١	٣	المديد	عبد الهادي السوداني	بَصْرِي
٢٥٨/١	١	الكامل	-	الأكثر

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٦/٢	٣	الخفيف	محمد بن يس المنوفي	جوارِي
٩/٢	١٣	الطويل	عبد الوهاب المحلي الحنفي	الزُهْرِي
٢٣/٢	٥	الخفيف	يحيى الأصيلي	بالمشورِ
٣٢/٢	١	السريع	-	الشُعْرِي
٣٢/٢	٥	البيسط	ابن زيدون	الشُعْرِي
٣٦/٢	٢	البيسط	محمد بن أحمد الحتاتي	القمرِ
٣٦/٢	٢	السريع	-	والْيُسْرِي
٣٨/٢	١	الطويل	-	قَبْرِ
٤٠/٢	٢	البيسط	الفيومي	الصُّورِ
٤١/٢	٢	السريع	عبد الله الدنوشري	وبالجُورِ
٤٥/٢	٣	م.الرجز	الشهاب الخفاجي	يُعَصْرِ
٤٩/٢	٢	البيسط	بدر الدين القرافي	سارِي
٤٩/٢	٢	البيسط	-	أبرارِ
٥٠/٢	٢	الكامل	أحمد بن عواد	المشمِرِ
٥٠/٢	٢	الكامل	-	السْمَهْرِي
٥٠/٢	٢	الكامل	النواجي	طَرِي
٥١/٢	٢	الوافر	البدر الدماميني	زَهْرِي
٥٩/٢	٢	الكامل	-	المقدارِ
٥٩/٢	٣	البيسط	بعض أدباء الشام	خطرِ
٦٣/٢	١	الرمل	عدي بن زيد	اعتصارِي
٧٤/٢	٦	الطويل	القطب المكي	تجرِي
٧٩/٢	١	الرجز	-	الغبارِ
٨٣/٢	١	الطويل	-	عمرِي
٩٥/٢	٢	البيسط	الشريشي	الشُعْرِي
١٠٠/٢	٢	البيسط	محمد بن محمد الطبلاوي	والشُهْرِي
١١١/٢	٢	الكامل	محمد بن أبي الحسن البكري	أخضرِ
١٣٦/٢	٢	البيسط	بشار بن برد	قواريرِ
١٣٧/٢	٢	الكامل	أبو عبد الله بن جابر الأندلسي	يُشْهَرِ
١٤٣/٢	٢	م.الرمل	العنبي	القبورِ
١٤٤/٢	٦	الوافر	عبد المحسن الصوري	كسِيرِ
١٤٤/٢	٣	الوافر	أحمد الفخري	الأخيرِ
١٥٩/٢	١	الوافر	-	الصغارِ
١٦٣/٢	١	الكامل	-	يُقَدَّرِ

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
١٧٣/٢	١	البسيط	-	البشر
١٧٤/٢	١٩	الطويل	الشهاب الخفاجي	أدرى
١٧٧/٢	٣	البسيط	-	السَّحَرِ
١٨٣/٢	٢	الكامل	-	الأبصارِ
٢٠١/٢	١	الخفيف	-	جارِ
٢٠٦/٢	١	الطويل	الأرجاني	تتصدَّرِ
٢١١/٢	٤	الكامل	بعض شعراء المغاربة	البحرِ
٢١٢/٢	٣	السريع	أبو العتاهية	الدهرِ
٢١٦/٢	٢٨	الطويل	ابن خفاجة الأندلسي	الزَّهرِ
٢٢٢/٢	٣	البسيط	الشهاب الخفاجي	النَّظْرِ
٢٢٦/٢	١	الوافر	مهلهل بن ربيعة	بالذَّكُورِ
٢٢٦/٢	٤	الوافر	المهدي بن محمد العكبري	وخيرِ
٦٢/١	٢	الرجز	الشهاب الخفاجي	غيره
٧٨/١	٢	السريع	حسين بن أحمد الجزري	آثاره
٢٥٠/١	٢	الكامل	معين الدين بن البكاء	خَيْرِه
٧٢/٢	٣	السريع	علي بن الخزرجي	ضُرّه
٨٦/٢	٢	الرملي	الشهاب الخفاجي	بِشْرِه
١٠٦/٢	٤	الكامل	ابن نباتة	بَدْرِه
١١٦/٢	٢	الكامل	علي بن الحنائي	وثغره
١٩١/١	٢	م.الرجز	محمد بن إبراهيم الفاسي	عَوْرَة
٢٥٧/١	٤	المديد	عبد الهادي السوداني	سَمْرَة
٢٥٨/١	٣	المديد	أبو نواس	ولا سَمْرَة
(ز)				
٢٣/١	١	م.الكامل	البهاء زهير	الدفاترِ
٦٩/١	٢	الخفيف	الشهاب الخفاجي	المحاجزِ
١٠٠/١	٢	الرملي	-	العَبْرِ
١٠٠/١	٢	الوافر	-	يقْدُرُ
١١٦/١	٢	م.الكامل	القاضي الفاضل	المسافرِ
١٢٥/١	٢	الوافر	بهاء الدين العاملي	مَقْرُ
١٩٨/١	١	المتقارب	النمر بن تولى	نُسْرُ
٢٣٥/١	١	م.الرجز	-	فَسْرُ
٧/٢	٣	المتقارب	محمد بن يس المنوفي	السَّهْرُ
١٠٠ و ٢٢/٢	٢	م.الرملي	يحيى الأصيلي	وتكْبُرُ

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٢٢/٢	٢	م.الرجز	-	منهمز
٢٧/٢	٢	الخفيف	الشهاب الخفاجي	تُنشَرُ
٥١/٢	٢	السريع	ابن مكانس	للخطز
٥٩/٢	٢	الرمل	محمد الأبياري القباني	كالأساريز
٧٧/٢	٢	الطويل	محمد الفارضي	حَضَرَ
٩٤/٢	١	م.الخفيف	-	وَتَرَّ
٩٥/٢	٣	م.الرجز	أسامة بن منقذ	والعَبْرُ
١٠٠/٢	٢	مخلع البسيط	محمد بن محمد الطبلاوي	تَعَسَّرُ
٢٢٢/٢	٢	الطويل	الشهاب الخفاجي	الغَيْرُ
			(ز)	
١٣/١	٥	المتقارب	أحمد العناياتي	وجِرْزُ
			(ز)	
٨٧/١	٩	الخفيف	عبد الرحيم العباسي	كَنَزَا
٨٧/١	١١	الخفيف	بدر الدين الغزي	كَنَزَا
			(ز)	
١٠٣/١	٢	الطويل	شمس الدين محمد بن إبراهيم الحلبي	جائز
٤٦/٢	٢	الطويل	محمد بن بدر الدين الزيات	والكَنَزُ
			(ز)	
٢٣١/١	١٢	الطويل	قطب الدين المكي النهرواني	الحَزُّ
٢٣١/١	٢٥	المنسرح	الشهاب الخفاجي	الحَزُّ
			(س)	
٣٢/١	٢	الدوبيت	الشهاب الخفاجي	آس
٦٩/١	٣	الكامل	الشهاب الخفاجي	يغرسُ
١٥٥/١	١	الطويل	-	أملسُ
٢١١/١	١	الطويل	-	الفرائسُ
٢١١/١	١	الطويل	-	الدوامسُ
٧٧/٢	٢	السريع	الشهاب المنصوري	أَمَيْسُ
١٧٩/٢	١	م.الرمل	-	نُعَاسُ
			(س)	
٨٠/١	٢	الكامل	حسين بن أحمد الجزري	مهندسا
١٤٦/١	١١	الخفيف	الأمير منجك الجركسي	شَمْنَا

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٧/٢	١	الوافر	الأستاذ البكري	طرسًا
٤١/٢	٢	الطويل	عبد الله الدنوشرى	موسى
٤١/٢	٢	السريع	الشهاب الخفاجي	يوسى
٤٤/٢	٢	الرجز	الباخرزى	الترجسًا
٧٢/٢	٢	الخفيف	-	ياسًا
١٣٧/٢	١	الطويل	-	الفلسا
١٨٠/٢	٢	المتقارب	-	النفوسًا
٥٩/٢	٢	الطويل	ابن مكانس	راسمًا
٢١٣/٢	٢	المتقارب	أبو العلاء صاعد بن الحسن	أنفاسها
٢١٤/٢	٧	المتقارب	ابن بدر	حراسمًا
٢٨/١	٣	السريع	ابن خفاجة الأندلسى	معرسة
(س)				
٣٧/١	٢٨	الكامل	الشهاب الخفاجي	ألعبس
٣٨/١	٢٩	الكامل	درويش الطالوي	ألعبس
٧٥/١	٢	الطويل	حسين بن أحمد الجزرى	النخس
٨/١	٤	م. الكامل	أبو بكر تقي الدين التاجر الجوهري	أناسي
٩٠/١	١	الخفيف	-	كاس
١٢٤/١	٢	البيسط	بهاء الدين العاملي	ناسي
١٤٧/١	٣	الطويل	الأمير منجك الجركسى	والباس
١٥٢/١	٣	الكامل	أبو الطيب الغزى	المجلس
١٦٨/١	٢	الكامل	الأشتر النخعى	عبوس
١٨٥/١	٣	الرملى	ابن قلاقس	قبس
١٩١/١	٢	الطويل	الشهاب الخفاجي	الأنس
١٩٤/١	١٣	الكامل	-	بناس
١٩٦/١	٣٠	الكامل	محمد بن إبراهيم الفاسى	الكاس
١٠/٢	٣	الطويل	-	باسي
٢٠/٢	١	الكامل	-	للناس
٣٠/٢	١	الكامل	-	العباس
٣٠/١	٣	الكامل	عبد الرحيم العباسى	الكاس
٤٠/٢	٢	البيسط	شمس الدين البصير	النواقيس
٥٥/٢	١١	الوافر	محمد بن بدر الدين القوصونى	النفوس
٨٣/٢	١	الكامل	-	المجلس
١١٣/٢	٤	الطويل	محمد بن أبى الحسن البكرى	الموائس

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
١٢٤/٢	٢	الطويل	-	الراسي
١٥٩/٢	٢	المنسرح	-	ملتبس
٢٠١/٢	١	البيسط	-	الناس
٦٩/٢	٢	الكامل	حسن بن الشامي	ناسيها
١٤٥/٢	٣	السريع	علي بن محمد بن بسام	أسيها
			(س)	
١٢٨/١	٢	الكامل	الشهاب الخفاجي	المدارس
٧٧/٢	٢	الوافر	محمد الفارضي	ويونس
			(ش)	
٥١/٢	٢	الكامل	البدر الدماميني	مسي
			(ش)	
٧٩/١	٣	البيسط	حسين بن أحمد الجزري	أطروش
٣٠/٢	٢	مخلع البسيط	عبد الرحيم العباسي	وبطش
٥٩/٢	٢	الطويل	محمد الأبياري القباني	أرش
١٤٤/٢	٣	المتقارب	البرقي	الفراش
			(ض)	
٦٠/٢	٢	المجث	ابن نباتة	اقتناص
٦٠/٢	٢	الطويل	أبو عامر الجرجاني القاضي	خلاص
			(ض)	
١٣٢/٢	١	السريع		لاختص
			(ص)	
٧٠/٢	٤	مخلع البسيط	محيي الدين الغزي	والقلوص
٢٤٤/١	٢	السريع	علي بن كثير المكي	قرصها
			(ض)	
١٠٦/١	١	البيسط	البحثري	معضوض
			(ض)	
٣٠/٢	٢	السريع	عبد الرحيم العباسي	ومضي
٤٨/٢	٥	الطويل	رجب الشنواني	أرضي
٧١/٢	٢	الطويل	التوخي	الأرضنا

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
١٣٣/٢	١	الطويل	-	الأعضا
١٧٨/٢	١	الطويل	-	منقضا
٦٢/١	٢	الطويل	الشهاب الخفاجي	غائضة
(ض)				
١٢٣/١	١	الكامل	-	رافضي
١١٦/٢	٣	الكامل	علي بن الحنائي	فارضي
١١٦/٢	٢	السريع	أبو حيان	رائض
١٧٧/٢	٣	الوافر	ابن اللبابة الأندلسي	ماض
٥٧/٢	٢	الكامل	إبراهيم بن المبلط	أمراضها
(ض)				
٨٢/٢	٦	السريع	أبو عبد الله محمد بن أحمد المكلاطي	والحياض
(ط)				
٢٤/١	٥	الطويل	محمد الصالحي الهلالي	تعطو
١١٩/٢	٢	السريع	-	شطه
(ط)				
١٠٦/١	٢	الطويل	درويش الطالوي	أخطا
٢٤٣/١	٢	الكامل	الشهاب الخفاجي	غلطا
(ط)				
١١٠/١	١	الطويل	أبو الفتح المالكي	الربط
١١٧/١	٢	السريع	شهاب الدين الكنعاني	وطي
١٨٠/١	٢	م. الرمل	التعاويذي	نشاطي
(ط)				
٢٥/٢	٢	م. الرجز	الشهاب الخفاجي	نمط
٢٥/٢	٢	م. الرجز	ابن لؤلؤ	نشط
٢٥/٢	٢	م. الرجز	الشهاب الحجازي	وانبسط
٢٥/٢	٢	م. الرجز	الشهاب الخفاجي	نشط
٢٧/٢	٢	الرمل	-	والتقط
٤٣/٢	٢	الرمل	ابن لؤلؤ الذهبي	المحيط
١٦٦/٢	١	المتقارب	-	السخط
(ظ)				
١٠٦/١	١	الرجز	أبو الفتح المالكي	الحفاظ

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
(ع)				
٢٥/١	١٧	الطويل	محمد الصالحي الهلالي	يدمغ
٧٦/١	٢٤	الطويل	حسين بن أحمد الجزري	موضع
١٥٨/١	٢	الوافر	أبو الوفاء العرضي	أستطيع
١٧٥/١	١	البيسط	-	جزع
١١١/٢	٤	السريع	محمد بن أبي الحسن البكري	البرقع
١٥٠/٢	١	الطويل	-	يتوجع
١٧٥/٢	١	الكامل	-	يتطلع
١٨٦/٢	١	الطويل	النابعة الذبياني	ناقع
٣٣/١	٣	الكامل	ابن الوكيل	ويطبعه
٨٦/٢	٢	الكامل	-	دموعه
٥٥/١	٢	م.الرجز	محمد بن قاسم الحلبي	طباعة
(ع)				
١٧/١	٢	الطويل	الشريف الرضي	أجمعا
٢٨/١	٢	الكامل	عبد الله بن النطاح، أو ابن الرومي	يصفعا
٣١/١	٤	الطويل	حسن بن محمد البوريني	وأينعا
٥٠/١	٣٠	الرملي	درويش الطالوي	الدموعا
٦١/١	٢	م.الكامل	محمد بن قاسم الحلبي	سريعا
٦٥/١	١	م.الكامل	ابن الرومي	الدموعا
١١٤/١	٣	المديد	ابن ملك الحموي	معا
١١٨/١	٤	الخفيف	الشهاب الخفاجي	وطبعا
١١٨/١	٩	الخفيف	محمد الفشتالي	تسعى
١٩٧/١	١	الخفيف	-	وطوعا
١٩٧/٢	١	الطويل	-	يسبعا
٩٤/٢	٢	الخفيف	ذو الأصبع العدواني	معا
١٠٠/٢	٢	المسرح	محمد بن محمد الطبلاوي	جُمعًا
١٣٢/٢	١	البيسط	-	جُمعًا
١٣٥/٢	٣	م.الكامل	الشهاب الخفاجي	ربيعا
٢١٩/٢	١	البيسط	ابن المعتز	هجعًا
٨٤/٢	٢	المجثث	الشهاب الخفاجي	سُمعًا
(ع)				
٧/١	١	الطويل	-	طامع

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
١٧/١	٢	السريع	بكر بن حارثة	وأوجاعي
٣/٢				
١٩/١	٢	الطويل	يزيد بن معاوية	بالمدامع
٧٧/١	٣		حسين بن أحمد الجزري	بالصنيع
١٠٧/١	١	الخفيف	الشريف الرضي	بسمعي
١٧٠/٢	١			
١١٣/١	٤	الكامل	ابن مليك الحموي	أدمعي
١٤٧/١	٥	الوافر	الأمير منجك الجركسي	البديع
١٩٠/١	٢	الكامل	الأرجاني	بمروغ
١٩٠/١	٢	الطويل	الشهاب الخفاجي	بتضريع
١٩٥/١	١	الوافر	أبو تمام	الطباع
٢٠٠/١	٣	الخفيف	الشهاب الخفاجي	وولوعي
٥٧/٢	٢	الرجز	بدر الدين الأزهري	جازع
٩٢/٢	٢٠	الوافر	نور الدين العسيلي	المروغ
١٢٤/٢	٢	الكامل	ظافر الحداد	صانعي
١٥٦/٢	١	الكامل	-	دعي
١٦٨/٢	١	السريع	-	معي
١٧٧/٢	٢	الكامل	الأرجاني	مودعي
١٩٦/٢	١	الكامل	منصور النمري	الهاجع
١٢٦/١	١	الطويل	-	ارتجاعه
(غ)				
١٥٩/١	٣	الخفيف	محمد بن عمر العرضي	مقنع
١٧٦/١	٢	البسيط	-	والهلع
٦٦/٢	٢	السريع	عبد النافع الطرابلسي	وضيع
٩٢/٢	٢	المجتث	نور الدين العسيلي	مطمع
(ف)				
١٢/١	١	الرجز	-	يعرف
٢٦/١	٣	الطويل	محمد الصالحي الهلالي	تعنف
٦٨/١	٦	الطويل	يوسف بن عمران الحلبي	يضعف
١٤٨/١	٣	الطويل	الأمير منجك الجركسي	يشنف
١٥٤/١	١	البسيط	-	الرجاف
٢٣٣/١	٦	السريع	قطب الدين المكي النهرواني	والمصحف

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٦/٢	٢	البيسط	محمد بن يس المنوفي	وأكتافُ
١٤٣/٢	٥	السريع	ابن عربي	مكشوفُ
٢١٤/٢	٨	الطويل	صاعد بن العلاء	خائفُ
٢١٥/٢	٧	الطويل	-	المُهاتفُ
١٣١/٢	١	الكامل	ابن الرومي	جيفةُ

(ف)

٦١/١	٤	الوافر	الشهاب الخفاجي	نحيفًا
٦٢/١	٦	الوافر	محمد بن قاسم الحلبي	ضعيفًا
١٢١/١	١	البيسط	فتح الله البيلوني	العلفًا
١٢٥/١	٢	البيسط	بهاء الدين العاملي	خَلْفًا
٢٤٥/١	٢	السريع	محمد بن أبي الخير ابن العلامة ابن حجر الهيثمي	الصَّفَا
٤٥/٢	٢	الوافر	أحمد بن عبد السلام	ضَعْفًا
٨٠/٢	٣	الطويل	محمد بن يوسف التاولي	كفًا
٨٠/٢	٢٣	الطويل	المَقْرِي	الأضْفَى
١٣٤/٢	١	البيسط	-	العَلْفًا
١٤٣/٢	٣	السريع	الشهاب الخفاجي	الصَّفَا
١٦١/٢	١	السريع	-	المصطفى
١٩٧/٢	١	الكامل	أبو تمام	الصوفا
١٤٢/٢	٢	المنسرح	كشاجم	موصوفة
١٥١/٢	٣	الوافر	الشهاب الخفاجي	شريفًا

(ف)

١٣/١	٢١	البيسط	أحمد العناياتي	الألفِ
١٤/١	١	الكامل	ابن مطروح	مدنفِ
٢٣٧/١	٢	الرجز	جمال الدين العصامي	توصفِ
٢٣٧/١	٢	الرجز	القطب المكي	الأشرفِ
١٥/٢	٢	الكامل	تقي الدين التميمي	تتوقفِ
٣٧/٢	٣	الوافر	الشهاب الخفاجي	الضعيفِ
٤٦/٢	٢	المجنت	صفي الدين بن محمد العزّي	تلافي
٥٥/٢	٣	الكامل	داود الأنطاكي	منصفِ
٦١/٢	٢	البيسط	يحيى الأصيلي	السلفِ
٧٦/٢	١	الكامل	ابن الفارض	تعرفِ
١١٧/٢	٢	الطويل	علي الحناني	كشافِ

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
١٣٧/٢	٢	الكامل	شمس الدين بن المزين	الأشراف
١٦٦/٢	١	المتقارب	-	خفي
١٨١/٢	٢	الخفيف	-	والإسكاف
١٨٢/٢	٣	الخفيف	بديع الزمان	القوافي
٢٢٣/٢	٩	الكامل	أبو فراس	الوافي
٧٢/١	٧	الطويل	سرور بن سنين الحلبي	وكفه
٩١/٢	٢	م.الرجز	نور الدين العسيلي	خلفه

(ف)

١٤/١	٢	المتقارب	الذهبي	التلف
٢٣٨/١	١	الوافر	الصنوبري	وأضعف
٤٧/٢	٢	مخلع البسيط	عمر العزّي	يجحف

(ق)

٢٤٧/١	١	الكامل	-	تورق
٢٥٥/١	١	البسيط	المتنبي	المشرق
٢٤/٢	١	الكامل	-	الأحداق
٤٥/٢	١	الكامل	أبو إسحاق الغزي	ويُسرَق
٨٤/٢	١	البسيط	-	حُرَق
٩٦/٢	٢	الطويل	السيد علي وفاء	عائق
١١٢/٢	٣	الكامل	محمد بن أبي الحسن البكري	والأطواق
١٥٧/٢	١	الكامل	أبو إسحاق الغزي	يُعشَق
١٩٠/٢	٣	الكامل	-	مُغلق
٢٠١/٢	١	الطويل	-	والخورنق
٢٢٠/٢	٢	الكامل	ابن المعتز	الحنق
١٥٢/١	٣	الكامل	ابن هانئ الأندلسي	إشراقها
٧٥/١	١	الطويل	حسين بن أحمد الجزري	نصادقُه

(ق)

١٥٣/٢ و ٩/١	١	م.الكامل	ابن عنين	صدقا
٥٠/١	٣	الوافر	درويش الطالوي	يراقا
٦٩/١	٢	البسيط	يوسف بن عمران الحلبي	اتفقا
٩٢/١	٢١	البسيط	مصطفى بن العجمي أبو الصفاء	علقا
٩٢/١	٢٣	البسيط	درويش الطالوي	عبقا
١٩٤/١	٤	الوافر	الشهاب الخفاجي	وراقا

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٢١٥/١	١	البيسط	-	الزرقا
٢١٨/١	٢	السريع	شهاب الدين أحمد الفيومي	لِقا
٢٤٤/١	٢	الطويل	الشهاب الخفاجي	حقًا
١٥/٢	٢	البيسط	تقي الدين التميمي	طَرًاقا
١٥/٢	٢	البيسط	ابن نباتة المصري	عاقًا
١٥/٢	١	البيسط	أبو دؤاد الإيادي	ساقًا
(ق)				
١٠٠/١	٢	الطويل	-	راقبي
١٠١/١	٣	الطويل	زين الدين الإشعافي	ممرِّق
١٠٧/١	١	الخفيف	القاضي الفاضل	بالأحداق
١٠٧/١	٢	الخفيف	الشهاب الخفاجي	للطرَّاق
١١٩/١	٥	الكامل	نجم الدين بن معروف	مغلق
١١٩/١	٨	الكامل	أبو الفتح القاضي	بجلق
١٢٤/١	٢	الدوبيت	بهاء الدين العاملي	أشواقبي
١٤٩/١	٦	م. الرمل	الأمير منجك الجركسي	باتفاق
١٩٥/١	١	الوافر	-	النسيق
٢٠٤/١	١٢	البيسط	عبد العزيز الثعالبي	الأفقي
٢٠٤/١	١	البيسط	الحلي	الورق
٢١٠/١	١٩	السريع	عبد السلام بن سنوس المغربي	يتقي
١٢/٢	١	الكامل	ابن مطروح	بقي
١٥/٢	٢	البيسط	الشهاب الخفاجي	مفترق
٤٤/٢	١	الخفيف	أحمد بن عبد السلام	بالرحيق
٤٩/٢	٢	الكامل	النور ابن حجر العسقلاني	الواقبي
٥٣/٢	١	الطويل	-	ساقبي
٥٤/٢	٢	السريع	الشهاب الخفاجي	مخلوق
٥١/٢	٥	الكامل	ابن لؤلؤ الذهبي	أشواقبي
١٢/٢	٢	مجموع النسيق	بعض المتأخرين	بالتلاقي
١٢٤/٢	٢	الرمل	ابن رشيق	الحدق
١٥١/٢	١	الكامل	-	رفيق
١٧٨/٢	٢	م. الرمل	ابن الرومي	بساق
٢١٩/٢	٥	الكامل	ابن المعتز	مصنف
٢٢٦/٢	٢	الكامل	أبو نواس	المتقي
١٠٦/١	٤	الكامل	أبو الفتح المالكي	وثاقه

القافية	الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
(ق)				
تألّف	العماد الأصفهاني	م.الكامل	٢	٥٧/١
الشقيق	الشهاب الخفاجي	السريع	٢	٦٩/١
حَلَقَ	-	الطويل	١	١٣٦/١
الْفَلَقُ	القطب المكي	السريع	٤	١٦٨/١
وَرَقَ	الشهاب الخفاجي	السريع	٥	١٦٨/١
مُذِقَ	-	البسيط	٢	٢٠٠/١
الشَّفَقُ	-	الرجز	١٧	٢٠٢/١
شواهِقُ	-	الوافر	٨	٣٤/٢
تَغْتَبِقُ	علي بن الحنائي	الطويل	٢	١١٦/٢
ورِقَ	الشهاب المنصوري	م.الكامل	٤	١١٦/٢
فمرِقَ	-	الرمّل	١	١٥٦/٢
ضِبِقَ	-	المتقارب	٢	١٨٠/٢
(ك)				
ولا مَلِكُ	الشريف الرضي	البسيط	٥	٣٤/٢
(ك)				
حبكَا	الشهاب الخفاجي	البسيط	٢	٧١/١
عَنكَا	بدر الدين الغزي	م. الرمل	٢	٨٨/١
بثَانِكَا	الأمير منجك الجركسي	البسيط	١٥	١٣٦/١
البُكَا	ابن مرج الكحل الأندلسي	الطويل	٣	١٤٨/١
أعطَاكَا	تمام بن أبي تمام	السريع	٣	٢٣٨/١
أخطَاكَا	-	السريع	٣	٢٣٨/١
بِكَا	يوسف المغربي	م.الرجز	٢	١٧/٢
أورَاكَا	-	الخفيف	٢	١٨٢/٢
والحرَكَة	ابن الرومي	البسيط	٦	١٣٥/٢
(ك)				
السَمَكِ	المحار	الوافر	٢	٧١/١
الأفلاكِ	بهاء الدين العاملي	الدوبيت	٢	١٢٥/١
لَكِ	-	الطويل	١	٢٢٩/١
زَاكِي	يحيى الأصيلي	الوافر	٤	١٩/٢

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٨٥/٢	١	الطويل	-	الضحك
٩٢/٢	٤	الطويل	نور الدين العسيلي	بالفتك
٩٢/٢	٢	السريع	-	مالكي
١٩٩/٢	١	الوافر	-	الشباك
٢٢١/٢	٢	الوافر	ابن المعتز	خوك
٢٢١/٢	٣	البيسط	-	دنياك

(ك)

٣٦/١	٢	المتقارب	-	يعجبك
٦٤/١	٢	م.الرجز	الشهاب الخفاجي	السماك
١٢٣/١	٢٠	الخفيف	بهاء الدين العاملي	هاتيك
١٢٥/١	٢	البيسط	-	عليك
١٢٦/١	٢	الدوبيت	الأرجاني	فداك
١٤٦/١	٥	م.الكامل	الأمير منجك الجركسي	بكاسك
١٥٩/١	٢	الخفيف	محمد بن عمر العرضي	مثالك
٢٤١/١	٢	م.الرجز	الشهاب الخفاجي	الفلك
٢٢/٢	٢	م.الرمل	يحيى الأصيلي	تملك
٤٢/٢	٢	الرمل	عبد الواحد الرشيد	شك
٤٨/٢	٢	م.الرجز	رجب الشنواني	ماسفتك
٧٦/٢	٢	الوافر	محمد الفارضي	ترجمانك
١٠٥/١	٥	الخفيف	محمد بن أبي الحسن البكري	مبارك
١١٠/٢	٥	المجث	-	خدك
١١٢/٢	٢	م.الكامل	-	كرامتك
١١٢/٢	٢	م.الخفيف	-	سحائبك
١١٥/٢	٢	الوافر	علي بن الحناني	خالك
١١٦/٢	٢	المجث	أبو بكر الحناني	ذلك
١٤٥/٢	٢	السريع	-	أناك
٢١٠/٢	٢	م.الكامل	بعض الأعراب	مسالك

(ن)

١٨/١	٢	الطويل	ابن هندو	مظن
٢٦/١	١	البيسط	كعب بن زهير	محمول
٣١/١	١	الكامل	البحثري	مقبل

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٣٣/١	٢١	الطويل	حسن بن محمد البوريني	ظليل
٣٥/١	٢	الدوبيت	الشهاب الخفاجي	قالوا
٣٦/١	١	الخفيف	-	ظُلُّ
٦١/١	٢	م.الرجز	محمد بن قاسم الحلبي	يزول
٧٥/١	٢	الطويل	حسين بن أحمد الجزري	والفعائل
٧٧/١	٢	الكامل	حسين بن أحمد الجزري	أفضل
١٨٤/١	٧	البيسط	زين الدين الإشعافي	نعل
١٠٦/١	٢	الرجز	الغزي	يقتل
١٢٦/١	٢	الطويل	خضر الموصلي	وجاهل
١٢٧/١	٣	الطويل	الأسعد بن مماتي	وشمائل
١٢٧/١	٢	الطويل	ليبد بن ربيعة	زائل
١٢٧/١	٢	الطويل	زكي الدين بن قريع	رسائل
١٢٨/١	٣	الطويل	مسلم بن الوليد	المخل
١٤٧/١	١٥	م.الوافر	الأمير منجك الجركسي	العَدْلُ
١٥١/١	١١	م.الوافر	أبو الطيب الغزي	المُقلُّ
١٦٩/١	١	الطويل	-	الأنامل
١٧٨/١	٦	م.الرمل	الشهاب الخفاجي	تعلو
١٧٨/١	٦	م.الرمل	محمد الفشتالي	أصل
١٨٣/١	١	السريع	-	القَبْلُ
١٨٣/١	١٣	الطويل	الشهاب الخفاجي	نعل
١٨٤/١	١٠	البيسط	محمد الفشتالي	شغل
١٩٨/١	١	الطويل	-	فجميل
٢١٨/١	٥	البيسط	أبو نمي بن بركات	هطال
٢١٩/١	٢	م.الكامل	شهاب الدين أحمد الفيومي	فَضْلُ
٢٣٨/١	٤	الرمل	البحثري	قَبْلُ
٢٣٨/١	٣	الرمل	طاهر بن إسماعيل الهاشمي	وأهل
٢٣٨/١	٣	الرمل	أبو القاسم الداودي	يستقل
٢٥٦/١	١	الطويل	ابن الفارض	المَطْلُ
١٢/٢	٢	البيسط	الصفى الحلبي	محتمل
١٥/٢	٢	الكامل	تقي الدين التميمي	ويحاول
٢١/٢	٢	الطويل	يحيى الأصيلي	حال
٣١/٢	٢	المتقارب	عبد الرحيم العباسي	انجاهل
٣١/٢	٢	المتقارب	البدر الغزي	الفاضل

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٥٥ / ٢	٢	الطويل	أبو العلاء المعري	الحال
٧٤ / ٢	٣	الطويل	-	ضئيل
٩٤ / ٢	٢	الطويل	الشهاب الخفاجي	يحول
١٠١ / ٢	١	الكامل	الفرزدق	وأطول
١٠٤ / ٢	١٨	السريع	محمد بن أبي الحسن البكري	تنزل
١١٢ / ٢	١٥	الخفيف	-	المقال
١٢٢ / ٢	٢	الرجز	-	مدخل
١٥٦ / ٢	١	الطويل	-	العواذل
١٧٦ / ٢	١	الطويل	-	قتيل
١٧٩ / ٢	١	الطويل	-	سواحل
١٨٤ / ٢	١	البسيط	المتنبي	الحال
١٩٥ / ٢	١	الطويل	-	وطبول
٩٠ / ٢	٣	الطويل	-	حملة
١٤٨ / ١	٥	المنسرح	الأمير منجك الجركسي	يعللها
١٦٠ / ٢	٢	المنسرح	-	سافلها
٩٦ / ٢	٨	الطويل	محمد الوفائي	وأسائله
١٧٢ / ٢	١	الطويل	زهير بن أبي سلمى	سائلة
٢١١ / ٢	٢	الطويل	الشهاب الخفاجي	حاملة
٢١١ / ٢	٧	الطويل	الكلابي	باطلة

(J)

٢٤ / ١	١	الوافر	أبو العلاء المعري	الدخالا
٤٠ / ١	٢٣	البسيط	درويش الطالوي	عدلا
٥٥ / ١	٢	البسيط	محمد بن قاسم الحلبي	خجلا
٥٦ / ١	٢	الطويل	الشهاب الخفاجي	البلى
١٢ / ١	١	الوافر	المتنبي	الوصالا
١٢ / ١	١	الوافر	أبو العلاء المعري	اتصالا
٨١ / ١	٢	السريع	بدر الدين الغزي	العلا
٨٩ / ١	٢	الطويل	الشهاب الخفاجي	جهلا
٨٩ / ١	٤	م. الكامل	ابن الوردي	التحولا
٩٤ / ١	٣	المنسرح	ابن الرومي	جهلا
١١٤ / ١	٢	الكامل	ابن مليك الحموي	منهلا
١١٢ / ١	٣	الكامل	الشهاب الخفاجي	عليلا
٢١ / ٢	٢	م. الرجز	ابن مكانس	نطولا

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٣٢/٢	٢	الكامل	مجير الدين بن تميم	عاقلا
٣٧/٢	٢	الطويل	الشهاب الخفاجي	طولا
٥١/٢	٢	الطويل	ابن نباتة المصري	شكلا
٧٧/٢	٢	م. الوافر	محمد الفارضي	والقالا
٨١/٢	٥	الكامل	الشهاب الخفاجي	توالى
٩٤/٢	٣	م. الكامل	الباخرزي	البلى
١١٣/٢	٥	البيسط	محمد بن أبي الحسن البكري	وَجَلَا
١٣٩/٢	١٤	المنسرح	الشهاب الخفاجي	نزلا
١٤٠/٢	١	م. الكامل	-	الكلى
١٧٣/٢	١	الهمزج	-	وما بالى
١٨٨/٢	١	البيسط	النابعة الجعدي	أبوألا
١٩٧/٢	١	الخفيف	أبو تمام	الأجبالا
٢٠٢/٢	١	الخفيف	-	الأفعالا
٢٠٤/٢	٣	البيسط	الشهاب الخفاجي	وصلا
٢١٣/٢	١	الكامل	المتنبي	تقبيلًا
٢١٣/٢	٢	الكامل	مجير الدين بن تميم	تطفيلًا
٢١٨/٢	٢	الكامل	-	باطلا
٣٢/٢	٢	الرمل	الباخرزي	وَبَلَّةُ
١٨٧/١	٢	البيسط	أبو أحمد العسكري	مُقْفَلَهَا
٥٩/٢	٢	الطويل	محمد الأبياري القباني	مَلَالَهَا
٧٠/١	٢	الوافر	-	الجهالة
٧١/١	٢	المتقارب	الشهاب محمود	مُزَالَةٌ
٨٩/١	٢	الدوبيت	التقي السبكي	بَدَلَةٌ
١١٠/١	١	السريع	الشهاب الخفاجي	عَلَّةُ
١٢١/١	١	الخفيف	فتح الله البيلوني	للنخالة
١٢١/١	٢	م. الكامل	الشهاب الخفاجي	مَحَالَةٌ
٢٥٤/١	٢	الطويل	عرقلة	غَلَّةُ
٣١/٢	١	المتقارب	-	المبقلة
٤٠/٢	٢	الرمل	ابن نباتة المصري	المختالة
٦٥/٢	٢	م. الرمل	الشهاب الخفاجي	قليلة
٢١٨/٢	٢	المجتث	الباخرزي	مثلة
٦/١	١	الكامل	-	مرسل

(ل)

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٢٦/١	١٦	الخفيف	ابن المنجم	بالمحال
٥٦/١	٣	م. البسيط	الأمير العاصمي	حالي
٥٩/١	١٠	المتقارب	محمد بن قاسم الحلبي	والكمال
٦١/١	٢	البسيط	محمد بن القاسم الحلبي	شعل
٦٦/١	١٢	الخفيف	العمادي (العماد)	والكمال
٦٦/١	٣٢	الخفيف	أحمد بن محمد الحلبي الحصكفي	الكمال
٧٣/١	١	البسيط	-	الثلج
٧٩/١	٢	الطويل	حسين بن أحمد الجزري	كليل
٨٨/١	٢	السريع	بدر الدين الغزي	السافل
٩٨/١	٢	البسيط	ماماي	الأول
٩٨/١	٢	البسيط	مجير الدين بن تميم	المقل
١٠٣/١	٢	الطويل	شمس الدين محمد بن إبراهيم الحلبي	الوصل
١١٠/١	٣	الرجز	أبو الفتح المالكي	بالتفضيل
١١١/١	٢	البسيط	ابن نباتة المصري	الحل
١٢٠/١	٢	البسيط	محمد بن محمد الحكيم بن المشنوق	معتزلي
١٢٢/١	١	السريع	-	عامل
١٢٦/١	٢	الدوبيت	بهاء الدين العاملي	آمالي
١٥٠/١	٥	المنسرح	أبو الطيب الغزي	ولي
١٥٩/١	٢	المتقارب	محمد بن عمر العرضي	عويلي
١٦٩/١	١	الوافر	الأبيوردي	بالسؤال
١٦٩/١	١	الوافر	أبو العباس المنصور بالله	بالنوال
١٧٥/١	٢	الرمل	الشهاب الخفاجي	حالي
١٧٩/١	٧	الرجز	محمد الفشتالي	يرحل
١٨١/١	١	الوافر	-	الظليل
١٩٢/١	١	الطويل	-	ولي
١٩٣/١	٢	الطويل	محمد بن إبراهيم الفاسي	عل
١٩٣/١	٣	البسيط	-	والخجل
٢١٩/١	٢	الكامل	شهاب الدين أحمد الفيومي	العذل
٢٣٩/١	٢	الوافر	السراج الوراق	المحال
٢٤٢/١	٢	المنسرح	سراج الدين الأشهل	الكسل
٢٥١/١	١	البسيط	-	خجل
٢٥٦/١	١	السريع	الشريف الرضي	الماطل
٢٥٦/١	١	السريع	الطغراني	المطال

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٥/٢	١	الخفيف	-	سبيل
٧/٢	٢	م. الوافر	محمد بن يس المنوفي	خَجَلِ
١٠/٢	١	الطويل	-	عاقِلِ
١٢/٢	٢	الوافر	الصفى الحلبي	السؤالِ
١٧/٢	٢	السريع	يوسف المغربي	وبالباطلِ
١٧/٢	٢	الوافر	-	وبالدلالِ
١٨/٢	٢	الوافر	يوسف المغربي	الجليلِ
٢١/٢	٢	الطويل	يحيى الأصيلي	ينجلي
٢٢/٢	٢	المتقارب	-	الأصيلي
٢٢/٢	٢	المتقارب	محمد الصالحي	القبولِ
٢٢/٢	٢	المتقارب	أبو الحسين الجزار	خمولِ
٢٣/٢	٢	المنسرح	يحيى الأصيلي	والنَّضْلِ
٣٢/٢	٢	الطويل	الزمخشري	بالأسافلِ
٣٢/٢	٢	السريع	-	بالفضائلِ
٣٣/٢	٢	الخفيف	الجاحظ	بالإسهالِ
٤٠/٢	٢	الوافر	عبد الله الدنوشري	ونذَلِ
٤٤/٢	١	الكامل	البحثري	تذْبُلِ
٤٨/٢	٢	الوافر	رجب الشنواني	الدلالِ
٥٢/٢	٢	الكامل	الشهاب الخفاجي	الحالِ
٥٣/٢	١	الطويل	-	والغاسلِ
٧١/٢	١	الطويل	امرؤ القيس	عالي
٧٧/٢	٢	السريع	محمد الفارضي	بالمالِ
٩١/٢	١	الوافر	-	الليالي
١٠٣/٢	١	الكامل	-	ساحلِ
١٠٥/٢	٢	السريع	محمد بن أبي الحسن البكري	جليلِ
١١٢/٢	٢	مخلع البسيط	-	أبالي
١١٥/٢	٢	الكامل	الخوارزمي	خالي
١٢٤/٢	١	الطويل	المتنبي	جَهْلِ
١٤٢/٢	٢	الوافر	محمد بن المعدل	المقالِ
١٤٤/٢	٣	الطويل	الشهاب الخفاجي	الأهلِ
١٥٠/٢	٢	الطويل	الشهاب الخفاجي	فَضْلِ
١٥٢/١	٢	الطويل	-	تحوّلِ
١٥٧/٢	٢	المنسرح	-	قُبْلِ

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
١٨٢/٢	١	البسيط	-	خَجَلِ
١٩٦/٢	١	الوافر	المتنبي	النعالِ
١٩٦/٢	١	الرجز	المتنبي	الأجدلِ
١٩٩/٢	١	السريع	-	بالطبلِ
٢٠٦/٢	٥	الطويل	ناصر الدين الأرجاني	والوبلِ
٢١٨/٢	٣	الطويل	عمران الطولقي	مثلي
٢٢٣/٢	٧	الطويل	أبو فراس	حالي
١٤٩/١	٢	الرجز	الأمير منجك الجركسي	تأويلها
٧٥/١	٢	الطويل	حسين بن أحمد الجزري	بمطبه
٣١/٢	١	المتقارب	الحريري	نخله
٥٣/٢	١	الكامل	عبد الرحمن بن محمد الحميدي	وجداله
٢٢٨/٢	٣	السريع	ابن رشيق	لتقبيله
١٥٩/١	١	المنسرح	-	ميلة
٢٤٣/١	٢	السريع	المعمار	مثله

(ن)

١٨١/١	٤	م.الرجز	الثعالبي	مشتغل
١٣١/١	١	السريع	-	الزوال
٩٥/١	٤	الدوبيت	أبو منصور الدمياطي	جَلَلْ
١٠٤/١	٢	الدوبيت	شمس الدين محمد بن إبراهيم الحلبي	عليل
١١٤/١	٢	المتقارب	ابن ملك الحموي	الكفَلْ
١١٥/١	٢	المتقارب	ابن حجر	وَصَلْ
١٦٦/١	١	الطويل	-	الجَيْلْ
١١٥/١	٤	الطويل	الشهاب الخفاجي	والجَيْلْ
١١١/١	٢	المتقارب	ابن خفاجة	الأمل
١١١/١	٣	السريع	الشهاب الخفاجي	المِطالْ
٢١/٢	٢	م.الكامل	يحيى الأصيلي	كامل
٢١/٢	٢	المتقارب	-	كَمَلْ
٦٠/٢	٢	المجث	-	يُقْتلْ
١٠٣/٢	٩	السريع	محمد بن أبي الحسن البكري	الهلال
١٢٧/٢	٢	الحفيف	الشهاب الخفاجي	المنازل
١٩٦/٢	٢	السريع	ابن المعتر	الرجال
٢٢١/٢	٣	الرجز	-	وازتحل

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
			(م)	
٢٤/١	١	الطويل	مهيار	دُم
٢٤/١	١	الطويل	الأبيوردي	دُم
٣٧/١	١	الكامل	-	حمام
٤٩/١	٤	الكامل	درويش الطالوي	كَلِم
٨٠/١	٣	الكامل	أبو تمام	أيام
٨٨/١	٢	الكامل	الخوارزمي	القائم
٨٩/١	٢	الطويل	الخوارزمي	مُنَاكُم
٩١/١	٦	الطويل	مصطفى بن العجمي أبو الصفاء	مقيم
٩٩/١	٢	البسيط	ماماي	ينكتُم
١٠٤/١	١	الكامل	شمس الدين محمد بن إبراهيم الحلبي	حرام
١٠٧/١	٢	الكامل	الشهاب الخفاجي	محزَم
١٤٤/١	٢	الخفيف	الأمير منجك الجركسي	ملاَم
١٦٠/١	٢	الخفيف	محمد بن عمر العرضي	العلوم
١٦٧/١	٣	الطويل	أبو العباس المنصور بالله	سقَام
١٧٧/١	٤	البسيط	الشهاب الخفاجي	مباسم
١٧٧/١	٣	الخفيف	محمد الفشتالي	عظائم
١٧٩/١	٢	البسيط	أبو حية النميري	ريم
١٨١/١	١	الطويل	-	المقدّم
١٨٩/١	١	البسيط	-	هُم
٢١٤/١	٣	الطويل	أبو الحسن المنجم	يتضرم
٢١٦/١	٢	الكامل	أبو نواس	حرام
٢٢٠/١	١	الوافر	المتنبي	اللثام
٢٢١/١	١	الوافر	-	القَتَام
٢٢١/١	١	البسيط	-	القِمَم
٢٣٥/١	٣	الطويل	أبو القاسم الدبوسي	عادم
٢٤١/١	١	البسيط	-	وانتظّموا
١٦/٢	٢	الكامل	يوسف المغربي	تبسم
٢٦/٢	١	الكامل	-	فَم
٣١/٢	٢	الوافر	عبد الرحيم العباسي	لثام
٣٢/٢	٢	الطويل	أبو تمام	عالم
٥٨/٢	٢	الكامل	بدر الدين الأزهري	تترنم

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٥٨/٢	٢	الطويل	الشهاب الخفاجي	تترنم
٥٨/٢	٢	الطويل	مجير الدين بن تميم	وتترجم
٧٥/٢	٤	الطويل	نور الدين بن الجزار الشافعي	مقام
٧٥/٢	٢	الطويل	القطب المكي	مقام
٨٣/٢	٢	الوافر	الشهاب الخفاجي	الظلام
٩٤/٢	١	الطويل	بعض المعمرين	كالم
١١٦/٢	١	م. الرمل	ابن رشيق	لام
١١٧/٢	٣	الطويل	علي الحنائي	مدام
١٤٦/٢	٩٢	الطويل	أبو السعود العمادي	وغرام
١٧٦/٢	٢	الطويل	ابن هاني المغربي	هازم
١٩٦/٢	١	الكامل	المتنبي	تلطم
١٩٨/٢	١	البيسط	-	حلّم
١٩٨/٢	١	الكامل	أبو تمام	تتقدم
١٩٩/٢	١	الطويل	ابن براءة الهمداني	ظالم
٢٠٠/٢	١	البيسط	-	معلوم
٢٠٢/٢	١	السريع	-	مستسلم
٢١٠/٢	٤	الوافر	عمرو بن حسان	هام
٢١١/٢	٥	الكامل	أشجع السلمي	الأيام
٢١٣/٢	٧	الطويل	الأبيوردي	ميسم
١٦١/٢	١	الطويل	-	سقامها
(م)				
١٩/١	٢	البيسط	السراج الوراق	دما
٧٣/١	٢٩	الكامل	حسين بن أحمد الجزري	يكتما
١٧/١	٢	الخفيف	حسين بن أحمد الجزري	عظيما
٧٧/١	٣	الطويل	حسين بن أحمد الجزري	عمى
٩١/١	١٢	البيسط	مصطفى بن العجمي أبو الصفاء	نسما
٢١٤/١	٦	الطويل	الشهاب الخفاجي	العمى
٢٢٧/١	١	المديد	-	وصاما
٢٤٠/١	١	الرجز	النايفة الذبياني	والإقداما
٣١/٢	٢	الخفيف	عبد الرحيم العباسي	نجوما
٣٥/٢	٣	البيسط	تقي الدين الفارسكوري	نسما
٦١/٢	٢	الخفيف	ابن مكانس	مفرما
٦٩/٢	٢	المتقارب	إسماعيل بن الحسين الخزرجي	مقيما

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٦٩/٢	٢	الوافر	-	تقومًا
٩٧/٢	٢	الطويل	محمد الوفائي	تزاخما
١١٥/٢	١	الكامل	-	أحرما
١١٦/٢	٢	البيسط	علي بن الحنائي	لاما
١٣٤/٢	١٤	الخفيف	الشهاب الخفاجي	مُضامًا
١٣٥/٢	٢	م. الرمل	بعض الظرفاء	يتعامى
١٣٥/٢	٦	الطويل	الشهاب الخفاجي	أظلمًا
١٦٣/٢	١	الطويل	أبو تمام	لأُخْدَمًا
٢١٥/٣	٥	الطويل	يزيد بن خالد الإشبيلي	مَكَمَّمًا
٥٩/٢	٢	الطويل	البدر الدماميني	كلامها
٦٠/١	٢	الوافر	الصنوبري	المدامة
٦٨/١	١	الوافر	القاضي الفاضل	السلامة
٧٠/١	٣	الوافر	يوسف بن عمران الحلبي	الندامة
١١٤/١	٤	السريع	ابن مليك الحموي	نظمه
١٠٢/٢	١	م. الكامل	-	الندامة
١٥٠/٢	٢	الوافر	الشهاب الخفاجي	المدلهمة
(م)				
٧/١	٢	الخفيف	ابن رشيق	الذميم
١٨/١	١	الوافر	المتنبي	حرام
٤٠/١	٦	الطويل	درويش الطالوي	المباسم
٤١/١	٢٨	البيسط	-	كليم
٧٧/١	٢	الخفيف	حسين بن أحمد الجزري	لثيم
٨٠/١	٣	الكامل	الشهاب الخفاجي	ظلام
٨١/١	١٤	الكامل	شمس الدين بن المنقار	بمنام
١٠٣/١	٢	الطويل	شمس الدين محمد بن إبراهيم الحلبي	واللثم
١١١/١	٢	السريع	-	النعيم
١١٢/١	٢	الخفيف	ابن هانئ الأندلسي	الحمام
١٢٩/١	١	الكامل	-	النسيم
١٢٩/١	١	الكامل	-	النعيم
١٤٠/١	٤٦	الطويل	الأمير منجك الجركسي	ومتهم
١٤٨/١	٢	البيسط	-	والكرم
١٤٨/١	٣	الكامل	ابن رشيق	وتكروم
١٤٨/١	١	الكامل	الشهاب الخفاجي	الدم

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
١٦٠/١	٢	الخفيف	محمد بن عمر العرضي	المدام
١٦١/١	٢	البيسط	عمر بن عبد الوهاب العرضي	السَّامي
١٦١/١	٢	الطويل	محمد بن الحنبلي	الجامي
١٦٢/١	٢	البيسط	عبد الله الدنوشرى	أكمام
١٦٤/١	١	الكامل	-	الكلام
١٦٧/١	١	الكامل	الحارث بن وعلة الذهبي	سهمي
١٨٦/١	١	الطويل	المتنبي	توهم
٢١٥/١	١	البيسط	-	حرم
٢١٦/١	٢	الوافر	الشهاب الخفاجي	لم
٢١٩/١	٢	م. الرمل	شهاب الدين أحمد الفيومي	للأنام
٢٢٣/١	٤	الكامل	الشهاب الخفاجي	المتكلم
٧/٢	٢	الكامل	محمد بن يس المنوفي	بهموم
٢٢٨ و ٢٥/٢	١	الوافر	المنازي	النظيم
٢٩/٢	٢	الخفيف	-	وهمي
٣٢/٢	٢	الخفيف	عبد الرحيم العباسي	النجوم
٣٤/٢	١	الخفيف	-	الأفلام
٤٣/٢	١	الخفيف	-	والغلام
٤٩/٢	٢	البيسط	الشهاب الخفاجي	كالعلم
٥٤/٢	٢	السريع	-	واللحم
٦١/٢	٢	الطويل	شهاب الدين السنفي	مكارمي
٩٤/٢	٣	البيسط	عمر بن أبي جبلة الدمشقي	قديمي
١١٣/٢	٣	الطويل	محمد بن أبي الحسن البكري	هاشم
١١٦/٢	٢	البيسط	ابن رشيق	أسقامي
١٢٥/٢	١	الكامل	-	الدم
١٦٩/٢	١	الطويل	-	الجسم
١٧٩/٢	١	الوافر	-	الكلام
٢١٢/٢	١	المنسرح	النايفة الجعدي	بالغنم
٢١٧/٢	٣	الطويل	ابن خفاجة الأندلسي	غلام
٢١٧/٢	٥	الكامل	عمر بن عبد الله الحكمي، أبو جعفر	الأسهم
٦٢/١	٣	الكامل	محمد بن قاسم الحلبي	بقدومه
٧٥/١	٣	م. البيسط	حسين بن أحمد الجزري	أعضبه
			(م)	
٥/١	١	المتقارب	-	الكرم

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٤/٢ و ٦/١	١	المتقارب	-	الهمم
١٤/١	١	الرمل	ابن مطروح	بسقم
٧٨/١	٢	السريع	حسين بن أحمد الجزري	السقام
١٢٥/١	٢	الوافر	بهاء الدين العاملي	إمام
١٦٠/١	٢	الرمل	محمد بن عمر العرضي	كظيم
١٦٩/١	٢	المتقارب	الشهاب الخفاجي	انهدم
١٨٨/١	١	المتقارب	الأعشى	درم
١٨٨/١	٢	المتقارب	الشهاب الخفاجي	سلم
٢٠٩/١	٢	الوافر	عبد السلام بن سنوس المغربي	سلاهم
٢١٥/١	١	الوافر	الشهاب الخفاجي	المعظم
٢٤٣/١	٢	الكامل	الشهاب الخفاجي	يندم
٢٥٤/١	٢	السريع	-	وسلم
٤٩/٢	٢	الطويل	بدر الدين القرافي	العلم
٦٢/٢	٢	المجتث	الصلاح الصفدي	أولم
١١٣/٢	٧	السريع	محمد بن أبي الحسن البكري	الكمام
١١٧/٢	٤	الطويل	علي بن الحنائي	بالقلم
١٥٤/٢	٣	السريع	الخوارزمي	السلام
٢٢٠/٢	٤	الرمل	ابن المعتز	نعم
(ن)				
١٤/١	١	الطويل	ظافر الحداد	يكون
٣١/١	١	الكامل	أبو تمام	عيون
٨٨/١	٢	الدوبيت	حسين بن أحمد الجزري	إنسان
١٤٥/١	١٣	الخفيف	الأمير منجك الجركسي	أمان
٢١١/١	٦١	البسيط	السيد يحيى القرطبي	إنسان
٢٢٦/١	١	الطويل	-	أغصان
٢٤٨ و	١			
٢٣٦/١	٣	الرجز	الصنوبري	الزمان
٥/٢	٨	الكامل	محمد بن يس المنوفي	رصين
٣٩/٢	١	مخلع البسيط	-	العيون
٨٦/٢	٢	الكامل	-	المرجان
٩١/٢	١٣	البسيط	نور الدين العسيلي	غزلان
١٤١/٢	١	الطويل	-	زمان
١٦٥/٢	١	مخلع البسيط	الشهاب الخفاجي	جنون

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٢٠٠/٢	١	الطويل	-	لُضْنِينُ
٣٥/١	٢	المتقارب	الشهاب الخفاجي	سكاتها
(ن)				
٧٣/٢ و ٩/١	٢	الطويل	أبو العلاء المعري	الْحَنَّا
٩٣/٢ و ٩/١	٢	الطويل	الحسن بن أبي عقامة	دَنَا
٣٥/١	١	الطويل	حسن بن محمد البوريني	إنسانًا
٦٨/١	٢	البيسط	الشهاب الخفاجي	وريحانًا
٧٠/١	٢	السريع	ابن المعتز	كانا
٩٩/١	٢	الوافر	ماماي	راحمونًا
١٠٣/١	٢	البيسط	شمس الدين محمد بن إبراهيم الحلبي	وأحيانًا
١١٦/١	٤	الطويل	القاضي محب الدين الحموي	وحيانًا
١٣٩/١	٢١	البيسط	الأمير منجك الجركسي	وعرفانًا
١٥٠/١	٣	المتقارب	الشهاب الخفاجي	دُعِينَا
١٩٠/١	٢	الطويل	-	الغنى
٢٥٥/١	٢	الطويل	مروان بن أبي الجنوب	فأذْنَا
١٤/٢	٣	م.الكامل	تقي الدين التميمي	مثلنا
٣٨/٢	١	الرمل	-	الأذْنَا
٨٧/٢	٢	المتقارب	-	سنانًا
٩٥/٢	٤	الكامل	بعض العرب	فتحانِي
١١٧/٢	٢	البيسط	الشهاب الخفاجي	ألوانًا
١٦٠/٢	٢	الوافر	-	سافلينا
١٧٦/٢	٣	الكامل	-	ألوانًا
١٧٩/٢	٣	البيسط	الشهاب الخفاجي	أحيانًا
١٨٣/٢	١	الخفيف	-	إنسانًا
٧٨/١	٢	الكامل	حسين بن أحمد الجزري	بينها
(ن)				
١٥/١	٢٠	الكامل	أحمد العناياتي	المفتون
٥/١	٢٧	الكامل	صدر	العين
١٧/١	٢	البيسط	البحثري	يعصيني
٢٧/١	١٣	الكامل	ابن دانيال	الحدبان
٣٣/١	٢	الوافر	الشاب الظريف ابن العفيف	الجفون
٦٠/١	١٠	الوافر	ابن مطروح	وجان

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٦٢/١	٢	الرمل	الشهاب الخفاجي	حنيني
٦٥/١	٢	الدوبيت	محمد القاسمي	تعدوني
٦٨/١	٦	الطويل	يوسف بن عمران الحلبي	جفن
٧٠/١	٢	الوافر	ابن الخيمي	عين
٧٠/١	٢	الوافر	اليعموري	زين
٧٠/١	٢	البسيط	الشهاب الخفاجي	حنيني
١٠٥/١	١	البسيط	-	وسنان
١٠٥/١	١	البسيط	-	سحنون
١٠٥/١	٥	الخفيف	أبو الفتح المالكي	الأجفان
١٠٦/١	٢	م. الوافر	ابن هند	بايقان
١٠٧/١	١	الخفيف	ناصر الدين الأرجاني	بالآذان
١١٢/١	٨	الطويل	أبو الفتح المالكي	نيراني
١٥٥/١	١	الكامل	-	الأغصان
١٦٣/١	٣	الخفيف	الشهاب الخفاجي	الأحزان
١٨١/١	١	الطويل	-	بأوطان
١٨٣/١	١	البسيط	-	وسنان
١٨٦/١	٣	الطويل	الصاحب بن عباد	الوحدان
١٨٦/١	٣	الطويل	أبو أحمد العسكري	الرجفان
١٩٢/١	٢	الكامل	محمد بن إبراهيم الفاسي	العائي
١٩٢/١	٣	الوافر	محمد بن إبراهيم الفاسي	المغاني
١٩٣/١	٢	الوافر	الأرجاني	المنون
١٩٦/١	١	الخفيف	-	بالإحسان
١٩٩/١	١	البسيط	أبو تمام	إخواني
٢٠٨/١	٤	الطويل	حسام الدين الدرعي	وعيان
٢١٨/١	١	الوافر	صفي الدين الحلبي	اليدنين
٢١٩/١	١	الوافر	شهاب الدين أحمد الفيومي	عيني
٢١٩/١	١	الوافر	الشهاب المنصوري	عيني
٢٢٠/١	١	الطويل	-	بحران
٢٣٧/١	٢	م. الوافر	محمد البكري، أو محمد ماماي الرومي	الفناجين
٢٣٧/١	٣	الرجز	البيغاء	أوان
٢٤٦/١	٢	السريع	-	الخيلاق
٢٥٤/١	١	البسيط	مروان بن أبي الجنوب	بأذان
٧/٢	٢	الوافر	محمد بن يس المنوفي	الدخان

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
١٧/٢	٣	الكامل	ابن قلاقس	الأجفان
١٧/٢	٢	الخفيف	يوسف المغربي	الحسان
٢٠/٢	٢	الهمزج	يحيى الأصيلي	بايقان
٢١/٢	٢	السريع	يحيى الأصيلي	حياني
٢٧/٢	٢	الطويل	علي بن أمر الله الحناني	وإثقان
٤١/٢	١	الطويل	-	بالجبن
٤٧/٢	٢	الوافر	-	الزمان
٥٧/٢	١	الرجز	بدر الدين الأزهري	الأمان
٦٢/٢	٤	البسيط	محمد البليني	نيسان
٦٨/٢	٣	الرمل	الشهاب الخفاجي	دني
٩٤/٢	٢	الوافر	-	اثنان
١١٨/٢	٢	الوافر	-	بالرقمتين
١٢٠/٢	٢	الكامل	-	فاني
١٢٤/٢	١	الكامل	ابن عمار	الفرسان
١٢٩/٢	٢	الوافر	الشهاب الخفاجي	تواني
١٣٠/٢	٢	الوافر	محمد بن برهان الدين الحميدي	الزمان
١٣٢/٢	١	المجث	-	مني
١٤٦/٢	٤	السريع	الشهاب الخفاجي	يرديني
١٧٢/٢	١	الخفيف	-	الخيزران
١٧٧/٢	٢	الطويل	الزمخشري	سمطين
٢١٥/٢	٢	الكامل	أبو الحسن بن حريق	الطوفان
٢١٧/٢	١	البسيط	حسان بن ثابت	ثمن
٢٢٠/٢	٤	م.الرجز	ابن المعتز	الزمان
٢٢٠/٢	٣	السريع	-	الإخوان
٢٠/١	١	الكامل	البحثري	أغصانه
٤١/١	٢١	م.الكامل	درويش الطالوي	سكانه
٢٥٩/١	٣	البسيط	عفيف الدين	شانه
٦٦/٢	٢	الوافر	عبد المنعم الماطي	لحسنه
٢٤٤/١	٣	م.الرمل	الأهوازي	بشانه
٧٧/٢	٢	الخفيف	الميكالي	ترجمانه
٩٢/٢	١	المنسرح	ابن التبيه	لنسيانه
٢٠٢/٢	٢٦	المنسرح	-	قرنه

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
(ن)				
٧٣/١	٢	الرمل	الشهاب الخفاجي	الوسن
١٣٩/١	١١	م.الكامل	عبد الرحمن العمادي	من
٣٠/٢	٢	السريع	عبد الرحيم العباسي	الزمان
(هـ)				
٦٨/١	١	الكامل	يوسف بن عمران الحلبي	أفواه
٨٩/١	٢	م.الرمل	رضي الدين الغزي	منه
٩٩/١	٢	الطويل	ماماي	ثناياه
٢٠٩/١	١	السريع	-	لمعناه
٢٤٥/١	٢	م.الكامل	محمد بن أبي الخير بن العلامة ابن حجر الهيثمي	مُشبه
٦١/٢	٤	مخلع البسيط	شهاب الدين النسفي	وعارضاه
٧٦/٢	٢	الدوبيت	محمد الفارضي	وله
١٢٦/٢	١	الرمل	-	سواه
(هـ)				
١٠/١	١	الكامل	-	ذكراها
٢٣/١	٣	م.الوافر	ابن الوردي	مرعاها
١٠١/١	٢	البسيط	-	مسراها
١٢٩/١	١١	م.الكامل	-	تنتحياها
٢٢٩/١	١	السريع	أبو العتاهية	لها
٦/٢	١٨	المنسرح	محمد بن يس المنوفي	تشبها
٢٦/٢	١	المنسرح	-	ذكرناها
٥٦/٢	١٩	الخفيف	إبراهيم بن المبلط	صفاها
٦٢/٢	٢	السريع	شهاب الدين السنفي	والدها
٦٢/٢	٢	السريع	القيراطي	ندها
٢/٨٤	١	البسيط	الأرجاني	تحاكيها
٨٥/٢	١	البسيط	-	تشبها
٨٨/٢	٤٢	البسيط	-	فيها
١٢٤/٢	١	مخلع البسيط	ابن برد	بديها
(هـ)				
٣٧/٢	٢	الكامل	أسامة بن منقذ	إليه
٥٥/١	٢	المنسرح	الحظيري	خديه
٦٣/١	٢	الوافر	الأمير أبو بكر الحلبي	لديه
٧٣/١	٢	الطويل	-	إليه

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
٩٨ / ١	٢	الطويل	ماماي	التَّيه
١٢١ / ١	١٠	الطويل	القاضي ظهير الدين الحلبي	صياصيه
٢١٨ / ١	٢	الكامل	الشهاب الخفاجي	زَاهِي
٢٢١ / ١	٣	البسيط	الأرجاني	بأهليه
١٧٧ / ٢ و	١			
٨ / ٢	١	الخفيف	-	الوجوه
١٣ / ٢	٢	السريع	الأردبيلي	التَّيه
٥٨ / ٢	٢	م.الرجز	بدر الدين الأزهري	إلنيه
٦٣ / ٢	٢	البسيط	الشهاب الخفاجي	يُزديه
(هـ)				
٦١ / ١	٢	م.الرجز	محمد بن قاسم الحلبي	والوشاة
١٢٤ / ١	١٦	السريع	بهاء الدين العاملي	دانية
١٨٢ / ١	١	المتقارب	-	العاقية
٤٩ / ٢	١	السريع	-	رشاة
٩١ / ٢	٢	السريع	نور الدين العسيلي	وتاة
٢١٨ / ٢	٨	م.الكامل	أبو القاسم المغربي الوزير	إلنيه
(و)				
٨٧ / ١	٢	البسيط	بدر الدين الغزي	خوى
١٢٥ / ١	٢	الدوبيت	الشهاب الخفاجي	سَلوى
١٢٥ / ١	٢	البسيط	بهاء الدين العاملي	سَلوى
٢٣٧ / ١	٢	الطويل	الشهاب الخفاجي	سروا
١٣ / ٢	٢	الطويل	محمد بن الخياط المحلي	يَسوى
١٣ / ٢	١	الطويل	التمساني	القُضوى
١٣ / ٢	٢	السريع	الشهاب الخفاجي	نقوى
٩٣ / ٢	٣	الطويل	نور الدين العسيلي	والهوى
(ي)				
٧٢ / ٢	٢	الرجز	الشهاب الخفاجي	نُدِي
(ي)				
٥ / ١	١	الطويل	-	وناعينا
١٠ / ١	٢	الطويل	مجنون بني عامر	والقوافيا

الصفحة	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	القافية
١٠/١	١	الطويل	-	ولا ليا
٥٦/١	٢	الطويل	الأرجاني	مكتليا
٧٣/١	١	الطويل	المتنبي	باكيا
١٥/٢	٢	الطويل	الشهاب الخفاجي	حاليا
٥٠/٢	٢	البسيط	النواجي	شفييا
٦٦/٢	٢	الوافر	عبد المنعم الماطي	إليا
١٤٥/٢	١	الطويل	الفرزدق	مواليا
١٨٨/٢	١	م. الرمل	-	عليا
٩٥/٢	٢	الطويل	البدر الدماميني	أمانية
٤٢/٢	٢	المتقارب	-	ماضية
٩٥/٢	٢	م. الرجز	الحسين بن مصدق الواسطي	راضية
٩٥/٢	٢	م. الرجز	الشهاب الخفاجي	ثمانية
١٧٣/٢	٨	الطويل	الحارث بن النصر السهمي	بادية
(ي)				
٤٣/١	٢٧	م. الكامل	درويش الطالوي	العري
٩٩/١	٢	الطويل	-	الحي
(أ)				
٧٣/١	١	م. الكامل	-	انكفا
٩٤/١	٦	الرجز	تقي الدين بن معروف	المنتهى
٢٢٠/١	١	الكامل	-	وعى
٧٧/٢	١٩	الرجز	محمد الفارضي	البرا
٧٩/٢	٢	م. الكامل	-	انطوى
١٣١/٢	١	المتقارب	المتنبي	الخصى
٢٢٥/٢	١٢	المتقارب	ابن المعتز	الثرى

الصفحة	البحر	الشاعر	القافية
أنصاف الأبيات			
(ء)			
١٢٠ / ١	الخفيف	فتح الله البيلوني، أو شاعر قديم	رب داءٍ أضرُّ منه الدواء
٢٠٦ / ١	البيسط	أبو إسحاق الغزي	مثل العروض له بحرٌ بلا ماءٍ
(ب)			
٩٤ / ١	الرجز	-	تخبر أن المانوية تكذب
٤٧ / ٢	البيسط	-	يا ليت أن شهوري كلها رجبٌ
٥٢ / ٢	المنسرح	ابن الرومي	والدم في النصل شاهد عجبٌ
٧٤ / ٢	الطويل	-	وللناس فيما يعشقون مذاهبٌ
١٨ / ١	الطويل	-	أي الرجال المهذب
(ت)			
١٠٣ / ١	البيسط	بشار بن برد	يا قوم أذني لبعض الحي عاشقةٌ
٢٣ / ١	البيسط	-	أخت الغزاة إشراقاً وملفتناً
٥١ / ٢	الرجز	-	قد وعدتني أم عمرٍ وأنت
١٦١ / ٢	السريع	-	ومات من لا عمره مائتا
١٢٧ / ٢	الخفيف	-	رب خير يجيء في الخاتمات
١٢٧ / ٢	الخفيف	-	فهو مثل السلام في الصوات
(ح)			
١٦٦ / ١	الطويل	-	فما أكثر القتلى وما أرخص الجرحى
٩٦ / ٢	الطويل	-	وسالت بأعناق المطي الأباطح
(د)			
٩٤ / ١	الرجز	-	والموت للإنسان بالمرصاد
٢٢٨ / ٢	المنسرح	-	أجس رأسي هل طار عن جسدي
٧١ / ١	الكامل	-	وأفة التبر ضعف منتقده
(ر)			
٦ / ١	الكامل	-	وباحسنت لا يُباع الشعير
٩١ / ١	الطويل	-	وأي صفاء لا يكدره الدهر
١٣٤ / ١	الكامل	-	وكذاك أيام السرور قصار
٢٣ / ١	البيسط	-	رأي العقيق فأجرى ذاك ناظره
١٢ / ٢	الطويل	-	نثرت فقلنا الدر في الأفق ينثر

الصفحة	البحر	الشاعر	الغافية
٥٠/١	الوافر	المتنبي	نظرت إليهم والعين شكري
٣٤/٢	الكامل	-	فحكى النسيم لطافة لما سرى
١٦١/٢	المنسرح	-	أكلتُ كتبي كأنني أرضه
١٦٣/١	الطويل	-	إذا نشرتُ كانت ممسكة النشرِ
١٦٤/١	الطويل	-	يظل بها مستعبد النظم والنشرِ
٥٣/٢	الطويل	علي بن الجهم	جلبتُ الهوى من حيث أدري ولا أدري
١٤٠/٢	السريع	الحارث بن حلزة	لا تكسع الشؤل بأغبارها
١٧٤/١	المتقارب	امرؤ القيس	فثوباً نسيت وثوباً أجزر
		(س)	
١٩٩/٢	الكامل	-	ما في وقوفك ساعة من باسٍ أبو تمام
		(ص)	
١٥٢/٢	الكامل	-	بجيرانها تغلو الديار وترخص
		(ض)	
١٦٩/١	الكامل	أبو تمام	وثناياك إنها إغريض
		(ط)	
٢١٢/٢	الرجز	بعض بني تميم	إن الندى حيث ترى الضغاطا
		(ع)	
١٠٤/١	البسيط	-	إن الطيور على أجناسها تقع
٢٠٦/١	الطويل	الخريمي	وسهم الرزايا بالنفائس مولع
٥٣/٢	الطويل	-	ولا بُدُّ يوماً أن تردَّ الودائع
١٤٢/٢	الوافر	عمرو بن معديكرب	أمن ريحانة الداعي السميع
١٦١/٢	الطويل	-	إذا كان خصمي حاكمي كيف أصنع
		(ف)	
٨٦/١	الطويل	-	ولا عجب للبدر أن يتكلفا
٥٢/٢	الكامل	-	إن غاب عن إنسان عيني فهو في
٥١/٢	الرجز	الوليد بن عقبة بن أبي معيط	قلنا لها قفي قالت قاف
		(ق)	
١٦٢/٢	المتقارب	-	مجز العوالي ومجرى السوابق
		(ل)	
٢١٦/١	-	-	وفاخرت الشهب الحصا والجنادل

الصفحة	البحر	الشاعر	القافية
٢٢٣/١	الطويل	المتنبي	عياء به مات المحبون من قبلُ
١٧٢/٢	الطويل	زهير بن أبي سلمى	كأنك تعطيه الذي أنت سائلُهُ
١٥٥/١	المتقارب	أبو العلاء المعري	فلولا الغمدُ (البُرْدُ) يمسكه لسالا
١٥٦/١	المتقارب	المنازي	فأرشفنا على ظمإِ زلالاً
١٨٧/١	المديد	الأعشى	إن محلاً وإن مرتحلاً
٦٤/٢	البيسط	-	إذا رأى غير شيء ظنَّه رجلاً
٢١٧/١	البيسط	المتنبي	أعلى الممالك ما يُبنى على الأسلِ
١٢٤/٢	البيسط	-	بقراط حسنك لا يرنو إلى عللي
١٢٨/٢	الطويل	-	وأين الثريا من يد المتناولِ
١٠٠/٢	السلسلة	عبد الله بن محمد الطبلاوي	يا سلسلة الصدغ من لوك على الخالِ
(م)			
٥١/٢	البيسط	علقمة الفحل	مُفَدَّمٌ بسِّبا الكتابِ مختومٌ
١٢٨/٢	الطويل	أبو السعود العمادي	أبعد سليمي مطلبٌ ومرامٌ
٢٠٥/٢	الوافر	حذام بنت الريان	ولو ترك القطا ليلا لنا ما
٢٢٨/٢	الطويل	-	ونشتم بالأفعال لا بالتكلمِ
٢٤/٢	الرجز	-	ومن يشابهُ أبه فما ظلم
(ن)			
٢١٩/١	-	-	وما محاسن شيء كله حسنٌ
١٥٧/٢	الكامل	-	هزوا القدود وأرهفوا الأجفانا
١٥٧/٢	الكامل	-	فاطلب لنفسك إن قدرت أمانا
٥١/٢	الكامل	ليد بن ربيعة	درس المنا بمتالع فأبانِ
١٦٢/٢	الرجز	-	أصمُّ أم يسمعُ غطريف اليمنِ
(هـ)			
١٠٤/١	الوافر	-	وشبه الشيء منجذبٌ إليه
(ا)			
٨٤/٢	الرجز	ابن دريد	طرة صبح تحت أذيالِ الدُجى

فهرس محتويات الجزء الثاني

- | | | |
|----|---|---|
| ٤١ | ١٠٢- عبد الواحد الرُّشَيْدِي | القسم الثالث: في مصر وأحوالها، |
| ٤٣ | ١٠٣- رمضان الهُوَيّ | وسبب العُود لرُسومها وأطلالها |
| ٤٣ | ١٠٤- أحمد بن عبد السلام | ٨١- محمد بن يس المُنُوفِي |
| ٤٥ | ١٠٥- محمد بن بدر الدين الرُّيَات | ٨٢- عبد الوهَّاب المَحَلِّي الحَنَفِي |
| ٤٦ | ١٠٦- صفِي الدِّين بن محمد العِزِّي .. | ٨٣- عبد المنعم المَحَلِّي الطرِينِي |
| ٤٦ | ١٠٧- أحمد بن علي العِزِّي | ٨٤- محمد بن الخِياط المَحَلِّي |
| ٤٧ | ١٠٨- عمر العِزِّي | ٨٥- القاضي تقي الدين التَّمِيمِي |
| ٤٧ | ١٠٩- رجب الشُّنَوَانِي | ٨٦- يوسف المَغْرِبِي |
| ٤٨ | ١١٠- القاضي بدر الدين القَرافِي | ٨٧- يحيى الأَصِيلِي |
| ٤٨ | المالِكِي | ٨٨- شمس الدين محمد النُّخْرِي |
| ٥٠ | ١١١- أحمد بن عُواد | الحَنَفِي البَصِير |
| ٥٠ | ١١٢- عبد الرحمن بن محمد | ٨٩- محمد الحَنَفِي المَفْتِي المعروف |
| ٥٣ | الحَمِيدِي | بالذُّنْب |
| ٥٤ | ١١٣- الرئيس داود الحكيم | ٩٠- شيخ الإسلام علي بن غانم |
| ٥٤ | ١١٤- محمد بن بدر الدين القُوصُونِي | المَقْدِسِي |
| ٥٥ | الطَّيِّب | ٩١- محمد الدُّمِياطِي الحَنَفِي |
| ٥٦ | ١١٥- إبراهيم بن المَبْلُط | ٩٢- شيخ الإسلام سراج الدين |
| ٥٧ | ١١٦- بدر الدين الأزْهَرِي | الحانُوتِي الحَنَفِي المَفْتِي |
| ٥٨ | ١١٧- محمد الأَبْيَارِي القَبَانِي | ٩٣- عبد الرحيم العَبَّاسِي |
| ٥٩ | ١١٨- يحيى بن الخطيب القَبَانِي | ٩٤- سراج الدين عمر الفارْشَكُورِي ... |
| ٦٠ | ١١٩- شهاب الدين أحمد السَّنْفِي | ٩٥- تقي الدين بن عمر الفارْشَكُورِي . |
| ٦٠ | المعروف بقُعود | ٩٦- محمد بن أحمد الحَتَّائِي |
| ٦٢ | ١٢٠- محمد البُلَيْنِي | ٩٧ ، ٩٨- شيخنا العلامة إبراهيم |
| ٦٣ | ١٢١- محمد الأَسِيوطِي التاجر | العَلَقَمِي |
| ٦٤ | ١٢٢- القاضي أحمد المَحَلِّي المالكي | ١٠٠- شمس الدين البَصِير |
| ٦٤ | ١٢٣- سَرِي الدين بن الصائغ الحنفي | ١٠١- عبد الله الدُّنُوشَرِي |

١٠٢..... البكري	٦٥ - منصور البليسي
١١٤..... القسم الرابع	٦٥ - عبد النافع الطرابلسي
١٥٢ - علي بن الحنائي بن أمر الله	٦٦ - صاحبنا عبد المنعم الماطي
١١٥..... الحميدي	٦٨ - حسن بن الشامي
١٢٤..... تمة	٦٩ - إسماعيل بن الحسين
١٢٥..... عبد الباقي	٦٩ - فمنهم محيي الدين الغزي
١٥٤ - فخر الزمان سعد الدين بن	٧٠ - أحمد الغزي
حسن جان	٧٠ - عبد القادر الطوري
١٥٥ - عبد الكريم بن سنان	٧٠ - علي بن الخزرجي شيخ
١٥٦ - السيد محمد بن برهان	الشيوخ بالسيوفية، الضير
١٢٩..... الحميدي	٧٢ - زين الدين محمد الأنصاري
بيان أحوال الروم، وانقراض علمائها	٧٣ - الخزرجي الحنيلي
ونشر الظلم والعدوان بين أمرائها	٧٤ - نور الدين بن الجزار الشافعي
١٣٠..... فصل	٧٤ - محمد الفارضي
١٣٣..... عجية	٧٦ - العلامة شهاب الدين أحمد بن
١٣٦..... فصل	محمد المقرري المغربي المالكي نزيل
١٣٨..... تنبيه	مصر
١٣٨..... فصل	٧٨ - القاضي أحمد بن الجنعان
١٤١..... تنبيه	٨٢ - نور الدين علي الفسيلي
١٤٢..... سانحة	٩٠ - السيد
١٤٣..... تمة	١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢ - السيد
١٤٤..... فصل	علي وفاء، وأولاده
١٤٥..... فصل	٩٦ - شيخنا أبو المكارم، وأبو
بيان حالي في خبر المبتدأ، وسبب	الإسعاد
اقتدائي بالهجرة النبوية وما عدا فيما	٩٨ - العلامة ناصر الدين
بدأ	٩٨ - العلامة منصور
١٥٠..... المقامة الرومية	٩٨ - السيد محمد، وأخوه
١٥٦..... الفصول القصار	عبد الله
١٦٣..... فصل	٩٩ - الأستاذ أبو الحسن البكري
١٦٨..... فصل	١٠١ - الأستاذ محمد بن أبي الحسن
١٦٨..... فصل	١٠١ - والأستاذ زين العابدين
١٦٩..... فصل	١٠٢ - الأستاذ الإمام أبو المواهب

٢٠٤..... خاتمة	١٦٩..... فصل
٢٠٥..... فصل	١٧٠..... فصل
٢٠٦..... طبقات الشعراء	١٧٠..... مقامة الغربية
٢٢٢..... خاتمة	١٧٥..... فصل
٢٢٦..... تنمة، وفائدة مهمة	١٧٥..... في فوائد تتعلق بهذه المقامة
٢٣١..... فهرس الآيات القرآنية	١٧٨..... فصل
٢٣٦..... فهرس الأحاديث النبوية	١٧٨..... المقامة الساسانية
٢٣٨..... فهرس القوافي وأنصاف الأبيات	١٨٢..... مقامة عارضت بها مقامة الوطواط
٢٩٢..... فهرس تراجم الجزء الثاني	١٨٧..... المقامة المغربية
	١٩٠..... فصل



RAYHĀNATUL-ALIPĀ WA ZAHRATUL-HAYATID-DUNYA

(Authors, Writers, and Poets' biographies)

by

Šahābud-Dīn Aḥmad Ben Muḥammad Al-Hafāji

Edited by

Aḥmad^c Ināyah

volume II

DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
Beirut-Lebanon